المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

# الدلالات العقدية لأساليب الاستفهام في القرآن الكريم

« رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة »

**إعداد**
منى بنت عبدالرحمن بن إبراهيم الشنيفي

**إشــراف**
الدكتور علي بن محمد السويـــــلم
الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

والمشرف المساعد الدكتور ناصر بن عبدالرحمن الخنين
الأستاذ المساعد في قسم البلاغة

الجزء الأول

العام الجامعي
١٤٢٩ – ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمـــــــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله -ﷺ- أما بعد : -

فكتاب الله تعالى أشرف ما صُرفت إليه الهمم ، وأعظم ما جال فيه فكر ، ومُدَّ به قلم ؛ لأنه منبع كل علم وحكمة ، ومربع كل هدى ورحمة ، من استمسك به فقد علقت يده بحبل متين ، ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم ، وهُدى إلى صراط مستقيم . وقد أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة وأجناس البلاغة ، وأنواع الجزالة ، وفنون البيان ، وحسن الترتيب والتركيب ، ما أذهل عقول العقلاء، وأخرس ألسنة الفضلاء ، فعلموا أنّ معارضته مِمّا ليس في مقدورهم ولا وُسعهم ، فكان خطابه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم [(1)]. ففرَّق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، جعله شفاء يشفي القلوب من مرض الشبهات والشهوات ، يهدي للتي هي أقوم ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، والصراط المستقيم .

ومن أعظم المسائل التي قررها كتاب الله تعالى ، واعتنى بها عقيدة المؤمن المتضمنة لمسائل الإيمان ، ودحض الشبهات الباطلة بأساليب ودلائل متنوعة يدركها الراسخون في العلم .

وقد وقع اختياري على موضوع ( **الدلالات العقدية لأساليب الاستفهام في القرآن الكريم** ) بحثاً لنيل درجة الدكتوراه ؛ وبيان ذلك في الأمور التالية :

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

١- وفرة الأساليب الاستفهامية في كتاب الله تعالى في موضوعات متنوعة ، وسياقات مختلفة ، وقد وظف أسلوب الاستفهام لتحقيقها والدلالة عليها .

٢- أن أسلوب الاستفهام من الأساليب العربية التي امتازت بالأسرار البلاغية والنكت البيانية، وهذا يحفز إلى تأملها، والغوص في طلب دقائقها .

٣- أن الاستدلال بالأساليب الاستفهامية على غير وجهها الصحيح ، قد يؤدي إلى مفسدة عظيمة، لا سيما في موضوعات العقيدة .

---

(١) انظر : مقدمة تفسير ابن النقيب ص ٩-١٠.

٤-الحاجة الماسة إلى البحوث العقدية المؤصلة التي تنبثق من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وفي ضوء منهج السلف الصالح .

٥- لم أقف على من عني بموضوع ( الدلالات العقدية للاستفهام في القرآن الكريم ) ؛ فأردت أن أضيف الجديد إلى المكتبة التي يستفيد منها طلاب العلم .

ثانياً : هدف البحث :

١- بيان مذهب أهل السنة والجماعة في معاني الأساليب الاستفهامية ، المتعلقة بالجوانب العقدية.

٢- كشف بدع المبطلين الذين عمدوا إلى كتاب الله تعالى ، فتأوّلوه وفق معتقدهم ؛ في عبارة حسنة ، ومعنى مؤثر.

ثالثاً : الدراسات السابقة :

بعد البحث والمراجعة وجدت عدة دراسات لم تتعلــق بالجانب العقدي ، وهي كالتالي:

١- الاستفهام القرآني ، دقائق ورقائق - دراسة تنظيرية تأويلية للدكتور محمود توفيق سعد .

٢- أساليب الاستفهام في القرآن ، لعبد العليم السيد فودة .

٣- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ، للدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية اللغة العربية - قسم البلاغة والنقد .

٤- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ، للدكتور عبدالعظيم المطعني .

وهذه الدراسات اعتنت بدراسة الاستفهام من الناحية اللغوية والبلاغية .

٥- الاستفهام في الصحيحين : خصائصه التركيبية ومعانيه البلاغية ، دراسة بلاغية تحليلية ، للباحث : عبدالعزيز بن صالح العمار ، رسالة دكتوراه في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٦- أسلوب الاستفهام في الصحيحين ، للباحث : سليت داود كبلي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، قسم الدراسات العليا شعبة البلاغة .

والدراستان الأخيرتان تناولتا الاستفهام في الصحيحين ؛ لا في القرآن الكريم .

رابعاً : منهج البحث :

سأعتمد – بإذن الله – المنهج الاستقرائي التحليلي في ضوء التالي :

١- جمع الآيات المتضمنة لأساليب الاستفهام ، التي تضمنت دلالات عقدية ، ثم تصنيفها وفق مسائل الإيمان .

٢- تحليل الآية ببيان أداة الاستفهام ، ثم معنى الاستفهام ، ثم بيان حقيقة المراد الذي تحقق معناه بأسلوب الاستفهام .

٣- توضيح دلالة الآيات ببيان المسائل المتعلقة بها وفق خطة البحث .

٤- بيان مذهب أهل السنة والجماعة في دلالة الآية ، ثم عرض أشهر المذاهب التي خالفت مذهب أهل السنة والجماعة والرد عليها ومناقشتها .

خدمة النص :

١- عزو الآيات القرآنية ، بذكر السورة ، ورقم الآية .

٢- تخريج الأحاديث النبوية على صاحبها – أفضل الصلاة وأتم التسليم – فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به ، وإن كان في غيرهما خرجته من مظانّ وروده، مع ذكر حكمه من حيث الصحة والضعف .

٣- الترجمة الموجزة للأعلام غير المشهورين .

٤- شرح الألفاظ الغريبة .

٥- توثيق النقول من مصادرها .

٦- التعريف الموجز بالأماكن غير المشهورة .

٧- الفهارس العامة .

خامساً : خطة البحث :

وتشتمل على مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة ، وهي:

**المقدمة** : وتشمل خطة البحث ، وأسباب اختيار الموضوع ، ومنهج البحث وهدفه ، والدراسات السابقة .

**التمهيد** : وفيه :

-الاستفهام أدواته ومعانيه .

-تعريف الدلالة العقدية .

-تعريف الاستفهام .

-أدوات الاستفهام .

-الأغراض البلاغية التي تخرج إليها أدوات الاستفهام .

**الباب الأول** : **الدلالات العقدية للاستفهام في الإيمان بالله** ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : توحيد الربوبية ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تقرير توحيد الربوبية .

المبحث الثاني : إقامة البراهين والأدلة على توحيد الربوبية .

المبحث الثالث : إقرار المشركين بتوحيد الربوبية .

المبحث الرابع : الرد على منكري توحيد الربوبية .

الفصل الثاني : توحيد الأسماء والصفات ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تنْزيه الله عز وجل .

المبحث الثاني : إثبات الأسماء .

المبحث الثالث : إثبات الصفات .

الفصل الثالث : توحيد الألوهية ، وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية .

المبحث الثاني : تقرير الألوهية لله وحده .

المبحث الثالث : نفي الشريك عن الله في العبادة .

المبحث الرابع : إبطال المعبودات من دون الله عز وجل .

المبحث الخامس : المحاجة بين المشركين ومعبوداتهم .

**الباب الثاني** : **الدلالات العقدية للاستفهام في الإيمان بالملائكة ، والكتب ، والرسل** ، وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الإيمان بالملائكة ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الرد على المفاهيم الباطلة المتعلقة بالملائكة .

المبحث الثاني : أعمال الملائكة .

المبحث الثاني : الكفر وأنواعه .

المبحث الثالث : أهل الكتاب .

المبحث الرابع : النفاق .

ومن ثم تأتي الخاتمة التي بينت فيها أبرز نتائج البحث ..

وأخيراً الفهارس .

وفي الختام أحمد الله تعالى حمداً كثيراً على إتمام هذا البحث ، فهو المستحق للحمد والشكر والتعظيم ، كما أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ممثلة في كلية أصول الدين وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

كما أتوجه بالشكر والعرفان للأستاذ المشرف فضيلة الشيخ الدكتور علي بن محمد الدخيل الله ، والأستاذ المشرف المساعد فضيلة الشيخ الدكتور ناصر بن عبدالرحمن الخنين ؛ فلقد استفدت من ثاقب رأييهما ، وسديد توجيهاتهما ؛ فأسأل الله أن يُجزل لهما المثوبة في الدنيا والآخرة ، كما أشكر فضيلة الشيخ الدكتور يوسف السعيد الذي أفادني بتوجيهاته القيمة والمفيدة في صعودي أوَّل درجات هذا البحث ، وأشكر والديَّ الكريمين اللذين طالما حفتني بركة دعواتهما ؛ فأسأل أن يجزيهما خير الجزاء ، وأن يغفر لوالدتي ويبوِّءها منازل الشهداء والصديقين .

كما أشكر زوجي الفاضل الأستاذ ناصر الشثري الذي كان له الأثر البالغ منذ مهد هذا البحث إلى تمامه .

وأشكر كل من ساعدني وأعانني بفائدة أو كتاب أو رأي ، وعلى أيّ حال ، فهذا جهد مقلٍّ ، فإنْ أصبت وأحسنت فمن توفيق الله عزَّ وجلَّ ، وإن أخطأت وقصَّرْت فمن نفسي ومن الشيطان ، أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه . وصلى الله على نبينا محمد .

# التمهيـــــــــد

الاستفهام معانيه وأدواته وأغراضه

١- تعريف الدلالات العقدية .
٢- تعريف الاستفهام .
٣- أدوات الاستفهام .
٤- الأغـراض البلاغيـة التـي تخـرج إليهـا أدوات الاستفهام.

## تعريف الدلالات العقدية:

### تعريف الدلالات في اللغة:

(( الدال واللام أصلان : احدهما : إبانة الشيء بأمارة تتعلمها ، والآخر : اضطراب في الشيء )) [١] .

(( ودلَّ يدل إذا هَدَى ، ودَلَلْتُ بهذا الطريق دَلالةً ، أي : عرفته ، والدليل من الدِّلالة والدَّلالة بالكسر والفتح )) [٢] .

والدلالات جمع دلالة ، والدليل : هو المرشد والكاشف [٣].

### تعريف الدلالة اصطلاحاً:

عُرفت الدلالة المطلقة بعدة تعريفات، ومنها: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر [٤].

### تعريف العقيدة لغة:

العقد نقيض الحلِّ، عَقَدَه يَعقِدُه عَقْداً، واعتَقَدَه، يُقال: عقدت الحبل، فهو معقود، وعَقَدَ العَهْدَ واليمين يعْقِدها عقداً: أكدَّهما[٥].

فهو بمعنى الشدّ والربط بقوة، والتأكيد ، والإحكام[٦] .

اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به[٧].

(( واعتقد الشيء : اشتد وصلب ، والعقيدة : الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده ))[٨].

### العقيدة في الشرع:

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢٠٩ ( دل ) .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/٤٨ (دلّ) .

(٣) انظر : لسان العرب لابن منظور ١١/٢٤٩ (دل) ، والمصباح المنير للفيومي١/١٩٩ (دللت) .

(٤) انظر: شرح تنقيح الفصول للقرافي ص ٢٣ ، شرح الكوكب المنير لابن النجار ١/١٢٥ ، شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا ص ١٤٦، قواعد الفقه ص ٢٩٣.

(٥) معجم مقاييس اللغة ٤/٨٦ (عقد).

(٦) لسان العرب ٣/٢٩٦ (عقد).

(٧) المصباح المنير ٢/٤٢١ (عقدت).

(٨) المعجم الوسيط ٢/٦١٤ (عقد).

اسم شائع، ولم يرد في الكتاب والسنة لفظ ( العقيدة ) بمعنى الاعتقاد في مسائل الإيمان، إلا أن معناه حق؛ لأن مادة ( عقد ) في اللغة مدارها على تأكيد الشيء وإحكامه .

وقد عرّفها الشيخ صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله – بقوله : « ما يؤمن به العبد ويدين به»، ثم شرح التعريف بقوله : « فإن كانت هذه العقيدة موافقة لما بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، فهي عقيدة صحيحة ، سليمة ، تحصل بها النجاة من عذاب الله، وإن كانت هذه العقيدة مخالفة لما أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه ، فهي عقيدة تُوجب لأصحابها العذاب»[1].

ويوضح أهل العلم مفهوم العقيدة بوصفهم لها كقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– موضحاً قول الله تعالى : ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ ﴾ [2]: «والكلمة أصل العقيدة، فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء ، وأطيب الكلام والعقائد كلمة التوحيد ، واعتقاد لا إله إلا الله... »[3].

وقال: « وقال الحافظ أبو نعيم[4] الأصبهاني في العقيدة المشهورة عنه: طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، فما اعتقدوه اعتقدناه ... »[5].

قال أبو الخير اليماني[6] –رحمه الله–: « فمتى حصل للإنسان المعرفة بالله وبصفاته

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ ابن فوزان ص ٧.

(٢) سورة إبراهيم ، آية ٢٨ .

(٣) الفتاوى ٧٤/٤ ، وانظر : ١٥٨/١٣.

(٤) هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو نعيم الأصبهاني، الحافظ الصوفي، عُرف بالحفظ والضبط .
من مصنفاته: (حلية الأولياء)، و(دلائل النبوة)، و(المستخرج على البخاري) وغيرها، توفي سنة ٤٣٠هـ .
انظر: طبقات الشافعية الكبرى ١٨/٤، والوافي بالوفيات ٥٢/٧.

(٥) بيان تلبيس الجهمية ٤٠/٢.

(٦) هو: يحيى بن أبي الخير بن سالم اليماني ، أبو زكريا العمراني، الإمام الزاهد، كان شيخ الشافعية ببلاد اليمن، عُرف بالفضل والعلم . من مصنفاته: ( الانتصار في الرد على القدرية الأشرار) ، و( السؤال عما في المهذب من الإشكال) ، توفي مبطوناً سنة ٥٥٨هـ .
انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٣٢٧/١، وشذرات الذهب ٣٠٩/٦.

وعلم أنّ ما جاء عن النبي -ﷺ- حق، حصلت لـــه المعرفة وأدنى المعرفـــة مـــا لا يجامعهـــا الشكوك؛ بل إذا حصلت للإنسان المعرفة بالأدلة من القرآن ، أو أخذ ذلك بالتلقين من أبويه في الصغر، أو بتقليده للعلماء والصالحين في صغره، ثم بلغ وصمّم على هذه العقيدة فإنه مؤمن كامل الإيمان...)) [١].

وبذلك يتبين أن العقيدة تطلق على الاعتقاد الجازم ، والتصديق ، والإيمان ، فإن كانت صحيحة مبنية على الكتاب والسنة كانت حقاً ، وإن كانت مبنية على الباطل فهي باطلـــة، وجَمَع السلف ما يجب على المؤمن الإيمان به ، وأطلقوا على ذلك : ( العقيدة ) كالعقيـــدة الطحاوية ، والعقيدة الواسطية وغيرهما .

وبعد تعريف الدلالة والعقيدة ، يمكننا التوصل إلى المقصود بالدلالات العقدية ، فهـــي تعني : الكشف بوساطة الألفاظ والتراكيب ، أو السياق والقرائن عمَّا يجب أن يصدقه العبد ، ويدين به ربّه وفق منهج السلف ، فالدلالات العقدية، لا تنحصر بدلالات معينة تعارف عليها أئمة هذا العلم وعلماؤه ، فلا يخرجون عنها ، كما هو عند علماء الأصـــول والمنطقـــيين ، وغيرهم.

بينما نجد العلماء في علم الاعتقاد يقفون مع النص ، ويستنبطون الدلائل على المسألة ، وذلك بحسب السياق ، والقرائن التي يحتفّ بها النص ؛ فالنصوص إما ألفـــاظ أو تراكيـــب ، فالألفاظ بمفردها تتضمن معاني مفردة ، والتراكيب تتضمن معاني مضموماً بعضها إلى بعض ؛ لتؤدي معنى واحداً ، أو معاني مجتمعة يردف بعضها بعضاً .

قال ابن القيم – رحمه الله -: (( فمفرداته – أي القرآن – نصوص ، أو كالنصوص في مسمّاها، وتراكيبه صريحة في المعنى الذي قُصد بها ))[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (( بل يُنظر في كل آية وحديث بخصوصه، وسياقه، وما يبين معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصل عظيم نافع في باب فهم الكتـــاب والسنة ... ))[٣].

---

(١) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار للعمراني ١٢٩/١.

(٢) الصواعق المرسلة ٦٧٠/٢.

(٣) الفتاوى ١٨/٦ .

قال الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله –: (( ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني ، وهو يختلف بحسب السياق، وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق، وتركيب الكلام يُفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه ))[1].

ولعل ذلك يتضح في بعض الأمثلة التي استنبطها العلماء من سياق النصوص:

– **دلالة الإشارة** ، وذلك في الحديث الذي جاء فيه: ذُكر الدجال عند النبي – ﷺ – فقال: (( إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة[2] طافية ))[3].

فالحديث يدل بدلالة الإشارة على إثبات العينين لله تعالى، فإشارته ﷺ لا يُفهم منها التشبيه، وإنما تدل على تأكيد تحقق قيام هذه الصفة الذاتية بالله تعالى.

قال الشيخ عبد الله الغنيمان : (( ولهذا صار هذا الحديث من الأدلة الواضحة على إثبات تثنية العين لله تعالى، ويزيد ذلك وضوحاً إشارته ﷺ إلى عينه لتحقق الوصف ، يعني أن لله عينين سالمتين من كل عيب وكاملتين ))[4].

ومن ذلك **دلالة الاقتران**، كاقتران اسم الله – تعالى – الغني والحميد، فإن الله تعالى يحصل له قدر زائد على مفرديهما .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما ، نحو الغني الحميد ، فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك ، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غناه ، وثناء من حمده ، وثناء من

---

(١) القواعد المثلى ، طبع ضمن فتاوى العقيدة ٣/٢٩٨.

(٢) هي : الحبة التي قد خرجت عن حدّ نبتة أخواتها ، وظهرت من بينها وارتفعت ، وقيل : الحبة الطافية على وجه الماء . فقد شبه ﷺ عينه بها.

يُنظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/١٣٠ (طفا).

(٣) أخرجه البخاري كتاب: الإيمان، باب: قول الله تعالى : ﴿ **وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ** ﴾ [ ٧٤٠٧ ]، انظر : البخاري مع الفتح ١٣/٣٨٩.

(٤) شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الله الغنيمان ١/٢٤٣.

اجتماعهما ))[1].

**دلالة المقابلة:**

وكذلك دلالة الأسماء المتقابلة التي تطلق على الله تعالى بمثابة الاسم الواحد ، ولا يطلق كل واحد بمفرده كالنافع والضار ، والمعِزُّ المذِلُّ.

قال ابن القيم – رحمه الله –: (( ومنها ما لا يطلق بمفرده ، بل مقروناً بمقابله كالنافع الضار ، فهذه الأسماء المزدوجة تُجرَى الأسماء فيها مجرى الاسم الواحد ، ولذلك لم تجيء مفردة، و لم تطلق عليه إلا مقترنة ، فاعلمه ))[2].

ومنها **الدلالات الوضعية** للفظ[3] ، كما هي مشهورة عند الأصوليين والمنطقيين ، فكثيراً ما يذكرها العلماء في دلالة الأسماء الحسنى لله – تعالى – الدالة على معانيها ، كما سيتضح في المثال.

**والدلالة الوضعية تنقسم إلى ثلاث دلالات:**

**١– دلالة المطابقة :**

وهي: دلالة اللفظ على تمام معناه، كاسم الله تعالى ( الله ) ، فهو دال بالمطابقة على ذات رب العالمين ، وعلى صفة الألوهية خاصة. وكذلك اسم الله تعالى ( العليم ) ، (الغفور)، (الرحيم) ، دالٌ على ذات الله وصفة العلم ، والمغفرة ، والرحمة ، بالمطابقة.

**٢– دلالة التضمن:**

وذلك بدلالة اللفظ على بعض أفراده وأبعاضه، كدلالة اسم ( الرحمن ) على ذات الله وحدها ، أو على الرحمة وحدها ، دلالة تضمن.

---

(١) بدائع الفوائد ١٦١/١.

(٢) المصدر نفسه ١٦٧/١.

(٣) عرّف الجرجاني الدلالة الوضعية للفظ بقوله : (( هي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه ، للعلم بوضعه ))، التعريفات للجرجاني ص ١٤٠.

وقد بحث الأصوليون والمنطقيون هذه الدلالة بأنواعها الثلاث، فانظر على سبيل المثال : المحصول للرازي ٢٩٩/١، والإبهاج للسبكي ٢٠٤/١، وإجابة السائل شرح بغية الأمل ص ٢٣١.

**٣- دلالة الالتزام:**

وذلك بدلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماه ؛ كدلالة صفة الرحمة على الحياة تلازماً ؛ إذ لا يعقل رحيم بلا حياة(١).

وإذا تبيَّن ذلك علمنا أن أسلوب الاستفهام، ورد في كتاب الله - تعالى - وتضمن دلالات عظيمة كدلالته على الإيمان بالله تعالى، وباليوم الآخر، وبقية أركان الإيمان ؛ وذلك ليعالج ما كان يحوم في بعض النفوس من شبهات ، وشكوك ، ومطاعن تتعلق بالرسالة المحمدية.

فالله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب، وهم أرباب البيان، وجعله معجزاً تحدى به حُذاق الكلام وفرسانه.

والاستفهام من أخصب أساليب العربية وأوسعها معاني ، وأقدرها على التأثير ؛ إذ إن معانيه الكثيرة تعينه على ذلك ، ويبدو واضحاً في القرآن الكريم الذي تصدَّى لدعاوى المكذبين لمحمد -ﷺ- المستهزئين بدعوته رادًّا ، منكراً ، متحدّياً ، مبطلاً شبهاهم ، مفرداً الحق الذي جاء به من عند الله ، بأسلوب يحمل المخاطب على الاعتراف بالحق المَنَزَّل من عند الله، ويُؤكد بطلان الحجج التي تمسك بها أهل الشرك والباطل، وذلك كما سيتضح في مسائل الإيمان التي نحن بصدد دراستها .

(( فالاستفهام فن عظيم من فنون القول ... يكشف عن خبيئات المعاني ، ودقائق الأسرار، ويعرضها عرضاً رائعاً يحمل النفس على الانتشاء ، والمشاعر على التوقد، والقلوب على اليقظة، والعقول على الإقناع ... فتصبح النفوس — بما فيها من ملكات الإدراك — لوحة شديدة الإحساس تنعكس عليها تلك المعاني ؛ فتقرؤها الأسماع والقلوب قبل أن تقرأها الأبصار))(٢).

وقد تنوعت الأساليب البيانية في القرآن؛ لتنقاد النفوس طائعة مخبتة لربها، متجردة لعبودية بارئها من أسر الهوى والشيطان.

---

(١) انظر الدلالات الثلاث وأمثلتها في : الحق الواضح المبين ص ١٥٨-١٦٠.

(٢) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٣/١.

## تعريف الاستفهام

### الاستفهام في اللغة:

(( الفاء والهاء والميم: علم الشيء ))[1].

(( الفَهْمُ: معرفتك الشيء بالقلب، فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفهامة: عَلِمَه.

وفهمت الشيء : عَقَلْتُه وعَرَفْتُه ، وتَفَهَّم الكلام : فَهِمَه شيئاً بعد شيء ، ورجل فَهِمٌ : سريع الفهم، وَاستَفْهَمَه: سأله أن يُفْهِمَه ))[2].

### الاستفهام اصطلاحاً:

قال ابن فارس[3]: ((الاستخبار: طلب خبْر ما ليس عند المستخبِر، وهو الاستفهام))[4].

وقال القزويني[5]: (( طلب العلم بشيء بأدوات معروفة ))[6].

فنلحظ أن الاستفهام عُرِّف بتعريفات متعددة إلا أنها تدور حول معنى واحد ، وهو (طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً بأدوات معروفة ) .

ويتضح من خلال تعريف الاستفهام : بـ(( طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً لدى المستفهِم)) أنَّ هذا ينطبق على أمر يجهله المستفهم كقولك : مَنْ رأيت ؟ فأنت تسأل عمَّا لا تعلمه ، وتريد لذلك جواباً .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤٥٧/٤ (فهم).

(٢) لسان العرب ٤٥٩/١٢ (فهم).

(٣) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، اللغوي، المحدث، المالكي، صاحب كتاب ( المجمل ) ، و(معجم مقاييس اللغة ) ، قال الذهبي : (( كان من رؤوس أهل السنة المجردين على مذهب أهل الحديث))، توفي سنة ٣٩٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٠٣/١٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٣٥/١١، والوافي بالوفيات ١٨١/٧.

(٤) الصاحبي لابن فارس ص ١٨٦، حققه: د. عمر فاروق ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ.

(٥) هو: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، الخطيب القاضي، كانت له يد طولى في المعاني والبيان، كان مجموع الفضائل، له مصنفات في المعاني منها: ( الإيضاح )، (شرح التلخيص). توفي سنة ٧٣٩هـ.

انظر: البداية والنهاية ١٨٥/١٩، الدرر الكامنة ٢٤٩/٥.

(٦) شرح التلخيص للقزويني ص ٨٣ .

وقد يكون المستفهم ليس في حاجة إلى فهم شيء من المخاطَب بالاستفهام ، بل هو ينشئ معاني قاصداً إعلام المخاطَب بها ، كالإنكار ، والتقرير ، والتعجب ، ونحوها كما سيأتي بيانها .

يقول ابن القيم – رحمه الله – الاستفهام وهو على قسمين : (( استفهام العالم بالشيء مع علمه به ، ومراده بذلك معانٍ ...

أما القسم الثاني من الاستفهام فهو أن يستفهم عن شيء لم يتقدم له به علم حتى يحصل له به علم )) [1].

ثالثاً: أدوات الاستفهام:

وهي: ( الهمزة، هل، ما، مَنْ، كيف، أين، متى، كم، أنّى، أي، أيان ) .

وقد قسم البلاغيون أدوات الاستفهام بحسب (التصور) و(التصديق) [2] ثلاثة أقسام:

١- ما يُطلب به حصول ( التصديق ) تارة و( التصور ) تارة أخرى . وهي الهمزة ، فإذا قيل: (أيسافر سعيد ؟ ) كان استفهاماً عن النسبة ( التصديق ) . وإذا قيل : ( أسعيد مسافر أم هشام؟) كان استفهاماً عن المفرد (التصور).

٢- ما يختص بطلب حصول ( التصديق ) فقط ، وهو ( هل ) ، كقولك : هل حصل الانطلاق؟.

---

(١) مقدمة تفسير ابن النقيب ص ٣٢٩، ٣٣٣.

(٢) يُوضح الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – معنى التصور والتصديق في الاستفهام :

أ- التصور : تصور الشيء إدراكه ، فمجرد الإدراك تصور ، ومثاله إدراك المفرد كقولك : أعليٌّ مسافر أم خالد ؟ هل أنت شاك في السفر أو في المسافر ؟ في المسافر .

فالحكم معلوم عندك – وهو السفر – فأنت تطلب تعيين المسافر ، وأنت عارف أن السفر حاصل ، فهذا يقال : إنه إستفهام تصور ، يعني لمعرفة من الفاعل ، فيجاب بالتعيين .

ب-التصديق : إدراك النسبة يعني : الحكم ، تستفهم عن الحكم يعني : عن نسبة الشيء إلى الشيء ، كقولك : أسافر عليّ ؟ الشك الآن أو الجهل بالسفر هل حصل أو لا ، أما المسافر فإنه معلوم أنّه لن يسافر إلا عليّ ، ولهذا يكون الجواب بـ (نعم) أو (لا) بخلاف الأول .

انظر : شرح دروس البلاغة للشيخ محمد بن عثيمين ص ٤٣ – ٤٤ .

٣- ما يختص بطلب حصول ( التصور ) فقط ، وهو بقية أدوات الاستفهام التي لا يكـون السؤال بها إلا عن المفرد الذي يُكنى بها عنه ، فيستفهم بـ (مَنْ) عن الشخص، وبـ(ما) عن الشيء ، وبـ (أين) عن المكان ، وبـ (كيف) عن الحال.

وهكذا بقية أدوات الاستفهام [1].

١- الهمزة : هي أم باب الاستفهام[2]. وهي حرف، وهي أكثر أدوات الاستفهام استعمالاً ، وتستعمل في التصور والتصديق كما تقدم[3]، وتدخل الجملة الاسميّة والفعلية .

أ- فالتصديق: يكون الاستفهام فيه عن ثبوت النسبة – الحكم – أو انتفائها ، مثل: أأنت مستريح من عملك؟ ويكون الجواب بـ(نعم، أو لا ) ، وإذا دخلت همزة التصديق على كلام منفي كان الجواب في الإثبات بـ(بلى) نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[4] ، وبـ( نعم ) في النفي : ألم تفهم الدرس ؟ تقول : نعم ، إذا كنت لم تفهم الدرس ، وبلى إذا فهمته .

ولا يذكر بعد الهمزة إذا كانت للتصديق (أم) المتصلة ولا المعادل بعدها، فالاستفهام يكون عن تردد الذهن بين ثبوت النسبة في جملة الاستفهام أو نفيها، وإن جاءت بعدها (أم) قدرت منقطعة، بمعنى (بل) الإضرابية، أي : فيها معنى الإضراب عن الكلام السابق.

ب- التصور : يكون الاستفهام فيه عن إدراك المفرد وتعيينه ، والمستفهَم عنه يقع بعد الهمزة مباشرة، ويذكر له معادل بعد (أم) ، والإجابة تكون بتعيين أحدهما والنص عليه .

ومن ذلك قول تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [5].

(١) انظر: مغني اللبيب لابن هشام ص ٢١، والإيضاح ص ١٣٠.
(٢) انظر: عروس الأفراح للسبكي ص ٤٢٤.
(٣) انظر: عروس الأفراح للسبكي ص ٤٢٤ وما بعدها.
(٤) سورة التين ، آية ٨ .
(٥) سورة الملك ، آية ٢٢ .

وقد يُستغنَى عن ذكر المعادل بعدها إذا كان مفهوماً من السياق ، قال تعـالى: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِءَالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[1]، تقريره: أأنت فعلت هذا أم غيرك، لكن لما كان مفهومـاً حُذف .

والمسؤول عنه هو ما بعد الهمزة أي ما يليها، فيقال: أضربت زيداً؟ إذا كان الشـك في الفعل نفسه، وتقول: أأنت ضربت زيداً؟ إذا كان الشك في الفاعل من هو؟ ، وتقول: أزيـداً ضربت؟ إذا كان الشك في المفعول من هو؟[2].

٢- هل: من الأدوات غير العاملة، وهي حرف كالهمزة ، يُستفهم بها عن التصـديق فقـط؛ ولذا يكون الجواب بـ(نعم) في حالة الإثبات، و(لا) في حالة النفي.

نحو قولك : هل جاء صديقك ؟ والجواب ( نعم ) أو ( لا ) .

٣- مَنْ : تكون للسؤال عن العقلاء ، فتكون الإجابة بذكر أسمائهم أو صفاتهم ، نحو: مَـنْ عندك؟ فقيل: زيد[3].

٤- ما: وأكثر ما يُستفهم بها عن غير العقلاء [4] ، نحو قول الله تعـالى: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [5] .

وقد يُستفهم بها عن العقلاء قليلاً كقولك: هند ما هند؟

٥- أي: تستعمل للعاقل وغير العاقل بحسب ما تضاف إليه، فتفيد المعاني التي أفادتها الأدوات الأخرى، وهو ما يعبر عنه البلاغيون بقولهم: يسأل بـ(أي) عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما ، كقولك : أي الرجلين عندك ؟ فالرجلان مثلاً مشتركان في الرجولية، وهو أمر يعمهما، والذي يميز أحدهما هو الوصف الذي يذكره المجيب[6].

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٦٢

(٢) انظر: الإيضاح للقزويني ص ١٣٠، والمطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للتفتازني ص ٤١٠.

(٣) انظر: الإيضاح ص ١٣٢، والمطول للتفتازني ص ٤١٦.

(٤) انظر: الإيضاح ص ١٣١، وعروس الأفراح ١/ ٤٤٤.

(٥) سورة الأنبياء ، آية ٥٢ .

(٦) انظر: عروس الأفراح ١/ ٤٤٦.

٦- كم: للسؤال عن العدد ، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ... ﴾ [١]، أي : كم يوماً، أو كم سنةً، أو كم ساعةً ؟[٢].

٧- كيف: للسؤال عن الحال[٣]، كقولك: كيف زيد؟ فيقال: صحيح.

٨- أين: للسؤال عن المكان، نحو قولك: أين زيد؟ جوابه: في السوق أو في البيت[٤].

٩- متى : للسؤال عن الزمان [٥]. كقول الله تعالى: ﴿ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾[٦] ، وكقولك : متى الحضور للمدرسة ؟ فيقال : الساعة السابعة صباحاً.

١٠- أيَّان: وهي ظرف زمان بمعنى (متى)، و(أيان) يستفهم بها عن الزمان المستقبل، أما (متى) فيستفهم بها عن الماضي والمستقبل ، كما أنها لا تستعمل إلا فيما يُراد تفخيمه وتعظيمه، كقول الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[٧] .

١١- أنَّى:تستعمل تارة بمعنى ( كيف )، كقوله سبحانه:﴿ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [٨] ، وتارة بمعنى ( من أين ) ، كقول الله تعالى : ﴿ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾[٩]. وتأتي للسؤال عن الزمان ، بمعنى ( متى ) أنَّى يحضر الغائب ؟

**رابعاً: الأغراض البلاغية التي تخرج إليها أدوات الاستفهام:**

علمنا أن القسم الأول من الاستفهام هو: استفهام العلم بالشيء مع علمه به ، ومراده

(١) سورة الكهف ، آية ١٩ .

(٢) انظر : عروس الأفراح ٤٤٨/١.

(٣) انظر : الإيضاح ص ١٣٣.

(٤) انظر : الإيضاح ص ١٣٣.

(٥) انظر : الإيضاح ص ١٣٣.

(٦) سورة البقرة ، آية ٢١٤ .

(٧) سورة القيامة، آية ٨ ، وانظر: عروس الأفراح ٤٤٩/١.

(٨) سورة البقرة ، آية ٢٥٩ .

(٩) انظر: الإيضاح ص ١٣٣، المطول ص ٤١٧. والآية في سورة آل عمران ، آية ٣٧ .

بذلك معانٍ .

يقول ابن جني [(١)] : (( إن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه في الظاهر عنه ، لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء ، منها : أن يرى المسؤول أنه قد خفي عليه ليسمع جوابه ، ومنها : أن يتعرّف حال السائل هل هو عارف بما السائل عارف به ، ومنها أن يري الحاضر غيرهما أنه بصورة السائل المسترشد ، لِماله في ذلك من الغرض ، ... ولغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل عمَّا يعرفه لأجلها وبسببها )) [(٢)].

والغرض من الاستفهام لن يبدو واضحاً إلا إذا وقفنا على سياق الكلام ، وقرائن الأحوال ، وحال القائل ، وحال المخاطب ، والظروف المحيطة بهما ، عندئذٍ نستطيع أن نلمس المغزى البلاغي ، والهدف البعيد الذي يتوارى خلف أسلوب الاستفهام .

ولا جدال في أن الاستفهام مِنْ أوفر أساليب الكلام معاني ، وأوسعها تصرفاً ، وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً ، ولذا نرى أساليبه تتوالى في مواطن التأثر والاستمالة للإقناع ، وتحريك الشعور والأحاسيس .

والقرآن والمكي منه خاصة يحوي من أساليب الاستفهام أروع الصور ، وأكثرها للوجدان إثارة ، وأشدها على النفس وقعاً ، فترى تلك الأساليب تتوالى في مواضع كثيرة منه مؤديةً شتى المعاني البلاغية ، محققةً هذا التلوين الكلامي الذي يهزّ المشاعر[(٣)] .

أما أساليب الاستفهام في القرآن الكريم ، فيتطلب النظر إلى : سبب نزول الآية ، ومعنى الآية وتفسيرها، وسياق الآيات التي تسبقها والتي تليها ، عندئذٍ سيبدو الغرض البلاغي واضحاً جلياً .

وقد اختلف علماء البلاغة والمفسرون في ذكر المعاني البلاغية التي تخرج إليها أساليب الاستفهام ، فها هو السيوطي يذكر واثنين وثلاثين غرضاً بلاغياً لأساليب الاستفهام [(٤)]

---

(١) هو عثمان بن جني ، أبو الفتح ، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ، ألف وصنَّف ، من مصنفاته : ( الخصائص ) ، و ( اللمع ) ، و( سر الصناعة ) وغيرها ، توفي سنة ٣٩٢هـ .
انظر : بغية الوعاة ٢/١٣٢ .

(٢) الخصائص ٢/٤٦٤ – ٤٦٥ .

(٣) انظر : أساليب الاستفهام في القرآن لعبدالعليم السيد فودة ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

(٤) انظر : الإتقان في علوم القرآن ص ٦٣٦ – ٦٣٩ .

بخلاف المتقدمين من علماء البلاغة . ولعلّ ذلك يرجع إلى أنهم لم يجدوا لها منهجاً واضحاً قائماً على أساس من الإحصاء الدقيق والنظر الشامل [1] .

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن المعاني البلاغية قد يجتمع بعضها في الأسلوب الاستفهامي، وتتفاوت في الظهور والخفاء ، إلا أنها تتضافر جميعاً لتحقيق الأغراض المنوطة بها . كما أشار إلى ذلك الخطيب القزويني عند قول الله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [2] . فأفاد التوبيخ والتعجيب جميعاً[3] .

وإذا تأملنا أساليب الاستفهام في مسائل الإيمان في القرآن الكريم ، فيمكننا حصر معانيها البلاغية ، ونجد أن معظمها يفيد التقرير والإثبات ؛ إمّا : لعبودية الله تعالى وحده ، أو بعث الأجساد ومعادها، أو إثبات صفات الكمال والجلال لله تعالى، وغيرها من مسائل الإيمان .

أو يفيد الإنكار لكثير من المزاعم الباطلة التي يُثيرها المشركون وأعداء الرسل ، كدعوى أن الملائكة بنات الله ، أو استحالة وقوع المعاد والبعث ، ونحوها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « ... إن أكثر استفهامات القرآن أو كثيراً منها إنّما هي استفهام إنكار معناه : الذم والنهي إن كان إنكاراً شرعياً ، أو معناه النفي والسلب إن كان إنكار وجود ووقوع ، كما في قوله : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾[4] .. » [5] .

فإذاً أساليب الاستفهام في مسائل الإيمان في معظمها إمّا تقرير أو إنكار ، وهناك معانٍ أخرى تفيدها الأساليب الاستفهامية في مسائل الإيمان كما سيأتي بيانها على النحو التالي :

---

(١) انظر : أساليب الاستفهام في القرآن لعبدالعليم السيد فوده ص ٢٥٦ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٨ .

(٣) انظر : الإيضاح ص ١٣٧ ، وعروس الأفراح للسبكي ١/٤٥٧ .

(٤) سورة يس ، آية ٧٨ .

(٥) الفتاوى ١٤/٦٣ .

**١- الإنكار:**

جاء في القاموس: (( نكر فلان الأمر نكراً، ونُكراً ونكوراً ونكيراً، وأنكره واستنكره وتناكره: تجاهله. والاستنكار استفهامك أمراً تنكره ))[١].

(( ونكر الشيء وأنكره لم يقبله قلبه ، ولم يتعرف به لسانه ، والإنكار خلاف الاعتراف))[٢].

(( والإنكار أكثر الأغراض البلاغية للاستفهام في القرآن، وأوسعها تصرفاً))[٣].

ويكون الاستفهام إنكارياً في صورتين :

١- إنكار إبطالي : وضابطه أن ما بعد أداة الاستفهام غير واقع ، ولا وجود له.

وشاهده : قول الله تعالى : ﴿ **أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ [٤].

أي: أن الله تعالى لم يصطفِ البنات على البنين ؛ وهذا رد على دعوى المشركين: أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك، فهنا إنكار مع نفي وقوع الفعل.

٢- الإنكار التوبيخي:

وضابطه أن يكون ما يلي أداة الاستفهام واقعاً ، لكنه مستقبح.

وشاهده: قول الله تعالى: ﴿ **أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ** ﴾ [٥].

والإنكار التوبيخي واقع على القتل الذي قد وقع [٦] ، ولكن المقصود استبشاع هذا الفعل؛ فيما يبدو لموسى -عليه السلام- .

**٢- التقرير:**

(( قرّ بالمكان يَقر بفتح القاف وكسرها قراراً : ثبت وسكن ... وأقره فيه وعليه ... والإقرار الإذعان للحق ))[٧].

---

(١) القاموس المحيط ٦٢٧/١ (نكر). وانظر: تهذيب اللغة ١٠٩/١٠ (نكر).

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤٧٦/٥ (نكر)، وانظر: أساس البلاغة ص ٦٥٤.

(٣) انظر: أساليب الاستفهام في القرآن لعبدالعليم السيد فودة ص ٢٠٧.

(٤) سورة الصافات ، آية ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٥) سورة الكهف ، آية ٧٤ .

(٦) انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٨١-٨٢، أساليب الاستفهام في القرآن ص ٤٩٤-٤٩٥.

(٧) القاموس المحيط ص ٥٩٢ – ٥٩٣ (قرّ) .

قال ابن هشام[(١)] – رحمه الله – : (( التقرير ومعناه: حملك المخاطب علـى الإقـرار ، والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه...))[(٢)].

والتقرير بمعنى: (( التحقيق والتثبيت ))[(٣)].

فيظهر من خلال التعريف أن التقرير له معنيان : أولاً التحقيق والتثبيت بمعنى ( قَـدْ ) . فيراد إثبات مضمون الجملة وإفادة أنه واقع [(٤)].

ومثاله : قـول الله تعالى : ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَـٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾[(٥)].

فهنا ( هل ) بمعنى ( قد ) أي : قد أتى على الإنسان حين من الـدهر لم يكـن شـيئاً مذكوراً .

ثانياً: التقرير بمعنى طلب الاعتراف من المخاطب ، وانتزاع الاعتراف بأمر قد استقر عنده[(٦)].

ومثاله: قول الله تعالى: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ [(٧)] .

فهم يريدون أن يقرَّ لهم بأن كسر الأصنام وقع منه، هو عليه السلام ، أي أنه هو الذي فعلها ، وإلا لا شبهة لديهم بأن فعل كسر الأصنام قد كان ؛ لأن الكسر مشـاهد ، وقـد أشاروا إليه بـ ( هذا ) [(٨)].

---

(١) هو: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري الحنبلي ، النحوي العلامـة ، أتقن العربية ففاق أقرانه ، من مصنفاته : ( مغني اللبيب ) ، و( شرح التسهيل ) ، و( التوضيح على الألفية ) ، توفي سنة ٧٦١هـ.

انظر: شذرات الذهب ١٩١/٦، والبدر الطالع ٤٠٠/١.

(٢) مغني اللبيب ص ٢٧.

(٣) المطول ص ٤١٩.

(٤) انظر: أساليب الاستفهام في القرآن ص ٢٢٢.

(٥) سورة الإنسان ، آية ١ .

(٦) انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٦٣٧ .

(٧) سورة الأنبياء ، آية ٦٢ .

(٨) انظر: دلائل الإعجاز ص ٨١.

ويمكن أن يردف إلى التقرير معانٍ بلاغية أخرى مثل: التعظيم، والتعجب ، وغيرهما ؛ وذلك لأن أسلوب الاستفهام أسلوب ثريٌّ ، يأبى – في أحيان كثيرة – معناه أن ينحصر في دلالة واحدة ، فلا يجد مناصاً من استخدام مجموعة من المعاني ، في محاولة للإمساك بعطاءاته الدلالية المتنوعة [1] .

**٣- التعجب:**

عرّفه أبو حيان[2] –رحمه الله– بقوله : « والتعجب : تعظيم أمر في قلوب السامعين ، ولا يكون إلا في شيء خارج عن نظرائه وأشكاله »[3].

ومثاله: قول الله تعالى: ﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾ [4].

**٤- الأمر:**

الأمر ضد النهي ، كقولك: افعل كذا [5]، يقال: « إنه لأمور بالمعروف، نهو عن المنكر... أي أمرته بما ينبغي له من الخير... »[6].

ومثاله: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ ﴾ [7] .

أي: انتهوا عمّا أنتم فيه.

**٥- النفي:**

وذلك للدلالة على النفي.

---

(١) انظر : تحويلات الطلب ومحددات الدلالة ، د. حسام أحمد قاسم ص ١٢٠ – ١٢١ بتصرف .

(٢) هو: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي، المفسر، النحوي ، أكبّ على طلب الحديث وأتقنه ، وشرع في التفسير والعربية ، والقراءات، والأدب، من تصانيفه : (البحر المحيط)، و(إتحاف الأريب)، توفي سنة ٧٤٥هـ.

انظر : شذرات الذهب ١٤٥/٦ ، والبدر الطالع ٢٨٨/٢ .

(٣) البحر المحيط ٢٥٨/٨.

(٤) سورة النّمل ، آية ٢٠ .

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة ١٣٧/١ (أمر)، وتهذيب اللغة ٢٠٧/١ (أمر).

(٦) انظر: أساس البلاغة ص ٢٠-٢١.

(٧) سورة المائدة ، آية ٩١ .

ومثاله قول الله تعالى: ﴿ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ ﴾ [1] .

أي: لا هادي لمن أضل الله[2].

**٦- التهكم:**

والتهكم يعني الاستهزاء والاستخفاف[3]، كقول الله تعالى: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ [4] .

**٧- التفخيم والتهويل:**

والتفخيم: التعظيم، يُقال: رجل فخم أي: عظيم القدر، وفخّمه وتفخمه: أجله وعظمّه[5].

ومثاله قول الله تعالى: ﴿ ٱلۡقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴾ [6]، فالاستفهام خرج إلى تهويل يوم القيامة .

**٨- التسوية:**

للدلالة على أن الأمرين سواء، ومثاله قول الله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[7] .

**٩- التكثير:**

للدلالة على الكثرة، و لم يفد التكثير من أدوات الاستفهام سوى ( كم ) .

ومثاله قول الله تعالى : ﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ [8] ، والمراد طلب العلم العلم بعدد معين ، كم يوماً ؟ أو كم شهراً ؟ أوكم سنةً ؟ .

---

(١) سورة الروم ، آية ٢٩ .

(٢) الصاحبي لابن فارس ص ١٨٨.

(٣) انظر: لسان العرب ٦١٧/١٢ (هكم).

(٤) سورة هود ، آية ٨٧ .

(٥) لسان العرب ٤٤٩/١٢ (فخم).

(٦) سورة القارعة، الآيتان ١، ٢ .

(٧) سورة البقرة ، آية ٦ .

(٨) سورة المؤمنون ، آية١٢ .

**١٠- التنبيه :**

والتنبيه هو: الدلالة على ما غفل عنه المخاطب[١] .

ومثاله: قول الله تعالى : ﴿ **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ** ﴾[٢] .

فإنه ليس سؤالاً عن موضع الذهاب، بل تنبيه لهم على ضلالهم في الخوض في أمر الرسول ﷺ والقرآن[٣].

**١١- التمني:**

التمني هو : (( طلب وقوع ما ليس بواقع على سبيل المحبة )) [٤] .

ومثاله: قول الله تعالى: ﴿ **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ** ﴾ [٥] .

**١٢- التحقير:**

(( حقر الشيء يحقره حقراً، أي : استصغره ورآه حقيراً، والحقير: الصغير الذليل))[٦].
يكون عند إرادة تصغير المتحدَّث عنه وإهانته.

ومثاله: قول الله تعالى: ﴿ **أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ** ﴾[٧] .

وذلك حكاية عن قول الكفار في شأن الرسول ﷺ.

**١٣- الاستبعاد:**

للدلالة على استبعاد حصول ما دخلت عليه أداة الاستفهام .

وذلك نحو قول الله تعالى: ﴿ **أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ** ﴾ [٨] .

فالكفار في الآية التي قبل هذه طلبوا كشف العذاب عنهم بدعوى الإيمان ، فاستبعد

---

(١) انظر : التعريفات ص ٩٣. وانظر: التعاريف ص ٢٠٩.

(٢) سورة التكوير ، آية ٢٦ .

(٣) إيضاح الإيضاح ص ٧٧٤.

(٤) إيضاح الإيضاح ص ٧٥٢ ، وانظر : معترك الأقران ٣٣٧/١ .

(٥) سورة الأعراف ، آية ٥٣ .

(٦) لسان العرب ٢٠٧/٤ (حقر)، وانظر: أساس البلاغة ص ١٣٥.

(٧) سورة الأنبياء ، آية ٣٦.

(٨) سورة الدخان ، آية ١٣ .

ذلك الذي ادعوه لأنفسهم ، وهم الذين لم يتبعوا الرسول الذي جاءهم بالحق .

**١٤- التشويق:**

من أساليب الاستفهام ما جاء تمهيداً لما يأتي بعده، وتوجيهاً للنفس إليه، وبعثاً لشوقها نحوه[١].

ومثاله قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾[٢] .

فهو ترغيب في هذا النوع من التجارة وتشويق إليه[٣].

١٥- وهناك أسلوب استفهامي يرد كثيراً في كتاب الله تعالى، وهو دخول همزة الاستفهام على فعل رؤية ماضٍ مثبت ، ويأتي على صور ، مثل ( أرأيتكم ) ، ( أرأيتك ) ، (أرأيتم ) ، ( أرأيت ) ، ومعناه : أخبرني ، ومن المعاني البلاغية لهذا الأسلوب أنه لا يستعمل إلا في الاستخبار عن الحالات العجيبة[٤] .

يقول الدكتور عبدالعظيم المطعني : « وإنما المراد هو استحضار الأمر المستفهم عنه وتصوره في الذهن ليُحكم عليه ، وهو حاضر ماثل في النفوس »[٥] .

وشاهده قول الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[٦] .

---

(١) أساليب الاستفهام في القرآن، ص ٣٣٥.

(٢) سورة الصف ، الآية ١٠ .

(٣) ينظر: المعاني البلاغية:

الصاحبي لابن فارس ص ١٨٦، والإيضاح للقزويني ص ١٣٣، وإيضاح الإيضاح للأقسراني ص ٧٧٤، وعروس الأفراح للسبكي ص ٤٥١، والمطول للتفتازني ص ٤١٩، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٢٨/٢، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٦٣٦ ، ٦٣٩ ، ومعترك الأقران للسيوطي ٣٢٨/١ - ٣٣٣، والأطول لإبراهيم الحنفي ٥٣/١.

(٤) انظر : كتاب سيبويه ٢٣٩/١ ، وهمع الهوامع ٥٥٨/١ ، وتاج العروس ١٠٩/٣٨ .

(٥) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٣٠٨/١ .

(٦) سورة الأنعام ، آية ٤٠ .

وذلك طلب من المخاطب أن يستحضر في ذهنه نزول عذاب الله به أو لإتيان الساعة ، فمن سيدعو في هذه الحال الشديدة ؟ حتماً سيقولون : لا ندعو غير الله ، بل ندعو الله وحده[1].

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ١/٣٠٨ .

# الباب الأول

# الإيمان بالله

وفيه ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : توحيد الربوبية .
- الفصل الثاني : توحيد الأسماء والصفات .
- الفصل الثالث : توحيد الألوهية .

إن أول واجب على المكلف الإيمان بالله تعالى، المتضمن توحيد الله – تعالى – بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

فالإيمان بالله أصل الدين، وبه يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وعليه صلاح الدنيا والآخرة، وبه يفرق بين السعداء والأشقياء.

ولذا كان أولَ دعوة الرسل الإيمانُ بالله – تعالى – وإفرادُه بالعبادة، فالقرآن من أوله إلى خاتمته دعوة إلى وحدانية الله، وإفراده بالعبادة. قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ... ﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [(٢)].

وقال الرسول – ﷺ – في حديث وفد عبد القيس: « آمركم بالإيمان بالله، وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة .. »[(٣)].

فالإيمان بالله إذاً يتضمن إفراد الله تعالى بالعبادة، والخلق والتدبير، وإثبات ما له من أسمائه الحسنى ونعوت الجلال والكمال.

فتضمن ذلك أنواع التوحيد الثلاثة : الربوبية ، والأسماء والصفات ، والألوهية ، ومن أهل السنة من يقسم التوحيد قسمين:

الأول: توحيد المعرفة والإثبات ؛ لتضمنه إثبات ما يليق بجلاله وعظمته من صفات الكمال ، ونفي ما لا يليق بجلاله من النقص والعيب .

ويطلق عليه : التوحيد العلمي الخبري ؛ لتعلقه بالأخبار والمعرفة .

وكذلك التوحيد القولي ؛ لتعلقه بقول القلب واللسان .

---

(١) سورة البقرة ، آية 136 .

(٢) سورة البقرة ، آية 177 .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [7556]. انظر: البخاري مع الفتح 527/13.

وهذا القسم متضمن لتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الربوبية .

الثاني: توحيد الطلب والقصد :

وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، ويُطلق عليه : التوحيد العملي ؛ لأنه يتعلق بأعمال القلوب كالخوف والرجاء والتوكل ونحوه ا ، والأعمال الظاهرة كالصلاة ، والذبح ، والجهاد ، وغيرها .

وهذا القسم متضمن لتوحيد الألوهية .

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: « والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول التوحيد في العلم والقول ، وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرَّق ، فيكون شيئين ، وهو واحد متصف بصفات تختص به ليس له فيها شبيه ولا كفؤ .

والتوحيد في الإرادة والعمل وهو عبادته وحده لا شريك ل ه وقد أنزل الله سورتي الإخلاص ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1] و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [2]الواحدة في توحيد العمل، ولهذا كان القول فيها : ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[3] ، وهي جملة إنشائية فعلية ، والأخرى في توحيد العلم ، وهي ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[4] ... »[5].

وقال ابن أبي العز – رحمه الله – : « التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع : أحدها: الكلام في الصفات، والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء، والثالث : توحيد الإلهية، وهو استحقاقه – سبحانه وتعالى – أن يعبد وحده لا شريك له »[6].

فالإيمان بالله – تعالى – شامل لأنواع التوحيد الثلاثة ؛ فهي متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض ؛ فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

---

(١) سورة الكافرون ، آية 1 .

(٢) سورة الإخلاص ، آية 1 .

(٣) سورة الكافرون ، آية 2 .

(٤) سورة الإخلاص ، آية 1 .

(٥) بيان تلبيس الجهمية 379/1 ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ص 465 ، والصفدية 228/2 ، ومدارج السالكين 24/1-25 ، وتيسير العزيز الحميد 16 .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية 24/1.

وتوحيد الربوبية، والأسماء والصفات مستلزم لتوحيد الإلهية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( ويحقق قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية وإن كانت الإلهية تتضمن الربوبية، والربوبية تستلزم الإلهية ))[١].

ففي هذا الباب سيأتي تفصيل كل نوع من أنواع التوحيد على حدة .

(١) الفتاوى 10/283–284، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية 1/32.

# الفصل الأول :

## توحيد الربوبية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تقرير توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: إقامة البراهين والأدلة على توحيد الربوبية.

المبحث الثالث: إقرار المشركين بتوحيد الربوبية.

المبحث الرابع: الرد على منكري توحيد الربوبية

# الفصل الأول
# توحيد الربوبية

في مطلع هذا الفصل، نُعرِّف بتوحيد الربوبية من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي.

**معناه في اللغة:**

((الراء والباء يدلُّ على أصول . فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه. فالرب : المالك، والخالق، والصاحب. والرّبُّ: المصلح للشيء . والله جل ثناؤه الرّبّ؛ لأنه مصلح أحوال خلقه))(١).

**معناه في الشرع :**

هو الاعتقاد بأن الله سبحانه وحده هو الرب ، أي : المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، وأنه المحيي المميت، النافع الضار ، أي توحيد الله بأفعاله.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: (( توحيد الربوبية وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه ))(٢).

وقال ابن القيم – رحمه الله – في توضيح معناه : (( فيشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده ، فلا خالق ولا رازق ، ولا معطي ولا مانع ، ولا مميت ولا محيي ، ولا مدبر لأمر المملكة – ظاهراً وباطناً – غيره . فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ، ولا يجري حادث إلا بمشيئته ، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه . ولا يَعزُب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه ، وأحاطت بها قدرته ، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته ))(٣).

---

(١) معجم مقاييس اللغة 381/2 (رب).

(٢) منهاج السنة 289/3، وانظر : الفتاوى 50/11، ودرء التعارض 225/1، وبدائع الفوائد 133/4، وشرح العقيدة الطحاوية 25/1، ولوامع الأنوار 128/1.

(٣) مدارج السالكين 532/3.

## المبحث الأول
## تقرير توحيد الربوبية

إن فطر بني آدم جُبلت على الإقرار بخالقها، وبارئها ، فلا ينكر ذلك إلا شواذ البشرية، ولذا جاءت دعوة الرسل إلى عبادة الله وحده، وإفراده بالدعاء، والخوف، والذبح...إلخ

فقد أقروا بمدبر العالم وخالقه ومالكه ، ولم يخالفوا في ذلك، وإنما أَبَوا أن يفردوه بالعبادة، فلم ينفعهم ذلك في الدخول في الإسلام ، والنجاة من النار. كما سيأتي بيانه.

وقد قرّر الله تعالى في القرآن الكريم ربوبيته ، وأنه الخالق ، الرازق ، المدبر ، المحيي ، المميت ، وقد يأتي الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ، أو بعث الأجساد ونشورها ، فمن خلق ودبر ، وأنشأ النشأة الأولى، لا يستحيل عليه الإعادة.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ... ﴾ (٢) .

ففي هذه الآية حجج دامغة، وبراهين قاطعة، تخاطب العقول والقلوب ، أن من خلق السموات وأحسن خلقها، ومن خلق الماء والشجر والدواب، ومن لــه الملك والتصرف والتدبير وجميع الخلق مفتقرون إليه مع غناه عنهم، فهو المتفرد بالعبودية التامة المتجردة لــه وحده لا شريك له.

(١) سورة الإسراء ،آيتا 51 ، 52 .

(٢) سورة إبراهيم ،آية 10 .

## المطلب الأول : الـــــرب

تقدم بيان معنى الرب في اللغة أنه : المالك، والخالق، والسيد، والمدبر، والمصلح، والقيم، والمنعم[١].

### معنى الرب في الشرع:

ورد لفظ الرب كثيراً في كتاب الله، وسنة رسوله - ﷺ - ولا يخرج عن معناه اللغوي، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: « والرب: هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها »[٢].

وقال أيضاً: « فإن الرب – سبحانه – هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعِزُّ، المذِلُّ »[٣].

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله-: « فربنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شبه لــه ، ولا مثل في مثل سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي لــه الخلق والأمر »[٤].

والرب والإله تارة يذكران معاً فيفترقان في المعنى ، ويكون أحدهما قسيماً للآخر كما قال : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾[٥] .

فيكون الرب : المالك المتصرف في الخلق ، ويكون معنى الإله : المعبود المستحق للعبادة وحده ، وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر ، فيجتمعان ، كما في قول الملكين للميت في القبر : مَنْ ربك ؟[٦] ، ومعناه : مَنْ إلهك وخالقك ؟[٧] .

وتعريف المتكلمين للرب كتعريف أهل السنة.

قال الرازي[١]: « والرب هو المتصرف بالشيء »[٢].

---

(١) تقدم ذكرها ص 31 .
(٢) الفتاوى 22/1.
(٣) الفتاوى 92/1.
(٤) تفسير الطبري 142/1.
(٥) سورة الناس ، الآيات 1 – 3 .
(٦) سيأتي الحديث مخرجاً ص 423 من البحث نفسه .
(٧) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقيدة 17/1، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص22.

فالرب إذاً صفة ذاتية من صفات الله تعالى، وهي بمعنى : المالك، المدبر، المعطي، المانع، السيد، المربي، المصلح.

ومن مواطن ورودها في أسلوب الاستفهام في القرآن :

قال الله تعالى: ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٣) .

ورد في الآية أسلوب الاستفهام ، وذلك بدخول ( ما ) الاستفهامية على الفعل (ظنّ )، والمراد منه: الإنكار التوبيخي(٤)، أي: أي شيء تظنونه برب العالمين حتى تتخذوا آلهة من دونه؟ .

وقيل: إن المراد منه : تقريرهم بجهلهم بمعرفة الله – عز وجل –(٥)، ويمكن الجمع بين المعنيين أن الله تعالى قررهم بجهلهم به تعالى على سبيل الإنكار والتوبيخ والتحذير لهم بسبب سوء ظنهم بربهم ، إذ ما كان ينبغي لهم ذلك وهو تعالى رب العالمين .

**دلالة الآية:**

دلت الآية الكريمة على كمال ربوبية الله تعالى لعموم خلقه، فالآية جاءت في سياق قصة إبراهيم –عليه السلام– مع قومه كما قال الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ** ﴾ (٦).

---

=

(١) هو : محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي البكري ، المعروف بالفخر الرازي ، من أئمة الأشاعرة المتأخرين ، ألف وصنف ، من مصنفاته : ( التفسير الكبير ) ، و ( الأربعين ) ، يُذكر رجوعه عن علم الكلام إلى طريق السلف، توفي سنة 606هـ .

انظر : شذرات الذهب 21/5.

(٢) المطالب العالية 187/9، وانظر : الأسماء والصفات للبيهقي، ص 91.

(٣) سورة الصافات ، آية 87 .

(٤) انظر: البحر المحيط 350/7.

(٥) انظر : التحرير والتنوير 139/23 .

(٦) سورة الصافات ، الآيات 85 – 87 .

فإبراهيم – عليه السلام – حاجَّ قومه في صرف العبودية لغير الله من الأصنام ، وبيّن أنَّ الشرك والتعطيل سوء ظن برب العالمين، فقال لهم منكراً عليهم موبخاً لهم : ما ظننتم بربوبيته من النقص حتى عبدتم معه غيره.

قال ابن كثير — رحمه الله –: (( ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رباً للعالمين حتى تركتم عبادته، وأشركتم به غيره، أَوْ أَمِنْتُمْ من عذابه ؟ والمعنى إنكار ما يوجب ظناً فضلاً عن قطع يصدّ عن عبادته ، أو يُجوّز الإشراكَ به ، أو يقتضي الأمن من عقابه... ))[1].

ويوضح ذلك ابن القيم – رحمه الله – بقوله : ما ظننتم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره؟ فإن المشرك إما أن يظن أن الله سبحانه يحتاج إلى من يدبر أمر العالم من وزير أو ظهير أو عون ، وهذا أعظم التنقيص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته ، وكل ما سواه فقير إليه بذاته . وإما أن يظن أن الله — سبحانه — إنما تتم قدرته بقدرة الشريك ... وكل هذا تنقص الربوبية ، وهَضْمٌ لحقها ... فالشرك ملزوم لتنقُّصِ الرب سبحانه ، والتنقُّصُ لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبى ، وبهذا اقتضى حمده — سبحانه — وكمال ربوبيته أن لا يغفره[2].

(١) تفسير ابن كثير 17/5، وانظر: تفسير الطبري 70/23 ، وتفسير القرطبي 92/15 ، والبحر المحيط لأبي حيان 350/7.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان 62/1.

## المطلب الثاني : الخلق

### معنى الخلق في اللغة:

قال ابن فارس – رحمه الله تعالى –: (( الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما : تقدير الشيء، والآخر: ملاسة الشيء ))(١).

والخلق في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر : التقدير، وخلق الله الشيء يَخلقُه خلقاً أحدثه بعد أن لم يكن، والخَلْقُ يكون المصدر ويكون المَخْلُوق(٢).

### معنى الخلق شرعاً:

الخلق في الشرع صفة فعلية قائمة بذات الرب – تعالى –، متعلقة بقدرته ومشيئته.

ومعناه : الإبداع والإنشاء للمخلوقات من العدم ، وفق تقدير الله تعالى ، وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة بذلك.

نحو قول الله تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ (٤) .

وفي السنة روى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – : أن رسول الله ﷺ قال : «لما قضى الله الخلق، كتب – عنده فوق عرشه – إن رحمتي سبقت غضبي»(٥).

فالخلق هو فعل الرب تعالى ، وما كان بأمره تعالى وفعله فهو مخلوق . ويوضح ذلك ما قاله البخاري – رحمه الله – : (( باب : ما جاء في تخْليق السموات والأرض ، وغيرهما من

---

(١) معجم مقاييس اللغة 213/2 (خلق).

(٢) لسان العرب 84/10 (خلق)، وانظر: مختار الصحاح ص 164 (خلق).

(٣) سورة فاطر ، آية 3 .

(٤) سورة لقمان ، آية 28 .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب : التوحيد ، باب : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ . انظر : البخاري مع الفتح 440/13 [7453]، و مسلم في صحيحه – كتاب : التوبة ، باب : سعة رحمة الله (2751) 2108/4.

الخلائق ، وهو فعل الرب - تبارك وتعالى — وأمره ، فالرب بصفاته وفعله وأمره ، وهو الخالق المكوّن غير مخلوق ، وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه ، فهو مفعولٌ مخلوقٌ مُكَوَّنٌ))[١].

(( فالخلق والتخليق فعل الله الواقع على المخلوق ، فالمخلوقات وجدت بفعل الله ، والمخلوق ليس هو فعل الله، وإنما مفعوله، أي: مخلوقه الذي صدر عن تخليقه ))[٢].

قال الإمام ابن منده [٣] — رحمه الله — في تعريفه الخالق : (( والخالق هو المقدر الفاعل الصانع، وهو الباري المصور فهذه صفة قدرته، والخلق منه على ضروب : منه خَلْق بيده ويخلق إذا شاء، ومنه ما خلق بمشيئته وكلامه، ويخلق إذا شاء، ولم يزل موصوفاً بالخالق الباري المصور قبل الخلق بمعنى أنه يخلق ويصور ))[٤].

**معنى الخلق عند المتكلمين:**

قال الباقلاني[٥]: (( حقيقة الخلق والإحداث هو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود))[٦].

وقال الرازي : (( الخلق عبارة عن الإيجاد والإبداع والتقدير، والإ خراج من العدم إلى الوجود))[٧].

وقال القاضي عبد الجبار[١]: (( الخلق هو إحداث الشيء مقدراً ))[٢].

---

(١) البخاري مع الفتح 438/13.

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان 175/2.

(٣) هو: محمد بن إسحاق بن محمد العبدي الأصبهاني، أبو عبد الله بن منده، الحافظ كتب ما لا ينحصر، وسمع من ألف وسبعمائة شيخ، من مصنفاته: ( الإيمان ) ، و( الرد على الجهمية ) ، توفي سنة 395هـــ .
انظر: البداية والنهاية 336/11، وشذرات الذهب 146/3.

(٤) انظر: التوحيد لابن منده 76/2.

(٥) هو:محمد بن الطيب بن محمد ، أبو بكر الباقلاني، المتكلم الأصولي الشافعي، الأشعري، من مصنفاته : (التمهيد ) ، و( الإنصاف ) ، توفي سنة 450 هـ.
انظر:معجم المؤلفين 373/3.

(٦) الإنصاف ص 206.

(٧) لوامع البينات ص 200.

ومن الملاحظ أن هذه التعريفات موافقة للغة، ولمعنى الخلق عند أهل السنة، لكن حقيقة قول المتكلمين خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة ، فيرى كثير من المتكلمين : أن الخلق هو المخلوق، وليس صفة قائمة بذات الرب تعالى.

ويرى بعضهم أنه معنى آخر غير المخلوق كالإرادة مثلاً.

قال البيهقي(٣): (( ونعتقد في صفات فعله أنها بائنة عنه سبحانه ))(٤).

وقال الجويني(٥): (( ولا ترجع من الخلق صفة متحققة إلى الذات، فلا يدل الخالق إلا على إثبات الخلق ))(٦).

أما الماتريدية(٧) فمذهبهم في ( الخلق ) : أنهم يجعلونه من متعلقات التكوين ، وكذلك

---

=

(١) هو: أبو الحسن القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسدبادي المتكلم, شيخ المعتزلة، عاش في بغداد إلى أن عينه الصاحب بن عباد قاضياً بالري سنة 367هـ، من مصنفاته : ( تنـــزيه القرآن عن المطاعن ) ، و( شرح الأصول الخمسة ) ، توفي سنة 415هـ.
انظر: الأنساب للسمعاني 137/1، وطبقات الشافعية 97/5 .

(٢) المغني في العدل والتوحيد 257/3 .

(٣) هو: أحمد بن الحسين بن علي، الحافظ أبو بكر البيهقي، المتكلم الأشعري ، من أئمة المسلمين ، حافظ ، أصولي . من مصنفاته : ( مناقب الإمام أحمد ) ، و( أحكام القرآن للشافعي ) ، و( الدعوات الصغير ) ، توفي سنة 458هـ.
انظر: الأنساب 438/1، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي 8/4.

(٤) الأسماء والصفات ص 132.

(٥) هو : عبدالملك بن عبد الله بن يوسف، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، من متكلمي الأشاعرة، من مصنفاته: ( الرسالة النظامية ) ، و( غياث الخلق)، و( البرهان) ، توفي سنة 478هـ.
انظر: طبقات الشافعية لأبي بكر بن قاضي شهبه 255/1، وطبقات الفقهاء للشيرازي 238/1.

(٦) الإرشاد ص 143.

(٧) الماتريدية: أتباع أبي منصور محمد الماتريدي، وهي فرقة قريبة في أصولها الكلامية من مذهب الأشاعرة، فهم يثبتون ثمان صفات، سبع كالأشاعرة ويضيفون الصفة الثامنة (التكوين) ، ويرون أن الإيمان هو التصديق، وبعضهم يضم الإقرار باللسان، ونفوا زيادة الإيمان ونقصانه.
انظر: الماتريدية، د. أحمد الحربي.

سائر الصفات الفعلية ، فليس الخلق صفة تعود إلى الذات.

قال الملا علي[١] القاري – رحمه الله-: (( فالتخليق، والترزيق، والإبداع، والصنع، وغير ذلك من صفات الفعل، الكل داخل تحت صفة التكوين )) [٢] .

أما المعتزلة [٣]: فقد اختلفوا في معنى الخلق هل هو المخلوق أو غيره؟

فمنهم من يرى أنه المخلوق، ومنهم من يرى أنه الإرادة . واتفقوا على أن الخلق ليس من صفات الله تعالى[٤].

وشبهة هؤلاء في نفي الصفات الاختيارية التي تتعلق بقد رته ومشيئته، مبنية على نفي حلول الحوادث بالرب تعالى، ويمكن الرد عليهم من وجوه مختصرة:

1- أنَّ نصوص الكتاب والسنة دلت على أن الله تعالى يفعل متى شاء.

منها: قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [٥] .

وقوله: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٦] .

والنصوص الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى.

2- أنَّ قيام الصفات الاختيارية بالرب تعالى كمال لا نقص فيه ، بخلاف عدم اتصافه بها .

---

(١) هو : نور الدين علي بن سلطان بن محمد الهروي القاري ، الماتريدي ، من مصنفاته : (شرح المشكاة)، و(شرح الجزرية ) ، و( شرح الشاطبية ) ، توفي سنة 1014هـ .
انظر: البدر الطالع 445/1، وكشف الظنون 671/1.

(٢) شرح الفقه الأكبر ص 35. وانظر: تبصرة الأدلة 306/1-372.

(٣) المعتزلة: يلقبون بالقدرية، وسموا بذلك لأن رئيسهم واصل ابن عطاء اعتزل حلقة الحسن البصري، وهم يقولون بالأصول الخمسة: التوحيد، العدل، المنــزلة بين المنزلتين، إنفاذ الوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
انظر: الفرق بين الفرق ص 78، والملل والنحل الشهرستاني 43/1.

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة ص 458، وانظر: مقالات الإسلاميين ص 363-364.

(٥) سورة طه ، آيت11 ، 12 .

(٦) سورة النحل ، آية 40 .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (( أن يقال: إذا عرض على العقل الصريح ذات يمكنها أن تتكلــم بقدرتها ، وتفعل ما تشاء بنفسها ، وذات لا يمكنها أن تتكلم بمشيئتها، ولا تتصرف بنفسها ألْبتة ، قضى العقل الصريح بأنَّ هذه الذات أكمل ، وحينئذ فأنتم الذين وصفتم الرب بصفة النقص ، والكمال في اتصافه بهذه الصفات لا في نفي اتصافه بها))[١].

3- أنَّ شبهتهم التي بنوا قولهم عليها في نفي قيام الصفات الاختيارية بالرب - تعالى - هي: (نفي حلول الحوادث به - سبحانه - ).

وهو لفظ مجمل، فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح.

وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية؛ من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء ... كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفي باطل[٢].

4- أما قولهم : ( الخلق هو المخلوق ) فباطل ، ويلزم على ذلك أنَّ كل جزء من أجزاء العالم خالق لنفسه ؛ فيكون هو الخالق والمخلوق والخلــق ، وهذا باطل باتفاق العقلاء[٣].

وقد وردت هذه الصفة في أسلوب الاستفهام في عدة مواضع من القرآن الكريم :

-خلق السموات والأرض:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [٤] .

أسلوب الاستفهام في الآية : ( ألم ترَ ) وقد تصدر الاستفهام الآية ، وهذا النوع من الاستفهام كثر وروده في كتاب الله تعالى.

فهنا دخلت همزة الاستفهام على (لم) التي تفيد النفي، ونفي النفي إثبات ؛ فأفاد هذا الأسلوب التقرير ، أي حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون جملة الاستفهام وإثباته ، أي :

(١) الفتاوى 242/6.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية 129/1.

(٣) انظر: التمهيد لأبي المعين النسفي ص29.

(٤) سورة إبراهيم ، آية 19 .

إثبات تفرد الله تعالى بالخلق و تقريره.

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[١] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ؟) وختمت باستفهام آخر (أفلا تذكرون)؟ ، وأداة الاستفهام في الموضعين هي الهمزة ، ومعنى الاستفهام الأول: (أفمن يخلق ..) الإنكار [٢] الإبطالي ، أي إنكار ما وقع منهم من التسوية بين الخالق وغيره وبيان بطلانه ؛ لأنه شرك بالله تعالى ، ودفع التوهم في أجلّ صورة خاطب فيها العقل أن يكون هناك مساواة بين الخالق المدبر وبين من لا خلق لــه ولا تدبير ؛ لأن ذلك من البدهيات التي لا يشك فيها عقلٌ فكيف ينكرها .

أما الاستفهام في فاصلة الآية (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟) فهو للإنكار والتوبيخ[٣]، فالله – جلّ وعلا – يُنكر عليهم عدم التذكر ويوبخهم على ذلك.

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [٤] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) . والمراد منه : تقرير مضمون جملة الاستفهام ، أي حمل المخاطب على الإقرار بمضمون الجملة وإثباته . ويردف عليه من المعاني توكيد الإنكار في الآية السابقة لهذه الآية بقوله : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾، والتذكير بجليل قدرة الله عز وجل، وبديع صنعه في الكون [٥] ( كيف ) ، فهي مجردة – هنا – عن الاستفهام متمحضة للدلالـــة على الكيفية أي الحالة ، والمعنى ألستم ترون هيئة خلق السماوات وحالتها [٦].

---

(١) سورة النحل ، آية 17 .

(٢) الكشاف ص 570، وتفسير أبي السعود 104/5.

(٣) انظر : التحري والتنوير 123/14 .

(٤) سورة نوح ، آية 15 .

(٥) انظر: التحرير والتنوير 202/29 ، والتفسير البلاغي في القرآن الحكيم، عبدالعظيم المطعني 300/4.

(٦) انظر : التحرير والتنوير 202/29 .

وقول الله تعالى :﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا [١]﴾[٢] .

وقوله الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴾ [٣].

فنجد أنَّ الآيتين صُدِّرتا بأسلوب الاستفهام ( ألم ) ، حيث دخلت همزة الاستفهام على ( لم ) الذي أفاد التقرير بما أنعم الله عليهم من خلق الأرض بما فيها، وكونها مهاداً، وير دف عليه الامتنان على العباد [٤].

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [٥] .

صُدِّرَت الآية بالاستفهام في قوله: (أو لم يروا). أداته الهمزة ، وقد اقترنت بالواو ولَمْ، وهو استفهام تقرير وتثبيت وتحقيق ، والمعنى : قد رأوا، ويردف عليه الإلزام بالحجة والتوبيخ على عدم الإذعان لها[٦].

وقول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [٧].

(فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ)؟ جاء أسلوب الاستفهام بـــ( هل ) ، (( وهو بمعنى النفي. أي ما ترى في خلق الرحمن شقوقاً أو صدوعاً أو أي عيب من العيوب ويردف على النفي التعجيب من كمال خلق الله تعالى))[٨]، فالاستفهام للنفي مع التعجيب .

---

(١) كفاتاً : كفت الشيء: ضمه وقبضــه ، منهم يمشون على الأرض أحيــاء ، فإذا ماتو ا ضمتهم إليها في جوفها . انظر: المحكم والمحيط الأعظم 774/6، ومعجم مقاييس اللغة 150/5 (كفت) .

(٢) سورة المرسلات ، آية 25 .

(٣) سورة عم ، آية 6 .

(٤) انظر : التحرير والتنوير 432/29 ، 13/30 ، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن للمطعني 334/4-338.

(٥) سورة النحل ، آية 48.

(٦) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام 194/2.

(٧) سورة الملك ، آية 3 .

(٨) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن 270/4.

دلالة الآيات :

1-دلت آية ( إبراهيم ) و ( نوح ) على أن الله – تعالى – هو الخالق وحده ، ولذا لفت الأنظار إلى خلق السماوات والأرض وما فيها من بديع صنع الله الدال على عظمة خالقها، وكمـــال قدرته تعالى المستوجب تق رير المخاطبين بذلك ، وإفراده تعالى بالعبودية.

قال الإمام الطبري – رحمه الله -: (( يقول – عز ذكره – لنبيه محمد – ﷺ - : ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم أن من أنشأ السماوات والأرض بالحق منفرداً بإنشائها بغير ظهير ولا معين .

وبعد أن حملهم الله تعالى على الإقر ار والتثبيت بتلك الحقيقة العظيمة بيَّن تعالى أن الذي تفرد بخلق ذلك إن شاء أن يفنيكم أفناكم وأتى بخلق آخر سواكم أطوع منكم))(١).

2-دلت آية ( النحل ) على كمال ربوبية الله وعظمته ، وأنه المتفرد بالخلق والإيجاد وحده لا شريك له.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى -: (( وقد بين الله سبحانه أنه أحق بالكمال من غيره، وأن غيره لا يساويه في الكمال في مثل قولـــه تعالى : ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ ، وقد بين أن الخلق صفة كمال وأن الذي يخلق أفضل من الذي لا يخلق، وأن من عدل هذا بهذا فقد ظلم ))(٢).

كما دلت الآية على أن الله – تعالى – واحد في إلاهيته؛ ذلك أن الله – تعالى – ذكَّر عبدة الأوثان بعدد من النعم التي سخرها لهم، مع عجز أوثانهم عن خلق شيء من تلك النعم، أفتشركون هذه الأوثان في عبادة الله تعالى؟ ! فكما أنه واحد في خلقه وتدبيره، فإنه واحد في إلاهيته.

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – : (( قال لهم – جلّ ثناؤه – موبّخهم (**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**) أيها الناس نِعَم الله عليكم، وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء ، وعجزَ

---

(١) تفسير الطبري 198/13 بتصرف ، وانظر : تفسير ابن كثير 529/2، وتفسير القرطبي 354/9.

(٢) الفتاوى 79/6.

أوثانكم وضعفها ومهانتها، وأنّها لا تجلب إلى نفسها نفعاً، ولا تدفع ضراً، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالألوهة ))[١].

أما الزمخشري فقد ألمح في تفسيره الآية إلى مذهبه الاعتزالي : أنَّ العباد يخلقون أفعالهم، حيث قال: (( فإن قلت: من لا يخلق أريد به الأصنام فَلِمَ جيء بمن الذي هو لأولي العلم؟))، ثم ذكر أوجهاً ، الثالث منها هو ما يدل على مذهبه، قال: (( الثالث: أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم، فكيف بمن لا علم عنده ... ))[٢].

ولذا قال ابن المُنيِّر[٣] – رحمه الله –: (( هو تَحَوُّمٌ على أن العباد يخلقون أفعالهم، وأن المراد إظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى، حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الأصنام بطريق الأولى، ولقد تمكن منه الطمع، حتى اعتقد أنه يثبت خلق العبد لأفعاله بتنــزيله الآية على هذا التأويل ))[٤].

3- كما دلت آية ( المرسلات ) على امتنان الله على عباده بأن خلق الله تعالى الأرض وجعلها مسخرة للإنسان . (( فمن تسخير الله تعالى للأرض أن جعلها كفاتاً للإنسان في حياته ؛ بتسهيل معيشته فيهـــا ، وحياته على ظهرها ، فإذا مات كانت له أيضاً كفاتاً بدفنه فيها))[٥].

وقد جاء الأسلوب بالاستفهام التقريري ليكون أبلغ في الإقناع والتسليم بالأمر وليفضي ذلك إلى شكر الله تعالى على هذه النعمة لا كفرانها .

4- كما دلت آية ( عم ) على عنايته تعالى بخلقه، حيث جعل الأرض ممهدة للخلائق، ذلولاً

---

(١) تفسير الطبري 17/186-187.

(٢) الكشاف ص 569 - 570.

(٣) هو: أحمد بن محمد منصور الجذامي، الإسكندراني ابن المُنيِّر، المفسر العلامة، ناصر الدين أبو العباس، أحد الأئمة المتبحرين في العلوم من التفسير والفقه والعربية، نهج منهج الأشاعرة في عقيدته ، من تصانيفه : (التفسير ) ، و( الانتصاف في الكشاف ) ، توفي سنة 683هـ .
انظر: طبقات المفسرين للداودي 1/252، وفوات الوفيات 1/185.

(٤) انظر: الانتصاف في هامش الكشاف ص 569.

(٥) أضواء البيان 8/238.

لهم ، قارة ساكنة ثابتة[١]، كالفراش الذي يستقر عليه النائم دون اضطراب.

ويرى جملة من المفسرين[٢] أن الله – جلّ وعلا – استدل بخلقه الأرضَ ممهدة ، والجبالَ أوتاداً وغيرها من الأدلة – كما في مقدمة السورة – على قدرة الله تعالى على البعث.

قال صاحب التسهيل[٣] لعلوم التنــزيل: (( اعلَمْ أنه تعالى لما حكى عليهم إنكار البعث والحشر وأراد إقامة الدلالة على صحة ا لحشر، قَدَّم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادراً على جميع الممكنات ، عالماً بجميع المعلومات ))[٤].

5-كما دلت آية ( النحل ) على عظمة الله وجلاله وكبريائه . الذي خضع لــه كل شيء ، ودانت لــه المخلوقات بأسرها : جماداتُها وحيواناتُها ، مكلّفوها من الإنس والجن ، والملائكة ))[٥].

والآية خبر عمّن تقدم ذكرهم كما قال تعالى: ﴿ **أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ** ﴾ [٦] .

فهؤلاء –الذين مكروا السيئات– التفتوا عن النظر في أدلته الكونية على انفراده بالعبادة واستحقاقه لها وحده عن الاعتبار بها ، فيحققوا لله العبادة كما حققها لــه تلك المخلوقات وهي جماد مسلوبة العقل .

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – : (( وأولى القرائتين عندي بالصواب قراءة من قرأ بالياء على وجه الخبر عن الذين مكــروا السيئات ؛ لأن ذلك في سياق قصصهم ، والخبر

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير 463/4.

(٢) انظر: تفسير القرطبي 171/19، وتفسير ا بن كثير 463/4، وتفسير أبي السعود 86/9، وفتح القدير للشوكاني 364/5.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي، الأديب الأصولي، من مصنفاته : ( وسيلة المسلم في تهذيب مسلم)، و( البارع في قراءة نافع ) ، توفي سنة 741هـ.
انظر: الدرر الكامنة 89/5، معجم المؤلفين 103/3 .

(٤) التسهيل لعلوم التنــزيل 173/4 .

(٥) تفسير ابن كثير 542/2.

(٦) سورة النحل ، آية 45 .

عنهم ، ثم عقب الخبر عن ذهابهم عن حجة الله عليهم ، وتركهم النظر في أدلته والاعتبار لها))[١].

فنجد أن الله تعالى حث على التأمل في حركة ظل كل مخلوق وانتقاله من موضع إلى موضع ، فهو في أول النهار في حال وفي آخر النهار في حال ؛ تبعاً لحركة الشمس. وهذه آية كونية بينة على وحدانية الله تعالى ، وكمال تدبيره وقهره وعظمته، حيث ذَلَّ لـه كل شيء، وخضع بسجوده طوعاً وكرهاً.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله –: (( وسجود المخلوقات لله – تعالى – قسمان: سجود اضطرار، ودلالة على ما له من صفات الكمال . وهذا عام لكل مخلوق، من مؤمن وكافر، وبر وفاجر، وحيوان ناطق وغيره، وسجود اختيار : يختص بأوليائه وعباده المؤمنين، والملائكة وغيرهم من المخلوقات))[٢].

6-أثبت الله تعالى كمال قدرته وخلقه في آية ( الملك ) حينما لفت الأنظار إلى تأمل خلق السماوات، ونفى أن يكون في خلقه تفاوت أي : عدم تناسب وخروج عن الإتقان، بل هي في غاية الحسن والإتقان، متناسبة من كل وجه في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والكواكب النيرات.

ولما كان كمالها معلوماً أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها . فقال (فارجع البصر) أي: أعده إليها ناظراً معتبراً.

(**هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ**): أي لا ترى أي نقص واختلال، فاعجب إذاً ممن لم يستدل بهذا الصنيع البديع الكامل على كمال قدرته وخلقه [٣].

قال ابن القيم – رحمه الله – ما مضمونه : إن الله سبحانه وتعالى فطر عباده حتى الحيوان البهيم على استحسان وضع الشيء في موضعه، والإتيان به في وقته، وحصوله على

(١) تفسير الطبري 216/17.

(٢) تفسير السعدي 64/3.

(٣) انظر : تفسير البغوي 370/4 ، وتفسير ابن كثير 397/4 ، وتفسير السعدي 875/1 ، وأضواء البيان للشنقيطي 230/8 .

الوجه المطلوب منه، وعلى استقباح ضد ذلك وخلافه، وأنّ الأول دال على كمال فاعله وعلمه وقدرته وخبرته، فهو يضع الأشياء في مواضعها، ويخصها من الصفات والأشكال والهيئات بما هو أعلم بها من غيره، ومن له نظر صحيح، وفكر مستقيم، أعطى التأمل حقه، واستدل بما شاهده على ما خفي عنه، فإن الكل صنع الحكيم العليم [(١)].

وذهب القاضي عبد الجبار إلى أنَّ الآية دالة أن المعاصي ليست من خلق الله ، فقال : «يدل على نفي القبائح عن خلقه؛ لأنه لو كان الخالق لها، وفيها توحيد وتشبيه وتثليث، لكان ذلك متفاوتاً ، وفيها عبادة الله وعبادة غيره ، والحكمة والصواب ، والسفه والباطل ، ولا تفاوت أعظم مما اختص به ذلك ، فيجب أن يدل على أنه ليس من خلقه تعالى على وجه»[(٢)].

ولا شك في بطلان ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار وذلك من وجهين:

1- أن نفي التفاوت في قوله تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ ؟ يشمل نفي الخلل والنقص «في جميع المخلوقات ، ولكن تخصيص الآية بخلقه السموات أظهر لوروده بعد قوله : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾[(٣)]»[(٤)]. وهذا المعنى باتفاق جمهور المفسرين[(٥)].

2-أن الله تعالى خلق أفعال العباد كلها كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، منها: قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [(٦)].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة 1565/4 .

(٢) متشابه القرآن ص 661 .

(٣) سورة الملك ، آية 4 .

(٤) التسهيل لعلوم التنـــزيل 134/4.

(٥) انظر : تفسير الطبري 506/23، وبحر العلوم للسمرقندي 386/3، ووتفسير الواحدي 326/4، وتفسير البغوي 370/4 ، والمحرر الوجيز لابن عطية 61/16 ، وتفسير القرطبي 208/18 ، وتفسير ابن كثير 397/4.

(٦) سورة الرعد ، آية 16 .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [1] .

الآيات السابقة دالة على خلق الله تعالى لفعل العبد، فالآية الأولى دالة على عموم خلقه ويدخل في هذا العموم أفعال العباد. وفي آية سورة الشمس في قوله : « (فألهمها) إثبات للقدر وخلق الله تعالى لفعل العبد . مع إثباته لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ليعلم أنها الفاجرة والمتقية »[2].

وبسط الكلام حول المسألة سيأتي في موضعه – إن شاء الله – .

ب- ومن مواضع ورود صفة الخلق بأسلوب الاستفهام في القرآن :
خلق الإنسان:

قول الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[3] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله : (هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ ؟)

والأداة فيه : هل ، والمراد منه : التقرير .

وهو التحقيق والإثبات ، أي : قد مرَّ على الإنسان دهر و لم يكن شيئاً مذكوراً .

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾[4].

أسلوب الاستفهام بـــ (ألم) حيث دخلت الهمزة على أداة النفي، فأفاد الاستفهام «التقرير والتقريع ، فجاء التقرير على ثبوت الخلق والإيجاد بعد العدم إيجاداً متقناً دالاً على كمال خلق الله تعالى »[5]، وجاء التقريع والتو بيخ من عدم اهتداء الكفار بخلق الإنسان من ماء مهين على قدرة الخالق – سبحانه وتعالى – على بعثهم للحساب ، فيكفون عن الكفر ، ويدخلون في الإسلام ؛ لأن القادر على الخلق من عدم لن يعجزه الإعادة .

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ [6].

---

(١) سورة الشمس ، آية 3 .

(٢) انظر: الفتاوى 243/16.

(٣) سورة الإنسان ، آية 1 .

(٤) سورة المرسلات ، آية 20 .

(٥) التحرير والتنوير 430/29 .

(٦) سورة القيامة ، آية 37 .

أسلوب الاستفهام بقولـــه : (ألم)، حيث اقترنت همزة الاستفهام بـــ (لم) النافية ، وقد أفاد التقرير بأصل خلق الإنسان من (نطفة) وتنكيرها للتحقير، (مِّن مَّنِيٍّ يُمۡنَىٰ) أي: يقذف ويراق، إشارة إلى مهانته[١].

**دلالة الآيات:**

قرَّر الله تعالى عباده بكمال خلقه مبيناً خلق الإنسان الذي أوجده من عدم ، فقد مرَّ عليه دهرٌ طويل ، وهو قبل وجوده معدوم ، فلما أراد الله خلقه خلق أباه آدم من طين ، ثم جعل نسله متسلسلاً [٢] .

كما أفاد الاستفهام في آية ( المرسلات ) تقرير المخاطب ، أي حمله على الاعتراف والإثبات بأصل خلقته ( من ماء مهين ) أي: (ضعيف)[٣]، حتى اكتملت خلقته واشتدت قوته بخروجه إلى الحياة الدنيا، ليحقق عبادة الله تعالى ، قال ابن القيم – رحمه الله – بعد أن ذكر جملة من الآيات الدالة على خلق الإنسان : ((وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره، إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه وفيه من العجـــائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه ))[٤].

فالله – جل وعلا – في هذه الآية قرر الإنسان بخلقه إياه، في المرحلة الأولى من مراحل خلقه، ليدرك حقارة وضعف خلقه ، فيدرك عظمة خالقه وفضله عليه ، وقدرته على إحيائه بعد مماته ، فيذعن لأوامره ، ويجتنب نواهيه .

- كما دلت آية ( القيامة ) على أمرين:

1- إثبات الخالق ووحدانيته وكمال قدرته.

2- إثبات المعاد.

---

(١) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام 326/4.

(٢) انظر : تفسير السعدي ص 900 .

(٣) تفسير الطبري 425/29.

(٤) مفتاح دار السعادة 188/1.

يوضح ابن القيم – رحمه الله – هذين الأمرين بقوله : « ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ؟ فمن لم يتركه وهو نطفة سدى ؛ بل قلّب النطفة ، وصرفها حتى صارت أكمل مما هي ، وهي العلقة ، ثم قلّب العلقة حتى صارت أكمل مما هي حتى خلقها فسوى خلقها، فدبرها بتصريفه وحكمته في أطوار كمالاتها حتى انتهى كمالها بشراً سوياً، فكيف يتركه سدى لا يسوقه إلى غاية كماله الذي خُلِق لـــه ؟، فإذا تأمل العاقل البصير أحوال النطفة من مبدئها إلى منتهاها دلته على المعاد والنبوات ، كما تدله على إثبات الصانع وتوحيده وصفات كماله . فكما تدل أحوال النطفة من مبدئها إلى غايتها على كمال قدرة فاطر الإنسان وبارئه ، فكذلك تدل على كمال حكمته وعلمه وملكه ، وأنه الملك الحق المتعالي عن أن يخلقها عبثاً ويتركهاسداً بعد كمال خلقها »[1].

جـ- خلق الماء:

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [2].

صُدرت الآية بالأسلوب الاستفهامي (ألم) همزة الاستفهام دخلت على حرف النفي (لم)، مما يفيد التقرير والإثبات[3]، ويردف عليه امتنان الله على عباده بنعمة المطر، والحث والترغيب للتأمل ، والنظر في آياته الكونية .

قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [4] .

---

(١) بدائع الفوائد 4/165 – 166 .

(٢) سورة الحج ، آية 63 .

(٣) انظر: مغني اللبيب لابن هشام 1/695، وتفسير أبي السعود 6/117، وتفسير البيضاوي 4/138، وفتح القدير للشوكاني 3/465، وروح المعاني للألوسي 17/119.

(٤) سورة الزمر ، آية 21 .

جاء الاستفهام في صدر الآية ( ألم تر)، والاستفهام كما مرّ سابقاً يفيد التقرير والإثبات والتحقيق ، أي : قد رأوا أنّ الله تعالى هو المتفرد بإنزال الماء من السماء ، ثم إنبات الزرع المتنوع [١].

وقوله تعالى:﴿ **قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرًا**[٢] **فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ**[٣]﴾[٤].

ففي الآية استفهامان :

الأول : ( أرأيتم ؟ ) والأداة فيه الهمزة .

والثاني: (**فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ** ... ؟ )، وأداة الاستفهام هي ( مَنْ )، والاستفهام الأول بمعنى: أخبروني ، عند الجمهور . وقال بعض العلماء لاستحضار صورة المستفهم عنه في الذهن[٥].

أما الاستفهام الثاني: (**فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ**) فهو للنفي والإنكار، أي: لا يملك أحد بعد الله أن يمد الخلق بماء عذب صاف[٦].

دلالة الآية:

يقرر الله تعالى عباده بامتنانه عليهم بإنزال المطر الذي هو نعمة ع ظيمة ؛ لأن حيـــاة الحيوان والنبات متوقفة على الماء، فالله وحده هو الذي ينـــزل الماء العذب الفرات، ثم يسكنه الأرض فيخرج ينابيع، ويجري أنهاراً، فتكتسي الأرض أبهى حلّة، فيعمّ نفعه الكائنات، بفضل الله ومنه وكرمه.

فهذه الآية تبين كمال قدرة الله تعالى الذي يقول ل لشيء كن فيكون، ولطفه – جل وعلا – بعباده بإسدائه إليهم نعمه الباهرة.

(١) انظر: التحرير والتنوير 376/23.

(٢) غوراً أي: غائراً ذاهباً في الأرض. انظر: المفردات للراغب ص 618.

(٣) معين أي : يقال : معن الماء : جرى فهو معين ، ومجاري الماء معنان . انظر: المفردات ص 771.

(٤) سورة الملك ، آية 30 .

(٥) التفسير البلاغي للاستفهام 285/4.

(٦) انظر : تفسير السعدي 878/1 ، والتحرير والتنوير 56/29 .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله -: « هذا حث منه تعالى، وترغيب في النظر بآياته الدالة على وحدانيته وكماله (ألم تر) ألم تشاهد ؟ ببصرك وبصيرتك ( أن الله أنزل من السماء ماء ) ، وهو المطر ، فينـــزل على أرض خاشعة مجدبة ( فتصبح الأرض مخضرة) قد اكتست من كل زوج كريم »[1]. وهكذا فإن الاستفهام - هنا - لتقرير المخاطب بهذه النعمة العظيمة وبقدرة المنعم تعالى ولطفه ، وفيه حثٌّ لـــه ، وترغيب في شكره تعالى بعبادته وحده .

وفي آية ( الزمر ) يقرر الله تعالى عباده بهذه النعمة العظيمة، وهي: أنه وحده أنزل الماء من السماء ، وأودعه ينابيع في الأرض ؛ ليعمّ نفعه الكائنات ، ويكون سبباً في إنبات النبات المختلف الثمار والألوان، ثم إذا قوي ذلك النبات واشتد تغير لونه واصفر ثم صار حطاماً متكسراً تذروه الرياح.

إذاً ففي الآية دلالة على كمال قدرة الله تعالى ، وبديع صنعته ، وسعة فضله ، فإذا كان المخاطبون يقرّون بذلك ويسلمون لـــه كان عليهم أن يفردوه جميعاً بالعبادة ، كما أن من شاهد أحوال النبات وصيرورته إلى الفناء علم أن الحياة الدنيا زائلة فلا ينخدع بها [2]، ووجب عليه الاستعداد ليوم الميعاد .

فيقول تعالى : أخبروني إذا ذهب الماء إلى أسفل الأرض ، فلا يُنال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد . من يجريه نابعاً على وجه الأرض ، وهل يقدر على ذلك إلا الله عز وجل؟[3]، فلا بد إذن من صرف العبادة له وحده لا شريك له.

### د-خلق الأنعام:

كقـــول الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ** ﴾[4].

---

(١) تفسير السعدي 544/1.

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي 172/7، والتفسير الكبير للرازي 230/26.

(٣) انظر: تفسير القرطبي 122/18، و تفسير ابن كثير 401/4، وأضواء البيان 328/5.

(٤) سورة يس ، الآيات 71 – 73 .

ففي الآيات أسلوبان ؛ الأول فيها : (أو لم يروا ؟) حيث اقترنت همزة الاستفهام بالواو ولَمْ النافية ، والمعنى المراد من الاستفهام فيه مذهبان :

الأول : مذهب جمهور اللغويين ، وهو أن الهمزة مقدمة من تأخير ؛ لأن الاستفهام لـــه الصدارة ، ويكون المراد مع التقرير ؛ لأن نفي النفي إثبات .

الثاني : مذهب الزمخشري ، وهو أن الهمزة قارّ ة في مكانها ومدخولها محذوف وهو ما عطفت عليه أداة العطف ( الواو ) ، فيكون المراد منه الإنكار ، لكن المنكر المقدر الذي وَلِيَ الهمزة والفعل المضارع ، وقد ذهب الزمخشري إلى رأي الجمهو ر في كتابه المفصل ، ولا أثر لهذا الخلاف في المعنى [١].

فالمراد من الاستفهام التقرير والتعجب [٢]، كما ه و مذهب الجمهور ، والتقريو أي حمل المخاطب على الاعتراف بما ذكر والتعجب من هؤلاء الكفار الذين لم يستدلوا بنعم الله عليهم على استحقاقه وحده للعبادة .

والاسفهام الثاني في ختام الآيات : (**أَفَلَا يَشْكُرُونَ** ؟) اقترنت فيه همزة الاستفهام بالفاء ولا النافية . والمراد منه: الإنكار والاستقباح[٣] لعدم شكرهم النعم.

**دلالة الآية :**

يقرر الله تعالى عباده ممتناً عليهم بخلقه تعالى الأنعام من الإبل والبقر والغنم، ويتجلى ذلك فيما يلي :

1- الملكية: وجاء موضحاً بقوله (**فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ** )، فهم ممتلكون لها، متصرفون فيها كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط.

2- التذليل: ويظهر في سياق الآيات التالية لتلك الآية، كما قال تعالى: ﴿ **وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ** ﴾[١].

---

(١) انظر : كتاب سيبويه187/3، و المفصل في صنعة الإعراب ،و مغني اللبيب لابن هشام ص 22 – 23 ، ومعترك الأقران 2 / 42 – 43، والإتقان للسيوطي ص 358 .

(٢) انظر: تفسير الجلالين 585/1، وروح المعاني للألوسي 50/23.

(٣) تفسير أبي السعود 167/7.

فالله تعالى امتن على عباده بنعمة تذليلها ؛ لأن الله وحده هو الذي جعلها ذليلة لاتمتنع على صاحبها في تسييرها وتوجيهها للرعي ، أو للحمل ، أو للوقوف.

3- نعمة الركوب: كما قال تعالى: (فمنها ركوبهم). فنعمة الركوب من النعم العظيمة التي تمتع بها الإنسان، حيث أنها تحمل الإنسان، وتحمل أمتعته، وتنقله للسفر وللتجارة والحج، فلولا تسخير الله لَلَحِقَ الإنسانَ من المشاق ما لا يحصى.

4- الأكل والشرب: كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ﴾.

فمن أجل النعم أن الله تعالى مكن الإنسان من الاستفادة من لحومها أكلاً فهو من أعلى أنواع الأطعمة . كما يستفيد منها شرب اللبن الذي هو أنفع الأغذية للإنســـان بعد أن استخلصه الله تعالى ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّرِبِينَ ﴾[٢] [٣].

قال ابن القيم -رحمه الله- مبيناً تلك النعم: «فترى البعير على عظم خلقته يقوده الصبي الصغير ذليلاً منقاداً، ولو أُرسل عليه لسوَّاه بالأرض ولفصله عضواً عضواً، فسَلْ المعطل، من الذي ذلَّه وسخره؟ وقاده على قوته لبشر ضعيف من أضعف المخلوقات ؟ ، وفرَّغ بذلك التسخير النوع الإنساني لمصالح معاشه ومعاده ، فإنّه لو كان يزاول من الأعمال والأحمال ما يزاول الحيوان ؛ لشغل بذلك عن كثير من الأعمال ، فأعينوا بهذه الحيوانات مع ما لهم فيها من المنافع التي لا يحصيها إلا الله من الغذاء والشراب والدواء ، واللباس، والأمتعة، والآلات، والأواني، والركوب، والحرث، والمنافع الكثيرة»[٤].

وقد ذكّر الله تعالى الإنسانَ بهذه النعم في أسلوب الاستفهام ليشكره تعالى عليها بعد تقريره وإثباته لها ، وذلك بإفراده بالعبادة ، مع الإنكار التوبيخي لمن لم يحقق ذلك .

=

(١) سورة يس ، آيتا 72 – 73.

(٢) سورة النحل ، آية 66 .

(٣) انظر كلام أهل العلم حول هذه النعم: تفسير الطبري 28/23، وتفسير القرطبي 55/15، و التفسير الكبير للرازي 93/26، وتفسير أبي السعود 179/7، وروح المعاني للألوسي 50/23 ، وتفسير السعدي 699/1، وأضواء البيان للشنقيطي 396/2.

(٤) مفتاح دار السعادة 234/1.

أما قوله: (**أَفَلَا يَشْكُرُونَ** ؟ ) فاستنكار وتقريع ، مع الحث على الشكر وعلى الاعتراف بوحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة والإخلاص؛ لأنّ هذه النعم لا ينبغي مقابلتها إلاّ بشكر المنعم وإخلاص العبادة له وحده .

هـ - خلق النبات:

قال الله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ** ﴾[(١)].

نجد أن الأسلوب الاستفهامي (أو لم يروا)؟ دخلت فيه همزة الاستفهام على الواو العاطفة، وأداة النفي (لم) والفعل المضارع (يروا) .

والمراد منه: التقرير، فإنبات النبات على تنوعه وتشكله دال على وحدانية الله ؛ لأنّ هذا الخلق البديع لا يصدر إلاّ عن واحد لا شريك له[(٢)].

دلالة الآية :

دلت الآية على أن نعمة النبات برهان دال على كمال قدرته وخلقه تعالى، فالله تعالى ينبه عباده على التأمل الذي ينفع صاحبه، فهلّا تأملت الأرض بعد أن كانت جدباء قاحلة ، أحياها الله وأنبت فيها من جميع أصناف النباتات الحسنة في منظرها ، والكريمة في نفعها . فيرشد الله تعالى بهذا إلى آية عظيمة ، كما جاء في سياق الآية التي تليها : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً** ﴾[(٣)]. على إحياء الله الموتى بعد موتهم، كما أحيا الأرض بعد موتها، كما أنه تعالى هو المستحق للعبادة إذ هو القادر وحده[(٤)].

---

(١) سورة الشعراء ، آية 7 .

(٢) التحرير والتنوير 100/19 ، وابن عاشور يرى أن الاستفهام يفيد الإنكار .

(٣) سورة الشعراء ،آية 8 .

(٤) انظر: تفسير القرطبي 91/13 ، وتفسير ابن كثير 332/3 ، وتفسير السعدي 589/1 ، وأضواء البيان 86/6.

## المطلب الثالث: المــلك

### معنى الملك في اللغة:

قال ابن فارس : (( الميم واللام والكاف ، أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، يقال : أملَكَ عجينــه : قوى عجنه وشدّه ، وملّكت الشيء : قويته .. ثم قيل : ملَكَ الإنسان الشيء يملِكُه ملْكاً ، والاسم الملك ؛ لأن يده فيه قوية صحيحة. فالمِلْك: ما ملك من مال))[١].

والمَلْك والمُلْك والمِلْك احتواء الشيء والقدرة على الاستبداد به . والمَلِك من ملوك الأرض، ويقال لــه : مَلْكٌ بالتخفيف، والجمع مُلُوك وأمْلاك، وا لمُلكُ: ما ملكت اليد من مال وخوَل[٢].

### معنى الْمُلْك في الشرع:

ورد لفظ الملك وما تصرف منها كثيــراً في كتاب الله وسنة رسولــه ﷺ ، نحو قول الله تعــالى : ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ** ...﴾[٣].

وفي السنة منه قوله ﷺ : «يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا المَلِك، أين ملوك الأرض»[٤].

فمعنى الملك في الشرع لا يخرج عن معناه اللغوي القدرة على التصرف واحتواء الشيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((والمُلك قد يُراد به القدرة على التصرف، والتدبير، ويُراد به نفس التدبير والتصرف ، ويراد به المملوك نفسه ، الذي هو محل التدبير ، ويراد به ذلك كله))[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة 351/5–352 (ملك)، وانظر: العين 380/5 (ملك).

(٢) انظر: لسان العرب 492/10 (ملك).

(٣) سورة آل عمران ،آية 26 .

(٤) أخرجه البخاري كتاب : التوحيد، باب: قول الله تعالى : ﴿ **مَلِكِ ٱلنَّاسِ** ﴾ . انظر: البخاري مع الفتح 367/13 [7382].

(٥) الفتاوى 195/18.

ومعنى المَلِك هو: « المتصرف بالأشياء حسب إرادته، ومشيئته، لا رادّ لأمره، ولا مُعقِّب لحكمه »[1].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله –: « [الملك، المالك، الذي لـه الملك ] فهو الموصوف، بصفة الملك. وهي صفات العظمة والكبرياء، والقهر والتدبير، الذي لـه التصرف المطلق، في الخلق، والأمر والجزاء، وله جميع العالم، العلوي والسفلي، كلهم عبيده ومماليكه، ومضطرون إليه »[2].

فالمُلك صفة ذاتية للرب – تعالى – متضمنة صفات ذاتية وفعلية من العلم، والقدرة، والتدبير وفق المشيئة والإرادة وغير ذلك[3].

والمَلِك اسم من أسمائه – تعالى.

**معنى الملك عند المتكلمين:**

يتأول كثير من المتكلمين، الملك بالخلق، وبعضهم يتأوله بالتصرف، وبعضهم يتأوله بالقدرة.

قال الرازي: « اختلفوا في حقيقة الملك فقال بعضهم: إنه عبارة عن التصرف وعلى هذا يكون الملك من صفات الأفعال.

والقول الثاني: أنه القدرة على التصرف لولا المانع، وعلى هذا القول يكون الملك من صفات الذات »[4].

ثم عرض ما يرد على القولين من إشكالات ورجح القول الثاني.

قال القاضي عبد الجبار: « المِلْك القدرة، وأن المَلِك هو القادر »[5].

ويلزم على تأويل صفة الملك بالقدرة أو الخلق أو التصرف نفي الصفة مع ثبوتها في نصوص الكتاب والسنة، مع أنها صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

---

(١) شرح كتاب التوحيد للغنيمان 120/1.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى – مطبوع ضمن التفسير 485/5.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية 185/1.

(٤) لوامع البينات ص170، وانظر: الإرشاد للجويني ص 105، مقالات الإسلاميين ص 851 – 582.

(٥) المغني 28/11.

كما أن تأويل الملك بالقدرة أو التصرف أو الخلق، إنقاص في معنى ملك الله تعالى؛ إذ إنه يتضمن العلم والقدرة والتدبير والغنى والتصرف والقهر والعظمة والكبرياء.

وقد وردت صفةالملك في أسلوب الاستفهام في مواطن عدة من القرآن :

كقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [١].

وقولـــه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٢].

أسلوب الاستفهام في الآيتين بقولـــه : (ألم تعلم) فدخلت الهمزة على أداة النفي، فنفت النفي، فتحول إلى مثبت، فأفاد التقرير [٣]. فهو يقرر حقيقة عظيمة وهي ملكية الله – تعالى – للسماوات والأرضين وما فيهما وما بينهما.

وقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[٤].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ؟ )

والأداة فيه : مَنْ مقترنة باللام ، والمراد منه : التقرير والتحقيق والإثبات ؛ فإن الله تعالى المتفرد بكمال الملك والوحدانية [٥] .

– وقول الله تعالى– : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن

(١) سورة البقرة ، آية 107 .

(٢) سورة المائدة ، آية 40 .

(٣) انظر: الكشاف ص 91، وتفسير أبي السعود 143/1، والتحرير والتنوير 665/1 .

(٤) سورة غافر ، آية 16 .

(٥) انظر : البحر المحيط 438/7 .

فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴾[١].

- وقال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِى قُلُوبِهِمۡ ۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢا ۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾[٢].

أسلوب الاستفهام في الآيتين:

في الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ۗ ﴾.

وفي الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢا ۚ ﴾.

فأداة الاستفهام في الأسلوبين (مَنْ)، والمراد من الاستفهامين: النفي أي: لا أحد يملك لكم شيئاً من دون الله، ويتضمن الإنكار والتوبيخ والتقريع على ما صدر منهم[٣].

دلالة الآيات:

دلت آيتا (البقرة)، و(المائدة) على أن الله تعالى هو المالك المتصرف في السموات والأرض، فهو المتصرف في الأمر والتقدير.

وقد جاءت آية سورة البقرة بعد قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ .. ﴾[٤].

---

(١) سورة المائدة، آية 17.

(٢) سورة الفتح، آية 11.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود 19/3، وفتح القدير للشوكاني 24/2، والتحرير والتنوير لابن عاشور 153/6، 163/26، وروح المعاني 99/6.

(٤) سورة البقرة، آية 106.

لتبين أن التقدير والشرع تحت ملك الله وتصرفه ، فالله تعالى ينسخ ما يشاء ويقرّ ما يشاء من أحكامه ، وحدوده ، وفرائضه ، فإذا أقررت أيها المخاطب – ولا بدّ – بأنّ لـــه ملك السماوات والأرض فأقر أيضاً بأنّ لـــه تعالى أن ينسخ ويقرر ما يشاء .

كما دلت على أن الله تعالى هو المنفرد بولاية عباده المؤمنين، ونصرهم على أعدائهم.

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله –: (( وهذا الخبر وإن كان من الله – عز وجل – خطاباً لنبيه محمد – ﷺ – على وجه الخبر عن عظمته ، فإنه منه جل ثناؤه تكذيبٌ لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة .. فأخبرهم الله أن له ملك السموات والأرض وسلطانها، فإن الخلق أهل مملكته وطاعته، عليهم السمع لـــه ، والطاعة لأمره ونهيه، وأن لـــه أمرهم بما شاء ، ونهيهم عما شاء ، ونسخ ما شاء ، وإقرار ما شاء ))[١].

أما آية المائدة فقد دلت على أن الله تعالى (( لـــه ملك السموات والأرض، يتصرف فيهما بما شاء، من التصاريف القدرية والشرعية، والمغفرة، والعقوبة، بحسب ما اقتضته حكمته ورحمته الواسعة ومغفرته ))[٢].

أما آية (غافر) فيقرر الله تعالى كمال ملكه ، يوم يجمع الله الأولين والآخرين ، وقد اجتمعوا في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، لا يخفى على الله تعالى من ذواتهم ولا أعمالهم شيء ؛ فيقول تعالى : ( لمن الملك اليوم ) ؟ مَنْ هو المالك الذي له كمال الملك ؟ فيجيب نفسه بنفسه : لله الواحد القهار الذي لا مثل له ولا شبيه ، والقهار الغالب لكل شيء سواه[٣] .

فالمُلك صفة ذاتية تتضمن صفات ذاتية وفعلية للرب – تعالى – كما قال شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى – : (( الملك يتضمن غناه عن كل شيء ، وفقر كل شيء إليه ، وأكمل من ذلك من العلم والقدرة والتدبير على وفق المشيئة والإرادة وغير ذلك من المعاني))[٤].

وفي الآيتين: ينفي الله تعالى الملكية عن كل من سواه تعالى كائناً من كان.

(١) تفسير الطبري 488/2.

(٢) تفسير السعدي 481/1.

(٣) انظر : تفسير الطبري 51/24 ، وتفسير ابن كثير 75/4 ، وتفسير السعدي 735 .

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية 185/1.

ففي آية ( المائدة ) : ذكر الله قول النصارى، بأن الله هو المسيح ابن مريم. فرد عليهم، بأدلة عقلية واضحة فقال: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ .

فإذا كان المذكورون، لا قدرة عندهم تمنعهم لو أراد الله أن يهلكهم هم والمسيح ومن في الأرض جميعاً ، دل ذلك على تفرده تعالى بالملكية، كما دل على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك، ولا في قوته شيء من الفكاك[١].

ثم أقام البرهان على تفرده بالملكية والسلطان بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ . فكل من في السماوات والأرض وما بينهما فهو مملوك ، مُدَبَّر ، فلا يليق أن يكون المملوك العبد الفقير، إلهاً معبوداً؛ غنياً من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال[٢].

وآية سورة ( الفتح ) تدل على ذات الدلالة، أي على تفرد الله تعالى بالملك وا لتصرف، فالنفع والضر بيده تعالى ؛ ذلك أن الأعراب تخلفوا عن رسول الله – ﷺ – في عمرة الحديبية، ثم جاءوا يعتذرون للنبي – ﷺ – ، وطلبوا منه الاستغفار لهم ؛ فأعلمه الله بالأسباب الحقيقية التي منعتهم من الخروج ، وهي : ظنهـم أن قريشاً ستقضي على النبي – ﷺ – وأصحابه ، وأنهم لن يعودوا للمدينة ؟ ، وفي هذا قال تعالى : ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾[٣].

فلذلك رد الله تعالى عليهم ببيان تفرده تعالى بالملك، وأنه لا أحد يملك ردّ أمر أراده الله تعالى. فالضر والنفع تحت قهره وسلطانه، فإن أراد بأحدٍ شراً أنزله به، وإن أراد بأحدٍ خيراً أصابه به.

---

(١) انظر: تفسير السعدي 471/1.

(٢) انظر: تفسير السعدي 472/1.

(٣) سورة الفتح ، آية 12 .

فإذاً يظهر لك من دلالة الآيتين إثبات اتصاف الله تعالى بالملك، والخلق كلهم عبيد ل ه ومماليك مضطرون إليه.

وقد جاء إثباته وتقريره بأسلوب الاستفهام المراد منه : النفي مع الإنكار والتوبيخ للمخاطبين على عدم إفراده تعالى به ، وعدم الاستدلال به على استحقاقه إخلاص العبودية له وحده ، وإفراده بالنفع والضرّ .

## المطلب الرابع: الـرزق

### معنى الرزق في اللغة:

قال ابن فارس – رحمه الله –: (( الراء والزاي والقاف، أصل واحد، يدل على عطاء لوقت، ثم يحمل عليه غير الموقوت ، فالرزق عطاء الله – جل ثناؤه – ويقال: رزقه الله رزقاً، والاسم الرِّزق ))[١].

والرِّزق : ما ينتفع به ، والجمع الأرزاق ، والرِّزق العطاء[٢]. فالرَّزق بفتح الراء هو المصدر.

فمدار لفظ الرزق في اللغة على العطاء أو ما ينتفع به.

### معنى الرزق في الشرع:

ورد لفظ الرزق في كتاب الله كثيراً [٣] ، كما ورد في السنة المطهرة على صاحبها – أفضل الصلاة وأتـم التسليم – [٤] ، ومعناه في الشرع لا يخرج عن المعنى الوارد في لغة العرب.

قال الحافظ قوام السنة الأصبهاني[٥]:((الرازق: المتكفل بالرزق، والقائم على كل نفس بما قيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ، فلم يخص بذلك مؤ مناً دون كافر، ولا ولياً دون عدو يرزق مَنْ عبده ومَنْ عبد غيره...)) [١].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس 388/2 (رزق).

(٢) لسان العرب 115/10 (رزق)، وانظر: مختار الصحاح ص 212 (رزق)، والمصباح المنير 225/1 (رزق).

(٣) كقوله الله تعالى : ﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾ [ق: 11]، وقوله: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: 60]، وقوله: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [فاطر: 3].

(٤) من ذلك قول النبي ﷺ : (( لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله – عز وجلّ – إنه يُشرَك به، ويُجعَلُ لـــه الولد ، ثم هو يعافيهم، ويرزقهم )).
أخرجه الإمام مسلم ، كتاب: القيامة ، باب : لا أحـــد أصبر على أذى من الله – عز وجل – 2160/4 [2804].

(٥) هو: أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، الحافظ، إمام أئمة زمانه، ألف وصنف، من مصنفاته: ( الترغيب والترهيب) ، توفي سنة 535هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 80/20، وشذرات الذهب 105/4.

وقال: (( وقد يكون وصول الرزق بطلب وبغير طلب، ويصل إلى الإنسان، جعله قوتاً للعبد ومعاشاً، إلا أن الشيء إذا كان مأذوناً في تناوله فهو حلال حكماً، وإذا كان غير مأذونٍ فهو حرام حكماً ، وجميع ذلك رزق ))(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: (( والرزق يراد به شيئان:

أحدهما: ما ينتفع به العبد.

الثاني: ما يملكه العبد.

والعبد قد يأكل الحلال والحرام فهو رزق، باعتبار ما يُنتفع به . وما اكتسبه و لم ينتفع به هو رزق باعتبار الملكية، ولا يدخل فيه الحرام ))(٣).

فالرزق صفة فعلية من صفات الرب تعالى ، قائم بذاته، متعلق بمشيئته وقدرته، وهي إمداد الله تعالى خلقه ما ينتفعون به.

وبذلك يتضح لنا أن الرزق فيه إجمال، فقد يراد بلفظ الرزق ما أباحه الله أو ملّكه فلا يدخل الحرام في مسمى الرزق لهذا الاعتبار.

وقد يراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان فيدخل فيه الحلال والحرام بهذا الاعتبار كما تقدم بيانه. وهذا هو مذهب السلف – عليهم رحمة الله–(٤).

وقد ذهب الأشاعرة(٥) إلى ما ذهب إليه أهل السنة .

قال صاحب المواقف(١): (( وكل ما ساقه الله إلى العبد فأكله فهو رزق له من الله حلالاً كان أو حراماً ))(٢).

---

=

(١) الحجة في بيان المحجة 148/1.

(٢) انظر: المصدر نفسه 149/1.

(٣) انظر: الفتاوى 541/8.

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة 337/1، والفتاوى 541/8، والكافية الشافية 234/2.

(٥) الأشاعرة: نسبة إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة 324هـ، متقدموهم يثبتون الصفات سوى الصفات الاختيارية فينفونها، أما متأخروهم فقد استقر مذهبهم على إثبات سبع صفات ونفي ما سواها : الحياة، العلم، السمع، البصر، الكلام، القدرة، الإرادة، وهم مرجئة في باب الإيمان .

انظر: الملل والنحل للشهرستاني 94/1، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود.

وقد خالف المعتزلة في ذلك، حيث قالوا: إن الحرام ليس برزق.

قال القاضي عبد الجبار : (( إن الحرام لا يجوز أن يكون رزقاً؛ لأن الله منعنا من إنفاقه واكتسابه ))[٣].

ويُجاب عن ذلك بما تقدم تفصيله في مسمى الرزق على مذهب السلف.

ولا شك في أن مذهبهم مخالف لصريح القرآن ، كما يلزمهم أن من أكل الحرام طوال عمره لم يرزقه الله تعالى، وهذا مخالف للإجماع[٤].

وقد وردت صفة الرزق بأسلوب الاستفهام في مواطن عدة من القرآن :

- كقولـــه الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾[٥].

صُدّرت الآية بأسلوب الاستفهـــام ( أو لم يعلموا ) ، وأداته الهمزة ، وقد اقترنت بالواو ولَمْ ( أو لم ) ، والمراد منه : التقرير والتوبيخ على مذهب الجمهور - كما تقـــدم بيانه-[٦].

فإن الله تعالى يحتج عليهم بأنهم يعلمون أنه تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ومع ذلك يتلوّنون ، فيلجأون إليه تعالى في الضراء ، وفي السراء ، وحال الرزق ينسبون الأمر إلى ما عندهم من علم مثل ما فعل مَنْ قبلهم ، فأنكر الله عليهم هذا التصرف ، ووبخهم عليه .

---

=

(١) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل الإيجي، المتكلم، كان إماماً في علم الكلام ، عالم بالمعاني والعربية، من مصنفاته: (شرح المختصر)، و(المواقف في علم الكلام )، توفي سنة 756هـ .
انظر: الدرر الكامنة 110/3.

(٢) شرح المواقف للإيجي 243/3.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص 787.

(٤) انظر: لوامع الأنوار 344/1.

(٥) سورة الزمر ، آية 52 .

(٦) تقدم بيانه 59.

- وقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَـٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ (١).

ورد في الآية هذان الاستفهامان:

1- (هَلۡ مِنۡ خَـٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ...؟)

2- (فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ؟)

والاستفهام الأول : استفهام إنكار ونفي، نفي لوجود خالق غير الله يرزق الخلق ، وإنكار على هؤلاء الذين تغافلوا عن هذه الحقيقة أو اعتقدوا غيرها .

كما صرّح بذلك أبو السعود ، فقال : ((ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمتي الإيجاد والإبقاء نفى أن يكون في الوج ود شيء غيره تعالى يصدر عنه إحدى النعمتين بطريق الاستفهام الإنكاري المنادي باستحالة أن يجاب عنه بنعم)) (٢) .

والاستفهام الثاني : للإنكار التوبيخي والتعجيب من هذا التصرف .

وقال أبو السعود : (فأنى تؤفكون) لترتيب إنكار عدولهم عن التوحيد إلى الإشراك على ما قبلهما ، كأنه قيل وإذا تبين تفرده تعالى بالألوهية والخلق والرزق ، فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك (٣) .

- وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة فاطر ، آية 3 .

(٢) تفسير أبي السعود 142/7-143. وانظر: تفسير السمرقندي 3 / 93 ، وروح المعاني 22 / 166 ، وأضواء البيان 278/6، والتحرير والتنوير 254/22 - 255

(٣) تفسير أبي السعود 142/7 – 143 بتصرف .

وانظر: تفسير السمرقندي 93/3، وروح المعاني 166/22، وأضواء البيان 278/6، والتحرير والتنوير 255/22.

(٤) سورة القصص ، آية 57 .

أسلوب الاستفهام في الآية: ورد الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾) فالهمزة مقدمة من تأخير، والأصل: وألم نمكن لهم . دخلت على الواو العاطفة ، ثم أداة النفي (لم)، والمراد من الاستفهام أنه للتقرير والإفحام والإنكار والتكذيب:

- يقررهم ويمتن عليهم بأن جعل حرمهم آمناً مستقراً.
- ويفحمهم بهذا التقرير بإبطال عذرهم الذي أبدوه.
- وينكر عليهم ويكذبهم في دعواهم التي أعلنوها[١].

**دلالة الآيات:**

1- دلت الآية على أن الرزق بيد الله، ووفق مشيئته، فهو – جلّ وعلا – يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيقه على مَنْ يشاء، وقدجاء التعبير بأسلوب الاستفهام ، والمراد للاحتجاج والإنكار التوبيخي لأولئك الذين يسندون ما يصيبونه من رزق إلى علمهم وخبرتهم ومهارتهم ، متغافلين أن الله تعالى هو الرازق ، وأنهم يلجأون إليه في الضرّ.

وفي هذا آية عظيمة ودلالة واضحة لأهل الإيمان الذين يدركون حكمة الله في سعة الرزق وضيقه وانقسام الناس إلى أغنياء وفقراء، وأنه تعالى أعلم بحال عبيده، فقد يضيق الرزق لطفاً بهم ؛ لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض . فيكون تعالى مراعياً في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم وفلاحهم[٢].

والرزق كما دلت عليه الآية من صفات الله تعالى الفعلية القائمة بذاته، المتعلقة بمشيئته وقدرته، فبيَّن أن بسط الرزق وتضييقه وفق مشيئته تعالى.

2- أن الله تعالى متصف بكمـــال الخلق والرزق ، فنفى تعالى أن يكون خالق سواه ، كما قال: ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ ؟ ، كما دلت الآية على أنه الرازق وحده ، وأن الخلق في غاية الاضطرار إليه تعالى فقال : ( يرزقكم من السماء ) ، فدل المضارع ( يرزقكم ) على تجدّد الرزق شيئاً بعد شيء [٣] ، ولذا جاء النداء الرباني في صدر الآية عاماً لجميع

---

(١) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام 201/3.

(٢) انظر: تفسير الطبري 45/21، وتفسير ابن كثير 58/4، وتفسير السعدي 331/4.

(٣) انظر : دلائل الإعجاز للجرجاني 1 / 143 ، والبرهان في علوم القرآن 4 / 67 ، والإتقان في علوم القرآن 578/1.

الناس بتذكر نعمة الله عليهم التي يدخل فيها جميع الخلق ، وتلك النعم هي : الخلق والرزق.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – : (( يأمر الله جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم وهــذا شامل لذكرها بالقلب اعترافاً ، وباللسان ثناءً ، وبالجوارح انقياداً ، فــإن ذكر نعمه تعالى داع لشكره ، ثم نبههم على أصول النعم ، وهي : الخلق ، والرزق...)) [1].

كما دلت الآية على عموم خلقه، فيدخل في ذلك أفعال العباد دخولاً أولياً ، حيث نفى الله تعالى أن يكون خالق ســواه ، فقال : ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ .

ونجد أن المعتزلة تنكر أن يكون الله تعالى خالقاً لأفعال العباد، وتزعم أن العبد يخلق فعل نفسه.

قال القاضي عبد الجبار – في جوابه عن دلالة الآية على أنه لا خالق إلا الله – : ((والجواب عن ذلك: أنه لم يطلق القول في ذلك إطلاقاً بل علقه بالرزق، وعندنا لا خالق إلا الله يرزقنا ألْبتة؛ لأن غير الله وإن كان يفعل فلا يجوز أن يفعل الرزق ... ونفي الخلق على الإطلاق ليس بنفي الفعل ))[2].

فيظهر من جوابه أن الله تعالى نفى أن يكون خالق سواه يرزقكم من السماء والأ رض، و لم ينفِ أن يكون العبد يفعل استقلالا .

وقال الزمخشري في تفسيره للآية : (( ... فإن قلت ما محل ( يرزقكم ؟ ) قلت : يحتمل أن يكون لــه محل إذا أوقعته صفة لخالق ، وأن لا يكون لــه محلّ إذا رفعت محل من خالق بإضمار يرزقكم ، وأوقعت يرزقكم تفسيراً لــه ، أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله تعالى : ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ ، فإن قلت : هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى؟ قلت: نعم إن جعلت (يرزقكم) كلاماً مبتدأ ، وهو الوجه الثالث ، وأما على الوجهين

---

(١) تفسير السعدي 684/1.

(٢) متشابه القرآن ص 571.

الآخرين وهما: الوصف والتفسير فقد قيَّد فيهما بالرزق من السماء والأرض ، وخــرج من الإطلاق ، فكيف يستشهد به على اختصاصه ؟))[1].

فنلحظ أن الزمخشري أخفى معتقده القدري الفاسد بما أورد من أوجه ، فنلحظ الوجه الأول: على أنَّ (يرزقكم) صفة لخالق .

والوجه الثاني: أنَّ (يرزقكم) تفسير لخالق.

وهذان المعتقدان يطابقان معتقده في إثبات خالق غير الله، وهو العبد الذي يخلق فعل نفسه.

والوجه الثالث: وهو الحق وأن الله تعالى هو المتفرد بالخلق ، لكن الزمخشري أخره في الذكر تناسياً لـــه، والحق الذي يدل عليه السياق أن الاستفهام في الآية استفهام إنكار متضمن معنى النفي، أي: لا خالق ولا رازق إلا الله وحده.

كما دلت الآية على تفرد الله – تعالى – بالألوهية والعبودية، حيث نفى الله – تعالى – أن يكون الخلق والرزق إلا منه – تعالى –، فدل على أنه المستحق للعبادة وحده؛ ولذا قال : (فأنى تؤفكون) أي: كيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة المخلوق المرزوق ؟.

قال الطبري – رحمه الله –: (( ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾ التي أنعمها عليكم، فكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها ﴿ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فتعبدون دونه ؟ ( لا إله إلا هو ) يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض ... ))[2].

وقال الشنقيطي[3] – رحمه الله –: (( الاستفهام في قولـــه : ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ إنكاري فهو مضمن معنى النفي ، والمعنى : لا خالق إلا الله وحده ، والخالق هو المستحق

---

(١) الكشاف ص 880.

(٢) تفسير الطبري 437/20 – 438.

(٣) هو : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، المفسر، الأصولي، من علماء شنقيط، حج سنة 1367هـ ، واستقر في المدينة النبوية ، من مصنفاته : ( أضواء البيان ) ، و (منع جواز المجاز) ، توفي في مكة المكرمة 1393هـ.
انظر: مشاهير علماء نجد ص 540، ومعجم المؤلفين 146/3، والأعلام 45/6.

للعبادة))[١].

3- أخبر الله - تعالى – عن حال المشركين من كفار قريش حينما تعللوا لعدم الإيمان برسالة المصطفى ﷺ ، وما جاء به من التوحيد ونبذ الشرك، تعللوا بخشيتهم من أن يقصدهم أحياء العرب بالأذى والمحاربة والعداء.

فأنكر الله عليهم وكذبهم ، وردّ على دعواهم من جانبين:

الأول منهما: أن الله – تعالى – اختصهم بنعمة الأمن التام، حيث جعلهم متمكنين في آمَن مكان على وجه الأرض، وهو مكة : (( فلا يقطع شجرها، ولا تلتقط ساقطتها، ولا يصاد صيدها، ولا يسفك فيها دم، وهذه الخصائص لا توجد في غيرها من البلاد))[٢].

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله -: (( يقول الله لنبيه: فقل : أو لم نُوطئ لهم بلداً حرّمنا على الناس سفك الدماء فيه، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء، وأمنّا على أهله من أن يصيبهم بها غارة، أو قتل، أو سباء ؟ ))[٣].

والآخر: نعمة الرزق ، فإن الله تعالى هو الرزّاق الذي أسبغ عليهم تلك النعمة فكانت الأرزاق تفد ((إليهم من كل مكان، من الثمرات، والأطعمة، والبضائع، ما به يرتزقون ويتوسعون ليتم لهم الأمن والرغد))[٤].

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله -: ((بيّن الله نعمته عليهم الظاهرة والباطنة، فإطعامهم من الجوع وقاية من الهلاك، أمر باطن، ووقايتهم من الخوف في الأمر الظاهر؛ لأن الخوف ظاهر، إذا كانت البلاد محوطة بالعدو))[٥].

يتبين لنا أن الآية دلت على كمال الملك والتصرف لله تعالى، فالأمن تحت ملكه وتصرفه –تعالى-، كما دلت على اتصاف الله تعالى بكمال الرزق فهو من الصفات الفعلية المتعلقة بقدرته ومشيئته تعالى ، وقد جاء التعبير بالاستفهام الإنكاري والتكذيبي .

(١) أضواء البيان 278/6.

(٢) تفسير جزء (عمّ) للشيخ ابن عثيمين ص 327.

(٣) انظر: تفسير الطبري 601/19.

(٤) تفسير السعدي 33/4.

(٥) تفسير جزء (عمّ) ص 327.

## المطلب الخامس : الإحيـــــاء

### معنى الإحياء في اللغة:

قال ابن فارس : (( الحاء والياء والحرف المعتل أصلان : أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة ))(١).

والحيّ من كل شيء : نقيض الميت ، والجمع أحْياء ، والحي من النبات ما كان طرياً يهتز.

وفي التنـــزيل: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ (٢) أي: دار الحياة الدائمة.

وإحياء الأرض: مباشرتها بتأثير شيء فيها من إحاطة ، أو زرع ، أو عمارة ، وإحياء الليل: السهر فيه بالعبادة وترك النوم.

والحياة : ضد الموت، والإحياء ضد الإماتة . ويتضمن الإحياء في لغة العرب: الإحياء بعد الموت، والإحياء المعنوي كإحياء الليل بمعنى السهر للعبادة، وإحياء الأرض بمعنى إخراج النبات فيها(٣).

### معنى الإحياء في الشرع:

ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - لفظ ( الإحياء ) بعدة تصرفات بالفعل مثل: أحيا، يحيي، نحيي، وباسم الفاعل ( المحيي ).

ومعناه في الشرع لا يخرج عن معناه اللغوي، فيطلق على عدة معاني:

منها: إحياء الميت؛ بإيجاد الحياة فيه، كقول الله تعالى:﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ ﴾(٤).

ومنها: الإحياء بالإيمان، كقول الله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٥).

---

(١) معجم مقاييس اللغة 122/2 (حيا)، وانظر: تهذيب اللغة 188/5.

(٢) سورة العنكبوت ، آية 64 .

(٣) انظر : لسان العرب 14/211-216 (حيا).

(٤) سورة الحجر ، آية 23 .

(٥) سورة الأنعام ، آية 122.

ومنها: إبقاء النفس المعصومة كقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١)، وغيرها.

والإحياء المضاف إلى الله تعالى كما تقدم، صفة فعلية من صفات الرب – تعالى – قائمة بذات الرب، ومتعلقة بقدرته ومشيئته.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: معلوم بالسمع اتصاف الله تعالى بالأفعال الاختيارية القائمة به، كالاستواء إلى السماء، والاستواء على العرش، والقبض، والطي، والإتيان، والمجيء، والنـــزول، والخلق، والإحياء، والإماتة .(٢).

ثم ذكر رحمه الله تعالى أن أفعال الله نوعان:

1- لازم: كالنـــزول، والمجيء، وغيرهما.

2- متعدٍ: كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، ولا بد لهذا النوع من مفعولٍ يتعدي إليه وهو: المخلوق، المرزوق، بخلاف الأول(٣).

### معنى الإحياء عند المتكلمين:

معنى الإحياء عند الأشاعرة.

قال الرازي: واعلم أنه تعالى يحيي النطفة والعلقة بخلق الحياة فيهما، ويحيي الأرض بإنزال الغيث.. يحيي الأجسام بالأرواح (٤).

قال البيهقي: «المحيي ويختص بخلق الحياة»(٥).

ونلحظ من التعريفين السابقين، أنها تجعل الإحياء بمعنى الخلق، والخلق عندهم بمعنى المخلوق. وهو صفة بائنة من صفا ت الرب تعالى، فهم كما سبق لا يثبتون الصفات الفعلية التي تقوم بذات الرب.

---

(١) سورة المائدة، آية 32.

(٢) انظر: درء التعارض 3/2.

(٣) انظر: المصدر نفسه 3/2-5.

(٤) انظر: لوامع البينات ص 291.

(٥) شعب الإيمان 124/1.

قال شيخ الإسلام: (( الإحياء عندهم هو وجود الحياة في الحي من غير فعل يقوم بالرب، فقد جعلوه محيياً بوجود الحياة في غيره ))[١].

أما الماتريدية : فإنهم يرجعون صفة الإحياء وسائر صفات الأفعال إلى صفة التكوين [٢]. كما تقدم بيانه.

أما المعتزلة: فقالوا : إن الله تعالى حي بنفسه لا بحياة، ولذلك قال بعضهم: هو عالم قادر حيٌّ ولا أثبت له علماً ولا قدرة ولا حياة ، فهم ينفون صفات الله تعالى، وقد تأ وَّلوا الإحياء والإماتة على أنها مخلوق منفصل عن الله تعالى[٣].

وقد تمّ الرد على أقوال المتكلمين في صفة الخلق بما يُغني عن إعادته[٤] .

---

(١) الفتاوى 317/6.

(٢) انظر: التمهيد لأبي المعين النسفي ص28، شرح الفقه الأكبر ص 35.

(٣) مقالات الإسلاميين ص 166، شرح الأصول الخمسة ص165 وما بعدها.

(٤) انظر:ص44 من البحث نفسه.

## المطلب السادس: الإماتـــة

### تعريف الإماتة في اللغة:

قال ابن فارس: (( الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، منه الموت خلاف الحياة... والمَوتَان: الأرض لم تحيَ بعد بزرع، ولا إصلاح ))(١).

المَوْتُ والمَوَتَانُ ضد الحياة. ماتَ يَمُوتُ مَوْتاً ويَمات، والمَوات، بالفتح: ما لا روح فيه، والمَوات: الأرض التي لا مالك لها من الآدميين، ولا ينتفع بها أحد(٢).

### معنى الإماتة في الشرع:

ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ الإماتة، ويدور معناه الشرعي كما هو مراد في اللغة العربية.

منها: الموت الذي هو: مفارقة الروح للبدن.

قال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣).

قال ابن القيم – رحمه الله –: (( موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها))(٤).

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ (٥).

والإماتة الأولى: تعني معهم أموات في أصلاب آبائهم، والثانية: هو مفارقة الروح للجسد.

قال ابن القيم: (( فكانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم، وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور ))(٦).

---

(١) معجم مقاييس اللغة 283/5 (موت).

(٢) لسان العرب 90/2 (موت)، وانظر: المصباح المنير 583/2 (موت).

(٣) سورة البقرة، آية 28.

(٤) الروح ص 51.

(٥) سورة غافر، آية 11.

(٦) الروح ص 52.

ومنها: إطلاق الموت على الضلال كما قال الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [١].

قال ابن كثير – رحمه الله –: ((هذا مثل ضربه للمؤمن الذي كان ميتاً، أي: في الضلالة هالكاً حائراً، فأحياه الله أي: أحيا قلبه بالإيمان ... ))[٢].

ومنها: إطلاق الموت على الجماد، كالأصنام التي كان يعبدها المشركون ، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٢١ ﴾ [٣].

(أموات غير أحياء) أي: ((هي جمادات لا أرواح فيها، فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل))[٤].

ومنها: إطلاق الموت على الأرض الميتة التي لا نبات فيها . كما قال الله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ [٥].

أي: (( ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات ))[٦].

ويتبين مما سبق أن الإماتة صفة فعلية قائمة بالرب تعالى، متعلقة بمشيئته وقدرته.

**معنى الإماتة عند المتكلمين:**

تقدم ذكر موقف الأشاعرة من الصفات الفعلية للرب – تعالى– ، وأنهم يرون أنها مخلوقة منفصلة عن الله تعالى.

قال البيهقي: (( المميت: يختص بخلق الموت ))[١].

(١) سورة الأنعام ، آية 122.
(٢) تفسير ابن كثير 166/2.
(٣) سورة النحل ، آيتا 20 ، 21 .
(٤) تفسير ابن كثير 536/2.
(٥) سورة يس ، آية 33 .
(٦) تفسير ابن كثير 532/3.

أما الماتريدية، فكما تقدم بيان مذهبهم في صفات الأفعال ، وأنهم يرون أنها لا تتعلق بمشيئته واختياره، ويرجعونها إلى صفة التكوين.

أما المعتزلة: فهم لا يثبتون صفة الإماتة كصفة فعلية لله تعالى، بل يجعلونها مخلوقاً منفصلاً عن الله تعالى.

منهم من يرى الموت عرضاً وأن الإماتة إبطال الحياة وإزالتها كما ذهب إلى ذلك القاضي عبد الجبار[٢].

ومنهم من يرى الموت جسماً، وأن الإماتة إدخال الله – عز وجلّ – الجسم المضاد للحياة[٣].

وقد ورد وصف الله بالإحياء والإماتة في القرآن الكريم في مواطن متعددة ، منها ما ورد أسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٤].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ؟) . والأداة فيه : كيف ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، والتعجب[٥] من حالهم كيف يكفرون بالله تعالى ، وقد كانوا أمواتاً ؟ فمنَّ تعالى عليهم بالحياة ، فالواجب إفراده تعالى بالعبادة .

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١].

=

(١) شعب الإيمان 1/ 124.

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة ص 731.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين ص 424.

(٤) سورة البقرة ، آية 28 .

(٥) انظر: الصاحبي ص39، وزاد المسير 1/57، ومفتاح العلوم للسكاكي ص141، ومغني اللبيب ص371.

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَهُ ؟) .

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والنفي(٢) ، فلا يستوي حال مَنْ كان في ظلمات الكفر ، فأحياه الله بنور الإيمان كمن هو متخبط في ظلمات الكفر .

وقـول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٣).

ورد أسلوب الاستفهام بقوله تعالى: (أفلا تعقلون)؟ وأداته الهمزة (أفلا).

والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أتعلمون أن الله يحيي ويميت ويقلب الليل والنهار، فهلّا تدلكم عقولكم على العزيز العليم(٤).

دلالة الآيات:

دلت الآيات أن المتصرف بالحياة والموت هو الله وحده، كما أن المتصرف بالليل والنهار وعاقبهما وتناوبهما هو الله وحده، ويتضح من وجوه :

1- يُعجِّب الله تعالى عباده من وقوع الكفر منهم دون النظر إلى نعم الله التي أسبغها على عباده ، فحقه أ ن يشكروه بإفراده بالعبادة وحده . فكما لم يكونوا شيئاً قبل وجودهم ، فخلقهم الله تعالى ، وأحياهم ، ثم يميتهم بعد استكمال آجالهم ، ثم يحييهم يوم البعث والنشور(٥) .

2- ضرب الله تعالى مثلاً للإيمان والكفر بالحياة والنور والظلمة والموت ، ونفى المساواة بينهما فقال : أومَنْ كان كافراً ميت القلب مغموراً في ظلمة الجهل فهديناه لرشده ، ووفقناه للإيمان ، وجعلنا قلبه حياً بعد موته مشرقاً مستنيراً بعد ظلمته ، فجعل الكافر لانصرافه عن طاعته وجهله بمعرفته وتوحيده ، وشرائع دينه ، وترك الأخذ بنصيبه من رضاه والعمل

=

(١) سورة الأنعام ، آية 122 .
(٢) انظر : تفسير أبي السعود 180/3 ، وروح المعاني 18/8 .
(٣) سورة المؤمنون ، آية 80 .
(٤) انظر : التحرير والتنوير 106/18 .
(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص 446 .

بما يؤديه إلى نجاته وسعادته ، بمنْزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعه ، فهديناه للإسلام ، وأنعشناه به ، فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها ، ويعمل في خلاصها من سخط الله تعالى وعقابه ، فأبصر الحق بعد عماه ، وأتبعه بعد إعراضه عنه ، وجعل له نوراً يستضيء به ، فيمشي بنوره بين الناس كمن هو متخبط في ظلمات الكفر ميت القلب ، مغموراً في الجهل ، فلا يستويان مثلاً[١].

3- تدل الآية على البعث (( فإن من فعل هذه الأفعال من غير أصل لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائها، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه ))[٢].

ولذا أنكر الله تعالى على العقول التي لا تدين لله وحده، ولا تدرك قبح الشرك والكفر.

قال ابن القيم – رحمه الله –: (( واعلم أنه إن لم يكن حسن التوحيد وقبح الشرك معلوماً بالعقل، مستقراً في الفطر فلا وثوق بشيء من قضايا العقل، فإن هذه القضية من أجلّ القضايا البديهيات، وأوضح ما ركب في العقول والفطر، ولهذا يقول سبحانه عقيب تقرير ذلك ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ))[٣].

(١) انظر : إغاثة اللهفان 21/1 ، والوابل الصيب ص73 .

(٢) تفسير الطبري 62/19. وانظر نحو هذا: تفسير ابن كثير 253/3، تفسير السعدي 369/3.

(٣) مدارج السالكين 491/3.

## المبحث الثاني
## إقامة البراهين والأدلة على توحيد الربوبية

وفيه مطالب:
المطلب الأول: خلق الإبل والسماوات والأرض والجبال.
المطلب الثاني: آياتا الليل والنهار.
المطلب الثالث: خلق الإنسان.
المطلب الرابع: خلق الماء.
المطلب الخامس: خلق الفلك.
المطلب السادس: خلق الطير.
المطلب السابع: مَدُّ الظل .
المبحث الثامن : خلق النبات والنار .
الفصل الأول : توحيد الربوبية .
الفصل الثاني : توحيد الأسماء والصفات .
الفصل الثالث : توحيد الألوهية .

قبل الدخول في هذا المبحث، لا بد مِنْ أن نعرف، معنى الدليل والبرهان في أصل اللغة، واستعمالهما الشرعي.

**معنى الدليل والبرهان في اللغة:**

قال ابن فارس: « الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء ، فالأول قولهم : دللت فلان على الطريق، والدليل : الأمارة في الشيء»[(١)].

« والدليل : ما يُستَدلُّ به . والدَّليل : الدَّالُّ ، وقد دله الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة» [(٢)].

والبرهان : من « بَرْهَنَ يُبَرْهِنُ بَرْهَنَةً إذا جاء بحجة قاطعة، فهو مُبَرْهِن، والبرهان : الحُجَّة الفاصلة البينة، وجمع البرهان براهين. وقد برهن عليه: أقام الحجة» [(٣)] .

فالدليل إذاً هو: الموضح ، والمبين ، والبرهان : هو الحجة البينة .

**معنى الدليل والبرهان في الاصطلاح:**

وقد عرّف أهل العلم الدليل والبرهان بعدة تعريفات ، تدور بمجملها في فلك واحد فمنها:

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -: « الدليل هو: المرشد إلى المطلوب، وهو الموصل إلى المقصود، وهو ما يكون العلم به مستلزماً للعلم بالمطلوب، وهو ما يكون النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علم، أو إلى اعتقاد راجح »[(٤)].

ويقول : « الدليل والبرهان هو المرشد إلى المطلوب ، والموصل إلى المقصود ، وكلما كان مستلزماً لغيره فإنه يمكن أن يستدل به عليه » [(٥)] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة 259/2 (دل).

(٢) لسان العرب 249/11 (دلل) ، وانظر: القاموس المحيط ص 1292 (دل)

(٣) لسان العرب 51/1 (برهن) ، وانظر: مختار الصحاح ص 21 ، والمصباح المنير 46/1 ..

(٤) الرد على المنطقيين – مطبوع ضمن الفتاوى – 9 / 156، والنبوات ص 259 ، والجواب الصحيح 503/6.

(٥) الرد على المنطقيين 209/9 .

ويتفق المتكلمون مع أهل السنة في تعريف الدليل.

قال الباقلاني – رحمه الله-: « الدليل ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه إلى معرفة ما لا يعلم باضطراره »[١].

وقال القاضي عبد الجبار – رحمه الله -:«الدليل هو ما إذا نظر الناظر فيه أوصله إلى العلم بالغير»[٢].

والإقرار بتوحيد الربوبية مركوز في الفطر لا يكاد ينازع في ه أحد من الأمم كما قال تعالى: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٣].

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٤].

وهذا في القرآن كثير، كما سيأتي توضيحه.

ولا يجحد هذا النوع من التوحيد إلا مكابر معاند؛ لأن دلائل ربوبيته تعالى واضحة للعيان. وقد أفصح الله تعالى عن هذا النوع من التوحيد، وأقام الأدلة والبراهين والآيات في كتابه على أنه تعالى : الخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت ، المدبر... ، والناظر في هذه الأدلة بعين البصيرة سيجد أن كثيراً ما يذكر توحيد الربوبية في كتاب الله ؛ ليْستدل به على وحدانية الله سبحانه وتعالى في العبادة ؛ وذلك لإلزام المشركين - لاعترافهم به - فيلزمهم أن يوحدوا الله في العبادة.

ومن هنا يتبين خطأ المتكلمين الذين بذلوا جهدهم ، وأتعبوا أنفسهم لتقرير توحيد الربوبية ، وأنكروا أن يكون الإقرار به مركوزاً في الفطر ؛ ولذا أطالوا البحث فيه ، وجعلوا أول واجب على المكلف هو النظر ، أو القصد إلى النظر ، أو الشك السابق على القصد.

(١) الإنصاف ص 25.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص 88.

(٣) سورة إبراهيم ، آية 10 .

(٤) سورة الزخرف ، آية 9 .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله-: ((وهم متنازعون في أن أول الواجبات : النظر المفضي إلى العلم بحدوث العالم، أو القصد إلى النظر، أو الشك السابق على القصد ))[1].

ومن ذلك قول الباقلاني : (( أن يعلم: أن أول ما فرض الله - عزّ وجلّ- على جميع العباد النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته ، والاستدلال عليه بآثار قدرته ، وشواهد ربوبيته))[2].

وقال القاضي عبد الجبار : (( أول ما أوجب الله تعالى عليك، النظر في طريق معرفة الله))[3].

وقال الجويني: (( أول ما يجب على العاقل البالغ، باستكمال سن البلوغ أو الحكم شرعاً، القصد إلى النظر الصحيح إلى العلم بحدوث العالم ))[4].

ومعلوم بطلان ما ذهبوا إليه بالكتـاب والسنة ، فإن القرآن الكريم ليس فيه أن النظر أول واجب على المكلف، وإنما النظر قد يجب وجوب الوسائل ، فيجب على بعض الناس في بعض الأحوال أو الأوقـات لمن لم يحصل لـه الإيمان إلا به ، أو من لا يؤدي واجباً إلا به[5].

كما أن النبي -ﷺ- لم يدعُ أحداً من الخلق إلى النظر في أول دعوته، وإنما دعا إلى الشهادتين، وبذلك أمر أصحابه ، كما قال في حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه – لما بعثه إلى اليمن ، قال : « إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله – تعالى ... ))[6] الحديث.

---

(١) درء التعارض 292/5.

(٢) الإنصاف ص 33، وانظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص 47.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص 45.

(٤) الإرشاد ص 3.

(٥) درء التعارض 8/8 بتصرف .

(٦) أخرجه البخاري – كتاب: التوحيد ، باب : ما جاء في دعاء النبي - ﷺ - أمته إلى توحيد الله – تبارك وتعالى [7372]. انظر: البخاري مع الفتح 347/13.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (( السلف والأئمة متفقون على أنَّ أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أنَّ من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجدد ذلك عقب البلوغ . والشهادة تتضمن الإقرار بالصانع تعالى وبرسوله، لكن مجرد المعرفة بالصانع لا يصير به الرجل مؤمناً، بل ولا يصير مؤمناً بأن يعلم أنه رب كل شيء حتى يشهد أن لا إله إلا الله ))[1].

(١) درء التعارض 11/8.

## المطلب الأول : دلالة خلق الإبل، والسماء، والجبال، والأرض على وحدانية الله

وردت هذه البراهين في أسلوب الاستفهام في القرآن :

كقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [١].

ورد في الآية أسلوبا استفهام:

الأول منهما: (أَوَلَمْ يَنظُرُواْ ؟) أداة الاستفهام الهمزة ، وقد اقترنت بالواو ولَمْ النافي ة ، والمراد منه : « الإنكار والتقريع ؛ لقصد التعجيب من إعراضهم عن النظر في الآيات البينة الدالة على كمال قدرته وتفرده بالإلهية »[٢].

والآخر: (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ؟) أداة الاستفهام ( أي ) ، والمراد منه : الإنكار والتبكيت لهم على إخلالهم بالمسارعة – قبل مماتهم [٣]، ويردف هذا الإنكار والتبكيت التعجبُ المشوب بالاستبعاد للإيمان بحديث آخر [٤] .

وقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٥].

ورد أسلوب الاستفهام بأداة الاستفهام (ما)، « والمراد من الاستفهام: (فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ؟) هو التأمل والاعتبار، ثم تفخيم المأمور المتأمَّل فيه وهو ملكوت السموات والأرض وما بينهما » [١].

---

(١) سورة الأعراف ، آية 185 .

(٢) فتح القدير للشوكاني 2 / 271 ، وانظر : تفسير أبي السعود 3 / 299 ، وروح المعاني للألوسي 128/9.

(٣) انظر : تفسير أبي السعود 299/3.

(٤) انظر : التحرير والتنوير 196/9 .

(٥) سورة يونس ، آية 101 .

وقد عمم ما في السماوات والأرض لتتوجه كل نفس إلى ما هو أقرب إلي ها وأيسر استدلالاً عليه لديها[٢] .

– وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [٣].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (ألم تروا) حيث اقترنت همزة الاستفهام بـــ ( لم ) النافية ، والمراد منه : التقرير . والامتنان على عباده بنعمه الظاهرة والباطنة التي أسبغها عليهم، الدالة على وحدانية الله تعالى [٤] .

– وقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [٥].

الاستفهام في الآية بقولـــه : (أفلم يروا؟) حيث اقترنت همزة الاستفهام بالفاء ، وَلَمْ النافية ، والمراد منه : الإنكار بعدم الرؤية لما بين يديه من السماء والأرض، ومن فيها من آيات وبراهين عيانية دالة على كمال قدرة الله ، والإنكار والتوبيخ من عدم التأمل والتفكر والاستدلال بهذه الآيات والبراهين المشاهدة على وحدانية الله تعالى.

وقـــول الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [٦].

=

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن 79/2.

(٢) انظر : التحرير والتنوير 295/11 .

(٣) سورة لقمان ، آية 20 .

(٤) انظر : التحرير والتنوير 174/21 .

(٥) سورة سبأ ، آية 9 .

(٦) سورة ق ، آية 6 .

ورد في الآية استفهام في قوله :

(﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ ؟ ) ، والأداة فيه الهمزة مقترنة بـــ ( الفاء و لم ) ، والمراد منه التقرير على مذهب الجمهور . ويردف عليه إنكار عدم تفكرهم واعتبارهم بتلك الدلائل الناصعة [(١)].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۝١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۝١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾ [(٢)] .

ورد أسلوب الاستفهام في الآيات وصُدر الاستفهام في الآية (أفلا)، والمراد منه الإنكار التوبيخي مع الحثّ على النظر والتأمل[(٣)] في آياته الكونية الدالة على كمال قدرته وخلقه ، المستوجبة لإفراده بالعبادة ، أي : أينكرون ما ذكر من البعث ، ويستبعدون وقوعه ، فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم كيف خلقت خلقاً بد يعاً وإلى السماء التي يشاهدونها، وإلى الجبال ... فينظرون نظر التدبر والاعتبار الدا ل على كمال قدرة الله والبعث والنشور[(٤)].

أما ورود (كيف) في الآيات، فهو استفهام صوري لفظي ، والمراد منه: الكيفية التي خلقها الله عليها.

**دلالة الآيات:**

أمر الله تعالى بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته، ومن ذلك الإبل التي خلقت خلقاً عجيباً وركّب بناء جسمها تركيباً غريباً فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل، وتنقاد للقائد الضعيف، وتؤكل وينتفع بوبرها، ويشرب لبنها، وقد نبّ ه الله تعالى عليها ؛ لأن العرب كانت غالب دوابهم الإبل[(٥)].

---

(١) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام 4/144- 145، وانظر : التحريروالتنوير 26/285 .

(٢) سورة الغاشية ، الآيات 17 – 20 .

(٣) انظر: التحرير والتنوير 30/304 .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود 9/150 – 151 .

(٥) تفسير ابن كثير 4/504 بتصرف .

وأمر بالنظر إلى الجبال ، كيف نصبت مع شموخها وصلابتها وارتفاعها الشاهق، فلا تميد ولا تهتز، فجعلها الله تعالى راسية حتى لا تضطرب الأرض بأهلها.

والنظر إلى الأرض كيف بسطت ومدّت، يسير عليها الإنسان المسافات الشاسعة، وقد ذُللت للمخلوقات لابتغاء فضل الله ورزقه . وإلى السماء كيف رفعت، فأمر بالنظر والتأمل كيف رفعت رفعاً عظيماً بلا حوامل، وبلا شقوق ولا صدوع ، وزينت للناظرين . فتلك دلائل عظيمة دالة على قدرة الله وكمال خلقه الدال على وحدانيته.

قال الإمام الطبري – رحمه الله –: (( يقول تعالى ذكره لمنكري قدرته على ما وصف في هذه السورة من العقاب والنكال الذي أعدّه لأهل عداوته ، والنعيم والكرامة التي أعدّها لأهل ولايته، أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قدرة الله على هذه الأمور إلى الإبل كيف خلقها ، وسخرها لهم وذللها ، وجعلها تحمل حملها باركة ثم تنهض به ، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار...))[1].

(( إن التأمل في تلك المخلوقات دال على قدرة الله تعالى على البعث حيث قال : ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ** ﴾ أراد أنها تنهض بأحمالها وهي باركـة ، وليس يفعل ذلك غيرها من الدواب ﴿ **وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ** ﴾ بينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام ، ﴿ **وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ** ﴾ مثبتة ﴿ **وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ** ﴾ ، يقول : أفلا ينظرون إلى هذه ، فيعلمون أن الذي خلق هذه الأشياء قادر على أن يبعثهم يوم القيامة ))[2].

قال ابن القيم – رحمه الله –: ((ومن لـه نظر صحيح، وفكر مستقيم، وأعطى التأمل حقه شهد بذلك فيما رآه وعلمه واستدل بما شاهده على ما خفي عنه، فإن الكل صنع الحكيم العليم، ويكفي في هذا ما يعلمه من حكمة خلق الحيوان ، وأعضائه ، وصفاته ، وهيئاته ومنافعه ، حيث قال : ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ** ﴾ إلى آخرها ،

(١) تفسير الطبري 165/30.

(٢) تفسير ابن زمنين 124/5، وانظر: تفسير العز بن عبدالسلام 447/3.

وكذلك جميع ما يشاهد من مخلوقات عاليها وسافلها وما بين ذلك إذا تأملها صحيح التأمل وجدها مؤسسة على غاية الحكمة ))[1].

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله -: (( ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾، هذا من قريب ما يستدركه العاقل من وجوه الأدلة من غير كثير استقصاء في عقل ومعاناة بدقيق فكر، وذلك أنه خطاب للعرب ، ومن سنة العربي أن يركب راحلته فيسير عليها فيما قرب من الأرض باغياً حاجته... فإذا خلا بالمكان لم يرَ إلا سماءً فوقه ، وأرضاً تحته ، وجبلاً عن يمينه، وجبلاً عن شماله، ومطية هو راكبها، فإذا تأمل هذه الأ شياء استبان فيها أثر الصنعة، ولطف الحكمة مما جمع الله من المرافق فيها ، وأن صانعها لطيف خبير ، عالم قدير ، حكيم عليم ... ))[2].

وهكذا تجد أيها القارئ الكريم أن التعبير القرآني في الاستدلال بهذه الأشياء على وحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة ، قد جاء بالاستفهام الإنكاري التوبيخي لهؤلاء الذين لم يستدلوا بها على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت ، ومن ثَمَّ استحقاقه وحده للعبادة . ويتضمن ذلك الاستفهام أيضاً ترغيبهم في إحسان التأمل والتفكر فيها وفي خلقها ؛ لأنها آيات كونية تهدي إلى الواحد المتفرد بالعبادة .

– كما أمر الله تعالى في آية (يونس) عباده بالنظر والتأمل والاعتبار في أعظم مخلوقاته تعالى ، وهي السموات وما تحتويه من عجائب من شمس وقمر وكواكب ...، ففي ذلك دلالة على مبدعها وخالقها سبحانه، فإذا أقر بذلك فلا بد من صرف العبادة له وحده.

قال الإمام الطبري – رحمه الله -: (( انظروا أيها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله ، من شمسها وقمرها ، واختلاف ليلها ونهارها ، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها ، وفي الأرض من جبالها ، وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها ، وسائر صنوف عجائبها ؛ فإنَّ في ذلك لكم – إن عقلتم وتدبرتم – موعظةً

(١) انظر: الصواعق المرسلة 1566/4.

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية 181/1.

ومعتبراً ، ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون لـــه في ملكه شريك ، ولا لـه على تدبيره وحفظه ظهير ، يغنيكم عما سواه من الآيات ))[١].

كما أننا نجد أن المتكلمين يستدلون بهذه الآية وما في معناها على وجوب النظر.

قال التفتازي[٢] من الماتريدية : (( واعلم أنه لما كان المقصود وجوب النظر شرعاً وقد وقع الإجماع عليه كما صرحوا به ... كقوله تعالى : ﴿ **فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ** ﴾ [٣]، ﴿ **قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ** ﴾ ))[٤].

ويجاب عن ذلك في صيغة سؤال : فهل الدخول في الإسلام يحتاج إلى نظر واجب أو مستحب ؟ وهل النظر واجب على كل أحد ؟

والجواب الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة خلاف ذلك ، فقد بين النبي – ﷺ – أول واجب على المكلف ، وما يكون به عصمة الدم والمال بقوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم »[٥]، فحكم بصحة إيمانهم بالدعاء إلى الشهادتين، والإجابة إليها من غير أن يوجد منهم نظر واستدلال))[٦].

– لفت الله الأنظار إلى دلائله في هذا الكون كما في آية (ق) ، بل إلى أعظمها خلقاً وهي السموات ، ودعا إلى تأملها والنظر في عجيب خلقها ، فليس فيها شقوق ولا تصدع

---

(١) تفسير الطبري 175/11.

(٢) هو: سعد الدين مسعود بن عمر التفتاز ني ، الشافعي ، الماتريدي ، من مصنفاته : ( شرح العقائد ) ، و(الفتاوى الحنفية ) ، توفي سنة 792هـ .

انظر: طبقات المفسرين للداودي 301/1.

(٣) سورةالروم، آية 50 .

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام 47/1، وانظر: المواقف 148/1.

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : قوله : ﴿ **فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡ** ﴾. [25].

انظر : البخاري مع الفتح 75/1 .

ومسلم في صحيحه – كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله [21] 52/1.

(٦) درء التعارض ، نقلاً عن أبي يعلى في عيون المسائل 37/9.

ولا تفطر، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تعظيم شأن كيفية بنائه تعالى للسماء ، وتزيينه لها وكونها لا تصدع ولا شقوق فيها ، فإن في ذلك آية عظيمة على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته وخلقه.

وقد جاء التعبير القرآني بالاستفهام الإنكاري التوبيخي لهؤلاء الذين لم يستدلوا ببناء الله للسماء وتزيينه لها على صحة ما جئتهم به ، وعلى قدرته تعالى على بعثهم بعد الموت .

كما أن الآية دلت على قدرته تعالى على البعث والإعادة للخلق ، التي أنكرها الذين كفروا، ووصفوا ذلك بأنه رجع بعيد.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله –: (( لما ذكر تعالى حالة المكذبين وما ذمهم به دعاهم إلى النظر في آياته الأفقية كي يعتبروا، ويستدلوا بها على ما جعلت أدلة عليه . فقال: ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ** ﴾. أي: لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة وشد رحل ، بل هو غاية السهولة فينظروا (كيف بنيناها) قبة مستوية الأرجاء ، ثابتة البناء ، مزينة بالنجوم الخنس، والجواري الكنس التي ضربت من الأفق إلى الأفق في غاية الحسن والملاحة ، لا ترى فيها عيباً ، ولا فروجاً ، ولا خلالاً ، ولا إخلالاً... ))[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (( وقال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا** ﴾ ، فالآيات المخلوقة والمتلوة تبصرة وفيها تذكرة، تبصرة من العمى، وتذكرة من الغفلة، فيُبصر من لم يكن عرف حتى يعرف، ويُذكر من عرف و نسي، والإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة ، ويظهر لـه في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر لـه قبل ذلك... ))[2].

– وردت آية (الأعراف) في سياق الرد على المشركين كما يتضح ذلك في الآية السابقة: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ** ﴾ [3] .

---

(١) تفسير السعدي 804/1.

(٢) الفتاوى 236/7 .

(٣) سورة الأعراف ، آية 184 .

فجاء الرد بأسلوب الاستفهام في موضعين ، أفاد فيهما الإنكار والتقريع أو الإنكار والتبكيت مع الترغيب في التأمل والاعتبار بالنظر في ملكوت [1] السموات والأرض على وجه العموم، والتأمل في مخلوقاته تعالى على وجه الخصوص . ففيها أعظم دلالة على تفرده في الخلق والتدبير الموجبة لإفراده بالوحدانية والعبادة [2] ، وحثهم على المسارعة قبل حلول الأجل وهم في غفلة من ذلك[3]، ولن يجدوا حديثاً آخر يهديهم إلى الإيمان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عند حديثه عن هذه الآية وغيرها : (( وهذا كثيرٌ في القرآن : يأمر ويمدح التفكر والتدبر والتذكر والنظر والاعتبار، والفقه والعلم والعقل... ونحو ذلك من أنواع العلم وأسبابه وكماله، ويذم أضداد ذلك ))[4].

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله -: (( (فبأي حديث بعده يؤمنون) يقول: (فبأي ) تخويف، وتحذير، وترهيب، بعد تحذير محمد ﷺ وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله، أي كتابه، ويصفونه بهذا الكتاب الذي جاءهم به محمد ﷺ من عند الله ))[5].

- يقرر الله تعالى عباده ممتناً عليهم بتسخيره ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم، وشمس، وقمر، وما خلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وما خلق في الأرض من: قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار [6] ونحوها ، ( كما في آية لقمان ) .

كما دلت الآية على امتنان الله على عباده، بأن غمرهم بنعمه الظاهرة التي يعلم ونه ا، والباطنة التي تخفى عليهم ، ملميوجب شكر المنعم بها .

---

(١) ملكوت: ملك، والواو والتاء زائدتان للمبالغة مثل الرحموت والرهبوت من الرحمة والرهبة. انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن 193/1.

(٢) انظر : تفسير الطبري 9 / 136 ، وتفسير ابن كثير 271/2 ، وتفسير السعدي 310/1 ، وأضواء البيان 334/4.

(٣) والنظر في الآية يقصد به التفكر والاعتبار؛ لأنه ع دي بـــ ( في ) . انظر : حادي الأرواح لابن القيم 204/1.

(٤) الاستقامة 159/2.

(٥) تفسير الطبري 136/9.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير 451/3.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله – : ((يمتن تعالى على عباده بنعمه ويدعوهم إلى شكرها وعدم الغفلة عنها، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم بمحبة المنعم والخضوع لـه ، وصرفها في الاستعانة على طاعته وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته...))[1].

– وبخّ الله تعالى في آية ( سبأ ) الكفار على عدم تفكرهم ونظرهم إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض وإحاطتها بهم من كل جانب ؛ ليستدلوا بذلك على إفراد الله بالعبودية وكمال قدرته على كل شيء .

قال ابن كثير – رحمه الله– : ﴿ **أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ قال: إنك إن نظرت عن يمينك ، أو عن شمالك ، أو من بين يديك ، أو من خلفك ، رأيت في السماء والأرض وما فيهما من المخلوقات دلالة ساطعة على آية وعلامة خالقها وكمال قدرته ، واستحقاقه وحده للعبادة [2].

كما دلت الآية على إثبات المشيئة لله – تعالى – واتصافه تعالى بها : ﴿ **إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ** ... ﴾ الآية ، وأنها من صفاته الفعلية. فإنزال العقوبة عليهم وتعذيبهم بخسف ما تحت أقدامهم من الأرض، أو قذف ما يهلكهم من السماء أمر لا يعجز الله ؛ لأن الأرض والسماء تحت تدبيره وأمره ومشيئته.

---

(١) تفسير السعدي 649/1 .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير 527/3، وتفسير السعدي 676/1.

## المطلب الثاني : تقلب الليل والنهار وما فيهما من الآيات الدالة على وحدانية الله

وردت هذه البراهين في أسلوب الاستفهام في مواطن عديدة من القرآن :

كقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (ألم يروا) ، فقد اقترنت همزة الاستفهام بـــ ( لَمْ ) النافية ، والمراد منه : التقرير ، فإن الله تعالى أنكر عليهم وعاتبهم إذ لم ينتفعوا في الدنيا قبل هذا الموقف برؤية الآيات العيانية الدالة على وحدانية الله.

- وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [(٢)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام (ألم تر)، والمراد منه: التقرير، والامتنان، والإلماح إلى كمال قدرة الله – عز وجل[(٣)].

دلالة الآيتين:

ذكر الله تعالى أن آيتي الليل والنهار، من الآيات والدلائل العظيمة الدالة على قدرة الله التامة، وسلطانه العظيم، المستوجب إفراده بالعبادة.

قال ابن عطية[(٤)] – رحمه الله –: ((هذا تنبيه من الله تعالى على آيات وعبر متى تأملها العاقل أدته إلى توحيد الله والإقرار بربوبيته))[(٥)].

---

(١) سورة النمل ، آية 86 .

(٢) سورة لقمان ، آية 29 .

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام 257/3.

(٤) هو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، المفسر، كان إماماً في الفقه، والتفسير، والعربية، كان واسع المعرفة، قوي الأدب، متفنناً في العلوم. توفي سنة 541هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء 587/19.

(٥) المحرر الوجيز 566/4.

ويوضح ابن القيم – رحمه الله – دلالة تلك الآيتين : (( فانظر إلى هاتين الآيتين وما تضمنته من العبر والدلالات على ربوبية الله وحكمته، كيف جعل الليل سكناً ولباساً يغشى العالم، فتسكن فيه الحركات، وتأوي الحيوانات إلى بيوتها، والطير في أوكارها، وتستجم فيه النفوس، وتستريح من كد السعي والتعب ، حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وسباتها وتطلعت إلى معايشها وتصرفها جاء فالق الإصباح – سبحانه وتعالى – بالنهار يقدم جيشه بشير الصباح ، فهزم تلك الظلمة ومزقها كل ممزق ، وكشفها عن العالم، فإذا هم مبصرون، فانتشر الحيوان ، وتصرف في معاشه ومصالحه ، وخرجت الطيور من أوكارها ، فيا لـه من معاد، ونشأة دالة على قدرة الله – سبحانه – على المعاد الأكبر ))[١].

- كما دلت آية ( لقمان ) على انفراد الله – تعالى – بكمال التصرف والتدبير، وذلك بإيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل، أي: إدخال أحدهما في الآخر.

وكذلك تسخير الشمس والقمر فهما يجريان بتدبير ونظام لا يختل، ليقيم بذلك من مصالح العباد ومنافعهم في دينهم ودنياهم، حتى إذا جاء الأجل الذي قدره الله انقطع جريانهما، وتعطل سلطانهما ، وذلك يوم القيامة[٢].

جاءت آية الليل والنهار والشمس والقمر بأسلوب الاستفهام التقريري لحمل المخاطَب على الاعتراف بوحدانيته ووجوب عبادته وحده لا شريك لـه ، وإثبات قدرته تعالى على بعثهم بعد الموت .

(١) مفتاح دار السعادة 203/1.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي 27/3، وروح المعاني للألوسي 103/21، وفتح القدير 244/4 ، و تفسير السعدي 651/1 .

## المطلب الثالث: دلالة خلق الإنسان وانتقاله من حال إلى حال على وحدانية الله

وقد جاءت في أسلوب الاستفهام في عدة مواطن من القرآن :

كقول الله تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[١].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (أفلا تبصرون)؟ وذلك بدخول همزة الاستفهام على (الفاء) العاطفة المقترنة بـــ ( لا ) النافية ، والفعل المضارع (تبصرون)، ونظائره كثيرة في كتاب الله تعالى[٢].

« والمعنى المراد من الاستفهام، فيه مذهبان للغويين:

الأول: مذهب الجمهور، وهو أن الهمزة مقدمة من تأخير؛ لأن الاستفهام لـــه الصدارة، ويكون المراد منه التقرير؛ لأن نفي النفي إثبات.

الثاني: مذهب الزمخشري، وهو أن الهمزة قارة في مكانها ومدخولها محذوف وهو ما عطفت عليه أداة العطف (الفاء)، فيكون المراد منه الإنكار، لكن المنكر المقدر الذي وَلِيَ الهمزة والفعل المضارع »[٣].

كما قدره أبو السعود: (ألا تنظرون فلا تبصرون)[٤]، وكذلك إنكار الإبصار المترتب على إنكار النظر.

وقول الله تعالى : ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[٥] .

ورد في الآيات ثلاثة استفهامات :

الأول : في قوله تعالى : (أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ ؟) .

الثاني : في قوله تعالى : ( ...أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ؟ )

---

(١) سورة الذاريات ، آية 21 .

(٢) (أفلا تعقلون)، (أفلا تذكرون) ونحوها.

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام 153/4.

(٤) تفسير أبي السعود 139/8، وانظر : التحرير والتنوير 353/26 .

(٥) سورة الطور ، آيتا 35 – 36 .

الثالث : في قوله تعالى : (أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ؟ ) .

و(أم ) في الآيتين منقطعة تقدر بـــ(بل) والهمزة [1].

والمراد من الاستفهامات الثلاثة : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة ، فإذا بطل أنكم خُلقتم من غير شيء ، وأ نكم الخالقون لأنفسكم ، ولا أنكم خلقتم السموات والأرض ، تقرر أن الله تعالى هو خالقكم ، فأقروا له بالعبودية التامة[2] .

وقول الله تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾[3].

ففي هذه الآية يخاطب العقل والوجدان ، ليتأمل قدرة الله تعالى وعظمته، الدالة على وحدانيته وإفراده بالعبادة.

ففي مطلع هذا الحوار، ذكر الله تعالى أصل خلق الإنسان وحقارته، من مني يُمْنى حتى يصير إنساناً كامل الخلقة.

وصور الاستفهام في الآيتين:

(أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ؟)

(ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ؟)

وأداة الاستفهام في : الأول الهمزة المقترنةبالفاء ، والثاني الهمزة ومعها ( أم )[4].

والمراد من الأول بمعنى : أخبروني [5].

والثاني: (ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ ؟) للإنكار التوبيخي والتقريع [6].

فهنا نبه الله تعالى إلى أصل خلقه الإنسان، وأنكر أن يشاركه أحد في خلقها ، ثم قرر تعالى تفرده بالخلق ، ثم ذكر تعالى التأمل والنظر إلى كمال خلق الله تعالى .

---

(١) انظر : بدائع الفوائد 212/1 ، وفتح القدير 101/5 ، والتحرير والتنوير 67/27 .
(٢) انظر : الفتاوى 164/19 ، والتحرير والتنوير 67/27 .
(٣) سورة الواقعة ، آيتا 58 – 59 .
(٤) التحرير والتنوير 114/27.
(٥) انظر : الإتقان للسيوطي ص359 ، أساليب الاستفهام في القرآن ص 35 .
(٦) انظر: لتفسير البلاغي للاستفهام 221/4 .

وقول الله تعالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[(١)] .

ورد في الآيتين أسلوبا الاستفهام :

الأول: في قوله تعالى : ( ... مَآ أَكْفَرَهُۥ ؟) ، والأداة فيه : ما ، والمراد منه : التعجب أي : ما أشد كفره مع كثرة إحسان الله تعالى إليه [(٢)].

الثاني: في قوله : (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ؟) ، والأداة فيه : أي ، والمراد منه : التقرير ، وهو حمل المخاطب بالاعتراف بمضمون الجملة وهو حقيقة خلقه ومهانته[(٣)] .

وقول الله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾[(٤)].

جاء أسلوب الاستفهام (...مِمَّ خُلِقَ؟) بـــ( ما ) المقترنة بحرف الجر ( مِنْ ) ، والمراد منه التنبيه والتفكر في مبدأ فطرته، والتحقير، فلينظر إلى أصل خلقته من ماء مهين[(٥)].

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [(٦)] .

دخلت همزة الاستفهام على أداة النفي ( لم ) ، فعاد النفي إثباتاً وتقريراً .

قال الشنقيطي – رحمه الله –: « ووجه انقلاب النفي إثباتاً أن الهمزة إنكارية فهي مضمنة معنى النفي، فيتسلط النفي الكامن فيها على النفي الصريح في (لم) فينفيه، ونفي النفي إثبات، فيؤول إلى معنى الإثبات »[(٧)].

فمعنى الاستفهام التقرير[(٨)] والتثبيت بحمل المخاطب على الاعتراف بمضمون جملة الاستفهام وما يستلزمه ذلك ، وامتنان بتذكيره بنعم الله تعالى عليه ، كما عطف على العينين

(١) سورة عبس ، آيتا 17 – 18 .
(٢) انظر : تفسير البغوي 448/4، والمحرر الوجيز 43/15، وتفسير الخازن 210/7، وفتح القدير 384/5 .
(٣) انظر : المصادر نفسها .
(٤) سورة الطارق ، آية 5 .
(٥) انظر: تفسير أبي السعود 141/9، والتحرير والتنوير 261/30، وأساليب الاستفهام في القرآن ص361.
(٦) سورة البلد ، آية 8 .
(٧) أضواء البيان 82/4.
(٨) انظر : تفسير الجلالين 808/1، وتفسير السعدي 925/1 ، والتحرير والتنوير 353/30 .

﴿ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [1].

دلالة الآيات:

تفيد آية (الذاريات) أن في خلق الإنسان من الدلائل والآيات ما يدل على وحدانية الله تعالى، وأنّ هذه النفس البشرية وما تحتويه من عجائب ، وما يمرّ به خلق الإنسان م ن أطوار في بطن أمه إلى خروجه إلى الحياة الدنيا إنساناً سوياً في أحسن تقويم ، إنّ في ذلك لآيات قاطعة على وحدانية الله تعالى ، وأنه الخالق المبدع وحده ؛ فلزم الإقرار له بالعبودية وحده.

فلذا أرشد الله عباده في الآية السابقة إلى التأمل في النفس، حيث ق ال :﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [2] ، وكما أن في الأرض دلائل وآيات ، حيث قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾ [3]، ففي أنفسكم آيات ناطقات على وحدانية الله.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله– : ((وهذا الدليل –وهو خلق الإنسان من علق– يشترك فيه جميع الناس . فإن الناس هم المستدلون ، وفي أنفسهم الدليل والبرهان والآية . فالإنسان هو الدليل وهو المستدل ، كما قال تعالى : ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ ))[4].

وقال ابن جرير الطبري – رحمه الله –: (( معنى ذلك: (وفي أنفسكم) أيضاً أيها الناس آيات وعبر تدلكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذا كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم (أفلا تبصرون ؟ )، يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم )) [5].

– كما أقام الله تعالى الدليل القاطع الدال على كمال خلقه ا لمستلزم إفراده بالعبادة وحده ؛ وذلك بدليل السبر والتقسيم .

---

(١) سورة البلد ، آيتا 9 – 10 .

(٢) سورة الذاريات ، آية 20 .

(٣) سورة الذاريات ، آية 21 .

(٤) الفتاوى 262/16. وانظر – بنحو هذا – النبوات ص 70.

(٥) تفسير الطبري 420/22.

يقول الشنقيطي - رحمه الله - : ‹‹ يقول : لا يخلو الأمر من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح:

الأولى: أن يكونوا خُلقوا من غير شيء ، أي : بدون خالق أصلاً .

الثانية: أن يكونوا خلقوا أنفسهم .

الثالثة: أن يكون خلقهم خالق غير أنفسهم ، ولا شك أن القسمين الأولين باطلان، وبطلانهما ضروري كما ترى، فلا حاجة إلى إقامة الدليل عليه لوضوحه ، والثالث هو الحق الذي لا شك منه، وهو خالقهم المستحق منهم أن يعبدوه وحده جل وعلا››[(١)].

- كما دلت آية (الطارق) على كمال قدرة الله بخلق الإنسان من ماء مهين في أطوار مختلفة، فهنا أرشد الله تعالى العقول بالنظر والتفكر في أصل خلقه الإنسان ، فأمره بالنظر : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ؟ ﴾ ، وقال : (مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ؟) ، فليتأمل في نفسه فهو الدليل والمستدل.

ثم جاء جواب الاستفهام ما يوضح ذلك : ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾، وقال: ﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [(٢)]، فأصل خلقته من ماء مهين ، فإذا كان الله تعالى هو الخالق وحده فلا بد للمخلوق من أن يُفرده بالعبادة ، وقد وصفه الله تعالى بشدة كفرانه لنعم الله ومعاندته للحق؛ فلا بد من التأمل والاستدلال بكمال خلقه على إفراده بالعبادة .

قال ابن منده: ‹‹ ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله وأنه مخرج النطفة إلى الرحم بنقلهم من حال إلى حال ، قال تعـالى : **﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾**[(٣)]››[(٤)].

---

(١) أضواء البيان 494/3 ، وانظر : تفسير الطبري 23/27 ، وتفسير السعدي ص 816 .
(٢) سورة عبس ، الآية 18 .
(٣) سورة الطارق ، الآيات 5 – 8 .
(٤) التوحيد 227/1.

كما استدل أهل العلم –عليهم رحمة الله– بالآية على البعث؛ فإن من قدر على البداءة ، فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما وضح ذلك:﴿ **إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ** ﴾[1] .

قال الطبري – رحمه الله –: (( فلينظر الإنسان المكذب بالبعث بعد الممات، المنكر قدرة الله على إحيائه بعد مماته ... ))[2].

– دلت آية (البلد) على كمال خلق الله تعالى وقدرته ، حيث امتن الله تعالى على عباده بأن أحسن خلق الإنسان ، وجعل لـــه عينين يبصر بهما فيعلم المشاهدات ويدركها ، كما جعل له لساناً يتكلم به عما في ضميره ، وقد جاء ذلك بأسلوب الاستفهام التقريري .

وإذا كان الله تعالى هو الذي وهب الإنسان هذه النعم وجعله يتقلب بها ليلاً ونهاراً، فلا بد أن يفرده بالعبادة وحده ؛ إذ لا يستحقها إلا هو سبحانه وتعالى .

قال ابن القيم –رحمه الله –: ((فذكر هنا العينين التي يبصر بهما فيعلم المشاهدات، وذكر هداية النجدين ، وهما طريق الخير والشر، فالهداية تكون بالسمع في ذلك لزوماً، وذكر اللسان والشفتين اللتين هما آلة التعليم، فذكر آلات العلم والتعليم . وجعلها من آياته الدالة عليه وعلى قدرته ووحدانيته ونعمه التي تعرّف بها إلى عباده، ولما كانت هذه الأعضاء الثلاثة التي هي أشرف الأعضاء وملوكها والمتصرفة فيها والحاكمة عليها، خصها الله – سبحانه وتعالى– بالذكـــر في الســؤال عنه ـــا ، فقــال : ﴿ **إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً** ﴾ ))[3].

كما دلت الآية على أن الله تعالى سميعٌ بصيرٌ، متكلمٌ عالمٌ. قال ابن القيم –رحمه الله– : (( وهذا دليل عقلي سمعي على أن الإله لا بد أن يُكلم ويتكلم ، ويملك لعابده الضر والنفع وإلا لم يكن إلهاً ، وقال : (( ﴿ **أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ** ﴾ بفهمك هذا الدليل العقلي القاطع أن الذي جعلك تبصر ، وتتكلـــم ، وتعلم ،

(١) سورة الطارق ، آية 8 .

(٢) تفسير الطبري 143/30.

(٣) مفتاح دار السعادة 107/1.

أولى أن يكون بصيراً ، متكلماً ، عالماً . فأي دليل قطعي أقوى من هذا وأبين وأقـــرب إلى المعقول؟»[1].

- كما دلت آية (الواقعة ) على كمال قدرة الله تعالى وتفرده بالخلق، مما يستلزم إفراده بالعبادة وحده؛ فنبه الله تعالى عباده في الاستفهام الأول إلى أصل خلقهم ونشأتهم، وتحوّلها أطواراً إلى اكتمال خلق الإنسان وخروجه إلى الوجود . ففي النشأة الأولى دلالة عظيمة على كمال قدرة الله وخلقه وربوبيته لعباده ، وأنكر عليهم ووبّخهم على عدم الاستدلال بالنشأة على إمكان البعث بعد الموت ، وقدرة الله تعالى عليه ؛ لأن مَنْ قدر على النشأة الأولى، فالنشأة الثانية أهون عليه ولا تعجزه.

قال الطبري - رحمه الله -: « يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنكرين بالبعث أفرأيتم أيها المنكرون قدرة الله على إحيائكم من بعد مماتكم إلى النطف التي في أرحام نسائكم أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ »[2].

قال ابن القيم - رحمه الله -: « وأفصحها ، وأقطعها للعذر ، وألزمها للحجة ، كقوله تعالى: (أفرأيتم ما تمنون ...) ؛ فدلهم بالنشأة الأولى على الثانية، وأنهم لو تذكروا لعلموا أن لا فرق بينهما في تعلق القدرة بكل واحدة منهما ... »[3].

---

(١) الصواعق المرسلة 915/3.

(٢) تفسير الطبري 27 / 196.

(٣) أعلام الموقعين 141/1. وانظر: التبيان في أقسام القرآن 124/1.

## المطلب الرابع : خلق الماء وما فيه من دلالة على وحدانية الله

وردت آيات بهذه البراهين في أسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى[1] سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ[2] يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا[3] بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا...؟ ) بهمزة الاستفهام المقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه كما تقدمت نظائره التقرير؛ وذلك لتنبيه العقول إلى التدبر في هذه المتغيرات من تكوّن السحاب ، ونزول المطر والبرد ، وحدوث البرق ، فكلها دالة على وحدانية الله وكمال قدرته ، وأنه المستحق وحده للعبادة .

وقول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ[5] فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [6].

ففي الآية استفهامان:

الأول: (أو لم يروا؟) اقترنت فيه همزة الاستفهام بالواو و(لَمْ) ، وقد مرّ نظائره، فهو يفيد التقرير بنعمة الماء الذي تحيا به الأرض القاحلة.

---

(١) يزجي: زجاه يزجوه زجوجاً: ساقه سوقاً ضعيفاً، وأيضاً: دفعه برفق لينساق.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده 524/7 (زجو)، والتبيان في تفسير غريب القرآن 312/1.

(٢) الودق: ودق المطر كله شديده وهينه، وقيل: ما يكون من خلال المطر كأنه غبار.
انظر: العين 198/5 (ودق) .

(٣) سنا برقه: ضوءه و(السنا) بالقصر: الضوء الساطع. انظر: معجم مقاييس اللغة 104/3 (سنة)، والتبيان في غريب القرآن ص 313، والمعجم الوسيط 457/1.

(٤) سورة النور ، آية 43 .

(٥) الجرز: الأرض الجدبة، يقال: أجراز وسنة جرز جدبة. انظر: المعجم الوسيط 117/1 (جرز).

(٦) سورة السجدة ، آية 27 .

الثاني: (أفلا يبصرون) والمراد منه الإنكار التوبيخي [١]، وهو إنكار عليهم عدم اهتدائهم بهذه الآيات العظيمة على إفراد الله تعالى بالعبادة ، فهي آيات مبصرة لهم .

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ [٢] بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ [٣] سُودٌ ﴾ [٤].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ؟) ، حيث جاءت همزة الاستفهام مقترنة بـــ ( لم ) .

والمراد منه: التقرير، ولذا قال أبو حيان – رحمه الله –: « وهذا الاستفهام تقرير، ولا يكون إلا في الشيء الظاهر جداً » [٥]، أي أن معمول الرؤية شديد الوضوح.

– وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [٦].

ورد في الآيتين استفهامان :

الأول : في قوله : (أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ؟) ، والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء ، وهو بمعنى : أخبروني [٧] .

والثاني:ورد الاستفهام بالهمزة ومعها (أم) المتصلة، والمراد منه: الإنكار التوبيخي والتقريع [٨].

**دلالة الآيات:**

---

(١) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام 276/3.

(٢) جدد: جمع جدة ، أي : طريق ظاهرة ، ومنه جادة الطريق .انظر: المفردات في غريب القر آن لأبي القاسم الحسين بن محمد ص89، والتبيان في غريب القرآن ص347.

(٣) غرابيب: سود، يقال: أسود غربيب للشديد السواد .انظر : التبيان في تفسير غريب القرآن ص 347 ، والقاموس المحيط ص 654 ، و المعجم الوسيط 648/2.

(٤) سورة فاطر ، آية 27 .

(٥) البحر المحيط 296/7، وانظر: التفسير الكبير للرازي 18/26، وروح المعاني 190/22، والتحرير والتنوير 300/22.

(٦) سورة الواقعة ، آيتا 68 ، 69 .

(٧) انظر: الإتقان للسيوطي ص359 ، وأساليب الاستفهام في القرآن ص 35 .

(٨) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام 223/4 .

دلت آية (السجدة) على كمال قدرة الله سبحانه، وعظيم سلطانه، وذلك بإرسال الماء من السماء ، وما يتحدر من الجبال إلى الأرض المجدبة التي لا نبات فيها، ثم تتحول بقدرة الله من أرض قاحلة إلى أرض مخضرة ، تنبت مختلف الأنواع ينتفعون بها هم وبهائمهم .

وهذا من لطفه تعالى بخلقه وإحسانه إليهم ؛ ولذا أمر الله تعالى ع باده أن يتأملوا هذه النعمة ، ويبصروا فيها ليخلصوا العبادة للمنعم بقوله : ( أو لم يروا ) ، وختم الآية بقوله : (أفلا يبصرون)، فأنكر عليهم عدم الاهتداء بتلك النعمة التي أحيا الله بها البلاد والعباد [1] إلى إفراد المنعم تعالى بالعبادة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:(( الاستدلال بالسحاب والمطر وهـو مذكور في القرآن ، وهو عقلي شرعي كما قال تعالى: ( أو لم يروا...) ))[2].

كما ذكر ابن جرير الطبري – رحمه الله تعالى – أن الآية دلت على البعث والنشور فقال: (( أو لم ير هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت والنشر بعد الفناء أنَّا بقُدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفس هم... أفلا يرون ذلك بأعينهم ، فيعلموا برؤيتهم أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعذر عليّ أن أحيي بها الأموات ، وأنشرهم من قبورهم ، وأعيدهم لهي ئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم ؟))[3]، فيلزمهم إخلاص العبادة لي وحدي .

كما دلت آية (فاطر ) على أمرين :

1- دلت على كمال قدرة الله تعالى ؛ ذلك أن الله تعالى أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات المختلفات ، والنباتات المتنوعات ، ما هو مشاهد للناظرين .

2- كما دلت على خلقه تعالى للمتضادات ، وأصلها واحد ، والماء واحد ، والأرض واحدة[4].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير 464/3، وتفسير السعدي 657/1.

(٢) النبوات ص 70.

(٣) تفسير الطبري 114/21–115.

(٤) انظر: تفسير السعدي 215/4.

قال الشنقيطي – رحمه الله –: (( واختلاف ألوان الجمال ، والثمار ، والدواب ، والأنعام ، كل ذلك من آياتـه الدالة على كمال قدرته ، واستحقاقه للعبادة وحده ... ، واختلاف الألوان المذكورة من غرائب صنعه تعالى وعجائبه ، ومن البراهين القاطعة على أنه هو المؤثر – جلّ وعلا – ، وأن إسناد التأثير للطبيعة من أعظم الكفر والضلال ))(1).

وقال: (( ولا شك أن اختلاف الألوان ، والمناظر و، المقادير ، والهيئات ، وغير ذلك، فيه الدلالة القاطعة على أن الله — جلّ وعلا — واحد لا شبيه لـه ، ولا نظير ، ولا شريك، وأنه المعبود وحده ))(2).

فإذاً قدرته تعالى على إنزال الماء ، وخ لق النباتات ، والجبال على اختلاف ألوانها وأشكالها. تستوجب أن يفرده العبد بالعبودية وحده لا شريك له ؛ وقد جاء حمل المخاطبين على التقرير بالاعتراف بذلك كله بأسلوب الاستفهام التقريري .

- فالماء من الدلائل العظيمة على وحدانية الله ، فهو آية عظيمة تدل على كمال خلق الله تعالى الذي جعله الله تعالى حياة لجميع الخلق ، فالماء جعله الله سرّ الحياة لكل كائن حي إنسان وحيوان ونبات ، فهنا يخاطب الله عباده ممتناً عليهم بالماء الزلال الذي يشربونه ، ثم بيّن مصدر هذا الماء (أأنتم) أنزلتموه من السحاب الثقيل المملوء بالماء أم الله تعالى ، فلا أحد ينكر ذلك ، فإذا كان الله تعالى واحداً في الخلق والتدبير ، فلا بد من إفراده بالعبادة وحده .

قال الإمام ابن منده – رحمه الله – : (( ذكر آية أخرى تدل على وحدانية الله تعالى من لطيف صنعه في خلق الماء الذي جعله الله –عز وجل– حياة لجميع خلقه))(3) .

---

(١) أضواء البيان 173/6.

(٢) المرجع نفسه 242/3.

(٣) التوحيد 196/1 .

## المطلب الخامس: خلق الطير ودلالته على وحدانية الله

ومن الآيات الدالة على ذلك:

كقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ﴾ (٢).

وقد صدرتا الآيتين بأسلوبي الاستفهام الأول منهما: (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء)؟ اقترنت همزة الاستفهام بـــ (لم).

والثاني: (أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ...؟) اقترنت همزة الاستفهام بـــ (الواو ولم).

والمراد منهما: التقرير، والتعجيب من آثار قدرة الله تعالى وآياته الدالة على وحدانيته، بالنظر إلى عجيب خلقه – تعالى – في الطير، حيث يراها الناظر تحلق جماعات في جو السماء، ولها القدرة على الصعود والهبوط والتحرك في يمنة ويسرة، غير محمولة على حوامل، فمن الذي أمدّها بذلك إلا الخلاق العظيم – سبحانه وتعالى(٣).

### دلالة الآيتين:

دلت الآيتان على كمال قدرة الله – تعالى – وخلقه، وذلك في الطير، ذلك المخلوق إذا تأمله العبد وجده من الآيات الدالة على خالقه تعالى. فالطير تُحلّق جماعات أو تطير أفراداً في جو السماء دون حوامل مادية، فتطير وتهبط وتسعى لأسباب معاشها، فذلك من الدلائل والآيات العظيمة الدالة على وحدانية الله تعالى. وقد جاء بأسلوب الاستفهام التقريري متضمناً التعجيب من كمال قدرته والإنكار التوبيخي لمن لم يهتد بهذه الآيات إلى إفراد الله بالعبادة.

(١) سورة النحل ،آية 79 .

(٢) سورة الملك ، آية 19 .

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن 2/206، 4/278.

يقول الإمام الطبري – رحمه الله –: (( ما طيرانها في الجو إلا بالله وبتسخيره إياها بذلك، ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعاً . وقولـه : (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)، يقول: إن في تسخير الله الطير وتمكينه لها الطيران في جو السماء لعلامات ودلالات على أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأنه لا حظّ للأصنام والأوثان في الألوهية ))[1].

(١) تفسير الطبري 153/14.

وانظر: تفسير ابن عباس 228/1، وفتح القدير 3 / 183 ، وتفسير السعدي 1 / 445 ، وأضواء البيان 419/2.

## المطلب السادس : تسخير خلق الفلك ودلالتها على وحدانية الله

تجد ذلك في عدد من الآيات التي صُدرت بأسلوب الاستفهام :

قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٢).

ورد أسلوبا الاستفهام في الآيتين :

الأول: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم...؟)

الثاني: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى ...؟)

مصدرين بدخول الهمزة على أداة النفي ( لم ) ، والفعل المضارع ( ترَ ) . فعاد النفي فيهما إثباتاً ، فأفاد الاستفهامان التقرير والامتنان ؛ التقرير بحمل المخاطب على الاعتراف بمضمون جملة الاستفهام وإثباته ، والامتنان من الله تعالى على خلقه بهذه النعم التي سخرها لهم (٣).

دلالة الآيتين:

دلت الآيتان على كمال قدرة الله – تعالى – وملكه وتدبيره، ولطفه بعباده حيث أمدهم بالنعم العظيمة، ومنها تسخير الفلك لبني آدم، كما دلت آية الحج على جملة معانٍ ؛ منها:

1- أن الله تعالى يقرر عباده بنعم عظيمة أنعمها عليهم، منها : تسخيره ما في الأرض من حيوانات ونباتات وجمادات، فجميع ما في الأرض مسخر لبني آدم، فحيواناتها لركوبه وحمله ، وأعماله ، وأكله ، وأنواع انتفاعه . وأشجارها وثمارها يقتاتها ، ومعادنها

(١) سورة الحج، آية 65 .

(٢) سورة لقمان ،آية 31 .

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن 2/400، 3/261.

يستخرجها وينتفع بها[١].

2- رحمة الله الواسعة ولطفه بعباده، كما قال : ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ﴾[٢]، فلولا رحمته وقدرته لسقطت السماء على الأرض فتلف ما عليها وهلك ما فيها[٣].

3- تسييره الفلك في البحر وتسخيرها في البحر المتلاطم الأمواج، لمصالح العباد من حملها لهم، وتجارهم. ولولا فضله تعالى لما جرت بهم و لاضطربت، ولكن الله — تعالى — سخر البحر والرياح لجريانها، فهذه نعمة تستحق شكر المنعم بها — جلّ وعلا — بإفراده بالعبادة وحده لا شريك له.

قال الإمام الطبري في تفسير آية لقمان: ‹‹ ألم ترَ يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه (ليريكم من آياته ) ليريكم من عبره وحججه عليكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ ، يقول: إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ››[٤].

وقال ابن القيم – رحمه الله-: ‹‹ ثم انظر إلى عجائب السفن وسيرها في البحر تشقه وتمخره[٥]بلا قائد يقودها، ولا سائق يسوقها، وإنما قائدها وسائقها الرياح التي يسخرها الله؛ لإجرائها، فإذا حبس عنها القائد والسائق، ظلت راكدة على وجه الماء... فما أعظمها من آية وأبينها من دلالة، ولهذا يكرر سبحانه ذكرها في كتابه كثيراً››[٦].

(١) انظر : تفسير ابن كثير 234/3 ، وتفسير السعدي 544/1 – 545 .

(٢) سورة الحج، آية 65 .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير 234/3 ، وتفسير السعدي 544/1 - 545 .

(٤) تفسير الطبري 84/21.

(٥) من مخرت السفينة إذا شقت الماء بصدرها، وتجمع على مواخر . انظر: النهاية في غريب الحديث 305/4 (مخر)، التبيان في تفسير غريب القرآن ص349.

(٦) مفتاح دار السعادة 205/1.

## المطلب السابع : مدّ الظل ودلالته على وحدانية الله تعالى.

وقد ورد ذلك في :

قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (١).

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام ( ألم ترَ ) ، حيث دخلت همزة الاستفهام على أداة النفي (لم) والفعل المضارع ( ترَ ) فانقلب النفي إثباتاً . والمراد منه التقرير (٢)، والتنبيه والتذكير(٣) بآثار قدرة الله تعالى، ومن ذلك حركة الظل، وما فيه من بديع صنع الله تعالى، الدال على وحدانيته تعالى.

دلالة الآية:

دلت الآية على كمال قدرة الله تعالى وكمال رحمته وعنايته بعباده، وحكمته البالغة؛ حيث أمر الله تعالى عباده بالتأمل والنظر في حركة الظل وبسطه للعباد، وجعل الله تعالى الشمس عليه دليلاً، فلولا وجود الشمس لما عُرف الظل.

فكلما ارتفعت الشمس تقلص الظل شيئاً فشيئاً، ففي أول النهار يمتد إلى جهة المغرب، وبعد منتصفه يمتد لجهة المشرق تبعاً لحركة الشمس . وهذه دلائل بيّنة على وحدانية الله ، وأنه المعبود وحده لا شريك له(٤).

قال ابن القيم – رحمه الله –: « فالرؤية واقعة على نفس مد الظل لا على الذي مده – سبحانه – ... فها هنا أوقع الرؤية على نفس الفعل، وفي قوله: (ألم ترَ إلى ربك كيف مد الظل) ... فأخبر – تعالى – أنه بسط الظل ومده ، وأنه جعله متحركاً تبعاً لحركة الشمس، ولو شاء لجعله ساكناً لا يتحرك، إما بسكون المظهر لـــه والدليل عليه، وإما بسبب آخر . ثم أخبر أنه قبضه بعد بسطه قبضاً يسيراً، وهو شيء بعد شيء لم يقبضه جملة، فهذا من أعظم

---

(١) سورة الفرقان ، آية 45 .

(٢) انظر: تفسير أبي السعود 222/6، وروح المعاني 25/19.

(٣) انظر : البرهان في علوم القرآن 179/4.

(٤) انظر : تفسير البغوي 3 / 370 ، وتفسير القرطبي 37/13 ، وتفسير ابن كثير 321/3، وتفسير السعدي 584/1.

آياته الدالة على عظيم قدرته، وكمال حكمته، فندب الرب – سبحانه – عباده إلى رؤية صنعته ، وقدرته ، وحكمته ، في هذا الفرد من مخلوقاته، ولو شاء لجعله لاصقاً بأصل ما هو ظل له من جبل وبناء وشجر وغيره، فلم ينتفع به أحد . فإن كان الانتفاع به تابعاً لمده وبسطه وتحوله من مكان إلى مكان، ففي مده وبسطه ثم قبضه شيئاً فشيئاً من المصالح والمنافع ما لا يخفى ولا يحصى، فلو كان ساكناً دائماً ، أو قبض دفعة واحدة لتعطلت مرافق العالم ومصالحه به وبالشمس، فمدُّ الظل وقبضُهُ شيئاً فشيئاً لازم لحركة الشمس على ما قدرت عليه من مصالح العالم، وفي دلالة الشمس على الظلال ما تعرف به أوقات الصلوات وما مضى من اليوم وما بقي منه ... فهو من آيات الله الدالة عليه )) [1].

فإذا كانوا يقرون بذلك كله ولا يمكنهم إنكاره ؛ لأنه مشاهد ومتكرر ، ولا يستطيعه غير الله لزمهم أن يقروا لفاعله بالوحدانية ، ويفردوه بالعبادة .

---

(١) مدارج السالكين 245/3.

## المطلب الثامن : خلق النبات والنار

وقد ورد بأسلوب الاستفهام في مواطن من القرآن :

كقول الله تعالى:﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[١].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾[٢] .

فالآيات جاءت على نسق واحد كما تقدم بيان بعضها في مواضعها .

ورد الاستفهام في الآيات مثلاً .

فالأول منهما : قوله : (أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ؟ ) (أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ؟ ) .

والأداة فيهما الهمزة مقترنة بالفاء ، ومعنى ذلك : أخبروني [٣] .

والثاني : بقوله : (ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ ..؟ ) (ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ...؟) ، والأداة فيه الهمزة وأم المتصلة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتقريع [٤] .

### دلالة الآيات :

دلت الآية على كمال قدرة الله تعالى وخلقه ، بإنبات الزروع على أصنافها و ألوانها كافة ، فإن الإنسان ما عليه إلا أن يشق الأرض ويحرثها ، ويلقي البذور فيها ويتركها ، أما ظهور الزرع واكتمال نموه وإثمار ثمره ، فهذا من الخالق الكريم الذي امتنّ على عباده بتحصيل مأكلهم من تلك الزروع ، ولو شاء الله تعالى لجعله حطاماً لا يستطيع الإنسان ا لاستفادة منه[٥] .

---

(١) سورة الواقعة ،آيتا 63 ، 64 .

(٢) سورة الواقعة ، آيتا 71 ، 72.

(٣) انظر: الإتقان ، للسيوطي ص359 ، أساليب الاستفهام في القرآن ص 35 .

(٤) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن 223/4 .

(٥) انظر : تفسير القرطبي 216/17 ، وتفسير ابن كثير 296/4 ،وتفسير أبي السعود 197/8 ، وتفسير السعدي ص 835 .

كما أرشد تعالى إلى التأمل في النار التي ينتفع منها الإنسان في حلّه وترحاله ، فقد خلق الله تعالى الأشجار التي تتخذ لتوقد منها النار ، سهلة في متناول الحاضر والباد ، مما يدل على كمال قدرة الله تعالى وخلقه ، فإذا تفرد وحده بالخلق والإنعام على عباده بهذه النعم العظيمة، وجب إفراده تعالى بالعبودية [1] .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي 216/17 ، وتفسير ابن كثير 296/4 ،وتفسير أبي السعود 197/8 ، وتفسير السعدي ص 835 .

# المبحث الثالث
## إقرار المشركين بتوحيد الربوبية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إقرارهم بالربوبية.

المطلب الثاني : إقرار المشركين بتفردالله تعالى بالخلق.

المطلب الثالث: إقرارهم بأن الله هو الرازق.

المطلب الرابع: إقرارهم بأن الملك لله.

المطلب الخامس: إقرارهم بأن الله منزل الغيث.

لقد جاءت دعوة الرسول ﷺ إلى مشركي العرب الذين بُعث إليهم ابتداءً ؛ لتحقيق الوحدانية والعبودية لله وحده ؛ ذلك أن مشركي العرب كانوا يُقرّون بأن الله هو الخالق ، الرازق ، المدبر لهذا الكون ، المنـزل للغيث، ويعلمون أنه لا شريك لـه في ذلك ؛ لأنهم أهل لسان فصيح ؛ ففهموا من دعوته – عليه الصلاة والسلام – إلى كلمة التوحيد أن التسليم لها هدم لشركهم في العبادة ، من سؤال أصنامهم الشفاعة ، والذبح ، والنذر ، وغيرها من أنواع الشرك بالله .

ولذا أقام عليهم الحجة بإقرارهم بأن خالق الكون ومدبره واحد، فلا بد أن تصرف العبادة لـه وحده ؛ فتارة بإقرارهم بأن السموات والأرض وما فيها لله، وتارة بإقرارهم بأن ملكوت جميع الأشياء بيده ، وأنه المدبر وحده ، وتارة بأنه الرازق وحده ، وتارة بأنه منـزل الغيث وحده ...إلخ

فكانوا يجيبون عن هذا كما حكاه الله عنهم : (سيقولون الله). فلم يعتقدوا في أصنامهم شيئاً من خصائص الربوبية، و لم يدخلهم ذلك في الإسلام.

قال الشنقيطي – رحمه الله –: « ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته – جلّ وعلا – على وجوب توحيده في عبادته ؛ ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده ، ووبخهم منكراً عليهم شركهم به غيره مع اعترافهم بأنه الرب وحده؛ لأن في الاعتراف بأنه هو الرب وحده لزِمه الاعتراف بأنه المستحق لأن يعبد وحده »[1].

---

(١) أضواء البيان 19/3.

## المطلب الأول : إقرار المشركين بالربوبية لله تعالى

وقد ورد ما يبين ذلك بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ (١).

وقول الله تعالى:﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٢).

ففي آية سورة الرعد خمسة استفهامات هي:

(قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ؟)

(قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ؟)

(ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ؟)

(أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ؟)

(أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ؟)

الاستفهام الأول: أداة الاستفهام (مَنْ) ، والمراد منه استفهام تقرير (٣) بربوبية الله للسموات والأرض، وهم مقرون بأن الله تعالى رب السموات والأرض، وإنما يعتقدون في معبوداتهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، ولذلك جاء الاستفهام الثاني : (قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ؟)، وأداته الهمزة المقترنة بالفاء والمراد منه الإنكار والتوبيخ(٤)، فينكر الله تعالى عليهم

(١) سورة الرعد ، آية 16.

(٢) سورة المؤمنون ، آيتا 86 ، 87 .

(٣) التحرير والتنوير 12/13 .

(٤) انظر : التحرير والتنوير 13/13 .

إقرارهم بربوبيته ثم اتخاذ آلهة من دونه لا تملك نفعاً ولا ضراً ؛ لأن المعقول أن يهتدوا بذلك إلى إفراده تعالى بالعبودية لا الشرك به.

وجاء الثالث: (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ**؟) ، وأداته (هل) والمراد منه الإنكار عليهم ، والتهكم بهم ، ونفي المساواة بين الأعمى والبصير، وفيهما استعارتان أصليتان، حيث شبه الكافر بالأعمى، بجامع عدم الاهتداء في كل منهما، وشبه المؤمن بالبصير بجامع كمال الهداية في كل منهما[(١)] ، وعدم صحة هذه المساواة بما لا يختلف فيه اثنان ، فكان في الاستفهام الإنكاري – أيضاً – تهكم وسخرية بهم .

والرابع: (**أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ**؟) و( أم ) منقطعة بمعنى بل والهمزة [(٢)] . والمراد منه الإنكار الإبطالي ، أي إنكار وإبطال ما وقعوا فيه من الشرك ؛ وذلك بنفي المساواة بين الظلمات والنور، فالظلمـــات مستعارة للكفر والضلال، والنور مستعار للإيمان [(٣)] ، فكيف يساوي بينهما عقل سليم وفكر شديد ؟

والخامس: ( **أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ** ؟) ، أي : بل جعلوا، والمراد منه الإنكار والتهكم [(٤)] ، وبنفي الشركاء لله تعالى في الخلق، فكذلك في العبادة. ولذلك دفع الله تعالى تلك الدعوى بقوله : (**قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ**).

– وفي آيتي سورة (المؤمنون) استفهامان: الأول : (**قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ** ؟) ، والثاني: (**قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ؟) .

فالاستفهام الأول: ورد بالأداة (مَنْ) ، والمراد منه: التقرير بربوبية وملكية الله تعالى للسموات السبع والعرش العظيم، ثم ذكر الله تعالى إقرارهم بذلك : (سيقولون لله). ولذلك جاء الاستفهام الثاني بالهمزة مقترنة بالفاء و ( لا ) النافية ، في قوله: (أفلا تتقون)؟ والمراد منه

---

(١) انظر: التفسير البلاغي للاستفهام 154/2.
(٢) المرجع نفسه 154/2.
(٣) المرجع نفسه 154/2.
(٤) انظر : الكشاف ص 537 ، وتفسير أبي السعود 13/5 ، والتحرير والتنوير 115/13 .

الإنكار[1] ، وكأنه يقول لهم : فإذا أقررتم أن الله تعالى رب السموات السبع ورب العرش العظيم فهلاّ اتقيتموه بصرف العبادة لــه وحده لا شريك له.

دلالة الآيات:

دلت الآيات على إقرار المشركين بتفرد الله تعالى بالربوبية للكون أجمعه ، وقد أمر ا لله تعالى نبيه في آية سورة الرعد أن يجيب بـــ(قل لله) ؛ لأنه لا يمكن إنكارهم هذه الحقيقة .

أما آية ( المؤمنون ) فإن الله تعالى حكى جوابهم: (سيقولون لله) ؛ وذلك لإقامة الحجة عليهم والإلزام فإذا أقررتم بتفرده بالربوبية، فَأَقِرُّوا بتفرده بالعبودية.

ولذلك ضرب لهم المثال لنفي المساواة بين الإيمان والبصيرة ، والكفر والظلمة، وهذه حجة عقلية دامغة حتى لا يبقى موردٌ للشك والشبهة.

كما دلت آية سورة الرعد على تفرده بالخلق تعالى : ﴿ **أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ** ﴾ [2].

وهنا أنكر الله تعالى عليهم اتخاذ الشريك لله تعالى في العبادة ، فالله تعالى هو المتفرد بالخلق، فلا ند لــه ولا شريك في الخلق، حتى يختلط ويشتبه عليهم ذلك. ثم أمر الله نبيه ﷺ أن يقول : (**قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ** )؛ لأنها حقيقة لا يمكن أن ينكروها ، يسلم به كل عقل سليم ، وفكر سديد .

قال ابن القيم – رحمه الله – موضحاً دلالة آية الرعد : فطالبهم بالدليل العقلي والسمعي ... ، فاحتج على تفرده بالإلهية بتفرده بالخلق، وعلى بطلان إلهية ما سواه بعجزهم عن الخلق وعلى أنه واحد بأنه قهار ، والقهر التام يستلزم الوحدة؛ فإن الشركة تنافي تمام القهر[3].

وقال ابن كثير – رحمه الله – موضحاً دلالة آيتي ( المؤمنون ) : ﴿ **قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ** ﴾ أي : من خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب

(١) التحرير والتنوير 110/18 .

(٢) سورة الرعد ، آية 16 .

(٣) انظر: الصواعق المرسلة 465/2 .

النيرات والملائكة الخاضعين لـه في سائر الأقطار منها والجهات ؟ ومن رب العرش العظيم الذي هو : سقف المخلوقات ... ( قل أفلا تتقون ) ؟ أي : إذا كنتم تعترفون بأنه رب السماوات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه ، وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره ، وإشراككم به[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير 254/3.

## المطلب الثاني : إقرار المشركين بتفرد الله – تعالى – بالخلق:

وقد بيّن الله تعالى معتقدهم في ذلك بأسلوب الاستفهام منها :

قول الله تعالى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ (١).

وقول الله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ (٢).

وقول الله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ (٣).

وقول الله تعالى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ (٤).

نجد أن الآيات اشتملت على استفهامات عدة ، وصُدرت أربع منها بقوله : (**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ** ... ) . واللام موطئة للقسم ، و(إن ) للشرط(٥) ، والاستفهام بالأداة ( مَنْ ) ، والمراد منها جميعاً التقرير بالفاعل وهو الله تعالى ، فهو الخالق وحده للسموات والأرض وجميع المخلوقات ، ولذلك اتفق جواب الاستفهام على إقرار المشركين بذلك ( ليقولنّ الله).

---

(١) سورة العنكبوت ، آية 61 .

(٢) سورة لقمان ، آية 25 .

(٣) سورة الزمر ، آية 38 .

(٤) سورة الزخرف ، آية 87 .

(٥) التفسير البلاغي للاستفهام 235/3.

فإذا أقررتم بأن الله تعالى هو الخالق وحده، فيستلزم عليكم إفراده بالعبا دة ، ول ـــذلك أنكر [١] الله تعالى عليهم بقوله : (فأنى يؤفكون)؟ كما في آية العنكبوت، والزخرف أنكر عليهم صرف العبادة لغيره تعالى في استفهام إنكار وتوبيخ وتعجيب فيماوقعوا وهم يسلمون بربوبيته وخلقه للسماوات والأرض .

أما آية الزمر فقد اشتملت على ثلاثة استفهامات سوى الأول الذي تقدم ذكره، وهي:

(**أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ؟**) .

و(**هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ؟**).

و(**هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ؟** ) .

ففي الأول أداة الاستفهام الهمزة مقترنة بالفاء ، وهو بمعنى أخبروني، أما الأخيران فقد جاءا بالأداة (هل) ، والمراد منه النفي والتوبيخ[٢].

دلالة الآيات:

دلت الآيات على إقرار المشركين بأن الله – تعالى – هو الخالق وحده، فأنكر تعالى عليهم صرفَ العبادة لآلهتهم ، وبين تناقضهم بإفراد الله تعالى بالخلق وحده وتسخير النيرين الشمس والقمر، ثم صرف العبادة لمن لم يخلق ، ولا يملك التدبير لهذا الكون، بل هو عاجز عن ذلك! .

ولذا أخبر تعالى أنها لا تملك دفع الضر أو النفع (**هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ؟** ) ؟ و(**هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ؟** ) ، وهذا مما يدل على عجزها وضعفها وهي حجةٌ يلزمهم الله تعالى بها، فكأنه يقول لهم مادمتم مقرِّين بعجز آلهتكم، وأنها لا تملك نفعاً ولا ضراً، فلماذا تصرفون لها العبادة من دون الله تعالى المتفرد بالملك والتدبير والخلق ، المستحق وحده للعبادة؟!.

قال ابن كثير – رحمه الله -: يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين به إنهم يعرفون أن الله خالق السماوات والأرض وحده لا شريك له بدليل : ( ليقولن الله ) ، ومع هذا يعبدون

(١) انظر : التحرير والتنوير 26/21 .

(٢) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام 440/3 .

معه شركاء يعترفون أنها خلق لــه ، وملك لــه ، إذ قامت عليهم الحجة باعترافهم، فهُ مْ في ذلك في غاية السفاهة ، والجهل ، وسخافة العقل (١).

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله-: إن إثبات ربين للعالم لم يذهب إليه أحد من بني آدم ، ولا أثبت أحد إلهين متماثلين ولا متساويين في الصفات ولا في الأفعال ... ولكن الإشراك الذي وقع في العالم إنما وقع بجعل المخلوقات مخلوقة لغير الله في الإلهية بعبادة غير الله تعالى واتخاذ الوسائط ودعائها والتقرب إليها، كما فعل عباد الشمس ، والقمر ، والكواكب ، والأوثان ، وعباد الأنبياء ، والملائكة ، أو تماثيلهم ونحو ذلك.. وقد قال تعـــالى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ** ﴾ والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية وذلك متضمن لتوحيد الربوبية... (٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله -: (( إن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ ... ومثل هذا كثير في القرآن ، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند ، والترك ، والبربر ، وغيرهم ، يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين ، ويتخذونهم شفعاء ، ويتوسلون بهم إلى الله، وهذا كان أصل شرك العرب ))(٣).

(١) انظر : تفسير ابن كثير 4/55-137 بتصرف .

(٢) درء التعارض 9/344 .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية 1/79.

المطلب الثالث : إقرارهم بأن الله تعالى هو الرازق المدبر وحده

وقد بيّن الله تعالى معتقدهم في ذلك بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [(١)].

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [(٢)].

جاء في آية سورة يونس عددٌ من الاستفهامات وهي:

(مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ؟ ) .

(أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ ؟ )

( مَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ؟)

( مَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ؟ )

(أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ )

فنجد أن أداة الاستفهام في المواضع الأربعة الأ ولى : (مَنْ ) ، وفي الخامس : همزة الاستفهام المقترنة بالفاء و( لا ) النافية .

والمراد من الاستفهامات الأربعة الأولى :

التقرير بالفاعل[(٣)] وهو الله –سبحانه وتعالى –، فقررهم بأعظم النعم التي أنعم عليهم بها، فنـزول الرزق من السماء وهو الماء الذي هو سر الحياة في الأرض، ونعمت ا السمع والبصر التي يكتسب بهما المعرفة والعلم وهما من أجلّ الحواس، وتعاقب الأجيال بإخراج الحي

(١) سورة يونس ، آية 31 .

(٢) سورة سبأ، آية 24 .

(٣) انظر: التحرير والتنوير 155/11.

من الميت والميت من الحي، ونعمة تدبير الكون علوية وسفلية الجامع لكل ما تقدم ، ثم يأتي جواب الاستفهام بقوله: (فسيقولون الله).

وهذا إقرار منهم أن مدبر ذلك كله هو الله – تعالى – وذلك يستلزم أنه م أقرّ وا بربوبيته، فيلزمه م أن يفردوه بالعبادة.

ولذا جاء الاستفهام الخامس بقوله : (أفلا تتقون)؟ ليفيد الإنكار والتعجب من هذا التناقض الذي أوقعوا أنفسهم فيه ، والتخويف لهم من عذاب الله .

قال الشنقيطي – رحمه الله – : «فلما أقروا بربوبيته، وبخهم منكراً عليهم شرك هم به غيره بقوله : ( **فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ؟ ) »[(١)] . فيظهر لك أن الاستفهام الأخير هو الإ نكار عليهم والتعجب من تناقضهم ؛ لكونهم أقروا بأنه الرازق المدبر، ومع هذا صرفوا العبادة لغيره تعالى.

أما آية سورة سبأ، فقد جاء أسلوب الاستفهام بقوله : (**مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ**؟) ، وأداة الاستفهام (مَنْ) ، والمراد منه التقرير بأن الرا زق من السموات والأرض هو الله وحده، فيلزم إفراده بالعبادة . ففي هذه الآية أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتولى الإجابة بقوله: (قل الله).

## دلالة الآيتين:

فيظهر لك أن آية يونس دلت على إقرار المشركين بأن الله هو الرازق، مالك السمع والبصر، ومخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، ومدبر الأمر، فهذه احتجاجات سيقت لهم ؛ لأن من أقرّ بذلك فيلزمه أن يقرّ بأنه المعبود وحده.

أما آية سبأ فجاء تقريرهم بأنه تعالى هو الرازق وحده.

ويوضح ابن القيم – رحمه الله – الفرق بين الآيتين بقولـــه : « فإن الآيات التي في يونس سيقت مساق الا حتجاج عليهم بما أقروا به و لم يمكنهم إنكاره من كون الرب تعالى هو رازقهم ومالك أسماعهم وأبصارهم ومدبر أمورهم وغيرها، ومخرج الحي من الميت والميت من

(١) أضواء البيان 3 / 19 . وانظر : تفسير أبي السعود 4 / 141 ، فقد ذكـــر: أن المراد من الاستفهام الإنكار.

الحي، فلما كانوا مقرين بهذا كله حسن الاحتجاج به عليهم، إن فاعل هذا هو الله الذي لا إله غيره، فكيف يعبدون معه غيره ويجعلون له شركاء لا يملكون شيئاً من هذا ولا يستطيعون فعل شيء منه، ولهذا قال بعد أن ذكر ذلك من شأنه تعالى: (فسيقولون الله)، أي: لا بد أنهم يقرون بذلك ولا يجحدونه، فلا بد أن يكون المذكور مما يقرون به، والمخاطبون المحتج عليهم بهذه الآية إنما كانوا مقرين بنزول الرزق من قبل هذه السماء التي يشاهدونها بالحس، ولم يكونوا مقرين ولا عالمين بنزول الرزق من سماء إلى سماء حتى تنتهي إليهم، ولم يصل علمهم إلى هذا، فأفردت لفظ السماء هنا فإنهم لا يمكنهم إنكار مجيء الرزق منها لا سيما والرزق هنا إن كان هو المطر فمجيئه من السماء... أما الآية التي في سورة سبأ فلم ينتظم بها ذكر إقرارهم بما ينزل من السموات، ولهذا أمر رسوله بأن يتولى الجواب فيها ولم يذكر عنهم أنهم المجيبون المقرون... فأمر نبيه ﷺ أن يجيب بأن ذلك هو الله وحده الذي ينْزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه من السموات السبع، وأما الأرض فلم يدعُ السياق إلى جمعها في واحدة من الاثنين إذ يقر به كل أحد مؤمن وكافر وبر وفاجر))[1].

أما في آية سبأ فيأمر تعالى، نبيه محمد ﷺ، أن يقول لمن أشرك بالله، ويسأله عن صحة (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ؟) فإنهم لا بد أن يقروا أنه الله ولئن لم يقروا فـ(قل الله)؛ فإنك لا تجد من يدفع هذا القول؛ فإذا تبين أن الله وحده، الذي يرزقكم من السموات والأرض، وينزل لكم المطر... فلِمَ تعبدون من لا يرزقكم شيئاً، ولا يفيدكم نفعاً؟. (وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) أي: إحدى الطائفتين منا ومنكم على الهدى، مستعلية عليه، أو في ضلال مبين، منغمرة فيه. وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه وبطلان ما عليه خصمه. فإنك إذا وازنت بين ذلك كله تبين لك من يدعو إلى عبادة الخالق، بسائر المخلوقات المتصرف فيها بجميع أنواع التصرفات، المسدي جميع النعم، الذي رزقهم، وأوصل إليهم كل نعمة، ودفع عنهم كل نقمة، الذي له الحمد كله، والملك كله، وكل أحد من الملائكة فمن دونهم، خاضعون لهيبته، متذللون لعظمته... وبين من يتقرب إلى أوثان وأصنام، وقبور، لا تخلق، ولا

(١) بدائع الفوائد 117/1.

ترزق، ولا تملك لأنفسها ولا لمن عبدها، نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً، بل هي جمادات، لا تعقل ولا تسمع دعاء عابديها، ولو سمعته ما استجابت لهم ... فهو يدعو مَنْ هذا وصفه ، ويتقرب إليه مهما أمكنه ، ويعادي من أخلص الدين لله ، ويحاربه ، ويكذب رسل الله، الذين جاءوا بالإخلاص لله وحده . تبين لك أي الفريقين، المهتدي من الضال ، والشقي من السعيد؟ و لم يحتج إلى أن يُعيّن لك ذلك ؛ لأن وصف الحال أوضح من لسان المقال [١].

فالإقرار بالربوبية لم يدخلهم في الإسلام، و لم يعصم دماءَهم وأموالَهم بل قاتلهم رسول الله ﷺ حتى يقروا بالإلهية لله وحده.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله -: «توحيد الربوبية وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو وهذا حق، ولكن أعظم الكفار كفراً الذين قاتلهم رسول الله – ﷺ– يشهدون به، و لم يدخلهم في الإسلام، كما قال تعالى : (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ... ) » [٢] ، وقال : «فتفكروا عباد الله فيما ذكر الله عن الكفار أنهم يقرّون بهذا كله لله وحده لا شريك لـه، وإنما كان شركهم أنهم يدعون الأنبياء والصالحين ويندبونهم وينذرون لهم... » [٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري 93/22، وتفسير البغوي 558/3، وفتح القدير للشوكاني 325/4، وتفسير السعدي 188/4 .

(٢) مؤلفات محمد بن عبد الوهاب في العقيدة 145/1.

(٣) المرجع نفسه 187/1. وانظر: مجموعة رسائل التوحيد والإيمان 365/1.

## المطلب الرابع : إقرارهم بأن الملك لله وحده

وقد بيّن الله تعالى معتقدهم في ذلك :

كقول الله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [1].

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [2].

نجد في هذه الآيات أن الله تعالى وجه أسئلة إلى المشركين ليقررهم، ويقيم الحجة عليهم، ويدفع الشبهات التي حجبتهم عن الوصول للحق.

ففي الآية الأولى: (قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ؟) ، (قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ )

فأداة الاستفهام في قوله : ( لِمَنْ ) هي ( مَنْ ) وقد اقترنت بلام الملكية في الآية الثانية : (أفلا تذكرون ) الهمزة، وقد اقترنت بالفاء و( لا ) النافية .

والمراد من الأول : التقرير[3] بالمالك للأرض ومن فيها وهو الله تعالى.

أما الثاني ، فالمراد منه: إنكار عدم التذكر[4]، فلما أقروا بأن الأرض ومَنْ عليها لله – كما جاء جواب الاستفهام (سيقولون لله ) – فأنكر الله تعالى عليهم عدم تذكرهم بأنه لا تصرفُ العبادة لغير الله المتفرد بالربوبية والملكية.

وفي الآية الثالثة: (قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ...؟) (فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ؟)

جاء الاستفهام الأول بـــ(مَنْ) ، والمراد منه : التقرير بأن الملك كله لله وحده، وجاء الاستفهام الثاني في الآية الرابعة (فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ؟ ) ، والمراد منه الإنكار عليهم والتعجب

(١) سورة المؤمنون ، آية 84 ، 85 .
(٢) سورة المؤمنون ، آية 88 ، 89 .
(٣) التحرير والتنوير 19/18 .
(٤) انظر : المرجع نفسه 19/18 .

من ذهولهم وغفلتهم عن إفراد الله تعالى بالعبادة ؛ لأنه إذا أقررتم أن المالك لكل شيء هو الله وحده لا شريك له، فأقروا بأنه — هو وحده – المعبود بحق .

دلالة الآيتين:

نجد أن الآيتين جاءتا في سلسلة استفهامات في سورة المؤمنون ، لإقامة الحجة على مشركي قريش ، ودفع الشبهات التي يتعلق بها أهل الباطل في عدم إفراد الله بالعبادة .

وقد دلّ أسلوب الاستفهام في الآيتين (**قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ** ؟ ) و (**قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ** ) على إقرار كفار قريش بأن الله تعالى هو المالك وحده لكل شيء، وإنما خصت الأرض بالذكر في الآية الأولى ؛ لقرب انتفاعهم بها معاشاً ، وممشىً، ومهداً ، واكتساب الأرزاق على ظهرها . وكذلك ما على ظهرها من مخلوقات ، وما تحويه من أنهار ، وبح ار، وجبال ، ونحوها.

فإذا أقروا أن الله تعالى هو المالك وحده، فيلزم عقلاً أن يقروا – أيضاً – أن ه المعبود وحده، وأن من التناقض أن يقروا بالملك لــه وحده ثم يصرفوا العبادة إلى الأصنام والأموات التي لا تملك شيئا ؛ ولذا أنكر الله تعالى عليهم هذا التناقض في ختام الآيتين (أفلا تذكرون )؟ (أنى تسحرون)؟.

قال الإمام الطبري — رحمه الله –: ‹‹ (فأنى تسحرون) يقول : فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله والإقرار بأخباره وأخبار رسوله ، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء ، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم ، مع علمكم بما تقو لون من عظيم سلطانه وقدرته؟!››[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله –: هذا بيان لأن المشركين يقرون بأن ملكوت كل شيء لله، وذلك مبالغة في الملك ؛ فإن (الملكوت) أبلغ من لفظ الملك كما اتفقوا على جواب مطابق لمعنى اللفظ ، وأن معنى قوله : ( **مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ**) أي لمن ذلك؟ فكان الجواب (سيقولون لله) [2].

---

(١) تفسير الطبري 65/19.

(٢) بيان تلبيس الجهمية 185/1 بتصرف .

وقال: « والذين أشركوا بالله – تعالى وتقدس – وعبدوا إلهاً آخر كانوا يقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون هم شفعاؤنا عند الله، ويعتقدون أن الله يملكهم ، كما يقولون في تلبيتهم: ( لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ) ... فإذا كانوا إنما أشركوا به لاعتقادهم أنه رب كل شيء ومليكه، وأن هؤلاء الشفعاء والشركاء ملكه، وآمنوا بأنه رب كل شيء، ثُم اعتقدوا مع ذلك أن عبادة هذه الأوثان تنفعهم عنده : فهل يكون ما ابتدعوه من الشرك الذي هو فرع مشروط بذلك الأصل قادحاً في صحة ذلك الإيمان والإقرار الحق الذي قالوه؟! »[1].

(١) بيان تلبيس الجهمية 458/1.

## المطلب الخامس : إقرارهم بأن الله تعالى هو منزل الغيث:

وقد بيّن الله تعالى معتقدهم في ذلك :

كقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [(١)].

جاء أسلوب الاستفهام (مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً... ؟) والأداة فيه (مَنْ) .

والمراد منه التقرير بالفاعل ، وهو الله تعالى، المتفرد بإنزال الماء من السماء الذي هو سبب لحياة المخلوقات، وإنبات الزروع، فتكتسي الأرض حلة خضراء بعد موتها وإقفارها ؛ ولذا ذكر الله جوابهم: (لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ)، فإذا أقروا بأنه تعالى المتفرد بإنزال الغيث فيلزمكم إفراده تعالى بالعبادة.

ولذا أمر الله – تعالى – بحمده على نعمه وهي: الخلق والتسخير[(٢)] ، وإنزال الغيث وبتسفيه معبوداتهم التي لا تملك النفع والضر.

### دلالة الآية:

دلت الآية على إقرار المشركين بتفرد الله بإنزال الغيث من السماء .. وذلك حجة ملزمة لهم بأن يقروا بوحدانيته في العبادة.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي : « هذا استدلال على المشركين المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية ، فأنت لو سألتهم من خلق السموات والأرض، ومن نزل من السماء ماء، فأحيا به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ (لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ) وحده، ولاعْتَرَفُوا بعجز الأوثان ، ومن عبدوه مع الله، عن شيء من ذلك . فاعجب لإفكهم، وكذبهم ، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئاً . وسَجِّلْ عليهم عدم العقل، وأنهم السفهاء، وضعفاء الأحلام ؛ فهل تجد أضعف عقلاً، وأقل

---

(١) سورة العنكبوت ، آية 63 .

(٢) وذلك في الآية السابقة لهذه الآية ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: 61].

بصيرة ، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه – وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق – ثم صرف لـه خالص الإخلاص، وصافي العبادية، وأشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار . وقل الحمد لله الذي بيّن الهدى من الضلال، وأوضح بطلان ما عليه المشركون، ليحذره الموفقون... ))[1].

(١) تفسير السعدي 71/4، وانظر: تفسير البغوي 474/3، وفتح القدير 211/4.

# المبحث الرابع
# الرد على منكري توحيد الربوبية

إن الإقرار بتوحيد الربوبية من المسلمات التي فُطر الخلق عليها، ولا ينكر ذلك إلا من عَميت بصيرته، وطُمست فطرته – نعوذ بالله –، وأشهر من عُرف عنه إنكار الخالق:

1- الدهرية: الذين أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (١) .

قال ابن القيم – رحمه الله –: (( الدهرية: قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها))(٢).

2- الطبائعيون القائلون: إن الطبيعة أوجدت نفسها(٣).

3- القائلون: إن العالم وجد نتيجة الصدفة بلا مدبر ولا خالق(٤).

4- فرعون، من أشهر من عُرف عنه إنكار الخالق ظاهراً ، مع إيقانه بالخالق في باطنه ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (٥).

أما من أشرك في توحيد الربوبية فهم :

1- الثانوية المجوس: وهم أشهر الناس قولاً بإلهين، الإله الخير المحمود هو النور الفاعل للخيرات، أما الظلمة فهي فاعل الشرور. وقد أثبتوا قدم ا لإلهين لكن لم يجعلوهما متماثلين، ولا مشتركين في الفعل(٦).

2- أهل التثليث من النصارى : فهم يعتقدون أن الله ثالث ثلاثة ، وقد ذمهم الله تعالى ، فقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ (٧) . فزعموا أن الله واحد في الجوهر ذو أقانيم(٨) ثلاثة هي: الأب، الابن، الروح القدس(٩).

---

(١) سورة الجاثية ، آية 24 .

(٢) انظر: إغاثة اللهفان ، وانظر: بيان تلبيس الجهمية 1/139، وتهافت الفلاسفة ص 79.

(٣) انظر: تلبيس إبليس ص42.

(٤) انظر: نهاية الإقدام ص123.

(٥) سورة النحل ، آية 14.

(٦) انظر: تلبيس إبليس ص43، والملل والنحل للشهرستاني 1/244.

(٧) سورة المائدة ، آية 73 .

(٨) الأقانيم: بعضهم يقول: إن الأقانيم خواص، وبعضهم يقول: إنها صفات. انظر: تلبيس إبليس ص71.

(٩) تلبيس إبليس ص 71، الملل والنحل للشهرستاني 1/222 وما بعدها.

وقد وردت آيات في الرد على منكري توحيد الربوبية بأسلوب الاستفهام :

- كقول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [١].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [٢].

ففي الآيتين صورتا استفهام جاءتا ضمن حوار موسى – عليه السلام – مع فرعون لدعوته إلى عبادة الله وحده.

الآية الأولى في سورة (طه) جاء الاستفهام فيها بالأداة (مَنْ) ، والمراد منه: الإنكار؛ فإن فرعون قال: (فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ) منكراً ، متهكماً بموسى وهارون – عليهما السلام – فهو لم يقل مَنْ ربنا ؟ ، وإنما أضاف الربوبية إليهما استكباراً وسخرية بموسى وهارون – عليهما السلام .

ولذلك جاء جواب الاستفهام من موسى – عليه السلام – بما يوضح لـه أن ربهما أظهر وأجلى من كل شيء، فقال: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [٣] .

أما الآية الثانية في سورة الشعراء (وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ؟ ) ، فجاء أسلوب الاستفهام بالأداة ( ما ) ، والمراد منه الإنكار المشوب بالتعجب ، فإن فرعون لم يسأل إلا تهكماً وإنكاراً وسخرية، فإن (ما) سؤال عن الوصف، يقول : أي شيء هو هذا ؟ قال ذلك : منكراً وجاحداً [٤].

**دلالة الآيتين:**

دلت الآيتان على إنكار فرعون وجحوده لربوبية الله تعالى .

قال الشنقيطي – رحمه الله - : « ظاهر هذه الآية الكريمة أن فرعون لا يعلم شيئاً عن رب العالمين، وكذلك قوله تعالى عنه : (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ) ، وقوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ

(١) سورة طه ، آيتا 49 ، 50 .

(٢) سورة الشعراء ، آية 23 .

(٣) سورة طه ، آية 50 .

(٤) انظر: الفتاوى 335/16. وانظر: التحرير والتنوير 117/19 .

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [٢].

ولكن الله – جلّ وعلا – بيّن أن سؤال فرعون في قوله : (وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ؟ ) ، وقولـه : ( فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ؟ ) تجاهل عارف أنه عبد مربوب لرب العالمين بقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [٣] ، وقولـه تعالى عن فرعون وقومه: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[٤]))[٥].

فلما كانت دعوى فرعون جحد رب العالمين، كانت الإجابة من موسى – عليه السلام – حجة داحضة لدعواه، ففي آية (طه) أجاب موسى كما حكاه الله تعالى عنه : (رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ).

أي: أن الله تعالى لا يخفى عليك ؛ فهو خالقك وبارئك أنت وجميع المخلوقات سواك، وهو تعالى الذي هدى المخلوقات الهداية العامة لجلب ما ينفعها ، ودفع ما يضرها.

قال ابن القيم – رحمه الله –: (( وقد جعل الله – سبحانه – من آيات ربوبيته الهداية العامة لخلقه . فهدى كل نفس لجلب ما يصلحها وينفعها، ودفع ما يضرها ويفسدها، وخصّ النوع الإنساني بأنواع أخرى من الهداية... ))[٦].

أما آية الشعراء فكـــان الجواب من موسى – عليه السلام – كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ

---

(١) سورة القصص ، آية 38 .
(٢) سورة الشعراء ، آية 29 .
(٣) سورة الإسراء ، آية 102 .
(٤) سورة النمل ، آية 114 .
(٥) أضواء البيان 92/6، وانظر: تفسير ابن كثير 333/3، وتفسير السعدي 461/3.
(٦) الصواعق المرسلة 775/2 ، وانظر: شفاء العليل 78/1.

﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١).

فبين أن الله تعالى رب السموات والأرض وما بينهما، كما أنه رب لكم ولآبائكم، ورب المشرق والمغرب وما بينهما ؛ فشملت ربوبية الله – تعالى – للكون كلــه علويه وسفليه، وفرعون في باطنه يعلم ذلك علم اليقين إلا أنه مكابر جاحد في الظاهر ؛ ولذلك رمى موسى – عليه السلام – بالجنون وعدم العقل ؛ تمويهاً ومخادعة لقومه شأن العاجزين المنهزمين .

ويمكن تلخيص الرد على دعوى فرعون من وجوه:

1 - بيّن موسى أن الله تعالى معروف عند فرعون وعند الحاضرين، وأن آياته ظاهرة بينة لا يمكن معها جحده. وأنكم إنما تجحدون بألسنتكم ما تعرفه قلوبكم، كما قال موسى في موضع آخر لفرعون : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ (٢).

وقال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣).

2 - لما سأل فرعون جحداً أجابه موسى بأن ربه أعرف من أن ينكر، وأظهر من أن يُشك فيه ويرتاب ، قال: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾.
ولم يقل : ( موقنين بكذا وكذا ) ، بل أطلق، فأي يقين كان لكم بشيء من الأشياء، فأول اليقين: اليقين بهذا الرب ، كما قال الرسل لقومهم : ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾؟ (٤). وأن ذلك من العلوم الضرورية التي لا يخلو منها عاقل.

(١) سورة الشعراء ، الآيات 24 – 28 .
(٢) سورة الإسراء ،آية 102 .
(٣) سورة النحل ، آية 14 .
(٤) سورة إبراهيم ، آية 10 .

3 - لما قال فرعون : ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ ، وهذا من افتراء المكذبين على الرسل، حين لا تسعفهم الحجّة فيما يذهبون إليه ؛ فبين لـــه موسى أنكم الذين سلبتم العقل النافع، وأنتم أحق بهذا الوصف، فقال: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ،فإن العقل السليم والفكر السديد مستلزم لعلوم ضرورية يقينية، وأعظمها في الفطرة الإقرار بالخالق.

4 - أن دعوى الإلهية من فرعون باطلة، فكلام موسى – عليه السلام – يقتضي الأمرين : إن كان لك يقين فقد عرفته، وإن كان لك عقل فقد عرفته . وإن ادعيت أنه لا يقين لك ولا عقل لك، فكذلك قومك، فهذا إقرار منكم بسلبكم خاصية الإنسان، ومن يكون هكذا لا يصلح له ما أنتم عليه من دعوى الإلهية.

5 - أن هواكم صدكم عن اتباع موجب العقـــل ، وهو إرادة العلو في الأرض والفساد . ولذا قال الله تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾[١]، والخفيف هو السفيه الذي لا يعمل بعلمه، بل يتبع هواه[٢].

كما أننا نجد أن كثيراً من المتكلمين، يستدل بآية الشعراء : (وما رب العالمين ) ؟ ، على أن فرعون سأل موسى مستفهماً عن الماهية، وأن المسئول عنه لما لم تكن لــه ماهية عدل موسى عن الجواب إلى بيان ما يُعرف به وهو قوله : (رب السموات والأرض) ..الآيات.

ومقصودهم بذلك نفي صفات الله تعالى، ولذلك لما لم تكن لـــه صفات وماهية ترك موسى الإجابة بصفاته المعرِّفة به، إلى ما يُعرف به مِنْ أنه رب السموات والأرض وربهم ورب آبائهم، ورب المشرق والمغرب.

قال الرازي : « فرعون سأل موسى – عليه السلام – عن صفة الله – تعالى – فقال : (وما رب العالمين)؟ ثم إن موسى لم يذكر الجواب عن هذا السؤال إلا بكونه تعالى خالقاً للناس ، ومدبراً لهم، وخالق السموات والأرض ومدبراً لهما . وهذا أيضاً من أقوى الدلائل على أنه تعالى ليس بمتحيز ولا في جهة ... ولفظة (ما) سؤال عن الماهية وطلب الحقيقة، فلو

(١) سورة الزخرف ، آية 54 .
(٢) الفتاوى لشيخ الإسلام 334/16 بتصرف .

كان تعالى متحيزاً لكان الجواب عن قولـــه : (وما رب العالمين) بذكر كونه متحيزاً أولى من الجواب منه بذكر كونه خالقاً ... فلا جرم ما كان يمكن تعريف حقيقته – سبحانه وتعالى – إلا بأنه خالق مدبر، فلا جرم كان جواب موسى – عليه السلام – صحيحاً، وكان سؤال فرعون ساقطاً فاسداً ))(١).

ولا شك في بطلان ما ذهبوا إليه، ويمكن الرد عليهم من وجهين:

1- أن فرعون إنما استفهم استفهام إنكار وجحد، ولم يسأل عن ماهية رَبٍّ أقرّ بثبوته، بل كان منكراً لـــه جاحداً ؛ ولهذا قال في تمام الكلام : ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾(٢)، وقال: ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾(٣) فاستفهامه كان إنكاراً وجحداً(٤).

2- أن فرعون لم يقل: (ومن رب العالمين)، فإن (مَنْ؟) سؤال عن عينه يسأل بها من عرف جنس المسئول عنه من أهل العلم، وقد شك في عينه . أما (ما؟ ) فهي للسؤال عن الوصف، يقول: أي شيء هو هذا؟ وما هو الذي سميته (رب العالمين)؟ قال ذلك منكراً له جاحداً(٥).

(١) أساس التقديس في علم الكلام 26/1-27، والتفسير الكبير 129/12.

(٢) سورة الشعراء ، آية 30 .

(٣) سورة القصص ، آية 38 .

(٤) انظر: الفتاوى 334/16 – 335 .

(٥) انظر : المصدر نفسه.

# الفصل الثاني :
## توحيد الأسماء والصفات

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تنـزيه الله عز وجل .
المبحث الثاني : إثبات الأسماء لله عز وجل .
المبحث الثالث : إثبات الصفات .

إنّ مما يجب على المكلَّف توحيد الله في ألوهيته ، وربوبيته ، وأسمائه وصفاته ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك .

وتوحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية ، كما أطلق عليه التوحيد العلمي الخبري ، إلا أنه بعد ظهور الفرق وانتشار البدع، أثيرت الشبه والشكوك حوله ، وكثر منكروه، مما جعل العلماء يفردونه بالتصنيف ليحققوا إثباته كما دلت عليه النصوص ، ويفندوا مزاعم النفاة حوله (١) .

وقد عرَّفه أهل العلم بأنه : « إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله – ﷺ – من صفات الكمال ونعوت الجلال على ما يليق بجلاله وعظمته ، من غير تمثيل ، ولا تكييف، ومن غير تحريف ، ولا تعطيل . ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله – ﷺ – من العيوب والنقائص وما ينافي كماله – عز وجل – » (٢) .

وقد بنى أهل العلم توحيد الأسماء والصفات على أسس وقواعد مستقراة من الكتاب والسنة على ما يلي :

أولاً : أن أسماء الله وصفاته توقيفية ، فلا يسمى الله تعالى ولا يوصف إلا بما سمى ووصف به نفسه ، أو على لسان رسوله – ﷺ – لا يتجاوزن القرآن والحديث (٣) .

قال الإمام أحمد – رحمه الله – : « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث » (٤).

ثانياً : أن ما وصف الله تعالى به نفسه حق مراد معلوم ، ليس بألغاز ولا أحاجٍ .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : « نعلم أنّ ما وُصِف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ، ولا أحاجٍ ؛ بل معناه يُعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم

---

(١) انظر : أضواء البيان ١٧/٣ .

(٢) التدمرية ص٦ ، ٧ ، وانظر : الفتاوى ١٩٥/٥ ، ولوامع الأنوار ١٢٩/١ ، وأعلام السنة المنشورة ص ٥٧، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، للشيخ صالح الفوزان ص ١٠٧ .

(٣) انظر : شرح السنة للبربهاري ص ٦٣ ، والحجة في بيان المحجة ١٩٠/١ ، والفتاوى ٢٦/٥ .

(٤) الفتاوى ٢٦/٥ .

الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأنصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد )) [1].

ثالثاً : إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات دون البحث في كيفية الذات والصفة[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( ... فإذا كان معلوماً أنّ إثبات الباري سبحانه وتعالى إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف )) [3].

رابعاً : إثبات ما أثبته الله – تعالى – لنفسه من الأسماء والصفات إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل [4] .

خامساً : أنّ طريقة القرآن والسنة الإجمال في النفي ، والتفصيل في الإثبات [5] .

والنفي يتضمن إثبات كمال الضد ، قال تعالى : ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ** ﴾[6]، (( فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام))[7].

---

(1) الفتاوى ٥/٢٦ .

(2) انظر : التبصير في معالم الدين ص ١٣٩ ، التوحيد لابن منده ٣/٢١ ، شرح السنة للبربهاري ص ٦٤ ، الحجة في بيان المحجة ١/١٨٩ ، والفتوى الحموية ص ٣٦٣ .

(3) الفتوى الحموية ص ٣٦٣ .

(4) انظر : التبصير في معالم الدين ص ١٤٢ ، والفتاوى ٥ / ٥٨ ، ومنهاج السنة ٢ / ١١١ ، ومدارج السالكين ١/٣٥ .

(5) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ١١٥ ، وانظر : التدمرية ص ٥٧ .

(6) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

(7) التدمرية ص ٥٨ .

# المبحث الأول
# تنـزيه الله عز وجل

من الأسس التي قام عليها توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنة والجماعة أنهم : يؤمنون بما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله – ﷺ – من الأسماء والصفات لا يتجاوزون القرآن والسنة ، (( مع اعتقاد ما دلت عليه ، وأنها على ظاهرها . ولا يلزم من إثباتها تشبيه الله بخلقه – تعالى الله عن ذلك – ؛ لأن صفات الخالق تخصه وتليق به ، وصفات المخلوقين تليق بهم وتخصهم ، ولا تشابه بين الصفتين ، كما أنه لا تشابه بين ذات الخالق سبحانه وذات المخلوق )) [1] .

فأهل السنة والجماعة يثبتون أسماء الله وصفاته إثباتاً ، لا تمثيل فيه ، ولا تشبيه ، فإن الله تعالى لا مثل له ، ولا ندّ له ، ولا كفء له ، ولا سميّ له ، كما قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [2] .

وقال جلّ شأنه : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [3]، وقال سبحانه : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [4] ، وقال : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [5] .

فنزه الله تعالى ذاته المقدسة عن المثل ، والسمي ، والكفء ، وينزهون الله تعالى عن النقائص والعيوب تنزيهاً من غير تعطيل يفضي إلى نفي أسمائه وصفاته – تعالى –بتأويلها وتحريفها إلى معانٍ باطلة .

فمذهب السلف في توحيد الصفات مبني على أصلين :

أحدهما : أن الله – سبحانه وتعالى – منزه عن صفات النقص مطلقاً ، كالسِّنة والنوم والعجز والجهل وغير ذلك .

والثاني : أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات ، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات .

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ١١٣ .

(٢) سورة الشورى ، آية ١١ .

(٣) سورة النحل ، آية ٧٤ .

(٤) سورة مريم ، آية ٦٥ .

(٥) سورة الإخلاص ، آية ٤ .

ولكن نفاة الصفات يسمون كل من أثبت شيئاً من الصفات مشبهاً؛ بل المعطلة المحضة الباطنية [١] ، نفاة الأسماء والصفات يسمون من سمى الله بأسمائه الحسنى مشبهاً [٢].

ويوضح ابن القيم – رحمه الله – المراد من قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [٣]: « فهذا الموصوف بهذه الصفات والنعوت والأفعال ...، فهذا الذي ليس كمثله شيء ؛ لكثرة نعوته ، وأوصافه ، وأسمائه ، وأفعاله ، وثبوتها له على وجه الكمال ، الذي لا يماثله فيه شيء ، فالمثبت للصفات والعلو والكلام والأفعال وحقائق الأسماء ، هو الذي يصفه سبحانه بأنه ليس كمثله شيء .

وأما المعطل : النافي لصفاته وحقائق أسمائه ، فإن وصفه له بأنه ليس كمثله شيء مجاز، لا حقيقة ، كما يقول في سائر أوصافه وأسمائه ، ولهذا قال من قال من السلف: إن النفاة جمعوا بين التشبيه والتعطيل ، فسموا تعطيلهم تنزيهاً ، وسمّوا ما وصف الله به نفسه تشبيهاً... » [٤] .

وبذلك تتضح وسطية أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته ؛ فهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله – ﷺ – من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، من غير تمثيل ولا تكييف ، وينفون ما نفاه الله عن نفسه من النقائص والعيوب من غير تعطيل ، أو نفاه عنه رسوله –ﷺ– .

وقد نزّه الله تعالى ذاته المقدسة في مواطن متعددة من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

---

(١) الباطنية : لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلاً ، وتطلق الباطنية على : باطنية الشيعة كأصحاب رسائل إخوان الصفا ، وباطنية الصوفية كابن عربي وغيره ، وللباطنية عدة ألقاب منها : القرامطة ، الخرمية ، الإسماعيلية ، المحمرة ، التعليمية .
انظر : فضائح الباطنية للغزالي ص ١١ ، والرد على المنطقيين ص ٥٠٩ ، والملل والنحل للشهرستاني ١٩٢/١ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٥٢٣/٢ .

(٣) سورة الشورى ، آية ١١ .

(٤) الصواعق المرسلة ١٠٢٩/٣ .

كقول الله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ...؟)

والأداة فيه : أنى ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، أي : كيف يكون له ولد ، وهو من جملة مخلوقاته ؟ وكيف يتخذ ما يخلقه ولدا ؟[2] .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ... ؟ ) .

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، فإن الله تعالى وبخهم على هذا القول الباطل عند العقلاء [4].

وقول الله تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ؟ ) ، والأداة فيه ( هل ) التي تفيد التصديق ، والمراد منه النفي [6] ؛ أي ليس له سمي .

« وهذا الاستفهام بمعنى النفي المعلوم بالعقل ، أي لا تعلم له مساوياً ولا مشابهاً ؛ لأنه الرب وغيره مربوب ... لـه الكمال المطلق من جميع الوجوه ... فهذا برهان قاطع على أن

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٠١ .
(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٣/١٦٩ ، فتح القدير ٢/١٤٨ .
(٣) سورة يونس ، آية ٦٨ .
(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٤/١٦٣ ، فتح القدير ٢/٤٦٠ .
(٥) سورة مريم ، آية ٦٥ .
(٦) انظر : المفردات للراغب ١/٥٤٤ ، وتفسير أبي السعود ٥/٢٧٤ .

الله هو المستحق لإفراده بالعبودية ، وأن عبادته حق . فلهذا أمر بعبادته وحـده والاصـطبار عليها، وعلل ذلك بكماله ، وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى )) [1].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على تنْزيه الله تعالى عن الشبيه والولد والصاحبة لكماله ، ويتضح ذلك من وجوه :

١- نفي الشبيه والسميّ والمثل لـه - جلّ وعلا - ؛ فالواجب على العبد أن يثبت ما أثبته الله لنفسه ، وما أثبته لـه رسوله - ﷺ - إثباتاً يليق بجلاله الله تعالى من غـير تمثيـل ، ولا تشبيه، ولا تكييف ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ؟﴾ فنفى أن يكون له سميٌّ، والنكرة هنا في سياق النفي فتعمّ [2]، أي : ليس لـه مُسَامٍ ومشابهٌ ، كائن من كـان ؛ لتفرده بصفات الكمال ونعوت الجلال .

وجاء النفي مجملاً ، وهذه هي طريقة القرآن : الإثبات المفصل في أسمائه وصفاته اللائقة به ، والنفي المجمل ، بخلاف طريقة أهل البدع ، فإنهم على النقيض من ذلك، فالنفي المفصـل عندهم ، والإثبات المجمل .

قال شيخ الإسلام -رحمه الله - : والرسل عليهم صلوات الله جاؤوا بإثبات مفصل ونفي مجمل ... فالرسل أخبرت كما أخبر الله في كتابه الذي بعث به رسوله - ﷺ - أنه: بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ... ، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته .

وقـال في النفـي والتنْزيـه : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [3] ، ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [4]، ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [5][6].

---

(١) تفسير السعدي ٤٩٨/١ .

(٢) انظر : بدائع الفوائد ٢/٤ .

(٣) سورة الشورى ، آية ١١ .

(٤) سورة الإخلاص ، آية ٤ .

(٥) سورة مريم ، آية ٦٥ .

(٦) انظر : الصفدية ١١٦/١ ، وانظر : الفتاوى ٤٨٢/١١ ، ٣٢٥/٥ .

فنفي السميّ والشبيه عن الله – تعالى – لا يستلزم نفي الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه ؛ (( لأنه لو كان المراد بهذا النفي نفي صفاته وأفعاله واستوائه على عرشه ، وتكليمه بالوحي ، وتكليمه لمن يشاء من خلقه ، لكان ذلك وصفاً له بغاية العدم ، فهذا النفي واقع على العدم المحض )) [1].

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( فهذا الرب هو الذي لا سمي له ؛ لتفرده بكمال هذه الصفات والأفعال ، فأما من لا صفة له ، ولا فعل ، ولا حقائق لأسمائه إن هي إلا ألفاظ فارغة من المعاني ، فالعدم سمي له ... )) [2] .

٢– نزَّه الله ذاته المقدسة عن الولد والصاحبة لكمال صمديته ، فحقيقة الصمدية وكماله وحده واجبة لازمة ، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء بوجه من الوجوه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( نفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه ، فإن انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ، وبأنّه خالق كل شيء ، وكل ما سواه مخلوق له ، ليس فيه شيء مولود له .

والثاني : نفاه بكونه سبحانه الصمد ، وهذا المتولد من أصلين يكون بجزئين ينفصلان من الأصلين كما تولد الحيوان من أبيه وأمه ... وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى ، فإنّه أحد فليس له كفؤ يكون صاحبة ونظيراً ... ))[3] .

فلمّا ادَّعى المشركون أنَّ الملائكة بنات الله، نزَّه الله تعالى ذاته المقدسة عن الولد[4] .

ثمَّ برهن على ذلك بعدة براهين :

أحدها: قوله : ( هو الغني ) أي : الغني منحصر فيه ، فهو الغني الذي له الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع الوجوه ، فإذا كان غنياً من كل وجه ، فلأي شيء يتخذ الولد ؟ فهذا منافٍ لغناه، فلا يتخذ أحد ولداً إلا لنقص في غناه .

---

(١) الصواعق المرسلة ١٠٢٠/٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٠٢٨/٣ .

(٣) الفتاوى ٢٤٠/١٧ – ٢٤١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١١/١٢ – ١٤٥/١٥ .

الثاني: في قوله : ( لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ) ، وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد مماليك ، ومن المعلوم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده.

الثالث: قوله : (إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ ) أي : هل عندكم حجة وبرهان تدل على أن لله ولداً ، فلو كان لهم دليل لأبدوه ، فلما تحداهم وعجَّزهم عن إقامة الدليل ، علم بطلان ما قالوه ، وأن ذلك قول بلا علم ، ولهذا قال : (أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ) فإن هذا من أعظم المحرمات[1] .

٣- الاستدلال على عبادته بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ؛ ولذا أمر الله تعالى نبيه بإفراده بالعبادة والاصطبار على ذلك بقوله : ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا؟ ﴾ [2].

فإذا كان هذا شأنه فهو المستحق للعبادة وحده ، قال الإمام الطبري – رحمه الله – : ((واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه ، والعمل بطاعته ، تَفُزْ برضاه عنك ؛ فإنه الإله الذي لا مثل له ، ولا عدل ، ولا تشبيه في جوده وكرمه وفضله ... )) [3].

وقال ابن عبدالهادي [4] – رحمه الله -: (( وأصل دين الإسلام أن نعبد الله وحده ، ولا نجعل له من خلقه نداً، وكفواً، ولا سميّا ، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ ؟، وقال: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ ، وقال: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ )) [5] .

---

(١) تفسير السعدي ص ٣٦٩.

(٢) سورة مريم ، آية ٦٥ .

(٣) تفسير الطبري ١٨/٢٢٦ .

(٤) هو : محمد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي الحنبلي ، شمس الدين الشيخ المسند الحنبلي ، إمام من أئمة أهل السنة والجماعة ، قال ابن كثير : ((حصل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار ، وتفنن في الحديث والنحو والفقه والتفسير )) ، توفي سنة ٧٤٤هـ . انظر : البداية والنهاية ١٤/٢١٠ ، وشذرات الذهب ٨/٣٧١ .

(٥) الصارم المنكي ١/٤٩ .

فالله تعالى الكامل الذي لـــه الكمـــال المطلق من جميع الوجوه ، المنـــزَّه عن كل نقص وعيب ، دليل وبرهان على إفراده بالوحدانية والعبادة ؛ لتفرده بالعظمة والأسماء الحسنى .

وبرغم ذلك نجد أنَّ الرازي من الأشاعرة يستدل بالآية على نفي التحيز ، الذي يلزم منه على مذهبهم نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه، فقال: (( قوله تعالى: ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ ؟ قال ابن عباس – رضي الله عنهما– : هل تعلم لـــه مثلاً ؟ ، ولو كان متحيزاً لكان كل واحد من الجواهر مثلاً )) [1].

هذه هي الحجة الخامسة التي عرضها الرازي لنفي التحيز والتجسيم ، وقد ناقشه شـــيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بما ملخصه :

١– أما التمثيل فقد نطق القرآن بنفيه عن الله في مواضع كقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ ، وقوله:﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ ؛ أي : نظيراً يستحق مثل اسمه، ويقال : مسامياً يساميه ، وهذا معنى ما يُروى عن ابن عباس : ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ ، مثيلاً أو شبيهاً.

٢– أن موجب الأدلة السمعية يُتلقى من عُرف المتكلم بالخطاب لا من الوضع المحدث ؛ فليس لأحد أن يقول : إن الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني ، ثم يريد أن يفســـر مراد الله بتلك المعاني . هذا من فعل أهل الإلحاد المفترين ... وعمدوا إلى مـــا جـــاء في القرآن والسنة من تسميته الله تعالى ، بأنه ( أحد ) و( واحد ) ( غني ) ، ونحو ذلك في نفي المثل ، والكفؤ عنه ، فقالوا : هذا يدل على المعاني التي سميناها بهذه الأسماء ، وهذا من أعظم الافتراء على الله [2].

٣– إن لفظ (التحيز) لفظ مجمل لم يردْ نفيه ولا إثباته في الكتاب والسنة ، فيجب الاستفصال في المراد منه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –: ((لفظ (التحيز) إن أراد به: أنّ الله تحوزه المخلوقات، فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض ... وإن أراد به أنّه: منحاز عن المخلوقات؛ أي: مباين لها ، منفصل عنها، ليس حالاًّ فيها ، فهو سبحانه كما قال أئمة السنة: فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه )) [3] .

---

(١) أساس التقديس في علم الكلام ص ٣٠ .

(٢) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٤٣/١ – ٥٤٤ .

(٣) التدمرية ص ٦٨ .

# المبحث الثاني
# إثبات الأسماء

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلـــب الأول : مـــن أســـمائه تعـــالى (الرحمن ) .

المطلب الثاني : الكريم .

المطلب الثالث : أحكم الحاكمين .

في مطلع هذا المبحث لا بد من معرفة المراد بالأسماء في اللغة ، ومعرفة الضابط فيما يُطلق على الله تعالى من الأسماء .

**الاسم في اللغة :**

(( اسم الشيء بالكسر والضم : علامته ، واللفظ الموضوع للتمييز ))(١) .

وقال الراغب (٢) : (( اسم ما يُعرف به ذات الشيء ، وأصله سِمْوٌ )) (٣) .

فالاسم : ما دلّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة ، وهو الدال على معنى يقوم بذاته كزيد وعمرو (٤) .

**تعريف الأسماء في الشرع :**

هي التي جاءت في الكتاب والسنّة، وتقتضي المدح والثناء بنفسها ، ويُدعى الله بها.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : (( الأسماء الحسنى المعروفة : هي التي يُدعى الله بها ، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة ، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها )) (٥) .

نجد ضابطين من الضوابط التي ضُبطت بها أسماء الله تعالى :

الأول : أن أسماء الله –تعالى– توقيفية ، فلا بد من ورود النص من الكتاب أو السنة بذلك الاسم ، فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله –ﷺ– .

قال الخطابي (٦)– رحمه الله – : (( ومن علم هذا الباب – أعني الأسماء والصفات –

---

(١) القاموس المحيط ١٦٧١/١ مادة ( سما ) .

(٢) هو : الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني ، المعروف بالراغب الأديب المتكلم، من أذكياء المتكلمين ، من مصنفاته : ( الذريعة إلى مكارم الشريعة ) و ( المفردات في غريب القرآن). توفي سنة ٥٠٢هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٢٠/١٨ .

(٣) المفردات ص ٤٢٨ .

(٤) التعريفات للجرجاني ص ٤٠ .

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٥ ، الفتاوى ١٤٣/٦ .

(٦) الخطابي هو : حمد بن محمد بن إبراهيم البستي ، المحدث الفقيه الأديب ، عُرف بالعلم والزهد والورع ، ألف وصنف ، من مصنفاته : ( غريب الحديث ) ، و ( أعلام السنن في شرح البخاري ) ، و( العزلة ) . توفي سنة ٣٨٨هـ.

انظر : الأنساب ٣٨٠/٢ ، ومعجم الأدباء ٢٥١/٣ .

ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط ، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف ، ولا يستعمل فيها القياس ... )) [1] .

وقال السفاريني [2] : (( لكنها – أي أسماء الله – في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع ، وورود السمع بها .. )) [3].

وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – : (( القاعدة الخامسة : أسماء الله تعالى توقيفية ، لا مجال للعقل فيها . وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة ، فلا يزاد فيها ، ولا ينقص ... )) [4] .

الضابط الثاني : أن تقتضي المدح والثناء بنفسها لتضمنها لصفات الكمال كما وصفها الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [5] .

(( أي بالغة في الحسن غايته ؛ وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة ، لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، لا احتمالاً ولا تقديراً )) [6] . فليست أعلاماً مجردة عن المعاني ؛ بل متضمنة للمدح والثناء أكمله .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( أسماء الرب – تبارك وتعالى – دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات ، فهي أسماء وأوصاف ، وبذلك كانت حسنى ؛ إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى ، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال )) [7].

ولذا نعلم أن ما كان إطلاقه محتملاً للمدح والذم ، فلا يسمى الله تعالى به ؛ لأن أسماءه متمحضة للمدح والثناء بنفسها .

---

(١) شأن الدعاء ص ١١١ .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، الفقيه المحدث ، من تصانيفه : ( البحور الزاخرة ) ، و(معارج الأنوار )، توفي سنة ١١٨٨هـ .
انظر: معجم المؤلفين ٣/٦٥ .

(٣) لوامع الأنوار ١/١٢٤ .

(٤) القواعد المثلى ٣/٢٧٥ .

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٨٠ .

(٦) القواعد المثلى ٣/٢٦٩ .

(٧) مدارج السالكين ١/٣٧ .

قال شيخ الإسلام- رحمه الله – : والله له الأسماء الحسنى ، وليس له مثل السـوء قـط، فالأسماء التي فيها عموم وإطلاق لما يُحمد ويُذم لا توجد في أسماء الله الحسنى ؛ لأنها لا تـدلُّ على ما يحمد الرب ويمدح ، ومثال ذلك : ( المريد ) ، فالمريد قد يريد خيراً يحمد عليه ، وقد يريد شراً يُذم عليه ... [1] .

وبهذا يتقرر أن أسماء الله توقيفية ، فما ورد النص به نثبته ، وما لم يرد به النص لا نثبتـه كالصانع والقديم وغيرها.

كما أنها حسنى وصفها الله بذلك ، بقولـه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [2] ، فالله تعالى سمى نفسه بتلك الأسماء : الحكيم ، العليم ، الكريم ، العظيم ... ، ولم يسم نفسـه بأفعاله كأراد ، وشاء إلى غير ذلك .

وقد خالف أهلَ السنة والجماعة في إثبات أسماء الله تعالى طوائفُ ضَلَّتْ طريق الهـدى والرشاد ، من أشهر أقوال تلك الطوائف :

القول الأول :

قول الجهمية، أتباع جهم بن صفوان ، والغلاة من القرامطة [3]، والفلاسفة[4]:

إن الله لا يسمى بشيء . وزعموا أن الله إذا سُمي بهذه الأسماء لزم من ذلك تشـبيه الله تعالى بغيره ، والله منـزه عن الشبيه [5] .

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٢/١٠ – ١١ ، بتصرف .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٨٠ .

(٣) القرامطة : تنسب إلى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط ؛ لأنه كان قصيراً متقارب الخطو ، وهم طائفة من الباطنية ، أظهروا أولاً التشيع ، ثم دخلوا الإلحاد والزندقة واستباحة المحرمات ، وظهـر أمرهم سنة ٢٨٦هـ على يد أبي سعيد الجنَّابي ، وكان منهم على المسلمين شر عظيم ، فقد انتهكوا حرمة بيت الله الحرام ، وقتلوا الحجيج سنة ٣١٧هـ ، واقتلعوا الحجر الأسود .

انظر : الفرق بين الفرق ص ٢١٣ ، وفضائح الباطنية للغزالي ص١٢ – ١٤، وتلبيس إبليس ص١٠١ .

(٤) الفلاسفة : جمع فيلسوف ، ويدل هذا اللفظ في الأصل اليوناني على محب الحكمة ، وقد مرت الفلسفة بمراحل وأدوار ، ومن مذهبهم : أن العالم قديم ، وأكثرهم ينكرون علم الله بالجزئيات ، وينكرون حشر الأجسـاد ، ومن أشهرهم: أرسطو وأفلاطون ، ومن المنتسبين إلى الإسلام : ابن سينا ، والفارابي .

انظر : الملل والنحل٢ / ١١٩ ، وإغاثة اللهفان ٢/٢٧٥ .

(٥) الصفدية ١/٨٩ .

قال شيخ الإسلام -رحمه الله - : (( جهم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئاً، ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز ))[1] .

ونسب لجهم أن الله يسمى بالخالق القادر فقط مع نفي سائر الأسماء [2] .

القول الثاني :

قول المعتزلة ، فهم يثبتون الأسماء مجردة عن الصفات .

قال القاضي عبدالجبار : (( اعلم ، أن أول ما يعرف استدلال من صفات القديم - جل وعز - إنما هو كونه قادراً ، وعداه من الصفات يترتب عليه - ثم وضح أن هذه الأسماء لا تتضمن معانيها من الصفات- وجملة القول في ذلك ، هو أنه تعالى لو كان حياً بحياة ، ... لوجب أن يكون القديم تعالى جسماً، وذلك محال... ))[3]، ثم ذكر كل صفة على حدة .

القول الثالث :

قول الكلاّبية والأشاعرة والماتريدية ، ومن وافقهم .

فقد أثبتوا الأسماء الحسنى مع إثبات معاني بعضها ، وتحريف معاني بعضها الآخر .

فالأشاعرة يثبتون سبع صفات، هي : ( العلم ، الحياة ، القدرة ، السمع، البصر، الكلام، الإرادة ) ، ويزيد الماتريدية صفة ثامنة هي : ( التكوين )[4]؛ فهم يثبتون معاني الأسماء التي يثبتون صفاتها ، مثل : ( العليم ، السميع ، البصير ، القدير ، الحيّ ) [5] ، أما بقية الأسماء فيحرفون المعنى الذي دل عليه الاسم إلى صفة يثبتونها كالرحمن ، حيث يحرفون دلالة الاسم على صفة الرحمة إلى إرادة الإنعام [6] .

ومزاعم هؤلاء وأقوالهم مردودة من وجوه :

---

(١) الفتاوى ١٢/ ٣١١ .

(٢) انظر : منهاج السنة ٥٢٦/٢ ، والفتاوى ٤٦٠/٨ ، ودرء التعارض ٥٢٦/٢ .

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ١٥١ ، ٢٠٠ ، وانظر : مقالات الإسلاميين ص ١٦٤ .

(٤) انظر : التمهيد في أصول الدين ، لأبي المعين النسفي ص ٢٨ ، وإشارات المرام ص ٥٣ ، ١١٧ .

(٥) سيأتي توضيح مذهب متقدمي الأشاعرة والكلابية في الصفات، فهم يثبتون الأسماء وما تضمنته من الصفات سوى الصفات الاختيارية فهم ينفونها .

(٦) انظر : لوامع البينات ص ١٥٤ ، وانظر : الإرشاد ص ٣٠٣ .

١- إنّ الله تعالى سمّى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله -ﷺ- بأسماء حسنى يجب الإيمان بها، ودعاؤه والتوسل إليه بها، وأنّها حق على حقيقته كما يليق بعظمته وجلاله .

٢- أن أسماء الله تعالى دالة على ذاته وصفاته بدلالة المطابقة والتضمن والالتزام، ومثال ذلك : الخالق يدل على ذات الله ، وعلى صفة الخلق بالمطابقة ، ويدل على الذات وحدها، وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن ، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام[١] .

٣- أن نفي أسماء الله الحسنى أو معانيها من الإلحاد والميل بها عن الحق الذي أنزله الله ، فمن أنكر شيئاً من أسمائه أو أنكر ما دلت عليه من الصفات كما فعل أهل التعطيل، فذلك ميل بها عمّا يجب فيها [٢].

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها . قال تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [٣] ؛ ولأنها لو لم تدل على معانٍ وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها ... )) [٤] .

---

(١) القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين ضمن فتاوى العقيدة ٢/٢٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ٣/٢٧٨ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١٧٠ .

(٤) مدارج السالكين ١/٣٧ ، وانظر : مختصر الصواعق ٢/٣٤٢ .

## المطلب الأول : من أسماء الله تعالى ( الرحمن )

اسم الله تعالى الرحمن ، من الأسماءِ الحسنى التي أثبتها الله تعالى لنفسه ، والرحمن متضمن لصفة الرحمة .

ومعنى الرحمة في اللغة والشرع :

الرحمة في اللغة :

(( الرِّقة والتَّعطُّف ، وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمتُ عليه ، وترَاحم القوم : رحم بعضهم بعضاً، وترحَّم عليه : دعا له بالرَّحْمة )) [١] .

يقال : (( رَحِمَه يَرْحَمُه ، إذا رقَّ له وتعطف عليه ، والرَّحْمُ والمرحمة والرَّحْمة بمعنى ، والرَّحيم : علاقة القرابة ، ثم سمِّيت رحم الأنثى رحماً من هذا ؛ لأن منها ما يكون ما يُـرْحم ويُرَق له من ولد )) [٢] .

أما في الشرع :

فقد سمّى الله تعالى ذاته المقدسة بــ( الرحمن ) و ( الرحيم ) المتضمنين اتصاف الله تعالى بالرحمة الكاملة التي تليق بجلاله .

قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [٣] .

وقال : ﴿ ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٤] .

ووصف الله تعالى نفسه بالرحمة، فقال تعالى:﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [٥].

ووصف رسوله -ﷺ- بالرحمة ، فقال: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٦].

كما وصف بعض مخلوقاته بالرحمة كما جاء في الحديث : (( احتجت الجنة والنار، فقال للجنة : إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء )) [١] .

(١) لسان العرب ، ٢٣٠/١٢ ، مادة ( رحم ).

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤٩٨/٢ مادة ( رحم ) .

(٣) سورة طه ، آية ٥ .

(٤) سورة السجدة ، آية ٦ .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٤٣ .

(٦) سورة التوبة ، آية ١٢٨ .

فهذه رحمة مخلوقة مضافة إلى الله تعالى إضافة المخلوق لخالقه ، كما سيأتي توضيحه .

قال قوام السنة الأصبهاني – رحمه الله – : (( الرحمن يجمع كل معاني الرحمة ...

أما الرحيم : فالمبالغ في الرحمة )) [٢] .

وقال : (( إن جميع أفعال الله مشتقة من أسمائه ، بخلاف المخلوق )) [٣] .

ويوضح ابن القيم –رحمه الله– الفرق بين الرحمن والرحيم من أسمائه تعالى، فيقول: إن ورود الرحمن في أسمائه أكثر من ورود الرحيم، أمَا الرحيم فجاء مقيداً، كقوله تعالى:﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[٤]، ومقروناً باسم الرحمن كما في الفاتحة أو باسم آخر، وأيضاً (فالرحمن جاء على بناء فعلان الدال على الصفة الثانية اللازمة الكاملة كما يُشعر به هذا البناء نحو: غضبان ، وندمان ، وحيران ، والرحمن مَنْ صفته الرحمة، و(الرحيم) من يرحم بالفعل[٥].

وقال: (( الرحمن من أبنية المبالغة كغضبان ونحوه، وإنما دخله معنى المبالغة من حيث كان آخره ألف ونون كالتثنية، فإن التثنية في الحقيقة تضعيف، وكذلك هذه الصفة...))[٦].

كما أن إثبات الاسم والصفة لله تعالى يتضمن إثبات الأثر المترتب عليهما .

قال ابن القيم –رحمه الله–: ((اسمه (الرحمن) فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم .فمن أعطى اسم (الرحمن) حقه عرف أنه مقتضى لإرسال الرسل، وإنزال الكتب ، أعظم من تضمنه إنزال الغيث وإنبات الكلأ ، وإخراج الحب . فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان )) [٧] .

---

=

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء [٢٨٤٦] ٢١٨٦/٤ .

(٢) الحجة في بيان المحجة ١٣٧/١.

(٣) انظر: المصدر نفسه ١٣٧/١.

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٤٣ .

(٥) انظر : مختصر الصواعق ٣٤١/٢ .

(٦) بدائع الفوائد ٢٧/١ .

(٧) مدارج السالكين ١٤/١ .

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي –رحمه الله-: «الرحمن، الرحيم، البر، ... هذه الأسماء ، تتقارب معانيها ، وتدل على اتصاف الرب بالرحمة، والبر ، والجود ، والكرم ، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عمّ بها جميع الوجود ، بحسب ما تقتضيه حكمته ، وخص المؤمن منها، بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل ... والنعم والإحسان، كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه، وخيرات الدنيا والآخرة كلها من آثاررحمته » [1] .

**مذهب المتكلمين في ذلك :**

تقدم بيان مذاهب المتكلمين في صفات الله تعالى إجمالاً ، أما مذهبهم على جهة التفصيل في صفة الرحمة: فقد أجمع المعتزلة والأشاعرة ومن وافقهم على نفي اتصاف الله بالرحمة حقيقة، وجعلوا إطلاقها على الله مجازاً .

قال الزمخشري من المعتزلة : « فإن قلت : ما معنى وصف الله تعالى بالرحمة ، ومعناهـا العطف والحنو ، ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها ؟ قلت : هو مجاز إنعامه على عباده ؛ لأن الملك إذا عطف على رعيته ورَقّ لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه ...» [2] .

فيرى أن الرحمة مجاز لإنعام الله على عباده .

وقال الغزالي[3]:« وإنما الرحمة التامة إضافة الخير على المحتاجين، وإرادته لهم، عناية لهم... والرحمة لا تخلو عن رقة مؤلمة تعتري الرحيم، فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم، والرب تعـالى منـزه عنها » [4].

وقال الرازي : « المشهور أن الرحمة عبارة عن إرادة إيصال الخير إلى من هو أدون منه، وفيه نظر ؛ لأن على هذا التقدير لا يبقى فرق بين الرحمة والنعمة ، وليس الأمر كذلك؛ بـل

---

(١) تفسير السعدي ٤٨٦/٥ .

(٢) الكشاف ص ٢٦ .

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو محمد ، الملقب بحجة الإسلام ، من فقهاء الشـافعية، ولـولا اشتغاله بالفلسفة والتصوف لكان له شأن أعظم مما كان. من مصنفاته : (إحياء علوم الدين)، و(المستصفى)، و(الوجيز والخلاصة) . توفي سنة ٥٠٥هـ .
انظر : طبقات الشافعية الكبرى ١٩١/٦ .

(٤) المقصد الأسنى ص ١٠٤ .

الرحمة كأنها مخصوصة بدفع البلاء ، ... سميت تلك النعمة رحمة ، من حيث إنها أوجبت زوال البلاء »[(١)] .

فيتبين لنا أن المعتزلة والأشاعرة اتفقوا على نفي دلالة الاسم على الصفة ، وسلكوا مسالك في تحريف ذلك ، إما إلى النعمة وهي من مخلوقاته ، وإما إلى إرادته وهي من الصفات السبع التي يثبتها الأشاعرة .

ونجمل الرد عليهم فيما يأتي:

١- أن الله تعالى نهى عباده عن الإلحاد في أسمائه تعالى فقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(٢)] ، فإنكار دلالة اسم (الرحمن) على صفة الرحمة من الإلحاد والميل الذي حرّمه الله تعالى.

٢- أن اتصاف الله تعالى بصفة الرحمة التي دل عليها اسمه ( الرحمن ) صفة كمال لا محذور في إثباتها لله تعالى على الوجه اللائق ، ولا تستلزم نقصاً بوجه من الوجوه ؛ فقد أثنى الله على نفسه بتسمّيه بـ( الرحمن ) ، وباتصافه بالرحمة في آيات محكمات قطعية الدلالة، ويستحيل عقلاً أن يوصف بصفة نقص وهو المتصف بكل كمال .

قال شيخ الإسلام –رحمه الله-: «فاسمه (الرحمن) أنزله الله لما أنكر المشركون هذا الاسم، فأثبته لنفسه رداً عليهم، وهذا أبلغ في كونه محكماً من هذه السورة ، إذ الرد على المنكر أبلغ في إثبات نقيض قوله من جواب السائل الذي لم يرد عليه بنفي ولا إثبات »[(٣)].

٣- يقال للنفاة : إنّ الله تعالى سمَّى نفسه بأسماء حسنى ، ومنها ( الرحمن ) المتضمن لصفة الرحمة ، فتلك الأسماء مختصة به إذا أُضيفت إليه لا يشركه فيها غيره ، ولا تماثل في المسمَّى عند الإضافة والتخصيص [(٤)].

٤- يُقال : لا فرق بين ما نفيته وبين أثبته ، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ، فيقال للمعتزلي الذي ينفي ما تضمنته الأسماء من الصفات ؛ لأنّه لا يوجد في الشاهد ما هو

---

(١) لوامع البينات ص ١٥٤ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٨٠ .

(٣) بيان تلبيس الجهمية ١ / ٤٦١ .

(٤) الرسالة التدمرية ص٢٠ وما بعدها .

متصف بها إلا ما هو جسم ، قيل له : ولا نجد في الشاهد ما هو مسمّى بالأسماء إلا ما هو جسم فإذا نفيت الصفات ؛ لذلك المحذور فانف الأسماء كذلك [1].

٥- ويُقال للأشعري الذي يثبت بعض الصفات دون بعضها : لا فرق بين مــا نفيتــه مــن الصفات وبين ما أثبته ، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر . فإن قال : إرادته تليــق بجلاله قيل له : وكذلك رحمته تليق بجلاله .

وإن قال : إن الصفات السبع دلَّ عليها العقل ، فالفعل الحادث دل علــى القــدرة ، والتخصيص دلَّ على الإرادة .

قيل له : وكذلك نفع العباد بالإحسان إليهم يدل على الرحمة [2].

وقد جاءت هذه الصفة في أسلوب الاستفهام بعدة مواطن من القرآن :

كقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [3] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [4] .

الآية الأولى :

تصدر الاستفهام الآية بقوله : ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ ﴾ ؟ بالأداة (مَنْ)، والمراد منه : النفي [5]، أي لا أحد يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم ، وبالنهار إذا تصرفتم من الرحمن إن أنزل بكم عذابه [6]، فلا حافظ لكم إلا الله .

---

(١) الرسالة التدمرية ص٢٠ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) سورة الأنبياء ، آية ٤٢ .

يكلؤكم: الكاف واللام والحرف المعتل أو الهمزة أصل صحيح يدل على مراقبة ونظر، فالكلاءة وهي الحفــظ تقول: كلأه الله أي حفظه. انظر: معجم مقاييس اللغة ١٣١/٥ (كلأ)، ولسان العرب ١٤٥/١ (كلأ) .

(٤) سورة الفرقان ، آية ٦٠ .

(٥) انظر : تفسيرأبو السعود ٦٩/٦ ، روح المعاني ٥١/١٧ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٩/١٧ .

قال ابن الجوزي [(١)] : « وهذا استفهام إنكار ؛ أي : لا أحد يفعل ذلك » [(٢)].

ويضاف إلى النفي والإنكار التقريع والتبكيت والتنديم[(٣)]، أي أنه إذ ينفي وجود حافظ لهم إلا الله فإنه ينكر عليهم -أيضاً- ويوبخهم ويدعوهم إلى الندم على ما وقع منهم والرجوع عنه .

الآية الثانية :

جاء الاستفهام فيها بموضعين ، بقوله : (وَمَا ٱلرَّحۡمَـٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا ) ، وبالأداتين (ما، والهمزة) .

أما المراد من قوله : ( وما الرحمن ؟) فإنكار وتجاهل [(٤)]، وفيه مبالغة في الإنكار لتكرار ما يفيده .

وكذلك في قوله : ( أنسجد ؟ ) فالمراد منه : الإنكار والمكابرة [(٥)] .

دلالة الآيتين :

الدلالة الأولى :

أن من أسماء الله تعالى الحسنى الرحمن ، كما في آية الأنبياء : ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِۗ ﴾ ، وفي آية الفرقان : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَـٰنُ ﴾ .

فإن الله تعالى سمى نفسه في الآيتين بـ( الرحمن ) ، ودلالة الاسم تتضمن الدلالة على صفة الرحمة التي وصف الله بها ذاته المقدسة في غاية الكمال كما يليق بجلاله وعظمته .

---

(١) هو : عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي القرشي ، الإمام المحدث ، برع في التفسير والتاريخ والحديث ، من الوعاظ المشاهير ، من مصنفاته : ( زاد المسير ) ، و ( المنتظم في تاريخ الأمم ) ، و ( تلبيس إبليس ) . توفي سنة ٥٩٧هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢١ / ٣٦٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٨/١٣ .

(٢) زاد المسير ٣٥٣/٥ .

(٣) انظر : روح المعاني ١٩ / ٥١ ، وفتح القدير ٤٠٨/٣ .

(٤) انظر : روح المعاني ٣٩/١٩ .

(٥) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام ٧٢/٣ .

وقد أثنى الله على نفسه باسمه : ( الرحمن ) في مواضع عدة في كتابه ، ويوضح ذلك ابن الوزير[1] –رحمه الله– بقوله : وعظم الله تعالى هذا الاسم الشريف ، وبالغ في تعظيمه ، حيث قال : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [2] ، وجاءت الصوادع القرآنية مادحة الله تعالى بأعظم صيغ المبالغات ، في هذه الآية الشريفة الحميدة بأن الله – عز وجل – رحمن رحيم ، وكرر التمدح مراراً جمة أكثر من خمسمائة مرة من كتابه الكريم إلى غير ذلك من صيغ المبالغات القاضية بأن ذلك من أحب الثناء والمادح والمحامد إليه عز وجل [3] .

وبذلك يتبين لك أن الرحمة ثابتة لله تعالى ثبوتاً قطعياً لا يمكن حملها على المجاز .

لكن تجد الزمخشري من المعتزلة يرى أن الاستفهام حقيقي ، وأن كفار قريش سألوا (وما الرحمن) سؤالاً عن مجهول ، فقال : « و( ما الرحمن ؟ ) يجوز أن يكون سؤالاً عن المسمى به ؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم ، والسؤال عن المجهول بما يجوز أن يكون سؤالاً عن معناه لم يكن مستعملاً في كلامهم كما استعمل الرحيم » [4] .

وهذا مكابرة منه ؛ فإن السياق يدل على أن الاستفهام في ( وما الرحمن ) إنكاري ، ولذلك لما أمرهم الله تعالى بالسجود استنكفوا واستكبروا قائلين متهكمين : ﴿ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ﴾ .

ولكن الزمخشري أوّل ذلك ليتوافق مع معتقده الاعتزالي ، فقال : « أنسجد لما يأمرنا محمد – ﷺ – أو يأمرنا المسمى الرحمن ، ولا نعرف ما هو ؟ » [5].

الدلالة الثانية :

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضي الصنعاني المعروف بابن الوزير المتكلم ، من تصانيفه : ( إيثار الحق على الخلق ) و ( الحسام المشهور في الذب عن الإمام المنصور ) ، توفي سنة ٨٤٠هـ .
انظر : معجم المؤلفين ٣/٣٥.

(٢) سورة الإسراء ،آية ١١٠ .

(٣) إيثار الحق على الحق ١/١٢٥ بتصرف .

(٤) الكشاف ص ٧٥ ، ويوافقه أبو السعود في كون الاستفهام حقيقياً . انظر : تفسيره ٦/٢٢٧ .

(٥) الكشاف ص ٧٥ .

أن الله تعالى هو الحافظ لعباده ، كما قال تعالى في آية الأنبياء : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ، أي : لا أحد يحفظكم وينجيكم من المهالك والمضرات إلاّ الله، فالكلاءة هي الحفظ .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : « من يكلؤكم أيها القوم يقول : من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمتم ، وبالنهار إذا تصرفتم من الرحمن ، يقول : من أمر الرحمن إن نزل بكم عذابه » [1] .

الدلالة الثالثة :

إفراد الله تعالى بالعبادة ، فإنهم يدركون أن اتصاف الله بالرحمة يستوجب السجود له وحده ونبذ ما سواه ، ولذلك لم يكتفوا بنفي هذه الصفة ، بل زادوا فأنكروا ما يستلزمه اتصافه تعالى به من أنواع العبادة كالسجود ، وزادوا نفوراً من التسليم ، فإن الله الذي تسمى بالاسم الشريف العظيم ( الرحمن ) هو المستحق لإفراده بالعبادة والوحدانية.

---

(١) تفسير الطبري ١٧/٤٦٧ ، وانظر : الفتاوى ٣٥/٣٧٢ .

## المطلب الثاني : من أسمائه تعالى ( الكريم )

فقد سمى الله تعالى ذاته المقدسة : بـــ( الكريم) المتضمن اتصافه تعالى بالكرم .

فالكرم في اللغة والشرع :

### الكرم في اللغة :

قال ابن فارس –رحمه الله – : « الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان : أحـــدهما: شرف في الشيء في نفسه ، أو شرف في خلق من الأخلاق »[١] .

والكريم : « الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل »[٢] .

### الكرم في الشرع :

ومعناه الشرعي : لا يخرج عن معناه اللغوي ، فالله تعالى سمى نفسه بـــ( الكريم ) ، وقد دلّ على اتصافه تعالى بالكرم .

ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد ، لا يراد به مجرد الإعطاء ؛ بل الإعطاء مـــن تمام معناه ، والكرم كثرة الخير ويسرته[٣] .

وقد جـــاء في موضع آخر تسمّى الله تعـــالى بالأكرم ، قـــال تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾[٤].

فهو سبحانه الأكرم بصيغة التفضيل ، أطلق الاسم ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيد ، فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ، ولا نقص فيه[٥] .

فالكرم وصف ذاتي لله تعالى، ثابت بالكتاب والسنة؛ فيجب الإيمان بأن الله تعالى متصف بالكرم على الوجه اللائق به تعالى ، والإيمان بالحكم المترتب على الصفة.

فمن آثار كرمه إحسانه لخلقه ورزقهم وإسباغ النعم عليهم .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/١٧١ – ١٧٢ ( كرم ) .

(٢) لسان العرب ١٥/٥١٠ ( كرم ) .

(٣) الفتاوى ١٦/٢٩٣ بتصرف .

(٤) سورة العلق ، آية ٣ .

(٥) انظر : الفتاوى ١٦ / ٢٩٥ .

أما المتكلمون وإن كانوا يثبتون أن ( الكريم ) من أسماء الله تعالى ، فهم لا يثبتون دلالة الاسم على الصفة .

قال الزمخشري موضحاً معنى ( الأكرم ) : « الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى ... » [1] .

فنلحظ أن المعتزلة فسروا الكرم بمخلوقاته كالنعم والخلق.

أما الأشاعرة فيرجعون دلالة اسمه تعالى ( الكريم ) إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ، أو إلى مخلوقاته .

قال البيهقي : « من أسامي صفات الذات ما يعود إلى الإرادة ... ( الكريم )هو : المريد لتكثير الخيرات عند المحتاج » [2] .

ولا شك أن تفسير الكرم بالإرادة أو النعم تحريف لكلام الله تعالى الذي سمى ذاته المقدسة بالكريم والأكرم ؛ وذلك حق على حقيقته لا يجوز صرفه عن ظاهره الذي أراده الله تعالى .

كما أن إثبات الكرم كما يليق بجلال الله تعالى لا محذور فيه بوجه من الوجوه .

وقد جاءت صفة الكرم في القرآن بأسلوب الاستفهام :

في قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [3] .

فقد ورد أسلوب الاستفهام بالأداة ( ما ) ، والمراد منه : الإنكار والعتاب ، فأي شيء غرك بربك حتى كفرت به ، أو عصيته ، أو غفلت عنه ؟ وهذا خطاب موجه إلى جنس بني آدم كما جاء في قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ ﴾ ، فيشمل الكافر والعاصي [4] ، وإذا كان الله تعالى ( الكريم ) فلا تغتر بكرم الله ، وتجعله ذريعة إلى الكفر والمعاصي ؛ بل ليكن باعثاً لك على الإقبال عليه بالإيمان والطاعة والشكر .

---

(١) الكشاف ص ١٢١٢ .

(٢) شعب الإيمان ١٢٢/١ .

(٣) سورة الانفطار ، آية ٦ .

(٤) التسهيل لعلوم التنـزيل ١٨٢/٤ بتصرف .

دلالة الآية :

دلت الآية على أن ( الكريم ) اسم من أسماء الله الحسنى ، وجاء في الاستفهام الإنكاري والعتاب للذين يغترون بكرمه تعالى ، فيكفرون به أو يعصونه .

فإذا كان الله تعالى متصفاً بالكرم فيجب على العبد إفراده بالعبـــادة ؛ فـــإن الله تعـــالى «يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ، ويبتدع بالإحسان من غير استثابة ، ويغفـــر الـــذنوب ، ويعفو عن المسيء » [1] .

(1) الحجة في بيان المحجة ١/١٤٥ .

## المطلب الثالث : ( أحكـم الحاكمـين )

أحكم الحاكمين من الأسماء المضافة المتضمن اتصاف الله تعالى بالحكم والحكمة .

ومعنى ذلك في اللغة والشرع :

قال ابن فارس- رحمه الله - : « الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد ، وهو المنـع ، وأول ذلك الحكم ، وهو المنع من الظلم ... والحِكمة هذا قياسها ؛ لأنها تمنع من الجهل ، وتقـول: حكَّمت فلاناً تحكيماً منعته عمّا يريد ، وحُكِّم فلانٌ في كذا ، إذا جُعل أمره إليه ، والمحكَّم : المجرِّب المنسوب إلى الحكمة » [1] .

« والحُكم : العلم ، والفقه، والقضاء، والعدل، وهو مصدر: حَكَمَ يَحْكُمُ » [2].

قال ابن الأثير [3] - رحمه الله - : « في أسماء الله (الحَكم والحَكيم) : هما بمعنى الحـاكم وهو القاضي، والحكيم: فَعِيلٌ بمعنى فاعل ، أو هو الذي يُحكِمُ الأشياء ويُتقِنُها...»[4].

معناه في الشرع :

الحكيم : الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب .

وقيل الحكيم : « بمعنى المحكِم ، أي هو المحكِم لخلق الأشياء ، ومعناه : إتقان التـدبير في خلق الأشياء وحسن تقدير لها » [5].

وقد ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - وصف الله تعالى بالحكم والحكمة، قال تعالى : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [6] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٩١/٢(حكم) .

(٢) لسان العرب ١٤١/١٢ (حكم) .

(٣) ابن الأثير : هو المبارك بن محمد بن محمد الشيباني أبو السعادات ابن الأثير الجزري الفقيـه المحـدث ، لـه مصنفات عدة منها : ( جامع الأصول ) و ( شرح مسند الشافعي ) . توفي سنة ٦٠٦هـ.
انظر : سير أعلام النبلاء ٤٨٨/٢١.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤١٩/١ (حكم) .

(٥) الحجة في بيان المحجة ١٦٩/١ – ١٧١ .

(٦) سورة آل عمران ، آية ٦٢ .

ووصف الله سبحانه وتعالى بعض مخلوقاته بالحكمة . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [(١)] .

كما أنه تعالى الحَكَم ، فلا أحسن من حكمه بين عباده ، فهو يفصل بين عباده في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ [(٢)].

وقال تعالى : ﴿ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [(٣)].

إن اتصاف الله تعالى بالحكم ، على نوعين :

١- حكم الله الكوني القدري ، وهو قضاؤه على خلقه بالعدل والإحسان .

٢- حكم الله الشرعي ، وهو الذي تعلقت به محبة الله تعالى ، وهو الحكم الذي حكم به على ألسنة رسله . فإذا وُجِدت الطاعات وُجِد الحكمان معاً ، وإذا وُجِد الكفر والفسوق والمعاصي وُجِد الحكم القدري دون الشرعي [(٤)] .

كما أنه تعالى متصف بالحكمة ، حكمته في خلقه ، وحكمته في شرعه . فحكمته في خلقه على نوعين :

١- أنه أحكم جميع ما خلقه وأتقنه بأحسن خلق ، وأتم نظام ؛ ولذا أمر عباده بالتأمل والتفكر في بديع صنعه وخلقه ، فلا يرى خللاً ولا نقصاً؛ بل يرى الكون على أتم نظام، وأكمله ، وأحسنه .

٢- أنها مخلوقة لغاية ومقصود عظيم، فقد خلقها الله ليستدل بها العباد على ما لله من صفات الكمال، وظهور آثار أسمائه وصفاته؛ ليجازي المحسن على إحسانه، والمسيء بإساءته.

والحكمة في شرعه على نوعين :

أحدهما : أنها في غاية الإحكام والإتقان ، وأن الأوامر والنواهي تبع للمصالح والمنافع فعلاً وتركاً .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٦٩ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ١١٤ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٨٧ .

(٤) الحق الواضح المبين ٦٨ – ٧١ بتصرف .

الثاني : أن الله أمر ونهى ، وشرع الشرائع ؛ ليبتلي عباده ، المطيع منهم والعاصي ؛ ليثيب الله المطيع بفضله وكرمه ، وليعاقب العاصي بعدله [1] .

**مذهب الأشاعرة في هذا الاسم:**

من المعلوم أن الأشاعرة يثبتون الأسماء ، ويثبتون مادلت عليه من الصفات السبع ، أما ما عداها فيؤلونه إلى الصفات السبع التي يثبتونها أو إلى مخلوق من مخلوقات الله تعالى ، فاسم الله تعالى ( أحكم الحاكمين ) متضمنٌ اتصاف الله تعالى بالحكم والحكمة .

فمذهبهم في حكم الله تعالى :

قال البيهقي – رحمه الله – : « ويختص فعل ما يريد » [2] ، وعده من أسامي صفات الفعل ، ومذهبه في أسامي صفات الفعل أن الاسم فيها غير المسمى [3] .

وقال : « ونعتقد في صفات فعله أنها بائنة عنه سبحانه » [4] .

وقال الرازي – رحمه الله – : « وصف الله نفسه بأنه أحكم الحاكمين ، واعلم أن الحكم بهذا التفسير هو كلامه ، فيكون من صفات الذات ، وقد يقال أيضاً : حَكَم لفلان بالنعمة أي أنعم عليه ، وحَكَم على فلان بالنقمة إذا أوقعه في المحنة ، فعلى هذا يكون ذلك من صفات الفعل » [5] .

---

(١) الحق الواضح المبين ص ٧٣ – ٧٧ بتصرف .

وانظر تفصيل ابن القيم لمعاني اسم الله تعالى ( الحكيم ) ، حيث قال :

**وهو الحكيم وذاك من أوصافه ... نوعان أيضاً ما هما عدمان**

**حكم وأحكام فكل منهما ... نوعان أيضاً ثابتا البرهان**

**والحكم شرعي وكوني ولا ... يتلازمان وما هما نسيان**

فأطال رحمه الله في توضيح ذلك .

انظر : توضيح المقاصد لابن عيسى ٢/٢١٨ .

(٢) شعب الإيمان ١/١٢٣ – ١٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ١/١٢٥ .

(٤) الأسماء والصفات ص ١٣٢ .

(٥) انظر : لوامع البينات ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

يظهر من قول البيهقي أنّ الحكم منفصلٌ عن الذات، فالحُكم غير الحَكم، ويؤول الرازي الحكم إلى الكلام وهي من الصفات السبع التي يثبتونها ، أو بالنعم والنقم وهي من مفعـــولات الله المنفصلة عن ذاته .

أما الحكمة فيرجعونها إلى العلم ، يوضح ذلك البيهقي حينما ذكر أسامي الذات ما هـــو للعلم، فقال : (( ( الحكيم ) ويختص بأن يعلم دقائق الأوصاف )) [1] .

وقال الرازي : (( إن الحكمة عبارة عن معرفة أفضل المعلومات بأفضل العلوم ، فـــالحكم بمعنى العليم )) [2] .

ولا شك في بطلان ما ذهبوا إليه من تحريف أسماء الرب تعالى، والعدول بها عن حقيقتها؛ وذلك لدلالة الكتاب والسنة عليها، فيجب إثباتها على ما أراد الله تعالى ورسوله.

وقد ورد هذا الاسم في أسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى: ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[3] .

و في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ؟) ، والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي[4] ، أي : فما يكذبك أيها الإنسان بالجزاء والمعاد ، فالذي كمّل خلقك في أحسن تقويم كيف يتركك سدى ؟

الثاني في قوله : ( أليس ) ، فدخلت الهمزة على ( ليس ) ، فعاد النفي إثباتاً ، كما تقدمت نظائره ، فيكون المراد من الاستفهام : التقرير والإثبات بأن الله تعالى ( أحكم الحاكمين) .

أي : أليس الذي فعل ما فعل بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً حتى تتوهم عدم الإعـــادة والجزاء ؟ والاستفهام إذا دخل على النفي صار الكلام إثباتاً [5] .

---

(١) شعب الإيمان ١/١٢١ .

(٢) لوامع البينات ص ٢٧١ .

(٣) سورة التين ، آية ٧، ٨ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٩/١٧٦ ، وروح المعاني ٣٠/١٧٧ ، والتحرير والتنوير ٣٠/٤٣٠ .

(٥) انظر: فتح القدير٥/٤٦٦، وتفسير القرطبي٢٠/١٧، والبحر المحيط١/٥١٥، وتفسير أبي السعود٩/١٧٦.

دلالة الآيتين :

دلت الآية على أن الله تعالى سمى نفسه بـ( أحكم الحاكمين ) ؛ وذلك من الأسماء المضافة، وقد قرّر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أن الأسماء المضافة من أسماء الله الحسنى، فقال : « وكذلك أسماؤه المضافة مثل أرحم الراحمين ، وجامع الناس ليوم لا ريب ، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسنة ، وثبت الدعاء بها بإجماع المسلمين » [1] .

وقال في بيان المراد من الآية : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾؟ : « يدل على أنه الحاكم بين المكذب بالدين والمؤمن به » [2] .

فاسمه تعالى : ( أحكم الحاكمين ) متضمن أن الله تعالى متصف بالحكم والحكمة .

يوضح ذلك ابن القيم – رحمه الله – بقوله : « ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ ؟ وهذا تقرير لمضمون السورة من إثبات النبوة ، والتوحيد ، والمعاد ، وحكمه يتضمن نصره لرسوله على من كذبه وجحد ما جاء به بالحجة والقدرة والظهور عليه ، وحكمه بين عباده في الدنيا بشرعه ، وأمره ، وحكمه بينهم في الآخرة بثوابه وعقابه .

وإن أحكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الأحكام بعدما ظهرت حكمته في خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ونقله في أطوار التخليق حالاً بعد حال إلى أكمل الأحوال ، فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن لا يجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ؟ وهل ذلك إلا قدح في حكمه وحكمته ؟ » [3] .

وقال الشنقيطي – رحمه الله – : ( أحكم الحاكمين ) قيل : أفعل تفضيل من الحكم ، أي : أعدل الحاكمين . وقيل : من الحكمة، أي : في الصنع والإتقان والخلق ، فيكون اللفظ مشتركاً ، ولا يبعد أن يكون من المعنيين معاً ، وإن كان هو في الحكم أظهر ؛ لأن الحكيم من الحكمة ... وهو هنا لا تعارض ؛ بل هما متلازمان ؛ لأن الحكيم لا بد أن يعدل ، والعادل لا بد أن يكون حكيماً يضع الأمور في مواضعها [4] .

---

(١) الفتاوى ٢٢/٤٨٥ .

(٢) الفتاوى ١٦/ ٢٩٠ .

(٣) التبيان في أقسام القرآن ص ٣٥ .

(٤) انظر : أضواء البيان ٩ / ١٠ – ١١ .

فبذلك نعلم أن المراد بـ( أحكم الحاكمين ) أعدلهم حكماً في أقضيته وحكمه بين عباده، وأحكمهم صنعاً وإتقاناً ، ولذلك أنكر الله تعالى على من يكذب بالجزاء والثواب والعقاب ؛ فحكمته وحكمه تأبى أن يخلق الخلق ويتركهم هملاً ، دون ثواب للمحسن وعقاب للمسيء[1].

---

(1) انظر : تفسير الطبري ٢٤٩/٣٠ ، وتفسير البغوي ٥٠٥/٤ .

# المبحث الثالث
# إثبات الصفات

وفيه مطالب :
المطلب الأول : اتصاف الباري باليدين .
المطلب الثاني : اتصاف الباري بالكلام .
المطلب الثالث : اتصاف الباري بالرحمة .
المطلب الرابع : اتصاف الباري بالعزة .
المطلب الخامس : اتصاف الباري بالقوة .
المطلب السادس : اتصاف الباري بالعلو .
المطلب السابع : اتصاف الباري بالمعية .
المطلب الثامن : أن الله تعالى هو الكافي .
المطلب التاسع : اتصاف الباري بالحكم .
المطلب العاشر : اتصاف الله بالنصر .
المطلب الحادي عشر : اتصاف الباري بالوفاء .
المطلب الثاني عشر: إخبار الله عن ذاته المقدسة بالشيء .
المطلب الثالث عشر : اتصاف الباري بالإتيان .
المطلب الرابع عشر : مكر الله بمن يمكر به.
المطلب الخامس عشر : اتصاف الباري بالمغفرة .
المطلب السادس عشر : اتصاف الباري بالرضى والسخط والغضب.
المطلب السابع عشر : أن الله تعالى ذو انتقام من المجرمين

وصف الله تعالى ذاته المقدسة في كتابه ، وعلى لسان رسوله - ﷺ - بالصفات العـلا، ففصّل في إثباتها كالسمع والبصر والنـزول والمجيء، بما يُعلم أنها حق على ظاهرها.

و لم يختلف الصحابة – رضوان الله عليهم – في آية من آيات الله ، وتبعهم على ذلك سلف الأمة وأئمتها ، إلا أنه لما فشى ظهور البدع ، اعتنى أهل العلم ببيان صفات الله تعالى على وجه التفصيل ، كما أثبتها تعالى لنفسه أو على لسان رسوله - ﷺ - .

فالقرآن من أوله إلى ختامه دالٌ على إثبات صفات الكمال لله تعالى ، وكذلك السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وورود الدلالة عليها بأسلوب الاستفهام ، يستوقف القلوب للإيمان بالله وتعظيمه، ويخاطب العقول ويقنعها ، بالدلائل على وحدانية الله تعالى واتصافه بصفات الكمال .

**تعريف الصفة لغة :**

(( الوصف : ذكر الشيء بحليته ونعته ، والصفة : الحالة التي عليها الشيء من حليته ونعته))[1].

(( ووصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة : حلاه )) [2] .

(( أما النحويون فالصفة عندهم هي النعت ، والنعت هو اسم الفاعل نحو ضارب ، والمفعول نحو مضروب وما يرجع إليهما من طريق المعنى ... )) [3] .

**-التعريف بمعتقد أهل السنة في الصفات :**

يثبت أهل السنة والجماعة الصفات لله تعالى ،كما أثبتها تعالى لنفسه وأثبتها له رسول - ﷺ - ، فهم يؤمنون بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد - ﷺ - من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل [4] كما تقدم بيانه .

---

(1) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٨٧٣ ( وصف ) ، وانظر : تهذيب اللغة ١٢ / ١٧٤ (وصف) .

(2) لسان العرب ٩ / ٣٥٦ (وصف) .

(3) المصدر نفسه ٣٥٧/٩ ( وصف ) ، وانظر : أوضح المسالك لابن هشام ٣٠٠/٣ – ٣٠٤ .

(4) انظر : الفتاوى ٣ / ١٢٩ – ١٣٠ ، وانظر : التوحيد لابن منده ٣ / ٧ ، الكواشف الجلية شرح الواسطية ص ٥٢ .

وقد قسم أهل السنة والجماعة الصفات قسمين ؛ وذلك باستقراء النصوص الدالة على صفات الكمال لله تعالى :

١- الصفات الذاتية ، وهي : « صفات ذاتية لا تنفك عنها الذات ؛ بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته ، وذلك كصفات الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والقوة ، والعزة ، والملك، والعظمة ، والكبرياء ... » [(١)] .

٢- الصفات الفعلية : قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : « هي الأمور التي يتصف بها الرب -عز وجل – فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته » [(٢)] .

ويوضح الهراس ذلك بقوله : صفات فعلية : تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال وإن هو لم يزل موصوفاً بها بمعنى أنَّ نوعها قديم بلا ابتداء ، فهو الأول بذاته وصفاته وأفرادها حادثة ... كالاستواء ، والمجيء ، والنزول ، والضحك ، والرضى ، والغضب [(٣)] .

وأفعال الرب تعالى نوعان :

«١- أفعال لازمة متعلقة بذاته كالاستواء، والنزول ، والمجيء ، والإتيان ، وغيرها.

٢- أفعال متعدية متعلقة بخلقه كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وغيرها»[(٤)].

كما أن كثيراً من الصفات يمكن الحكم عليها بأنها صفات ذاتية فعلية « كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية ؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً ، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية ؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته ، يتكلم متى شاء بما شاء » [(٥)] .

وقد خالف في هذا التوحيد طائفتان :

١- المشبهة .    ٢- المعطلة .

---

(١) شرح الواسطية لمحمد خليل هراس١٩٣ ، والصفدية ٢ / ٨٨ ، والتنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للسعدي ص ٤١ .

(٢) الفتاوى ٦ / ٢١٧ .

(٣) شرح العقيدة الواسطية للهراس ص ١٠٥ — ١٠٦ – بتصرف يسير – ، والتنبيهات اللطيفة ص ٤٢ .

(٤) انظر : الحجة في بيان المحجة ٣٢٨/١ ، ودرء التعارض ٥/٢ ، ومختصر الصواعق ص ٤٢٩ .

(٥) القواعد المثلى ٢٨٧/٣ ، والفتاوى ٢١٩/٦ ، والصفدية ٨٩/٢ .

### ١- المشبهة :

أول من تكلم في التشبيه هم طوائف من الشيعة [١] ، (( فقدماؤهم غلوا في التشبيه والتجسيم ، ومتأخروهم غلوا في النفي والتعطيل )) [٢] ؛ ومن هذه الطوائف : البيانية[٣] ، والمغيرية [٤] ، والهشامية [٥] ، والجواربية أتباع داود الجواربي [٦] .

وينسب التجسيم إلى الكرَّامية أتباع محمد بن كرَّام [٧] .

وقد دل الكتاب والسنة على تنـزيه الله تعالى عن الشبيه والمثل والند والكفؤ ، ومن الآيات الدالة على بطلان مقالات أهل التشبيه :

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [٩] .

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٤/١ ، ومنهاج السنة ٢١٧/٢ .

(٢) منهاج السنة ١٠٣/٢ .

(٣) البيانية: أتباع بيان بن سمعان التيمي، من غلاة الشيعة ، يقول : إنّ الله صورة الإنسان ، وإنّه يهلك إلا وجهه، فقتله خالد بن عبدالله القسري .

انظر : مقالات الإسلاميين ص ٥ ، والفرق بين الفرق ص ١٨٠ ، ومنهاج السنة ٥٠٢/٢ .

(٤) المغيرية : هم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ، ويزعمون انه كان يقول : إنّه نبي ، وإنّه يعلم اسم الله الأكبر ، وإنّ معبودهم رجل من نور على رأسه تاج ، وله من الأعضاء والخلق مثل ما للرجل .

انظر: مقالات الإسلاميين ص٦ -٧، و الفرق بين الفرق ص١٨١، ومنهاج السنة ٥٠٣/٢- ٥٠٤.

(٥) الهشامية : نسبة إلى هشام بن الحكم الرافضي ، وأحياناً تنسب إلى هشام بن سالم الجواليقي ، وكليهما من الإمامية المشبهة .

انظر: مقالات الإسلاميين ص٣٤٠ -٣٤١، والفرق بين الفرق ص٤٣- ٤٤ ، ومنهاج السنة٢١٧/٢.

(٦) الجواربية : أتباع داود الجواربي الذي قال : إنّ الله جسم ، وإنّه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم ، له جوارح وأعضاء - تعالى الله عن ذلك - .

انظر : مقالات الإسلاميين ص ٢٠٩ ، والملل والنحل للشهرستاني ١٠٥/١ .

(٧) الكرامية : أتباع محمد بن كرام ، دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده ، وزعم أنه جسم لـه حد ونهاية ، تعالى الله عن ذلك ، وزعم أن الإيمان هو القول ، وله بدع وطوام .

انظر : الفرق بين الفرق ص ١٦١ ، ودرء التعارض ٦/٣ .

(٨) سورة الشورى ، آية ١١ .

(٩) سورة الإخلاص ، آية ٤ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[1].

**٢- المعطلة :**

المقصود بهم نفاة الأسماء والصفات أو بعضهما ، وسينصب حديثنا على معطلة أهل الكلام ، فهم متفاوتون في التعطيل والنفي على ما يلي :

**- الجهمية :**

وقد تقدم الحديث عن معتقدهم في أسماء الله تعالى ، وأنهم ينفونها . أما في الصفات فالجهمية ينفون جميع صفاته سبحانه وتعالى، ويصفون الله بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون له إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجوده في الأذهان ، يمتنع تحققه في الأعيان [2] .

**- المعتزلة :**

يثبتون أسماء مجردة عن الصفات ، وينفون الصفات ، وقد تقدم توضيح قولهم[3] .

**- الكلابية [4]، ومتقدمو الأشاعرة [5] :**

فهؤلاء يثبتون الصفات لله تعالى ، إلا أنهم ينفون الصفات الاختيارية المتعلقة بمشيئة الله وقدرته ، ويقولون : (( لو قامت به لكان محلاّ للحوادث )) [6] .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٧ .

(٣) انظر : ص١٦٠ من البحث نفسه .

(٤) أتباع أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان ، والكلابية يثبتون الأسماء والصفات ، لكن على طريقة أهل الكلام ، وينفون الصفات الفعلية ، ويوافقون أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة ؛ بل إنهم في مسائل القدر والأسماء والأحكام أقرب إلى أهل السنة من الأشاعرة .

انظر : مقالات الإسلاميين ص ٢٩٨ ، ٥٤٦ ، والفتاوى ٣/١٠٣ .

(٥) قدماء الأشاعرة كأبي الحسن الطبري والباقلاني وابن فورك وأبي جعفر السمناني ، وقد تأثر بهم من الحنابلة كالقاضي أبي يعلي وابن عقيل وغيرهما .

انظر : الفتاوى ٥/٤١١ ، ٦/٥٢ .

(٦) الفتاوى ٦/٦٩ .

فلذلك ينفون الصفات الفعلية للرب تعالى ، كالرضا ، والغضب ، والفرح ، والنـــزول، والإتيان ، وغيرها .

**– أما متأخرو الأشاعرة والماتريدية :**

فالصفات الثبوتية عندهم : الحياة ، والعلم ، والسمع ، والبصر ، والقـــدرة ، والإرادة ، الكلام [1] .

أما الماتريدية فيثبتون ثمانيَ صفات ، فيضيفون على ما أثبته الأشاعرة الصـــفة الثامنـــة : التكوين [2] .

وبذلك يتبين انحراف المشبهة والمعطلة عن الحق ، فأولئك غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله تعالى بخلقه ، وهؤلاء غلوا في التنـــزيه حتى نفوا وعطلوا ما أثبته لنفسه . أمـــا أهـــل الســـنة والجماعة فتوسطوا فكانوا أسعد الفريقين بالدليل ، حيث أثبتوا ما أثبته الله لنفسه ، ونفوا مـــا نفاه الله تعالى عن نفسه .

---

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٩٤/١ ، وشرح الإرشاد لابن ميمون ص ١٥٩ .

(٢) انظر : التوحيد للماتريدي ص ٤٤ وما بعدها ، والتمهيد لأبي المعين النســـفي ص ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٤ ، وإشارات المرام ص ١٠٧ – ١١٤ .

## المطلب الأول : اتصاف الباري باليدين

### اليد في اللغة :

(( الياء والدال أصل بناء اليد للإنسان وغيره ، ويستعار في المنة ، ويجمع على الأيـــادي واليُديّ . واليد : القُوة ، ويجمع عل الأيدي )) [1] .

(( واليد : النعمة والإحسان تصطنعه ، وجمعها يُدي بضم الياء وكسرها ، يقال : قدمت يداك ما جنت يداك ، وسقط في يديه وأسقط أي : ندم ، وهذا الشـــيء في يـــدي ؛ أي في ملكي))[2] .

### وفي الشرع :

دلت نصوص الكتاب والسنة على اتصاف الباري بيدين ذاتيتين حقيقتين ، كما يليـــق بعظمته وجلاله .

وقد بوّب الإمام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه ، فقال : (( بـــاب قـــول الله تعالى: ( لما خلقت بيدي ) [3] ، وساق الأحاديث الدالة على ذلك ، ومنها : حديث الشفاعة عن أنس – رضي الله عنه – أن النبي – ﷺ – قال : (( يجمع الله المؤمنين يوم القيامة ... فيأتون آدم فيقولون : يا آدم ، أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلّمـــكَ أسماء كل شيء ، اشفع لنا إلى ربنا ... الحديث )) [4] .

والنصوص الدالة على ثبوت اتصاف الله تعالى باليدين تنوعت دلالتها الصريحة المبطلـــة لكل تحريف أو تأويل فإثبات الأصابع لهما ، وإثبات القبض بهما وتثنيتهما ، وأنّ إحداهما يمين، والأخرى شمال ، وأنه تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وبالنهار ليتوب مســـيء الليل ، وغير ذلك من الدلالات [5] .

قال ابن القيم – رحمه الله – موضحاً ذلك : (( ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكـــلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً ، متصرفاً فيه ، مقروناً بما يدل علـــى

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٥١/٦ (يد) .

(٢) مختار الصحاح للرزاي ص ٣٠٩ ( ي د ي ) .

(٣) انظر : البخاري مع الفتح ٣٩٢/١٣ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ( لما خلقت بيدي ) [ ٧٤١٠ ] ٣٩٢/١٣ .

(٥) شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٢٦٥/١ بتصرف .

أنها يد حقيقة ، من الإمساك ، والطي ، والقبض ، والبسط ، والمصافحة ، والحثيات [1]، والنضح[2] باليد ، والخلق باليدين ، والمباشرة بهما ، وكتب التوراه بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، وتخمير طينة آدم بيده ... )) [3] .

وخالف أهل السنة والجماعة في ذلك طوائفٌ من أهل الكلام :

**فالجهمية** ينكرون صفات الله تعالى ، ومنها يداه – تعالى – .

قال المَلَطي[4] : (( وأنكر جهم أن يكون لله تعالى يد ، وكذب على الله – عز وجل– ))[5].

أما **المعتزلة والأشاعرة** ومن وافقهم فيؤولون ويحرفون اتصاف الله – تعالى – باليدين إلى القدرة ، أو النعمة ، أو القوة ، ونحوها ، دفعاً للتجسيم .

قال القاضي عبدالجبار من المعتزلة: (( ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ [6] ، فأثبت لنفسه اليدين ، وهذا يدل على كونه جسماً . والجواب عنه : أن اليدين هاهنا بمعنى القوة ؛ وذلك ظاهر في اللغة )) [7].

---

(١) حثى التراب يَحْثُوه ويَحْثيه وحَثْياً : هالَه ورَماه ، والْحُثَيْةُ ما رُفعت به يداك ، والجمع حثيات .
انظر: تاج العروس ، لمحمد مرتضي الحسيني الزبيدي ، ٤٠٠/٣٧ ، ٤٠١ ( حثى ) .

(٢) نضح عليه الماء ينضحه إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش ، ونضح عليه الماء ارتش ، ونضح زرعه سقاه بالدلو ، والنضحات الشيء اليسير المتفرق من المطر ، ونضحت العين تنضح نضحاً ، وانتضحت فارت بالدمع .
انظر : المحكم المحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ١٣٢/٣ (نضح) .
والمصباح المنير ، للفيومي ، ٦٠٩/٢ (نضح) ، والقاموس المحيط ، للفيروزآبادي ٣١٣/١(نضح) .

(٣) مختصر الصواعق ص ٣٨٤ ، وانظر : الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز ضمن الفتاوى ٣٦٢/٦ ، والرسالة الأكملية ( ضمن الفتاوى ) ٩٢/٦ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عبدالرحمن المَلَطي العسقلاني ، الشافعي ، المقريء ، المتكلم ، نزل بعسقلان ، وتوفي بها، من آثاره : ( التنبيه والرد على الأهواء والبدع ) ، توفي سنة ٣٧٧هـ .
انظر : معجم المؤلفين ٧٢/٣.

(٥) التنبيه والرد ص ١٣٥ .

(٦) سورة ص ،آية ٧٥ .

(٧) انظر : شرح الأصول الخمسة ص ١٥٢ .

أما **الأشاعرة** فمتقدموهم يثبتون صفة ( اليدين ) لله تعالى .

قال الأشعري –رحمه الله–: (( فإن سئلنا : أتقولون : إن لله يدين ؟ قيل : نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله – عز وجل – : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [(١)]، وقوله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[(٢)] ، وساق الأدلة على ذلك ، وأبطل قول من يؤولها بالقدرة والنعمة.

أما متأخروهم فيتأولونها قال الجويني : (( ذهب بعض أئمتنا : إلى أنّ اليدين والعينين والوجه ، صفات ثابتة للرب تعالى ، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل .

والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة )) [(٣)].

وقال الآمدي [(٤)]: (( لفظ اليدين يحتمل القدرة... أما فائدة التخصيص بالذكر فالتشريف فالتشريف والإكرام)) [(٥)] .

وإلى ذلك ذهبت الماتريديـــة ، قال التفتازاني : (( ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ ، واليد مجاز عن القدرة ... فإن قيل : فما وجه تخصيص خلق آدم – ﷺ – سيما بلفظ المثنى ... أجيب: بأنه أريد كمال القدرة، وتخصيص آدم تشريف له وتكريم))[(٦)].

يتبين لنا اتفاق أقوال المتكلمين على تحريف صفة ( اليدين ) لله تعـــالى إلى القـــدرة ، أو النعمة ، ونحوها ، بدعوى المجاز .

ونُجمل الرد عليهم بما يلي :

---

(١) سورة الفتح ، آية ١٠ .

(٢) الإبانة عن أصول الديانة ص ٥٢ ، وانظر : مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ٤٣٣/٢ ، والتمهيد للباقلاني ص ٢٩٧ .

(٣) شرح الإرشاد ص ٣٤٨ ، وانظر : أساس التقديس للرازي ص ١٠٠ .

(٤) الآمدي هو : علي بن أبي علي سيف الدين الآمدي الفقيه الأصولي المتكلم ، ألف وصنف في الأصول والدين والكلام ، ومن مصنفاته : ( الإحكام في أصول الإحكام ) ، و(أبكار الأفكار ) ، توفي ٦٤٠هـ .
انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٤/٣ ، والوفيات ٣١٣/١ .

(٥) انظر : غاية المرام ١٣٩/١ .

(٦) شرح المقاصد ١١٠/٢ .

- أنّ الآية دلت على أن الله تعالى خلق آدم - عليه السلام - بيديه وهذا ، مما لا يقبل المجاز ، وذلك من وجوه :

١- «أنّ لفظ ( اليدين ) بصيغة التثنية التي مفادها إثبات يدين حقيقيتين ذاتيتين كما يليق بجلاله. فلم تستعمل في لغة العرب صيغة ( التثنية ) ، ويراد بها النعمة ، أو القدرة ؛ إنما ورد استعمال الواحد في الجمع ، ولفظ الجمع في الواحد ؛ ولفظ الجمع في الاثنين . أما استعمال الواحد في الاثنين ، أو الاثنين في الواحد فلا أصل له؛ لأن هذه الألفاظ عدد ، وهي نصوص في معناها لا يتجوّز بها ، فقوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ لا يجوز أن يراد به القدرة ؛ لأن القدرة صفة واحدة ، ولا يجوز أن يُعبر بالاثنين عن الواحد .

ولا يجوز أن يراد بها النعمة ؛ لأن نعم الله لا تحصى ، فلا يعبر عنها بصيغة التثنية .

٢- أن الله تعالى أضاف الفعل إلى نفسه ، كما قال : ( خلقتُ ) ، ثم عُدي الفعل إلى اليد بحرف الباء ، فإنه نص في أنه تعالى فعل الفعل بيديه [1] .

٣- « لو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة ؛ فإن الله تعالى أراد تفضيل آدم على إبليس ، فلو تساويا في السبب لما ثبتت الحجة لله تعالى على إبليس ، فكان يسعه أن يقول: وأنا فقد خلقتني مما خلقت به آدم ، فأي فضيلة لـه عليّ ؟ !» [2].

وبذلك يتبين لك فساد ما اعتمده النفاة في تأويلاتهم .

وقد جاء اتصاف الله تعالى باليدين في أسلوب الاستفهام :

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ [3].

فقد ورد في الآية استفهامان :

---

(١) الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز ضمن الفتاوى ٣٦٥/٦ بتصرف ، وانظر : التدمرية ص٧٣.

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٤١/١ ، وانظر : درء التعارض ٢٦٧/٧ ، وانظر الأوجه السابقة في الـرد : الصـواعق المرسلة لابن القيم ٢٧٠/١ .

(٣) سورة ص ، آية ٧٥ .

الأول منها : قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ .

والثاني : ﴿ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ .

فالاستفهام الأول جاء بأداة ( ما ) ، والمراد منه : الإنكار والتوبيخ[1] بامتناعه عن السجود لآدم الذي شرفه الله وكرمه ، واختصه بهذه الخاصية ، وهي خلقه تعالى لآدم بيديه الشريفتين [2] .

وأما الاستفهام الثاني بقوله تعالى : ﴿ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾ ، فجاء بالهمزة و(أم ) المتصلة أستكبرت في امتناعك أم أنت ممن علوت على العالمين ، والمراد منه : الإنكار . والتوبيخ لاستكباره ودعواه العظمة ورفضه للسجود لآدم [3] .

دلالة الآية :

للآية دلالتان ، هما :

الأولى: أن لله تعالى يدين ذاتيتين كما يليق بجلاله ، كما دلت عليه الآية : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ .

فجاءت اليدان بصيغة التثنية الدالة على أنهما يدان حقيقيتان نؤمن بها كما دلت عليها نصوص الكتاب والسنة ، ولا يجوز تحريفها بالقدرة والنعمة ونحوها كما ضل في ذلك من ضلّ. والنص عليهما بعد قوله : ( خلقتُ ) يستدعي إجلاله ، وإعظامه ، وتأكيد الإنكار والتوبيخ على استكبار إبليس عن السجود .

وقد دلت الأدلة على إثبات اليدين في نصوص أُخر من الكتاب والسنة ، منها :

قول الله تعالى : ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾ [4] .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٧/٢٣٦ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ٤/٣٠١ .

(٣) انظر: الكشاف ص ٩٣٢ ، وتفسير البغوي ٤/٦٩ ، وتفسير أبي السعود ٧/٢٣٦ .

(٤) سورة المائدة ، آية ٦٤ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [(1)] .

الدلالة الثانية : أن الله تعالى عاتب وأنكر ووبخ إبليس باستنكافه وتعاليه عن طاعة ربه، حين أمره بالسجود لآدم – عليه السلام – ، فتعاظم وقدَّم حق نفسه على طاعة ربه ، فالأمر بالسجود صادر من الله تعالى إلا أنه امتنع معترضاً : بأنه خيرٌ من آدم ، كما قال تعالى حكاية عنـــه : ﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [(2)] بزعمه أن عنصر النار خير من عنصر الطين ، وهذا من الأقيسة الفاسدة ؛ فإنَّ عنصر النار مادة الشر ، وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع [(3)] ، فكان هذا الاستكبار والاعتراض سبباً لشقائه إلى يوم الدين – عياذاً بالله– .

كما أن كفر الإباء والاستكبار هو الذي وقع فيه إبليس مع اعترافه للرب تعالى ؛ وذلك هو الكفر الاعتقادي المخرج من ملة الإسلام ، وكفر عامة بني آدم من هذا النوع ، فمع بيان الحق وجلائه ووضوحه إلا أن بصائرهم عميت استنكافاً واستكباراً – نسأل الله السلامة – .

---

(1) سورة الزمر، آية ٦٧ .

(2) سورة الأعراف ، آية ١٢ .

(3) تفسير السعدي ٤/٣٠٠ – ٣٠١ بتصرف.

## المطلب الثاني : اتصاف الباري بالكلام

**الكلام في اللغة :**

(( الكاف واللام والميم أصلان : أحدهما : يدل على نطق مفهم ، والآخر على جرح. فالأول الكلام ، تقول : كلّمته تكليماً ، وهو كَلِيمي إذا كلَمك أو كلّمته))[1].

(( وكالمة : ناطقة ، وكَلِيْمُك : الذي يكلمك ))[2] .

**معنى الكلام شرعاً :**

وصف الله تعالى ذاته المقدسة بالكلام ، كما وصف بعض مخلوقاته بذلك ، وليس الكلام كالكلام .

فمن المتقرر عند أهل السنة والجماعة : أن الله متصف بالكلام ، وكلامه من صفاته الذاتية لاتصافه به أزلاً وأبداً ، ومن صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته وقدرته .

وهو يتكلم بحرف وصوت يُسمع ، وأنه قديم أزلي حادث الآحاد ، وأن الله تعالى بائن بذاته وصفاته من خلقه ، وكذا كلامه ليس حالاًّ فيهم ، ولا متحداً بهم .

وأن القرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور من كلام الله حروفه ومعانيه ، وأن أصوات العباد وأداءهم وتلفظهم ، كل ذلك مخلوق بائن من الله [3] .

وصفة الكلام لله تعالى من أشهر الصفات التي خالف فيها أهل البدع ، وكثر خوضهم فيها، ومن أشهر أقوالهم :

**- قول الجهمية والمعتزلة :**

أن كلام الله تعالى مخلوق منفصل عن ذاته ، وإضافته إلى الله تعالى من باب المجاز .

قال القاضي عبدالجبار: (( وأما مذهبنا في ذلك ، فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث ... ))[1] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٣١/٥ ( كلم ) .

(٢) لسان العرب ٥٢٤/١٢ ( كلم ) .

(٣) انظر : الحجة في بيان المحجة ٢٧١/١ ، والفتاوى ١٦٢/١٢ – ١٧٣ ، وشرح الأصفهانية ص ٩٤ – ١٠٢ ، ومختصر الصواعق ص ٤٧٢ – ٥٠٥ ، وشرح العقيدة الطحاوية ١ / ١٧٢ – ١٧٤ ، ولوامع الأنوار ١٣٣/١ ، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين ٦٢/٤ – ٦٥ ، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ٢٩٥/٢ وما بعدها .

**– وقول الأشاعرة :**

أن كلام الله معنى قائم بذات الرب ، وسموا هذا المعنى بالكلام النفسي ، والأصوات والحروف ليست كلاماً .

قال الآمدي : « ذهب أهل الحق من الإسلاميين إلى كون الباري تعالى متكلماً بكلام قديم أزلي نفساني أحدي الذات ، ليس بحروف ولا أصوات ، يقسم بانقسام التعليقات، مغاير للعلم ، والقدرة ، والإرادة » (٢) .

**– وذهبت الماتريدية :**

إلى أن كلام الله تعالى معنى قائم بالنفس ، لا يسمع وإنما الصوت دال عليه ، وأن موسى إنما سمع صوتاً خلقه الله للدلالة على كلامه (٣) .

**– قول الكُلاَّبية :**

أن كلام الله معنى قائم بذاته تعالى ، لازمٌ لها كلزوم الحياة والعلم ، ولا يتعلق بمشيئته تعالى ، والحروف والأصوات حكاية عن الكلام ، خلقها الله لتدل على ذلك المعنى القائم بذاته تعالى ، وهو أربعة معان : الأمر ، والنهي ، والخبر ، والاستخبار .

**– قول الكرَّامية :**

أن كلامه متعلق بمشيئته وقدرته ، قائم بذات الرب، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن .

**– قول السالمية :**

أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئته، وهو حروف وأصوات لا يسبق بعضها بعضاً؛ بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد.

**– قول الاتحادية القائلين بوحدة الوجود :**

أن كل كلام في الوجود كلام الله تعالى .

=

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨ ، وانظر : المحيط بالتكليف ص ٣٢٣ .

(٢) غاية المرام ١/٨٨ .

(٣) تبصرة الأدلة ١ / ٣٠٥ .

– **قول الفلاسفة :**

هو ما يفيض على النفوس إما من العقل الفعّال أو غيره على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها وقبولها، فيوجب لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه[1].

وقد بسط أهل العلم عرض أقوالهم وشبهاتهم ، وإبطالها من خلال نصوص الكتاب والسنة بما لا يتسع عرضه ، وأجمل الرد عليهم فيما يلي :

١- دل القرآن والسنة على أن الله تعالى يتكلم بمشيئته ، وأن كلامه صفة قائمة بذاته ، وهي صفة ذات وفعل ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [2] .

٢- كما دل الكتاب والسنة على أن كلامه قديم أزلي حادث الآحاد. قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [3] . فهذا يدل على أن التكلم هو الخطاب الذي وقع في ذلك الوقت .

٣- أن النداء الإلهي قد تكرر في الكتاب والسنة تكراراً مطرداً في محالّه ، متنوعاً تنوعاً يمنع حمله على المجاز ، ولا حاجة إلى تقييده بالصوت ، وقد جاء مقيداً بالصوت إيضاحاً وتأكيداً ، كما روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – « يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار » [4] .

---

(١) انظر : أقوال الطوائف في مقالات الإسلاميين ص ٥٨٢ – ٦٠٣ ، والفتاوى ١٦٢/١٢ – ١٧٣ ، ودرء التعارض ٣٠٤/٢ ، ومختصر الصواعق ص ٤٧٢ – ٥٠٥ ، وشرح العقيدة الطحاوية ١٧٢/١ – ١٧٤ ، وشرح الفقه الأكبر ص ٥١ – ٥٢ ، ولوامع الأنوار للسفاريني ١٣٣/١- ١٤٥ .

(٢) سورة النحل ، آية ٤٠ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١٤٣ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ( ولا تنفع الشفاعة عنده ... ) [ ٧٤٨٣ ] ٤٥٣/١٣ .

ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قوله : ( يقول الله لآدم : أخرج بعث النار ... ) ، [ ٣٧٩ ] ٢٠١/١ .

وانظر : مختصر الصواعق ص ٤٦٥ ، ٤٧٨ – ٤٩٧ ، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية ٦٢/٤ .

# الفصل الثالث : توحيد الألوهيـة

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية
المبحث الثاني : تقرير الألوهية لله وحده.
المبحث الثالث: نفي الشريك عن الله في العبادة .
المبحث الرابع : إبطال المعبودات من دون الله .
المبحث الخامس : المحاجّة بين المشركين ومعبوداتهم .

في مطلع هذا الفصل أشير إلى معنى توحيد الألوهية في اللغة والاصطلاح ، وموقف المتكلمين منه .

الألوهية لغة :

« الهمزة واللام والهاء أصل واحد ، وهو التعبُّد ، فالإله الله تعالى ، وسمّي بذلك لأنه معبود ، يقال : تألَّه الرجل ، إذا تعبد »[(١)] ، والجمع آلهةٌ ، والألوهة والألوهية : العبادة .

« والتَّألُّه : التنسك والتعبد ، وكل ما اتخذ من دون الله معبوداً فهو : إله عند متخذه ؛ لاعتقاده أن العبادة تحق له » [(٢)] .

توحيد الألوهية شرعاً :

توحيد الله بأفعال العباد [(٣)] ؛ وذلك أن تُصرف جميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة لله وحده لا شريك له .

فالإله هو الذي يؤله ويعبد ، الذي تألهه القلوب ، محبة ، وتعظيما ، وتذللاً وخضوعاً، وتوكلاً ، ورغبة إليه وغير ذلك من أنواع العبادة [(٤)].

وقد عرّفه شيخ الإسلام – رحمه الله – : « إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو ، ولا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يوالى إلا لـــه، ولا يُعادى إلا فيه، ولا يُعمل إلا لأجله »[(٥)].

قال ابن القيم – رحمه الله – : « وتوحيد الإلهية المتضمن أنه وحده الإله المعبود المحبوب الذي لا تصلح العبادة والذل والخضوع والحب إلا له » [(٦)].

ويطلق على هذا النوع من التوحيد التوحيد العملي الطلبي وتوحيد الإرادة والقصد[(٧)]؛

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٢٧/١ ( أله ) .

(٢) لسان العرب ٤٦٧/١٣ ( أله ) .

(٣) انظر : الدرر السنية ٢ / ٦٧ .

(٤) انظر :الدرر السنية ٢ / ٢١٢ .

(٥) درء التعارض ١ / ٢٢٤ .

(٦) بدائع الفوائد ١٣٢/٤ ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ٢٩/١ ، ولوامع الأنوار ١٢٩/١ ، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ٨٠/١ .

(٧) انظر : نقض التأسيس ٤٧٩/١ –٤٨٠ ، والتسعينية ٣/ ٨٠١–٨٠٢ ، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ٩٣ – ٩٤ .

لأنه يتعلق بأفعال العبد ، كالتوكل ، والخشية ، والخوف ، والرجاء ، وأفعال الجوارح كالصلاة والحج والجهاد ونحوها . ويتعلق بالإرادة ؛ لأن المقصود منه إرادة الله والتوجه إ ليه بأنواع العبادات .

ويوضح الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – حقيقة ذلك التوحيد بقولـــه : إن الله تبارك وتعالى أرسل محمداً – ﷺ- إلينا على حين فترة من الرسل ، فهدى الله به إلى الدين الكامل ، والشرع التام ، وأعظم ذلك وأكبره وزبدته هو إخلاص الدين لله بعباد ته وحده لا شريك لـــه ، والنهي عن الشرك ، وهو أن لا يُدعى أحد من دونه من الملائكة والنبيين فضلاً عن غيرهم ... وجميع العبادة لا تصلح إلا لـــه وحده لا شريك لـــه ، وهذا معنى قول لا إله إلا الله ، فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه ، وهذا أمر هيّن عند من لا يعرفه ، كبير عظيم عند من يعرفه[1].

إذاً فتوحيد الألوهية هو توحيد العبادة ، وهو التوحيد العملي الإرادي الطلبي ، وهو دعوة جميع الرسل .

قــال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]. وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله من الأولين ولا من الآخرين ديناً غيره.

موقف المتكلمين من توحيد العبادة :

نلحظ أنه لا أهمية لهذا النوع من أنواع التوحيد عند المتكلمين ؛ حيث جعلوا أول واجب على المكلف النظر أو القصد إلى النظر كما تقدم بيانه[3]. ومن المتقرر بالنصوص الشرعية أن أول واجب على المكلف هو: شهادة أن لاإله إلا الله، وأن محمداً رسول الله .

فالمعتزلة يفسرون التوحيد في معنى الواحد ، قال القاضي عبدالجبار : « إن القديم يوصف بأنه واحد على وجوه ثلاثة :

أحدها : بمعنى أنه لا يتجزأ ولا يتبعض ...

والثاني : بمعنى أنه مفود بالقدم لا ثاني فيه .

(١) الدرر السنية ٢/ ٤٠ بتصرف .

(٢) سورة النحل ، آية ٣٦.

(٣) انظر: ص٨٦ من البحث نفسه.

والثالث: أنه متفرد بسائر ما يستحقه من الصفات النفسية من كونه قادراً لنفسه، وعالماً لنفسه، وحياً لنفسه ))[1].

والأمر نفسه عند الأشاعرة والماتريدية ، فمعنى التوحيد عندهم لم يختلف كثيراً عن التوحيد عند المعتزلة ، إلا في دخول بعض الجزئيات في حدّه .

فقد قالوا التوحيد هو أن الله تعالى واحد في ذاته لا قسيم لـــه ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له [2].

فهم يرون أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد الربوبية ، ومنشأ الغلط عند هؤلاء أنهم فهموا أن الإله هو القادر على الاختراع ، وجعلوه أخص وصف الإله[3].ومعلوم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأُنزلت به كتب الله هو توحيد الألوهية المتضمن عبادة الله وحده لا شريك له، ومعلوم أن توحيد الربوبية لم ينازع فيه المشركون ومع ذلك استباح الرسول – ﷺ– قتالهم حتى يُقروا بتوحيد الأولوهية كما تقدم بيانه[4]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : والإله هو بمعنى المألوه المعبود ، الذي يستحق العبادة ، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق . فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله ، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد،كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفات ، الذين لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله،فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين ..فليس كل من أقرَّ أن الله رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ماسواه ، داعياً له دون ما سواه ، راجياً له خائفاً منه دون ما سواه ، يوالي فيه ، ويعادي فيه ... [5].

---

(1) المغني ٢٤١/٤ ، وانظر : شرح الأصول الخمسة ص ١٢٨ .

(2) انظر : مقالات أبي الحسن الأشعري لابن فورك ص ٥٥ ، والتوحيد للماتريدي ص٢٣ ، والإنصاف للباقلاني ص ٤٩ – ٥٠ ، والإرشاد للجويني ص ٥٢ ، ونهاية الإقدام للشهرستاني ص٩٠ .

(3) انظر : المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١٩٠/١-١٩١ ، والمقصد الأسنى للغزالي ص١٠١-١٠٢ .

(4) انظر : ص١١٩ من البحث نفسه .

(5) درء التعارض ٢٢٦/١-٢٢٧ – بتصرف – .

## المبحث الأول
## الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : الاستدلال بربوبية الله تعالى على وحدانيته وإفراده بالعبادة.

المطلب الثاني : الاستدلال بكمال الخلق والتدبير على إفراده بالعبادة .

المطلب الثالث : الاستدلال ببدء الخلق وإعادته على إفراده بالعبادة .

المطلب الرابع : الاستدلال بملك الله تعالى وكمال تدبيره على إفراده بالعبادة .

المطلب الخامس : الاستدلال باختلاف الليل والنهار على إفراده بالعبادة.

المطلب السادس : الاستدلال بالرزق والإحياء والإماتة على إفراده بالعبادة.

المطلب السابع : الاستدلال بهداية الله للخلق على إفراده بالعبادة .

## المبحث الأول
## الاستدلال بتوحيد الربوبيةعلى توحيد الألوهية

تقدم تعريف توحيد الربوبية ، وهو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق المدبر المحيي الممي ت إلى غير ذلك من أفعاله تعالى .

وقد كان كفار قريش يعترفون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر لهذا الكون ، وكثيراً ما يحتجّ الله تعالى عليهم بهذا الإقرار ليوحدوه بالعبادة كما وحدوه بالخلق والتدبير .

من مثل : ( أأله مع الله )؟ و( أفلا تعقلون ) ؟ و ( أفلا تذكرون )؟، فيخاطب عقولهم لتتأمل في أرجاء هذا الكون الفسيح ، فتسترشد إلى أن من خلق الخلق ، ومن له الملك ، والتصرف والتدبير فيجب أن تقصده وتفرده بالعبادة وحده لا شريك له .

كما سيتضح من خلال هذا المبحث .

المطلب الأول : الاستدلال بربوبية الله تعالى على وحدانيته وإفراده بالعبادة

وقد ورد ذلك في القرآن بأساليب متعددة ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [(١)].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : ( ...فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ؟)

والأداة فيه : ( ما ) مقترنة بالفاء .

والمراد منه : الإنكار الإبطالي ؛ أي : أي شيء بعد الحق إلا الضلال ؛ فإنّ ثبوت ربوبية الرب سبحانه حق ، وإقرارهم بغيره باطل [(٢)].

الثاني : في قوله تعالى : ( ... فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ؟)

والأداة فيه : أنى مقترنة بالفاء .

والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : فأنّى تصرفون عن عبادته إلى عبادة من لا يرزق ولا يحيي ولا يميت ؟! [(٣)].

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [(٤)] .

**اشتملت هذه الآية على خمسة استفهامات ، هي :**

الأول : (قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ؟ )

---

(١) سورة يونس ، آية ٣٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ٤٤٣/٢ ، وروح المعاني ١١٢/١١ ، والتحرير والتنوير ١٥٨/١١.

(٣) انظر : فتح القدير ٤٤٤/٢ ، وروح المعاني ١١٢/١١ ، والتحرير والتنوير ١٥٨/١١.

(٤) سورة الرعد ، آية ١٦ .

والأداة فيه (مَنْ)، والمراد منه: التقرير [1] ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بربوبية الله؛ وذلك لتقرير المشركين بربوبية الله تعالى للسماوات والأرض ، فقد أقروا أ ن الله تعالى هو المتفرد بالربوبية والخلق ، ولكون الاستفهام غير حقيقي جاء الجواب من قبل الْمُستَفهِم ( قل الله ) . ويردف عليه : التوبيخ والتسفيه لرأيهم [2]، فإذا أفردتموه بالربوبية ، فأقروا وأفردوه تعالى بالعبادة .

الثاني : (قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ؟)

والأداة فيه الهمزة المقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار والتوبيخ [3]، فكما أقررتم بربوبية الله تعالى للسماوات والأرض ، فكيف تصرفون العبادة إلى الأصنام العاجزة عن النفع والضر ، فمن عجز عن نفع نفسه أو دفع الضر عنها ، كان لجلب النفع لغيره أو دفع الضر عنهم أعجز.

الثالث : (قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ؟)

والأداة فيه : (هل)، والمراد منه : الإنكار المتضمن للنفي والتوبيخ والتسفيه [4] على من صرف العبادة لغير الله ، وحاله حال الأعمى الذي لا يبصر دلائل وحدانية الله ، فلا يستوي مَنْ هذا شأنه بالبصير الذي آمن بالله تعالى .

الرابع : (أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ؟)

والأداة فيه : ( هل ) ، و( أم ) منقطعة بمعنى ( بل ) الاضرابية ؛ والمراد منه : الإنكار عليهم المتضمن للنفي والتوبيخ ، ولذلك شبه الكفر بالظلمة في انعدام إدراك المبصرات ، وحال المؤمنين كحال النور في الهداية والإرشاد [5].

الخامس : (أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ؟)

---

(١) انظر : المحرر الوجيز ٣ / ٣٠٦ ، والبحر المح يط ٥ / ٣٧٠ ، وروح المعاني ١٣ / ١٢٧ ، والتحرير والتنوير١٣/١١٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ١٣/١١٢.

(٣) انظر: البحر المحيط ٥/٣٧٠، تفسير الجلالين ١/٣٢٤ ، فتح القدير ٣/٧٤ ، روح المعاني ١٣/١٢٨ .

(٤) انظر: مغني اللبيب ١/٦٦، والإتقان في علوم القرآن ١/٤٤٦، وأساليب الاستفهام في القرآن ص٢٢٠.

(٥) انظر: مغني اللبيب ١/٦٦، وزاد المسير ٤/٣٢٠، وتفسير الواحدي ١/٥٦٩.

فالكلام بعد ( أم ) استفهام حذفت أداته لدلالة ( أم ) عليها . والمراد منه : الإنكار والتهكم والتغليظ والتوبيخ [1]، فأنكر الله تعالى عليهم اتخاذهم شركاء لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، وأنهم لا يخلقون كخلق الله ، إن هم إلا مخلوقات لله ، فالله تعالى هو المتفرد بالخلق فتعين إفراده بالعبادة .

دلالة الآيتين :

دلت الآية على تفرد الرب – تعالى – بالربوبية والملك والتصرف والتدبير لهذا الكون، مما يستلزم إفراده بالإلهية والعبادة .

ولذا أنكر الله تعالى على المشركين الذين يقّرون أنّ الذي يرز ق ويحي ويميت ويملك السمع والبصر ، ويدبر الأمر هو الله ، ثمّ يصرفون العبادة إلى غيره ؟! فالله تعالى هو ربكم الحق فيجب إفراده بالعبادة ، فأيّ شيء سوى الحق إلا الضلال والجور ، فادعاؤكم غيره إلهاً هو الضلال الذي لا شك فيه ، فمن عبد غير الله فما عبد إلا الضلال المحض [2].

ولذا أمر الله تعالى نبيه – أن يعرض هذه الحجة العقلية والبرهان القاطع على مشركي قريش بقوله : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ (( فاستؤنف الكلام وافتتح بالأمر بالقول تنويهاً بوضوح الحجة )) [3] ، فلما كان لا يسعهم إنكار ذلك ، جاء الجواب ( قــل الله ) ؛ فقد أقروا بإفراده تعالى بالربوبية والملك والتصرف . فكيف تتخذون من دون الله تعالى، المتفرد بالربوبية التامة ، أولياء تحبونهم كحب الله، وتصرفون العبادة لهم من دون الله .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : أفتاهت عقولكم حتى اتخذتم من دونه أولياء تتولونهم بالعبادة وليسوا بأهل لذلك ، فإنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، وتتركون ولاية من هو كامل الأسماء والصفات ، المالك للأحياء والأموات ، الذي بيده الخلق والتدبير والنفع والضر ، فما تستوي عبادة الله وحده وعبادة المشركين به ... [4].

---

(١) انظر : الكشاف ص ٥٣٧ ، وتفسير الجلالين ٣٢٤/١ ، وتفسير أبي السعود ٥ / ١٣ ، وروح المعاني ١٢٨/١٣ ، والتحرير والتنوير ١١٥/١٣.

(٢) انظر : تفسير الطبري ١١٤/١١ ، وتفسير البغوي ٣٥٢/٢ ، وطريق الهجرتين ٥٠٩/١ .

(٣) التحرير والتنوير ١١٢/١٣.

(٤) تفسير السعدي – بتصرف- ٤١٥/١ ، وانظر : تفسير الطبري ١٣٢/١٣ ، وتفسير البغوي ١٣/٣ ، وتفسير ابن كثير ٥٠٨/٢ .

ودلت الآية على إبطال معبوداتهم ببيان عجزها كما قال تعالى : ﴿ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا ﴾ .

فبين تعالى أن هذه المعبودات لا تملك لنفسها النفع أو الضر ، فضلاً على أن تبذله لغيرها، فإذا كانت عاجزة فكيف تُصرف العبادة لمن هو عاجز ؟!

ثم أراد الله تعالى بيان ذلك بضرب المثال الموضح لزيف ما عليه أهل الشرك بقوله تعالى : ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ .

فالإيمان بالله صاحبه بصير يعمل في ضياء على علم من ربه، بخلاف الكفر فصاحبه أعمى يعمل في ظلمة على ضلالة لا تُرى فيها المحجَّة فتُسلك ، ولا يُرى فيها السبيل فيركب[1].

ونجد أن الزمخشري يُفسر الآية على منهجه الاعتزالي يقول : (( ( أم جعلوا ) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار و ( خلقوا ) صفة لشركاء ، يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله )) [2].

وقد تعقب ابن المنير الزمخشري ، فقال : (( والزمخشري لا يطيق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من أن تستتر عليه ؛ لأن مع تقده أن غير الله يخلق وهم العبيد يخلقون أفعالهم على زعمه ، ولكن لا يخلقون كخلق الله ... )) [3].

وقد دلت الآية كما تقدم على أن الله تعالى نفى عن آلهة المشركين أن يكون لها شيء من الخلق ، لا كما زعم الزمخشري بنفي المساواة مع إثبات الخلق لهم ، ومن ثمّ فطن ابن المُنيِّر لذلك ، فكشف زيفه.

إلا أن ابن المُنيِّر قابل بدعة الزمخشري ببدعة الأشاعرة الجبرية الذين يرون أن ليس للعبد قدرة مؤثرة على الفعل ، وإنما الله تعالى هو الخالق لفعل العبد .

والصواب هو مذهب السنة والجماعة الذين أثبتوا لله تعالى الخلق والتقدير ، وأثب توا للمخلوق القدرة المؤثرة والاختيار لفعله على ما سيأتي توضيحه في مبحث القدر[4].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٣/١٣٢.

(٢) الكشاف ص٥٣٧-٥٣٨.

(٣) الانتصاف في هامش الكشاف ص٥٣٧.

(٤) انظر : ص ٧٣٥ من البحث نفسه .

## المطلب الثاني : الاستدلال بكمال الخلق والتدبير على إفراده بالعبادة .

بيّن الله تعالى في عدة مواطن من كتابه الكريم الأدلة والبراهين على وجوب إفراده بالعبادة، فاستدل بكمال خلقه وتدبيره للكون وإسدائه النعم، من إنزال المطر ، وإنبات النبات، وغيرها على وجوب إفراده بالعبادة . وقد وردت هذه الدلائل بأسلوب الاستفهام في كتاب الله تعالى ، ومنها :

قوله الله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [1] .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله تعالى : (أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ؟ ) ، والأداة فيه الهمزة المقترنة بـــ(في)، والمراد منه الإنكار[2] التوبيخي ، أي : أفي وحدانية الله شك ، وهذه دلائل صنعه وخلقه ناطقة بوحدانيته ووجوب إفراده بالعباة .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

[1] سورة إبراهيم ، آية ١٠ .

[2] انظر : تفسير الواحدي ٥٧٩/١ ، وتفسير القرطبي ٣٤٦/٩ ، وتفسير البيضاوي ٣٤١/٣ ، وتفسير الجلالين ٣٣١/١ ، وتفسير أبي السعود ٣٦/٥ ، وروح المعاني ١٥٥/١٣.

[3] سورة النمل، الآيات ٦٠ – ٦٢ .

جاء أسلوب الاستفهام في الآيات الثلاث على نسق واحد . ففي الآية الأولى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ ، والأداة فيه : (مَنْ) ، و(أم) منقطعة بمعنى ( بل ) ، والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف أن الله الخالق وحده[1] ، المشوب بالامتنان بخلق السماوات والأرض وخلق الماء الذي هو سرّ الحياة ، وإنبات النبات على صنوفه كافة ، وهذه حجة دامغة لمن صرف العبادة لغير الله مع كونه يقر بإفراد الله بالخلق والتدبير ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ . وأداة الاستفهام الهمزة ، والمراد منه : الإنكار[2] عليهم والتوبيخ باتخاذ معبود مع الله تعالى ، مع إقرارهم بوحدانيته تعالى بالخلق والتدبير .

وفي الآية الثانية : ﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ... ﴾

والأداة فيه ( مَنْ ) ، وأم المنقطعة بمعنى بل ، والمراد منه : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف أن الله جعل الأرض قارّة ، والتذكير بنعم الله تعالى ؛ حيث جعل الأرض قارّة ، مهيئة للمقام عليها ، ثم شق الأنهار خلالها للانتفاع من مياهها العذبة ، ثم خلق الجبال التي هي رواسٍ وثوابت على ظهرها ، وجعل بين البح ر المالح والبحر العذب حاجزاً فلا يختلط أحدهما بالآخر [3].

وعقَّب على ذلك بقوله : ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والتوبيخ والإلزام بالحجة[4] ، فإذا أقررتم بوحدانية الله تعالى بالخلق والتدبير ، فلِمَ تصرفون العبادة لغيره ؟! .

أما الآية الثالثة : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٦ / ٢٣٩ ، والتحرير والتنوير ٢٠ / ١٠ ، وأساليب الاستفهام في القرآن ص١١٣.

(٢) انظر : زاد المسير لابن الجوزي ١٨٥/٦ ، وتفسير أبي السعود ٢٩٤/٦ ، وروح المعاني ٥/٢٠ ، والتحرير والتنوي ١٢/٢٠.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ٢٩٣/٦، والتحرير والتنوير ١٠/٢٠ ، وأساليب الاستفهام في القرآن ص١١٣.

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٢٩٤/٦ ، وروح المعاني ٥/٢٠ ، والتحرير والتنوير ١٢/٢٠ .

والأداه فيه ( مَنْ) و ( أم ) المنقطعة بمعنى (بل) ، والمراد منه : التقرير[١] ، بإجابة دعوة المضطر الذي وقع في الكرب العظيم العاجز عن إزالة كربه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم أجيالاً بعد أجيال ، فكل حيّ هو خلق عن سلفه ، فإذا أقروا بكمال تدبير الله وتصرفه في خلقه لا شريك يناهضه في ذلك، فيلزمهم الإقرار بعبوديته وحده .

وعقّب على ذلك بقوله:﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾، والأداه فيه الهمزة، والمراد منه : الإنكار [٢] عليهم والتوبيخ بصرف العبادة إلى غير الله مع إقرارهم بالملك والتدبير والتصرف في أحوال الخلق لله وحده .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ [٣] .

وردت أساليب الاستفهام في الآية على النحو الآتي :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ؟

﴿ مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ؟

﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ ؟

﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا ﴾ ؟

أما الأول : ( أرأيتم ) وا.لأداة فيه :الهمزة ، وهو بمعنى : أخبروني [٤].

أما الثاني : ( ماذا خلقوا ) ، والأداة فيه ( ما ) مقترنة بـــ(ذا) ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، والنفي[٥] ؛ أي : لم يخلقوا من الأرض شيئاً .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٢٩٣/٦، والتحرير والتنوير ١٠/٢٠، أساليب الاستفهام ص١١٣.

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٢٩٤/٦ ، والتحرير والتنوير ١٢/٢٠.

(٣) سورة فاطر ، آية ٤٠ .

(٤) انظر : الكشاف ص ٨٨٨ ، وتفسير أبي السعود ١٥٥/٧.

(٥) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٣١١/٣-٣١٣.

الثالث : ﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ ﴾ أم منقطعة بمعنى (بل) والهمزة ؛ أي : بل ألهم شرك في السماوات ؟

والرابع : ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا ﴾ وأم منقطعة بمعنى ( بل ) والهمزة ؛ أي : بل أأتيناهم كتاباً ، والمراد الإنكار الإبطالي والنفي[1] ؛ أي : لا شريك لـــه في السماوات ، و لم يصدر ذلك منهم عن علم وبينة وكتاب .

((وما تضمنته الآية من أن من لم يخلق شيئاً في الأرض، و لم يكن له شرك في السماوات ، لا يصح أن يكون معبوداً بحال ))[2].

وقـــول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3].

ففي الآية ثلاثة من أساليب الاستفهام ، هي :

الأول : قُلْ﴿ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ؟

وأداته الهمزة، وهو بمعنى : أخبروني[4] وفي ذلك بيان لعجز آلهتهم عن النفع والضر كما سيأتي .

الثاني : ﴿ مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾

والأداة فيه ( ما) المقترنة بـــ(ذا) ، والمراد منه : الإنكار عليهم والتوبيخ[5] ، فلا شك أن آلهتهم لم تخلق شيئاً ، وهم معترفون بذلك .

الثالث : ﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ؟

---

(١) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٣/٣١١-٣١٣.

(٢) أضواء البيان ٧/٢١٣.

(٣) سورة الأحقاف ، آية ٤ .

(٤) انظر : الكشاف ص ٨٨٨ ، البحر المحيط ٨/٥٥ ، وتفسير أبي السعود ٨/٧٧ ، وروح المعاني ٢٦/٥ ، والتحرير والتنوير ٢٦/٩ .

(٥) انظر : البحر المحيط ٨/٥٥ ، روح المعاني ٢٦/٩ ، والتحرير والتنوير ٢٦/٩ .

( أم ) المتصلة ، وقد حذفت همزة الاستفهام والمقابل للمعادل الذي بعد ( أم ) لوجود دليله ، ، والتقدير : ألهم شرك في الأرض أم لهم شرك في السماوات ، والمراد منه : الإنكار عليهم والتوبيخ[1]، وذلك أن معبوداتهم لا تناهض الله تعالى في خلق السماوات ، مما يستوجب عليهم إفراد الله تعالى بالألوهية والعبادة ، ونبذ عبادة من كان عاجزاً لا ينفع ولا يضر .

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [2] .

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾؟

والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء واللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي [3] ؛ أي : (( أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج ، فتنيبوا إلى الإذعـان بتوحيد ربكم وإفراده بالعبادة))[4].

وقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [5] .

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾؟ والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء واللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي[6] ؛ أي : أفلا تتذكرون الأدلة الدالة على أنه المعبود وحده ، فتوحدونه وتتبرؤون ممّا سواه .

وقول الله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ

---

(١) انظر : البحر المحيط ٨/٥٥ ، روح المعاني ٢٦/٩ ، والتحرير والتنوير ٢٦/٩.

(٢) سورة يونس، آية ٣ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٤/١١٩، والتحرير والتنوير ١١/٨٨.

(٤) تفسير الطبري ١٥/١٩.

(٥) سورة السجدة ، آية ٤ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٣/٤٩٧ ، وتفسير أبي السعود ٧/٨٠ .

رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية ﴿ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ ؟

والأداة فيه ( أنى ) مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي عن انصرافهم عن توحيد الله تعالى [2].

وقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [3] .

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآ ية : ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ ، والأداة فيه ( أنى ) مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، والتعجيب من انصرافهم عن عبادته إلى جانب عبادة غيره [4].

دلالة الآيات :

ففي آية سورة إبراهيم أخبر الله تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة التي مقتضاها الإقرار بوحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة .

ولذلك قال الله تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾ ؟

وذلك يحتمل أمرين :

أحدهما : أفي وجوده تعالى شك ، فإن الفِطَر شاهدة بوجوده ، ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ، ولكن قد يعرض لها شك واضطراب ، وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء ، فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم، ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى معرفته ، فقالوا : فاطر السماوات والأرض الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ... فلا بد لهما من خالق وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء وإلهه ومليكه .

---

(١) سورة الزمر ، آية ٦ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٢٣/٣٣٦.

(٣) سورة غافر ، آية ٦٢ .

(٤) انظر : التحرير والتنوير ٢٤/١٨٧.

والمعنى الثاني : في قولهم عليهم السلام : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ ؛ أي : أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة لـــه شك وهو الخالق لجميع الموجودات ، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك لـــه ، فإن غالب الأمم مقرة بالخالق ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم[1].

فأنكر الله تعالى على من صرف العبادة لغير الله ، فالله تعالى فاطر السماوات والأرض وخالقها ومبدعها وحده لا شريك له ، فيستلزم صرف العبادة له وحده لا شريك له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : وهو سبحانه لـــه المثل الأعلى في السماوات والأرض ، وهو في السماء إلهٌ وفي الأرض ، فأهل السماوات والأرض يعرفونه ويعبدونه ... ولهذا قال الأنبياء : عليهم السلام لأممهم : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [2]، وهذا استفهام إنكار يتضمن النفي ؛ ويُبين أنه ليس في الله شك . وقول القائل : ليس في هذا شك ، يُراد أنه قد بلغ في الظهور والوضوح ولزوم معر فته إلى حيث لا ينبغي أن يشك فيه .. [3] فالله تعالى مبدع الكون وخالقه قد فطر القلوب على الإقرار بوحدانيته .

أما آيات سورة النمل ، فقد سيقت لتقرير قضية عظيمة ، هي وحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة ، ولذلك جاءت البراهين القاطعة تخاطب العقول والنفوس أن الله تعالى لم يشاركه شريك في الخلق ، وإنزال الماء ، وإنبات النبات، وجعل الأرض مستقرة للحياة ، وخلق الجبال، وأجاب دعوة المضطر ، وهداية الناس في البر والبحر إلى غير ذلك ، فإذا كان لا شريك له في ذلك استلزم إفراده بالعبادة وحده .

قال الإمام ابن أبي العز – رحمه الله – : « ومن ذلك أنه يُقرّر توحيد الربوبية ، ويُبين أنه لا خالق إلا الله ، فيجعل الأول دليلاً على الثاني ، إذ كانوا يُسلمون بالأول ، وينازعون في الثاني ، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله ، وأنه هو الذي يأتي العباد

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٢٦/٢ ، ومعارج القبول للحكمي ٥٣/١ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية ١٠ .

(٣) درء التعارض ٨ / ٣٩ – ٤٠ – بتصرف– ، وانظر : الصواعق المرسلة ١٢٢١/٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ٧٧/١ .

بما ينفعهم ، ويدفع عنهم ما يضرهم ، لا شريك لـــه في ذلك ، فلم تعبدون غيره ، وتجعلون معه آلهة أخرى ؟ ! كقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ ... الآيات ، يقول الله تعالى في آخر كل آية : ( أإله مع الله ) ؛ أي : أإله مع الله فعل هذا ؟ وهذا استفهام إنكار ، يتضمن نفي ذلك ، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله ، فاحتج عليهم بذلك ، وليس المعنى استفهام : هل مع الله إله ؟ ›› [١].

فهل يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب ، وتعسر عليه المطلوب ، واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده ؟ ومن يكشف البلاء والنقمة والشر إلا الله وحده لا شريك لـــه ، ومن يمدكم بالرزق ، ويُوصل إليكم نعمه ؟ لا أحد يفعل مع الله شيئاً من ذلك ، فيلزمكم إفراده تعالى بالعبادة [٢].

ولذلك جاءت آيتا فاطر والأحقاف بأسلوب التحدّي والتعجيز مما يُثير العقول لتتأمل بطلان ما عليه أهل الشرك بصرف العبادة إلى من لا يستحق العبادة .

ولذلك قال تعالى: ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ [٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : ‹‹ فإن ما لا يفعل شيئاً لا يصلح أن يكون رباً يُعبد، و لم يأمر الله أن يُعبد، ولهذا بيّن الله امتناع الإلهية لغيره تارة ببيان أنه ليس بخالق ، وتارة أنه لم يأمر بذلك كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ... ﴾ ؛ وذلك لأن عبادة ما سوى الله تعالى قد يقال : إن الله أذن فيه لما فيه من المنفعة فبين سبحانه أنه لم يشرعه ... والمقصود هنا أنه في هذه الآية بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ عن عبادة ما سوى الله تعالى ؛ لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته، من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم، وما سوى الله لا يصلح...›› [٤].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/٣٦-٣٧، وانظر : الفتاوى ٧/٧٦.

(٢) انظر : تفسير السعدي ٣/٥١٥.

(٣) سورة الأحقاف ، آية ٣ .

(٤) منهاج السنة ٣/٣٣٤ .

ويبين ابن القيم – رحمه الله – ذلك بقوله : (( فلله ما أحلى هذا اللفظ ، وأوجزه، وأدله على بطلان الشرك ، فإنهم زعموا أن آلهتهم خلقت شيئاً م ع الله طُولبوا بأن يُروه إياه ، وإن اعترفوا بأنّها أعجز وأضعف وأقل من ذلك ك ـــانت إلهيتها باطلاً ومحالاً ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ... ﴾ الآية)) [(١)].

أما آيتا يونس والسجدة فقد أنكر الله تعالى ووبّخ مَنْ لم يستدل بدلائل ربوبيته وتدبيره لهذا الكون علويه وسفليه ، فهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش في اليوم السابع بعد خلق السماوات والأرض استواءً يليق بجلاله ، وهو الذي يدبر ما في الكون ، وهو الوليّ يلي أموركم ، والشفاعة ملك لله فلا يشفع شفيع إلا من بعد إذنه ورضاه. إذاً فالعبادة لا تصلح إلا لـــه تعالى ؛ فهو المنفرد بالربوبية والألوهية ، لا شريك يناهضه في ذلك ، فكيف لا تتذكرون ولا تتعظون فتصرفوا العبادة إلى هذه الأوثان العاجزة الفقيرة ؟!

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : إن ربكم الذي لـــه عبادة كل شيء ، ولا تنبغي العبادة إلا لـــه ، هو الذي خلق السماوات السبع والأراضين السبع في ستة أيام ، وانفرد بخلقهما بغير شريك ولا ظهير ، ثم استوى على عرشه مدبراً للأمور ... ولا يشفع عنده شافع يوم القيامة إلا بعد أن يأذن في الشفاعة ، هذا الذي هذه صفته ، سيدكم ومولاكم ، لامن لا يسمع ولا يبصر ولا يدبِّر ولا يقضي من الآلهة والأوثان ، فاعبدوا ربكم ، وأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالألوهة والربوبية [(٢)].

ويوضح الشيخ سليمان بن عبدالله –رحمه الله–[(٣)] أن الشفاعة ملك لله تعالى ، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولا أدنى منهم ، إلا بعد إذن الله تعالى ورضاه . فقال : لما كان

---

(١) الصواعق المرسلة ٢/٤٦٥.

(٢) تفسير الطبري ١٥/١٨-١٩ – بتصرف – .

(٣) هو : سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب النجدي الحنبلي ، الإمام العلامة المجاهد ، كان من كبار أئمة الدعوة المدافعين عن حماها ، أخذ العلم عن والده وعمه حسين وغيرهما ، من مؤلفاته : (تيسير العزيز الحميد)، وحاشية على ( المقنع )، وفتاوى كثيرة ، قتله إبراهيم باشا غدراً بعد أمان الدرعية سنة ١٢٣٣هـــ .
انظر : مشاهير علماء نجد لعبدالرحمن آل الشيخ ص٤٤ – ٤٧.

المشركون في قديم الزمان وحديثه إنما وقعوا في الشرك لتعلقهم بأذيال الشفاعة ، فقطع الله تعالى أطماع المشركين ، وأقام الحجج عليهم ، فإن اتخاذ الشفعاء والأنداد من دون الله هضم لحق الربوبية وتنقص للعظمة الإلهية ، وسوء ظن برب العالمين (١).

ففي آياتي الزمر وغافر يأمر الله تعالى عباده بالاستدلال بكمال الخلق على إفراده تعالى بالعبادة ، وذلك بالنظر إلى أصل خلقة الإنسان من نفس واحدة من آدم – عليه السلام – ثم جعل من آدم زوجه حواء ، وأنعم عليكم بنعمة خلق الأنعام التي سخرها لكم ، وكمال قدرته في خلق الإنسان من طور إلى طور حتى خروجه إلى الحياة إنساناً سوياً ، كما أنَّ لــه الملك التام ، فكيف تصرفون العبادة إلى مربوب فقير ، وتتركون عبادة الله تعالى الذي لــه كمال الخلق ، وتمام الملك .

قال ابن كثير – رحمه الله – : ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراده بالعبادة كما أنه المستقل بالخلق والرزق ، فكذلك فليُفرد بالعبادة ، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ، فأنّى تؤفكون بعد هذا البيان ، ووضوح هذا البره ان ، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان (٢).

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٢٠ – بتصرف – .

(٢) تفسير ابن كثير ٥٤٨/٣ – بتصرف –.

## المطلب الثالث : الاستدلال ببدء الخلق وإعادته على إفراده بالعبادة .

وقد وردت تلك الدلالة في مواطن من القرآن ، منها ما جاء بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (١) .

ورد أسلوبا الاستفهام في الآية ، وهما :

﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ ؟

﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ ؟

فالأول : الأداة فيه ( هل ) .

والمراد منه : النفي والتقرير ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بأن الله هو الخالق وحده ، وتوبيخه على إنكار ذلك (٢).

وبعضهم يرى أن المراد منه : التبكيت والإلزام (٣).

وذهب ابن عاشور إلى أن المراد منه : التقرير والإنكار (٤).

ولا مانع من الجمع بينها فليس أحد منهم يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهم مقرون بأن آلهتهم عاجزة عن الخلق ، ففي ذلك إلزام وتبكيت لهم ؛ بعد الإنكار والتوبيخ .

الثاني : والأداة فيه ( أنّى ) بمعنى كيف ، ونفي الحال (٥)، والمراد منه : الإنكار (٦) التوبيخي عليهم بصرفهم العبادة لغير الله المنفرد بالابتداء والإعادة .

دلالة الآية :

---

(١) سورة يونس ، آية ٣٤ .

(٢) انظر : القرطبي ٣٤١/٨ – ٣٦٤ ، وتفسير السعدي ص ٣٦٤ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١٤٣/٤ .

(٤) انظر : التحرير والتنوير ١٦١/١١ .

(٥) انظر : الإتقان في علوم القرآن ص ٣٧٩ ، أساليب الاستفهام في القرآن ص ١٥٥ .

(٦) انظر : التحرير والتنوير ١٥٩/١١ – ١٦١ ، التفسير البلاغي للاستفهام ٤٨/٢ ، أساليب الاستفهام في القرآن ص ١٥٥ .

أخبر الله تعالى أنه الخالق وحده فهو الذي ابتدأ الخلق لأول مرّة ، ثم يفنيه ، ثم يعيده ، وساق ذلك البرهان ، وخاطب به المشركين ، فهم مقرون أن آلهتهم لا تخلق شيئاً ، بل الخالق وحده هو الله ، فأنكر الله تعالى عليهم كيف ينحرفون بصرف العبادة لغير الله وهو وحده الذي خلقهم ؟ .

قال الطبري – رحمه الله – : قل يا محمد : ( هل من شركائكم ) يعني من الآلهة والأوثان من يبدأ الخلق ثم يعيده ، يقول : من ينشئ خلق شيء من غير أصل فيحدث خلقه ابتداء ، ثم يفنيه بعد إنشائه ، ثم يعيده لهيئته بعد أن يفنيه ، فإنهم لا يقدرون على دعوى ذلك لآلهتهم ؛ وفي ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنّهم كاذبون مفترون في دعواهم أنّها أرباب ، وأنها شركاء لله في العبادة شركاء كاذبون مفترون [1].

---

(1) تفسير الطبري ١١/١١٥– بتصرف – .

## المطلب الرابع : الاستدلال بملك الله تعالى وكمال تدبيره على إفراده بالعبادة .

وقد جاء ذلك في عدة مواطن من القرآن ، منها ما جاء بأسلوب الاستفهام كقول الله تعالى : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [(١)] .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ .

وأداة الاستفهام ( مَنْ ) المقترنة باللام .

والمراد منه: التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بأن لله ما في السماوات والأرض، وهو تبكيت وإلزام المشركين وإلجاؤهم إلى الإقرار بما يقتضي إبطال معتقدهم الشرك [(٢)]، فإذا أقروا أن ما في السماوات والأرض لله ، فيلزمهم صرف العبادة لله وحده لا شريك له ونبذ أصنامهم .

دلالة الآية :

دلت الآية على تفرد الله تعالى بالملك والخلق والتدبير لما في السماوات والأرض ، وهذا مقتضاه إفراده بالألوهية والعبادة .

ولذلك أمر الله تعالى النبي – ﷺ– أن يلزم المشركين بتلك الحجة ، فهو مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر وحده لا شريك له ، فلا بد أن يعترفوا له بالإخلاص والتوحيد .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : قل لهؤلاء المشركين مقرراً لهم وملزماً بالتوحيد ﴿ لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ أي: من الخالق لذلك المالك له المتصرف فيه، قل لهم : الله. وهم مقرون بذلك لا ينكرون ، أفلا يجب عليهم حين اعترفوا بانفراد الله بالملك والتدبير ، أن يعترفوا لـــه بالإخلاص والتوحيد [(٣)].

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٢ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوي ٣٩٤/٢ ، وانظر: المحرر الوجيز ٢٧١/٢ ، وتفسير أبي السعود ١١٥/٣ ، والتحرير والتنوير ١٥٠/٧ .

(٣) انظر : تفسير السعدي ٢٥١/١ ، وانظر : تفسير الطبري ٢٧٣/١١ ، وتفسير ابن كثير ١٢٣/٢ ، وتفسير القرطبي ٣٩٥/٦ ، وفتح القدير ١٠٣/٢ .

ففي هذه الآية تكبيت وإلزام للمشركين ، فإنهم يرون الدلائل الدالة على وحدانيته وكونه مالكاً ومدبراً ، ويصرفون العبادة إلى غيره .

## المطلب الخامس : الاستدلال باختلاف الليل والنهار على إفراده بالعبادة .

وقد وردت تلك الدلالة في مواطن من القرآن ، منها ما جاء بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا [1] سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [2] .

وردت أربعة من أساليب الاستفهام في الآيتين : ( أرأيتم ) ( مَنْ إله ) ( أفلا تسمعون ) (أفلا تبصرون ) .

صُدرت الآيتان السابقتان بقوله : ( أرأيتم ) وأداته الهمزة ، والمراد منهما : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بأن المتصرف في الكون هو الله ، فقد علم المشركون أن الأصنام لا تقدر على إيجاد الضياء والظلمة ، وإنما يُقلّبهما الله تعا لى وحده لا شريك لـــه ، و يردف على ذلك الامتنان بتعاقبهما؛ لأن النعمة بتعاقبهما دوماً أكبر من الإنعام بأصل الإيجاد [3].

﴿ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ...﴾ وأداته ( مَنْ ) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، إنكار أن يكون معبوداً غير الله ، فهم معترفون أن الله تع الى خالق الليل والنهار لا غيره ؛ فلِمَ يصرفون العبادة إلى غير الله [4].

(أفلا تسمعون) (أفلا تبصرون) والأداة فيهما هي الهمزة المقترنة بالفاء ، والمراد منهما : الإنكار والتوبيخ عليهم بعدم سماعهم وإبصارهم لآيات الله الكونية الدالة على وحدانيت ه تعالى[5]. فقد استمر المشركون على عبادة الأصنام ، بعد سطوع هذا الدليل ، وقد علموا أن

---

(١) سرمداً : أي : دوام الزمان من ليل أو نهار . انظر : المفردات في غريب القرآن ص ٢٣١ ، والمحكم والمحيط الأعظم ٦٤٩/٨ .

(٢) سورة القصص ، الآيتان ٧١ ، ٧٢ .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ١٦٩/٢٠.

(٤) انظر : المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

(٥) انظر : التحرير والتنوير ١٧٠/٢٠ .

الأصنام لا تقدر على إيجاد الضياء والظلمة ، فأنكر الله تعالى انتفاء سماعهم وإبصارهم أن الله هو خالق الضياء والظلمة وحده لا شريك له[1].

دلالة الآيتين :

دلت الآيتان على وحدانية الله تعالى بالربوبية ، وكمال التدبير ، والتصرف في هذا الكون علويه وسفليه .

ومن أعظم الآيات البينة آيتا الليل والنهار اللتان يقلبها الله تعالى تباعاً إلى قيام الساعة، فلولاهما لم تُحقَّق مصالح الخلق ومنافعهم ؛ ولذا خاطب الله تعالى العقول والقلوب (أفلا تسمعون ) ؟ ( أفلا تبصرون ؟ ) .

فإذا تحقق أن الله تعالى هو المدبر للكون وحده لا شريك لـه ولا ندّ ، فيجب صرف العبودية الكاملة له وحده لا شريك لـه ؛ ولذا قال الله تعالى : ﴿ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ﴾ ؟ ﴿ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ ﴾ ؟ فالجواب المتحتّم الذي لا محيد عنه : ليس هناك إله غير الله تعالى .

قال الشوكاني[2] -رحمه الله- : هل لكم إله من الآلهة التي تعبدونها من يقدر على أن يرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم بنور تطلبون فيه المعيشة ، وتبصرون فيه ما تحتاجون إليه ، وتصلح به ثماركم ، وتنمو عنده زرائعكم ، وتعيش فيه دوابكم ... ثم امتن الله عليهم بوجود الليل أفلا تبصرون ؟ هذه المنفعة العظيمة إبصار متعظ متيقظ حتى تنْزجروا عمّا أنتم فيه من عبادة غير الله ، فإذا أقرّوا بأنه لا يقدر على ذلك إلا الله - عز وجل - فقد لزمتهم الحجة ، وبطل ما يتمسكون به من الشبه الساقطة ... [3].

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ١٧٠/٢٠ .

(٢) هو : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ثم الصنعاني ، المفسر والفقيه والأصولي من علماء اليمن ، ألف وصنف، من مصنفاته : ( الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ) ، و ( إرشاد الفحول ) ، و ( فتح القدير)، توفي سنة ١٢٥٠هـ .

انظر : البدر الطالع ٢١٤/٢ ، معجم المؤلفين ٥٤١/٣ .

(٣) انظر : فتح القدير ١٨٥/٤ ، وانظر : تفسير الطبري ١٠٣/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٢٧/٣ ، وأضواء البيان ٣٤٧/٥ .

كما دلت الآيتان ، أن آيتي الليل والنهار من أعظم النعم التي مَنّ الله تعالى على عباده بها؛ فقد جعل الله تعالى الليل زمناً لراحة الأبدان من العناء الذي ينتابها ساعات النهار ، كما جعل النهار وقتاً للعمل والكسب وعمارة الأرض ، ولذا دعا الله تعالى الناس إلى تأمل ما فيها من المنافع ، وشكر الله تعالى على هذه النعم العظيمة بالجنان واللسان والجوارح .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( ولولا خلق الظلام لما عُرفت فضيلة النور ، ولولا خلق أنواع البلاء لما عُرف قدر العافية ، ولولا الجحيم لما عُرف قدر الجنة ، ولو جعل الله سبحانه النهار سرمدا لما عُرف قدره ، ولو جعل الليل سرمداً لما عرف قدره ، وأعرف الناس بقدر النعمة من ذاق البلاء ... )) [1].

ولِذلك يتبين أن مَنْ تأمل دلائل ربوبيته وجب إفراده بالعباده لا شريك له .

(1) شفاء العليل ٢٢٢/١.

## المطلب السادس : الاستدلال بالرزق والإحياء والإماتة على إفراده بالعبادة .

وقد وردت تلك الدلالات في مواطن من القرآن ، ورد منها بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [1] .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ .

والأداة فيه : هل ، والمراد منه : الإنكار[2] الإبطالي عليهم ، والمعنى : لا أحد من شركائهم يخلق ويرزق ويميت ويحيي ، فكيف تُصرف العبادة إلى من هو عاجز لا يفعل شيئاً؟!.

دلالة الآية :

دلت الآية على أن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت وحده لا شريك له ، والمشركون يقرون بذلك ؛ ولذلك أقام الحجة عليهم أنّ من تفرد بذلك فيجب إفراده بالألوهية والعبادة ؛ فكيف تصرف العبادة إلى من هو عاجز عن الخلق والرزق والإماتة والنشور ؟!

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : « يقول تعالى ذكره : هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم إياه شركاء ، من يفعل من ذلكم من شيء ، فيخلق ، أو يرزق، أو يميت ، أو ينشر ، وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين . وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئاً من ذلك ، فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئاً من ذلك؟»[3].

قال الشيخ حافظ الحكمي[4] – رحمه الله – : فالله –عز وجل– لـه الكمال في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ... فكيف يسوّى به ، ويعدل به ويشرك معه في إلهيته ، أو ينسب

---

(١) سورة الروم ، آية ٤٠ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٦٢/٧ ، وروح المعاني ٤٧/٢١ ، والتحرير والتنوير ١٠٧/٢١ .

(٣) تفسير الطبري ٤٨/٢١.

(٤) هو : حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، العالم الفقيه ، من علماء جيزان ، نشأ بدوياً يرعى الغنم ، ثمّ قرأ القرآن ، ولَمّا بلغ السادسة عشر بدأ بطلب العلم ، ثمَّ تفرَّغ لطلب العلم ، ألف وصنَّف ، من مصنفاته : (الجوهرة الفريدة في العقيدة ) ، و( سلّم الوصول إلى علم الأصول ) ، و( النور الفائض في علم الفرائض ) وغيرهم ، توفي في سنة ١٣٧٧هـ .

انظر : الأعلام للزركلي ١٥٩/٢.

إليه التصرف في شيء من ملكوته ، وكما يقيم الحجة تبارك وتعالى على من أشرك معه إلهاً غيره بأحديته في الربوبية ، والأسماء والصفات ، وإقرار المشرك بها ، وأن آلهته التي أشرك لا توصف بشيء منها ، يلزمه إفراده بالألوهية الملازمة للربوبية ... [1].

(١) معارج القبول – بتصرف – ١/٨٢.

## المطلب السابع : الاستدلال بهداية الله للخلق على إفراده بالعبادة.

ولقد وردت تلك الدلالة في مواطن من القرآن ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [2] .

ففي آية يونس ورد أربعةٌ من أساليب الاستفهام :

الأول : ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾

الثاني : ﴿ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾

الثالث : ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ﴾

الرابع : ﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾

فالأول : الأداة فيه ( هل ) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي[3] ؛ أي : لا أحد من شركائكم يهدي إلى الحق .

والثاني: وأداته الهمزة المقترنة بالفاء ومن، والمراد منه: التقرير[4]، وهو: حمل المخاطب على الإقرار بأن الله هو الهادي ، فالأحق بأن يُتبع هو الذي يهدي إلى الحق ، وهو الله وحده لا شريك له .

والثالث: والأداة (من) المقترنة بـــ(أم)، والمراد منه: التقرير، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بوحدانية الله، فالأحق بالاتباع والعبادة هو من يهدي إلى الحق [5].

---

(١) سورة يونس ، آية ٣٥ .

(٢) سورة النمل ، آية ٦٣ .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ١٦١/١١ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٨ / ٣٤١ ، وتفسير الجلالين ٢٧٢/١ ، وفتح القدير ٤٤٤/٢ ، والتحرير والتنوير ٦٢/١١ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ١٤٤/٤.

والرابع : والأداة فيه ( ما ) المقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي [1].

والثاني وفيه سؤال ثانٍ هو : (كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ) والأداة فيه كيف ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتعجب[2] من حالهم بصرفهم العبادة لغير الله تعالى .

أما آية النمل فقد تقدمت نظائرها ، فالاستفهام فيها بقوله : (أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ ... ) ، والمراد منه : التقرير[3] وهو حمل المخاطب على الاقرار بأن الله هو الهادي تعا لى بالبر والبحر ، فلا دليل ولا معْلَم يُرى ، ولا وسيلة للنجاة إلا هدايته تعالى .

وكذلك بقوله : ( أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ )، والمراد منه : الإنكار[4] الإبطالي ، فلا معبود سوى الله تعالى يهدي مع إقرارهم أنه تعالى هو الهادي وحده .

دلالة الآيتين :

دلت الآيتان على أن الله تعالى هو الهادي وحده لا شريك له ؛ وأن الهداية على اختلاف أنواعها ملك له تعالى، لا يناهضه فيها شريك ، مما يستوجب إفراده تعالى بالعبادة.

والهداية تتضمن مراتب – سيأتي بيانها – [5] فمنها : الهداية العامة ، وهداية الدلالة والبيان ، وهداية التوفيق ، والهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة . وكلها ملك لله تعالى .

فنجد أن آية سورة يونس تضمنت النوع الثاني من أنواع الهداية ، وهي هداية البيان والتعليم ، وتحتمل النوع الثالث ، وهي هداية التوفيق ، كما قال تعالى : ﴿ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ ﴾ ؛ أي ببيانه وإرشاده أو بإلهامه وتوفيقه ، فالله وحده يهدي للحق بالأدلة والبراهين وبالإلهام والتوفيق والإعانة إلى سلوك أَقوم طريق ، ولذلك عاب الله تعالى صرفهم العبادة لآلهتهم التي لا تهدي ولا تهتدي إلا أن تُهدى ، فأي شيء يجعلكم تحكمون هذا الحكم

(١) انظر : تفسير أبي السعود ١٤٤/٤.

(٢) انظر : المصدر نفسه ١٤٤/٤ ، التحرير والتنوير ١٦٣/١١.

(٣) انظر :تفسير السمرقندي ٥٨٩/٢ ، وتفسير البغوي ٤٢٥/٣ ، وتفسير أبي السعود ٢٩٣/٦ ، والتحرير والتنوير ١٠/٢٠.

(٤) المصادر نفسها ، والصفحات نفسها .

(٥) انظر : ص٧٦٦ من البحث نفسه .

الباطل بصحة عبادة أحد مع الله بعد ظهور الحجة والبرهان إنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده[1] .

أما آية النمل فتضمنت الهداية العامة في ظلمات البر والبحر بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( وكثيراً ما يجمع الله بين الخلق والهداية ... فالخلق إعطاء الوجود العيني الخارجي ، والهدى إعطاء الوجود العلمي الذه ني ، فهذا خلقه ، وهذا هداه وتعليمه ))[2] .

فبين الله تعالى أنه وحده من يهدي الخلق في ظلمات البر والبحر ، فالاهتداء إلى الطريق ونحوه بما خلقه تعالى من الدلائل التي يهتدي بها المسافر إلى اتجاه الطريق في البر والبحر هو من توفيق الله وحده لا شريك له .

فإذا كانت الهداية منه وحده ، فيلزم صرف العبادة لـــه وحده فلذلك أنكر الله تعالى عليهم : ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، وهم يقرون أن الهادي وحده هو الله وحده لا شريك له .

كما أنه تعالى هو الذي يرسل الرياح ، فتُثير سحاباً ، ثُم يؤلف بينه ، فيستبشر بذلك العباد قبل نزول المطر ، فهو المنفرد بفعل ذلك فلِمَ أشركتم معه غيره في العبادة ؟

قال الشوكاني – رحمه الله – : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ؛ أي يرشدكم في الليالي المظلمات إذا سافرتم في البر أو البحر ، وقيل : المراد مفاوز البر التي لا أعلام لها ، ولُجج البحار ، وشبّهها بالظلمات لعدم ما يهتدون به فيها، ﴿ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ ؛ أي: يرسل الرياح بين يدي المطر وقبل نزوله..[3].

(١) انظر : تفسير السعدي ٣١٨/٢، وانظر : تفسير الطبري ٨٦/١٥ ، وتفسير الواحدي ٤٩٧/١ ، وتفسير القرطبي ٣٤١/٨ ، وفتح القدير ٤٤٤/٢ .

(٢) انظر : شفاء العليل ص ١٣٩ .

(٣) انظر : فتح القدير ١٤٧/٤ ، وانظر : تفسير الطبري ٤٠/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٣٧٣/٣.

## المبحث الثاني
## تقرير الألوهية لله وحده

وفيه مطالب :

## المبحث الثاني
## تقرير الألوهية لله وحده

إن أول واجب على العبد هو إفراد الله تعالى بالعبادة ، وبه تُحَقق عصمة الدم والمال ، فالنجاة عليه مُعلّقة ، واقتضاء السعادة بتحقيقه وكماله ؛ ولذا قرَّرت نصوص الكتاب والسنة العبودية لله تعالى في مواطن عدة من الكتاب والسنة منها قول الرسول – ﷺ- : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله))[1].

فجعل عصمة الدم والمال بإفراد الله تعالى بالعبادة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : أما توحيد الألوهية ، فهو التوحيد الذي جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل ... والقرآن كله مملوء تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه ، وتعليق النجاة والفلاح به ، وحقيقته أن تف نى بعبادته عمّا سواه ، ومحبته عن محبة ما سواه ، وبخشيته عن خشية ما سواه ، وبطاعته عن طاعة ما سواه ، وبموالاته عن موالاة ماسواه ، وبسؤاله عن سؤال ما سواه ، وبالاستعاذة به عن الاستعاذة بما سواه ... وهذا التوحيد كثير في القرآن ، وهو أول الدين وآخره وباطن الدين وظاهره [2].

---

(1) أخرجه الإمام البخاري ، كتاب الإيمان ، باب ( فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلو سبيلهم ) . انظر: البخاري مع الفتح ( ٢٥ ) ، ٧٥/١ .

ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب ، الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، ( ٢١ ) ٥٢/١ .

(2) منهاج السنة ٣٤٧/٥ – بتصرف – .

## المطلب الأول : تقرير العبودية لله تعالى

قد قرّر الله تعالى العبودية له وحده ، والدعوة إلى التوحيد ، والنهي عمّا يضاد ذلك في كتابه ، ونشير إلى تعريف العبادة في اللغة والشرع :

**تعريف العبادة في اللغة :**

(( العين والباء والدال أصلان صحيحان كأهما متضادان، والأول من ذينك الأص لين : يدل على لين وذلّ ، والآخر : على شدة وغلظ . فالأول العبد المملوك ، يقال: عَبَدَ يَعبُد عبادة لمن عبد الله تعالى ، ومنه : تعبد يتعبد تعبداً ، فالمتعبد المتفر د بالعبادة ... والآخر : العَبدة، وهي القوة والصلابة ... ))[1].

ويقال : طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء ، ومعنى العبـ ـادة : الطاعة والخضوع[2].

**تعريف العبادة في الشرع :**

عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – بأها : (( اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ))[3] .

فهي جامعة للدين كله ، ولما أمر الله تعالى به ، ولما هى الله تعالى عنه ، وهي الغاية التي خُلق لأجلها الخلق .

وقد ورد ذلك في كتاب الله تعالى بأساليب الاستفهام ، منها :

قـول الله تعـالى : ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾[4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: (قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا...؟ )

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/٢٠٥ ( عبد).

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة ٤/٢٠٥ ( عبد) ، وهذيب اللغة ٢/١٣٨ ( عبد ) .

(٣) العبودية ص ٦ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ١٦٤ .

والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي والتوبيخ(١)، فلا معبود سوى الله تعالى يُتعلق به، فهو رب كل شيء ومليكه ، وإليه المرجع والمآل .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ (٢) .

وأداة الاستفهام هنا الهمزة، والمراد منه : الإنكار التوبيخي(٣)على المشركين الذين طلبوا من الرسول – ﷺ– أن يتوجه بالعبادة إلى آلهتهم ، فوقع هذا الاستفهام منكراً عليهم وموبخاً لهم .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ... ؟)

والأداة فيه ( ما ) مقترنة بالجار والمجرور ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، فأنكر عدم العبادة منه لله تعالى ، وأظهر تمسكه بها (٥).

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أن الله تعالى هو المعبود وحده لا شريك لــه ؛ ولذلك تبرأ عليه الصلاة والسلام أن يتخذ رباً ومعبوداً سوى الله تعالى .

فقال كما أمره الله : (أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ؟)

وقال : (أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ ؟)

أي : كيف أعبد وأطلب رباً غيره ، وهو الذي يربيني ، ويحفظني ، ويكلؤني ، ويدبر أمري، فلن أخلص العبادة إلا له وحده ، فهو الخالق المدبر(٦).

---

(١) انظر : الكشاف للزمخشري ٢/٨٠ ، وتفسير القرطبي ٧/١٥٦ ، وتفسير أبي السعود ٣/٢٠٧ ، وفتح القدير للشوكاني ٢/١٨٦ ، وروح المعاني للألوسي ٨/٧١ .

(٢) سورة الزمر ، آية ٦٤ .

(٣) انظر : فتح القدير للشوكاني ٤/٤٧٤ ، والتحرير والتنوير ٢٤/٥٦ .

(٤) سورة يس ، آية ٢٢ .

(٥) انظر : أساليب الاستفهام في القرآن لعبدالعليم السيد فودة ص ١٣٦ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٢/٢٨٥-٢٨٦ ، وتفسير القرطبي ٦/١٥٦ ، وتفسير ابن كثير ٢/١٩٢ ، وتفسير السعدي ص٢٨٢ .

أما آية الزمر فيقول الله تعالى لنبيه : قل يا محمد لمشركي قومك الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان ، أفغير الله أيها الجاهلون تأمروني أن أعبد ، ولا تصلح العبادة لشيء سواه [1].

ففي الآيتين براءة من الشرك ، فقد روى ابن عباس – رضي الله عنهما– (( أن قريشاً دعوا الرسول – ﷺ– إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجلٍ فيهم ، ويزوّجوه ما أراد من النساء ... وقالوا : تعبد آلهتنا سنة – اللات والعزى – ونعبد إلهك سنة . فأنزل الله تعالى سورة [الكافرون] ، وأنزل : ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾ ... )) [2].

وهذا خطاب لكل من عبد غير الله ، وكذلك كـــل مؤمن يُخاطب به من عبد غير الله[3].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ لفظ ( رباً ) في الآية ؛ أي : إلهاً ومعبوداً ، فالربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان ، فإذا اجتمعا افترقا ، فالرب : المالك الخالق المتصرف ، والإله : المعبود ، وإذا افترقا اتحدا مدلولاهما .

وبذلك يتبين لك أن النبي – ﷺ– أنكر على المشركين ، كما أمره الله ، بعد أن عرضوا عليه أن يتوجه بالعبادة إلى غير الله ، وكيف و كل ما سواه مربوب فقير عاجز ، فكيف يُتَصور أن يكون لــه شريك ؟!

أما آية ( يس ) فيتبين معناها إذا تأمّلنا ما قبلها من الآيات :

قال الله تعالى : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴾[4]، فالقرية المذكورة هي أَنطاكِيَة [5]، والرسل المرسلون هم رسل عيسى ابن مريم – عليه السلام – أرسلهم إلى تلك القرية ، ثم كذبوا الرسل، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل فبلغ رجل مؤمن كان

(١) انظر : تفسير الطبري ٣٢٢/٢١ ، وتفسير البغوي ٨٦/٤ ، وروح المعاني ٢٣/٢٤ .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٣١/٣٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤٧١/١٠.

(٣) الفتاوى ٥٤٤/١٦ –بتصرف–.

(٤) سورة يس ، الآيتان ١٣ – ١٤ .

(٥) أَنطاكِيَة : مدينة من مدن الشام بالقرب من حلب، وهي بلاد موصوفة بالنـــزاهة، والحسن، وطيب الهواء، وعذوبة الماء وسعة الخير. انظر: معجم البلدان ٢٦٦/١، والروض المعطار ٣٨/١، وتاج العروس٣٧٥/٢٧.

اسمه ( حبيباً) ، فجاء من أقصى المدينة ناصحاً قومه باتباع المرسلين إلى أن قال كما حكاه الله تعالى عنه : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ ، فنادى قومه بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه وتوحيده لله تعالى ، وبيّن أنّ مصيرهم ومرجعهم إلى الله تعالى ، فأنكر على قومه صرف العبادة لغير الله تعالى والشرك به [1].

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٠/٤٩٩-٥٠٦ .

## المطلب الثاني : حقيقة ملة إبراهيم -عليه السلام-إفراد الله بالعبادة

إن ملة إبراهيم – عليه السلام – هي التوحيد المتضمن إفراد الله تعالى بالعبادة ، والبراءة من الشرك وأهله ، وقد أمر الله تعالى في كتابه باتباع ملة إبراهيم – عليه السلام– . ففي مطلع هذا المطلب سنوضح معنى الملة في اللغة والشرع :

معنى الملة في اللغة :

هي الشريعة والدين ، كملّة الإسلام ، والنصرانية ، واليهودية . وقيل هي : اسم لما شرع الله لعباده على لسان الأنبياء . وقيل هي : معظم الدين ، وجملة ما يجيء به الرسل ، يقال : تملّلَ وامتل : دخل المِلّة[(١)].

معنى الملة في الشرع :

ملة إبراهيم هي:((التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، ومحبته فوق كل محبة))[(٢)].

وقد أمر الله تعالى رسوله – ﷺ– باتباع ملة إبراهيم ، و لم يأمره أن يتبع ملة أحد من الأنبياء غيره . كما قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [(٣)].

وقيل : الملة الدين والشريعة [(٤)].

وقد جاء ذلك موضحاً في كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام : كقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [(٥)].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله: (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ؟)

---

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن زوة ة ٤٧١/١ ( ملل) ، ولسان العرب ٦٣١/١١ (ملل ) ، والمعجم الوسيط ٨٨٧/٢ ( ملل ) .

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ص١٤٤ ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ٩٧/١ .

(٣) سورة النحل ، الآية ١٢٣.

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٠٤/٣ ، وتفسير البغوي ١١٧/١ ، وأضواء البيان ٤٤/١.

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٣٠ .

والأداة فيه : ( مَنْ ) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، والاستبعاد ، والنفي العام [1]، والمعنى : لا أحد يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه .

وقول الله تعالى:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ؟ ) ، والأداة فيه ( مَنْ ) والمراد منه : الإنكار الإبطالي المضمن معنى النفي[3] : لا أحد أحسن من الله صبغة ، ويردف عليه التعجب[4] من العدول عن صبغة الله إلى غيرها .

دلالة الآية :

دلت الآية على وجوب اتباع ملة إبراهيم –عليه السلام– التي حقيقتهما عبادة الله وحده لا شريك لـــه ؛ ولذلك قال الله تعالى : لا يرغب عن مَلة إبراهيم الحنيفية إلا سفيهٌ ، وفي ذلك رد على اليهود والنصارى لا ختيارهم ما اختاروا من اليهودية والنصرانية على الإسلام ؛ لأن (ملة إبراهيم ) هي الحنيفية المسلمة[5] ، وحقيقه ملة إبراهيم المتضمنة إفرادَ الله تعالى بالعبادة هي: لا إله إلا الله ؛ أي : لا معبود بحق إلا الله ، فكمال الإنسان وصلاحه وسعادته في أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وهذه ملة إبراهيم ، وأهلها المتبعون لدين الله الذي بعث به رسله ، وأنزل به كتبه ، لا من لبّس الحق بالباطل وشاب الحنيفية بالاشراك [6].

وفي الآية الثانية : بيّن الله تعالى أن صبغة الله هي : الحنيفية المسلمة وترك الشرك ، وفي ذلك رد وإنكار على النصارى ، الذين إذا أرادوا أن يُنَصّروا أطفالهم جعلوهم في ماء لهم ويزعمون أن ذلك لهم تقديس، وأنه صبغة لهم في النصرانية ؛ ولذا قال الله تعالى : قل لهم يا محمد، بل اتبعوا ملة إبراهيم فهي صبغة الله التي هي أحسن صبغة ، وأمره أن يُعلن عبوديته لله وحده لا شريك في قوله : ( ونحن لـــه عابدون ) وذلك لما طلب اليهود والنصار م ن النبي –

---

(١) انظر : الكشاف ٢١٥/١ ، وتفسير البغوي ١١٧/١ ، وتفسير البيضاوي ٢٠٣/١ ، والبحر المحيط ٥٦٤/١ ، وتفسير أبي السعود ، ١٦٢/١ ، وروح المعاني ٣٨٧/١.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٣٨.

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١٦٨/١ ، وروح المعاني ٣٩٨/١ .

(٤) انظر : تفسير السعدي ص ٦٨ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩٠/٣ .

(٦) انظر : الصفدية ٢٤٢/٢ ، والفتاوى ٥٢٥/٤.

ﷺ- وأصحابه أن يتبعوا ملتهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [1].

فيرد ذلك بقوله : بل نتبع ملة إبراهيم ، ودَيْنُونتنا لــه بذلك ، غير مستكبرين في اتباع أمره والإقرار برسالته [2].

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٣٥.

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣/١١٧-١٢٠ ، وتفسير البغوي ١/١٢١ ، والمحرر الوجيز ١/٢١٦ ، وتفسير السعدي ص ٦٨ .

## المطلب الثالث : توحيد الألوهية مرادف كلمة التوحيد

إن توحيد الألوهية مرادف لكلمة التوحيد ، المتضمن نفيَ ما يعبد من دون الله ، وإثبات العبادة لله وحده لا شريك لـــه ، فهي أول الواجبات وغاية الدعوة ، وما سواه ا من الفروع تابع لها ، وقد ورد تقريره ـــا في مواطن من كتاب الله تعالى ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقـــول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [1] .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : ( فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ) ، والأداة فيه ( هل ) ، والمراد منه : الأمر[2] ؛ أي : أسلموا وأذعنوا لله تعالى بالطاعة وإخلاص العبادة لـــه وحده لا شريك لـــه .

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [3] .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ... ؟)

والأداة فيه الهمزة مقترنة بـــ( لم ) النافية ، والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بعظم هذه الكلمة المتضمنة إفراد الله بالعبـادة ، ويردف على التقرير التشويق والحث والتعجيب[4] من كيفية هذا المثل المضروب لكلمة التوحيد .

دلالة الآيتين :

فنلحظ أن آية الأنبياء دلت على حصر دعوة الرسول - ﷺ- في لا إله إلا الله ، المتضمنة إفرادَ الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك لـــه، وخلع ما يعبد من دونه من الأنداد ، ولذا جاء

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٠٨.

(٢) انظر : تفسير السمرقندي ٤٤٥/٢ ، وتفسير الواحدي ٥١٥/١ ، وتفسير البغوي ٣٧٦/٢ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٨٣/٤ ، وتفسير القرطبي ١٣/٩ ، وروح المعاني ١٦/١٧ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية ٢٤ .

(٤) انظر : التفسير البلاغي للاسقهام في القرآن ١٧٧/٢.

الأمر بقوله : ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ ؛ أي : أذعنوا لله بالطاعة ، وأخلصوا له العبادة وتبرؤوا من عبادة ما سواه [1].

قال الشنقيطي – رحمه الله – : « إن حصر الوحي في آية الأنبياء هذه في توحيد العبادة حصر لـــه في أصله الأعظم الذي يرجع إليه جميع الفروع ؛ لأن شرائع الأنبياء كلهم داخلة في ضمن معنى : لا إله إلا الله . لأن معناها خلع جميع المعبودات غير الله – جل وعلا – في جميع أنواع العبادات ، وإفراده – جل وعلا – وحده بجميع أنواع العبادات ، فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية » [2].

وبذلك يتبين أن كلمة التوحيد تتضمن الدين كله ، ولذلك اتفقت دعوة الرسل إليها، فجعلت غاية الدعوة هذه الكلمة ، فما من رسول إلا استفتح دعوته بهذه الكلمة ، المتضمنة عبادة الله وحده لا شريك له .

ومعنى ( لا إله إلا الله ) : لا معبود بحق إلا الله ، ( لا إله ) نافياً جميع ما يعبد من دون الله ، فلا يستحق أن يعبد ما سواه، ( إلا الله ) مثبتاً العبادة لله ، فهو الإله الحق المستحق للعبادة، فتقدير خبر (لا) المحذوف (بحق) هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة[3].

فشهادة أن لاإله إلا الله لا يستفيد منها إلا من علم حقيقتها ومعناها ، وما اشتملت عليه من العلم والعمل ، وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناها ، ولا اعتقاد لحقيقتها ، فهذا لا يفيد العبد شيئاً ، ولا يخلّصه من شعب الشرك وفروعه [4].

وذكر أهل العلم أن لها شروطاً سبعة لابد من اجتماعها وتحقيقها :

١– العلم بمعناها نفياً وإثباتاً ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [5].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٠/١٢ ، وتفسير البغوي ٣٧٦/٢ ، وتفسير السعدي ٣٠٣/٣ .

(٢) أضواء البيان ١٦٩/٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٨١/٢٤ ، وعقيدة الفرقة الناجية لمحمد بن عبدالوهاب ص ١٨، وتيسير العزيز الحميد ص٥٦، والدرر السنية ٣١٠/٢ ، ومعارج القبول ٤١٦/١ .

(٤) انظر : مصباح الظلام في الرد على من كَذَبَ على الشيخ الإمام / لعبداللطيف آل الشيخ ص ١٦١ .

(٥) سورة محمد ، آية ١٩ .

٢- اليقين وذلك باستيقان القلب بها ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ ﴾ [١].

٣- الانقياد لها ظاهراً وباطناً ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [٢].

٤- القبول لها فلا يرد شيئاً من لوازمها ومقتضياها، والدليل على ذلك قوله الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [٣].

٥- الإخلاص فيها، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[٤].

٦- الصدق من صميم القلب لا باللسان فقط ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [٥].

٧- المحبة لها ولأهلها، والموالاة والمعاداة لأجلها ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [٦] .

أما الآية الثانية فقد شبّه الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة ، والشجرة الطيبة تُثمر الثمر النافع ، والكلمة الطيبة هي : شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فإنها تثمر العمل الصالح ؛ فشبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل الباسقة الفرع في السماء علواً ، التي لا

---

(١) سورة الحجرات ، آية ١٥.
(٢) سورة لقمان ، آية ٢٢ .
(٣) سورة الصافات ، الآيتان ٣٥، ٣٦ .
(٤) سورة الزمر ، آية ٢ .
(٥) سورة العنكبوت ، آية ١-٣ .
(٦) سورة المائدة ، آية ٥٤ .
انظر : أعلام السنة المنشورة ص ٣٦-٤١ ، ومعارج القبول ٣٠٨/١ .

تزال تؤتي ثمرها كل حين . وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابته الراسخة في القلب ، التي فروعها من الأعمال الصالحة كل وقت ، بحسب ثباتها في القلب ، ومحبة القلب لها ، وإخلاصه فيها ، ومعرفته بحقيقتها ، وقيامه بحقوقها [(١)].

(١) انظر : أعلام الوقعين ١/١٧١-١٧٢ .

## المطلب الرابع: دعوة الرسل -عليهم السلام-هي الدعوة إلى عبادة الله وحده

إذا تأمّلنا كتاب الله تعالى ، واستعرضنا قصص الأنبياء وحالهم في الدعوة إلى الله تعالى، نجد أن دعوتهم اتفقت على أن أوّل الواجبات هو الدعوة إلى عبادة تعالى وحده لا شريك له ، ونبذ ما يُعبد من دونه ، وقد ورد ذلك في عدة مواطن من كتاب الله تعالى منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [1].

ورد في الآية استفهامان :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ ...﴾

وأم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة ، والتقدير : بل أكنتم شهداء ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي والتقريع والنفي[2]؛ أي: لم تحضروه وقت موته، فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به.

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ... ﴾

والأداة فيه ( ما ) ، والمراد منه : التقرير[3] ، وهو التحقيق والتثبيت ؛ وذلك أن يعقوب – عليه السلام – « أراد بسؤاله تقرير بنيه على التوحيد والإسلام ، وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما ؛ إذ به يتم وصيته بقوله : ( فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) »[4].

وقول الله تعالى:﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ ؟

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٣٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٥٦٢/١ ، وتفسير البحر المحيط ٥٧٢/١ ، وتفسير البيضاوي ١/ ٤٠٥ ، وتفسير الجلالين ص ٢٧ ، وتفسير أبي السعود ١٦٤/١ ، وروح المعاني ٣٩٠/١ .

(٣) انظر : تفسير البيضاوي ٤٠٧/١ ، تفسير أبي السعود ١٦٤/١ ، وروح المعاني ٣٩١/١ .

(٤) تفسير أبي السعود ١٦٤/١ .

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٤٠ .

والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتعجب من طلبهم ؛ أي : كيف أطلب لكم غير الله إلهاً تعبدونه ؟ وهو فضلكم على الخلق ، فهذا جهل منكم (١).

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٢).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة، والمراد منه : الإنكار التوبيخي(٣) ؛ أي : كيف تنهانا عن عبادة الأوثان التي يعبدها آباؤنا ؟

وقول الله تعالى : ﴿ يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (٤).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾

والأداة فيه : الهمزة ، وأم هنا المعادلة لما ولي الهمزة ، والمراد منه : نفي الاستواء بين الله المعبود وحده لا شريك لـه ، وبين الأرباب المتفرقين ، ويردف عليه قوة الإنكار على من توجه إلى عبادة غير الله (٥).

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٦) .

وقول الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٧).

---

(١) انظر : زاد المسير لابن الجوزي ٢٥٤/٣ ، والتفسير الكبير ١٨٣/١٤ ، وتفسير أبي السعود ٢٦٨/٣ ، وفتح القدير ٢٤١/٢ ، وروح المعاني ٤١/٩ .

(٢) سورة هود ، آية ٦٢ .

(٣) انظر : فتح القدير للشوكاني ٥٠٨/٢ ، والتحرير والتنوير ١١٠/١٢ .

(٤) سورة يوسف ، آية ٣٩ .

(٥) انظر : روح المعاني ٢٤٤/١٢ .

(٦) سورة الأعراف ، آية ٦٥ .

(٧) سورة المؤمنون ، آية ٣٢ .

ورد أسلوبا الاستفهام بقوله تعالى : ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ )

والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء و (لا) النافية ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي [1] ؛ أي: أفلا تتقون الله بعبادته وحده لا شريك له، وترك ما يُعبد من دونه من الأوثان وغيرها.

وقول الله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [2] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:﴿ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾؟

والأداة فيه الهمزة . والمراد منه : الإنكار الإبطالي [3]، فلم تأتِ الرسل بالأمر بعبادة غير الله تعالى، وإنما اتفقت دعوة الرسل على الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار التوبيخي؛ أي: أجئتنا لتصرفنا عن آلهتنا إلى عبادة إله واحد[5].

دلالة الآيات :

دلت الآيات أن زبدة دعوة الرسل وقطب رحاها هي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له .

ففي آية الزخرف بيّن الله تعالى أنّ دعوة جميع الرسل اتفقت على توحيده وإفراده بالعبادة ، ونبذ ما يُعبد من دونه ، كما أمر الله تعالى نبيه محمداً –ﷺ– أن يسأل من أُرسل من قبله ، والمقصود بذلك : هم مؤمنو أهل الكتاب على أصح أقوال المفسرين[6]. فعندهم من

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٢٣٧/٣ ، وروح المعاني ١٥٥/٨ ، وفتح القدير ٤٤٣/٢ .

(٢) سورة الزخرف ، آية ٤٥.

(٣) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٥٤/٤ .

(٤) سورة الأحقاف ، آية ٢٢ .

(٥) انظر : روح المعاني ٢٥/٢٦ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٦١٢/٢١ ، وتفسير البغوي ١٤١/٤، وفتح القدير ٥٥٧/٤ .

العلم بما جاءت به رسلهم ما يبين حقيقة دعوتهم – عليهم السلام – فقد قامت على توحيد الله وإفراده بالعبادة ، ولم تأذن بالشرك وعبادة الآلهة من دون الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : فإن الأنبياء جميعهم ، وأممهم كانوا مسلمين مؤمنين موحدين، لم يكن قط دين يقبله الله غير الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك لـــه؛ ولهذا بعث الله خاتم المرسلين وأفضل النبيين محمداً –ﷺ– إمام التوحيد الذي بعث الله به الرسل قبله، وأظهره وخلّصه من شوائب الشرك ، فظهر التوحيد بسببه ظهوراً فضّله الله به ، وفضّل به أمته على سائر الأمم [١].

ففي آية البقرة احتج الله على المشركين من العرب وعلى اليهود والنصارى أن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك لـــه ، فأخذ العهد عليهم على أن يُوحدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يُسلموا لله تعالى ، فالإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة وإن تنوّعت شرائعهم .

قال الإمام الطبري –رحمه الله–: هذه آيات نزلت تكذيباً من الله تعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم ، فأنكر الله تعالى عليهم دعواهم أن يعقوب عندما حضرته الوفاة أوصى بنيه باليهودية ، فردّ الله تعالى عليهم : أكنتم حضرتم وشهدتم يعقوب –عليه السلام– عند موته ؟ فلا تدَّعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل[٢] .

وها هو نبي الله صالح – عليه السلام – يدعو قومه إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ، ونبذ ما يُعبد من دونه تعالى ، وقد تصدى قومه لهذه الدعوة بالرفض منكرين عليه دعوته لتوحيد الله وحده لا شريك له ، وترك ما كان عليه آباؤهم من عبادة الأوثان .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : قالوا يا صالح قد كنّا نرجوك ونؤمل فيك العقل والنفع ، ولكن لما جاءهم بهذا الأمر الذي لا يوافق أهواءهم الفاسدة وزعمهم أن هذا من أعظم القدح في صالح كيف قدح في عقولهم وعقول آبائهم الضالين ؟ وكيف ينهاهم عن عبادة من لا ينفع ولا يضر ؟ [٣].

---

(١) الرد على المنطقيين ١/٢٩٠ – بتصرف – .
(٢) انظر : تفسير الطبري ١/٥٦٢ . وانظر : تفسير البغوي ١/١١٨ ، وتفسير ابن كثير ١/١٨٧ .
(٣) انظر : تفسير السعدي ص ٣٨٥ .

وقد أكَّد نبي الله يوسف – عليه السلام– دعوة التوحيد في دعوته لصاحبي السجن ؛ فقد عرض عليهم الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك لـــه ، مبيّناً لهم قبح ما عليه أهل الشرك من التوجه إلى عبادة أرباب شتى متفرقين .

ويوضح الألوسي – رحمه الله – ذلك : « وقد تلطَّف – عليه السلام – بهما في ردهما إلى الحق ، وإرشادهما إلى الهدى ؛ حيث أبرز لهما ما يدل على بطلان ما هما عليه ، بصورة الاستفهام حتى تنفر طباعهما من المفاجأة بإبطال ما ألفاه دهراً طويلاً ، ومضت عليه أسلافهم جيلاً فجيلاً » [1] .

وقال الإمام الطبري – رحمه الله – : « يقول أعبادة أرباب شتى متفرقين ، وآلهة لا تنفع ولا تضر ، خيرٌ أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني لـــه في قدرته وسلطانه الذي قهر كل شيء فذلَّله وسخره ، فأطاعه طوعاً وكرهاً » [2].

كما أخبر الله تعالى عن كل من الرسل ، مثل نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب وغيره م أنهم اتفقوا على دعوة قومهم بقولهم : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . وكذلك ما حكاه الله تعالى في آية (الأعراف) عن نبي الله هود – عليه السلام – ، وفي آية ( المؤمنون ) عن نبي الله صالح ، وقيل: هود على خلاف بين المفسرين[3]. وقد تضمن هذا القول من الرسل لأممهم إفراد الله تعالى بالألوهية ، ونفي أُلوهية ما سواه ، وضابط ذلك هو تحقيق معنى : لا إله إلا الله ؛ فهي مكوّنة من النفي والإثبات .

فقولهم : اعبدوا الله ؛ أي : أفردوا الله تعالى بالعبادة ، وهذا هو الإثبات ، وقولهم : ما لكم من إله غيره ؛ أي : اخلعوا جميع أنواع المعبودات غير الله ، وهذا هو النفي . ولذلك دارت المعارك بين الرسل وأممهم لتحقيق العبادة لله وحده ؛ فلذا أنكر الله تعالى عليهم ووبّخهم بقوله : (أَفَلَا تَتَّقُونَ) ؛ أي : ماأنتم عليه من عبادة الأوثان والأصنام ، فتخافون الله تعالى وتحذرون عقابه بعبادتكم غيره وهو خالقكم ورازقكم دون كل ما سواه[4].

---

(١) روح المعاني ١٢/٢٤٤ .

(٢) تفسير الطبري ١٦/١٠٤ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٩/٢٨ ، وتفسير ابن كثير ٣/٢٣٠-٢٣١ .

(٤) انظر: تفسير الطبري ٨/٢١٥.

وفي آية (الأحقاف) حكى الله تعالى جواب عاد على نبي الله هود - عليه السلام - واعتراضهم على دعوته لعبادة الله وحده لا شريك لـــه ، فقالوا : أجئتنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعونا إليه ، فتحدّوا دعوته باستعجال ما توعدهم من عذاب الله وسخطه (١).

كما دلت آية (الأعراف) على أن نبي الله موسى -عليه السلام - قرر وحدانية الله تعالى وعبادته وحده لا شريك لـــه ، وبطلان ما يُعبد من دونه تعالى من الأصنام ونحوها وذلك أن موسى - عليه السلام - لَمّا عبر ببني إسرائيل البحر ، م رّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها من دون الله ، استحسنوا ما عليه أهل الشرك ، فطلبوا من موسى - عليه السلام - أن يجعل لهم صنماً يعبدونه من دون الله ، فأنكر موسى- عليه السلام - طلبهم مبيناً لهم أن العبادة لا تنبغي لشيء سوى الله الواحد القهار، الذي خلقكم ، وفضلكم على العالمين ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، أتريدون عبادة ما لا ينفع ولا يضر ؟! وتتركون عبادة من فضلكم على العالمين ؟ ! (٢).

فهنا تبين أن الدعوة التي أُرسل بها موسى - عليه السلام- إلى بني إسرائيل هي التوحيد بإفراد الله بالعبادة ، ونبذ الشرك وما يُعبد من دون الله تعالى .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : والمشركون كانوا يقرون بتوحيد الربوبية الذي هو نفي خَالِقين سوى الله ، فلم يكن مشركو العرب تنازع فيه ، فكانوا يعترفون أن آلهتهم لا تخلق ، وإنما بعث الله محمداً -ﷺ- يُجدّد لهم دين إبراهيم ، ويخبرهم أن العبادة حق لله تعالى وحده لا يصلح منها شيء لملك مقرب ، ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما ، فلم يدخلهم في الإسلام اعترافهم أن الله تعالى هو الخالق المدبر ، فبذلك تعلم أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة ، وهو الذي اتفقت عليه دعوة جميع الرسل (٣).

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٦/٢٤ ، وتفسير السعدي ص ٧٨٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣/٨٠-٨٤ ، وزاد المسير ٣/٢٥٤ ، وفتح القدير ٢/ ٢٤١ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٣/٣٣٠ ، والرد على البكري ١/٢٢٤ ، والرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب ١/١٥٣ .

## المطلب الخامس : أنواع العبادات

العبادات متنوعة ومتعددة ، ظاهرة وباطنة ، فيجب صرفها لله تعالى ، وخلوصها من الشرك الأكبر والأصغر ، فالشرك مفسد للعمل ومحبط لــه ، وإحصاؤها وجمعها أمر يصعب لتنوعها وتعددها ، فسنتناول في هذه الدراسة نماذج من العبادات التي وردت في كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام كالدعاء ، والخشية ، والشكر ، كما سيتضح في المسائل التالية :

### المسألة الأولى : الدعاء :

### معنى الدعاء في اللغة :

(( الدال والعين والحرف المعتل أصلٌ واحد ، وهو أن تُميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك . تقول : دعوت أدعُو دعاءً )) [١].

((الدُّعاء بالضم ممدوداً: الرغبة إلى الله فيما عنده من الخير والابتهال إليه بالسؤال))[٢].

(( يقال : استجاب الله دعاءه ودَعوته )) [٣].

### معنى الدعاء في الشرع :

الدعاء في الشرع يُراد به الدعاء بنوعيه :

١- دعاء العبادة ؛ فكل عبادة مستلزمة للخوف والرجاء ، فالمصلي والصائم وغير ذلك تتضمن عبادته طلب الثواب من الله تعالى والخوف من عقابه ، ومثالــه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ ﴾ [٤].

فدعاء المشركين لأوثانهم كما في الآية المراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة . فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك .

٢- دعاء المسألة ، وهو طلب ما ينفع الداعي ، وطلب كشف ما يضره ودفعه [٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢/٢٧٩ ( دعو ) .

(٢) تاج العروس للزبيدي ٣٨/٣٦ ( دعو ) .

(٣) جمهرة اللغة ١٢/٦٦٦ ( دعو ) .

(٤) سورة الحج ، آية ٧٣ .

(٥) انظر نوعي الدعاء: الفتاوى ١٥/١٠ وما بعدها، وبدائع الفوائد ٣/٥١٣، وتيسير العزيز الحميد ص١٧٢.

ومثاله قول الله تعالى : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [1].

فالدعاء في القرآن يُراد به هذا تارة ، وذاك تارة ، وقد يراد به مجموعهما ، وهما متلازمان كما قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، فالدعاء يتضمن النوعين ، ولهذا أعقبه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ﴾ [2].

وقد بين الله تعالى أن الدعاء بنوعيه : العبادة والمسألة من العبادات التي قررها القرآن وأوجب صرفها له وحده لا شريك له ، وقد وردت في مواطن متعددة من كتاب الله – عز وجل –منها ما ورد بأسلوب الاستفهام ، كقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [3].

ففي الآية استفهامان :

الأول : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ ؟

الثاني: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ؟

فالأداة في الأول الهمزة دخلت على فعل الرؤية ، وهو بمعنى أخبروني [4].

والثاني: الأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي[5] ؛ أي : أغير الله تدعون وتشركون في العبادة ، ولا يكشف الضر إلا الله وحده سبحانه، فعند نزول الشدائد تلجؤون إليه بالدعاء دون الالتفات إلى معبوداتكم ، فكيف تصرفون العبادة في حال الرخاء إلى من لا يملك النفع والضر ؟!

---

(١) سورة مريم ، آية ٤ .

(٢) سورة غافر ، آية ٦٠ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ٤٠ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ١ / ٢٥٦ ، والكشاف ٢ / ٢٢ ، والبحر المحيط ٤ / ١٢٩ ، وتفسـير أبي السعود ٥٠٣/١ .

(٥) انظر : البحر المحيط ١٣١/٤ .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [(١)] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ؟

والأداة فيه ( مَنْ ) ، والمراد منه : التقرير والإنكار والتوبيخ والتوقيف على سوء معتقدهم في عبادة الأصنام ، وترك الذي ينجي من الشدائد ويُلجأ إليه في كشفها [(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ؟

والأداة فيه ( مَنْ ) والمراد منه : الإنكار التوبيخي والنفي ؛ أي : لا أحد أضل ممن يدعو مَنْ هو عاجز عن السماع والإجابة ، تاركاً دعاء السميع البصير المجيب القادر على كل شيء[(٤)].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أن الدعاء عبادة عظيمة يجب صرفها لله وحده ، فلا يكشف البلاء إلا الله ، ولا رازق إلا الله وحده لا شريك لــه، فيجب إفراده بالعبادة؛ ولذا أنكر الله تعالى على هؤلاء المشركين الذين يشركون به حال الرخاء، ويخلصون الدعاء إليه حال الشدائد.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : يق ـــول الله تعالى لرسوله : قل للمشركين بالله العادلين به غيره ؛ أرأيتكم إن أتاكم ع ـــذاب الله أو أتتكم الساعة ، فإذا حصلت هذه المشقات ، وتلك الكروب التي يضطر إلى دفعها ، ه ـــل تدعون آلهتكم أو تدعون ربكم الملك الحق المبين ؟ بل إياه تدعون فيكشف كروبك ـــم ، فإذا كانت هذه حالكم

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٦٣ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٤/١٥٤ ، وتفسير أبي السعود ٣/١٤٥ ، وروح المعاني ٧/١٧٩ .

(٣) سورة الأحقاف ، آية ٥ .

(٤) انظر : الكشاف ٤/٢٩٩ ، وتفسير البيضاوي ٥/١٧٧ ، وتفسير أبي السعود ٨/٧٨.

عند الشدائد تنسون معبوداتكم ، وتخلصون الدعاء لله وحده ، فما بالكم في الرخاء تشركون به [1].

(( فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها إلا هو سبحانه دل على توحيده ، وقطع شبهة من أشرك به ، وعُلم بذلك أن ما دون هذا أيضاً من الإجابات إنما حصولها منه وحده لا شريك له ... )) [2].

وقد ذم الله تعالى من يشرك به بعد كشف البلاء ؛ وذلك أنهم إذا ركبوا في الفلك ، وتلاطمت بهم الأمواج ، وظنوا أنهم هالكون ، أخلصوا الدعاء لله وحده لا شريك لــه ، فلما نجّاهم إلى البر عادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك في العبادة فذم الله سبحانه حزبين : حزباً لا يدعونه في الضراء ، ولا يتوبون إليه . وحزباً يدعونه ويتضرعون إليه ويتوبون إليه ، فإذا كشف الضر عنهم أعرضوا عنه وأشركوا به ما اتخذوا من دونه من الأنداد [3].

ففي آية الأحقاف بيّن الله تعالى ضلال مَنْ يدعون من دون الله تعالى من عدة أوجه وهي:

١- أن دعاء غير الله ضلال ، فالمدعو لا يستجيب للداعي ، ولا قدرة له على الاستجابة .

٢- أن الْمَدعو غافل عن دعاء الداعي ، فلا يشعر بدعائه سواء أكان من الملائكة ، أم من أموات الأنبياء والصالحين ، أم من الأصنام والأوثان .

٣- أن في دعاء الداعي للمدعو سبباً لبغض المدعو وعداوته يوم القيام ة، كما جاء موضحاً في الآية التي أعقبتها:﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾[4].

---

(١) انظر : تفسير السعدي ص ٢٥٦ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٣٥٦ .

(٣) انظر : الفتاوى ١٤/٣٧٠-٣٧١.

(٤) سورة الأحقاف ، آية ٦ . انظر : تيسير العزيز الحميد ص ١٩١ .

المسألة الثانية : الخشية

معنى الخشية في اللغة :

(( الخاء والشين والحرف المعتل يدلُّ على خَوف وذُعْر ، فالخشية الخوف)) [١].

((والفعل : خشي يخشى))[٢]، يقال: (( خشي الرجل يخشى خشية؛ أي : خاف))[٣].

معنى الخشية في الشرع :

الخشية في الشرع قد تكون بمعنى الخوف .

قال الراغب – رحمه الله – : (( الخشية خوف يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه )) [٤].

وقد تكون الخشية أخصَّ من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله تعالى، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [٥] ، فالخشية خوف مقرون بالعلم ؛ وكل من خشيه أطاعه بفعل الأوامر واجتناب النواهي[٦].

وقد بيّن الله تعالى في كتابه أن الخشية عبادة يجب صرفها لله تعالى ، وقد جاء ذلك بأسلوب الاستفهام .

مثل قول الله تعالى : ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٧].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( أتخشونهم ؟)

فالأداة فيه الهمزة، والمراد منه : الإنكار التوبيخي الذي مقتضاه النهي[٨] عن التراخي

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٨٤/٢ ( خشى ) .

(٢) العين ٢٨٤/٤ ( خشي ) .

(٣) لسان العرب ٢٢٨/١٤ ( خشي ) .

(٤) المفردات للراغب ص ٢٨٣ ، وانظر : وروح المعاني ١٤١/١٣ .

(٥) سورة فاطر ، آية ٢٨.

(٦) مدارج السالكين ٥٤٩/١ – بتصرف – .

(٧) سورة التوبة ، آية ١٣ .

(٨) انظر : الإتقان في علوم القرآن ص ٦٣٨ .

عن القتال ؛ لخشيتهم من العدو ، فأنكر الله تعالى صدور ذلك منهم ، فالله تعالى أحق أن يخشاه العباد .

دلالة الآية :

دلت الآية أن الخشية من أنواع العبادة القلبية ، فالخشية يجب أن تكون لله وحده ؛ ولذا أنكر الله تعالى على من خشي العدو لما كان سبباً في التراخي عن القتال ، فقال تعالى : لا تخشوهم واخشون فأنا أهل أن يخشى العباد من سطوتي وعقوبتي ؛ فبيدي الأمر ، وما شئت كان ، ومالم أشأ لم يكن [(١)].

فالخشية عبادة يجب صرفها لله وحده ، فلم يأمر الله أن يُخشى مخلوق ولا أن يُتقى مخلوق ، وإنما أمر أن تكون الخشية له وحده [(٢)].

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية دافع الخشية « فإن العلم بما أنذرت به الرسل يوجب الخوف ، فإذا كان العلم يوجب الخشية الحاملة على فعل الحسنات وترك السيئات وكل عاص فهو جاهل بتمام العلم ...»[(٣)] ، فلا يُخشى غير الله تعالى من الأولياء ، والجن ، والأصنام ونحوها ، فذلك خوف السر الذي يجب صرفه لله تعالى .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٠ .

(٢) انظر : الرد على الأخنائي ١/ ٩٨ ، والفتاوى ١/ ٦٨ .

(٣) الفتاوى ٨/ ٢٠٤ .

المسألة الثالثة : الشكر

معنى الشكر في اللغة :

(( الشين والكاف والراء أصول أربعة متباينةٌ بعيدة القياس ؛ فالأول : الشُّكر : الثناء على الإنسان بمعروف يُولِيكَهُ ، ويقال : الشكر الرِّضا باليسير والأصل الثاني : الامتلاء والغزر في الشيء ... والأصل الثالث : الشَّكير من النبات وهو الذي ينبت من ساق الشجرة ... ، والأصل الرابع : الشَّكْرُ هو النكاح ... ))[1].

يقال : شَكَرْتُه وشَكَرْت لــه ، والشكر يكون بالقلب خضوعاً، واستكانة ، وباللسان ثناء واعترافاً ، وبالجوارح طاعة [2].

معنى الشكر في الشرع :

هو : (( الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ))[3].

وقيل : ((هو عكوف القلب على محبة المنعم ، والجوارح على طاعته ، وجريان اللسان بذكره ، والثناء عليه))[4] .

وقيل : (( صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خُلق لأجله )) [5].

إذاً فالشكر يتضمن اعتراف العبد بقلبه بما أسبغ عليه من نعم وإحسان على وجه الخضوع والذل والمحبة ، وباللسان بالثناء على المنعم ، وبالجوارح بالتزام طاعته والعمل لمرضاته، واستعمال تلك النعم في تحقيق العبودية لله تعالى .

قال ابن القيم –رحمه الله-: أما إنعام الرب تعالى على عبده: فإحسان إليه، وتفضل عليه، لا لحاجة منه إليه، ولا لمعاوضة . وأمره لــه بالشكر أيضاً إنعام آخر عليه ، وإحسان منه إليه ؛ إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة، والعبد هو الذي ينتفع بشكره ، فالرب تعالى لا يستطيع أحد أن يكافئ نعمه أبداً، بل شكر الله على نعمه يحتاج إلى شكر آخر وهلمّ جرا[6].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢٠٧/٣ ( شكر ) .

(٢) تاج العروس ٢٢٦/١٣ ( شكر ) – بتصرف – .

(٣) مدارج السالكين ٢٥٤/٢ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم ١٦/١ .

(٦) مدارج السالكين ٢٦٢/٢ بتصرف .

والشكر والحمد بينهما عموم وخصوص ، (( فالحمد أعم من جهة أسبابه التي يقع عليها؛ فإنه يكون على جميع الصفات ، والشكر لا يكون إلا على الإحسان . والشكر أعم من جهة ما به يقع ، فإنه يكون بالاعتقاد ، والقول ، والفعل . والحمد يكون بالفعل أو بالقول ، أو الاعتقاد )) [1].

فالشكر عبادة عظيمة يجتمع فيها عمل القلب واللسان والجوارح ، فيجب صرفها لله وحده لا شريك لــه ، ونسبة النعم إلى مسديها والمنعم بها على خلقه ، وأن يتعلق قلبه بخالقه الذي جعل النعم تصل إليه .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [2].

وقد بين الله تعالى أن الشكر عبادة يجب صرفها له وحده، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهـــام ، كقـــول الله تعالى : ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[3].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (أَفَلَا يَشْكُرُونَ ؟)

والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء ، ولا النافية ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي، ففي ذلك : (( إنكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة ، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ؛ أي: أيرون هذه النعم ، أو أيتنعمون بها فلا يشكرونها )) [4].

دلالة الآية :

دلت الآية على عظيم فضل الله تعالى وإحسانه لخلقه ؛ حيث دلَّ المشركين على عظيم قدرته تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن

(١) الفتاوى ١١/ ١٤٦ .
(٢) سورة النحل ، آية ٥٣ .
(٣) سورة يس ، آية ٣٥ .
(٤) تفسير أبي السعود ٧/١٦٧ .

ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [1]، فأمر الله تعالى بالاستدلال على قدرته بالأرض الميتة المجدبة التي لا نبات فيها ، فأحياها بإخراج زروعها وثمارها قوتاً وغذاءً ، وأنبع فيها عيون الماء ، ليأكل العباد من تلك الثمار قوتاً وفاكهة .

فأنكر الله تعالى على مَنْ استبصر تلك النعم فلم يشكره عليها اعترافاً بفضله ، وثناء بلسانه ، وعملاً بجوارحه[2].

---

(1) سورة يس آية ، ٣٣- ٣٥ .

(2) انظر : تفسير الطبري ٥١٥/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٥٣٢/٣ ، وتفسير السعدي ٢٣٦/٤ .

المسألة الرابعة : السجود
معنى السجود في اللغة :
« السين والجيم والدال أصلٌ واحدٌ مطّرد يدل على تطامُن وذلّ . يُقال : سجد إذا تطامَنَ ، وكلُّ ما ذلَّ فقد سجد »[(١)].

يُقال : أسجد الرجل إذا طأطأ رأسه وانحنى ، وسَجَدَ إذا وضع جَبهَته بالأرض ، والسجود مواضعُه من الَجسَد ، والأرض مَسَاجِدُ واحد مَسْجَدٌ ، والَمَسْجِدُ اسم جامعٌ ، حيث يُسجَدُ عليه وفيه ؛ والَمَسَاجِدْ مواضع السجود من الإنسان الجبهه والأنف واليدان والركبتان والرجلان [(٢)].

معنى السجود في الشرع :
إذا أطلق السجود في الشرع فيُخص بالركن المعروف من الصلاة ، وما يجري مجرى ذلك من سجود التلاوة وسجود الشكر ، إلا إن دلالة النصوص من الكتاب والسنة دلت على أن السجود ضربان :

الأول: سجود اختيار وليس ذلك إلا للمؤمن ، ويستحق عليه الثواب من الله كما قال الله تعالى : ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ﴾[(٣)].

الثاني: سجود اضطرار وهو المذكور في قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾الآية [(٤)].

فسجودها تحوّل ظلالها ، فتحوّل ظل كل شيء سجوده كما قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴾ [(٥)].

وقيل : سجودها بمعنى الطاعة ، فإنه ما من جماد وإلا وهو مطيع لله ، وخاشع له ، مسبح له ، كما أخبر الله تعالى عن السماوات والأرض بقوله: ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [(٦)]؛ وقال في

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٢٣/٣ ( سجد ) .
(٢) تهذيب اللغة ٢٩٩/١ ( سجد ) ، والمصباح المنير ٢٦٦/١ ( سجد ) .
(٣) سورة النجم ، آية ٦٢ .
(٤) سورة الحج ، آية ١٨ .
(٥) سورة الرعد ، آية ١٥.
(٦) سورة فصلت ، آية ١١ .

وصف الحجارة : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [1] [2].

ومن دلائل ربوبيته سجود ما في الكون لله تعالى سجود اضطرار ، وسجود الاختيار عبادة لا ينبغي أن تصرف إلا لله وحده لا شريك له ، وقد ورد ذكرها في مواطن من القرآن ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...؟﴾

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بأن كل ما في الكون خاضع منقاد لله ، وكل مخلوقاته تسجد له وتعبده سجوداً مناسباً لها.

دلالة الآية :

دلت الآية على إفراد الله بالربوبية والعبادة ، فكل ما في الكون من مخلوقات في السماوات والأرض إلا مطيع لله عابد له ساجد محب لخالقه وبارئه .

قال ابن كثير – رحمه الله – : يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً ، وسجود كل شيء ممّا يختص به ، من الملائكة والإنس والجن والدّواب وإنما خُصص الشمس وا لقمر والنجوم ؛ لأنها عُبِدت من دون الله فبيّن أنّها تسجد لخالقها وأنها مربوبة مسخرة [4].

روى البخاري عن أبي ذر –رضي الله عنه– قال: قال النبي –ﷺ– لأبي ذر[5] حين

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٣٠/١٧ ، رسالة في قنوت الأشياء لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٠ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٧٤ .

(٣) سورة الحج ، آية ١٨ .

(٤) تفسير بن كثير ٢١٢/٣ – بتصرف – .

(٥) هو – الصحابي الجليل – : جندب بن جنادة بن قيس الغفاري ، من كبار الصحابة وفضلائهم ، توفي بالرَّبذة سنة ٣١هـــ ، وصلى عليه عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – .

انظر : الاستيعاب في هامش الاصابة ٤/ ٦١ ، وأسد الغابة ٩٦/٦ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٦٢/٤.

غربت الشمس : ( تدري أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ! قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويُوشك أن تسجد فلا يُقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها : ارجعي من حيث جئت ...) [1] الحديث .

وسجود الشجر والجبال بفيء ظلالهما عن اليمن والشمائل ، وكثير من الناس يسجد طوعاً وإيماناً ، أما الكثير الذي حق عليه العذاب فمع كفرهم بالله يسجد ظلالهم الله تعالى فذلك من أعظم الدلائل على ربوبيته تعالى[2].

(١) أخرجه البخاري – كتاب : بدء الخلق باب : صفة الشمس والقمر بحسبان [ ٣١٩٩] انظر : البخاري مع الفتح ٢٩٧/٦ ومسلم في صحيحه – كتاب الإيمان ، باب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان [ ١٥٩] ١٣٨/١ .

(٢) رسالة في قنوت الأشياء ص٢٧.

## المسألة الخامسة : التسبيح .

### معنى التسبيح في اللغة :

السين والباء والحاء أصلان : أحدهما جنسٌ من العبادة ، والآخر جنسٌ من السعي ، فالأول السُّبحة وهي : الصلاة ، ويختص بذلك ما كان نَفْلاً غير فرض ، ومن الباب التَّسبيح وهو تنْزِيه الله جلّ ثناؤه من كل سوء[1].

يقال : سبّحت تسبيحاً إذا قلت : سبحان الله علم على التسبيح ، ومعناه تنْزِيه الله عن كل سوء [2].

### معنى التسبيح في الشرع :

المعنى الشرعي لا يخرج عن المعنى اللغوي .

قال الراغب : « التسبيح : تنْزِيه الله تعالى » [3].

ويكون بالذكر باللسان مطلقاً ، ويكون واجباً من واجبات الصلاة في موضعه من الركوع والسجود ؛ ويكون ذكر الله تعالى بالقلب .

وله إطلاقات أخرى في الشرع ، إلا أنه إذا أطلق فهو علم على ذكر الله وتنْزِيهه.

وقد ذكر الله تعالى تسبيح ما في الكون لله تعالى ، وذلك من أعظم الدلائل على ربوبيته وألهيته تعالى ، والتسبيح عبادة وورود الحث عليها في مواطن من كتابه ، وقد جاء ذلك موضحاً بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَـٰٓفَّـٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...؟) والأداة فيه : الهمزة المقترنة بـــ ( لم ) ، والمراد منه : التورير[5] ، وهو حمل المخاطب على

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٢٥/٣ ( سبح ) .

(٢) المصباح المنير ص ٢٦٣ ( سبح ) .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٩٢.

(٤) سورة النور ، آية ٤١ .

(٥) انظر : التفسير الكبير للرازي ١٠/٢٤، وتفسير أبي السعود ١٨٢/٦ ، وروح المعاني ١٨٨/١٨ .

الاعتراف بأن كل ما في الكون مسبح لله تعالى معترف بوحدانية الله تعالى ، وإن كنا لا نفقه تسبيحهم .

دلالة الآية :

دلت الآية على إفراد الله تعالى بالعبادة ، ومنها التسبيح الذي هو تنْزيه الرب تعالى ، فكل من في السماوات والأرض من الملائكة والإنس والجن والطير صافات في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها الله تعالى إليه ، فكل أرشده الله تعالى إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله .

والصلاة كما في الآية للمؤمنين من بني آدم والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق [1].

قال ابن القيم – رحمه الله – : قد جعل الله للجمادات شعوراً وإدراكاً لتسبيح ربها به ، وتسقط الحجارة من خشيته ، وتسجد له الجبال والشجر وتسبحه الحصى والمياه والنبات ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [2]، ولو كان التسبيح مجرد دلالتها على صانعها لم يقل : (وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها[3].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٩٨/١٩ ، ورسالة في قنوت الأشياء ص١١، وتفسير بن كثير ٢٩٨/٣ ، وتفسير السعدي ص٥٧٠ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٤٤ .

(٣) الروح لابن القيم ص٧٢ – بتصرف – .

# المبحث الثالث
# نفي الشريك عن الله في العبادة

وفيه مطالب :

المطلب الأول : اتباع الهوى والشيطان من أسباب الشرك .

المطلب الثاني : إبطال الشركاء من دون الله .

المطلب الثالث : تنزيه الله تعالى ذاته المقدسة عن الشرك وتنزيه رسله عن الدعوة إلى الشرك .

المطلب الرابع : ضرب المثال لبيان بطلان الشرك وسلامة التوحيد .

## المبحث الثالث
## نفي الشريك عن الله في العبادة

تبين أن أعظم الأصول التي قررها كتاب الله وبينتها سنة رسوله -ﷺ- ، وبَرهَن عليها هو توحيد الألوهية والعبادة ، ممّا يستوجب على العبد أن يبذل جهده في تحقيقه ، ويحذر ممّا يضاده ويفسده ، فقد حذر الله تعالى من الشرك ، وبيّن - تعالى - أن العبادة حق لله تعالى لا تنبغي لأحد سواه لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عمّن هو دونهم .

فقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [1].

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [2].

وجاء في الحديث أن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : ((سألت رسول الله -ﷺ- أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك )) [3].

والنصوص التي بيّنت خطر الشرك وبطلانه أكثر من أن تحصى ولمعرفة حقيقة الشرك سنعرض معناه في اللغة والشرع :

### الشرك في اللغة :

(( الشين والراء والكاف أصلان يدلان على مقارنة وخلاف وا نفراد ، والآخر يدل على امتداد واستقامة ، فالأول الشِّرْكة، وهو أن يكون بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال : شاركتُ فلاناً في الشيء إذا صِرْتَ شريكه ... وأما الأصل الآخر : فالشرَك : لَقَم الطريق وهو شِرَاكُه أيضاً، ومنه : شَرَك الصّائد سُمّي بذلك لامتداده ))[4]، وأَشْرَكَ بالله : كفر ، والاسم

---

(1) سورة النساء ، آية ١١٦ .

(2) سورة لقمان ، آية ١٣ .

(3) أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : قوله : ( فلا تجعلوا لله أنداداً ...)[٤٤٧٧] ، انظر : البخاري مع الفتح ١٦٣/٨ .

(4) معجم مقاييس اللغة ٢٦٥/٣ (شرك) .

(الشِّرك ) ، والجمع أشراك و شركاء[1] .

الشرك في الشرع :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده ، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور ، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك » [2].

ويقول الشيخ حافظ الحكمي –رحمه الله–: الشرك اتخاذ العبد غير الله من نبي ، أو وليّ ، أو ملك ، أو قبر ، أو حجر ، أ و كوكب نداً من دون الله مساوياً لله يحبه كحب الله، ويخشاه كخشية الله[3] .

والشرك قسمان :

١– **الشرك الأكبر** : أن يتخذ من دون الله نداً ، يحبه كحب الله ، ويخافه ، ويرجوه ، ويستغيث به ...، هذا الشرك هو الذي لا يغفره الله تعالى إلا بالتوبة ، وهو محبط لجميع الأعمال، وصاحبه مستحق للخلود في النار [4].

قال ابن القيم – رحمه الله – : « وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار : ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [5]، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق، ولا ترزق ، ولا تحيي ، ولا تميت ، وإنما كانت التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم ... » [6].

**٢– الشرك الأصغر :**

(١) انظر : المحكم والمحيط الأعظم ٦/٦٨٤ ( ر ش ك ) ، تاج العروس ٢٧/٢٢٥ ( شرك ) .

(٢) الاستقامة ١/٣٤٤ .

(٣) معارج القبول ١/٣٦٠ – بتصرف يسير – .

(٤) انظر : الدرر السنية ١/٤٨٣ ، ومعارج القبول ١/٣٥٤ .

(٥) سورة الشعراء ، الآيتان ٩٧ – ٩٨ .

(٦) مدارج السالكين ١/٣٦٨ .

الشرك الأصغر دون الشرك الأكبر ، ولا يخرج من الملة ، وصاحبه مستحق للوعيد لا للخلود في النار، ولا يحبط إلا العمل الذي قارنه[1]؛ كيسير الرياء ، والحلف بغير الله ، وقول (ما شاء الله وشئت ) .

وقد ورد التحذير من الشرك ، وبيان بطلانه بأساليب متعددة قطع الله تعالى بها الأسباب التي تعلّق بها المشركون ، وبيّن زيفها وباطلها ؛ لتتجرد العبودية لله وحده لا شريك لـــه . منها ما ورد بأساليب الاستفهام التي أنكر الله تعالى على المشركين شركهم وعبادتهم غير الله تعالى ، مبيّناً ضلال ما استندوا إليه ، وهو ما سيأتي توضيحه في هذا المبحث.

(١) انظر : الدرر السنية ٤٨٣/١ ، ومعارج القبول ٣٦٦/١ .

## المطلب الأول : اتباع الهوى والشيطان من أسباب الوقوع في الشرك

إن الفطر البشرية جُبلت على أن توّحد خالقها ، وتعبده وحده لا شريك لـــه ، إلا إذا اعتراها الانحراف ، وزين لها الشيطان الشرك ، وقد وضح الله تعالى ذلك في مواطن في كتابه منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ [1].

ففي الآيات أسلوبا استفهام ، هما :

الأول منهما : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ﴾؟

والأداة فيه الهمزة مقترنة بـــ( لم ) النافية .

والمراد منه: التقرير والتذكير[2]؛ وذلك أن الله تعالى نهى عن عبادة الشيطان ، فيذكرهم بهذا العهد .

والثاني : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ ؟

والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء و( لم ) النافية ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي .

يقول أبو السعود : « أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم ، فلم تكونوا تعقلون أنها لضلالهم. أو: فلم تكونوا تعقلون أصلاً حتى ترتدعوا عمّا كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب » [3].

وقول الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [4] .

ففي الآية استفهامان :

الأول : (أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ؟)

---

(١) سورة يس ، الآيتان ٦٠-٦٢ .

(٢) انظر : الإتقان ص ٦٣٨ .

(٣) تفسير أبي السعود ٧/١٧٦ .

(٤) سورة الفرقان ، آية ٤٣ .

والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : التعجيب من شناعة حالهم ، وبيان مالهم من المصير ، والمآل ، وفيه تنبيه على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يُرى ويُتعجب منه [١].

وقال بعض العلماء : أرأيت بمعنى : أخبرني من اتخذ إلهه هواه ، فهل تحفظه عن اتباع الهوى والخطاب للنبي – ﷺ– [٢].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أن أصل الوقوع في الشرك ناشئ من أمرين :

أحدها : وسوسة الشيطان ، وتزيينه للشرك حتى يقع بنو آدم في طاعته فيما يوسوس لهم ، ولذا نهى الله تعالى عن عبادة الشيطان ، والمقصود بها طاعته .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : « ألم أوصكم وآمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله ... وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد ، وإياي فأطيعوا ، فإن إخلاص عبادتي ، وإفراد طاعتي ، ومعصية الشيطان ، هو الدين الصحيح ، والطريق المستقيم ، ولقد صد الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي ، وإفرادي بالألوهة حتى عبدوه ، واتخذوا من دوني آلهة » [٣].

وأول شرك قوم نوح كان بالغلو في الصالحين ، وكون ذلك من وحي الشيطان إليهم؛ روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [٤].

قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت» [٥].

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٦/٢٢٠ ، روح المعاني ٢٥/١٥٢ .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ١/ص ٤٧٥ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٠ /٥٤٢ – ٥٤٣ .

(٤) سورة نوح ، آية ٢٣ .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : قوله تعالى : (وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا) انظر : البخاري مع الفتح [ ٤٩٢٠ ] ٨/٦٦٧ .

ويوضح الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – ذلك : ومبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها ، ومن هذا التقسيم ماقد عمّ الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان ، والعمد ، وإسراج مواضع في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه أحداً ممن اشتهر بالصلاح ، فيفعلون ذلك ، ويظنون أنهم يتقربون إلى الله ، ثم يجازون ذلك إلى أن يُعظَّم أصحاب القبور، فترجى شفاعتهم، ويُنذر لهم، ويُعظَمون من دون الله[1].

والثاني: اتباع الهوى في عبادة الله ، فإن المشرك يعبد ما تهواه نفسه وما يحبه ، فإن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر ، فإذا رأى أحسن منه رمى به ، وأخذ الآخر يعبده ، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره ويهواه[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : ومن الناس من يتخذ إلهه هواه ؛ أي يجعل ما يألهه ويعبده هو ما يهواه ، فالذي يهواه ويحبه هو الذي يعبده ؛ ولهذا ينتقل من إله إلى إله... [3] ، و معلوم أن هذا حاصل في جميع المشركين فإنهم متفننون في الآلهة التي يعبدونها ، وإن اشتركوا في الشرك هذا يعبد الشمس ، وهذا يعبد القمر ، فكل منهم يتخذ إلهه هواه ويعبد ما يستحسن [4].

(١) انظر : مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العقيدة ٧٢/١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٥٠/٢٥ ، وتفسير البغوي ٣٧٠/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٢١/٣ .

(٣) الرد على الأخنائي ص٦٧ – بتصرف – .

(٤) انظر : الفتاوى ٢٥٨/٨ .

## المطلب الثاني : إبطال الشركاء من دون الله

أبطل الله الشرك في كتابه ، وبيّن عظيم جرمه وذنبه ، وقد حرم الله تعالى جميع صو ره وإن كان لملك مقرب ، أو نبي مرسل ، فمن دونهم من الأوثان والأصنام والكواكب والأولياء ونحوهم .

ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [1].

ورد في الآية ثلاثة استفهامات :

الأول : (أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة (بالفاء ) و ( مَنْ ) ، والمراد منه : إنكار التسوية ونفي المماثلة بينها [2]. وهو تقرير يتضمن الإلزام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « وهذا استفهام تقرير يتضمن إقامة الحجة عليهم ونفي كل معبود مع الله » [3].

الثاني : في قوله تعالى : (أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ؟)

و(أم) هنا منقطعة بمعنى: بل والهمزة؛ أي : بل أتخبرون الله تعالى بما لا يعلم في الأرض، والمراد منه : الإنكار والتوبيخ، وتقرير أنهم يريدون أن ينبئوا عالم السر والخفيات[4] .

والثالث : في قولــه تعالى : ( أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ؟ ) .

---

(١) سورة الرعد ، آية ٣٣ .

(٢) انظر : تفسير الجلالين ص ٣٢٧ ، والبحر المحيط ٥ / ٣٨٤ ، وتفسير أبي السعود ٥ / ٢٤ ، وفتح القدير ٣/٨٥ .

(٣) الفتاوى ١٥/١٩٦-١٩٧ .

(٤) انظر : تفسير البيضاوي ٣/٣٣٣ ، وتفسير القرطبي ٩/٣٢٢ ، والبحر المحيط ٥/٣٨٤ ، وتفسير أبي السعود ٥/٢٤.

و(أم) منقطعة بمعنى : بل والهمزة ؛ أي : بل أتسمونهم شركاء ، والمراد منه : الإنكار والتوبيخ[1] .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[2].

وأم هنا منقطعة بمعنى ( بل ) والهمزة للاضراب والانتقال من إظهار بطلان آلهتهم لخلوها من خصائص الإلهية من الإنشاء ، إلى إقامة البرهان على استحالة تعدد الإله [3].

والمراد من الاستفهام : الإنكار التوبيخي والتبكيت ؛ أي : كيف اتخذتم من دون الله آلهة متعددة بلا حجة ولا برهان عقلي وشرعي ؟ [4].

وقول الله تعالى:﴿ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴾ [5] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنًا ... ؟)

و( أم ) منقطعة بمعنى بل والهمزة ، والمعنى : بل أأنزلنا عليهم سلطاناً . والمراد منه : الإنكار الإبطالي والنفي ؛ أي : أن الله تعالى لم يُنـــزل سلطاناً وحجة على شركهم وباطلهم[6].

وقول الله تعالى : ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[7].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: (أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ..؟)

---

(١) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ١٦٢/٣ .
(٢) سورة الأنبياء ، آية ٢٤ .
(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٦٢/٦ .
(٤) انظر : تفسير البغوي ٣ / ٢٤٢ ، وتفسير الجلالين ٤٢٢/١ ، وروح المعاني ٣١/١٧ .
(٥) سورة الروم ، آيتي ٣٥ .
(٦) انظر : بحر العلوم للسمرقندي ١٢/٣ ، وفتح القدير ٢٢٥/٣ ، وروح المعاني ٤٢/٢١- ٤٣ .
(٧) سورة الشورى ، آية ٢١ .

و(أم) هنا منقطعة بمعنى (بل) والهمزة ، وتقدر : بل ألهم شركاء . والمراد منه : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف باتخاذهم شركاء من دون الله ، ويردف عليه التقريع والتوبيخ[١] .

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾[٢].

ورد أسلوبا الاستفهام في الآيات كالآتي :

الأول منهما : في قوله تعالى : (أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ؟ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة ( بالفاء ) والفعل الماضي : رأى ، وهو بمعنى : أخبروني[٣] . ويردف عليه : التوبيخ والإنكار والتبكيت ، والمعنى : أخبروني عن آلهتكم ؛ هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العالمين ؟!

والثاني : قول الله تعالى : (أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ؟)

والأداة فيه الهمزة مقترنة بالجار والمجرور ( لكم ) ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي التكذيبي ، فإن الله تعالى منزه عن اتخاذ الولد ، وقد وبّخهم الله تعالى أن جعلوا له تعالى أنقص الولدين بهتاناً وزوراً[٤] .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على بطلان الشركاء الذين عُبدوا من دون الله من عدة وجوه :

الوجه الأول :

أن مستندهم في الوقوع في الشرك هو الكذب والافتراء ، ففي آية الرعد يُنكر الله تعالى على كفار قريش ، ويقيم الحجة عليهم ؛ فهذه الأصنام التي اتخذتموها شركاء لله تعالى في

---

(١) انظر : الكشاف ٢٢٢/٤ ، والتفسير الكبير ١٤٠/٢٧ ، وتفسير أبي السعود ٢٩/٨ ، وفتح القدير ٥٣٣/٤ ، وروح المعاني ٢٨/٢٥ .

(٢) سورة النجم ، الآيات ١٩-٢١ .

(٣) انظر : البحر المحيط ١٥٩/٨ ، وتفسير أبي السعود ١٥٨/٨ ، وروح المعاني ٥٦/٢٧ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٢٥٠/٤ ، وتفسير القرطبي ١٠٢/١٠ ، والبرهان في علوم القرآن ٣٣٠/٢ ، وتفسير أبي السعود ١٥٨/٨ ، وروح المعاني ٥٦/٢٧ .

العبادة . فسموها بأسماء الله تعالى القائم على كل نفس بما كسبت ، الذي لا تخفى عليه خافية، فهل تستحق أن تسمى بأسماء الله ؟ فذلك افتراء عُلم بطلانه .

وأما إن سموها بأسمائها التي تستحقها من أسماء الجمادات فهذه الأسماء حق ، وهي أدلّ الدلائل على بطلانها .

ويُوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : فإذا جعلتم أولئك شركاء فسموها إذاً بالأسماء التي يسمى بها القائم على كل نفس بما كسبت ، فإنه يسمى بالحي القيوم، المحي الميت ، السميع البصير ، الغني عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، فهل تستحق آلهتكم اسماً من تلك الأسماء ؟ فإذا كانت آلهة حقاً فسموها باسم من هذه الأسماء ، وذلك بَهَت بيّن ، فإذا انتفى عنها ذلك علم بطلانها .

وأما إن سموها بأسمائها الصادقة عليها كالحجارة ، وغيرها من مسمى الجمادات ، وأسماء الحيوان ، وأسماء الشياطين ، وأسماء الكواكب ، فهذه أسماء مخلوقات ، فهذه أسماؤها الحق ، وهي تبطل إلهيتها . فظهر أن تسميتها آلهة من أكبر الأدلة على بطلان إلهيتها ، وامتناع كونها شركاء لله عز وجل [1].

الوجه الثاني :

أن الوقوع في الشرك لم يكن عن حجة ، وبرهان ، وسلطان إنما عن هوى من عند أنفسهم ، واتباع للشيطان ؛ ولذا أنكر الله تعالى عليهم الوقوع في الشرك : هل كان عن بيّنة وسلطان وحجة من عند الله ؟ فدلِلوا على ذلك بالبرهان الواضح والدليل القاطع ، وذلك تحدٍّ وتعجيز لهم .

قال الشنقيطي –رحمه الله–: ففي هذه الآية الكريمة تعجيز للمشركين عن الإتيان بحجةٍ على شركهم، وكفرهم؛ حيث لا مستند لهم في شركهم إلا تقليد آبائهم الضال ين وأجدادهم[2].

والسلطان المذكور في الآية الحجة المنـــزلة من عند الله ، فلذلك أنكر الله تعالى عليهم وقوعهم في الشرك:(أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ) ، فهل أنزل

(١) الفتاوى ١٩٧/١٥ – بتصرف يسير – .

(٢) انظر : أضواء البيان ٢١٦/٣ .

الله تعالى عليهم كتاباً ينطق بصحة شركهم ، وإنما اختلقوه وابتدعوه اتباعاً لأهوائهم[1].

ففي آية الشورى يبين الله تعالى زيف ما عليه أهل الشرك موبخاً لهم ، فقد ابتدعوا شرعاً، وحللوا وحرموا من قِبل أنفسهم وأهوائهم ، و لم يأذن الله تعالى بهذا التشريع الذي اختلقوه .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : العبادات مبناها على الشرع والاتباع لا على الهوى والابتداع ، فإن الإسلام مبني على أصلين :

أحدهما : أن نعبد الله وحده لا شريك له .

والثاني : أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ، لا نعبده بالأهواء والبدع .

فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم وفي مغيبهم ، وسؤالهم والاستغاثة بهم والاستشفاع بهم في هذه الحال ونصب تماثيلهم بمعنى طلب الشفاعة منهم هو من الدين الذي لم يشرعه الله ، ولا ابتعث به رسولا ، ولا أنزل به كتاباً .

فإن الله شرع لعباده المؤمنين عبادات ، فأحدث لهم الشيطان عبادات مضاهية للشرع، فإن الله شرع لهم عبادة الله وحده لا شريك لــه ، فشرع لهم الشيطان شركاء ، وه ي عبادة ما سوى الله والإشراك به...[2]. وبذلك نعلم أن كل بدعة مكفرة وغير مكفرة هي شرع لم يأذن به الله تعالى .

**الوجه الثالث :**

بين الله تعالى بطلان ما يعبد من دون الله ، وذلك بتعيين أكبر الأصنام التي يعظمها العرب من الأسماء سموها هم وآباؤهم جهلاً وضلالاً وبهتاناً ، فأنكر الله تعالى عليهم اتخاذ هذه الأوثان معبودات من دون الله ، قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ .

فأول هذه الأصنام ( اللات ) واللات من الله فأُلحقت فيه التاء فأُنثت – تعالى الله عن ذلك – وقيل : اللاتّ بتشديد التاء هو : رجل يلتُّ السويق للحاج فلّما مات عكفوا على قبره فعبدوه .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢١/٤٤ ، ودرء التعارض ١/٥٧ ، تفسير ابن كثير ٤/١٢٧ .

(٢) انظر : الفتاوى ١/٨٠-١٥٩ ، ٣/٤٢٥ .

وكانت اللات صخرة بيضاء منقوش عليها ببيت في الطائف ، له أستار ، وسدنة ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تبعها من العرب [١].

روى البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله : ( اللات والعزى) ((كان اللاتّ رجلاً يلتّ سويق الحاج )) [٢].

وقد أرسل إليها النبي – ﷺ – المغيرة بن شعبة [٣] فهدمها ، وكان عليها بيت وسدنة وخدم [٤].

و( العُزى) من العزيز ، وهي : شجرات يعبدونها ، بين مكة والطائف ، كانت أهل قريش يعظمونها [٥]. وقد أرسل إليها النبي – ﷺ- خالد بن الوليد فهدمها ، فلما رجع سأله النبي –ﷺ – هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فإنك لم تهدمها فارجع إليها واهدمها ، فرجع خالد ، فخرجت امرأة عجوز عريانة سوداء ناشرة الرأس ، فقتلها [٦].

و (مناة ) من اسم الله تعالى المنَّان ، وقيل : سميت مناة لكثرة ما يُمنى ، أي : يُراق عندها من الدماء للتبرك بها [٧].

وقد بعث الرسول –ﷺ- إليها سعد بن زيد الأشهلي[٨] فهدمها، وكانت بالُمشَلَّل[٩]

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٧/ ٥٨ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٤/٤ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: (أفرأيتم اللات والعزى ) . انظر : البخارى مع الفتح [ ٤٨٦٠] ٦١١/٨ .

(٣) هو : المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي ، أسلم عام الخندق ، وشهد الحديبية ، ولاه عمر البصرة، واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان ، توفي بالكوفة سنة ٥٠هـــ .
انظر : أسد الغابة ٢٣٨/٥ ، والإصابة ٤٥٢/٣ .

(٤) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٥٤١/٤ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٥٨/٢٧ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٤/٤ ، وتفسير السعدي ص ٨١٩ .

(٦) انظر : السيرة النبوية لابن هشام ٤٣٦/٤ ، وزاد المعاد ٤١٤/٣ .

(٧) انظر : تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبدالله ص ١٣٨.

(٨) هو – الصحابي الجليل – : سعد بن زيد بن سعد الأشهلي ، بعثه النبي –ﷺ – إلى نجد .
انظر : أسد الغابة ٤٣٥/٢ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٢٧/٢ .

(٩) الْمُشَلَّلُ : هو جبل يُهْبَط منه إلى قُديد من ناحية البحر .
انظر : معجم البلدان ١٥٩/٥ .

عند قُدَيْد [1] للأوس والخزرج وغسان [2].

فزعموا أن هذه الأصنام بنات الله – تعالى الله عن ذلك – فأنكر الله تعالى عليهم ، حيث رضوا لأنفسهم أفضل الولدين الذكور ، وجعلوا لله الإناث ، فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [3]، أي جائرة غير مستوية ناقصة غير تامة [4].

وقد بين الله تعالى فساد شركهم بقوله تعالى : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [5]، فهذه الأصنام ما هي إلا أسماء سم يتموها أنتم وآباؤكم ، لم يُبح الله ذلك لكم ، ولا أذن لكم به .

فتأمل فعل المشركين مع هذه الأوثان ، ووازن بينه وبين ما يفعله عباد القبور والأضرحة من دعائها ، والذبح عندها ، وتعليق الخيوط ، وإلقاء الخرق في ضرائح الموتى ، فهذا يشبه ما يفعله عبدة الأوثان فقد كانوا يقصدون بقعة بعينها لتمثال أو غير تمثال ، ويعتقدون أن ذلك يقربهم إلى الله تعالى ، وكانت الطواغيت الكبار التي تشدّ إليها الرِّحال ثلاثة : اللاتّ ، والعزّى، ومناة التي كانت من ناحية الحرم [6].

---

(١) قُدَيْدٌ : اسم موضع بالقرب من مكة ، قال ابن حجر : قرية بين مكة والمدينة كثيرة الماء .
انظر : معجم البلدان ٣٥٥/٤ ، وفتح الباري ٤٩٩/٣.

(٢) زاد المعاد ٤١٤/٣ .

(٣) سورة النجم ، آية ٢٢ .

(٤) زاد المعاد ٤١٤/٣ .

(٥) سورة النجم ، آية ٢٣ .

(٦) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٣١٣/١ ، وتيسير العزيز الحميد ص ١٣٨ .

## المطلب الثالث : تنزيه الله تعالى ذاته المقدسة عن الشرك ، وتنزيه صفوة رسله - عليهم السلام -عن الدعوة إلى الشرك

بين الله تعالى أن أعظم الذنوب الشرك بالله تعالى ، فقد نزه الله تعالى ذاته المقدسة عن الشريك ، فالعبادة لا تنبغي إلا له وحده لا شريك لــه ، وقد بيّن الله تعالى أنّ أعظم الناس تحقيقاً للتوحيد والعبودية هم رسل الله –عليهم السلام –صفوة الخلق ، فقد أمروا أقوامهم بتحقيق العبادة لله وحده لا شريك لــه ، و لم يأمروا الناس بعبادة أنفسهم ولا عبادة غير الله كائناً من كان ، وقد ورد ذلك موضحاً في كتاب الله ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام كقول الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ؟)

(أم) منقطعة بمعنى بل والهمزة ؛ أي : بل أيدعون أن لهم إلهاً غير الله (٢)، والمراد منه : الإنكار التوبيخي(٣) ((وهو إنكارشديد على المشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد )) (٤) .

وقوله الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٥) .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله تعالى : (أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي والتعجب ؛ أي : أيأمركم أيها الناس نبيكم بجحود وحدانية الله بعد إذ أنتم منقادون بالطاعة والعبودية ، يستحيل كل الاستحالة ! ، وقد بُعث بالتوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة (٦).

---

(١) سورة الطور ، آية ٤٣ .
(٢) فتح القدير ٥/ ١٠٢ .
(٣) انظر : تفسير الجلالين ص ٦٩٩ .
(٤) تفسير ابن كثير ٤/٢٤٥ .
(٥) سورة آل عمران ، آية ٨٠ .
(٦) انظر : تفسير الواحدي ١/٢٢٠ ، وتفسير البغوي ١/٣٢١ ، وتفسير البيضاوي ١/٣٢١ ، والتفسير الكبير للرازي ٨/٩٦ ، وروح المعاني ٣/٢٠٩ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام بقوله: (ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالضمير ( أنت ) .

والمراد منه : الإنكار التوبيخي لمن ادعى ألوهية المسيح ، وإلزامه بالحجة ، وذلك بإقرار المسيح -عليه السلام -على رؤوس الأشهاد بالعبودية وأمرهم بعبادة الله عز وجل (٢).

دلالة الآيات :

دلت الآيات على بطلان الشرك ، وأن العبادة لا تنبغي أن تكون لغير الله تعالى لا لملك مقرب ، ولا نبي مرسل مع منـــزلتهم وشرفهم ، فمن دونهم أحرى ألا تصرف العبادة أو شيء منها إليهم ، فالعبادة حق لله تعالى وحده لا شريك له .

ففي آية الطور نزّه الله ذاته المقدسة عن الشريك ، فهو الواحد المنفرد بصفات الكمال والجلال الذي لا ندّ له ولا شبيه ، فيستلزم صرف العبادة له وحده لا شريك له .

وفي آية آل عمران إذا تأمّلنـــا سياق الآية قبلها اتضحت دلالة الآيـــة ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٣).

وقد روى ابن جرير الطبري – رحمه الله – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في سبب نزول الآية عن ابن عباس ، قال : « اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله -ﷺ- ودعاهم إلى الإسلام فقالوا : أتريد يا محمد أن نعبدك ، كما تعبد النصارى

(١) سورة المائدة ، آية ١١٦ .

(٢) انظر : تفسير الواحدي ٣٤٢/١ ، وزاد المسير ٤٦٣/٢ ، وتفسير البيضاوي ٣٨٢/٢ ، وتفسير ابن كثير ١٢١/٢ ، وتفسير الجلالين ١٦١/١ ، وفتح القدير ٩٥/٢ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٧٩ .

عيسى ابن مريم ؟ ... فقال الرسول -ﷺ- : معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غيره ! ما بذلك بعثني ، ولا بذلك أمرني ... )) (١).

ففي هذه الآية أخبرهم الله تعالى أنه ليس لنبيه -ﷺ- أن يدعو الناس إلى عباده نفسه، ولا إلى اتخاذ الملائكة والنبيين آلهة تُعبد دون الله ، ولكن الذي دعاهم إليه هو: عبادة الله وحده لا شريك له ، ثم أنكر الله تعالى عليهم ذلك مبطلاً دعواهم : ( أيأمركم بالكفر...)؟ أي : لا يأمر بالدعاء إلى عبادة غير الله ، إنما يأمر بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له(٢).

ويبين الله تعالى في آية المائدة براءة عيسى – عليه السلام – وأمه من الشرك أو الدعوة إليه في أن يُعلن ذلك على رؤوس الأشهاد، وهذا تهديد للنصارى، وتوبيخ ، وتقريع لهم، وذلك السؤال يوم القيامة، وقد عُبر عنه بلفظ الماضي ليدل على الوقوع والثبوت . ولذلك نزّه ه الله عن اتخاذ الشريك وذلك أن يدّعي لنفسه ما ليس من حقها (٣).

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ذلك ، يقول : فتخصيص عيسى – عليه السلام – وأمّه بالذكر لنفي الشرك والغلو الذي وقع في المسيح وأمه ، و لم يكن ذلك من باب التنقيص بالمسيح وأمه ، وإنما لأجل التنبيه به على ما سواه ... فتخصيص الملائكة والنبيين بالذكر تنبيه على من دونهم ، فإنه لا يأمر باتخاذ الصالحين أرباباً بطريق الأولى ، فدعوى الإلهية لا تجوز لأحدٍ من المخلوقين لا ملك ولا غيره ، فكيف من دونهم ! (٤).

قال ابن عبدالهادي –رحمه الله-: (( فالمعبودون من دون الله سواء كانوا أولياء كالملائكة والأنبياء والصالحين ، أو كانوا أوثاناً قد تبرؤوا ممن عبد ، وبيّنوا أنه ليس لهم أن يوالوا من عبدهم ، ولا أن يواليهم من عبدهم ... )) (٥).

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره [ ٧٢٩٦] ٥٣٩/٦ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٣٨٤/٥.
(٢) انظر : تفسير الطبري ٥٤٧/٦ ، وتفسير البغوي ٣٢١/١ ، وتفسير ابن كثير ٣٧٨/١ .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير ١٢١/٢ ، وفتح القدير ٩٥/٢ .
(٤) انظر : الاستغاثة والرد على البكري ٣٤٩/١ – ٣٥١ .
(٥) الصارم المنكي ص ١٧٧ .

## المطلب الرابع : ضرب المثال لبيان بطلان الشرك وسلامة التوحيد

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للناس في هذا القرآن من كل مثل للاتعاظ ، والتذكير ، والحث ، والزجر ، وتقريب المراد للعقل ، وتصويره بصورة المحسوس حتى تُقبل النفوس، وتنقاد لما ضرب لـــه المثل ، ومن هذه الأمثال ماضربه الله تعالى لذاته المقدسة ولما يعبد من دونه ؛ ليبين فساد ما عليه أهل الشرك وسلامة معتقد من وحَّد الله تعالى ؛ وذلك في عدة صور منها ما ورد بأسلوب الاستفهام على النحو الآتي :

الصورة الأولى :

وذلك مثل ضربه الله تعالى لنفسه ولما يعبد من دونه من الأوثان وغيرها ، فإن الله تعالى هو الخالق الرازق لمن يشاء ، وهذه المعبودات من دونه لا تنفع ولا تضر ولا ترزق ، بل هي مفتقرة إلى غيرها .

كقول الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى :( أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ؟ ) ، والأداة فيه الهمزة مقترنة ( بالفاء ) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي[2] .

وقول الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ...؟)

والأداة فيه ( هل ) ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي والنفي[4] .

---

(١) سورة النحل ، آية ٧١ .

(٢) انظر : فتح القدير ١٧٨/٣ ، وروح المعاني ١٨٩/١٤ .

(٣) سورة الروم ، آية ٢٨ .

(٤) انظر: الكشاف ٤٨٤/٣، وتفسير الجلالين ص ٥٣٤، وتفسير أبي السعود ٥٩/٧، وفتح القدير ٢٢٣/٤.

قال شيخ الإسلام بن تيمية : إنكار وجود ووقوع ، فلا يوجد من يجعل رقيقه شريكاً له في ملكه[1] ؟

دلالة الآيتين :

دلت الآيتان على فساد الشرك وبطلانه ببيان ذلك بمثل ضربه الله تعالى ؛ لوضوحه عند المخاطبين ، وليكون أعظم في إقامة الحجة عليهم ؛ وذلك أن الله تعالى فضل بعض الناس على بعض في الرزق ، فما الذين فضلهم الله تعالى بالرزق مشركين غيرهم فيما آتاهم الله من فضله وهم العبيد والمماليك، فلا يرضون أن يشركوا مماليكهم معهم فيكونون سواء . فكذلك ولله المثل الأعلى كيف جعلوا مخلوقات الله شركاء لـــه في العبادة ، فإذا كانوا لا يرضون أن يشاركهم مماليكهم في الرزق ، فكيف رضوا بذلك في حق الله تعالى ؟ !

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : بين سبحانه بالمثل الذي ضربه لهم أنه لا ينبغي أن يجعل مملوكه شريكه ، فقال : ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾[2]، يخاف أحدكم مملوكه كما يخاف بعضكم بعضاً ، فإذا كان أحدكم لا يرضى أن يكون مملوكه شريكه ، فكيف ترضون ذلك في حق الله تعالى؟ ![3].

ولذلك أنكر الله عليهم ، فذلك من أدل شيء على سفه من اتخذ شريكاً مع الله في العبادة ، وأن ما اتخذه باطل مضمحل ليس مساوياً لله ، ولا لـــه من العبادة شيء ؛ فأصل الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض . أما الله تعالى فهو الغني المنـــزه عن الشريك [4] (( فإن كان هذا الحكم باطلاً في فطركم وعقولكم مع أنه جائز عليكم ممكن في حقكم ؛ إذ ليس عبيدكم ملكاً لكم حقيقة ، وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، وأنتم وهم عبادي ، فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي ))[5] .

الصورة الثانية :

---

(١) انظر : الفتاوى ١٤/٦٣ .

(٢) سورة الروم ، آية ٢٨ .

(٣) انظر : الفتاوى ١/١٥٦ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٤/٢٣ ، وتفسير ابن كثير ٣/٤٣٢ ، وتفسير السعدي ص ٦٤٠ .

(٥) الأمثال في القرآن لابن القيم ص ٢١ .

وذلك مثل يوضح الله تعالى فساد الشرك ، وما عليه المشركون ببيان عجز آلهتهم من أنها لا تملك نفعاً ولا ضراً ، كما أنها ناقصة لا تسمع ولا تتكلم قد سُلبت صفات الكمال في المخلوق فضلاً عن الخالق تعالى .

وقد وضح ذلك بمثلين في آيتين متعاقبتين بأسلوب الاستفهام ؛ وذلك ليتقرر في نفوس المخاطبين بطلان الشرك وأهله .

وقول الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [1].

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول: (...هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ؟)

والأداة فيه (هل) ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي والنفي [2] ؛ أي : هل يستوي العبيد والأحرار الموصوفون بتلك الصفات ، ومن المعلوم أنهم لا يستوون ، فكيف يجعلون لله سبحانه شركاء لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً ؛ ويجعلونهم مستحقين للعبادة مع الله [3].

الثاني : في قوله تعالى : (هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ ...؟)

والأداة فيه ( هل ) ، والمراد منه : النفي ؛ أي : لا يستويان[4] .

دلالة الآيتين :

دلت الآيتان على بطلان الشرك ، ووجوب إفراد الله تعالى بالعبادة ، وذلك بمثلين ضربهما الله تعالى لنفسه وللأوثان التي تعبد من دون الله تعالى :

---

(١) سورة النحل ، آية ٧٥-٧٦ .
(٢) انظر : فتح القدير٣/١٨١ ، وأساليب الاستفهام في القرآن ص ١٠٣ .
(٣) انظر : فتح القدير ٣/١٨١ .
(٤) انظر : أساليب الاستفهام في القرآن ص ١٠٣ .

الأول: فالله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء على عبيده سراً وجهراً وليلاً ونهاراً، والأوثان مملوكة عاجزة فقيرة لا تقدر على شيء ، فكيف يجعلونها شركاء لله تعالى ويعبدونها من دون الله تعالى مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين ؟! وذلك ظاهر في بطلان الشرك .

ومن لوازم هذا المثل أن يكون المؤمن الموّحد كمن رزقه الله رزقاً حسناً ، والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء [1].

المثل الثاني : هو مثل ضربه الله تعالى مبيناً عجز الأصنام التي تُعبد من دون الله بمنـــزلة رجل أبكم ، لا يعقل ، ولا ينطق ، عاجز ، لا يقدر على شيء ، فأينما أرسلته لا تنتفع بإرساله . والله سبحانه وتعالى حي قادر متكلم ، يأمر بالعدل ، وهو على صراط مستقيم ، فهو الموصوف بصفات الكمال والجلال ، فلا يستويان مثلاً إله الحق وإله الباطل ، فكيف تُصرف العبادة لمن هو عاجز فقير ؟! [2].

**الصورة الثالثة :**

في هذه الصورة مثل ضربه الله تعالى لبيان حال المشرك وحال الموحد .

قال الله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلاًۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [3] .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلاً ؟) ، والأداة فيه : هل ، والمراد منه: الإنكار والنفي ؛ أي : لا يستويان مثلاً [4].

**دلالة الآية :**

دلت الآية على فساد الشرك ، وحال المشرك بالله تعالى الذي يعبد آلهة شتى كالعبد المملوك لجماعة من الأسياد المتنازعين ، بخلاف ما عليه الموحد الذي يعبد الله تعالى ، فهو سالم من هذه التنازعات بين الشركاء .

---

(١) انظر : درء التعارض ٥٢٨/٨ ، وأعلام الموقعين ١٦٠/١-١٦١ ، والأمثال في القرآن ص ٢٢ .

(٢) انظر : أعلام الموقعين ١٦٠/١-١٦١ ، والأمثال في القرآن ص ٢٢ .

(٣) سورة الزمر ، آية ٢٩ .

(٤) انظر : زاد المسير لابن الجوزي ١٨٠/٧ ، وروح المعاني ٣٧/٢١ .

ويوضح ابن القيم ذلك بقوله : هذا مثل ضربه الله للمشرك والموحد ؛ فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون ، والرجل المتشاكس : الضيق الخلق ، فالمشرك ، لَمّا كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم .

والموحّد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد ، قد سلم لـــ ه ، وعلم مقاصده ، وعرف طريق رضاه ، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه ، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه ، مع رأفة مالكه به ، ورحمته به ، وشفقته عليه ، فهل يستوي هذان العبدان ؟!

وهذا من أبلغ الأمثال التي توضح حال الموحد المخلص لله تعالى ، وحال المشرك الذي يصرف العبادة لآلهة شتى [1].

---

(1) انظر : أعلام الموقعين ١/١٨٧ ، والأمثال في القرآن لابن القيم ص ٥٤ .

# المبحث الرابع
# إبطال المعبودات من دون الله عز وجل

وفيه مطالب :
المطلب الأول : بطلان الآلهة المعبودة من دون الله بنفي الخيرية عنها .
المطلب الثاني: بطلان الآلهة المعبودة من دون الله ببيان جماديتها وافتقارها.
المطلب الثالث : بطلان الآلهة المعبودة من دون الله ببيان عجزها .
المطلب الرابع : بطلان الآلهة المعبودة من دون الله ببيان نقصها .

# المبحث الرابع
# إبطال المعبودات من دون الله

من الأصول التي قررها كتاب الله تعالى إفراد الله تعالى بالعبادة والألوهية كما تقدم بيانه في المباحث السابقة ، وبيّن حرمة الشرك ، وعظيم ذنبه ، وأقام تعالى الحجج الدامغ ة ، والبراهين القاطعة التي قطعت أصول الشرك وما يتعلق به المشركون ، فبيّن الله تعالى أن الآلهة التي تعبد من دونه إما جماد لا تملك نفعاً ولا ضراً ، أو مخلوق ضعيف مملوك مربوب لله تعالى، وبين عجزها ونقصها ، فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تتحرك ولا تهتدي ، بل من العج ب أن عبّادها هم الذين ينحتونها ويصنعونها ثم يصرفون العبادة لها من دون الله ؛ فأيّ عقول هذه ؟ ! التي تعبد ما هو مفتقر إلى غيره بالصنع والحمل ونحوه .

وقد ورد ذلك في مواطن عدة من كتاب الله تعالى ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام كما سيتضح في هذا المبحث .

## المطلب الأول: بطلان الآلهة المعبودة من دون الله بنفي الخيرية عنها

بيّن الله تعالى زيف المعبودات من دون الله ، وبطلانها ، بأنها مسلوبة الخير لا نفع فيها، فالله تعالى الذي بيده الخير كله ، ولــه الخير كله المتصف بصفات الكمال ، المنــزه عن كل عيب ونقص ، فلا يُساوى الله جلّ جلاله بمن لا خير فيه ، وعبادتها كذب وافتراء من عند أنفسهم لم تكن عن علم وبصيرة وهدى ، وقد ورد ذلك موضحاً في كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة باسم الجلالة ( الله ) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، والتبكيت ، والإلزام لهم ، والتهكم بهم ؛ إذ من المعلوم أنّه لا خير فيما أشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير [2] . و ( أم ) متصلة حيث رددت الخيرية بين أمرين ليتوصل المخاطب إلى تعيين أحد الطرفين وهو الله – عز وجل –[3] .

وقـــول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [4].

ورد في الآيتين استفهامان ، هما :

الأول:(مَاذَا تَعْبُدُونَ ؟) والأداة فيه (ما) مقترنة بـــ(ذا)، والمراد منه: الإنكار التوبيخي[5].

---

(١) سورة النمل ، آية ٥٩ .

(٢) انظر : الكشاف ٣٧٩/٣٠ ، والتفسير الكبير للرازي ١٧٦/٢٤ ، والبحر المحيط ٨٤/٧ ، و تفسير ابن كثير ٣٧٠/٣ ، وتفسير أبي السعود ٢٩٣/٦ ، وروح المعاني ٣/٢٠ .

(٣) انظر : الكشاف ص ٧٨٧ ، وفتح القدير ١٤٦/٤ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ١٦٥/٣ .

(٤) سورة الصافات ، الآيتان ٨٥ – ٨٦ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٣٠/٤ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٦٧/٧ ، وتفسير ابن كثير ١٣/٤ ، وتفسير السعدي ص٧٠٥ .

والثاني : في قوله تعالى : (أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ؟) والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه :
الإنكار التوبيخي ؛ أي : أن إبراهيم – عليه السلام – أنكر على قومه عبادة الأصنام، من دون الله ، وأن عبادتها كذب وزور من عند أنفسهم[1] .

دلالة الآيات :

دلت آية النحل على بطلان ما يُعبد من دون الله بنفي الخيرية عنها ، فهي أصنام لا تنفع ولا تضر ، قد سُلبت الخير كله ، فلا تستحق أن تعبد من دون الله تعالى .

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله تعالى – : « قل يا محمد لهؤلاء الذين زيّنا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون : آلله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم ... وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب ، التي ذكرها لكم[2] ، خيرٌ أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم ، ولا تدفع عن أنفسها ، ولا عن أوليائها سوءا ، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعاً . يقول : إنّ هذا الأمر لا يشكل على من لـــه عقل ، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم ، ولا دفع ضرٍّ عنكم في عبادة من بيده النفع والضر ، وله كل شيء ؟ »[3] .

ثم أعقب الله تعالى هذه الآية ذكر نعمه عليهم وترك شكرهم إياها كما تقدم ذكرها، فإذا انتفت الخيرية في آلهتهم تعين عليهم إفراد الله تعالى بالعبادة، فهو الذي له الخير كله، فهو المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره .

أما آيتا الصافات ففيهما حوار نبي الله إبراهيم – عليه السلام – مع قومه ليُبيّن بطلان ما هم عليه من الشرك ، وعبادة الأصنام وأن عبادتهم للأصنام لم تكن عن علمٍ وهدايةٍ ، وإنما كان مصدرها الكذب والبهتان والجهل والضلال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء ؛ ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد ، كان إلى الشرك والابتداع

---

(١) انظر : مغني اللبيب لابن هشام ص ٢٥ ، وروح المعاني ٢٣/١٠٠ .

(٢) ما ذُكر قبل هذه الآية من إهلاك الله لقوم صالح وقوم لوط ، من آية ٤٥ – ٨٥ .

(٣) تفسير الطبري ١٩/٤٨٣ .

والافتراء أقرب ، وكثير من الناس يقع في الشرك والإفك جهلاً وضلالاً كما حكى الله تعالى عن الخليل – عليه السلام – لما قال لأبيه وقومه : ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ [1] .

(١) سورة الصافات ، آية ٨٥–٨٦ .

انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٣٩١/١ ، والرد على الأخنائي ص٦ .

## المطلب الثاني: بطلان الآلهة المعبودة من دون الله ببيان جماديتها وافتقارها

بيّن الله تعالى بطلان ما يُعبد من دون الله لجماديتها ولكونها أصناماً تصنع من الخشب أو الحديد ونحوه مخلوقة مربوبة ، مفتقرة إلى حامل يحملها وسادن يسدها ، فمن كانت هذه حاله فلا يستحق أن يُعبد من دون الله تعالى المتصف بصفات الكمال ، المنــزه عن كل عيب ، الغني عمّا سواه ، وقد بين الله ذلك في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي [2].

وقول الله تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قولـه : (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا... ؟)

والأداة فيه الهمزة، والمراد منه : الإنكار التوبيخي[4] ؛ أي أيشركون في العبادة من لا يخلق ولا ينصر ، بل هو جماد عاجز لا يقدم نفعاً ولا يدفع ضراً .

وقول الله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾[5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾؟

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٧٤ .

(٢) انظر : الكشاف ص ٣٣٤ ، وتفسير القرطبي ٢٣/٧ ، وتفسير أبي السعود ١٥١/٣ ، وروح المعاني ١٩٤/٧ .

(٣) سورة الأعراف ، الآيات ١٩١ – ١٩٣ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٢٧٧/٢ ، وتفسير أبي السعود ٣٠٥/٣ ، وفتح القدير ٢٧٥/٢ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية ٥٢ .

والأداة فيه ( ما ) ، والمراد منه : التحقير والازدراء ؛ أي : ماشأن هذه التماثيل التي صورتموها ثم عكفتم على عبادتها[١] .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴾[٢].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : ( أتعبدون ...) ؟ والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي [٣]؛ أي : كيف تعبدون ما تصنعونه بأيديكم ؟ وتتركون عبادة الله تعالى الذي خلقكم ، مما يدل على عجزها وضعفها عن نفع عابديها ، إذ هي مفتقرة إلى غيرها .

وقول الله تعالى : ﴿ أَتَدۡعُونَ بَعۡلاً وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[٤].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : ( أتدعون ... ) والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي، والتقريع[٥]؛ أي: أتعبدون غير الله تعالى، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين ؟

دلالة الآيات :

دلت الآيات على بطلان ما يعبد من دون الله لجماديتها وعجزها، فكيف تصرف العبادة لمن هذا شأنه . أما آية الأنعام فأنكر الخليل – عليه السلام – على أبيه آزر[٦] عبادة الأصنام العاجزة ، دون الله تعالى الذي خلقه ؟!

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : « واذكر يا محمد ، لحجاجك الذي تحاجّ به قومك ، وخصومتك إياهم في آلهتهم ، وما تراجعهم فيها ، مما نلقيه إليك ونُعلّمُكَه م ن البرهان والدلالة على باطل ما عليه قومك مقيمون ، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين ، وحقيقة ما أنت به

---

(١) انظر : الكشاف ١٢٢/٣ ، وتفسير أبي السعود ٧٢/٦ ، وروح المعاني ٥٩/١٧ .

(٢) سورة الصافات ، آية ٩٥ .

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن ص ٦٣٦ ، والتحرير والتنوير ١٤٥/٢٣ .

(٤) سورة الصافات ، آية ١٢٥ .

(٥) انظر : الإتقان في علوم القرآن ص ٦٣٦ ، وفتح القدير ٤٠٩/٤ .

(٦) آزر اسم لأبي إبراهيم على الصحيح من قولي المفسرين ، وإن كان بعضهم يرى : أن ( آزر ) اسم صنم ، وقد ضعف ابن جرير الطبري هذا القول .
انظر : تفسير الطبري ٤٦٦/١١ وما بعدها .

عليهم محتج حجاج إبراهيم خليلي قومَه ... فاتخذه إماماً ، واقتد به ، واجعل سيرته في قومه لنفسك مثالاً )) [1].

ففي آية الأعراف إذا تأمّلنا سياق الآيات قبلها فـفيها ما حكاه الله تعالى عن آدم وحواء في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [2].

والراجح من قولي المفسرين : ( فلما آتاهما صالحاً جعلا لـــه شركاء في الاسم ) ، لا في العبادة [3] .

أما قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ، فالمقصود بها مشركو العرب وما يشركون مع الله تعالى في العبادة ، فيُنكر الله تعالى عليهم أن يشركوا في عبادته من لا يخلق شيئاً ولا مثقال ذرة ، بل هي مخلوقة مربوبة ، لا تستطيع دفع المكروه عمَّن يعبدها ولا عن أنفسها . كما أنها مسلوبة الكمال لا تسمع ولا تهتدي لدعاء داعيها ، بل الإنسان أحسن حالاً منها، وتصوّر ذلك كافٍ بالجزم ببطلانها، وإنّما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق[4].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله –رحمه الله – : هذه الآية فيها توبيخ وتعنيف للمشركين ، إذ حال الْمَدْعوين من دون الله أنّهم لا ينفعون ولا يضرون ، وسواء في ذلك الملائكة ، والأنبياء، والصالحون ، والأصنام ، فكل من دُعي من دون الله فهذه حاله ، فهي لا تخلق شيئاً، وليس فيها ما يستحق به العبادة من الخلق والرزق والنصر لأنفسهم أو لمن عبدهم وهم مع ذلك مخلوقون مُحدَثون [5].

(١) تفسير الطبري ٤٦٥/١١ .
(٢) سورة الأعراف : الآيات ١٨٩ – ١٩١ .
(٣) انظر : تفسير الطبري ٣١٥/١٣ .
(٤) انظر : تفسير الطبري ٣١٨/١٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٧٧/٢ ، وتفسير السعدي ص ٣١٢ .
(٥) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ٢٠٠ .

أما آية (الأنبياء) فقد أنكر إبراهيم – عليه السلام – على قومه التوجه إلى عبادة الأصنام التي قاموا بتمثيلها وتصويرها ثم العكوف على عبادتها ، فحقرَّ من شأنها لعل عقولهم تسترشد أنها لا تستحق العبادة من دون الله تعالى المتصف بصفات الكمال المنـــزه عن كل عيب ونقص.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : ما هذه التماثيل التي مثلتموها ونحتموها بأيديكم على صور بعض المخلوقات ثم لازمتم عبادتها ؟ فأين عقولكم التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها ؟ والحال أنكم مثلتموها بأيديكم ، فهذا من أكبر العجائب ؟ تعبدون ما تنحتون [1].

أما آيتا (الصافات) فقد أنكر نبي الله إبراهيم – عليه السلام – على قومه عبادتهم الأصنام التي يقومون بنحتها وصناعتها بأيديهم ثم يتوجهون إليها بالعبادة ، فهي عاجزة مفتقرة إلى صانعٍ يصنعها ، فكيف تُعبد من دون الله ؟

وقد بيّن الله تعالى بطلان عبادتها ؛ لكونها مخلوقة مصنوعة في قوله : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [2].

فالله تعالى هو الخالق وحده ، المستحق للعبادة وحده ، لا شريك لـــه .

(وما تعملون)على وجهين: ما مصدرية، فيكون المعنى حينئذٍ: والله خلقكم وعملكم.

والآخر : بمعنى الذي ، فيكون المعنى : والله خلقكم والذي تعملونه ، فجعل الأصنام منحوتة معمولة لهم ، وأخبر تعالى أنه خالقهم ، وخالق معمولهم[3] .

أما الآية الأخرى فقد حكى الله تعالى قصة إلياس – عليه السلام –، وقيل : إنه إدريس ، إنكاره على قومه من بني إسرائيل عبادتهم غير الله تعالى ، وتركهم عبادة الله تعالى أحسن الخالقين .

وقد اختلف المفسرون في المقصود بقوله تعالى ( بعلا ) .

فقيل : إن بعلاً بمعنى رباً في لغة أهل اليمن .

---

(١) انظر : تفسير السعدي ص ٥٢٥ .

(٢) سورة الصافات ، الآيتان ٩٥-٩٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢١/٧٠ ، والفتاوى ٨/١٧ ، وتفسير ابن كثير ٤/١٣ .

وقيل : صنم يقال لـــه : ( بَعْل )

وقيل : امرأة كانوا يعبدونها من دون الله [١].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : ذلك معبودكم أيها الناس الذي يستحق عليكم العبادة كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [٢].

ربكم الذي خلقكم ، وربّ آبائكم الماضين قبلكم ، لا الصنم الذي لا يخلق شيئاً ، ولا يضر ولا ينفع[٣] .

(١) انظر : تفسير الطبري ٩٦/٢١ – ٩٧ ، وتفسير ابن كثير ١٩/٤ .

(٢) سورة الصافات ، آية ١٢٦ .

(٣) تفسير الطبري ١٠٠/٢١ – بتصرف يسير – ، وانظر : تفسير ابن كثير ٥٢١/٤ .

## المطلب الثالث : بطلان الآلهة المعبودة من دون الله ببيان عجزها

بين الله تعالى بطلان ما يُعبد من دون الله ببيان عجزها ، وأنها لا تملك نفعاً فتوصله ، ولا تملك دفع ضر فتدفعه ، وقد ورد بيان ذلك في عدة مواطن من كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ؟ )

والأداة فيه ( من ) مقترنة باسم الإشارة ( ذا )، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، والنفي ، والتعظيم[(٢)] ؛ أي : لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه تعظيماً لجلالــه .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، والإلزام والتبكيت ، والتعجيب من حالهم [(٤)] ، أي : أتعبدون من لا يقدر على دفع الضر عنكم ، وإيصال النفع لكم ؟!

وقول الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

(٢) انظر : تفسير الثعالبي ٢٠١/١ ، والبرهان في علوم القرآن ٣٣٧/٢ ، وروح المعاني ٩/٣ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٧٦ .

(٤) انظر : تفسير الجلالين ص ١٥٢ ، وانظر: تفسير أبي السعود ٦٨/٣ ، وروح المعاني ٢٠٩/٦ .

يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾؟ ، والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار الإبطالي[2]، وأنه لا يقع من المسلمين أن يدعوا غير الله ، وإنما كان هذا رجاء من المشركين ؛ لصدِّهم عن دين الله .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴾ [3] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً... ؟) و(أم) هنا منقطعة بمعنى ( بل ) (( والهمزة قد آذنت بالإضراب عمّا قبلها ، والإنكار لما بعدها ، والمنكر : هو اتخاذهم آلهة من الأرض هم ينشرون)) [4]، والمراد منه إذاً : الإنكار التوبيخي والنفي، أي : لا يقدرون على شيء من ذلك ، فكيف جعلوها لله نداً وعبدوها معه[5] ؟

وقول الله تعالى : ﴿ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴾ [6] .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَا...؟)

و(أم) هنا منقطعة بمعنى ( بل ) والهمزة[7] ، والمراد منه : إنكار أن يكون لهم آلهة تقدر على منعهم من العذاب وحفظهم ؛ أي : ألهم آلهة تمنعهم من العذاب ؟

---

(١) سورة الأنعام ، ٧١ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١٤٩/٣ ، والبحر المحيط ١٦١/٤ ، وروح المعاني ١٨٨/٧ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية ٢١ .

(٤) الكشاف ١٠٩/٣ ، والتفسير الكبير للرازي ١٢٩/٢٢ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٢٤١/٣ ، وتفسير النسفي ١١٦/٣، وتفسير القرطبي ٢٧٨/١١ ، وتفسير البيضاوي ٨٧/٤ ، وتفسير ابن كثير ١٧٦/٣ ، وتفسير أبي السعود ٦١/٦ ، وروح المعاني ٢٢/١٧ ، وفتح القدير ٤٠٢/٣ .

(٦) سورة الأنبياء ، آية ٤٣ .

(٧) انظر : الكشاف ١٢٠/٣ ، وتفسير أبي السعود ٦٩/٦ .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ ؟)

والأداة فيه : مَنْ ، والاستفهام حقيقي فإن القوم لم يكونوا يعرفون مَنْ ق ام بتحطيم الأصنام، ولذلك اجتهدوا في معرفة الفاعل ويردف عليه الإنكار التوبيخي والتشنيع (٢).

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ (٣).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( .. ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا...؟).

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالضمير ( أنت ) ، والمراد منه : التقرير بالفاعل (٤).

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٥) .

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : في قول الله تعالى : (أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ... ؟) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : كيف تصرفون العبادة إلى ما لا ينفع ولا يضر (٦).

والثاني : في قوله تعالى : (أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟) ، والأداة فيه الهمزة مقترنة (بالفاء) و(لا) النافية ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتعجيب على عدم إعمال العقل المفضي إلى التمييز بين الحق والباطل (٧).

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٥٩ .
(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٦/٧٤ ، وروح المعاني ١٧/٦٢ .
(٣) سورة الأنبياء ، آية ٦٢ .
(٤) انظر : روح المعاني ١٧/٦٤ .
(٥) سورة الأنبياء ، الآيتان ٦٦-٦٧ .
(٦) انظر : تفسير البيضاوي ٤/١٠٠ .
(٧) انظر : التفسير الكبير للرازي ٣/٤٤ ، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢/٣٨١ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ...؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، والتهكم بهم، والتبكيت له م[(٢)] ، فهل يستندون إلى مصدر شرعي يفيدهم أن معبوداتهم شافعة لهم عند الله؟ أم أنهم علموا ما لم يعلم الله – تعالى الله عن ذلك – فينبؤه به ، وهذا تهكم وتبكيت لهم، فلا إنباء لديهم .

وقوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ؟) .

و(أم) منقطعة ، بمعنى ( بل ) الإضرابية ، والهمزة للإنكار الإبطالي ؛ أي : ليس لهم ولي ولا نصير[(٤)]. أي : بل أاتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يعبدوها ؟ [(٥)].

وقول الله تعالى : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ [(٦)] .

والأداة فيه الهمزة، والمراد منه : الإنكار الإبطالي والنفي[(٧)]؛ أي : لا أتخذ من دون الله تعالى آلهة لا تنفع ولا تضر .

---

(١) سورة يونس ، آية ١٨ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوي ١٩١/٣ ، وتفسير أبي السعود ١٣٢/٤ ، وروح المعاني ١١/ ٨٩ .

(٣) سورة الشورى ، آية ٩ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٢٤/٨ ، وروح المعاني ٢٥ / ١٥ ، والتحرير والتنوير ٣٩/٢٥ .

(٥) انظر : فتح القدير ٥٢٧/٤ .

(٦) سورة يس ، آية ٢٣ .

(٧) انظر : تفسير الجلالين ص ٥٨١ ، وتفسير أبي السعود ١٦١/٧ ، وفتح القدير ٣٦٥/٤ ، وروح المعاني ٢٢٧/٢٢ .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ؟) و(أم) منقطعة بمعنى (بل ) والهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي[2] ، ينكر الله تعالى على مَنْ اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم ، ويسألهم من دون الله .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على بطلان عبودية ما يُعبد من دون الله تعالى ، وذلك لعجزها وافتقارها، فهي لا تملك دفع الضر فتدفعه ، ولا إيصال النفع فتنفع عابديها . فكيف تُصرف العبادة إلى مَنْ هذا حاله ؟! وتترك عبادة الحيّ ، القيوم ، مالك الملك ، ومدبر الكون ؟ ! فدلت الآيات على عجز ما يعبد من دون الله تعالى من عدة وجوه :

الوجه الأول :

أنها لا تملك النفع والضر مطلقاً، كما أنكر الله تعالى على النصارى اتخاذهم عيسى – عليه السلام – معبوداً من دون الله ، مع عجزه وضعفه ، فهو بشر لا يملك إيصال النفع ولا دفع الضر عنهم ، فكيف يتوجهون إلى عبد مفتقر إلى ما يفتقرون إليه ؛ فالرب المعبود هو الذي بيده كل شيء والقادر على كل شيء فإياه فاعبدوا [3].

فالبراءة من عبادة المسيح – عليه السلام – لا تعني تنقّصَه أو بغضه ومعاداته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « فالبراءة من كل معبود سوى الله كالبراءة من كل إله سوى الله ، وذلك براءة من الشرك ومن كون ما سوى الله معبوداً ، وليس هو براءة من المسيح من جهة كونه رسولاً كريماً وجيهاً عند الله، بل براءة مما قيل فيه من الباطل لا من الحق ، والمسيح والملائكة وغيرهم يتبرؤون ممن عبدوهم، ويعادونهم ولا يوالونهم»[4].

---

(١) سورة الزمر ، آية ٤٣ .

(٢) انظر : الكشاف ٤/١٣٤ ، وتفسير القرطبي ١٥/٢٦٤ ، وفتح القدير ٤/٤٦٧ ، وروح المعاني ٢٤/٩ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ٦/٣١٦، وتفسير القرطبي ٦/٢٥١، والفتاوى١٥/٢٧١، وتفسير ابن كثير ٢/٨٣ .

(٤) الرد على الأخنائي ص ٢١٧ .

وفي آية (الأنعام) ما يُؤكد على ذلك ، ففي الآية إنكار على عبدة الأوثان من الأحجار والأوثان ونحوها التي لا تنفع ولا تضر ، فلا تستحق أن تُعبد من دون الله ، ثم مثّل الله حال المشرك في عبادة الأصنام ، كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : (( هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها وللدعاة الذين يدعون إلى الله كمثل رجل ضل الطريق إذ ناداه مناد : يا فلان ابن فلان هلمّ إلى الطريق ، ولـــه أصحاب يدعونه : يافلان هلمّ إلى الطريق ، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في الهلكة ، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق )) [(١)].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (( وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره لنبيه – ﷺ – على حجته على مشركي قومه من عبدة الأوثان ، قل يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد ... أندعو من دون الله حجراً أو خشباً ؟ لا يقدر على نفعنا أو ضرنا فنخصه بالعبادة دون الله ، ونَدَع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت إن كنتم تعقلون وتميّزون بين الخير والشر ... )) [(٢)].

ففي آيتي (الأنبياء) قد بيّن الله تعالى احتجاج نبي الله إبراهيم – عليه السلام – على قومه ليبين عجز أصنامهم ، وأنها لا تملك إيصال النفع فتوصله ، ولا دفع الضر فتدفعه فأراد أن يريهم بالفعل عجزها وعدم انتصارها ، فقام بتحطيمها وتكسيرها سوى صنماً كبيراً ، لإقامة الحجة عليهم فلّما سألوا إبراهيم – عليه السلام – سؤال تقرير : أأنت فعلت هذا بآلهتنا ؟ ! فأجابهم بما حكاه الله تعالى عنه بقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ [(٣)]. فاسألوهم لم كسرت ؟ والصنم الكبير لم يُكسر إن كان عندهم نطق فسيجبونكم إلى ذلك . فهي لا تنطق ، ولا تتكلم ، ولا تنص ر نفسها ، فهذه صفات تنافي الألوهية ، ثم تضجر – عليه السلام– من إصرارهم على الباطل ، فقال منكراً : أفلا تعقلون قبح صنيعكم ، فلما قطع حجّتهم لجأوا إلى القوة ، فأمروا بإحراقه بالنار [(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره [ ١٣٤٢٣] ١١/٤٥٢ .

(٢) تفسير الطبري ١١/٤٥٠ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية ٦٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٧/٤٢ ، وتفسير السعدي ص ٥٢٦ – ٥٢٧ ، وأضواء البيان ٣ / ٤٢٨ .

الوجه الثاني :

أنها لا تملك إحياء الموتى ونشورهم ، ولا تمنعهم من عذاب الله تعالى ، كما جاء موضحاً في آيتي الأنبياء ، فقد بيّن الله تعالى بطلان ما يُعبد من دون الله ، ببيان عجزها أنها لا تملك إحياء الموتى ولا نشورهم ، كما أنها عاجزة لا تمنعهم من عذاب الله إن حلّ بهم ، ولا تنصر نفسها أو عابديها ، فأنكر الله تعالى على المشركين ع بادة من هذا شأنه من الضعف والعجز ! أفيعبد من هذا حاله ، وتترك عبادة الله المتصف بكمال القدرة والملك والتدبير ؟ !

قال ابن القيم – رحمه الله – : دلت الآية على إبطال إلهية من سوى الله ، وإثبات الألوهية لـــه وحده ، فأنكر الله تعالى على من اتخذ من دونه آلهة لا تساويه ، فسوّاها به مع أعظم الفرق ، فتلك الآلهة المتخذة للآلهية مربوبة مدبرة ، فكيف يسوّى بينها وبين الله مع أعظم الفرقان [1].

ويُوضح الإمام ابن جرير الطبري – رحمه الله – ذلك : أم لهم آلهة من دوننا تمنعه م منّا، ثم وصف جلّ ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة ، ... وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم ولا تستطيع نصر أنفسها [2].

الوجه الثالث :

لَمَّا كان المشركون يتعلقون بالأصنام طلباً لشفاعتها عند الله تعالى ، نفى الله شفاعتها مبيناً أن الشفاعة ملك لله وحده لا شريك لـــه ، وأن الله تعالى لا يقبل من الأ ولين والآخرين شفاعة حتى تستجمع شروطها التي ذكرها الله تعالى في كتابه .

١- إذن الله تعالى للشافع في شفاعته كما جاء موضحاً في آية الكرسي وغيرها : ( من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ) .

٢- رضا الله تعالى عن المشفوع له ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [3] ، فلا يتحقق رضا الله تعالى إلا لأهل التوحيد والإيمان ، أما شفاعة أهل الشرك فهي منفية كما أخبر الله تعالى

(١) انظر : شفاء العليل ص٢٦٨ ، ومفتاح دار السعادة ص ٢٧٤ .
(٢) انظر : تفسير الطبري ١٨/٤٤٧-٤٤٨ .
(٣) سورة النجم ، آية ٢٦ .

عنها بقوله : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [(١)].

ففي آيات سور (يونس ويس والزمر) ، قد أنكر الله تعالى على من اتخذ معبودات من دونه عاجزة عن دفع الضر وإيصال النفع فضلا عن أنهم اتخذوها شفعاء لهم عند الله دون استناد إلى علم من عنده سبحانه يأمرهم بذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيميةِ -رحمه الله- : والله سبحانه وتعالى لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه ، ولا تغتر بغير هذا ، فإنه شرك وباطل - يتعالى الله عنه - ، وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل الأصيل ، فقطع الله - تعالى - أثر الشفاعة بدون إذنه كما دلت على ذلك النصوص، فالشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين وغيرهم أبطلها الله ورسوله أو ذم المشركين عليها أو كفرهم بها[(٢)] .

كما أنكر الله تعالى على المشركين صنيعهم بقوله : ( أم اتخذوا من دون الله شفعاء ) عند الله تعالى في حاجتهم ، فهؤلاء الشفعاء عاجزون لا يملكون شيئاً ، ولا يعقلون نداءات من يستشفع بهم ، فإن كنتم تعبدونها لذلك ، فأخلصوا لله تعالى العبادة ؛ فإنّ الشفاعة جميعاً لله تعالى الذي لـــه ملك السماوات والأرض ، الذي يمدكم بالنفع في الدنيا والآخرة ، ودفع الضر عنكم . كما قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [(٣)] .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله - رحمه الله - : فكيف يدعوهم المشرك ، ويظن أنهم يشفعون لـــه عند الله كما يشفع الوزراء عند الملوك ، وإذا بطلت دعوتهم مع أنهم أحياء ناطقون مقربون - أي : الملائكة - عند الله ، فدعاء غيرهم من الأموات الذين لا يستطيعون سمعاً ؛ ولا يملكون ضراً ولا نفعاً أولى بالبطلان [(٤)].

الوجه الرابع :

---

(١) سورة المدثر ، آية ٤٨ .

(٢) انظر : قاعده جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٢ ، واقتضاء الصراط المستقيم ٣٥٦/١ ، والروح لابن القيم ص ٨٩ .

(٣) سورة الزمر ، آية ٤٤ . انظر : تفسير الطبري ٢٩٩/٢١-٣٠٠ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٢٣٤ ، وانظر : الدرر السنية ١٥٧/٢ .

بيّن الله تعالى بطلان ما يُعبد من دون الله ببيان عجزها ، وذلك أن المشركين يتعلقون بالأصنام ونحوها من دون الله طلباً لنصرها ، فنفى الله تعالى ذلك عن المعبودات العاجزة الفقيرة، وبين تعالى أنه هو الولي وحده الذي يلي أمور عباده وينصرهم .

قال الشوكاني – رحمه الله – : فالله هو الحقيق بأن يتخذوه ولياً ؛ فإنه الخالق الرازق الضار النافع ، ومن شأنه أنه يحيي الموتى ، وهو على كل شيء قدير ، فهو الحقيق بتخصيصه بالألوهية وإفراده بالعبادة[1] ، وبذلك يتبين أن ما يتوجه إليه المشركون من المعبودات من دون الله طلباً للنفع ودفعاً للضر غير متحقق لعجزها وافتقارها لغيرها .

---

(1) انظر : فتح القدير ٥٢٧/٤ .

## المطلب الرابع: بطلان الآلهة المعبودة من دون الله ببيان نقصها

وتتمة لإقامة الحجج على المشركين لبيان زيف ما عبدوه من دون الله تعالى ، فقد أبان الله تعالى في مواطن من كتابه نقص ما يُعبد من دون الله من كونها لا تسمع ولا تبصر، ولا تتكلم ، ولا تتحرك .

وقد ورد ذلك في مواطن من كتابه تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[1] .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ؟ ) ، والأداة فيه الهمزة مقترنة بالجار والمجرور، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، والتبكيت ، والتعجيب[2] من حالهم؛ أي : كيف يعبدون معبودات جماداً لاحراك لها ، فالعابد أفضل من المعبود ! فهو قادر على التصرف بخلاف معبوده.

و( أم ) منقطعة تقدر بـــ( بل ) والهمزة ، وهو إضراب على معنى الانتقال لا على معنى الإبطال، والمعنى: بل ألهم أيد يأخذون بها ما يريدون ...[3]، قال الألوسي : (( ووجه الإنكار إلى كل واحد من تلك الآلات الأربع على حدة تكريراً للتبكيت ، وتثنية للتقريع ، وإشعاراً بأن انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ، وليس المراد أن من لم يكن لـــه هذه لا يستحق الألوهية ... ))[4].

وقول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[5] .

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٩٥ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٤/٤٤١ ، وروح المعاني ٩/١٤٤ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٤/٤٤١ ، والإتقان للسيوطي ص ٣٧٣ ، وروح المعاني ٩/١٤٥ .

(٤) روح المعاني ٩/١٤٤ .

(٥) سورة مريم ، آية ٤٢ .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴾؟، والأداة فيه : (ما) مقترنة بحرف الجر (لـــ)، والمراد منه : الإنكار التوبيخي؛ أي : كيف تتوجه لعبادة غير الله تعالى من الأوثان الجامدة ، وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنك بجلب نفع أو دفع ضر .

وقول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(١)] .

ففي هذه الآيات ثلاثة استفهامات في حوار نبي الله تعالى إبراهيم مع قومه .

الأول: في قوله تعالى : (مَا تَعْبُدُونَ ؟)، والأداة فيه : ما، والمراد منه : التقرير و الاستدراج ليجيبوا بما أجابوا ؛ ليبني على حوارهم أن ما يعبدون بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية [(٢)].

والثاني : في قوله : (هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ؟)، والأداة فيه ( هل ) ، والمراد منه : الإنكار والتوبيخ ؛ أي : كيف تتوجهون إلى عبادة من لا يسمع ، وقيل : التقرير [(٣)].

ولا منافاة بين التقرير والإنكار ، فيكون المعنى أن إبراهيم – عليه السلام – يقررهم بأن آلهتهم لا تسمع دعاءهم ، فهم يعلمون ذلك .

الثالث : في قوله : (أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ؟) والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : استحضار صورة أصنامهم في الذهن ، فكأنه قيل لهم : استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها ، وأجيبوا هل سمعوا ؟! وهذا أبلغ التبكيت [(٤)].

وقول الله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾ [(١)] .

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات ٧٠-٧٧ .
(٢) انظر : الكشاف ٣/٣٢٣ ، وتفسير أبي السعود ٦/٢٤٧ ، وروح المعاني ١٩/٩٣ .
(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٣/١٠٩ ، وفتح القدير ٤/١٠٤ .
(٤) انظر : الكشاف ٣/٣٢٤ ، وتفسير أبي السعود ٦/٢٤٨ ، وروح المعاني ١٩/٩٤.

فالآية تضمنت الاستفهام بقوله : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ؟ ) وفيها جزء من حوار إبراهيم – عليه السلام – مع قومه ، والأداة فيه : ( ما ) ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي، وهو بمعنى النفي ؛ أي : أنها لا تنطق ، ويردف على الإنكار الاستهزاء والتهكم [٢].

ويتضح ذلك بتأمل ما قبل الآية وما بعدها .

كما قال الله تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [٣].

وذلك أن إبراهيم – عليه السلام – أنكر على قومه كيف تُعبد هذه الأصنام ؟ وهي أنقص من عابديها ، فهي لا تأكل ولا تنطق ، بل هي جماد عاجزة .

دلالة الآيات :

فالآيات في سورة الأعراف ، ومريم ، والشعراء ، والصافات دلت على بطلان ما يُعبد من دون الله لنقصها ، فهي كما وصفها الله تعالى لا تتحرك بالمشي ، أو بالبطش، ولا تسمع، ولا تبصر ، ولا تنفع ، ولا تضر ، فمن كانت هذه حاله لا يصلح أن يُعبد من دون الله – تعالى – المتصف بصفات الكمال ، المنزه عن كل نقص وعيب .

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله موضحاً ذلك – : يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه معرّفهم جهل ما هم عليه ... أيها القوم ألِأصنامكم هذه أرجل يمشون بها ؟ فيسعون معكم ولكم في حوائجكم، ويتصرفون بها في منافعكم ، أم لهم أيد يدفعون بها عنكم الضر وينصرونكم ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ فيعرفوكم ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه ، أم لهم أذان يسمعون بها ؟ فيخبروكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه ... فإذا كانت آلهتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات التي ذكرتها ، والمعظّم من

=

(١) سورة الصافات ، آية ٩٢ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٣٥١/٧ ، وفتح القدير ٤٠٢/٤ .

(٣) سورة الصافات ، الآيات ٩١- ٩٣ .

الأشياء إنما يُعظَّم لما يُرجى منه من المنافع التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم ، فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبدونها وهي خالية من كل هذه الأشياء؟! [1].

قال ابن القيم - رحمه الله - : (( فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسمع والبصر دليلاً على عدم إلهيتها ... )) [2].

وفي آيات الصافات حوار إبراهيم - عليه السلام - مع قومه ليبين لهم بطلان الشرك وفساده .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : إن نفي هذه[3] الصفات نقائص مطلقاً سواء نفيت عن حيّ أم جماد، وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ، ولا يخلقه، ولا يجيب سائلاً ، ولا يعبد ، ولا يدعى ، فمن لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يتكلم لا يكون رباً معبوداً [4].

فهنا بيّن إبراهيم -عليه السلام- لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تبصر ، ولا تضر ولا تنفع، ولا تقدر على جلب خير ولا دفع شر ، ولا تغني عنه شيئاً ، فتبين بذلك أن عبادة مثل هذا جهل وضلال وعبادة للشيطان - عياذا بالله - كما أن عبادتهم إياها لا مستند لديهم في ذلك، إلا أنهم وجدوا آباءَهم عبدوها من قبلهم ، ولذا لَمّا ناظرهم إبراهيم - عليه السلام - لم يجدوا جواباً إلا رجوعهم للتقليد مع كونها بهذه الصفة من الجمادية وسلب السمع والبصر والنفع والضر ! ، وهذه حجة كل من خالف الكتاب والسنة ، التقليد والتعصب الذي ، أعمى أبصارهم عن سلوك الحق وامتثاله ، ولذلك أعلن الخليل - عليه السلام - البراءة منهم ومعادتهم وأصنامهم التي عبدوها من دون الله [5].

---

(١) تفسير الطبري ١٥١/٩ - بتصرف يسير - .

(٢) الصواعق المرسلة ٩١٥/٣ .

(٣) أي : السمع والبصر والكلام .

(٤) انظر : شرح الأصفهانية ص ١١٨ .

(٥) انظر : فتح القدير للشوكاني ١٠٤/٤ ، ومعارج القبول ٢ / ٤٠٦ .

## المبحث الخامس
## المحاجة بين المشركين ومعبوداتهم

وفيه مطالب :
المطلب الأول : الاحتجاج بالتقليد .
المطلب الثاني : دعوى أفضلية آلهتهم المعبودة .
المطلب الثالث : اعتراضهم على وحدانية المعبود سبحانه.
المطلب الرابع : محاجة نبي الله إبراهيم - عليه السلام - .
المطلب الخامس : التخويف بالآلهة المعبودة من دون الله ، والانتصار لها .
المطلب السادس : تبرؤ الآلهة المعبودة من عابديها .

## المبحث الخامس
## المحاجة بين المشركين ومعبوداتهم

كثيراً ما يَستميت أهل الباطل في الدفاع عن باطلهم ، والادعاء أنهم على الص واب ، والاعتراض على رسل الله – تعالى – بحجّجٍ مزيفة ، يزينها بعضهم لبعض ، مع ظهور الحق وبيانه ، إلا أن عقولهم اشرأبت للباطل ، صمٌّ عميٌ لا يبصرون ، ولا يعقلون ، حجبهم الهوى وعمى البصيرة عن الاهتداء للحق ، فكان لا بد لهم من أن يحاجوا من يعترض على شركهم وباطلهم بحججٍ يُلبّسون فيها على عوامهم وأتباعهم الذين لا يدركون الحق ، فما بعث من رسول إلا اعترض على ما جاء به من الحق والهدى ، إما باتّهام رُسل الله بالجنون ، أو أن دعوته بدع لم يسبقهم إليها أحد ، وأهم اعتراضتهم التي تواجه زبدة الدعوة والرسالة اعتراضهم على عبودية الله وحده لا شريك له بحجة أن الأسلاف والآباء لم يدينوا به ذه العقيدة، أو بدعوى التخويف أن آلهتهم تملك خصائص الضر فتضر من يشتمها ويسبها كما يزعمون ، أو بدعوى أن آلهتهم متعددة ، فكيف نوجّه عبادتنا إلى إله واحد ... وغيرها من الحجج الباطلة.

وقد وضح الله ذلك في مواطن من كتابه منها ماورد بأسلوب الاستفهام كما سيتضح في هذا المبحث .

## المطلب الأول: الاحتجاج بالتقليد

إن الأمم الكفارة على مرّ العصور تواجه الدعوة إلى توحيد الله بدعوى أنها دعوة محدثة لم يعرفها الآباء والأسلاف ، فهم كما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ (١).

فيعترضون على دعوة التوحيد بحجة التقليد المذموم الذي عليه أسلافهم الغابرون ، ولقد نفى الله تعالى هذه الدعوى والحجة في عدة مواطن من القرآن ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢).

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : ( ...أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ؟ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي على تقليدهم الأعمى دون النظر إلى الحق ، فآباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضلالاً ، فكيف يرغبون عن الحق إلى تقليدهم ؟! (٣).

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ (٤).

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام ، هما :

(١) سورة الزخرف ، آية ٢٣ .
(٢) سورة البقرة ، آية ١٧٠ .
(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١/١٨٨ ، وروح المعاني ٢/٤٠ .
(٤) سورة الأعراف ، آية ٧٠ – ٧١ .

الأول : في قول الله تعالى : (أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ؟ ) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه: الإنكار والاستبعاد[(١)] ؛ حيث إن قوم عاد واجهوا نبي الله هود – عليه السلام – بإنكار التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة ، محتجين بما عليه آباؤهم .

والثاني : في قولـــه تعالى : (أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ؟)، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : إنكار واستقباح لمجيئه – عليه السلام – داعياً إلى عبادة الله وحده ، وترك ما كان يعبد آباؤهم[(٢)] .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ ؟) والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : إنكار وسخرية وتهكم على نبي الله شعيب – عليه السلام – واستبعاد لإجابته بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة[(٤)] .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أن الحجة التي يستند عليها المشركون في شركهم هي ما ورثوه عن آبائهم ، لا عن هدى وعلم وبصيرة ، ففي آية ( البقرة ) ذكر بعض المفسرون أنّها نزلت في قوم من اليهود قالوا لَمّا دعوا إلى الإسلام : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ؛ فإنّهم أعلم وخير منّا [(٥)]. وكما أخبر الله تعالى عن عاد أنهم اعترضوا على دعوة نبي الله هود –عليه السلام– بقولهم: أجئتنا لنعبد الله وحده ونهجر عبادة الآلهة وا لأصنام التي كان آباؤ نا يعبدونها، فلسنا

---

(١) انظر : الكشاف ١١١/٢ ، وتفسير البيضاوي ٣٣/٣، والبحر المحيط ٣٢٨/٤ ، وتفسير أبي السعود ٢٣٩/٣، وروح المعاني ١٥٧/٨ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٣٢٩/٤ ، وتفسير أبي السعود ٢٣٩/٣ ، وروح المعاني ١٥٩/٨ .

(٣) سورة هود ، آية ٨٧ .

(٤) انظر : الكشاف ٣٩٥/٢ ، والتفسير الكبير للرازي ٣٦/١٨ ، وتفسير السعدي ص ٣٨٧ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٧٨/٢ ، وتفسير البغوي ١٣٨/١ .

فاعلي ذلك ولا متبعين ، ثم تحدَّوا هوداً بقولهم : أَنْزِلْ بنا العذاب والعقاب إن كنت من أهل الصدق[1] .

وفي الآية الأخرى أنكر عليهم هود – عليه السلام – واستقبح فعلهم ؛ حيث لا حجة لهم إلا التقليد المذموم للآباء والأجداد ، و لم يكن وقوع الشرك منهم عن علم ودليل وحجة وسلطان ممّا يدل على بطلانه وفساده[2] .

أما نبي الله شعيب – عليه السلام – فقد أنكر قومه دعوته إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، متمسكين بالتقليد الموروث عن آبائهم ؛ فقد اعترضوا على دعوته لتوحيد الله ، وترك البخس في الأموال والتطفيف بمحض التقليد للآباء[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : فمن اتبع دين آبائه وأسلافه لأجل العادة التي تعوّدها ، وترك اتباع الحق الذي يجب اتباعه فهذا المقلد المذموم ، وهذه حال المشركين من اليهود والنصارى ، بل أهل البدع والأهواء الذين اتبعوا شيوخهم و رؤساءهم في غير الحق ، وكل من يخالف الرسل هو مقلد متبع لمن لا يجوز لـه اتباعه . فإذا تبين أن المقلد مذموم كالذي يترك طاعة رسل الله ، ويتبع ساداته وكبراءه ، أو يتبع الرسول ظاهراً من غير إيمان في قلبه ؛ تبين أن المشركين واليهود والنصارى كلهم مقلدون تقليداً مذموماً[4].

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : « فإن الكفار لجأوا إلى تقليد الآباء وظنوا أنّه منجيهم ؛ لإحسانهم ظنهم بهم فحكم الله بينهم بقوله : ( أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ؟ ) ... فأخبر عن بطلان هذه الحجة ، وأنّها لا تُنجي من عذاب الله تعالى ؛ لأنها تقليد مَنْ ليس عنده علم ولا هدى من الله ... وهذا شأن من لا غرض له في الهدى ولا في

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢٢/٨ ، التفسير الكبير للرازي ١٢٩/١٤ ، وتفسير ابن كثير ٢٢٦/٢ ، وفتح القدير ٢١٨/٢ ، وتفسير السعدي ص ٢٩٤ .

(٢) انظر : المصادر نفسها .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٠١/١٢ ، والتفسير الكبير ٣٦/١٨ ، وتفسير السعدي ص ٣٨٧ .

(٤) انظر : الفتاوى ١٩٧/٤- ٢٠١ .

اتباع الحق ، إن غرضه بالتقليد إلا دفع الحق والحجة إذا لزم ته ، لأنه لو كان مقصوده الحق لاتبعه إذا ظهر له ... )) [1].

فتبين أنّ التقليد حجة يتمسك بها أهل الباطل ؛ لدفع الحق واتباع الهوى ، فلو كان مقصودهم طلب الحق لوفقوا إليه وهدوا إليه .

(1) بدائع الفوائد ٩٨٠/٤ ، وانظر : تلبيس إبليس ص٨٠.

## المطلب الثاني: دعوى أفضلية آلهتهم المعبودة

هذه حجة أخرى يتمسك بها أهل الشرك على باطلهم ، فيحتجون أن آلهتهم من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر خيرٌ من رسل الله تعالى التي عُبدت من دون الله مع عدم رضاها بالشرك والعبادة من دون الله ، فاعترض المشركون على النبي - ﷺ- بهذه الحجة الواهية ، وقد جاء ذلك موضحاً في كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ ؟) ، والأداة فيه الهمزة ، وأم فيه متصلة ، والمراد منه : التقرير للعلم بأن النبي -ﷺ - يُفضّل عيسى - عليه السلام- على آلهتهم (٢) .

دلالة الآية :

دلت الآية على جدال المشركين من كفار قريش وشدة خصومتهم في آلهتهم، ودعوى أفضليتها على نبي الله عيسى – عليه السلام – ، وذلك يتضح من السياق قبل الآية وبعدها ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ (٣).

وذلك أن كفار قريش أنكروا على النبي – ﷺ- فقالوا : إنّ محمداً يزعم أنّ كل مَنْ عُبد من دون الله في النّار ، فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى ، وعُزير ، والملائكة ، فهؤلاء قد عُبدوا من دون الله (٤). وذلك لَمّا أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

(١) سورة الزخرف ، آية ٥٨ .
(٢) انظر : التحرير والتنوير ٢٣٩/٢٥ .
(٣) سورة الزخرف ، الآيات ٥٧-٥٩ .
(٤) انظر : تفسير الطبري ٦٠/٢١ .

حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [(١)]. فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ [(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : لَمّا أخبر الله أن الأصنام التي تعبد هي وعابدوها حصب جهنم، قاس ابن الزِّبعْرى[(٣)] قبل أن يُسلِم هو وغيره من المشركين عيسى بها ، وقالوا : يجب أن يُعذب عيسى – عليه السلام– وبيّن الله تعالى الفرق في الآيتين بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ [(٤)].

فإن الفرق ثابت ، فإن المسيح ، وعزيراً ، والملائكة أحياء ناطقون ، فلا يعذبون لأجل كفر غيرهم ، بخلاف الحجارة التي تُلقى في النار إهانة لها ولمن عبدها[(٥)] .

ولذلك أخبر الله تعالى أن مقصودهم الخصومة بالباطل في قوله : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ؟) .

فقد وضح الله تعالى لنبيه – عليه الصلاة والسلام – أن هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك غير طالبين للحق .

قال ابن كثير – رحمه الله – : « وهذا الجدل الذي سلكوه باطل وهم يعلمون ذلك ؛ لأنهم قوم عرب ، ومن لغتهم أن ( ما ) لما لا يعقل ، فقوله : ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [(٦)].

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية ١٠١ .

(٣) هو – الصحابي الجليل – : عبدالله بن الزِّبَعْرَى بن قيس بن عديّ القرشي السهمي الشاعر ، كان من أشد الناس عداوة للنبي – ﷺ– في الجاهلية ، وكان من أشعر قريش ، أسلم بعد الفتح ، وحسن إسلامه ، وشهد ما بعد الفتح من المشاهد .

انظر : الاستيعاب لابن عبدالبر في هامش الإصابة ٣٠٩/٢ ، وأسد الغابة لابن الأثير ٢٣٩/٣ ، والإصابة ٣٠٩/٢ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية ١٠١ .

(٥) انظر : الرد على الأخنائي ص ٩٧ ، والصفدية ١٤١/١ ، وشرح الأصفهانية ص ٢٠٩ .

(٦) سورة الأنبياء ، آية ٩٨ .

إنمـا أريد بذلك ما كانوا يعبدونه من الأحجار التي كانت صور أصنام ، ولا يتناول ذلك الملائكـة الذين زعموا أنهم يعبدونهم في هذه الصورة ، ولا المسيح ، ولا عزيراً ؛ لأن اللفظ لا يتناولهم لا لفظاً ولا معنى ، فهم يعلمون أن ما ضربوه بعيسى ابن مريم من المثل جدل باطل ...)) [1] .

---

(1) البداية والنهاية ٣/٨٩ .

## المطلب الثالث : اعتراضهم على وحدانية المعبود سبحانه

من الحجج التي احتجَّ بها المشركون اعتراضهم على شهادة التوحيد ؛ لتضمنها البراءة من كل معبود سوى الله تعالى ، فكيف تترك الآله ة التي تعددت وتنوعت ؟ فكل قبيلة لها أصنام تعبدها وتقدسها ، فكيف تبطل هذه المعبودات ، ويتوجه الجميع إلى إلــه واحد . إنّ هذا أمرٌ يُثير العجب والدهشة ! وقد حكى الله تعالى في كتابه هذه الحجة وأبطلها ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام : ( أجعل الآلهة ...) ؟ والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ حيث أنكروا على النبي – ﷺ– أن جعل الآلهة ، وهي الأصنام المتعددة ، إلهاً واحداً ، وهو الله عز وجل . فهذا أمر يُثير العجب [(٢)].

دلالة الآية :

أنكر المشركون دعوة المصطفى – ﷺ– للتوحيد وعبادة الله وحده لا شريك لــه ، وتعجبوا من إنذاره لهم كما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [(٣)].

فقالوا : محمد ساحر كذّاب : أجعل المعبودات كلها معبو داً واحداً ، يسمع دعاءنا جميعاً، ويعلم عبادة كل عابد عبده منّا ، إنّ هذا لأمرٌ يُتعجب منه ويُنكر . وقد أثاروا هذه الشبهة الواهية تصبّراً منهم في المضيّ على الباطل والشرك ، وتصدياً لدعوة التوحيد كما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴾ [(٤)].

---

(١) سورة ص ، آية ٥ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٢٨ / ١٦٧ ، وتفسير السعدي ٤/٢٨٠ .

(٣) سورة ص ، الآيتان ٤ – ٥ .

(٤) سورة ص ، الآيتان ٦–٧ .

ولذلك زعموا أن دعوة المصطفى - ﷺ- يُراد بها مقصد سيئ ، وهو : أن محمداً يريد أن يكون معظماً عندكم ومتبوعا ، فما هذه الدعوة إلا افتراء واختلاقاً ، و لم يدركوا عليها آباءهم [1].

(1) انظر : تفسير الطبري ١٤٨/٢١ ؛ وتفسير السعدي ٢٨٠/٤ .

## المطلب الرابع : محاجّة نبي الله إبراهيم -عليه السلام -

إن إمام الحنفاء إبراهيم – عليه السلام – قد حكى الله – تعالى – قصته في مواضع من كتابه ، وكانت تدور على تقرير العبودية لله – تعالى – وبطلان الشرك ، بحجج متعددة يقيم فيها البراهين التي توضح فساد ما عليه أهل الشرك . ففي هذا المطلب سنتناول محاجة إبراهيم – عليه السلام – للملك النمرود الطاغية .

قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (١) .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ ...؟) .

والأداة فيه: الهمزة مقترنة بـــ ( لم ) ، والمراد منه : التقرير ، وهو التحقيق والإثبات .

والمعنى : قد علمت ، والرؤية هنا علمية . ويردف عليه : التعجيب من حالة نمرود(٢) .

دلالة الآية :

دلت الآية على المحاجة التي دارت بين إمام الحنفاء إبراهيم – عليه السلام – ونمرود بن كنعان ملك بابل ، وهو جبار من الجبابرة ، فلما دعاه إبراهيم – عليه السلام – إلى عبادة الله وحده لا شريك لـــه ، حمله الجهل والضلال على إنكار الخالق عناداً ومكابرة ، فحاجّ إبراهيم الخليل – عليه السلام – وادعى لنفسه الربوبية .

فقال الخليل -عليه السلام- : ( رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ) ، فأجاب الجبار : أنا أُحيي وأميت، زعماً أنه إذا أتي بالرجلين قد تحتّم قتلهم ، فإذا أمر بقتل أحدهما ، وعفا عن الآخر فكأنه أحيا هذا ، وأمات الآخر . فقال الخليل عليه السلام : هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ، وهو الله الذي لا إله إلا هو ، فأت بهذه الشمس من المغرب، فبُهت نمرود وانقطعت حجته ، وبطلت ، فسكت ، ولم يُجب عن ذلك (٣).

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٥٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٤٢٩/٥ ، وتفسير البيضاوي ٢٥١/١ ، وتفسير أبي السعود ٢٥١/١ ، وفتح القدير ٢٧٧/١ ، وروح المعاني ١٥/٣.

(٣) انظر : تفسير الطبري ٤٢٩/٥ وما بعدها ، وتفسير البغوي ٢٤١/١ ، وتفسير ابن كثير ٣١٥/١ ، ومعارج القبول ٥٤/١ .

قال ابن القيم – رحمه الله – : فإن مَنْ تأمَّل موقع الحجاج وقطع المجادل فيما تضمنته هذه الآية وقف على أعظم برهان بأوجز عبارة ، فإن إبراهيم لما أجاب المحاجّ لــه في الله بأنه الذي يحيي ويميت أخذ عدو الله معارضته بضرب من المغالطة ، وهو أنه يقتل من يريد ويستبقي من يريد ... فألزمه إبراهيم على طرد هذه المعارضة بأن يتصرف في حركة الشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها ، إذا كان بزعمه قد ساوى الله في الإحياء والإماتة ، فإن كان صادقاً فليتصرف في الشمس تصرفاً تصح به دعواه ، وليس هذا انتقالاً من حجة إلى حجة أوضح منها ، وإنما هو إلزام للمدعي بطرد حجته إن كانت صحيحة [(1)].

فنلحظ أن النمرود كان يدعو الناس إلى عبادة نفسه ؛ ولذلك ادعى مساوته لله تعالى بالإحياء والإماتة ، فأسقط الله حجته ، وأبطلها بعجزه عن التصرف في الكون ، وتحويل مشرق الشمس إلى مغربها .

ويُوضح شيخ الإسلام ابن تيمية الفرق بين نمرود وفرعون بقوله : وقصة إبراهيم – عليه السلام – قد ذكرت في غير موضع من القرآن مع قومه : إنما فيها نهيهم عن الشرك ، خلاف قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون ، فإنها ظاهرة في أن فرعون كان مظهراً الإنكار للخالق ، وجحوده ، ولكنّ الذي حاجّ إبراهيم في ربه قد يقال : إنه كان جاحداً للصانع ومع هذا فالقصة ليست صريحة في ذلك ، بل يدعو الإنسان إلى عبادة نفسه ، وإن كان لا يصرّح بإنكار الخالق مثل إنكار فرعون[(2)] .

(1) الصواعق المرسلة ٢/٤٩٠ – ٤٩١ – بتصرف – .

(2) الفتاوى ٦/٢٥٦ – بتصرف – .

## المطلب الخامس : التخويف بالآلهة المعبودة من دون الله ، والانتصار لها

وهذه حجة يتمسك بها أهل الشرك بالتخويف من معبوداتهم أن تصيب من أساء إليها بالضر ، وتسلبه النفع ، وذلك من الهراء الذي يثيره أهل الشرك لمعبوداتهم من دون الله تعالى، وقد ردّ الله زيفهم في مواطن من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [(١)] .

ورد في الآيتين أربعةٌ من أساليب الاستفهام :

الأول: في قوله: ( أتحاجوني ...؟)، والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي، فكيف تحاجوني في الله تعالى ، وقد هداني إلى توحيده وإفراده بالعبادة والخلوص من الشرك[(٢)]؟!

والثاني: في قوله تعالى : (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ؟) ، والأداة فيه الهمزة مقترنة بـــ( الفاء ) و(لا)، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ، فأمرها مركوز في العقول لا يتوقف إلا على التذكر [(٣)].

والثالث: في قوله تعالى : (وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ؟) ، والأداة فيه ( كيف ) ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، فهذا استفهام مسوق لنفي الخوف عنه – عليه السلام – ، ويردف عليه : التعجب من ظنهم خوف إبراهيم – عليه السلام – من آلهتهم[(٤)] .

والرابع: في قوله تعالى : (فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ؟) ، والأداة فيه : (أي) مقترنة بالفاء ، والمراد منه : التقرير والإلجاء إلى الجواب الصحيح .

قال أبو السعود – رحمه الله – : « لإلجائهم إلى الاعتراف باستحقاقه – عليه الصلاة

---

(١) سورة الأنعام ، الآيتان ٨٠– ٨١ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٦/٧ ، وتفسير أبي السعود ١٥٤/٣ ، والتحرير والتنوير ٣٢٧/٧ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١٥٥/٣ ، والتحرير والتنوير ٣٢٩/٧ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ١٥٥/٣ ، وروح المعاني ٢٠٥/٧ ، والتحرير والتنوير ٣٣٠/٧ .

والسلام – لما هو عليه من الأمن ، وبعد استحقاقهم لما هم عليه ... »[1].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾[2] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ؟) والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتعجيب ، والمعنى : أمعرض أنت عن آلهتي ، وما ينبغي أن يُرغب عنها ؟![3] .

دلالة الآيات :

حكت الآيتان المحاجة التي دارت بين إبراهيم – عليه السلام – وقومه ، ذلك أن إبراهيم – عليه السلام – جادله قومه في توحيده لله تعالى ، وبراءته من الأصنام ، وكان جدالهم إياه أن زعموا أن آلهتهم ستصيبه بسوء ومكروه ، ولذلك قالوا : إنا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من برص أو خبل لذكرك إياها بسوء ، فردّ إبراهيم – عليه السلام – على قومه مبيّناً أن هذه الدعوى هراء لا صحة لها ، فآلهتكم لا تملك النفع والضر . ولكن خوفي من الله الذي خلقني ، وخلق السماوات والأرض ، فهو القادر وحده على ذلك[4] .

قال ابن القيم – رحمه الله – : إن إبراهيم قال لقومه متعجباً مما دعوه إليه من الشرك أتحاجوني في الله ، وتطمعون أن تستنزلوني عن توحيده بعد أن هداني ، وتأكدت بصيرتي ، واستحكمت معرفتي بتوحيده بالهداية التي رزقنيها ، فمن كانت هذه حاله ، فلا سبيل إلى استنزاله عنها، وكأنه –صلوات الله وسلامه عليه– يذكر أنهم خوفوه آلهتهم أن يناله منها معرّة ، فهذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله أقل من ذلك ، فليست ممّا يُرجى ويخاف ، فلو أصابني مكروه فهو من الله الذي بيده الضر والنفع يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد[5].

---

(١) تفسير أبي السعود ٣/١٥٦ .

(٢) سورة مريم ، آية ٤٦ .

(٣) انظر : الكشاف ٣/٢٢ ، والتفسير الكبير للرازي ٢١/١٩٤ ، وتفسير أبي السعود ٥/٢٦٨ ، وفتح القدير ٣/٣٣٦ ، وروح المعاني ١٦/٩٨ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٧/٢٥٢ ، وتفسير البغوي ٢/١١١ ، وتفسير السعدي ص ٢٦٢ .

(٥) الصواعق المرسلة ٢/٤٨٦–٤٨٧ ، وانظر : درء التعارض ١/٣٨٣ ، والرد على البكري ١/٤٦٩ .

وحال قوم إبراهيم هو حال كثير من المشركين ، فهم إذا دُعوا إلى عبادة الله وحده خوّفوا الناس من معبوداتهم من الأصنام و الأضرحة والأولياء ونحوها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : وهذه محاجة قوم كانوا يخوفوّنه بآ لهتهم، كما هي عادة المشركين يخوفون من يكفر بطواغيتهم ؛ أي : مضرة ذلك ، فقال الخليل : وكيف أخاف ما أشركتم ، فعدلتموه بالله ، تعبدونه كما يُعبد الله ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينـــزل إليكم كتاباً من السماء، أو يرسل رسولاً بعبادة شيء سواه [1].

أما آية سورة مريم ، فتوضح موقف الاستنصار للمعبودات من دون الله تعالى ، وهو موقف والد إبراهيم – عليه السلام – فإنّ إبراهيم – عليه السلام – لَمّا وجه إلى أبيه الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك لــــه ، وبيّن بطلان ما يُعبد من دون الله – عز وجل – لعجزها ونقصها ؛ فهي أصنام لا تسمع ولا تبصر ، فأقام عليه الحجة القاطعة على أنه لا معبود إلا الله استنصر لآلهته ، معلناً ولاءه لها والتصدي لمن يتعرض لها بسوء بزعمه . ثم لام إبراهيم على رغبته عن عبادة الأصنام ، وأعلن عداءه لإبراهيم – عليه السلام – بالرجم بالقول ، والهجران ليسلم من العقوبة ، وكان الدافع حماية الآلهة المعبودة من دون الله .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (( قال أبو إبراهيم لإبراهيم حين دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان والبراءة من الأوثان والأصنام: (أراغب أنت) يا إبراهيم (عن ) عبادة (آلهتي – لئن) أنت (لم تَنْتَهِ) عن ذكرها بسوء (لأرجمّنك) يقول: لأرجمنّك بالكلام ، وذلك السبّ والقول القبيح... (واهجرني مليّا) اهجرني سويا سالماً من عقوبتي إياك)) [2].

---

(1) بغية المرتاد ٣٧٤/١ – بتصرف – .

(2) تفسير الطبري ٢٠٤/١٨ – ٢٠٦ .

## المطلب السادس : تبرؤ الآلهة المعبودة من عابديها

إن الله تعالى قطع حجج المشركين ، وأظهر زيفها حينما حكى مآل المشركين ومعبوداتهم عند لقاء الله تعالى والعرض عليه ، فيناديهم الله تعالى : أين معبوداتكم التي زعمتم أنها معظمة عندكم بعبادتكم إياها ؟ استنصروا بها لعلها تنجيكم من النار ، التمسوا نفعها ، فيغيب عنهم ما كانوا يتعلقون به في الحياة الدنيا ، فتنقطع آمالهم ، وتغلق السبل عل يهم . ففي هذه الآيات التي تصوّر حالهم في المحشر برهان قاطع على فساد شركهم، وعجز معبوداتهم ، ففي ذلك حجة على من صرف العبادة لغير الله مع براءة المعبود من عابده وعجزه عن نصرته ، وقد حكى الله تعالى هذه المحاجة في مواطن من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ (1) .

**ففي الآيات استفهامان :**

الأول : قول الله تعالى : (أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ؟ )، والأداة فيه ( أين ) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتقريع والتبكيت (2).

والثاني : في قوله تعالى: ( ... كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ...؟) والأداة فيه : كيف ، والمراد منه : التعجيب من كذبهم على أنفسهم .

وقول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (3) .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ؟) والأداة فيه الهمزة مقترنة بـــ (أنتم ) ، و ( أم ) المتصلة وما بعدها يعادل ما بعد

---

(1) سور الأنعام ، الآيتان ٢٢- ٢٤ .

(2) انظر : الكشاف ١٣/٢ ، وتفسير أبي السعود ٣ /١١٩ ، وروح المعاني ١٢٢/٧ .

(3) سورة الفرقان ، آية ١٧ .

الهمزة[1]، والمراد منه: التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة، ويردف عليه التقريع و التنديم و التبكيت للمشركين ، وقد علم الْمُستفهَ مين بذلك مما لا ينبغي أن يُنكر ، ولذلك افتتحوا الجواب بقولهم : ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [2].

وقول الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [3].

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام ، هما :

الأول : في قوله تعالى : (أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ؟) ، والأداة فيه ( أين ) والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتحسير والتقريع .

والثاني : في قوله تعالى : (هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ؟) ، والأداة فيه ( هل ) والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، والتهكم ، والتقريع ، والتبكيت[4] .

وقول الله تعالى:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ؟) ، والأداة فيه ( أين ) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتهكم بهم[6] .

وقول الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ [7] .

---

(١) انظر : الكشاف ٣/٢٧٣ ، وتفسير أبي السعود ٦/٢٠٨ ، وروح المعاني ١٨/٢٥١ .
(٢) سورة الفرقان ، آية ١٨ .
(٣) سورة الشعراء ، آية ٩٢ – ٩٣ .
(٤) انظر : الكشاف ٣/٣٢٧ ، وتفسير أبي السعود ٦/٢٥١ ، وروح المعاني ١٩/١٠٢ .
(٥) سورة القصص ، آية ٦٢ .
(٦) انظر : الكشاف ٣/٤٢٠ ، وتفسير أبي السعود ٧/٢١ ، وروح المعاني ٢٠ / ١٠٩ .
(٧) سورة فصلت ، آية ٤٧ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أين شركائي ) ؟ والأداة فيه ( أين ) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتهكم والتقريع لاتخاذهم شركاء من دون الله [1].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على المحاجة التي تدور بين المعبودات وعابديها ، وبراءة المعبودات من عابديها ، فبذلك تنقطع آمالهم ، وذلك حينما يستوقف الله تعالى المعبودات وعابديها فيكلمهم تقريعاً وتبكيتاً لهم : أين شركائي الذين كنتم تزعمون ؟ أين الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم ؟ أين الذين زعمتم أنهم ينصرونكم ؟

فيلجأ المشركون إلى دعوى التخلّص من شركهم ، كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الأنعام : ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [2].

فيقسمون بالله تعالى أن الشرك لم يصدر منهم كذباً وبهتاناً .

ففي ذلك الحين ينادي الرب تعالى المعبودات بقوله : (ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ؟) فهل كان وقوع الضلال بسببكم وبدعوتكم لهم إلى عبادتكم ؟ أم هم ضلوا سبيل الحق هوىً من عند أنفسهم ؟ !

فيجيبون بما حكاه الله تعالى عنهم : ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ ﴾ الآية [3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « فالمعبود من دون الله سواء كانوا أولياء كالملائكة والأنبياء والصالحين ، أو كانوا أوثاناً قد تبرؤوا ممن عبدهم ، وبيّنوا أنه ليس لهم أن يوالوا من عبدهم ، ولا أن يواليهم من عبدهم ، فالمسيح وغيره كانوا براء من المشرك بهم ، ومن إثمه » [4] .

---

(١) انظر : الكشاف ٢٠٩/٤ ، وتفسير أبي السعود ١٨/٨ ، وروح المعاني ٣/٢٥ .

(٢) سورة الأنعام ، الآيتان ٢٣-٢٤ .

(٣) سورة الفرقان ، آية ١٨ .

(٤) الرد على الأخنائي ص ١٠٣ .

ويوضح ابن القيم – رحمه الله – المراد بآية الفرقان : وهذه الآيات تحتاج إلى تفسير وبيان ، فقوله سبحانه : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) عام في كل عابد ومن عبده من دون الله .

أما قوله: (ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ؟) فهذا خطاب عام في الأوثان وعبدتها ، ثم يأذن سبحانه لها في الكلام ، فيقول سبحانه : أأنتم أمرتموهم بعبادتكم أم هم أخطأوا الطريق ، فأجاب المعبودون بما حكى الله عنهم : ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [(١)] .

وهذا الجواب : إنما يحسن من الملائكة والمسيح وعزير ومن عبدهم المشركون من أولياء الله ، فيتبرؤون من ولا يتهم وشركهم[(٢)] .

ففي هذه الآيات يتضح لك زيف ما يحتج به كثير من المشركين وانقطاع حججهم ، وبراءهم من شركهم ، فقد ادّعوا أنّ الشرك لم يصدر منهم .

قال الإمام أحمد – رحمه الله – : ((فلما جمعهم الله وجمع أصنامهم وقال : (أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) ، قال الله : (ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) فلما كتموا الشرك ختم على أفواههم ، وأمر الجوارح فنطقت بذلك )) [(٣)].

وفي جواب آخر حينما يسألهم الرب : (أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ؟) فيجيبون : (ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ) ؛ أي : أعلمناك ياربنا واشهد علينا؛ أنه مامنا أحد يشهد بصحة إلهيتهم وشركهم ، فكلنا رجعنا إلى بطلان عبادتها وتبرأنا منه [(٤)].

ويعترف الغواة منهم بالضلالة والغواية ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة الفرقان ، آية ١٨ .
(٢) انظر : إغاثة اللهفان ٢ / ٢٣٩ .
(٣) الرد على الزنادقة والجهمية ص ١٢ .
(٤) انظر : تفسير السعدي ص ٧٥١ .
(٥) سورة القصص ، آية ٦٣ .

أي جميعنا قد اشترك في الغواية ، وهؤلاء من الرؤساء والقادة في الشرك والشر ، فيتبرأون من الأتباع وعملهم .

ويبين الله تعالى أن ما عبدوه ورجوه باطل مضمحل حينما يسألهم : (أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ) ، فذلك مما يُبين عجز معبوداهم عن نصر عابديها ونفعهم ونجاهم من كُرب ذلك اليوم ، ومن عذاب الله تعالى ، فبين أن ما يتعلق به أهل الشرك وهم وباطل كاسد نفعه .

# الباب الثاني

## الدلالات العقدية لأساليب الاستفهام
## في الإيمان بالملائكة، وبالكتب، وبالرسل

وفيه ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : الإيمـــان بالملائكة .
- الفصل الثاني : الإيمـــان بالكتب .
- الفصل الثالث : الإيمـــان بالرسل .

# الفصل الأول :

## الإيمان بالملائكة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الرد على المفاهيم الباطلة المتعلقة بالملائكة .
المبحث الثاني : أعمال الملائكة.

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة التي يجب على كل مؤمن الإيمان بها ، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة ، منها :

قول الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (1) .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ (2) .

وفي حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عندما سأل جبريل – عليه السلام – عن الإيمان ، قال الرسول – ﷺ – : (( أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره )) (3) .

ولا بد أن نعلم معنى الملائكة في اللغة ، وحقيقة الإيمان بالملائكة .

**معنى الملائكة في اللغة :**

(( الهمزة واللام والكاف أصلٌ واحد ، وهو تحمُّلُ الرِّسالة ، الأَلُوكُ الرسالة ، وهي المَألُكَةُ على مَفْعَلةٍ ، وإنما سميت الرسالة أُلوكاً ؛ لأنها تُؤلَكُ في الفم ، مشتق من قول العرب : الفرس يَألُكُ باللِّجام ويعلُكه ، إذا مضغ الحديدة )) (4) .

والْمَلَكُ مشتق منه ، وأصله مأْلَك ، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام ، فقيل : مَلأَك ، ثم خففت الهمزة بأن أُلغيت حركتها على الساكن الذي قبلها ، فقيل : مَلَك ، والجمع : ملائكة.

---

(1) سورة البقرة ، آية ٢٨٥ .

(2) سورة النساء ، آية ١٣٦ .

(3) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة بنحوه، كتاب : الإيمان، باب : سؤال جبريل النبي – ﷺ – عن الإيمان والإسلام والإحسان . انظر : البخاري مع الفتح [٥٠] ١/١١٤ .
وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : الإيمان والإسلام والإحسان [٨] ١/٣٧ .

(4) معجم مقاييس اللغة ١/١٣٣ (ألك) .

يُقال: جاء فلان قد اسْتأْلَكَ مَأْلُكتَه أي: حمل رسالته[1] .

فأصل معنى الملائكة حمل الرسالة وتأديتها .

الإيمان بالملائكة :

هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور ، وأنّهم عباد مكرمون يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون ، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها .

ويجب الإيمان على التفصيل بمَنْ ورد تعيينه باسمه المخصوص ؛ كجبريل وميكائيل وإسرافيل ورضوان ومالك ، كما يجب الإيمان بمن لم يرد تعيينه باسمه المخصوص ، ولا تعيين نوعه المخصوص إجمالاً [2] .

فالملائكة عالم غيبي يجب الإيمان به كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة جملةً وتفصيلاً ، كما سيتضح في الحديث عن وظائف الملائكة .

**أما الفلاسفة فيرون أن الملائكة هي :**

ما يتصوره النبي بزعمهم في نفسه من أشكال نورانية ، هي العقول عندهم ، وهي مجردات ليست داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق السماوات ولا تحتها ، ولا هي أشخاص تتحرك ، ، ولا تصعد ، ولا تنْزل ، ولا تدبر شيئاً ، ولا تتكلم ، ولا تكتب أعمال العبد ، ولا تنتقل من مكان إلى مكان ، كل هذا لا حقيقة له عندهم ألبتة [3] .

ولا شك في بطلان ما ذهبت إليه الفلاسفة في أصول الإيمان إجمالاً ، فضلاً عن الإيمان بالملائكة ، فقد أخبر المصطفى – ﷺ – أنها ذوات موجودة مخلوقة من نور ، كما جاء في الحديث عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله – ﷺ – قال : (( خُلقت الملائكة من نور ، وخُلق الجان من مارج من نار ، وخُلق آدم مما وُصف لكم )) [4] .

---

(1) انظر : لسان العرب ١٠/٣٩٤ (ألك) .

(2) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان ص ٣٦ ، وانظر : معارج القبول ٢ / ٦٢ ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ٢٦ .

(3) انظر : معيار العلم ص ٢٨١ – ٢٨٢ ، وإغاثة اللهفان ١/٢٨٠ – ٢٨١ .

(4) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : في أحاديث متفرقة [ ٢٩٩٦ ] ٤/٢٢٩٤.

وقد جُبلت على العبادة والتسبيح والتهليل ، كما قال الله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [(١)] ، وأنها تؤدي الوظائف التي كلّفها الله تعالى بها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (( من المعلوم بالاضطرار أنّ الرسل أخبرت بالملائكة والجن ، وأنها أحياء ناطقة قائمة بأنفسها ليست أعراضاً قائمة بغيرها ، وأخبروا بأنهم يأتون بأخبار الأمور الغائبة ، وأنهم يفعلون أفعالاً خارجة عن قدرة البشر ، كما أخبر الله تعالى عن الملائكة أنهم أتوا إبراهيم الخليل –عليه السلام– ثمّ ذهبوا منه إلى لوط ))[(٢)].

(١) سورة الأنبياء ، آية ٢٠ .

(٢) الصفدية ١/١٩٣ .

# المبحث الأول

## الرد على المفاهيم الباطلة المتعلقة بالملائكة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : دعوى أنّ الملائكة بنات الله .

المطلب الثاني : عبادة الملائكة.

إن الملائكة عالم غيبي يجب التصديق بوجودهم ، والإيمان بما وصفهم الله تعالى به من الصفات ، دون الخوض في حقيقتهم بلا علم ، ففي الآيات التي نحن بصدد دراستها يُبطل ا لله تعالى مزاعم الكفار والمفاهيم الباطلة التي جمع بينها المشركون ، حيث نسبوا إلى الله تعالى الولد، والأعظم فرية أنهم نسبوا إلى الله أنقص الولدين وهم الإناث – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – كما أنّهم صرفوا العبادة لها من دون الله تعالى ، وصوّروا الأصنام ع لى صور الملائكة بلا دليـــل ولا برهان ، وإنما بحسب ما تُمليه عليهم الشياطين ، وحسب ما تمليه عليهم اهواؤهم.

## المطلب الأول : دعوى أن الملائكة بنات الله

ولقد أبطل الله تعالى هذه الدعوى ، وبَيَّن أنها تفتقر إلى الدليل والبرهان ، وبيّن سوء حكمهم وجَوْرَ قسمتهم ؛ حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور – تعالى الله وتقدّس عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً – ، وقد ورد ذلك في مواطن من القرآن ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [(1)] .

ورد أسلوب الاستفهام في قول الله تعالى : ﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي [(2)] ، وتكذيب مزاعم الكفار ، حيث خصوا أنفسهــم بأفضل ا لولدين ، وجعلوا لله تعالى الإناث – تعالى الله عن ذلك – .

وقول الله تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴾ [(3)] .

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول: قوله تعالى : ﴿ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ؟ ﴾، والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي، وذلك في الرد على دعوى كفار قريش أن الملائكة بنات الله [(4)].

الثاني: في قوله تعالى : ﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ؟ ﴾ ، وأم هنا منقطعة بمعنى: ( بل ) والهمزة ، وتقدر أي : بل أخلقنا الملائكة إناثاً . والمراد منه : الإنكار

---

(١) سورة الإسراء ، آية ٤٠ .

(٢) انظر : الكشاف ٦٢٥/٢ ، وتفسير البيضاوي ٣ / ٤٤٧ ، وتفسير أبي السعود ١٧٣/٥ ، وروح المعاني ٨١/١٥ .

(٣) سورة الصافات ، الآيتان ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٤) انظر : مغني اللبيب ص٢٤ .

الإبطالي والتبكيت ؛ فإن الله تعالى لم يخلق الملائكة إناثاً [(١)] ، فيلزم بطلان هذا التقسيم لبطلان ما بُني عليه .

وقول الله تعالى : ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾ [(٢)] .

ففي الآيات خمسة استفهامات :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، فإن الله تعالى لم يصطفِ البنات على البنين[(٣)] .

الثاني والثالث : في قوله الله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ؟

والأداة فيه : ما مقترنة بالجار والمجرور وكيف، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتقريع لحكمهم أن لله تعالى البنات ولهم البنين [(٤)].

الرابع : في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ؟

والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء واللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي[(٥)] ، والاستغراب من عدم تذكرهم وبين أيديهم دلائل واضحات .

الخامس : في قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾؟

وأم هنا منقطعة والمعنى : بل ألكم سلطان مبين .

والمراد منه : الإنكار الإبطالي والاستبعاد [(٦)].

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٢٠٧/٧ ، وروح المعاني ٢٣ /١٥٠ ، وفتح القدير ٤١٣/٤ .
(٢) سورة الصافات ، الآيات ١٥٣ - ١٥٦ .
(٣) انظر : الكشاف ٦٥/٤ ، والبحر المحيط ٣٦٠/٧ ، وروح المعاني ١٤٩/٢٣ .
(٤) انظر : الكشاف ٦٦/٤ ، والبحر المحيط ٣٦٧/٧ ، وروح المعاني ١٥٠/٢٣ .
(٥) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٣٨٨/٣ .
(٦) انظر : الكشاف ٦٦/٤ ، وروح المعاني ٢٣ /١٥١ .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ [1] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ... ﴾ ؟ و (أم) هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة ، وتقدر : بل آ تَّخَذَ مما يخلق بنات .

والمراد منه : الإنكار الإبطالي والتوبيخ، فإنّ الله تعالى مُنَزَّهٌ عن اتخاذ الولد ، ويردف عليه التعجب من شأنهم[2].

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ ... ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو . والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتعجب [4].

وقول الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ [5].

ورد في الآيات أسلوب استفهام :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ۚ ﴾ ؟

والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي، فهؤلاء لم يشهدوا خلق الله تعالى للملائكة، ويردف عليه التهكم والتجهيل لهم [6]؛ بزعمهم شيئاً يحتاج الحكم فيه إلى معاينة ومشاهدة لم تحصل لهم .

---

(1) سورة الزخرف ، آية ١٦ .

(2) انظر : تفسير البيضاوي ١٤١/٥ ، والبرهان في علوم القرآن ١٨٢/٤ ، وتفسير أبي السعود ٤٢/٨ ، وفتح القدير ٥٤٩/٤ .

(3) سورة الزخرف ، آية ١٨ .

(4) انظر : تفسير أبي السعود ٤٢/٨ ، وروح المعاني ٢٥ /٧٠ .

(5) سورة الزخرف ، الآيات ١٩ – ٢١ .

(6) انظر : الكشاف ٢٤٨/٤ ، ومغني اللبيب ص٢٤ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٣١/٢ ، والإتقان ٢٩٢/٢ ، وفتح القدير ٥٥٠/٤ .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [1].

والثاني : (أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا ...؟) و(أم) هنا منقطعة تقدر بـــ(بل) والهمزة ، أي : بل أآتيناهم كتاباً ..؟ ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ فالله تعالى ين كر أن يكون آتاهم كتاباً يُحلُّ لهم فيه عبادة غيره ، أو أنه تعالى خلق الملائكة إناثاً[2] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ ...؟ ﴾ ، و( أم ) هنا منقطعة تُقدر بـــ(بَلْ) والهمزة، أي: بل أله البنات ولكم البنون؟ والمراد منه: الإنكار الإبطالي والتوبيخ[3].

دلالة الآيات :

أنّ الله تعالى أبطل دعوى المشركين: أنّ الملائكة بنات الله، والتي جاءت من وجهين :

الأول : جعلهم لله تعالى ولداً – تعالى وتقدس وتنَزه عن ذلك علواً كبيراً – فقد نزه الله تعالى ذاته المقدسة عن اتخاذ الولد في كثير من آيات القر آن غير الآيات التي سبقت وفيها – أيضاً – أسلوب الاستفهام منها :

قول الله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [4] .

وقال عز وجل: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[5].

أما في الآيات موضوع الحديث فقد أنكر الله تعالى عليهم زعمَهُمْ وافتراءَهُمْ على الله تعالى الولد ، ثم الأعظم فرية، حينما نسبوا أضعف الولـــدين وأنقصهما لله تعالى ، واختارو ا لأنفسهم أفضل الولدين ؛ فعاب الله تعالى عليهم ذلك ، وبيّن أنّ ذلك راجع إلى سوء حكمهم وإلى قسمتهم الجائرة الظالمة، بلا دليل ولا برهان، ولذلك أمرهم بالرجوع إلى عقولهم والتذكر لعل ذلك يعيدهم للصواب.

---

(١) سورة الطور ، آية ٣٩ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤/١٢٧ ، وأضواء البيان ٧/٩٨ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٤/٢٤٢ ، ومغنى اللبيب ص ٦٦ ، والإتقان ١/٤٤٧ ، وتفسير أبي السعود ٨/١٥١ ، وروح المعاني ٢٧ /٣٨ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ١٠١ .

(٥) سورة الصافات ، الآيات ١٥١ – ١٥٢ .

الثاني: دعواهم أنّ الله تعالى اصطفى البنات على البنين ، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، فأنكر الله تعالى عليهم هذه الدعوى وأبطلها من عدة أوجه :

١- أنّ هذه الدعوى ناشئــة عن الكذب والافتراء لا عن علم وبيّنه ، حيث قال تعالى:

﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ﴾[١].

فأنكر الله تعالى عليهم هذه الدعوى ، فلو كان متخذاً ولداً لاصطفى لذاته أفضل النصيبين، وبيّن أن ذلك افتراء وكذب .

قال الشنقيطي -رحمه الله- ما مضمونه: بيّن الله تعالى أنه لو كان متخذاً ولداً - سبحانه وتعالى عن ذلك- لاصطفى أحسن النصيبين، ووبّخهم على أن جعلوا له أخس الولدين، وبيّن كذبهم في ذلك، وشدة عظم ما نسبوه إليه، وكما بيّن شدة عظم هذا الافتراء ، وأنَّ جعلهم الإناث لله والذكورَ لأنفسهم قسمةٌ غير عادلة ، ومن أعظم الباطل ، فأنكر الله عليهم الأمرين: أنّهم نسبوا له ما لا يليق به من الولد، ثمَّ نسبوا إليه أنقصهما وأضعفهما[٢].

وقد بيّن الله تعالى ما تتميز به الأنثى من الضعف، فأنكر الله تعالى على الكفار ادّعاء أنقص الولدين لله - تعالى الله عن ذلك- ؛ فالأنثى ضعيفة الخِلْقة ؛ ولذلك نشأت في الحلية من صغرها لتغطية النقص الذي هو الأنوثة، وجبره بالزينة، إضافة لضعفها في الخصام إذا اهُتضمت وظُلمت، كما قال الله تعالى:﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ﴾[٣].

لا شك في التباين الواضح بين جنس الذكورة والأنوثة ، فكيف تنسبون لله تعالى أضعف الولدين ؟!

٢- أنّ هذه الدعوى تفتقر للدليل والبرهان كما قال الله تعالى : ﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴾[٤]، إلى أن قال : ﴿ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾[٥] .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٤٠ .
(٢) أضواء البيان ٣٨٨/٢ - ٢٥/٣ - بتصرف - .
(٣) سورة الزخرف ، آية ١٨ .
(٤) سورة الصافات ، آية ١٥٠ .
(٥) سورة الصافات ، آية ١٥٦ .

فأنكر الله تعالى عليهم دعوى أنّ الملائكة إناثٌ ، بأنهم لم يحضروا خلق الله لهم ، و لم يشاهدوهم حتى يعرفوا أنهم ذكور أم إناث ، فكيف حكموا عليهم بالأنوثة ؟!

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : يقول تعالى ذكره : أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين : ( الملائكة بنات الله) خَلْقِي الملائكةَ ، وأنا أخلقهم إناثاً ؛ فشهدوا هذه الشهادة، ووصفوا الملائكة بأنها إناثٌ . أم لكم حجة تَبيَّن صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون ؟ فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذي تقولون من أن له البنات، ولكم البنين كما تقولون [1]؛ ولذلك أنكر الله تعالى علي هم سوء حكمهم كما قال الله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2]، فبئس الحكم أن يكون لله البنات ولكم البنون .

يقول الشنقيطي : « (أم) هنا تتضمن معنى استفهام الإنكار يعني – جلّ وعلا– أن هذا الذي يزعم الكفار من أنهم على حق في عبادتهم الأوثان ، وجعلهم الملائكة بنات الله لا د ليل عليه ، ولذا أنكر أن يكون آتاهم كتاباً يُحلّ فيه ذلك ، وأن يكونوا مستمسكين في ذلك بكتاب من الله ... » [3].

٣- أن الله تعالى محاسبهم على تلك الدعوى وسائلهم عنها، كما قال الله تعالى : ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [4] ، ومعنى ذلك تهديد ووعيد لهم على تلك الفرية، فإن الله تعالى أحصاها عليهم وكتبها عليهم، وسيقفهم عليها ، ويسألهم عنها .

قال ابن كثير – رحمه الله – : « فأنكر الله عليهم تعالى قولهم ذلك فقال : ( أشهدوا خلقهم ) أي : شاهدوه وقد خلقهم الله إناثاً ( ستكتب شهادتهم ) أي بذلك ( ويسألون ) عن ذلك يوم القيامة ، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد .. » [5].

---

(١) تفسير الطبري ٢١/١١٩ – ١٢٠ بصرف .
(٢) سورة الصافات ، الآيتان ١٥٤ – ١٥٥ .
(٣) أضواء البيان ٧/٩٨ .
(٤) سورة الزخرف ، آية ١٩ .
(٥) تفسير بن كثير ٤/١١٣ .

## المطلب الثاني : عبـــادة الملائكـــة

إنّ المشركين وقعوا في جرم عظيم، حيث زعموا أنّ الملائكة بنات الله، ثم صوروا الأصنام على صورها ، وصرفوا العبادة لها ؛ فأبطل الله تعالى هذا الشرك مبيّناً الضلال الذي وقع فيه المشركون بصرف العبادة لها ، وذلك في مواطن من القرآن ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة باسم الإشارة (هؤلاء)، والمراد منه : التقرير ، فالملائكة منَزهون مّما وُجه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والموافقة للكفار، وذلك للتقريع للمشركين الذين صرفوا العبادة أو جزءاً منها للملائكة[2].

دلالة الآية :

أنّ الله تعالى أبطل ما فعله المشركون من عبادة الملائكة بلا دليل ولا برهان ، بل لمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء في الجاهلية الجهلاء . فهم صوّروا الأصنام على صور الملائكة التي هي بزعمهم بنات الله، ثم عبدوها من دون الله تعالى، ولذلك يستوقفهم الله تعالى ويقررهم مستفهماً عن عبادة المشركين لهم ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾؟ فيأتي الجواب منهم : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[3].

فقد نزّهوا الله تعالى عن الشريك وعظّموه، ونفوا عن أنفسهم أن يرضوا بعبادة المشركين إياهم من دون الله ، وبَينوا أنّ المشركين إنما كانوا يعبدون الجن من دون الله ويؤمن بهم أكثرهم .

---

(١) سورة سبأ ، آية ٤٠ .

(٢) انظر: الكشاف٣/٥٩٧، والبحر المحيط ٧/٢٧٣، وتفسير أبي السعود ٧/١٣٦، وروح المعاني ٢٢/١٥١.

(٣) سورة سبأ ، آية ٤١ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : فالمشركون يعبدون الجن ، فإنّ الشياطين قد تخاطبهم وتعينهم على أشياء ، وقد يعتقدون أنّهم يعبدون الملائكة ، وإن كانوا في الحقيقة إنّما يعبدون الجنّ ، فإنّ الجنّ هم يعينوهم ويرضون بشركهم ، والملائكة لا تُعينهم على الشرك لا في المحيا ولا في الممات ، ولا يرضون بذلك ، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صور الآدميين ؛ فيروهم بأعينهم ويقول أحدهم : أنا إبراهيم ، أنا المسيح ، أنا محمد ... وقد بيّن الله – تعالى– أنّ الملائكة لا تُعين على الشرك والإفك والإثم والعدوان ، وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[1] .

فهنا بيّن الله تعالى أنّ الملائكة والأنبياء عباد الله، كما أنّ الذين يعبدونهم عباد الله[2].

وقد قدمنا ما يُبيّن فساد الشرك وبطلانه، وإن كان لصفوة الخلق من الملائكة والأنبياء والأولياء ونحوهم بما يغني عن إعادته[3] .

---

(١) سورة الإسراء ، الآيتان ٥٦ – ٥٧ .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص٢٢ – ٢٤ – بتصرف – .

(٣) انظر : الفصل الثالث من الباب الأول من البحث نفسه.

## المبحث الثاني
## أعمال الملائكة

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الوحي .

المطلب الثاني : النصرة لعباد الله

المطلب الثالث : قبض الأرواح .

المطلب الرابع : الطاعة لله فلا يفترون عنها

إن الله تعالى وكَّل للملائكة الكرام أعمالاً متعددة ذكرها الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله – ﷺ – ، فينفذون ما أمرهم الله تع الى به لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

قال ابن القيم – رحمه الله – : إنّ الله سبحانه وكّل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة ، فهي تُدبر أمر العالم بإذن الله ومشيئته وأمْره ، فلهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة ، لكونهم هم المباشرون للتدبير كقوله : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ (1) ، فالملائكة المدبراتُ مباشرةً وامتثالاً . فهم رسل الله في خلقه وأمره ، وسُفَراؤه بينه وبين عباده ، تتنَزل بالأم ر من عنده في أقطار العالم ، وتصعد إليه بالأمر (2).

ويوضح الشيخ حافظ الحكمي –رحمه الله– وظائفهم بقوله : فمنهم الموَكَّل بالوحي من الله تعالى إلى رسله – عليهم الصلاة والسلام– وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام ، ومنهم الموَكَّل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمر الله – عز وجل– وهو ميكائيل ، ومنهم الموَكّل بالصور وهو إسرافيل –عليه السلام– ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عز وجل؛ ومنهم الموَكّل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه ، ومنهم الموَكَّل بحفظ العبد في حِلّه وارتحاله وفي نومه ويقظته وهم المعقّبات ، ومنهم الموكَّل بحفظ عمل العبد ، ومنهم الموكَّلون بفتنة القبر ، ومنهم خزنة الجنة وفي مقدمهم رضوان – عليه السلام –، ومنهم خزنة جهنم– عياذاً بالله منها– وهم الزبانية، ومنهم الموكَّلون بالنطفة في الرحم ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم الموكلون بالجبال ، ومنهم ملائكة سياحون يتتبعون مجالس الذكر ، ومنهم زوّار البيت المعمور ، ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون ، وقيام لا يركعون ، وركّع وسجّد لا يرفعون ... (3).

ويقومون بما أمرهم الله تعالى على أتمّ وجه وأكمله ، وقد ورد كثير من وظائفهم في كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام كما سيأتي توضيحه في المطالب التالية :

---

(1) سورة النازعات ، آية ٥ .

(2) إغاثة اللهفان ٢ /١٣٨ – ١٣٩ – بتصرف –.

(3) معارج القبول ٢/٦٤ – ٧٣ – بصرف – . وانظر : إغاثة اللهفان ٢ /١٣٤ ؛ والكواشف الجليه عن معاني الواسطية ص٣٦ ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص١٢٧ .

## المطلب الأول : الوحي

إنّ من أعظم أعمال الملائكة الوحي ، وتحمّل الرسالات لتبليغها إلى رسل الله تعالى ؛ فالموكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله – عليهم الصلاة والسلام – هو الروح الأمين جبريل – عليه السلام –.

كما وصفه الله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [(1)] .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [(2)] .

وقد ورد ذلك في مواطن من القرآن ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [(3)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ ؟ والأداة فيه (ما) مقترنة باسم الإشارة (ذا)، والاستفهام حقيقي ؛ فإن الملائكة تتساءل عمّا أوحى به الرب تعالى .

دلالة الآية :

دلت الآيّ على أن الله تعالى يوحي إلى ملائكته ، فإذا سمعوا الوحي صُعقوا ، وأول من يرفع رأسه جبريل – عليه السلام – فيكلّمه الله من وحيه بما أراد ، فإذا زال الفزع عن قلوب الملائكة سأل أهل السماوات جبريل – عليه السلام – ماذا قال ربنا ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير . ثم ينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله – عز وجل– [(4)].

---

(1) سورة الشعراء ، آية ١٩٣ .

(2) سورة النجم ، الآيات ٤ – ١٠ .

(3) سورة سبأ ، آية ٢٣ .

(4) انظر : تفسير الطبري ٢٢ /٨٩ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٤٥٢/٦ ، وتفسير ابن كثير ٥٣٧/٣ ، وتفسير السعدي ص٦٧٩ ، ومعارج القبول ٦٥٩/٢ .

وروى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : (( إنّ نبي الله – ﷺ – قال : إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً لقوله كأنه سلسلة علي صفوان[1]. فإذا ﴿ فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ قالوا للذي قال : ﴿ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ ...))[2] الحديث .

دل الحديث على أنّ جبريل – عليه السلام – ، يتلقّى الوحي من الله تعالى ، وحال الملائكة عند سماع وحي الله، حيث يصعقون مهابة وتعظيماً لله تعالى، فإذا كان هذا حالهم فكيف يُدعَون من دون الله أو مع الله طلباً لشفاعتهم ؟ مع عدم ملكهم لذلك، بل هم عباد مكرمون .

قال الشيخ سليمان بن عبدالله – رحمه الله – : (( ففي الآية بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم مَنْ عُبد من دون الله ، فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى ، وهيبتهم منه وخشيتهم له، فكيف يدعوهم أحد من دون الله ؟ فغيرهم ممن لا يقدر على شيء من الأموات والأصنام أولى أن لا يُدعى ولا يعبد ))[3].

وقول الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾[4] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (هَلْ أَتَىٰكَ...؟) ، والأداة فيه ( هل ) ، والمراد منه : التقرير ، أي : قد جاءك حديث ضيف إبراهيم .

وقول الله تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[5] .

---

(١) الصَّفْوان : الحجر الأملس . وجمعه صِفِيٌّ ، وقيل : هو جمع ، واحده صَفْوانَةٌ .
انظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣/٤١ (صفا) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب : التفسير، باب: قول الله تعالى: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ...) الآية انظر : البخاري مع الفتح [٤٨٠٠] ٨/٥٣٧، ومسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة ٤/١٧٥٠.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٢١١ .

(٤) سورة الذاريات ، آية ٢٤ .

(٥) سورة الذاريات ، الآيتان ٢٦ – ٢٧ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَلَا تَأْكُلُونَ ...؟ ) .

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالام ، والمراد منه : الإنكار على تركهم الأكل [1].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [2] .

ورد أسلوب الاستفهام في قول الله تعالى : ( ...فَمَا خَطْبُكُمْ...؟)، والأداة فيه : (ما) مقترنة بالفاء ، وهو استفهام حقيقي ، فقد كان سؤال إبراهيم – عليه السلام – عن سبب مجيء الملائكة ، فالملائكة تجيء لشأن عظيم [3].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أنّ من وظائف الملائكة تحمّل الرسالات من عند الله ثم تبليغها إلى رسل الله ، كما أخبر الله تعالى عن الرسل التي نزلت أضيافاً على إبراهيم –عليه السلام– .

قال ابن كثير –رحمه الله– : « إن الملائكة هم : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، قدموا عليه في صورة شُبَّانٍ حِسَانٍ عليهم مهابةٌ عظيمة ... » [4].

فنَزلت الملائكة على إبراهيم – عليه السلام – أضيافاً في صورة أشخاص ألقوا السلام عليه ، ثم ردّ السلام عليهم مع جهله بحالهم، ولذلك قال : ( سلام قومٌ منكرون ) .

فسارع – عليه السلام – لإكرامهم متمثلاً آداب الضيافة مع تلطف وحسن عرض .

ثم بيّنوا المهمة التي أرسلوا بها من عند الله ؛ وذلك للبشارة بغلام عليم ، وهو إسحاق – عليه السلام ؛ ولإهلاك قوم لوط لما أسرفوا وتعدّوا حدود الله [5].

فهذه الآيات دلت على أن الملائكة لهم ذوات ويأتون في صورة أشخاص يراهم الأنبياء وغير الأنبياء .

(١) انظر : الكشاف ٤/٤٠٤ ، وتفسير البيضاوي ٥ / ٣٣٨ ، وتفسير أبي السعود ٨/١٤٠ ، وفتح القدير ٥/٨٨ .

(٢) سورة الذاريات ، آية ٣١ .

(٣) انظر : الكشاف ٤/٤٠٥ ، وتفسير أبي السعود ٨/١٤١ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٢٣٦ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٤٢٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( فهذه القصة فيها إثبات الملائكة، وأنهم أحياء ناطقون منفصلون عن الآدميين يخاطبونهم ويرونهم في صورة الآدمي ين : الأنبياء وغير الأنبياء ، كما رأتهم ساره امرأة الخليل – عليه السلام – ... ))[1] .

كما دلت الآيات بأسلوب الاستفهام على إحدى وظائفهم وهي تبليغ الوحي .

(١) الصفدية ١/١٩٦ .

## المطلب الثاني : النصرة لعباد الله

من أعمال الملائكة نزولهم حال الجهاد لنصرة أولياء الله تعالى وتثبيتهم عند لقاء العدو، وقد ورد ذلك في مواطن من كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [1] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بأداة النفي ( لن ) ، والمراد منه : تقرير المخاطب ؛ لأن نفي النفي إثبات [2].

دلالة الآية :

دلت الآية على أنَّ من وظائف الملائكة نزولهم لنصر الأنبياء و المؤمنين وتأييدهم عند لقاء العدو ، فإذا تأمَّلنا الآية وما قبلها، فدلالتها على غزوة بدر كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [3] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (( ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ ؟ وذلك يوم بدر)) [4].

ثم قال : إنّ الله تعالى وعدهم بثلاثة الآف من الملائكة مدداً لهم ، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف إن صبروا للقاء أعدائهم واتَّقَوْا الله . ولا دلالة في الآية على أنّهم أمدُّوا بالثلاثة آلاف، ولا بالخمسة آلاف ، ولا على أنّهم لم يُمدّوا بهم . غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدّوا يوم بدر بألف من الملائكة ، وذلك في قوله : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٢٤ .

(٢) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٥٠٣/١ ، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ص ٢٩٠ ، والتسهيل لعلوم التنْزيل ١١٧/١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٢٣ .

(٤) تفسير الطبري ١٧٣/٧ .

لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [1]، أما في يوم أحد فالدلالة على أنّهم لم يمدوا أَبْيَنُ منها في أنّهم أُمِدُّوا، وذلك أنّهم لو أُمِدُّوا، لم يهزموا ويُنال منهم ما نِيلَ منهم[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (( إنّ الله تعالى يُؤيد رسله وعباده المؤمنين بملائكته ، فقد وعدهم بالإمداد بألف وعداً مطلقاً ، وأخبر أنه جعل إمداداً بالألف بشرى ، و لم يُقيده فهي بشرى عامة، فيكون كالدليل على أن ما روى من أنّ ألف بدر باقية في الأمة ))[3].

وبذلك نعلم أنّ ملائكة الرحمن تؤيد من أخلص لله تعالى وصبر واتقى في الجهاد وقتال العدو ، يأتي المدد من السماء ؛ تثبيتاً ونصراً لمن بذل نفسه رخيصة في سبيل الله تعالى أمّا مَنْ شاب عمله بعدم الإخلاص لله تعالى ، و لم يُحقق الصبر والتقوى في قتال الأعداء ، فإنّ الله تعالى لا يُؤيد مَنْ هذا حاله بملائكته .

---

(١) سورة الأنفال ، آية ٩ .

(٢) تفسير الطبري ٧/١٨٠ – بتصرف – .

(٣) الفتاوى ١٥/ ٣٧ – ٣٨ ، وانظر : والجواب الصحيح ٦ / ٢٦٣ ، والرد على المنطقيين ص٤٩٥ .

## المطلب الثالث : قبض الأرواح

من أعمال الملائكة قبض الأرواح وتوفيّها ، فإن الله تعالى وكَّل بقبض الأرواح ملك الموت وأعوانــه ، وقد ورد ذلك موضحاً في كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ ؟ [1].

وقد صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ ؟

والأداة فيه : كيف ، والمراد منه : التعجيب مما يؤول إليه حالهم عند الوفاة والتهويل والتخويف والتفظيع [2].

دلالة الآية :

دلت الآية على أنَّ من وظائف الملائكة قبض الأرواح وتوفيّها ، كما أخبر الله تعالى عن حال المنافقين عند التوفي ، وما ينالهم من العذاب على أيدي الملائكة من الضرب في وجوههم وأدبارهم؛ وذلك أنّهم اتبعوا ما أسخط الله عليهم من طاعة الشيطان ، وكراهية القتال بعدما افترضه الله عليهم [3].

وقد ورد ذكر ملك الموت الموكَّل بقبض الأرواح مفرداً ومجموعاً ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [4].

وورد مجموعاً كما في قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [5] .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [6] .

---

(١) سورة محمد ، آية ٢٧ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٨ / ٨٣ ، والتحرير والتنوير ٢٦ / ١١٦ ، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٤/١٣٢.

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٢ /١٨٣ ، وتفسير السعدي ٧٨٩/١ .

(٤) سورة السجدة ، آية ١١ .

(٥) سورة محمد ، آية ٢٧ .

(٦) سورة الأنعام ، آية ٦١ .

ولا تعارض بين الآيات ، فإن الموكل بقبض الأرواح ملك واحد ، وله أعوان يعملون بأمره ويعينونه .

وقد جمع بين الآيات الإمام ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله – فقال : (( ولا تعارض بين الآيات ، فقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [1]، وقولــه تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [2]، وقول الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [3] ؛ لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها ، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده ، وكل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره وحكمه وأمره ، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه )) [4].

وقد جاء ذلك موضحاً في حديث البراء بن عازب [5] –رضي الله عنه–، وهو حديث طويل جاء فيه أن النبي – ﷺ – قال : (( إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة...ثم يجيء ملك الموت ، فيجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان ... فإذا أخذها لم يَدَعُوهَا في يده طَرْفَة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ... )) [6] الحديث .

---

(١) سورة السجدة ، آية ١١ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ٦١ .

(٣) سورة الزمر ، آية ٤٢ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ٥٦١/٢ – ٥٦٢، وانظر: معارج القبول ٦٦٠/٢-٦٦١ ، وأضواء البيان ١٨٤/٦ – ١٨٥ .

(٥) هو الصحابي الجليل البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي ، يكنى أبا عمرو ، رده رسول الله – ﷺ– عن بدر لصغر سنه ، وأول مشاهده أحد ، قيل : إنه افتتح الري صلحاً ، نزل بالكوفة ، وابتنى بها داراً ، وتوفي في إمارة مصعب بن الزبير سنة ٧٢هـــ .
انظر : الاستيعاب ١٣٩/١ ، وأسد الغابة ٣٦٢/١ ، والإصابة في تمييز الصحابة ١٤٢/١ .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤ / ٢٨٧ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٣ / ٥٤ ، وعبدالرزاق في المصنف ٥٨/٣ ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح ولم يخرجاه ، ٢٠٨/١ ، وصححه الألباني . انظر : الجنائز ص١٥٩.

فدل الحديث أن ملك الموت له أعوان يعملون بأمره ، فيضعون الروح في أكفان وحنوط ويصعدون بها إلى السماء بحسب حال العبد إن كان مؤمناً أو كافراً ، وهو يؤيد ما ورد في الآيات السابقة بأسلوب الاستفهام من الدلالة على أن من وظائف الملائكة قبض الأرواح .

## المطلب الرابع : الطاعة لله فلا يفترون عنها

إن الله تعالى جَبَل الملائكة على الطاعة فلا يفترون عنها ، سجداً وقياماً مسبحين ذاكرين لله تعالى دون انقطاع أو فتور ، وهذه خاصية من خصائصهم، فقد عُصموا من معصية الله تعالى، وقد ورد ذلك في مواطن من كتاب الله تعالى، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾؟

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الاسترشاد والاستعلام عن الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء [2] ، وأنّهم – أي الملائكة – لا يقصرون في عبادة الله وتنْزيهه .

ويرى بعض المفسرين أن المراد من الاستفهام : التعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها [3] ، وحال الملائكة الطاعة المطلقة بلا فتور .

وقد ضعّف الإمام الطبري – رحمه الله – هذا الرأي، فقال : (( أما دعوى من زعم أنّ الله – جل ثناؤه – كان أذن لها بالسؤال عن ذلك مسألته على وجه التعجب، فدعوى لا دلالة عليها في ظاهر التنْزيل ، ولا خبر بها من الحجة يقطع العذر ، وغير جائز أن يقال في تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه ... )) [4] .

ولعل رأي الإمام الطبري –رحمه الله– هو الأرجح –والله أعلم–،ويمكن حمل الرأي الآخر من أنّ الله تعالى أذن للملائكة بالسؤال على سبيل التعجب من شيء خفي عنهم حكمته.

---

(١) سورة البقرة ، آية ٣١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٠٩/١ ، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ص٢٨ ، وتفسير ابن كثير ٧٠/١ ، والإتقان للسيوطي ٢١٥/٢ .

(٣) انظر : الكشاف ١٥٤/١ ، وتفسير البيضاوي ٢٨٢/١.

(٤) تفسير الطبري ٢٠٩/١ .

دلالة الآية :

دلت الآية على أنّ الملائكة خلقٌ جبلهم الله تعالى على طاعته ، ودوام ذكره، وتسبيحه وتقديسه ، فإنّ الله تعالى لَمّا أخبرهم أنه جاعل في الأر ض خليفة ، استرشدوا عن الحكمة من جعل الخلافة لمن يفسد فيها ويسفك الدماء ، مقارنة بحالهم من الطاعة والتسبيح والتعظيم لله تعالى ، و لم يكن سؤالهم اعتراضاً على الرب تعالى .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : إن ذلك منها استخبار لربها بمعنى أَعْلِمْنا ياربنا أجا عِل أنت في الأرض من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونعظمك بالحمد لك والشكر ، ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك، ونقدس لك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس ، فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾: مما اطلع عليه من إبليس وإضماره المعصية لله وإخفائه الكبر، مما اطلع عليه تعالى وخفي على ملائكته ، وأعلم من أنه يكون من ذلك الخليفة أهل الطاعة والولاية [1].

ويوضح ابن القيم – رحمه الله– ذلك بقوله: ثم أظهر الله من علمه وحكمته الذي خفي على الملائكة من أمر هذا الخليفة ما لم يكونوا يعرفونه بأن جعل من نسله أولياءه وأحباءه ورسله وأنبياءه من يتقرب إليه بأنواع القرب، ويبذل نفسه في محبته ومرضاته، ويعبده في السراء والضراء، والشدة والرخاء، فلا يُثنِيهِ شدة ولا بلاء ولا فقر ولا شهوة...فإذا كانت عبادتكم لي بلا معارض ولا مانع، فعبادة هؤلاء لي مع هذه المعارضات والموانع والشواغل، فأجابهم سبحانه بأنه يعلم من الحكم والمصالح والغايات المحمودة في خلق هذا النوع ما لا تعلمه الملائكة[2].

وذلك أنّ الله تعالى جَبَل الملائكة على الطاعة دون انقطاع ، والذكر دون غفلة بخلاف الإنسان الذي تعتريه الغفلة والعجز .

كما أن في الآية دلالة على فضل آدم – عليه السلام – وليس المراد من الآية أنَّ آدم – عليه السلام – ممن يُفسد في الأرض ويسفك الدماء ، وإنما أعلم الله تعالى الملائكة أنّه يكون مِنْ ذريته مَنْ يفعل الفساد وسفك الدماء [3].

---

(١) تفسير الطبري ١/٢١٠ – ٢١٣ ، – بتصرف –، وانظر : تفسير ابن كثير ١/٧٠ .

(٢) شفاء العليل ص٢٤٢ ، – بتصرف –، وانظر : مدارج السالكين ٢/١٩٧ – ١٩٨ .

(٣) انظر : أضواء البيان ١/٢١ .

# الفصل الثاني : الإيمان بالكتب

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : إنزال القرآن الكريم

المبحث الثاني : أوصاف القرآن الكريم

المبحث الثالث : موقف الكفار من القرآن الكريم

و

المبحث الأول : الرد على المفاهيم الباطلة المتعلقة بالملائكة

**أما معنى الكتب في اللغة :**

كَتَبْتُ الكتَبَ كَتْباً وكِتاباً ، فالكتاب اسم لما كُتب مجموعاً، والكتاب مصدر ، يقال : كتب الكتاب كتباً وكتابة خطه فهو كاتب ، واكتتبه : استملاه [1].

الإيمان بالكتب أحد أركان الإيمان الستة التي يجب على العبد الإيمان بها ، فالإيمان بها يعني: الاعتقاد الجازم بأن لله كتباً أنزلها على رسله ، وأنّه ا نور وهدى ، وما تضمنته حق وصدق؛ فنؤمن جملة وتفصيلاً بما يُسَمِّي اللهُ منها، وهي التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن، وصحف إبراهيم ، وموسى .

قال الله تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [2] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [3] .

وقال جل شأنه : ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [4].

والإيمان بالكتب يشتمل على أمور :

١- الإيمان أنّها كلام الله حقيقة لا كلام غيره، منها المسموع من وراء حجاب بدون واسطة ، ومنها ما يسمعه الرسول البشري من الرسول الملكي . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآىِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [5] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ١٠ /٨٨ ، والقاموس المحيط ١/١٦٥ ، والمعجم الوسيط ٢/٧٧٤ ( كتب ) .

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان ٣ ، ٤ .

(٣) سورة الأعلى ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٤) سورة النساء ، آية ١٦٣ .

(٥) سورة الشورى ، آية ٥١ .

ومنها ما خطه الله بيده كالتوراة قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[1] .

٢- أنّ جميع الكتب يصدق بعضها بعضاً ، كما قال تعالى عن الإنجيل: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾[2].

وقال تعالى عن القرآن:﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[3].

٣- أن نسخ الكتب الأولى بعضها بعضاً حق كما نُسخت بعض شرائع التوراة بالإنجيل . قال عيسى - عليه السلام - فيما حكاه القرآن عنه : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[4] .

وقد نسخ القرآن كثيراً من شرائع التوراة والإنجيل، كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[5] .

ونَسْخُ القرآن بعضَ آياته حَقٌّ ، كما قال تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6].

أما القرآن فنؤمن به إيمانا مفصلاً على خلاف الكتب السابقة، فإنّ الإيمان بها إيمان مجمل، وقد اختص بأنّه مهيمن على جميع الكتب السابقة ومصدق لها، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ

(١) سورة الأعراف ، آية ١٤٥ .
(٢) سورة المائدة ، آية ٤٦ .
(٣) سورة المائدة ، آية ٤٨ .
(٤) سورة آل عمران ، آية ٥٠ .
(٥) سورة الأعراف ، آية ١٥٧ .
(٦) سورة البقرة ، آية ١٠٦ .

إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [1] . كما أنه اختص بمزيّة الحفظ من التحريف الذي وقع للكتب الأخرى ، كما قال تعالى : إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [2] .

وقد انقسم الناس حيال الكتب السماوية ثلاثة أقسام :

١- قسم كذَّب بها كُلِّها ، وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين .

٢- وقسم آمن بها كُلِّها ، وهم المؤمنون الذين آمنوا بجميع الرسل وما أُنْزل إليهم .

٣- قسم آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها، وهم اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم ، ولا شك أنّ الإيمان ببعض والكفر ببعضها كفر بالجميع .

قال تعالى : ﴿ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا ﴾لِّمَا [3] [4].

---

(١) سورة المائدة ، آية ٤٨ .

(٢) سورة الحجر ، آية ٩ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٩١ .

(٤) انظر : فيمّا تقدم : الجواب الصحيح ٢ / ٢٧٢ ، وإغاثة اللهفان ٢ / ٤٣٤ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٢/٤٢٤- ٤٢٥ ، ومعارج القبول ٢/٤١٩ ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص١٢٩ - ١٣٢ .

## المبحث الأول
## إنزال القرآن الكريم

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن القرآن كلام الله ، حروفه ومعانيه ، سمعه جبريل – عليه السلام – من الله تعالى، فأنزله على النبي –ﷺ–، وتلقاه الصحابة –رضي الله عنهم– عن النبي – ﷺ–، وهو الذي نتلوه بألسنتنا وفيما بين الدفتين ، والمحفوظ في الصدور ، وكل حرف منه كلام الله تعالى غير مخلوق .

وقد أخبر الله تعالى بتنْزيله ، وشهد بإنزاله على رسوله – ﷺ– فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [1] .

وقال جل شأنه : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [2].

وقال جلّ شأنه : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [4].

وقول الله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [5] إلى قوله : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [6].

قال الإمام أحمد – رحمه الله – : « فأبطل أن يكون القرآن شيئاً غير الوحي لقوله : (إن ه و ) يقول : ما هو (إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ) ثم قال : علّمه، يعني علّم محمداً جبريل، ... فسمى الله

(١) سورة الحجر ، آية ٩ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ١٠٦ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٦٦ .

(٤) سورة الشعراء ، الآيتان ١٩٢ – ١٩٣ .

(٥) سورة النجم ، الآيات ١ – ٥ .

(٦) سورة النجم ، آية ١٠ .

القرآن وحياً ولم يسمّه خلقاً )) [1] .

وقد أخرج الإمام البخاري عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ-: (( يا فلان، إذا أويت إلى فراشك فقل : اللهم أسلمت نفسي إليك ... آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ... )) [2].

والشاهد منه قوله –ﷺ – : ( آمنت بكتابك الذي أنزلت ) أي : أتوسل إليك بأني أصدق بأن الكتب التي أنزلتها على رسلك حق ومن أعظمها القرآن الذي أنزله خاتماً للكتب السماوية على خاتم الأنبياء والمرسلين .

وأبرز من خالف في ذلك الجهمية والمعتزلة الذين قالوا : إنّ كلام الله تعالى مخلوق بائن من الله تعالى . والحاصل أن الأشاعرة ومن وافقهم يوافقون المعتزلة في أنّ هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف مخلوق محدث ، وإنما الخلاف بين الطائفتين أن المعتزلة لم تثبت لله كلاماً سوى هذا، والأشعرية أثبتت الكلام النفسي القائم بذاته تعالى [3] ، كما تقدم عرض أقوالهم[4].

ولذلك اعتنى السلف ببيان القول الحق في أن القرآن كلام الله بحروفه ومعانيه مَنَزَّل غير مخلوق ، وكشف المزاعم الباطلة ، وتفنيدها ببيان الحق الذي جاء في الكتاب والسنة .

قال الإمام الآجري[5]: ((باب : ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله عز وجل ، وأن ك لامه جل وعلا ليس بمخلوق ، ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر )) [6] ثم ساق الأدلة والآثار عن السلف في بيان ذلك .

وقال الإمام قوام السنة الأصبهاني – رحمه الله–: (( فصل : في ذكر الدليل من القرآن أن القرآن منَزل، وقال : فصل : القرآن كلام الله المنَزل ))[7]، وساق جملة من الأدلة على ذلك.

---

(1) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص ١١١ – ١١٣ .

(2) أخرجه البخاري في صحيحه –كتاب– : التوحيد ؛ باب : قول الله تعالى : ( أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ) انظر : البخاري مع الفتح [ ٧٤٨٨ ] ١٣ / ٤٦٢ .

(3) انظر : الفتاوى ٢٧٣/١٢ ، ولوامع الأنوار للسفاريني ١٦٥/١ .

(4) انظر : ص١٩٣ من هذا البحث .

(5) هو : محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري البغدادي ، أبو بكر، الحافظ الفقيه المحدث، حدَّث ببغداد ، ثم انتقل إلى مكة فسكنها، ألف وصنف ، من تصانيفه : (الشريعة)، و(تحقيق رؤية الله تعالى في الآخرة) . توفي سنة ٣٦٠هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ١٣٣/١٦ ، وشذرات الذهب ٣١٦/٤.

(6) الشريعة للآجري ص٦٤ .

(7) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني ٢٧١/١ – ٢٨٣ .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : (( الذي يجب على الإنسان اعتقاده في ذلك وغيره ما دلّ عليه كتاب الله ، وسنة رسوله – ﷺ –، واتفق عليه سلف المؤمنين ، الذين أثنى الله تعالى عليهم وعلى من اتبعهم ، وذمّ من اتبع غير سبيلهم ، وهو أنّ القرآن الذي أنزله الله على عبده ورسوله كلام الله تعالى ، وأنه منَزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ... وأنّ ما بين لوحي المصحف الذي كتبته الصحابة – رضي الله عنهم – كلام الله )) [1].

وقال : ولفظ ( النُّزول ) حيث ذكر في كتاب الله تعالى ، فإن كثيراً من الناس فسروا النُّزول في مواضع من القرآن بغير ما هو معناه المعروف ؛ لاشتباه المعنى في تلك المواضع ، وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع ....، والمقصود هنا أنّ ذكر النُّزول في كتاب الله تعالى ثلاثة أنواع :

– نزول مقيد بأنه منه ، ونزول مقيد بأنه من السماء ، ونزول غير مقيد لا بهذا ولا بهذا.

فالأول: لم يرد إلا في القرآن كما قال تعالى :﴿ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾[2] . فكلام الله من الله، أي : هو المتكلم به، و لم يخلقه في غيره، فيكون مبتدأً منَزلاً من ذلك المخلوق ، بل هو منَزل من الله .

الثاني : النُّزول المقيد من السماء كقوله الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ﴾ [3] ، فإذا قُيد بشيء معين تقيد به أي منَزل من السحاب .

الثالث: النُّزول المطلق، ففي مواضع، منها قول الله تعالى :﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[4]، فذلك الثبات نزل في القلــوب بواسطة الملائكة[5].

وقد جاء ذلك موضحاً في كتاب الله تعالى، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام في مواطن منها [1]:

---

(١) الفتاوى ١٢ / ٢٣ – ٢٣٦ .

(٢) سورة النحل ، آية ١٠٢ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ١٨ .

(٤) سورة الفتح ، آية ٢٦ .

(٥) انظر : الفتاوى ١٢ / ٢٤٧ – ٢٤٩ .

قول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [(٢)] .

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار ونفي المماثلة بين من يعلم أنّ القرآن المنَزل من عند الله حق وبين من هو أعمى [(٣)].

وقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [(٤)] .

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية ( ... أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ )

والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء واللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي على عدم إعمال عقولهم بتدبر القرآن الذي أنزله الله ، وفيه شرفكم [(٥)].

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [(٦)] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو و(لم) .

والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بكفاية القرآن آية عظيمة دالة

=

(١) تقدم في مبحث صفة الكلام لله تعالى ذكر آيتين تدل على إنزال القرآن من الله تعالى، فاستغنينا ببحثهما في ذلك الموضع عن إعادتها، وهما : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، [النحل ، ٢٤ ]، وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ [ النحل ، ٣٠ ] انظر ص ١٩٤ .

(٢) سورة الرعد ، آية ١٩ .

(٣) انظر : تفسير البيضاوي ٣/٣٢٦ ، وتفسير أبي السعود ٥/١٦ ، وروح المعاني ١٣ /١٣٩ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية ١٠ .

(٥) انظر : فتح القدير ٣/٤٠٠ ، وروح المعاني ١٧ /١٥ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية ٥١ .

على نبوة المصطفى – ﷺ- ، ويردف عليه الإنكار التوبيخي على دعواهم أنّ القرآن غير كافٍ في باب المعجزة [1].

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [2] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...؟ )

والأداة فيه الهمزة مقترنة بلم .

والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الخشوع لذكر الله وتدبر كتابه [3] أي : قد آن الآوان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وللقرآن الذي أنزله لهم .

دلالة الآيات :

اتفقت الآيات في دلالتها على أن القرآن مَنزلٌ من عند الله تعالى ، وهذا يدل على أنه كلام الله تعالى حقيقة منه – جلّ شأنه — بدأ، لا من مخلوق، فهو الذي تكلّم به لخلقه .

ففي آية ( الرعد ) ينفي الله تعالى المماثلة بين من يؤمن بأن القرآن حق مَنزل من عند الله فينتفع به ، وبين حال من هو أعمى البصيرة لا يهتدي إلى كلام الله تعالى ، فيتبعه ويصدقه .

قال ابن كثير –رحمه الله-: « يقول تعالى : لا يستوي من يعلم من الناس أنّ الذي أنزل إليك يا محمد (من ربك) هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ، ولا لبس فيه، ولا اختلاف فيه، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضاً لا يضاد شيء منه شيئاً آخر، فأخباره كلها حق، وأوامره ونواهيه عدل ... فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه، ولو فهمه ما انقاد له ولا صدقه ولا اتبعه ... إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة » [4].

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٤٣/٧ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ٢٣٠/٣ .

(٢) سورة الحديد ، آية ١٦ .

(٣) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢٣٥/٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥١٠/٢ .

ولذلك أنكر الله تعالى على من توهم المماثلة بينهما والتسوية .

أما آية (الأنبياء) فإن الله تعالى يُذكِّر الناس ممتناً بعظيم نعمة نزول القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد –ﷺ–، فهو كتاب جليل ، وقرآن مبين ( فيه ذكركم ) أي : شرفكم وفخركم وارتفاعكم إن تذكرتم به فاعتقدتم ما فيه من الأخبار الصادقة ، وامتثلتم ما فيه من الأوامر ، واجتنبتم ما فيه من النواهي ؛ فلذلك أنكر الله تعالى عليهم، ووبخهم على عدم إعمال عقولهم والانتفاع بكتابه الذي فيه شرفهم وعلوهم في الدنيا والآخرة [١].

أما آية ( العنكبوت ) فإن المشركين من قريش قالوا كما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾[٢].

هلاّ أُنزل على محمد آية تكون حجة لله علينا كناقة صالح ، والمائدة لعيسى . فأنكر الله تعالى عليهم ووبّخهم، فالقرآن أعظم آية وأوضح حجة ، وقد أنزله تعالى على نبيه رحمة للمؤمنين به، وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة [٣]. كما أن الله تعالى قرّرهم بكفاية كتابه تعالى آية وحجة تغني عمّا سواها من الحجج .

قال الشنقيطي – رحمه الله – : بيّن تعالى أنه لا داعي إلى ما اقترحوا من الآيات ؛ لأنه أنزل عليهم آية أعظم من جميع الآيات التي اقترحوها ، وتلك الآية هي هذا القرآن العظيم، فإنكاره – جلّ وعلا – عليهم عَدمَ الاكتفاء بهذا الكتاب عن الآيات المقترحة يَدُلُّ على أنهّ أعظم من كل آية وأفخم ، وهو كذلك ألا ترى أنّه آية واضحة ، ومعجزة باهرة ، أعجزت جميع أهل الأرض ، وهي باقية تتردد في آذان الخلق غَضَّة طرية حتى يأتي أمر الله بخلاف غيره من معجزات الرسل – صلوات الله عليهم وسلامه – فإنها كلها مضت وانقضت[٤].

أما آية (الحديد) ، فإنّ الله تعالى يقرّر عباده أنّ الوقت قدآن لهم أن ينتفعوا بما أنزله الله تعالى من القرآن فتخشع قلوبهم لذكر الله ، وتنقاد لأوامره وزواجره ، ولا يكونوا كحال أهل

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٧ /٦-٧ ، وتفسير البغوي ٣ /٢٣٩ ، وتفسير السعدي ص٥١٩ .

(٢) سورة العنكبوت ، آية ٥٠ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٠ /٥٣ ، والمحرر الوجيز ٤ /٣٢٢ .

(٤) أضواء البيان – بتصرف – ١ /٤٧٧ .

الكتاب الذين أنزل الله تعالى عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام ، ثم لم يُداوموا عليه، و لم يثبتوا بل لَمّا طال عليهم الزمان ، واستمرت بهم الغفلة ، اضمحل إيمانهم ، وزال إيقانهم ؛ فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون [1].

(1) انظر : تفسير الطبري ٢٧ /٢٢٨ ، وتفسير البغوي ٤/٢٩٧ ، وتفسير السعدي ص٨٤٠ .

# المبحث الثاني
## أوصاف القرآن

وفيه مطلبان :
المطلب الأول : أنه قرآن .
المطلب الثاني : أنه عربي .

## المبحث الثاني
## أوصاف القرآن الكريم

إن الله تعالى وصف القرآن الذي أنزله على نبيه – ﷺ – بأوصاف يضيق المقام عن بسط الحديث عنها، وحسبنا الإشارة إليها بإيجاز، فقد وصف الله تعالى كتابه بأنه : كتاب مبين كما قال تعالى : ﴿ حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [(١)] .

وأنّه نور كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [(٢)] .

ووصفه بأنه شفاء ،كما قال الله تعالى : ﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [(٣)].

وأن القرآن مصدقٌ لما بين يديه من الكتاب ومهيمنٌ عليه، كما قال تعالى : ﴿ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [(٤)] .

ووصفه بأنّه روح، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾ [(٥)].

ووصفه بالمجيد ،كما قال تعالى : ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴾ [(٦)] .

وأنه عزيز ،كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴾ [(٧)] . وقد ورد أسلوب الاستفهام في مواطن من كتاب الله تعالى ، منها ما تتضمنه المطالب التالية :

---

(١) سورة الدخان ، الآيتان ١ ، ٢ .
(٢) سورة النساء ، آية ١٧٤ .
(٣) سورة يونس، آية ٥٧.
(٤) سورة المائدة ، آية ٤٨.
(٥) سورة الشورى ، آية ٥٢.
(٦) سورة البروج، آية ٢١.
(٧) سورة فصلت، آية ٤١.

## المطلب الأول : أنه قرآن

القرآن اسم لكتاب الله تعالى، مثل : التوراة ، والإنجيل ، ولا تهمز لفظة (القرآن) ، وسُمّي القرآن قرآناً ؛ لأنّه جمع القصص والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والآيات والسور بعضها إلى بعض ، والقرآن مصدر قرأ بمعنى جمع كالغفران والكفران ، وقيل : القرآن مصدر من قرأ أي : تلا [١].

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي –رحمه الله–: والقرآن في الأصل مصدر فتارة يذكر ويراد به: القراءة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[٢].

وتارة يُذكر ويراد به : المقروء ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [٣] ، فيكون المقصود به كلام الله تعالى [٤].

وقد جاء وصفه بالقرآن في مواطن على أسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [٥] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء و( لا ) النافية . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ لعدم تدبرهم القرآن [٦].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [٧] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ٢٠٩/٩ ، لسان العرب ١٢٨/١ – ١٢٩، والبرهان في علوم القرآن ١ /٢٧٧ ، والإتقان ص ١٣٧ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٧٨.

(٣) سورة النحل ، آية ٩٨.

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٣ .

(٥) سورة النساء ، آية ٨٢ .

(٦) انظر : البحر المحيط ٣٢٣/٣ ، وتفسير أبي السعود ٢ /٢٠٧ ، وروح المعاني ٥ /٩٢ .

(٧) سورة محمد ، آية ٢٤ .

في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ؟ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء و ( لا ) النافية . والمراد منه : الإنكار التوبيخي لعدم تدبرهم القرآن [١].

والثاني : في فاصلة الآية : (أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ؟ ).

وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة، وتقدر: بل أعلى قلوب أقفالها ؟، والمراد منه: التقرير[٢]، أي: أنّ القلوب حجبها عن التدبير لكلام الله المعاصي التي هي أشبه بالأقفال على القلوب.

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [٣] .

وقد ورد أسلوب الاستفهام في أربع آيات اتحدت لفظاً ومعنى في قوله : ( ...فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ...؟)

والأداة فيه : (هل) مقترنة بالفاء . والمراد منه : الأمر[٤] أي : اتعظوا به وتدبروا معانيه ، ويردف عليه التحضيض والحث على تدبره [٥].

دلالة الآيات :

أنّ الله تعالى سمّى كتابه قرآناً ، وأمر عباده بتدبره و الانتفاع بمواعظه ؛ بالتزام أوام ره واجتناب نواهيه . ففي تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف ، وبه يُستنتج كل خير ، وتُستخرج منه جميع العلوم ، وبه يزداد الإيمان في القلب ، وترسـخ شجرته ؛ فإنه يُعرِّف بالرب المعبود وماله من صفات الكمال وما ينَزه عنه من سمات النقص ، ويُعرِّف الطرقَ الموصلة إلى ربه ، ويُعرِّف العدوَ والطرق الموصلة إلى عذابه وكلما ازداد العبد تأملاً فيه ازداد

(١) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٥ /١١٩ ، وأضواء البيان ٧ /٢٥٦ .
(٢) انظر : الكشاف ٣ / ٥٣٦ ، وتفسير البيضاوي ٤ / ٨٤ ، وتفسير النسفي ٤ / ٢٢٦ ، وتفسير أبي السعود ٨ /٩٩ .
(٣) سورة القمر، آية ١٧.
(٤) انظر : الإيضاح في علوم البلاغة ص١٣٦ ، وتفسير الجلالين ص ٧٠٦ .
(٥) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٥ /٢١٦ .

علماً وعملاً وبصيرة ؛ ولذلك أمر الله بتدبره ، وحثّ عليه ، وأخبر أنّه هو المقصود بإنزال القرآن[1].

وقد وصف الله تعالى كتابه بأنّه يصدق بعضه بعضاً ، لا اختلاف ولا تضاد في أحكامه وأخباره، (( فترى الْحُكْمَ والقصة والأخبار تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة ، لا ينقض بعضه بعضاً، فبذلك يعلم كمال القرآن، وأنّه مِنْ عند مَنْ أحاط علمه بجميع الأمور ))[2].

قال ابن كثير – رحمه الله – : لوكان القرآن مفتعلاً مختلقاً كما يقوله جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اضطراباً وتضاداً ، فهو سالم من الاختلاف ، فهو من عند الله[3].

وقد أنكر الله تعالى على أهل الكفر والنفاق إعراضهم عن تدبر كتاب الله، وبَيَّن أنّ قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح لخير ولا لفهم قرآن[4].

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( وكأن القلب بمنْزلة الباب المرتج الذي قد ضرب عليه قفل ، فإنه ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول إلى ما وراءه، وكذلك ما لم يرفع الختم والقفل عن القلب لم يدخل الإيمان والقرآن ، وتأمل تنكير القلب ، وتعريف الأقفال ، فإن تنكير القلوب يتضمن إرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة ، ولو قال : أم على القلوب أقفالها لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة ، وفي قوله : أقفالها بالتعريف نوع تأكيد فإنّه لو قال أقفال لذهب الوهم إلى ما يعرف بهذا الاسم فلمّا أضافها إلى القلوب ... علم أن المراد ما هو للقلب بمنْزلة القفل للباب ))[5].

كما وصف الله تعالى كتابه بأنَّه ميسر بتيسير الله لمن وفقه الله للعمل به .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (( يقول تعالى ذكره : ولقد سهلنا القرآن ، بيناه ،

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٥ /١٧٩ ، وتفسير السعدي ص ١٩٠ .

(٢) تفسير السعدي ص ١٩٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ١ /٥٣٠ – بتصرف – .

(٤) انظر : أضواء البيان ٧ /٢٥٦ .

(٥) شفاء العليل ص ٩٥ – ٩٦ .

وفصلناه للذكر لمن أراد أن يتذكر ، ويعتبر ، ويتعظ ، وهونّاه » [1].

ولذلك أمر الله تعالى وحضَّ على التذكر ، ولا بد قبل التذكر من التعلم ، فالله – تعالى – قد سهل طريق حفظ القرآن وفهمه ، وثمرة ذلك : العمل به والاتعاظ بمواعظه [2].

(١) تفسير الطبري ٢٧ / ٩٦ .

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري – بتصرف يسير – ٢ /٥٧٧ .

## المطلب الثاني : أنه عربي

إنّ الله تعالى وصف كتابه بأنه عربي مفصَّل ، فقد أنزله تعالى على رس ول عربي وقومه أهل اللسان العربي، فأنزله تعالى بلسانهم ليتعقلوه ويتدبروه ويؤمنوا به ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [(١)] .

وقد وصفه في مواطن من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [(٢)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ؟ )

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي على كفار قريش ، حيث أنزل الله تعالى إليهم كتاباً عربياً مفصلاً ، ومع ذلك لم يؤمنوا به ، فلو أُنزل أعجمي لقالوا : لولا فصلت وبيّنت آياته ، أأعجمي أي : القرآن ، ولسان الذي أنزل عليه عربي [(٣)].

### دلالة الآية :

أنّ الله تعالى وصف كتابه بأنَّه عربيٌّ ألفاظهُ ومعانيه ؛ ليعقلها العرب الذين أُنزل فيهم ، فيعملون بموجب أوامره، ويجتنبون نواهيه ، ويصدقون أخباره، فلو كان أعجمياً لتعذر عليهم إدراك ألفاظه ومعانيه ، وهذا من أعظم النّعم التي امتن الله بها على العرب، حيث جعل كتاباً خالداً بلسانهم .

وفي الآية ردٌ على كفار قريش الذين لم يؤمنوا بالقرآن ، فإنّ الله تعالى لما ذكر القرآن وفصاحته وبلاغته في لفظه ومعناه ونظمه ، بيّن أن الذي منعهم من الإيمان هو الكفر والعناد

(١) سورة يوسف ، آية ٢.

(٢) سورة فصلت ، آية ٤٤.

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٤ /١٢٦ ، وتفسير البغوي ٤ /١١٧ ، وتفسير البيضاوي ٥ /١١٧ ، وتفسير أبي السعود ٨ /١٦ ، وفتح القدير ٤ /٥١٩ .

والتعنت ، ولذلك قال : لو أنزلنا يا محمد ، القرآن أعجمياً لقال قومك من قريش لولا فصلت آياته وبيّنت أدلته ؛ فنفهمه ونعلم ما فيه فينكرون نزول كتابه أعجمياً ، ولسان الذي أنزل إليه عربي [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( فهذا يتضمن إنعام الله على عباده؛ لأنّ اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بياناً للمعاني ، فنُزول الكتاب به أعظم نعمة على الخلق من نزوله بغيره ، وهو إنما خُوطب به أولاً العرب ليفهموه، ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه ، ثم من لم يعلم لغتهم ترجمه له من عرف لغتهم ، وكان إقامة الحجة به على العرب أولاً ، والإنعام به عليهم أولاً لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفه غيرهم )) [2].

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٤ /١٢٦ ، وتفسير البغوي ٤ /١١٧ ، وتفسير ابن كثير ٤ /١٠٤ .

(٢) الجواب الصحيح ٢ /٦٩ .

# المبحث الثالث

## موقف الكفار من القرآن الكريم

وفيه مطالب :

المطلب الأول : إنكار إنزال القرآن والكفر به .

المطلب الثاني : دعوى أن القرآن مفترى .

المطلب الثالث : اختصاص محمد - ﷺ - بإنزال القرآن .

المطلب الرابع : المداهنة والتعجب منه .

# المبحث الثالث
# موقف الكفار من القرآن الكريم

إنّ الله تعالى أنزل القرآن على نبيه محمد – ﷺ – أعظم آية ، وأقوى حجة وبرهان لقوم أُوتُوا الفصاحة والبلاغة ، وعلموا أنّه حق لا يمكن صُدوره عن البشر ، فأثاروا المطاعن والشبهات والشكوك حوله استكباراً وعناداً عن قبول الحق والإذعان له، فتارةً يزعمون أنه قول شاعر، وتارة يقولون إنه قول ساحر، وتارة يزعمون أنّه مفترى ومختلق من قبل محمد – ﷺ–، وتارة يعترضون على اختصاص نزوله على محمد – ﷺ– من بين كبرائهم ورؤسائهم ؛ فردّ الله تعالى على تلك الافتراءات وفنّدها ، ثم تحدَّاهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله ، أو بسورة من مثله ، فهم عاجزون عن مواجهة ذلك التحدَّي ، فهو قول الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنْزيلٌ من حكيم حميد .

وقد ورد ذلك في مواطن من القرآن منها ما ورد بأسلوب الاستفهام ، كما سنتناوله في هذا المبحث .

## المطلب الأول : إنكار إنزال القرآن والكفر به

من الافتراءات التي أثارها المشركون إنكار إنزال القرآن من عند الله تعالى، فقد زعموا أنّ هذه دعوى افتراها النبي -ﷺ- فردّ الله تعالى على تلك الدعوى وأبطلها ، وقد ورد ذلك في مواطن من القرآن منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [1] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾؟

والأداة فيه (مَنْ)، والمراد منه : التقرير، وهو حمل المخاطب على الاعتراف أنّ الله تعالى أنزل القرآن على محمد - ﷺ - كما أنزل التوراة على موسى ، ويردف عليه التقريع والتبكيت لهم [2].

وقول الله تعالى : ﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [3] .

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية : ( ...أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء والضمير ( أنتم ) . والمراد منه : الإنكار التوبيخي لإنكارهم أنّ الله تعالى أنزل القرآن على محمد -ﷺ- ، وزعمهم أنه قول شاعر [4].

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [5] .

---

(١) سورة الأنعام، آية ٩١.

(٢) انظر : الكشاف ٢ /٤٢ ، وتفسير أبي السعود ٣ /١٦١ ، وفتح القدير ٢ /١٣٩ .

(٣) سورة الأنبياء، آية ٥٠.

(٤) انظر : تفسير البيضاوي ٤ / ٩٦ ، وتفسير أبي السعود ٧٢/٦ ، وروح المعاني ٥٨/١٧ ، وفتح القدير ٤١١/٣ .

(٥) سورة الشعراء، آية ١٩٧.

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو و لم ، والمراد منه : التقرير ، فإن الله تعالى يُقرر كفار قريش بأنّ شهادة علماء بني إسرائيل حجة ودليل قاطع على صدق الرسول - ﷺ - والكتاب الذي أنزل إليه مما يلزمهم التصديق به والإيمان [1].

وقول الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ [2] .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : ( ..أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ...؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : أخبروني .

أما الثاني منهما في قوله : (مَنۡ أَضَلُّ...؟ )

والأداة فيه : مَنْ ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي فلا أحد أضل منكم .

وقول الله تعالى:﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴾[3].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي؛ أي : لأجل إسرافكم نترك إنزال الذكر ونعرض عن إرسال الرسل ؟![4].

وقول الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [5] .

---

(١) ذكر أبو السعود وغيره أن الهمزة للإنكار والنفي على مذهب الزمخشري ، ول كن عند التأمل لا يمكن حمل الآية على ذلك كما هو مذهب جمهور البلاغيين .
انظر : تفسير أبي السعود ٦/٦٤ ، وفتح القدير ٤ /١١٧ .

(٢) سورة فصلت، آية ٥٢.

(٣) سورة الزخرف ، آية ٥ .

(٤) انظر : الفتاوى ١٦/٤٩٥ ، وفتح القدير ٤/٥٤٧ .

(٥) سورة الأحقاف ، آية ١٠ .

ورد أسلوب الاستفهام : ( ...أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ...؟ )

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : أخبروني[1] إن اجتمع كون القرآن كلام الله مع كفركم به .

دلالة الآيات :

ففي الآية الأولى يُقِّرر الله تعالى كفار قريش بنزول القرآن كما أنّ الله تعالى أنزل التوراة على موسى – عليه السلام – .

واختلف المفسرون مَنْ القائل : ما أنزل الله على بشرٍ من شيء ؟

فقال بعضهم : إنّهم جماعة من اليهود .

وقال بعضهم : إنّهم كفار قريش، وذلك ما رجحّه الإمام الطبري وابن كثير ؛ لأن الآية مكية [2].

وإذا تأملنا الآية فالأظهر أنّها عامة في اليهود والمشركين ؛ لأنّ الله تعالى قرّر اليهود بما يقرون به من إنزال التوراة على موسى – عليه السلام – ، كما أنّهم قاموا بتحريفها وإخفاء كثيرٍ منها ، والمشركين أنكروا إنزال الكتب على رسل الله ؛ وذلك قدح في حكمته تعالى أن يترك الخلق هملاً بلا رسول أو كتاب .

وقد أنكر الله تعالى عليهم مقولتهم : إنّ الله تعالى لم ينَزل على بشر من شيء ، وعاب عليهم ذلك ، فهم لم يُعظموا الله حق تعظيمه؛ إذ تأبى حكمته تعالى أن يترك الخلق هملاً بلا رسول ولا كتاب، ثم سألهم الله – تعالى – مَنْ أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ؟ وهو التوراة التي قد علمتم، وعلم كل أحد أنّ الله أنزلها على موسى بن عمران نوراً وهدىً للناس ؛ تحرفون وتبدلون وتخفون كثيراً منها، وتقولون هذا من عند الله كذباً وافتراءً . وقد علّمكم الله تعالى في كتابه القرآن ما لم تعلموا من خبر ما سبق ونبأ ما سيأتي، ثم يأمر الله تعالى نبيه – ﷺ– أن يدعهم في خوضهم يلعبون حتى يلاقوا ما يوعدون [3].

---

(١) انظر : الكشاف ٤ /٣٠٤ ، وتفسير أبي السعود ٨ /٨١ ، وروح المعاني ٢٦ / ١١– ١٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧ /٢٦٦ ، وتفسير ابن كثير ٢ /١٥٧ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٧ /٢٦٦ ، وتفسير ابن كثير ٢ /١٥٧ ، وتفسير السعدي ص ٢٦٤ .

قال الشوكاني – رحمه الله – : وهم يعترفون بنزول التوراة، فكان في هذا من التبكيت لهم والتقريع ما لا يقادر قدره مع إلجائهم إلى الاعتراف بما أنكروه من وقوع إنزال الله على البشر ، فبطل جحدهم ، وتبين فساد إنكارهم [1].

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: ولما أراد سبحانه تقرير جنس ما جاء به محمد قال:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [2] .

فهو سبحانه يثبت وجود جنس الأنبياء ابتداء ، كما في السور المكية ، حيث يثبت وجود هذا الجنس ، وسعادة من اتبعه، وشقاء من خالفه، ثم نبوة عين هذا النبي ؛ لأنّ الذي جاء به أكمل مما جاء به جميع الأنبياء، فكان الإقرار بنبوة محمد – ﷺ– وما جاء به من الحق في غاية الظهور[3] .

أما آية ( الأنبياء ) فقد وصف الله تعالى القرآن بوصفين جليلين ، كونه ذكراً يتذكر به جميع المطالب من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومن صفات الرسل والأولياء وأحوالهم وغيرها ، وكونه ( مباركاً ) يقتضي كثرة خيره ، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن ، فإن كل خير ونعمة ، فإنّها بسببه ، فإذا كان ذكراً مباركاً وجب تلقيه بالقبول والانقياد والتسليم، أفأنتم له منكرون ؟ فهذا من أعظم الكفر والإلحاد [4].

أما آيتا سورة (فصلت والأحقاف)، فإنّ الله تعالى بيّن أنّ كفرهم بعد التمكن من الحق ودواعيه ناشيء عمّا يأتي :

---

(١) فتح القدير ٢ /١٣٩ – بتصرف – .

(٢) سورة الأنعام، آية ٩١ – ٩٢.

(٣) انظر : النبوات ص٢٧ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٧/٣٥ ، وجلاء الأفهام ص١١٩ ، وتفسير السعدي ص٢٥٢ .

١- أنه نشأ من الكذب والعناد لا من شك وارتياب ؛ لأنه بيّن لهم الحق والصواب، فانصرفوا إلى الباطل والبعد عن الرشاد .

٢- الاستكبار والتعالي ؛ فإن أهل الكتاب شهدوا أنّه الحق، فآمن الموفقون منهم به، واهتدوا بهديه، فتطابقت أنباء الأنبياء وأتباعهم ، واستكبرتم أيها الجهلاء، فهل هذا إلا من أعظم الكفر ؟! والشاهد من بني إسرائيل هو نبي الله مو سى – عليه السلام – على مثل القرآن بالتصديق كما في التوراة [(١)].

إنّ الله تعالى يحتجّ على المشركين المعرضين عن كتاب الله تعالى الذي أنزله على رسوله محمد – ﷺ- : ألن يكفيهم آية ودلالة أن يَعْلَم علماء بني إسرائيل حقيقة ما أنزل الله على رسوله -ﷺ – وصحته ؟

فقد انتهى إليهم العلم ، وصاروا أعلم الناس بالتنْزيل قبل مبعث النبي – ﷺ-؛ فالقرآن حجة على أهل الكتاب وغيرهم من أصناف المشركين الذي شهد علماء بني إسرائيل على صدقه، كعبدالله بن سلام وغيره ممّن أسلم وآمن بكتاب محمد – ﷺ – الذين علموا حقيقة نبوته والبشارة بها قبل مبعثه [(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : ليس المقصود شاهداً واحد معيناً ، بل ولا يُحتم كونه واحداً ، وقول مَنْ قال إنّه عبدالله بن سلام ليس بشيء ؛ فإنّ هذه نزلت بمكة قبل أن يعرف ابن سلام ، ولكن المقصود جنس الشاهد كما تقول : قام الدليل ، وهو الشا هد الذي يجب تصديقه ، سواء كان واحداً قد يقترن بخبره ما يدل على صدقه ، أو كان عدداً يحصل بخبرهم العلم بما تقول ، فإن خبرك بهذا صادق وقوله على مثله فإن الشاهد من بني إسرائيل على مثل القرآن، وهو أنّ الله بعث بشراً وأنزل عليه كتاباً أمر فيه بعبادة الله وحده لا

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٥ / ٤ – ٢٦ / ٩ ، وتفسير القرطبي ١٦ /١٨ وفتح القدير ١٧/٥ ، وتفسير السعدي ص ٧٥٢ – ٧٨٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٩ /١١٣ ، والجواب الصحيح ٥ /١٩٧ ، وإيثار الحق على الخلق ١ /٨٢ ، وتفسير السعدي ص ٥٩٨ .

شريك له ، ونهى فيه عن عبادة ما سواه ، وأخبر فيه أنّه خلق هذا العالم وحده ، وأمثال ذلك[(١)].

أما آية ( الزخرف ) فإنّ الله تعالى أنكر على المشركين أن يترك إنزال القرآن إليهم لأجل إعراضهم وعدم انقيادهم ، بل لننَزِّل الكتاب عليكم ونقيم الحجة فمن اهتدى فلنفسه وإلا فقد قامت عليه الحجة [(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهذا استفهام إنكار أي : لأجل إسرافكم نترك إنزال الذكر ، ونعرض عن إرسال الرسل » [(٣)].

(١) انظر : النبوات ص ١٧ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤/١٢٣ ، وتفسير السعدي ص٧٦٢ .

(٣) الفتاوى ١٦/٤٩٥ .

## المطلب الثاني : دعوى أنّ القرآن مفترى

إن كتاب الله تعالى آية من الآيات العظيمة ، وكانت العرب من أفصح الفصحاء ، وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه، فتحدّاهم الله تعالى على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجزوا تقاصر إلى أن يأتوا بعشر سور مثله، فلما عجزوا ، تحداهم على أن يأتوا بسورة مثله، فأنّى لهم ذلك، فهو كلام الله الحق الذي لا يشبه قول البشر ، وقد ورد ذلك في مواطن من ال قرآن منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا؟)

والأداة فيه : ما مقترنة بـــ( ذا ) ، والمراد مرع : الإنكار والاستهزاء، أي : كيف يضرب الله تعالى الأمثال بالذباب والعنكبوت ونحوها ؟ [2].

وقوله الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [3] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ...؟ )

و(أم) هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة ، وتُقدَّر بـــ(بل) أيقولون افتراه ... ؟

والمراد منه : الإنكار الإبطالي ؛ فإنّ النبي – ﷺ– لم يختلقه أو يفتريه [4].

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٦ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١/ ٧٤ .

(٣) سورة يونس، آية ٣٨ .

(٤) انظر : الكشاف ٢ /٣٣٠ ، وانظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ١٢٠ ، وتفسير أبي السعود ٤ /١٤٦ ، وروح المعاني ١١ /١١٨ .

وقول الله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [1] .

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية : (أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء واللام النافية .

والمراد منه : الإنكار التوبيخي على عدم إعمال عقولهم ؛ فلو كان – ﷺ – منتحلاً ما ليس له من القول انتحله أيام شبابه .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [2] .

ورد في الآيتين هذان الاستفهامان :

الأول : قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ؟)

و(أم) هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة، وتُقدَّر ببل والهمزة أي:( أيقولون افتراه ...؟)

والمراد منه : الإنكار الإبطالي لدعوى أن يكون القرآن مفترى [3].

الثاني : في قوله تعالى : (فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ؟)

والأداة فيه : هل مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الأمر أي : أسلموا وأفردوا العبادة لله وحده [4].

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [5] [1].

---

(١) سورة يونس ، آية ١٦.

(٢) سورة هود، الآيتان ١٣ ، ١٤.

(٣) انظر : تفسير البيضاوي ٣ /٢٢٤ ، وتفسير الجلالين ص ٢٨٦ .

(٤) انظر : زاد المسير ٤ /٨٣ ، والبحر المحيط ٥ /٢٠٦ ، وتفسير القرطبي ٩ /١٣ .

(٥) سورة هود، آية ٣٥.

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ...؟) .

و( أم ) هنا منقطعة وتُقدَّر ببل والهمزة أي :( أيقولون ... ؟ ) والمراد منه : الإنكار التوبيخي .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [2] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ...؟)

و( أم ) هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة . والمراد منه : الإنكار[3] التوبيخي .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [4] .

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ... ؟) .

وأم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة ، أي : بل أيقولون افتراه ؟ ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والمتضمن التعجيب مِنْ دعواهم أنَّ محمداً -ﷺ- افترى القرآن من عند نفسه [5].

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [1] .

---

=

(1) ذكر المفسرون أن الآية محتملة لنوح – عليه السلام –؛ لأن الآية في سياق قصته ، فيكون المعنى : أن نوحاً افترى على الله كذباً بدعوى الوحي الذي يزعم أنه من الله .

والقول الثاني :

أن المراد بها : محمد – ﷺ- والآية معترضة في قصة نوح ، فيكون المعنى أن محمداً افترى القرآن ؛ لأن قصة نوح قصها الله على نبيه محمد – ﷺ- وهي من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا النبي ، فبادره قومه بالتكذيب ودعوى الافتراء .

انظر : تفسير الطبري ١٢ /٣٢ ، وتفسير السعدي ص٣٨١ .

(2) سورة السجدة، آية ٣.

(3) انظر : الكشاف ٣ /٥١٢ ، وتفسير البغوي ٣ /٤٩٧ ، وتفسير أبي السعود ٧ /٧٩ .

(4) سورة الأحقاف، آية ٨.

(5) انظر : الكشاف ٤/ ٢٠٠ ، وتفسير أبي السعود ٨/٧٩ ، وروح المعاني ٢٦/ ٨ .

ورد أسلوب الاستفهام : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ...؟) .

وأم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة ، وتقدر : بل أيقولون .... ؟

والمراد منه : الإنكار التوبيخي على دعواهم أنّ النبي – ﷺ– افترى القرآن من قبل نفسه وافتعله[٢] .

دلالة الآيات :

يذكر الله تعالى في هذه الآيات دعوى باطلة تجاه كتاب الله تعالى ، حيث زعم كفار قريش أنه مفترى ومختلق ومكذوب، ادعى محمد –ﷺ– اختصاص نزوله عليه من الله تعالى ؛ فأبطل الله تعالى هذه الفرية من عدّة وجوه:

١– أنكر الله تعالى على من طعن في القرآن وزعم لو كان ما جاء به محمد كلام الله يذكر في كتابه (الذباب) والعنكبوت ونحوها من الحيوانات الخسيسة ، فردَّ الله تعالى ه ذا الاعتراض بأنّه لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها إذا تضمن تحقيق حق وإبطال باطل.

يقول ابن القيم : (( وهذا جواب اعتراض اعترض به الكفار على القرآن ، وقالوا إنّ الرب أعظم من أن يذكر الذباب ، والعنكبوت ونحوها من الحيوانات الخ سيسة ، فلو كان ما جاء به محمد –ﷺ– كلام الله لم يذكر فيه الحيوانات الخسيسة . فأجابهم الله تعالى : بأن قال إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ؛ فإنّ ضرب الأمثال بالبعوضة فما فوقها إذا تضمن تحقيق الحق، وإيضاحه وإبطال الباطل، وإدحاضه كان من أحسن الحسن، والحسن لا يستحيي منه، فهذا جواب الاعتراض ، فكأن معترضاً اعترض على هذا الجواب أو طلب حكمة ذلك فأخبر تعالى عمَّا له في ضرب تلك الأمثال من الحكمة ، وهي إضلال من شاء وهداية من شاء)) [٣].

٢– أنّ الله تعالى تحدّى هؤلاء على أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات ، وهم أهل اللسان العربي والفصاحة . ولن يطيقوا ذلك هم ومن في الأرض جميعاً ، فاعْلَمُوا وأَيْقِنوا

=

(١) سورة الطور، آية ٣٣.

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٧/٧٣ ، وبدائع الفوائد ١/٢١٣ ، والتحرير والتنوير ٢٧/٧٥ .

(٣) بدائع الفوائد ٤/٩٤٦ -٩٤٧ .

أنّه إنّما أُنزل بعلم الله وإذنه ، وأنّ محمداً لم يفترْه ولا يقدر على أن يفتريَه ؛ فأفْرِدُوا الله تعالى بالعبادة، واخلعوا عبادة الأنداد والآلهة [(1)].

ثم إنّ الله تعالى تحدّ اهم بسورة واحدة مثله ، ثم طلب منهم أن يستنفروا من يشاركهم على الإتيان بسورة مثله من الإنس والجن ، وهذا مُحال ولو كان ممكناً لادّعوا قدرتهم على ذلك ولأتوا بمثله ، ولكن بان عجزهم ، وانكشف باطلهم . فقد باين كلام الله تعالى سائر كلام المخلوقين، فلا مثل له ولا نظير ولا شبيه [(2)].

٣- أنكر الله تعالى على كفار قريش ما طلبوا من النبي -ﷺ - بما حكاه الله تعالى عنهم:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [(3)] .

حيث طلبوا أن يأتيهم بقرآن غير الذي آتاهم به ، أو أن يبدِّله ؛ فأمر الله تعالى النبي -ﷺ- أن يُبيّن لهم أنّ ذلك تبعٌ لحكمته الربانية ومشيئته لا من تلقاء نفسه ، فقد لبث فيهم زمناً قبل النبوة ، هم يعرفون حقيقة حاله بأنّه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا سبق أن تفوّه بكلمة منه قبل البعثة ، فهذا دليل قاطع أنّه نزل من حكيم حميد [(4)].

٤- أنّ هذا القرآن هو الحق المنَزل من رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، أنزله الله تعالى على العرب رحمةً بهم ؛ لفاقتهم إلى إرسال الرسل وإنزال الكتاب لفشوِّ الجهل والضلال فيهم ، وبعدهم من عهد النبوة [(5)].

٥- أنّ النبي - ﷺ- لو افتراه من قِبل نفسه لعاقبه الله تعالى أشدّ العقوبة ، ولا يستطيع أحد منهم أن يدفع عنه العقوبة ، وهذا تهديد ووعيد شديد لهم [(6)].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٢ /١٠ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٤ /٨٢ ، وتفسير البغوي ٢ /٣٧٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١١ /١١٧ ، تفسير بن كثير ٢ /٤١٩ .

(٣) سورة يونس، آية ١٥.

(٤) انظر : تفسير الطبري ١١ /٩٥ ، والبحر المحيط ٥ /١٣٧ ، وتفسير السعدي ص ٣٦١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٠ /٩٠ ، وتفسير ابن كثير ٣ /٤٥٧ ، وتفسير السعدي ص ٦٥٣ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٦ /٥ ، وتفسير القرطبي ١٦ /١٨٤ ، وتفسير بن كثير ٤ /١٥٥ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : (( وقد ذكر الله تعالى براهين التوحيد والنبوة، قلما تحدّاهم بالإتيان بعشر سور مثله مفتريات ، هم وجميع من يستطيعون من دون الله ، كان في مضمون تحديه أنّ هذا لا يقدر أحد على الإتيان بمثله ، وحينئذٍ عُلم أنّ ذلك من خصائص من أرسله الله لا يمكن أن يأتي به غيره ، وكان برهاناً بيّنا على أنّ الله أنزله؛ فهو الذي أخبر بخبره وأمر بأمره )) [(١)]؟

وقال الشيخ حافظ الحكمي – رحمه الله – : (( فعجزوا عن ذلك كله، و لم يطمعوا في شيء منه، مع أنّهم فحول اللغة ، وفرسان الفصاحة وأهل البلاغة ، وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه ، وهجزه ورجزه ، مع شدة معاندتهم لرسول الله – ﷺ– وما جاء به ، وحرصهم على معارضته بكل ممكن ، ولكن جاءهم ما لا قِبل لهم به ، وأتاهم ما لا يطيقون ، كلام ذي الملكوت والجبروت ، والعظمة والكبرياء والعزة، والجلال والكمال ، رب الأرض والسماء ، ورب الآخرة والأولى ، من له الأسماء الحسنى والصفات العلى ... فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة، ومعانيه الشاملة ، وإخباره عن الأمم الماضية ، والغيوب المستقبلة ، والأحكام الواقعة، ونبأ الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، والتهديد وغير ذلك على أكمل وجه ، وأوضح بيان ، وأعلى قصص وأعظم برهان، علموا أنه ليس كلام المخلوقين، ولا يشبه كلام المخلوقين ، وعلموا أنّه الحق ، وإنّما رموه بالإفك والبهتان بقولهم كاهن، شاعر، مجنون، وغير ذلك ، إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم )) [(٢)].

وبذلك يتبين فساد ما اعتمدوا عليه من الدعاوى الباطلة ، والإفك والبهتان الذي رموا به كتاب الله تعالى .

---

(١) الفتاوى ١٥ / ١٠٦ – ١٠٧ – بتصرف – .

(٢) معارج القبول ١ /٢٨٣ .

## المطلب الثالث : اختصاص محمد -ﷺ-بإنزال القرآن

إنّ كفار قريش اعترضوا على اختصاص المصطفى - ﷺ- إنزال القرآن عليه دونهم ، ففيهم الشرفاء والأغنياء والزعماء ، فلماذا خُصّ بالرسالة دونهم؟ فالله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته ولا شك أنّ النبي -ﷺ- من أشرفهم نسباً وفضلاً وخلقاً، إلا أنّ هذه الدعوى ناشئة من الاستكبار والتعالي على الحق .

وقد ورد ذلك في مواطن من كتابه :

منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾ [1] .

ففي الآيات الاستفهامات التالية :

الأول : في قوله تعالى : (أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ...؟)

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار الإبطالي من كفار قريش لم يختص محمد بإنزال الوحي عليه من بين زعمائهم ورؤسائهم [2].

الثاني : في قوله تعالى : (أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ؟)

و( أم ) هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة أي : بل أعندهم ؟ ، والمراد منه : النفي والإنكار عليهم ؛ فهم لا يملكون خزائن رحمة ربك [3]، فكيف يعترضون على اختصاصك بإنزال القرآن عليك ؟

الثالث : في قوله تعالى : (أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ؟)

---

(١) سورة ص، الآيات ٨ - ١٠ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوي ٥ /٣٧ ، وتفسير أبي السعود ٧ /٢١٦ ، والإتقان للسيوطي ٢ /٢١٦ ، وفتح القدير ٤ /٤٢١ ، وروح المعاني ٢٣ /١٦٨ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٤ /٤٩ ، وتفسير أبي السعود ٧ /٢١٦ ، وفتح القدير للشوكاني ٤ /٤٢١ ، وروح المعاني ٢٣ /١٦٨ ؛ والتفسير البلاغي للاستفهام ٣ /٣٩٥ .

و( أم ) هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة أي : بل ألهم ملك السماوات ... ؟ .والمراد منه : النفي والإنكار عليهم، فهم لا يملكون ملكية السماوات والأرض [1]، فكيف يعترضون على اختصاصك بإنزال القرآن عليك ؟

وقول الله تعالى : ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [2] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ..؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، فمحمد كذاب فكيف يُختَص بإنزال القرآن عليه من بيننا، فهو لا يسامينا شرفاً وفضلاً .

دلالة الآيات :

يُبيّن الله تعالى موقفاً آخر لكفار قريش تجاه ما أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد –ﷺ-، حيث اعترضوا على اختصاص النبي – ﷺ – بنزول القرآن من بين الزعماء والرؤساء والأكابر، فنلحظ أنّ الله تعالى أبطل هذه الدعوة من وجوه :

١– أنّ قولهم لهذه المقولة ناشيء عن الشك، فليس عندهم علم ولا بيّنة، فقالوا ما قالوا لدفع الحق لا عن بيّنة من أمرهم كما قال تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ﴾ [3] .

٢– أنّ من هذه صفته يتكلم عن عناد ومكابرة ، فقوله غير مقبول ولا قادح في الحق، بل يتوجه عليه الذم واللوم ؛ ولذلك توعدهم الله تعالى بالعذاب: ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾، فهم يتمتعون في الدنيا، فلم يذوقوا عذاب الله، ولو ذاقوه لم يتجرؤوا على ذلك .

٣– أنّ تخصيص الرسالة ونزول الكتاب على النبي – ﷺ- فضل من الله تعالى ورحمة يختص بهما من يشاء ، وليس ذلك في أيديهم حتى يتجرؤوا على الله تعالى ويعترضوا على توزيع رحمته ، كما قال تعالى : ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾.

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٧ /٢١٦ ، وفتح القدير ٤ /٤٢١ ، وروح المعاني ٢٣ /١٦٩ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ٣ /٣٩٥ .

(٢) سورة القمر، آية ٢٥.

(٣) سورة ص، آية ٨.

٤- ليس لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما بحيث يكونون قادرين على ما يريدون، فليرتقوا في الأسبباب الموصلة إلى السماء ؛ فيقطعوا الرحمة عن رسول الله -ﷺ- ، فكيف يتكلمون - وهم أعجز الخلق وأضعفهم - بما تكلّموا به ؟ بل إنهم يتحزبون ويتعاونون على نصر الباطل وخذلان الحق ، ولا يتـــم لهم ذلك بل سعيهم باطـــل وجندهم مهزوم[1] .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣ /١٢٨ ، وتفسير البغوي ٤ /٤٩ ، وتفسير ابن كثير ٤ /٢٩ ، وتفسير السعدي ص ٧١٠ ، ومعارج القبول ١ /٢٨٢ .

## المطلب الرابع : المداهنة والتعجب منه

وقف كفار قريش موقف المتعجب تعجّب إنكار من نزول القرآن ، ويواجهون سماعه بالضحك والسخرية ، كما أنهم يداهنون المكذبين به ، وهو قول الله الفص ل الذي يُصدع به، والمداهنة تكون للباطل القوي الذي لا يمكن إزالته ، أو في حق ضعيف لا يمكن إقامته ، أمّا الحق الذي قام به كل حق فلا يداهن فيه .

وقد ورد ذلك بكتاب الله تعالى في عدة مواطن منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ ؟ [(١)] .

صُدرت الآيةِ بأسلوب الاستفهام : (أَفَمِنْ هَـٰذَا... ؟ ) .

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أفمن هذا الحديث الذي هو خير الكلام تتعجبون وتنكرونه ؟ [(٢)] .

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴾ [(٣)] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَفَبِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار التوبيخي على أن يكون كتاب الله تعالى موضع تهاونِ .

دلالة الآيتين :

دلت الآيتان على معارضة أخرى لمشركي العرب، فأنكر الله – تعالى– عليهم صنيعهم تجاه كتاب الله تعالى كالآتي :

١– تتعجبون من كلام الله تعالى منكرين أن يكون الله تعالى أنزل على محمد – ﷺ – هذا الحديث ، وهو خير الكلام وأفضله وأشرفه ، فتجعلونه من الأمور المخالفة للحقائق المعروفة، وهذا من جهلهم وعنادهم، وإلا فهو القول الفصل المنَزل من رب العالمين .

---

(١) سورة النجم ، آية ٥٩ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوي ٢٦٢/٥ ، وتفسير أبي السعود ١٦٦/٨ ، وروح المعاني ٧٢/٢٧ .

(٣) سورة الواقعة، آية ٨١.

٢- يواجهون سماعه بالضحك والاستهزاء والسخرية، مع أنّه الذي ينبغي أن تتأثر النفوس لسماعه، وتلين له القلوب، وتبكي له العيون إصغاء لأمره ونهيه ومواعظه وأخباره . كما قال تعالى : ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ [١] .

٣- الغفلة واللهو والسمود [٢] عن تدبر ما فيه من العبر والذكر والإعراض عن آياته كما قال تعالى : ﴿ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴾ [٣] [٤].

٤- أنّهم يُداهنون ويُلينون القول للمكذبين به ممالأة لهم على الكفر والتكذيب ، وهو الحق الذي لا يُدهن فيه ولا يُخْفَى ، بل يصدع به ويعلن [٥].

قال ابن القيم – رحمه الله – : « ثم وبَّخهم سبحانه على وضعهم الادّهان في غير موضعه، وأنّهم يداهنون بما حقه أن يصدع به ، ويفرق به ، ويعضّ عليه بالنواجذ ، وتثنى عليه الخناصر، وتعقد عليه القلوب والأفئدة ، ويُحارب ويُسالم لأجله ، ولا يلتوي عنه لا يمنة ولا يسرة ، ولا يكون للقلب التفات إلى غيره، ولا محاكمة إلا إليه ، ولا مخاصمة إلا به، ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلا بنوره، ولا شفاء إلا به، فهو روح الوجود ، وحياة العالم ، ومدار السعادة ، وقائد الفلاح ، وطريق النجاة ، وسبيل الرشاد ، ونو ر البصائر ، فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه ؟! و لم ينَزل للمداهنة، وإنما أنزل بالحق وللحق ، والمداهنة إنما تكون في باطل قوي لا يمكن إزالته ، أو في حق ضعيف لا يمكن إقامته، فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق ، ويلتزم بعض الباطل . فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يُدَّهن به » ؟ [٦] .

---

(١) سورة النجم، آية ٦٠.

(٢) السمود : اللهو والسامد هو اللاهي ، يقال : سَمَدَ يسمُد سُموداً غفل وسَمَّده تَسْمِيداً ألهاه .
انظر : تهذيب اللغة ١٢ /٢٦١ ، وتاج العروس ٨ / ٢١١ .

(٣) سورة النجم، آية ٦١.

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٧ /٨٢ ، وتفسير البغوي ٤ /٢٥٧ ، وتفسير السعدي ص٨٢٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٧ /٢٠٧ ، وتفسير ابن كثير ٤ /٢٩٩ .

(٦) التبيان في أقسام القرآن ص ١٤٧ .

# الفصل الثالث :

## الإيمان بالرسل

وفيه مباحث :

المبحث الأول : قيام الحجة ومناط التكليف بإرسال الرسل .

المبحث الثاني : إنكار الكفار من المشركين واليهود والنصارى للرسالة.

المبحث الثالث : الاستفهام في قصص الأنبياء .

المبحث الرابع : الاستفهام في قصص الصالحين .

الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتمّ إيمان العبد إلا بالإقرار بها جميعاً ، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل الرسل مبلّغة عن الله تعالى دينه وشرعه ، فحاجة الناس إلى الرسالة فوق كل حاجة ، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة ، ولذلك سنقف على حقيقة الإيمان بالرسل فيما يلي :

تعريف الرسول والنبي في اللغة :

الرسول في اللغة :

الراء والسين واللام أصل واحد مطرد يدل على الانبعاث والامتداد ، فالرَّسْل السير السهل ، والإرسال الإطلاق والتخلية ، والإرسال – أيضا- الإهمال ، والإرسال التوجيه ، وبه فُسِّرَ إرسال الله أنبياءه – عليهم السلام – كأنه وجه إليهم أن أنذِروُا عبادي ، وسمّي الرَّسُول رَسُولاً ؛ لأنه ذو رسالة [1].

**والنبي** : من النَّبْوة والنّباوة وهي الارتفاع من الأرض ؛ لارتفاع قدره ، غير مهموز ، وقيل : إنّ النبي من نبأ وأنبأ أي : أخبر ، فيجوز أن يكون نبي من أنبأت فترك همزه لكثرة الاستعمال ، ويجوز أن يكون من نبا ينبو إذا ارتفع[2].

أمّا تعريف الرسول والنبي شرعاً :

فقد دلت النصوص على عدم ترادف الرسول والنبي ، وأنّ الرسل أخص من الأنبياء . فالرسالة أخص من جهة أهلها وأعمّ من جهة نفسها ، والنبوة أعم من جهة أهلها وأخص من جهة نفسها .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ [3] .

وقوله : (مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ) فقد ذكر الله تعالى إرسالاً يعمّ النوعين ، وقد خصّ أحدهما بأنه رسول ، كما أنّ العطف يقتضي المغايرة ، فقد عطف النبي على الرسول ، ممّـــا يدل على الفرق بينهما .

---

(١) انظر : العين ٧ /٢٤٠ ( رسل ) ، وتاج العروس ٢٩ /٧٢ ، والمعجم الوسيط ١ /٣٤٤ ( رسل ) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة ١٥ /٣٤٩ ، ولسان العرب ١ /١٦٢ ( نبأ ) .

(٣) سورة الحج، آية ٥٢ .

**وأرجح الأقوال في تعريفهما :**

الرسول : مَنْ أُوحي إليه وأمر بتبليغ رسالته إلى من خالف أمر الله كنوح – عليه السلام – فقد أرسله الله تعالى إلى قوم على الشرك .

أما النبي : فمَنْ أُوحي إليه وأمر بالتبليغ إلى أقوام مؤمنين ،كأنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوارة كالعالم الذي يُبلّغ النّاس شرع الله تعالى كما جاءت به الرسل [(١)].

**أمّا حقيقة الإيمان بالرسل :**

فالتصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والكفر بما يعبد من دونه ، وأنّ جميعهم صادقون هُداةٌ مهتدون ، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مُؤَيدون ، وأنّهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به .

وقد قَرَن الله تعالى الإيمان بالرسل بالإيمان به سبحانه وبملائكته وكتبه ، وحكم بكفر من فرّق بين الله ورسله ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾ [(٢)] .

**ويتضمن الإيمان بالرسل أموراً :**

١- أنّ النبوة والرسالة اصطفاء من الله تعالى واختيار، كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [(٣)] ، وليست النبوة كسباً يناله العبد بالجدّ والاجتهاد كما يزعم الفلاسفة ، فيقولون إنّ للنبوة ثلاث خصائص :

١- القوَّة العلمية بحيث ينال العلم بدون تعلّم ، بل بطريق قوة الحدس والذكاء .

٢- قوة التخُّيل بحيث يتخيل في نفسه أشكالاً نورانية تخاطبه ويسمع الخطاب منها .

٣- قوة التأثير بالتصرف في هَيُولي[(٤)] العالم، كما أنّ العائن له قوة نفسانية يؤثر بها في

---

(١) انظر : النبوات ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢) سورة النساء ، آية ١٥٠ .

(٣) سورة الحج ، آية ٧٥ .

(٤) الهَيُولي : لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – : « والْهَيُولي في لغتهم =

المعين ، ويزعمون أنّ خوارق العادات التي للأنبياء والأولياء هي من هذا النمط[1].

٢- يجب الإيمان بمن سمّى الله تعالى منهم بأعيانهم، وهم خمسة وعشرون نبياً ، والإيمان إجمالاً بمن لم يسمّ الله منهم ،كما قال الله تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[2] .

٣- أنّ دعوتهم من أولهم إلى آخرهم اتفقت في أصل الدين ، وهو توحيد الله عز وجل بأولوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، أمّا فروع الشرائع فتختلف من أمة إلى أمة .

٤- أنّ أول الرسل نوح - عليه السلام - وخاتمهم محمد - ﷺ- كما أخبرنا الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[3] .

فرسالته هي الرسالة الخاتمة لجميع الأديان ، وكتابه الكتاب الناسخ لجميع الكتب[4].

=

- أي الفلاسفة - بمعنى المحل ، يقال : الفضة هيولي الخاتم ، والدرهم ، والخشب هيولي الكرسي » . الفتاوى ١٧ /٣٢٨ . وانظر : التعريفات للجرجاني ص٣٢١ ، والمعجم الوسيط ٢ /١٠٠٤ .

(١) انظر:- الخصائص الثلاث -:النبوات لابن تيمية ص ١١٦، والصفدية ١/ ٧ - ٨، والفتاوى ١٢ /٣٥٤ .

(٢) سورة النساء ، آية ١٦٤ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية ٤٠ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٨ ، ولوامع الأنوار ٢ / ٢٦٣ – ٢٦٨ ، ومعـــارج القبول للحكمي ٢ /٦٧٧ ، والكواشف الجلية للسلمان ص ٤٠ ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص ١٣٢ - ١٤٩ .

# المبحث الأول
## قيام الحجة ومناط التكليف بإرسال الرسل

وفيه مطلبان :
المطلب الأول : الغاية من إرسال الرسل.
المطلب الثاني : قيام الحجة على الخلق ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

إنّ الله تعالى جعل قيام الحجة على الخلق ومناط التكليف للبشرية بإرسال الرسل المبلّغين عن ربهم والمبشرين بفضله ، والمنذرين من عذابه ، وأما مَنْ لم تبلغه الدعوة من أهل الفترة ونحوهم فلا يحاسبون على ما جرى منهم من أعمال في الحياة الدنيا ، وإنّما يمتحنون يوم القيامة على الصحيح من أقوال أهل العلم[1] .

فعُلم أنّ الإنسان الذي تجتمع فيه أهليَّة التكليف تقوم عليه الحجة ببلوغ الدعوة إليه ، وهذا من تمام عدل الله ورحمته بخلقه، فلم يكلهم إلى عقولهم ولا فطرهم ، وإنّما أقام الحجة عليهم بإرسال الرسل التي أُرسلت بالآيات والبراهين المستلزمة لصدق دعوتهم .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله – : إنّ أصدق الخلق وأعلمهم وأبرهم وأكملهم هم رسل الله ، أتوا بالآيات والحجج والبراهين مع اعتراف أممهم لهم بأنّهم أصدق الناس ، وإنّما أوجب الله قبول قولهم بعد قيام الحجة وظهور الآيات المستلزمة لصحة دعواهم ؛ لِما جعل الله في فطر عباده من الانقياد للحجة ، وقبول قول صاحبها، وهذا أمر مشترك بين جميع أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم الانقياد للحجة وتعظيم صاحبها ، وإن خالفون فعناداً وبغياً [2].

(١) انظر : درء التعارض ٨ /٣٩٩ ،

(٢) أعلام الموقعين ٢ /٢٦٣ – بتصرف – .

## المطلب الأول : الغاية من إرسال الرسل

إنّ الله تعالى أرسل الرسل لهداية الخلق إلى الطريق الموصل إلى الله تعالى ؛ ببيان عبادته وحده لا شريك له، والبراءة من الأوثان ، وتبليغ أمر الله تعالى ونهيه ، والبشارة لمن التزم دينه ، والنذارة لمن خالف أمره ، فكان في إرسالهم رحمة للعالمين ، وحياة للبشرية ، وسعادة لها في الدارين .

وجاء ذلك في مواطن من كتاب الله تعالى منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ ؟

والأداة فيه : هل مقترنة بالفاء . والمراد منه : النفي والإنكار أي : ما على الرسل إكراه الناس على الإيمان ، بل عليهم تبليغ الناس ما أنزله الله تعالى إليهم[2].

وقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[3].

ورد أسلوب الاسفهام بقوله : ( .. .مَاذَآ أُجِبْتُمْ ؟ )

والأداة فيه ( ما ) مقترنة بـــ( ذا ) . والاستفهام الحقيقي فإن الله تعالى يسأل الرسل في ذلك اليوم عن إجابة أقوامهم لدعوتهم .

دلالة الآيتين :

دلت الآيتان على أنّ مهمة الرسل التبليغ عن الله تعالى ، دينهُ وشرعُه ، ودعوة الخلق إلى ذلك ، وأمّا هدايتهم هداية التوفيق، فهي بيد الله تعالى لا يملكون منها شيئاً، ويتضح ذلك من

---

(١) سورة النحل ، آية ٣٥ .

(٢) انظر: أساليب الاستفهام في القرآن لعبد العليم السيد فوده ص١١٢، التفسير البلاغي للاستفهام ١٩٢/٢.

(٣) سورة المائدة ، آية ١٠٩ .

جانبين :

١- أنّ الله تعالى يُكلّم رسله حينما يجمع الأولين والآخرين ، فيقول تعالى : ( ماذا أُجبتم ) من قِبل أممكم حينما دعوتموهم إلى التوحيد والعمل بطاعتي ؟ وهو أعلم بما أُجيبوا ، وإنما سأل ذلك السؤال للرسل لتوبيخ المرسَل إليهم ، ولقيام الحجة عليهم ثم محاسبتهم .

فيجيب الرسل : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : لم يكن ذلك من الرسل إنكاراً أن يكونوا عالمين بما عملت أممهم ، ولكنهم ذُهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ، فلما سُئلوا قالوا : لا علم لنا[١].

ويُوضح ذلك ابن القيم – رحمه الله – : أنّ الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – قالوا : لا علم لنا ، قالوه تأدّباً معه سبحانه ؛ إذ ردّوا العلم إليه ، وقيل : لا علم لنا بحقيقة الباطن ، وإنّما أجابنا من أجابنا ظاهراً والباطن غيب وأنت علاّم الغيوب . أما من قال إنه معناه : ماذا عملت الأمم بعدكم ؟ وماذا أحدثوا ؟ فتأويل لا معنى له؛ لأنّ الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدهم إلا ما أعلمها الله من ذلك[٢] .

٢- أن الرسل بلّغت البلاغ الواضح المبين ، الذي يفهمه المرسَل إليهم ، ولا يلتبس ، ولا يشتبه الحق بغيره ؛ فلم يكتموا حرفاً ، و لم يُغيروه ، و لم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً و لم يُنقصوه . فكان بلاغهم ظاهراً بيّناً يصل إلى القلوب ، ولا يبقى لأحد على الله حجة بعد تبليغ الرسل .

قال الإمام ابن أبي العز – رحمه الله – : (( ومن جملة الإيمان بالرسل الإيمان بأنّهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به ، وأنّهم بيّنوا بياناً لا يسع أحداً ممن أُرسلوا إليه جهلُه ، كما أنّهم معصومون في الإخبار عن الله تعالى))[٣].

كما أنّ الآية جاءت في معرض الرد على شبهة من احتج بالقدر على الشرك ، كما قال

(١) تفسير الطبري ٧ /١٢٥ – بتصرف –.

(٢) انظر : مدارج السالكين ٣ /٣٩٠ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٩ .

تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾[1] .

فأبطل الله تعالى تلك الحجة التي احتجوا بها على باطلهم من الشرك ، وتحريم ما أحلّ الله لهم . وذلك من ثلاثة أوجه :

١- أنّ العقل يقتضي أنّ الله كلّفهم وجعل لهم قدرة ومشيئة تصدر عنها أفعالهم .

٢- أنّ تمسكهم بهذه الحجة الباطلة لردّ الحق الذي جاءت به الرسل، وإلا فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله ؛ فإن الله أمرهم ونهاهم ومكّنهم من القيام بما كلفهم به .

٣- أن الرسل بلّغوهم رسالات الله تعالى البلاغ البيّن الظاهر؛ فلا يبقى لأحد على الله حجة بعد تبليغ الرسل [2] .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية – رحمه الله-: ((بيّن سبحانه أن هذا الكلام تكذيب للرسل فيما جاؤوهم به ليس حجة لهم . فإن هذا لو كان حجة لاحُتج به على تكذيب كل صدق، وفعل كل ظلم، ففي فطرة بني آدم أنه ليس حجة صحيحة، بل من احتج به احتج لعدم العلم واتباع الظن كفعل الذين كذبوا الرسل بهذه المدافعة، بل الحجة البالغة لله بإرسال الرسل وإنزال الكتب ))[3].

---

(١) سورة النحل ، آية ٣٥ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٥٦٩ ، وتفسير السعدي ص ٤٤٠ ، وانظر : شبهة القدرية : الفتاوى ٨/٤٥٣، التبيان في أقسام القرآن ص٤٢ ، شفاء العليل ص١٢٦ .

(٣) منهاج السنة ٣ /٦٠ .

## المطلب الثاني : قيام الحجة على الخلق ببعثة الرُّسل عليهم الصلاة والسلام

إنّ الله تعالى لا يُعذب أحداً ممن خلقه حتى يقيم الحجة عليه ، بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب المقتضية لصدق الرسالة ، وجلاء الحق ووضوحه ، وقد جاء ذلك في مواطن من كتابه منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَـٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَـٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴾[(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ( لم ) . والمراد منه : التقرير ، وهو : التحقيق والإثبات ، أي : قد جاءتكم رسلٌ منكم يقصون عليكم آياتي ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، ويُرْدِفُ عليه التقريع والتوبيخ للكفرة على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر ومعصية الله [(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[(٣)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ( لم ) . والمراد منه : التقرير ، وهو التحقيق والإثبات أي: قد أتاهم نبأُ الذين من قبلهم ... ويردف عليه : التذكير بأنباء الماضين [(٤)].

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٣٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨ / ٣٥ ، والكشاف ٢ / ٥١ ، وتفسير ابن كثير ٢ / ١٧٨ ، والتسهيل لعلوم التنْزيل ٢ /٢١ .

(٣) سورة التوبة ، آية ٧٠ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٥ /٧٠ ، والفتاوى لشيخ الإسلام ١٦ /٣٤٠ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( ...مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ؟)

والأداة فيه : ما . والمراد منه : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بموقفهم من دعوة الرسل – عليهم السلام – [2].

وقول الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ ... ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـ( لم ) . والمراد منه : التقرير ، وهو التحقيق والإثبات ، أي : قد أرسلنا إليكم رسلاً ويردف عليه : التقريع والتوبيخ [4].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ.. ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو و لم . والمراد منه : التقرير ، وهو التحقيق والإثبات ، أي : قد أتتكم رسلكم بالبينات ، ويردف عليه الإلزام والتوبيخ [6].

---

(١) سورة القصص ، آية ٦٥ .

(٢) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٣ /٢٠٨ .

(٣) سورة الزمر ، آية ٧١ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٤ /٨٨ ، وتفسير البيضاوي ٥ / ٧٩ ، وتفسير ابن كثير ٤ /٦٦ ، وتفسير أبي السعود ٧ /٢٦٤ ، وفتح القدير ٤ /٤٧٦ ، وروح المعاني ٢٤ / ٣٢ .

(٥) سورة غافر ، آية ٥٠ .

(٦) انظر : الكشاف ٤ / ١٧٩ ، وتفسير البيضاوي ٥ / ٩٧ ، وتفسير أبي السعود ٧ / ٢٨٠ ، وفتح القدير ٤ /٤٩٥ ، وروح المعاني ٢٤ /٧٦ .

وقول الله تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) . والمراد منه : التقرير ، وهو التحقيق والإثبات أي : قد جاءكم نذير . ويردف عليه : التقريع والتوبيخ [(٢)].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أنّ قيام الحجة على الخلق بإرسال الرسل المبلغين عن ربهم الطريق الموصل إليه من بيان دينه وشرعه ، وأنّ الله تعالى لا يُعذّب أحداً من الخلق حتى يُقيم الحجة عليه ، ويتضح ذلك من عدة جوانب :

١- أن الرسل جاءت بالبينات والحق من عند الله تعالى، فلم تترك في الحق لبساً ولا شبهة ، ولكن الكافر - لشدة تعصبه للكفر - لا يكاد يفكر في الأدلة التي هي كالشمس في رابعة النهار لجاجاً في الباطل وعناداً [(٣)].

كما قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ.. ﴾ [(٤)].

أي : بالبراهين القاطعة والأدلة الدامغة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (( إنّ أصول الدين التي بعث الله بها رسله قد بيّنها الله في القرآن أحسن بيان ، وبيّن دلائل الربوبية والوحدانية ، ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبينّ دلائل نبوة أنبيائه ، وبيّن المعاد ، وبيّن إمكانه وقدرته عليه ، فكان في بيان الله - تعالى - أصول الدين الحق بيان دين الله ، وهي أصول ثابتة صحيحة ؛ فتضمنت بيان العلم النافع والعمل الصالح، وأنّ ما بعث الله به الرسل حق ثابت دلت عليه الأدلة السمعية والعقلية))[(٥)].

---

(١) سورة الملك ، آية ٨ .

(٢) انظر : الكشاف ٤ / ٥٨٣ ، وتفسير البغوي ٤ /٣٧٠ ، وتفسير البيضاوي ٥ /٣٦٢ ، وتفسير أبي السعود ٩ /٥ ، وتفسير الجلالين ص ٧٥٥ .

(٣) انظر : أضواء البيان ٢ /١٣ .

(٤) سورة غافر ، آية ٥٠ .

(٥) النبوات ص ١٥٥ .

٢- أنّ الله تعالى رتّب الفوز والفلاح على اتباع الرسل المتضمن امتثال أمر الله واجتناب نهيه، كما رتبّ الشقاء على مخالفة الرسل المتضمن عصيان الله تعالى ، فالرسل كما أنّهم مبلّغون عن الله تعالى دينه وشرعه فهم منذرون من عذابه وبأسه لمن خالف أمره كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [١] [٢].

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( إنّ العذاب يُستحق بسببين :

أحدهما : الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها .

الثاني : العناد لها بعد قيامها ، وترك إرادة موجبها ، فالأول : كفر إعراض ، والثاني : كفر عناد ، وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكُّن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل )) [٣].

وذلك حينما يسألهم تعالى عند لقائه : ماذا أجبتم المرسلين؟ فلا ينجي في هذا الموقف إلا التصريح بالجواب الصحيح المطابق لأحوالهم ، ولكن لما علموا تكذيبهم للرّسل لم ينطقوا بشيء، فعميت عليهم الحجة، فلم يدروا ما يحتجون به؛ لأنّ الله تعالى أبلغ إليهم المعذرة ، وتابع عليهم الحجة، فلم تكن لهم حجة يحتجون بها تنجيهم وتخلّصهم من ذلك الموقف[٤].

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( وإنما يسأل الناس في قبورهم ويوم معادهم عن الرسول – ﷺ – فيقال له في قبره : ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ... ) ولا يسأل أحد قط عن إمام ولا شيخ ولا متبوع غيره ، بل يُسأل عمّن اتبعه وائتّم به، فلينظر بماذا يجيب ، وليعدّ للجواب صواباً )) [٥] .

٤- أنهم أقروا على أنفسهم بقيام الحجة عليهم وأنّ الرسل بلغتهم رسالات الله تعالى . كما قال تعالى عنهم : ﴿ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [٦].

(١) سورة الملك ، الآيتان ٨ – ٩ .
(٢) انظر : تفسير الطبري ٨ /٣٥ ، وتفسير السعدي ص ٢٧٤ .
(٣) طريق الهجرتين ص ٦١١ .
(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٠ / ٩٨ ، وتفسير ابن كثير ٣ /٣٩٨ ، وتفسير السعدي ص ٦٢٢ .
(٥) أعلام الموقعين ٤ /٢٣٦ .
(٦) سورة الأنعام ، آية ١٣٠ .

وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [1].

فبيّنوا أنّ المانع لهم من اتباع الرسل الاغترار بالحياة الدنيا ، وأقروا على أنفسهم أنهم كذبوا الرسل بكل ما أنزل الله تعالى ، بل أعلنوا ضلال المرسلين إليهم ، فأي عناد وتكبر يشبه هذا ! واعترفوا بعدم أهليتهم للهدى والرشاد ، كما أخبر الله تعالى [2] عنهم : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [3].

فإنّ الله سبحانه أقام الحجة على خلقه بكتابه ورسله ، فكل من بلَغه هذا القرآن فقد أُنذر به ، وقامت عليه حجة الله به . كما أنّ الله تعالى لا يُعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسل إليه، كما أخبر الله تعالى عن أهل النار أنّهم إنّما دخلوها لمخالفة الرسل[4].

٥- أنّ الله تعالى حثَّ على الاعتبار بمن خالف رسله من الأمم السابقة المكذبة للرسل ، قوم نوح وما أصابهم من الغرق لجميع أهل الأرض إلا من آمن ، وعاد كيف أهلكوا بالريح العقيم لما كذبوا هوداً – عليه السلام – ، وثمود كيف أخذهم الصيحة لما كذبوا صالحاً – عليه السلام – وعقروا الناقة ، وقوم إبراهيم كيف نصره الله عليهم وأيده بالآيات الظاهرة وأهلك نمرود بن كنعان ، وقوم شعيب – عليه السلام – وكيف أصابتهم الرجفة وعذاب يوم الظلة ، والمؤتفكات قوم لوط أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي الله لوط – عليه السلام – وإتيانهم الفاحشة .

فقد جاءهم الرسل بالبينات والحجج والدلائل القاطعات ، فما كان الله ليظلمهم بإهلاكه إياهم ؛ لأنّه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل ؛ ولكن ظلموا أنفسهم بتكذيبهم رسل الله ومخالفتهم للحق [5].

---

(١) سورة الملك ، آية ٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٤/ ٧٤ ، وتفسير السعدي ص ٨٧٦ .

(٣) سورة الملك ، آية ١٠ .

(٤) انظر : الصواعق المرسلة ٢/ ٧٣٥ ، ودرء التعارض ٥/ ٢٠٥ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٠ / ١٧٧ ، والبحر المحيط ٥/ ٧٠ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٦٩ .

# المبحث الثاني

## إنكار الكفار من المشركين واليهود والنصارى للرسالة

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الكفر برسل الله -عليهم الصلاة والسلام-.

المطلب الثاني : دعوى بشرية الرسل -عليه السلام -.

المطلب الثالث : دعوى أنّ الرسل- عليهم السلام- اعتراهم السحر والجنون وأنهم شعراء .

المطلب الرابع : مقابلة رسل الله بالأذى والقتل .

المطلب الخامس : مقابلة رسل الله - عليهم السلام- بالسخرية والاستهزاء والتحدّي.

إنّ الأمم الكافرة تواطأت على الطغيان والكفر لردّ كُلِّ ما يؤدي إلى الحق ، فتصدّت للرسل الذين بعثهم الله تعالى رحمة للناس وهدى ونوراً ، بالكفر والطغيان والاستعلاء على ما أيّد الله تعالى به رسله من الآيات البينات التي لا يُنكرها إلا مكابر ؛ وذلك لوضوح الحق وجلائه ، فلا يخفي على أفراد الناس وجماعتهم .

إلا أنّ عمى البصيرة حجب قلوبهم عن رؤية الحق ، فجابهوا الحق با لباطل ، فما بعث الله من رسول إلا ابتدره الطغاة بالتكذيب والاعتراض على الرسالة بدعوى بشرية حملتها تارة ، ودعوى الجنون والسحر والكهانة تارة ، ودعوى الشعر تارة ، والهمز واللّمز والسخرية تارة . وما ذاك إلا تعمية للحق ، وإثارة للشبه عند عامة النّاس ، وإمالةً عن الحق الذي جاء من عند الله .

إضافة إلى ما نالته الرسل من الأذى والقتل كما حصل من اليهود لأنبيائهم، والتحدّي للرسل – عليهم السلام– والتهوين من عذاب الله باستعجال نزوله تكبراً وجحوداً .

كما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [1] .

والمتأمل لكتاب الله تعالى يعلم ما حكاه الله عن الرسل وأممهم وما تكبدُّوه لاستنقاذ البشرية من رق عبودية الشيطان إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وسنتناول جزءاً منه في هذا المبحث .

(١) سورة الأنفال ، آية ٣٢ .

## المطلب الأول : الكفر برسل الله عليهم الصلاة والسلام

إنّ الله لم يبعث رسولاً إلا قُوبل بالكفر والتكذيب، لا سيما من الأشراف والأكابر من أمته دون الضعفة ، وقد جاء ذلك موضحاً في مواطن من القرآن : منها ما ورد بأسلوب الاستفهام .

كقوله تعالى :﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾؟

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، والسخرية بمن آمن بنبي الله صالح – عليه السلام – لغرض التشكيك والصدّ عن سبيل الله[(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [(٣)] .

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام :

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ( لم ) . والمراد منه : التقرير ، وهو التحقيق والتثبيت بأنّهم علموا بحال الأمم السابقة قوم نوح وعاد وثمود . ويردف عليه التوبيخ لهم على عدم الاعتبار بحال تلك الأمم مع علمهم بها[(٤)].

وقول الله تعالى : ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [(٥)] .

---

(١) سورة الأعراف، آية ٧٥.

(٢) انظر: الكشاف ٢/١١٦ ، وتفسير أبي السعود ٣/٢٤٣، وروح المعاني ٨/١٦٤، وفتح القدير ٢/٢٢٠.

(٣) سورة إبراهيم ، آية ٩ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٥ /٣٩٧ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية ٦ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ؟ )

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : النفي ويردف عليه التوبيخ والتقريع ؛ أي : لا يكون الإيمان منهم أبداً؛ فإنّه لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات[١].

وقول الله تعالى : ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [٢] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ ... ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ولو . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آباءكم [٣].

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٤] .

ورد في الآية أسلوبا الاستفهام : الأول في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ...؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة ، وهو بمعنى : أخبروني إن أماتني الله ومن آمن بي أو رحمنا[٥].

والثاني : في قوله تعالى : ﴿ فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ... ﴾ ؟

والأداة فيه : مَنْ مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار والنفي ، أي : لا ينجيكم من عذاب الله تعالى أحد [٦].

دلالة الآيات :

إنّ من أعظم المواقف التي يتصدى بها أعداء الرُّسل لردّ الرسالة هو كفر الاستكبار والتكذيب ، على الرغم من بعثة الرسل مُؤَيَّدين بالبينات التي تستلزم صدقهم .

---

(١) انظر : فتح القدير ٣/٣٩٨ – ٣٩٩ ، وتفسير السعدي ص ٥١٩ .
(٢) سورة الزخرف ، آية ٢٤ .
(٣) انظر : الكشاف ٤ /٢٤٩ ، وتفسير أبي السعود ٨ /٤٤ ، وروح المعاني ٢٥ / ٧٥ .
(٤) سورة الملك، آية ٢٨ .
(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٩/ ١٠ ، وفتح القدير ٥ /٢٦٥ .
(٦) انظر : تفسير أبي السعود ٩ /١٠ .

**ويتضح ذلك من عدة جوانب :**

١- أنّ أعداء الرسل اتفقـــوا على رد الدلالات الو اضحة التي جاء بها الرسل ، ومن ثم الكفر بهم ، ففي آية سورة إبراهيم فإنّ ذكر الله تعالى ما أحلّه بالأمم المكذب ــة من العقاب حينما كذبوا رسل الله ؛ فقد جاءت الرسل من قوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم ، بالأدلة الدالة على صدق ما جاؤوا به ، فلم ينقادوا بل استكبروا عنه؛ ، وردوا أيديهم في أفواههم، ثمّ قالوا صريحاً لرسلهم : إنّا كفرنا بما أرسلتم به ، ونحن في شك وريبة من أمركم . وقد ذكر الله تعالى حال هؤلاء تخويفاً لعباده أن يخالفوا رسله ، فيحلّ بهم ما حلّ بهؤلاء ! [١].

٢- أنّ الكفر بالمرسلين كان ناشئاً عن التقليد الأعمى للآباء والأسلاف ؛ فلذلك أنكر الله تعالى عليهم : أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آباءكم ؟ فكان جوابهم لرسل الله : أنّهم كافرون بما جاؤا به .

قال ابن القيم - رحمه الله - : «فإن الكفار لجؤوا إلى تقليد الآباء ، وظنوا أنه م نجيهم لإحسانهم ظنهم بهم ، فحكم ا لله بينهم أن أمر رسوله بأن يقول : أولو جئتكم بأهد ى ممّا وجدتم عليه آباءكم؟ فأخبر عن بطلان هذه الحجة ، وأنها لا تنجي من عذاب الله تعالى»[٢].

٣- حرص الأمم الكافرة على التشكيك بشأن الرسل والسخرية منهم لتنفير عامة الناس منه م، ومن ذلك ما حكاه الله عن قوم صالح . فقد تحدّث السادة والأشراف بشأن صالح إلى أهل الضعف والمسكنة ممّن آمن به : ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ؟﴾ ، والقصد من ذلك التشكيك في دعوى رسالته من عند الله ؛ فكانت إجابة الضعفاء منهم أنّهم مؤمنون بما جاء به صالح ، أما هؤلاء المستكبرون فقد أعلوا لهم أنّهم بما أرسل به كافرون، جاحدون للحق الذي جاء به .

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - : قال الملأ الذي استكبروا لأهل المسكنة من أتباع صالح والمؤمنين به منهم دون ذوي شرفهم وأهل السؤدد منهم : أتعلمون أنّ صالحاً مرسل من ربه إلينا وإليكم ؟ قال الذين آمنوا من المستضعفين منهم : إنا بما أرسل الله به صالحاً من الحق

(١) انظر : تفسير البغوي ٣ /٢٧ ، وفتح القدير ٣ / ٩٧ ، وتفسير السعدي ص ٤٢٢ .
(٢) بدائع الفوائد ٤ /٩٨٠ .

والهدى مؤمنون مصدقون ، وقال الذين استكبروا : إنا أيُّها القوم بالذي آمنتم به من نبوة صالح وأنّ الذي جاء به حق من عند الله، كافرون جاحدون منكرون، لا نصدق به ولا نقر[1].

٤- جرت سنة الله تعالى أنّ مَنْ طلب الآيات من الرسل ثم حصلت له ، فلم يؤمن أن يعاجله الله تعالى بالعقوبة والهلاك، فكفار قريش حينما سألوا النبي - ﷺ- الآيات ثم يؤمنون به ، نفى الله تعالى دعواهم، فإن الإيمان لن يكون منهم كما هو حال الأمم المهلكة[2] .

قال ابن كثير : (( ... هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات ، والدلائل البينات على يدي رسول الله - ﷺ- ما هو أظهر وأجلى وأبهر وأقطع مما شوهد مع غيره من الأنبياء ))[3].

٥- حرص كفار قريش على هلاك النبي -ﷺ - ومن آمن معه ؛ فقد كانوا يتربصون بهم ريب المنون ، فأمر الله تعالى نبيه - ﷺ- أنّ يخبرهم . فإن تحقق لكم ما تمنيتموه وأهلكني الله تعالى ومن معي فليس ذلك بنافع لكم شيئاً ؛ لأنكم كفرتم بآيات الله ، واستحققتم العذاب ، فمن يمنعكم من عذاب الله وسخطه ؟ فخلصوا أنفسكم فإنه لا منقذ لكم من الله إلا بالتوبة والإنابة والرجوع إلى دينه[4].

---

(١) تفسير الطبري ٨ /٢٣٢ - بتصرف - .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤/١٧ ، وتفسير السعدي ص ٥١٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ١٧٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٩ /١٢ ، وتفسير الواحدي ٢ /١١١٩ ، وتفسير ابن كثير ٤ /٤٠٠ ، وتفسير السعدي ص ٨٧٨ .

## المطلب الثاني : دعوى بشرية الرسل عليهم السلام

إنّ من حكمة الله تعالى أن بعث الرسل بشراً يجري عليهم ما يجري على البشر من الطبائع ، ليكونوا مثالاً واضحاً لأممهم إ لا أنّ الإصرار على الباطل اعترض على هذه الحكمة الإلهية فهلاَّ حضي الرسل بالطبيعة الملائكية ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في مواطن من كتابه منها ماورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1].

ورد في هذه الآية استفهامان :

الأول : في قوله تعالى : ( هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ؟)

والأداة فيه : هل . والمراد منه : النفي ، أي لا يستوي الأعمى والبصير [2].

الثاني : في فاصلة الآية ( ...أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ولا . والمراد منه : الإنكار التوبيخي على عدم اعمال الفكر [3].

وقول الله تعالى:﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾[4].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا ...﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار أي : إنكار الله تعالى تعجب قريش من بعثة محمد – ﷺ– وهو بشر ؛ تعجب لا صحة له عقلاً وشرعاً[5] .

(١) سورة الأنعام ، آية ٥٠ .
(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٣ /١٣٧ ، وروح المعاني ٧ /١٥٦ ، وفتح القدير ٢ /١١٩ .
(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٣ /١٣٧ ، وروح المعاني ٧ /١٥٦ .
(٤) سورة يونس ، آية ٢ .
(٥) انظر : الكشاف ص ٤٥٥ ، وتفسير أبي السعود ٤ /١١٦ ، وروح المعاني ١١ /٥٩ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ ... أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار والتعجب من أن يبعث الله تعالى بشراً رسولاً(٢).

وقول الله تعالى : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (٣).

ورد أسلوبا استفهام في الآية :

الأول : في قوله : ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ ﴾ ؟

والأداة فيه ( هل ) . والمراد منه : النفي ، أي ما هذا رسول ، وإنما هو بشر مثلكم لا يتميز عنكم (٤).

والثاني : في قوله تعالى : ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي أتقبلون السحر وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر ، يعنون بذلك القرآن (٥).

وقول الله تعالى : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ (٦).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾؟

---

(١) سورة الإسراء ، ٩٤ .

(٢) انظر : زاد المسير ٥ /٨٩ ، الكشاف ٢ /٦٤٩ ، والبحر المحيط ٦ /٧٩ ، وفتح القدير ٣ /٢٦٠ ، وروح المعاني ١٥ /١٧١ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية ٣ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٦ /٥٤ ، وروح المعاني ١٧ /٧ ، وفتح القدير ٣ /٣٩٨ .

(٥) انظر: الكشاف ٣ /١٠٣ ، وتفسير أبي السعود ٦/٥٤ ، وروح المعاني ٩/١٧ ، وفتح القدير ٣ /٣٩٨.

(٦) سورة المؤمنون ، آية ٤٧ .

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار على موسى وهارون – عليهما السلام– والاعتراض على إرسالهما لكونهما بشرين ، كما أنّ قومهم خادمون لفرعون وقومه [1].

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ ... ﴾ ؟

والأداة فيه : ما مقترنة باللام . والمراد منه : الإنكار لشأن هذا الرسول الذي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق[3] ، وهما من صفات البشر .

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ... ﴾؟

والأداة فيه : الهمزة. والمراد منه : التقرير والحث على الصبر على اتباع الرسول البشري، وفي الكلام معادل محذوف مقدر : أتصبرون أم لا ، والمراد : اصبروا فإني ابتلَيت بعضكم ببعض [5].

وقول الله تعالى : ﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴾ [6].

ففي الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول في قوله : ﴿ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ ﴾ ؟

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٦ /١٣٦ ، وفتح القدير ٣ /٤٨٥ .
(٢) سورة الفرقان ، آية ٧ .
(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٦ /٢٠٤ ، وروح المعاني ١٨ /٢٣٧ .
(٤) سورة الفرقان ، آية ٢٠ .
(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٦/٢١٠ ، وروح المعاني ١٨ / ٣٥٥ ، وفتح القدير ٤ /٦٩ .
(٦) سورة القمر ، آية ٢٤، ٢٥ .

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أفرداً من جملتنا نتبعه في دعوى الرسالة [(١)].

والثاني : في قوله : ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار والنفي ، أي : لم يلقَ عليه الذكر وإنما هو كذاب مُفْتَرٍ [(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ؟ )

والأداة فيه: الهمزة، والمراد منه: الإنكار والتعجب من أن يكون الرسل بشراً [(٤)].

دلالة الآيات :

ذكر الله تعالى موقف الأمم الكافرة من بعثة الرسل إليهم ، وأنّهم واجهوا دعوة الرسل بالرد والتكذيب بدعوى أنّ الرسالة لا يتحمّلها البشر، وإنّما لو أراد الله بعثة الرسل لأرسل ملائكة يبلّغون الرسالة عنه تعالى ، وقد أبطل الله تعالى هذه الدعوى وما يلحق بها من عدة جوانب :

١- أن الرسول يكون من جنس المرسل إليهم ، فهم بشر يحتاجون إلى ما يحتاج إليه البشر من المأكل والمشرب تعرفون صدقهم وصلاحهم ، يسهل عليكم مراجعتهم ، ويتحقق التلقي عن الرسل كما وضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [(٥)].

---

(١) انظر : الكشاف ٤ /٤٣٧ ، والصواعق المرسلة ٢ /٧٢١ .

(٢) انظر : زاد المسير ٨ /٩٧ .

(٣) سورة التغابن ، آية ٦ .

(٤) انظر : الكشاف ٤/٥٤٢ ، وتفسير البيضاوي ٥/٣٤٥ ، وفتح القدير ٥ /٢٣٥، وروح المعاني ٨ /١٢٢ .

(٥) سورة الإسراء ، آية ٩٥ .

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ذلك بقوله : (( ولا ريب أن منكري النبوات لهم شبه منها : إنكار أن يكون رسول الله بشراً ، فإنّ الكفار كانوا يقولون : إنّما يرسل الله ملكاً أو يرسل مع البشر ملكاً ، فبيّن تعالى أنه لو أنزل ملكاً لكان يجعله في صورة البشر ليأخذوا عنه ، ولهذا لم يكن البشر يرون الملائكة إلا في صورة الآدميين ، ولا يحصل مقصودهم ، إذ كانوا يقولون : هو بشر لا ملك )) [1].

فنعلم بذلك أنّ البشرية لا تنافي الرسالة ، بل ذلك رحمة للعباد ، حتى يتمكنوا من مخاطبة الرسل والأخذ عنهم .

٢- أن المشركين طلبوا من الرسول – ﷺ – ما هو خارج عن العادة البشرية حتى يؤمنوا له، فقالوا ما حكاه الله عنهم : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ [2].

فأرادوا بذلك التعجيز للرسول – ﷺ –؛ فليس في مقدور البشر أن يأتوا بذلك إلا بمشيئة الله تعالى ، ولو أراد تعالى ذلك لفعله ولأجابهم إلى جميع ما سألوا ، ولكن الله تعالى علم أنّهم لا يهتدون ؛ ولذلك أمر الله تعالى المصطفى – ﷺ – أن ينزه خالقه ، فهو الفعّال لما يريد، وأن يبيّن حاله وهي أنه رسول يبلغ الناس رسالات ربه ولا يملك التصرف في الكون[3].

٣- أنّهم اعترضوا على الرسالة بدعوى بشرية الرسول – ﷺ – ، وجريان الحاجة البشرية عليه من أكل الطعام والمشي في الأسواق لابتغاء الأرزاق كما يفعله غيره من الناس ، فأبطل الله تعالى هذه الدعوى مخبراً أنّ جميع الرسل الذين بعثهم كانوا يأكلون الطعام ويحتاجون إلى

---

(١) انظر : النبوات ص ١٧٦ ، وانظر : شفاء العليل ص ١٩٧، والانتصار في الرد على القدرية الأشرار ١/٢٨٢.

(٢) سورة الإسراء ، الآيات ٩٠ – ٩٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣ /٦٥ .

ما يحتاج إليه الناس من الاكتساب والتجارة وغيرهما ، وذلك لا ينافي حالهم وما ميزهم الله تعالى به من تحمّل الرسالة وتبليغها للخلق . وإنّما جعل الله ذلك ابتلاء وامتحاناً لمن يطيع الله تعالى أو يعصي الله تعالى .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : « وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ؟ وجواب لهم عنه يقول لهم جلّ ثناؤه : وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ﴿ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ من أكلك الطعام ، ومشيك في الأسواق وأنت لله رسول ، فقد علموا أنّا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق كالذي تأكل أنت وتمشي ، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة »[1].

٤- أنّ الأمم الكافرة في قديم الدهر وحديثه اتفقت وتواطأت على الباطل ورد الحق بالباطل كما حصل من كفار قريش ، ويتناجون فيما بينهم أن محمداً – ﷺ – يدعي الرسالة وهو بشر فما الذي فضله عليكم وخصه من بينكم ؛ فلا تطيعوه ولا تصدقوه ، فهو ساحر فانفروا منه ، ونَفِرِّوا الناس منه ، وهم يعلمون أنه رسول الله حقاً، ولكن حملهم على ذلك الشقاء والعناد؛ وقد أحاط الله تعالى بما تناجوا به وسيجازيهم على ذلك عند لقائه[2] .

٥- أنّ الله تعالى أمر نبيه – ﷺ– أن يُبيّن أنه بشر فلا يملك مفاتيح الرزق والرحمة ، وأنه لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله ، ولا يدعي أنه ملك فوق منْزلته، بل هو بشر غايته أن يتبع ما أمره الله تعالى به ويدعو الخلق لذلك ؛ ولذلك أنكر عليهم أنّه لا يستوي الضال الذي هو في عمى عن الهداية الربانية ، والبصير المهتدي ، فهلاّ أعملتم عقولكم للتفكر في عدم استوائهما [3].

---

(١) تفسير الطبري ١٨ /١٩٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧ /٢ ، وتفسير ابن كثير ٣ /١٧٤ ، وتفسير السعدي ص ٥١٨ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢ /١٣٥ ، وفتح القدير ٢ /١١٩ ، وتفسير السعدي ص ٢٥٧ .

## المطلب الثالث : دعوى أنّ الرسل عليهم السلام اعتراهم السحر والجنون وأنهم شعراء

إنّ الأمم الكافرة لم تترك سبيلاً لردّ الحق إلا سلكته ، فقد اتهمت الرسل بالجنون ، والسحر ، وقول الشعر ، وغيرها من الأمور التي ظهر للعيان سلامة الرسل منها ، وقد ورد ذلك موضحاً في كتاب الله تعالى : منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ؟ )

والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء واسم الإشارة ( ذا ) ، والاستفهام حقيقي ؛ فإن حاشية فرعون تساءلوا : ماذا تأمرون حيال موسى وما جاء به من السحر .

وقول الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا.. ؟)

والأداة فيه الهمزة التي حذفت أي : أ ئّن لنا لأجراً .. [3]. والاستفهام حقيقي؛ فإن السحرة سألوا فرعون عن الأجر الذي يتقاضونه تجاه مواجهة موسى – عليه السلام – .

قول الله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [4].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو و ( لم ) . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، ويردف عليه: التعجيب ، والواو للعطف على مقدر أي : أكذبوا بها و لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنّة[1].

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١١٠ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١١٣ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٣ /٢٥٩ ، وفتح القدير ٢ /٢٣٢ .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٨٤ .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ۝٧٧ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [٢].

ورد في هاتين الآيتين ثلاثة استفهامات :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ .. ؟

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي .

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ أَسِحۡرٌ هَٰذَا ... ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي .

الثالث : في قوله تعالى : ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا... ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي [٣].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [٤].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا ... ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار أي : إنكار الواقع واستقباحه وادعاء أنه أمر محال [٥].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴾ [١].

---

=

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٣ /٢٩٨ ، وروح المعاني ٩ /١٢٧ .

(٢) سورة يونس ، آية ٧٧، ٧٨ .

(٣) انظر: الاستفهامات الثلاثة : الكشاف ٢/٣٤٤ ، وتفسير البيضاوي ٣/٢١٠ ، وتفسير القرطبي ٨/٣٦٦ ، وتفسير أبي السعود ٤ /١٦٨ ، وروح المعاني ١١ /١٦٤ .

(٤) سورة طه ، آية ٥٧ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٦ /٢٣ ، وفتح القدير ٣ /٣٧٠ ، وروح المعاني ٣ /٣٧٠ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۗ ؟)

والأداة فيه : الهمزة . وأم هنا متصلة ، أي : أكاذب أم به جنون . والمراد منه : التقرير ؛ فيفيد ثبوت أحد الحالين للخبر [٢].

وقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾ [٣].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ... ) ؟

والأداة فيه الهمزة مقترنة بالواو و لم . والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بكفرهم وعنادهم ومخالفتهم لنبي الله موسى – عليه السلام – [٤].

وقول الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [٥].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ... ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(إنا). والمراد منه : الإنكار التوبيخي والاستبعاد [٦].

وقول الله تعالى : ﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [٧].

صُدّرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله : (أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ...؟)

والضمير في به عائد على قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [٨].

=

(١) سورة سبأ ، آية ٨ .

(٢) انظر : فتح القدير ٤ /٣١٣ ، وروح المعاني ٢٢ /١١٠ .

(٣) سورة القصص ، آية ٤٨ .

(٤) انظر : فتح القدير ٤ /١٧٧ ، وروح المعاني ٢٠ /٩١ .

(٥) سورة الصافات ، آية ٣٦ .

(٦) انظر : التحرير والتنوير ٢٣ /١٠٧ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ٣ /٣٦٠ .

(٧) سورة الذاريات ، آية ٥٣ .

(٨) سورة الذاريات ، آية ٥٢ .

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتعجب من حالهم وإجماعهم على الاتهامات الباطلة حيال رسول الله -ﷺ- [1].

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [2].

وقوله : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [3].

ففي الآيات أربعة استفهامات :

الأول : في قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ ..)؟ وأم هنا منقطعة ، تُقدَّر بـــ(بل) والهمزة أي : بل أيقولون شاعر ...

والمراد منه: الإنكار الإبطالي، فليس محمد -ﷺ- شاعراً، بل رسول من عند الله[4].

الثاني : في قوله تعالى: (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ؟) وأم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة.

والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ فإن عقولهم تميز صدق الرسول -ﷺ - ، وأنه بريء من الكهانة والشعر والجنون [5].

الثالث : في قوله : (أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ؟) وأم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة .

والمراد منه : التقرير واعتراف أنّهم قوم طاغون [6].

الرابع : في قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ؟) وأم هنا منقطعة، تُقدَّر بـــ : ( بل والهمزة) أي : بل أيقولون تقوّله .

والمراد منه : الإنكار الإبطالي ؛ فإن النبي - ﷺ- لم يتقول القرآن من عند نفسه [1].

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٤ /٢٣٥ ، وزاد المسير ٤٢/٨ ، وتفسير أبي السعود ٨ / ١٤٤ ، وفتح القدير ٥ /٩٢، وروح المعاني ٢٧/ ١٩ .

(٢) سورة الطور ، آية ٣٠ .

(٣) سورة الطور ، آية ٣٢ ، ٣٣ .

(٤) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم ١ /٢١٣ ، وفتح القدير ٥ /٩٩ ، والتحرير والتنوير ٢٧ /٦١ .

(٥) انظر : فتح القدير ٥ /٩٩ ، والتحرير والتنوير ٢٧ /٦٣ .

(٦) انظر : فتح القدير ٥ /٩٩ ، والتحرير والتنوير ٢٧ / ٦٤ .

وقول الله تعالى:﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[2].

ورد أسلوب الاستفهام في عجز الآية : ( ...فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) ؟

والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء وذا . والاستفهام حقيقي ؛ فإن فرعون يستشير بطانته في أمر التصدي لموسى - عليه السلام - .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على موقف الأمم الكافرة من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ، فنلحظ في هذه الآيات أنّ هؤلاء ألبسوا الرسل بما ليس فيهم من السحر والجنون والشعر، وهكذا عادة كل مَنْ خالف الحق على مرّ التاريخ أن يكسي الحق كساءً تنفر منه النفوس، وأنّى لهم ذلك ! فإنّ الله تعالى مُتِمُّ نوره ولو كره الكافرون ؛ فنتناول كل واحد منها على حدة :

الأول : اتهام الرسل -عليهم السلام- بالسحر ، والسحر له حقيقة مؤثرة في بدن المسحور أو عقله ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه . ولما كان الساحر يأتي بالخوارق الشيطانية المؤثرة بإذن الله ، زعم مخالفو الرسل أنّ ما جاؤا به من الحق سحر ؛ وذلك ليلبّسوا على عوامهم ، ويُعمّوا الحق الذي جاؤوا به من عند الله .

ففي هذه الآيات التي هي محلّ دراستنا قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وملئه، فإنّ موسى - عليه السلام - لما دعاه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأظهر له الآيات والبراهين الدالة على صدقه ، زعم فرعون وملؤه أنّ ما جاء به موسى سحر فيخيّل للناس العصا حية والشيء على خلافه ولا حقيقة لذلك ؛ ولذلك وصفوه بالسحر مع علمهم بأنّ حال موسى - عليه السلام - وما جاء به ليس كحال السحرة ، وركزوا في تلك الدعوى الباطلة على وصف موسى - عليه السلام - بوصفين :

١ - قالوا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

=

(١) انظر : بدائع الفوائد ١ /٢١٣ ، وأضواء البيان ٧ /٤٥٩ ، والتحرير والتنوير ٢٧ /٦٥ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٣٥ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١٠٩ .

فقالوا : إنّ موسى – عليه السلام – ساحر عليم ومتمكن من السحر ، فما جاء به من الآيات لا حقيقة لها ؛ وإنما هو من خداع السحر وبراعته [1].

٢- زعموا أنّ ما جاءهم به من الآيات لا حقيقة لها، وإنم ه و سحر كما أخبر الله تعالى عنهم:

﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾[2].

وقولـه تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [3].

زعموا أنّ ما جاء به موسى – عليه السلام – من الآيات سحر وتمويه ، وفرعون إنما اتهمه بالرغبة في إخراجهم من أرضهم ؛ ليكون كلامه مؤثراً في قلوب قومه .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : (( يخبر تعالى أنه أرى فرعون من الآيات والعبر والقواطع جميع أنواعها العيانية والنفسية فما استقام ولا ارعوى وإنما كذب وتولى ، كذّب الخبر ، وتولّى عن الأمر والنهي ، وجعل الحق باطلاً والباطل حقاً ، وجادل بالباطل ليُضل الناس ... وزعم أن هذه الآيات التي أراه إياها موسى سحر وتمويه المقصود منها إخراجهم من أرضهم والاستيلاء عليها ليكون كلامه – أي فرعون – مؤثراً في قلوب قومه ، فإنّ الطباع تميل إلى أوطانها ويصعب عليها الخروج منها ومفارقتها ، فأخبرهم أنّ موسى هذا قصده ؛ ليبغضوه ويسعوا في محاربته )) [4].

فأبطل الله تعالى هذه الدعوى موبخاً لهم ومنكراً عليهم دعواهم من جوانب .

١- أنّ ما جاء به من الآيات والبراهين القاطعة حق لا مرية فيها ، وأنّها حجة دالة على صدقه من عند الله تعالى وهم يميزون صدقه .

لما اشترط السحرة على فرعون الأجر البالغ للاستعداد لمواجهة موسى – عليه السلام – بالسحر، تعهّد لهم فرعون بذلك ، فردّ موسى هذه الدعوى بأنّ الساحر لا يفلح أبداً، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ومعلوم حال السحرة في الدنيا لكل أحد من الشقاء والخسارة ،

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٩/ ١٦ .

(٢) سورة يونس ، آية ٧٧ .

(٣) سورة الأعراف ، ١١٠ .

(٤) تفسير السعدي ص ٥٠٨ .

وفي الآخرة لا خلاق لهم ، وقد كان الفوز والفلاح والظفر لموسى – عليه السلام – على سحرة فرعون حينما تلاقوا ؛ فاضمحل الباطل ، وشهد باضمحلاله أربابه حينما ألقي السحرة ساجدين مؤمنين بما جاء به موسى – عليه السلام – .

٢– أن هذه الاتهامات من السحر والجنون ونحوها مازالت دأبا وعادة للمجرمين المكذبين للرسـل ، فما أرسل الله من رسول إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون ، كما قال تعالى : ﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾ [(١)].

فهذه الأقوال التي صدرت من الأولين والآخرين هل لَقَّن بعضُهم بعضاً بها ؟ لا شك أنّ بعضهم لم يَر بعضاً، ولكنهم قوم اشتركوا في الكفر والطغيان فتشابهت قلوبهم وأعمالهم[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( الكفار قالوا عن الأنبياء : إنّهم مجانين وسحرة ، فكما يعلم بضرورة العقل من وجود أعظم الفرق بينهم وبين المجانين ، وأنّهم أعقل الناس وأبعدهم عن الجنون ، فكذلك يعلم بضرورة العقل أعظم الفرق بينهم وبين السحرة ، وأنّهم أصدق الناس وأبعدهم عن السحرة ؛ فالساحر يفسد الإدراك حتى يُسمِع الإنسان الشيء ويراه ويتصور خلاف ما هو عليه، والأنبياء يصححون سمع الإنسان وبصره وعقله،... فالأنبياء يفتحون الأعين العمي والآذان الصم ، والقلوب الغُلّف ، والسحرة يُفسدون السمع ، والبصر، والعقل، حتى يخيّل للإنسان الأشياء بخلاف ما هي عليه فيتغير حسه وعقله )) [(٣)].

٣– أما ما ذكره الله تعالى عن كفار قريش كما في آية القصص لْمّا جاءهم النذير وهو محمد – ﷺ – بالرسالة من ربه قالوا : – تمرداً على الله وتمادياً في الغيّ– هلاّ أوتي محمد مثل ما أُوتي موسى من الكتاب والآيات ، فأمر الله تعالى نبيه أن يقرّرهم بما علموه من ا ليهود : أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل؟ وقالوا : لموسى وهارون ساحران ، وقيل : محمد وموسى –عليهما السلام– ساحران تعاونا على التلبيس على الناس على قراءة من قرأ : (ساحران تظاهرا ) . أمّا من قرأ : ( سحران تظاهرا ) أي : التوراة والقرآن ليسا من كلام

---

(١) سورة الذاريات ، آية ٥٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٧ /٩ ، وفتح القدير ٥ /٩٢ ، وتفسير السعدي ص ٨١٢ .

(٣) النبوات ص ٢٨٨ – ٢٨٩ .

الله تعالى وإنّما هما سحر جيء بهما للتلبيس على الناس ، وهذه عادة أعداء الرسل أن يلبسوا الحق بلباس تنفر منه عامة الناس وجهالهم [1].

الثاني : وصف الرسل – عليه السلام – بالجنون ، والجنون هو فقد الإنسان العقل والأهليّة ، بحيث يظهر ذلك في أقواله وتصرفاته، فكان الجنو ن من المزاعم التي يثيرها مخالفو الرسل، وقد أثارها كفار قريش تجاه المصطفى -ﷺ- ، ونلحظ أنّ من أعظم المسائل التي خالف فيها كفار قريش الرسول – ﷺ- وعارضوه عليها هي : توحيد العبادة ، والبعث ، والرسالة . ولذلك رُمي النبي – ﷺ- بالجنون حيال هذه القضايا :

ففي آية الأعراف أخبر الله تعالى أنّهم واجهوا الآيات التي جاء بها المصطفى – ﷺ- بالتكذيب، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾[2].

وأمرهم الله تعالى بإعمال عقولهم والنظر في حال النبي – ﷺ- هل هو مجنون ؟ فينظروا في صفاته وفيما دعا إليه ؛ لا يجدون فيه من الصفات إلا أكملها، ولا من الأخلاق إلا أتمّها ، ولا من العقل والرأي إلا ما فاق به العالمين ، فما هو إلا نذير مبين يدعو الخلق إلى ما ينجيهم من العذاب ويحصل لهم من الثواب [3].

أما آية (سبأ) فقد أخبر الله تعالى أنّ كفار قريش وصفوا النبي – ﷺ – بالجنون ، وذلك حينما قرّر فيهم بعث الأجساد ، كما قـال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾[4].

---

(١) انظر : الفتاوى ١٢ /٢٥ ، وشرح العقيدة الأصفهانية ص ١٩٥ ، وبدائع الفوائد ٣/٦٣٢ ، وتفسير ابن كثير ٣ /٣٩٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات ١٨٢ – ١٨٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩ /١٣٦ ، وتفسير القرطبي ٧ /٣٣٠ ، وتفسير السعدي ص ٣١٠ .

(٤) سورة سبأ ، الآيتان ٧ – ٨ .

فهم قالوا – على وجه التكذيب والاستبعاد – ، كيف يزعم هذا الرجل أنّ أجسادكم ستعبث بعد تفرقها واضمحلالها ، هذا الرجل إمّا كذّاب مفترٍ أو اعتراه الجنون ، ولا شك أنّ هذا القول منهم على وجه العناد والاستكبار والضلال ؛ ولذلك توّعدهم الله تعالى بالعذاب الشديد [(١)].

أمّا آية (الصافات) فقد وصفوا النبي – ﷺ– بالجنون والشعر لما دعاهم إلى أعظم قضية خالفوا فيها ، وهي وحدانية الله تعالى وإفراده بالعبادة . ولذلك اعترضوا على ترك ما يعبدونه من دون الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [(٢)].

فأبطل الله تعالى ما زعموه بقوله تعالى : ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [(٣)].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (( وهذا خبر من الله مُكذِّباً للمشركين الذين قالوا للنبي – ﷺ– : ( شاعر مجنون ) كذبوا محمداً ، كما وصفوه به من أنّه شاعر مجنون ، بل هو لله نبي جاء بالحق من عنده ، وهو القرآن الذي أنزله عليه وصدق المرسلين الذين كانوا قبله)) [(٤)].

الثالث : اتّهام المصطفى – ﷺ– بأنه شاعر ، وأنّ ما جاء به من الحق من عند الله هو شعر .

وقد برّأ الله تعالى نبيــه – ﷺ – ، كما قال تعـــالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ [(٥)].

وقد أنكر الله تعالى عليهم زعمهم أنّ محمداً شاعر ؛ فهم يميزون قول الشعر والشعراء، ويعلمون أنّ ما جاء به من القرآن ليس بشعر ، ولا يلتبس ذلك عليهم ، وإنّما هو العناد

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٦٣ ، وفتح القدير ٤ /٣١٣ ، وتفسير السعدي ص ٦٧٥ .
(٢) سورة الصافات ، آية ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) سورة الصافات ، آية ٣٧ .
(٤) تفسير الطبري ٢٣ /٥١ ، وانظر : معارج القبول ٢ /٤٢١ .
(٥) سورة يس ، آية ٦٩ .

والاستكبار عن قبول الحق الذي جاء به من عند الله ، فقد أ ثاروا أنّه شاعر يتربصون به وينتظرون هلاكه كغيره من الشعراء . ولذلك ردّ الله تعالى عليهم من جانبين :

١- أنّ الله تعالى قال : ﴿ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ ، أي : انتظروا فإني منتظر معكم ، وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصر في الدنيا والآخرة .

٢- أنّه تعالى أنكر على عقولهم التي صوّرت لهم هذا الزعم ؛ فهي تُميّز الشاعر من غيره ، وهم يعلمون بصدق الرسول -ﷺ- وما جاء به من الحق ، وأنه بريء ممّا اتّهموه به ، كما قال تعالى : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [(١)].

٣- أنّ كفرهم هو الذي حملهم على هذه المقالات : من اتّهامه بقول الشعر ، واتهامه بافتراء القرآن من عند نفسه ،كما في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، فالذي حملهم على ذلك عدم الإيمان والكفر [(٢)].

قال الشنقيطي - رحمه الله - : « نفى الله - جل وعلا - عن نبيه - ﷺ- ثلاث صفات قبيحة رماه بها الكفار ، وهي : الكهانة ، والجنون ، والشعر . أما دعواهم أنه كاهن أو مجنون فقد نفاها صريحاً بحرف النفي الذي هو ( ما ) في قوله : ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [(٣)]. وأكدّ النفي بالباء . وأمّا كونه شاعراً فقد نفاه ضمناً بأم المنقطعة في قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ... ﴾ ؛ لأنها تدل على الاضراب والإنكار المتضمن معنى النفي» [(٤)].

---

(١) سورة الطور ، آية ٣٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٧ /٣١ ، وتفسير ابن كثير ٤ /٢٤٤ .

(٣) سورة الطور ، آية ٢٩ .

(٤) أضواء البيان ٧ /٤٥٩ .

## المطلب الرابع : مقابلة رسل الله بالأذى والقتل

لقد لقي الرسل – عليهم السلام – الأذى من أممهم ، وتجاوز ذلك إلى القتل دون تعظيم الله تعالى بتوقير رسله الذين أرسلهم لتبليغ الحق والهدى والنور ، وقد ورد ذلك موضحاً في كتاب الله تعالى منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتعجب من شأنهم ، فكلما جاءهم رسول بادروه بالتكذيب أو القتل [(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾؟

---

(١) سورة البقرة ، آية ٨٧ .

(٢) انظر : الكشاف ١/ ١٨٩ ، والبحر المحيط ١ / ٤٦٨ ، وتفسير أبي السعود ١ / ١٢٧، وفتـح القدير ١/١٨٩.

(٣) سورة البقرة ، آية ٩١ .

والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء واللام ، وحذفت ألفها للام الجر . والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، أي : أن الله تعالى يكذبهم في دعوى أنّهم مؤمنون بما أنزل عليهم ، فكيف إذاً قتلوا أنبياء الله الذين أُرْسلوا لهم من قبل ؟

ويردف عليه : التبكيت لهم في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم مع رفضهم ما جاء به المصطفى – ﷺ – [1].

وقول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ) ؟

والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء واللام ، وحذفت ألفها لاقترانها بلام الجر . والمراد منه : الإنكار الإبطالي والتكذيب لدعواهم الباطلة .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ) ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ولو . والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتعجب ، فإن نبي الله شعيب أنكر على قومه إكراهه هو والمؤمنون معه على الدخول في ملة قومة [4].

وقول الله تعالى :﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( .. أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ ...؟)

---

(١) انظر : البحر المحيط ١ /٤٧٥ ، وروح المعاني ١ /٣٢٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ١٨٣ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٨٨ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٣ /٢٤٨ ، وفتح القدير ٢ /٢٢٥ ، وروح المعاني ٩ /٣ .

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٢٧ .

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار والتعجب ، أي : أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض بدينهم الجديد ، وقد تركوا عبادتك أنت وآلهتك [1].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [2].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ( أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ... ) ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء . والمراد منه : نفي المماثلة والتسوية بين من يتبع هدي الله ومن يكفر به ، والإنكار على مَنْ يدعيها ، أي : أفمن كان على هذا الحال من الإيمان والهداية كمن هو كافر ، ولا يرجو إلا الحياة الدنيا ، لا يستوون ، ومن يدعي استواءهما فهو كاذب [3].

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ) ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو . والمراد منه : الإنكار[5] التوبيخي ؛ فقد أخبر الله تعالى تعالى في كتابه بحال الأمم التي سألت رسلها الآيات ثم كذبت بها فأهلكها الله تعالى .

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [6].

---

(١) انظر : البحر المحيط ٤ /٣٦٦ ، وفتح القدير ٢ /٢٣٥ .
(٢) سورة هود ، آية ١٧ .
(٣) انظر : تفسير البغوي ٢/٢٧٧ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ٢ /٩٥ .
(٤) سورة طه ، آية ١٣٣ .
(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٦ /٥١ ، وروح المعاني ١٦ /٢٨٦ .
(٦) سورة الصف ، آية ٥ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ..لِمَ تُؤْذُونَنِي...؟)

والأداة فيه: ما مقترنة باللام. والمراد منه: الإنكار التوبيخي؛ فموسى – عليه السلام – يُنكر على قومـــه ، ويوبخهم على صنيعه ـــم ، مقرعـــاً لهم على أذيتهم وهم يعلمون أنه رسول الله[1].

وقول الله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [2].

ورد في الآيات أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ؟)

الثاني : في قوله تعالى : (أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ؟)

والأداة فيهما : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ويردف عليه التعجيب أي : أيظن أن لن يقدر عليه فيغلبه ويقهره ؟ ويظن أن لم يره أحد ويطلع عليه حينما ادّع ى إنفاقه المال لمعاداة الرسول –ﷺ–؟! فالله تعالى قادر عليه وعالم مطلع، سيجازيه على صنيعه[3].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على موقف الأمم الكافرة من رسل الله، وهو التصدّي لهم بالأذى بالقول والفعل ، والإجلاء عن الأوطان ، والقتل لما حصل من اليهود أن قتلوا أنبياء الله كزكريا ويحيى – عليهما السلام – .

وقد بيّن الله تعالى هذه المواقف التي صدرت منهم تجاه رسل الله :

١– فنلحظ أنّ نبي الله شعيب –عليه السلام– تصدّى له قومه بالقوة ومحاولة الإكراه فقالوا: إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من قريتنا ؛ ولذلك أنكر عليهم نبي الله شعيب – عليه السلام – وقال لهم : أنتابعكم في دينكم و ملتكم الباطلة وقد علمنا بطلانها؟ .

---

(١) انظر : روح المعاني ٢٨ /٨٥ ، وتفسير السعدي ص ٨٥٩ .

(٢) سورة البلد ، ٥ – ٧ .

(٣) انظر : اللباب في علوم الكتاب ٣٤٤/٢٠ ، وروح المعاني ١٣٦/٣٠، والتحرير والتنوير ٣٥٣/٣٠ .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - : قال الأشراف والكبراء منهم لنبيهم شعيب ومَنْ معه من المؤمنين المستضعفين، مستعملين قوتهم السَّبعيَّة في مقابلة الحق ، و لم يراعوا ديناً ولا ذمة ولاحقاً ، وإنّما زاغوا واتبعوا أهواءهم وعقولهم السفيهة التي دلتهم على هذا القول الفاسد ؛ فقالوا : إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا ، أو لنخرجنكم من قريتنا، فقال لهم شعيب - عليه الصلاة والسلام - متعجباً من قولهم : ( أولو كنا كارهين) أي : أنتابعكم على دينكم وملتكم الباطلة ، ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطلانها[1].

٢- أمّا الموقف الآخر، فهو موقف فرعون وملئ ه من نبي الله موسى- عليه السلام- ، وحيث زعموا أنّ ما يدعو إليه موسى - عليه السلام- هو الفساد والباطل، كما أخبر الله تعالى عنهم قولهم : (أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ).

والمتحدثون بذلك هم ملأ فرعون وحاشيته ممّن استكبر عن دعوة موسى -عليه السلام، مهيجين فرعون للإيقاع بموسى - عليه السلام- ، زاعمين أنّ ما جاء به باطل وفساد تاركين فرعون وعبادته وآلهته[2]. فأجابهم فرعون فيما سألوه بقوله: سنُقتِّل أبناءهم ونستحيي نساءهم

قال ابن كثير - رحمه الله - : « وهذا أمر ثان بهذا الصنيع وقد نكل بهم قبل ولادة موسى - عليه السلام - حذراً من وجوده ، فكان خلاف ما رامه ، وضد ما قصده فرعون، وهكذا عُومل في صنيعه - أيضاً - لَمّا أراد إذلال بني إسرائيل وقهرهم ، فجاء الأمر على خلاف ما أراد ، أعزهم الله وأذلّه ، وأرغم أنفه وأغرقه وجنوده ... »[3] .

وبذلك نعلم أنّ الله تعالى انتصر لرسوله ، وجعل العاقبة له بإهلاك فرعون وملئه ونجاة بني إسرائيل من كيده .

٣- أما موقف اليهود تجاه رسل الله - عليه السلام - فيتبين في موقفهم من نبي الله موسى - عليه السلام- وغيره من أنبياء بني إسرائيل ، وموقفهم من الرسول محمد -ﷺ-.

---

(١) تفسير السعدي ص ٢٩٦ - بتصرف - .

(٢) وقد ذكر ابن جرير أقوال المفسرين : من أنّ فرعون كان يعبد إلها في السر ، فقيل : إنها البقرة الحسناء ، وقيل: جمانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها . انظر : تفسير الطبري ٩ /٢٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢ /٢٤٠ .

أمّا مواقفهم المؤذية له – عليه السلام – ، فقد ذكر الله تعالى في كتابه مواقفهم المؤذية له – عليه السلام –، وهي أكثر من أن تحصى .

منها ما ورد في آية الصف ، فقد أنكر موسى – عليه السلام – على اليهود أذيتَّهم له بالقول والفعل مع علمهم وتيقُّنِهم أ نّه رسول الله ، والرسول من حقه الإكرام والإعظام ، والقيام بأوامره والابتدار إلى حكمه ، فلمّا عدلـــوا عن الحق واتباعه أمال الله قلوبهم عن الهدى[1].

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( ومِنْ تلاعب الشيطان بهم : أنّهم يقدحون في الأنبياء ، ويؤذونهم ، فقد آذوا موسى – عليه السلام – في حياته ، ونسبوه إلى ما برأه الله تعالى منه ، ونهى الله سبحانه هذه الأمة عن الاقتداء بهم في ذلك ... وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾[2] ، وتأمل قوله : (وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ) ، فإنها جملة في موضع الحال ، أي : أتؤذونني وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم ؟ وذلك أبلغ في العناد .

فهذا قليل من كثير من أذاهم لأنبيائهم ، وأما أذاهم لهم بالقتل والبغي فأشهر من أن يذكر ))[3].

أمّا موقفهم من أنبيائهم عموماً بعد موسى – عليه السلام – إلى خاتمهم عيسى – عليه السلام – الاستكبار والتكذيب تارة ، والقتل تارة ؛ اتباعاً لأهوائهم ، فقدموا الهوى على الهدى ، والدنيا على الآخرة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: وهذا اللفظ الذي هو لفظ الاستفهام [4]؛ هو إنكار لذلك عليهم ، وذم لهم عليه ، وإنّما يُذمون على ما فعلوه ، فعلم أنّهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ، فيقتلون فريقاً من الأنبياء ويكذبون فريقاً ، وهذا حال

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٨ /٨٦ ، وتفسير ابن كثير ٤ /٣٦٠ ، وتفسير السعدي ص ٨٥٩ .

(٢) سورة الصف ، آية ٥ .

(٣) إغاثة اللهفان ٢ /٣٦٨ –٣٧٠ .

(٤) في قول الله تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ سورة البقرة ، آية ٨٧ .

المستكبر الذي لا يقبل ما لا يهواه؛ فإنّ الكبر : بطر الحق ، أي : جحده ودفعه ، وغمط الرأس: احتقارهم وازدراؤهم، فلما تركوا العمل بما علموه ؛ استكباراً واتباعً لأهوائهم عوقبوا بأن منعوا الفهم والعلم[(١)].

فهذا نعت لبني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة والاستكبار على الأنبياء ، حيث كانوا يعاملون الأنبياء أسوأ المعاملة ، وما ذ اك إلا لأنهم يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبالإلزام بأحكام التوراة [(٢)].

أما موقفهم من النبي محمد – ﷺ – فقد تصدّوا للرسالة المحمدية بالتكذيب والتشكيك وإثارة الشبه مع علمهم بأن ما جاء به هو الحق ، ومصدق لما معهم . وقد ذكر الله تعالى ذلك في آيتي البقرة وآل عمران .

أمّا آية (البقرة) فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[(٣)].

ذلك أنّ النبي – ﷺ– لما أمرهم بالإيمان بالقرآن المنَزل من عند الله ، استكبروا وعتوا، وقالوا : لا نؤمن إلا بما أنزل علينا ، ويكفرون بما سواه من الكتب ، مع أنّ الواجب عليهم الإيمان بما أنزل الله تعالى مطلقاً دون التفريق بين الرسل والكتب ؛ ولذلك ردّ الله تعالى عليهم رداً شافياً لا محيد لهم عنه بأمرين :

١– أن القرآن هو الحق ؛ فالكفر به بعد ذلك كفر بالله .

٢– أن القرآن مصدقٌ لما معهم في كل ما دل عليه ، فَلِمَ تؤمنون بما أنزل عليكم وتكفرون بنظيره ؟ وهل هذا إلا تعصب واتباع للهوى لا للهدى ؟ ![(٤)] .

---

(١) انظر : الفتاوى ٧ /٦٢٤ – ٦٢٦ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١ /١٢٣ .
(٣) سورة البقرة ، آية ٦١ .
(٤) انظر : تفسير السعدي ص ٥٩ .

كما أنكر الله تعالى قتلهم لأنبيائهم مع تحريم القتل عليهم ، وعاب ذلك عليهم ؛ إذ يتناقضون ودعواهم أنّهم مؤمنون بما أنزل الله تعالى إليهم؛ لأنّ صحة هذا الإيمان تقتضي عدم الاعتراض على الأنبياء بأذى قولي أو فعلي فكيف بقتلهم ؟!!

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – : (( وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة ، وإنما قَتَلَ الأنبياءَ أسلافُهُم الذين مضوا، فتلوهم على ذلك ورضوا ، فنسب القتل إليهم )) (١).

ويوضح ذلك ابن القيم – رحمه الله – بقوله : هذه حكاية مناظرة بين النبي –ﷺ – وبين اليهود لما قال لهم : آمنوا بما أنزل الله تعالى ، فأجابوه بأن قالوا : نؤمن بما أنزل علينا، ومرادهم بهذا التخصيص أن نؤمن بالمنَزَّل علينا دون غيره ؛ فظهرت عليهم الحجة بقولهم هذا من وجهين:

١- إن كنتم آمنتم بما أنزل عليكم لأنّه حق ، فقد وجب عليكم أن تؤمنوا بما جاء به محمد لأنه حق ، فلزمكم الإيمان بالحقين أو الكفر الصراح ، فلمّا كفروا به وهو حق لم يكن إيمانهم بما أنزل عليهم لأجل أنه حق ؛ لأنّهم لو آمنوا بالمنَزل عليهم أنه حق لآمنوا بالحق الثاني وأعطوا الحق حقه من الإيمان ؛ ففي ضمن هذه الشهادة عليهم أنهم لم يؤمنوا بالحق الأول ولا بالثاني .

٢- وجَّه النقض عليهم أنّهم قتلوا أنبياء الله ، فإذا زعمتم أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم وبالأنبياء الذين بعثوا فيكم ، فَلِمَ قتلتموهم من قبل ؟ وإنّما توجه الخطاب لأبنائهم ؛ لأنهم كانوا يتولّون أولئك الذين قتلوا (٢).

أما الموقف الآخر كما حكاه الله في آية آل عمران : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ ﴾ (٣).

فقد ادّعى اليهود أنّ الله تعالى عهد إليهم ، وأوصاهم أَلاَّ يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان ، وهو : ما تقرّب به العبد إلى ربه ، تأكله النار ؛ لأن أكل النار دليلٌ على قبول الله منه

---

(١) تفسير الطبري ١ /٤٢٠ .

(٢) انظر: بدائع الفوائد ٤ /٩٥٧ .

(٣) سورة عمران ، آية ١٨٣ .

ما قُرِّب له في ذلك الزمان ، فردّ الله تلك الدعوى بأنّ الرسل جاءهم بالبيّنات والحجج الدالة على صدق نبوهم وحقيقة قولهم ، وبالذي قلتم من تقديم القربان الذي تأكله النار وكل ذلك مِمّا يلزمكم تصديقهم والإقرار بنبوهم ، فَلِمَ قابلتم ذلك بالقتل وأنتم مقرون بأن الذي جاؤكم به من ذلك حجة لهم عليكم ؟ [(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( بيّن – سبحانه – أن هذا القول منهم : مع أنّه كذب ، فَلَمْ يقولوه إلا دفعاً للحق ، لا ليؤمنوا بمن جاء هم بذلك ؛ إذ قد جاءهم رسل من قبله بالآيات البينات ، والقربان الذي تأكله النار ، ومع هذا قتلوهم ، فالخطاب لجنس بني إسرائيل ، وإن كان الذين عاينوا ذلك ماتوا )) [(٢)] .

أمّا موقف المشركين من النبي – ﷺ – فقد طلبوا منه تعنتاً وتمرداً ، آيةً من ربه كما أوتي قوم صالح بالناقة ، وأتي عيسى بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، فأنكر الله تعالى عليهم بقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ [(٣)]. وهي القرآن الذي هو أعظم آية ، وبرهان على صدق الكتب السابقة ، إن الله تعالى ذكر في هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم الذين أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجلنا لهم العذاب وأنزلنا بأسنا بكفرهم [(٤)].

قال الشنقيطي – رحمه الله – : (( إنّ الكفار اقترحوا على عادقم في التعنت آية على النبوة كالعصا واليد من آيات موسى ، وكناقة صالح ، واق تراحهم لذلك بحرف التحضيض الدال على شدة الحضّ في طلب ذلك في قوله : ( لولا يأتينا ) أي : هلاّ يأتينا محمد بآية ... فأجابهم الله بقوله : ﴿ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ . وهي هذا القرآن العظيم ؛ لأنه آية هي أعظم الآيات وأدلها على الإعجاز ، وإنّما عُبر عن هذا القرآن العظيم بأنّه بينة ما في

(١) انظر : تفسير الطبري ٤ /١٩٧ ، وتفسير القرطبي ٤ /٢٩٦ ، وفتح القدير ١ /٤٠٦ .
(٢) الجواب الصحيح ٦ /٣٨٥ – ٣٨٦ .
(٣) سورة طه ، آية ١٢٣ .
(٤) انظر : تفسير الطبري ١٦ /٢٣٧ ، وتفسير السعدي ص ٥١٧ .

الصحف الأولى ؛ لأنّ القرآن برهان قاطع على صحة جميع الكتب المَنَزلة من الله تعالى ، فهو بينة واضحة على صدقها وصحتها » [1].

كما أنّ الله تعالى بيّن أن رسالة المصطفى - ﷺ- مؤيدة بالبينة والبرهان القاطع المؤيد بالوحي من الله تعالى كما أنّه : ( يتلوه شاهد منه ) القرآن ، فهو شاهد من الله تعالى ، فقد بلغه جبريل إلى النبي - ﷺ- ، وبلّغه محمد - ﷺ- إلى أمته .

وقال بعض أهل العلم : أن الذي يتلوه شاهد منه هو : جبريل شاهد من الله بالذي يتلو من كتاب الله الذي أنزل على محمد -ﷺ - ويتلو ذلك شاهد وهو كتاب موسى التوراة الذي هو إمامٌ للناس ورحمة لهم يشهد لهذا القرآن بالصدق ، ويوافقه بما جاء به من الحق ، فمن آمن بمحمد - ﷺ- وما جاء به من القرآن أثمر الإيمان في قلبه ، ومَنْ كفر وأعرض فإن مصيره النار[2].

قال ابن القيم - رحمه الله - : « فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره ؛ فإنّه هو الدعوة والحجة ، وهو الدليل والمدلول عليه ، وهو الشاهد والمشهود له ، وهو الدعوة والبيّنة ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ أي : من ربه وهو القرآن ... فأخبر سبحانه أنّ الكتاب الذي أنزله على رسوله يكفي عن كل آية ، ففيه الحجة والدلالة على أنّه من الله ، وأنّ الله سبحانه أرسل به رسوله ، وفيه بيان ما يُوجب لمن اتبعه السعادة ويُنجيه من العذاب» [3].

أما ما ذكره تعالى في سورة ( البلد ) فقد ذكر غير واحد من المفسرين : أنَّها نزلت في رجل من بني جُمح ، كان يُدعى أبا الأشدّ ، وكان شديداً قوياً ، فقد نصب العداء للرسول - ﷺ- ، وكان يدّعي أنّه أنفق مالاً كثيراً في عداوة محمد - ﷺ- وهو كاذب في ذلك ، ولذلك أنكر الله تعالى عليه بقوله : أيحسب ألن يقهره أحد ؟! فالله غالبه وقاهره . كما أنكر عليه دعواه انفاق المال الكثير وهو كاذب أيحسب أن لم يره أحد في حال إنفاقه ؟ فهذا موقف من

---

(١) أضواء البيان ٤ /١٣٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٢ /١٤ - ١٨ ، الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٥ /٦٨ - ٧١ ، وتفسير ابن كثير ٢ /٤٤١ ، وتفسير السعدي ص٣٧٩ .

(٣) مدارج السالكين ٣ /٤٦٩ - بتصرف - .

مواقف أهل الشرك حيال رسالة المصطفى - ﷺ- ، فقد كانوا يتفاخرون في محاربة الدعوة إلى الحق[1].

(1) انظر : تفسير الطبري ١٩٨/٣٠، وتفسير البغوي ٤٨٩/٤ ، وزاد المسير ١٣١/٩ ، وفتح القدير ٤٤٣/٥.

## المطلب الخامس :
## مقابلة الرسل - عليهم السلام - بالسخرية والاستهزاء والتحدّي

لقد سلك أعداء الرسل مسلك السخرية والاستهزاء بالرسل ؛ للتهوين من شأنهم أمام عامة الناس ؛ تعمية للحق وإضعافاً له ، كما سلكوا مسلك التحدّي للرسل باستعجال نزول الآيات بالعذاب .

وقد ورد ذلك موضحاً في كتاب الله في مواطن منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ؟)

والأداة فيه : كيف ، والمراد منه : التعجيب والتفظيع ممّا حلّ بهم ؛ أي : فكيف عقابي لهؤلاء الكفار الذين سخروا برسلي فأمليت لهم ثم أخذتهم ؟! [2].

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( ..أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة باسم الإشارة ( هذا ) . والمراد منه : الإنكار والتعجب من شأن النبي -ﷺ- الذي أمرهم بعبادة الله وحده ، ونبذ أصنامهم والاستهزاء به [4].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴾ [5].

---

(١) سورة الرعد ، آية ٣٢ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٥/٣٨٤ ، وتفسير أبي السعود ٥/٢٤ ، وفتح القدير ٣/٨٤ ،وروح المعاني ١٣/١٥٩، والتحرير والتنوير ١٣/١٤٨.

(٣) سورة الأنبياء ، آية ٣٦ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٧ /٢٥ ، وروح المعاني ١٧ /٤٧ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية ٥٥ .

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : ﴿ ... أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة ، وقد ذكر بعض المفسرين : أنّ الاستفهام حقيقي ، فقالوا : أهذا الذي جئتنا به يا إبراهيم جد وحق أم هو لعب وهزل [1].

وبعض العلماء يرى أنه: لا يقصد به السؤال المجرد وإنّما المراد منه : الاستبعاد والتعجب، وهذا الرأي هو الأرجح – والله أعلم – ؛ لأنّ مقصود قوم إبراهيم – عليه السلام – السخرية والاستهزاء ، فهم يعلمون صدقه وجدّه [2] .

و (أم) هنا متصلة المراد بها : طلب الجواب بأحد المتعادلين [3] ، أي : أجئتنا بالحق أم جئتنا بلعب وهزل .

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( ... أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة باسم الإشارة ( هذا ) . والمراد منه : الإنكار والتهكم والاستهزاء بالرسول – ﷺ– والتحقير من شأنه [5].

وقول الله تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [6] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ...؟).

---

(١) انظر : الكشاف ص ٦٨١ ، وتفسير أبي السعود ٦ /٧٣ .

(٢) انظر : روح المعاني ١٧ /٦٠ .

(٣) انظر : روح المعاني ١٧ /٦٠ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ٢ /٣٧٦ .

(٤) سورة الفرقان ، آية ٤١ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٦ /٢٢٠ ، والإتقان ٢ /٢١٦ ، والبرهان في علوم القرآن ٢ /٣٤٣ ، وروح المعاني ١٩ /٢٢ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية ٢٩ .

والأداة فيه: الهمزة ، والمراد منه الإنكار التوبيخي على ارتكابهم المنكر الشنيع[1] .

دلالة الآيات :

إن الله تعالى ذكر موقفاً من مواقف الأمم الكافرة تجاه رُسل الله وهو السخرية والاستهزاء بهم والتحقير من شأنهم؛ وذلك لصد عامة الناس عن اتباعهم والإيمان بهم . ولقد استهزأت الأمم الخالية برسل الله ، فأمهلهم الله تعالى حتى تمادوا في غيهم ، فأنزل الله تعالى بهم عقوبته وبأسه ، وجعله عبرة لأولي الألباب [2].

ففي الآيات السابقة ثلاثة مواقف للقوم مع الرسل :

١- موقف قوم إبراهيم من رسول الله إبراهيم – عليه السلام – ، وذلك أن إبراهيم – عليه السلام – لما دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وضلّل ما هم عليه وما كان عليه آباؤهم من عبادة الأصنام ، قالوا : (أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ) ، ما جئتنا به حق وجد أم هو كلام لاعب مستهزئ لا يدري ما يقول ؟ .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : هذا القول الذي قلته والذي جئتنا به ، أهو حق وجِدٌّ أم كلامك لنا كلام لاعب مستهزئ ، لا يدري ما يقول؟ وهذا الذي أرادوا ، وإنما رددوا الكلام بين الأمرين ؛ لأنهم نزلوه منْزلة الْمَقرَّر المعلوم عند كل أحد ، أنّ الكلام الذي جاء به إبراهيم كلام سفيه لا يعقل ما يقول ، فردّ عليهم إبراهيم رداً بيّن به وجه سفههم وقلة عقولهم : ﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [3].

فجمع لهم بين الدليل العقلي والدليل السمعي .

أما الدليل العقلي : فقد علم كل أحد أنّ الله تعالى هو الخالق وحده لجميع المخلوقات، فوجب صرف العبادة له وحده .

أما الدليل السمعي: فهو المنقول عن الرسل –عليهم السلام– فإن ما جاؤوا به معصوم،

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٣٨/٧ ، وروح المعاني ١٥٣/٢٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٥٨/١٣.

(٣) سورة الأنبياء ، ٥٦ .

ومن ذلك ما جاء به إبراهيم –عليه السلام– أن الله تعالى هو المعبود وحده[1].

٢- موقف الكفار من دعوة المصطفى – ﷺ– وذلك أهم إذا رأوا المصطفى – ﷺ – اتخذوه هزواً وسخرية ، فيقول بعضهم لبعض : أهذا الذي يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها تعجباً منهم ، فيعجبون من ذكر النبي – ﷺ– آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع وهم بذكر الرحمن الذي خلقهم وأنعم عليهم كافرون[2].

كما أنّهم إذا رأوا المصطفى – ﷺ– استهزؤوا به واحتقروه واستصغروه ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ ، غير لائق للرسالة أن يُبعث هذا الرجل، فلو بُعث من هو أفضل منه وهم يعلمون فضله – عليه السلام – وعلو شأنه ، ولكن ذلك على سبيل العناد والاستكبار عن قبول الحق[3].

٣- كما أن الله تعالى ذكر موقف قوم لوط من نبي الله تعالى لوط – عليه السلام – حيث واجهوا دعوته بالتحدّي أن ينْزل بهم بأس الله تعالى وعذابه، وذلك لما قالوا : ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾، وذلك أنّ لوطاً لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأنكر عليهم فعل الفاحشة ، وقطع السبيل على المسافر وفشوا المنكرات في مجالسهم . فحصل ما حصل منهم من التحدّي والاستهانة بعذاب الله تعالى[4].

قال الشنقيطي –رحمه الله– : فهذه الآية وأمثالها في القرآن ذكر الله فيها شيئاً من سنة الأولين أنهم يطلبون تعجيل العذاب عناداً وتعنتاً ، وقد بيّن تعالى أنه أهلكهم جميعاً بعذاب مستأصل كإهلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم صالح بالصيحة ، وقوم شعيب بعذاب يوم الظلة ، وقوم هود بالريح العقيم ، وقوم لوط بجعل عاليَ قُراهم سافلها وإرسال حجارة السجيل...[5].

---

(١) تفسير السعدي ص ٥٢٦ – بتصرف – .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧ /٢٥ ، وزاد المسير ٥ / ٣٥٠ ، وأضواء البيان ٤ /١٤٨ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣ /٣٢٠ ، وفتح القدير ٤ /٧٧ ، وتفسير السعدي ص ٥٨٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٠ /١٤٤ ، وفتح القدير ٤ /٢٠١ ، وتفسير السعدي ص٦٣٠ .

(٥) أضواء البيان ٣ /٣٠٤ – بتصرف – .

## المبحث الثالث

## الاستفهام في قصص الأنبياء

وفيه مطالب :

المطلب الأول : نبي الله آدم -عليه السلام - وابناه .

المطلب الثاني : نوح - عليه السلام - .

المطلب الثالث : إبراهيم - عليه السلام - .

المطلب الرابع : موسى - عليه السلام - .

المطلب الخامس:عيسى-عليه السلام- وأمه مريم ، وزكريا عليه السلام.

المطلب السادس : محمد -ﷺ- .

المطلب السابع : يوسف - عليه السلام - .

المطلب الثامن : داود وسليمان - عليهما السلام - .

المطلب التاسع : لوط - عليه السلام - .

المطلب العاشر : هود - عليه السلام - .

المطلب الحادي عشر : صالح - عليه السلام - .

المطلب الثاني عشر : شعيب - عليه السلام - .

إنّ الله تعالى ذكر في كتابه قصص الأنبياء مع أممهم وما قاموا به من الدعوة إلى عبادة الله تعالى، وما نالوه من التكذيب والعداء ، وما تحلّى به رسل الله تعالى من الصبر و الثبات لتبليغ دين الله تعالى ، ومن الفوائد المترتبة على ذكر قصصهم :

١- أنّ الله تعالى يذكر القصة في سورة ما لم يذكرها في سورة أخرى، ففي كل واحدة منها فائدة زائدة على الأخرى .

٢- أن في قصصهم إثباتاً لنبوة محمد - ﷺ- لإخباره بأخبارهم من غير تعلّم من أحد .

٣- تسلية للنبي-ﷺ- بذكر ماجرى بينهم وبين أممهم وما حصل لهم من التكذيب وصبرهم على ذلك .

٤- إثبات العبادة لله وحده لا شريك له ، وذلك بإهلاك الأمم الكافرة ، فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (( إن الله قصَّ علينا في القرآن قصص الأنبياء والمؤمنين والمتقين، وقصص الفجار والكفار ؛ لنعتبر بهم، فنحب الأولين وسبيلهم ونقتدي بهم ، ونبغض الآخرين وسبيلهم ونجتنب أفعالهم )) [٢].

وقد ذكر قصص الأنبياء في مواطن متعددة من كتابه، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام كما سيتضح في هذا المبحث .

---

(١) انظر : التسهيل لعلوم التنْزيل ١/٦ .

(٢) الفتاوى ١٥ /٣٣٣ .

## المطلب الأول : آدم عليه السلام وابناه

ذكر الله تعالى قصة أبينا آدم – عليه السلام – وزوجته حواء، وما حصل لهما من الإخراج من الجنة والهبوط إلى الأرض ، وقد وردت قصة آدم في مواطن من كتابه، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه: التقرير، وهو التحقيق والإثبات، أي : قد نهيتكما عن الأكل من الشجرة . ويردف عليه : التوبيخ والعتاب [(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾؟

والأداة فيه : هل . والمراد منه : التشويق والعَرْض ويردف عليه الاغراء والتزيين ؛ فإبليس حرص على إغراء آدم وإيقاعه في المعصية [(٤)].

وقول الله تعالى : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة الأعراف ، آية ٢٢ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٣ /٢٢٠ ، وروح المعاني ٨ /١٠١ .

(٣) سورة طه ، آية ١٢٠ .

(٤) انظر : التحرير والتنوير ١٦ /٣٢٦ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ٢ /٣٣٠ .

(٥) سورة المائدة ، آية ٣١ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار والتعجب وإظهار الحسرة ؛ فقد أنكر على نفسه هذا العجز، ثم تعجَّب من اهتداء الغراب وعدم اهتدائه لمواراة أخيه [1].

دلالة الآيات :

ذكر الله تعالى في الآيتين الأوليين مكر إبليس وكيده للأبوين حتى أوقعهما في معصية الله تعالى، وذلك من عدة وجوه :

١- أنّ إبليس وسوس لهما ، والو سوسة حديث النفس والصوت الخفي، وعلم عدو الله أنّهما إذا أكلا من الشجرة بدت لهما عوراقما فالأكل من الشجرة معصية ، والمعصية قمتك ستر ما بين الله وبين العبد ، فالمعصية تبدي السوأة الباطنة والظاهرة .

٢- قال إبليس لهما : ما ينهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تك ونا ملكين وأن تخلدا في الجنة، فدخل عليهما من الباب الذي يحبانه وهو الخلود ؛ ولذلك عرض عليهما بقوله : (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ؟)

٣- أنه أقسم أنه لهما لمن الناصحين .

٤- أنه سمى الشجرة شجرة الخلد، فهذا أول المكر والكيد، ومنه ورث أتباعه تسمية الأمور المحرمة بالأسماء التي تحبها النفوس كتسمية تعطيل الصفات لله تعالى تنْزيهاً .

٥- تضمن قول إبليس أنواعاً من التوكيد كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ [2] :

أحدها : تأكيده بالقسم .

الثاني : تأكيده بإنّ .

(١) انظر : البحر المحيط ٣ /٤٦٦ ، ومغني اللبيب ص٦٩٥ ، وتفسير أبي السعود ٣ /٢١ ، وفتح القدير للشوكاني ٢ /٣٢ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٢١ .

الثالث : تقديم المعمول على العامل إيذاناً بالاختصاص أي : نصيحتي مختصة بكما وفائدهّا إليكما لا إليّ .

الرابع : إتيانه باسم الفاعل الدال على الثبوت واللزوم دون الفعل الدال على التجدد أي: النصح صفتي وسجيتي ليس أمراً عارضاً في .

الخامس : إتيانه بلام التوكيد في جواب القسم .

السادس : أنه صوّر نفسه لهما ناصحاً من جملة الناصحين [١].

فلما ذاقا الشجرة بدت عورة كل منهما بعدما كانت مستورة خجلاً، وجعلا يستتران بأوراق شجر الجنة . ثم ناداهما ربهما وهما بتلك الحال مقرراً لهما نهيه عن الأكل من الشجرة، وموبخاً لهما ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [٢].

فَلِمَ اقترفتما المنهي وأطعتما عدوكما ؟ فحينئذٍ منّ الله تعالى عليهما بالتوبة، فسألا الله تعالى المغفرة ومحو الذنب وعقوبته ، كما أخبر الله تعالى عنهما : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [٣].

وقَبِل الله تعالى توبتهما وغفر ذنبهما كما قال الله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٤][٥].

وأهبطهما من الجنة وقد اختلف أهل العلم في إخراج آدم من الجنة، أهي جنة الخلد أم هي جنة أخرى ؟

**فقالت طائفة** : إنها جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة مستدلين بأدلة منها :

١- أن نزولهم كان من الجنة إلى الأرض والهبوط نزول من علو إلى أسفل .

---

(١) انظر : - ما تقدم من الأوجه - إغاثة اللهفان ١ /١١١ - ١١٣ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٢٢ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٢٣ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٣٧ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٦ /٢٢٣ ، وفتح القدير ٢ /١٩٥ ، وتفسير السعدي ص ٢٨٥، ٥١٥ ، وأضواء البيان ٤ /١١٠ - ١١١ .

٢- أن الله تعالى أخبر أن الأرض مستقر لهما ، وهذا يدل أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض ، ثم أكدَّ ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [(١)]. ولو كانت الجنة في الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج .

٣- أن الجنة التي أخرج منها آدم فوق السماء، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لــه ، كما قــال تعــالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾[(٢)].

٤- الجنة معرفة بـــ(ال) التعريف في جميع المواضع ولاجنة يعهدها المخاطبون ويعرفونها إلا جنة الخلد .

**وقالت طائفة** : إنّ الجنة جنة غير جنة الخلد جعلها الله لآدم وأسكنه إياها ، مستدلين على ذلك بأدلة منها :

١- أنّ الله تعالى سماها دار المقامة وآدم لم يقم بها .

٢- وأنّ الله تعالى سمى جنة الخلد بدا ر الجزاء والثواب لا تكليف ولا أمر فيها، ومعلوم أنّ آدم وحواء قد كلفا بالطاعة .

٣- وأنّها دار السلامة المطلقة لا دار الابتلاء والامتحان وآدم وحواء امتحانا وابتلايا .

٤- وأنّها دار لا هم ولا حزن فيها، وقد حصل للأبوين الهم والحزن بارتكاب الذنب .

وأرجح القولين -والله تعالى أعلم- القول الأول، وقد بسط ابن القيم - رحمه الله - المسألة وأدلة الفريقين والإجابة عنها والترجيح بينهما [(٣)].

كما دلت الآيات على قصة ابني آدم قابيل وهابيل وما حصل لهما ، فقد قرَّبا قرباناً لقصد التقرّب إلى الله ، فقرَّب هابيل أطيب ما عنده من الغَنم وأجوده ، وقرَّب قابيل- وهو صاحب زرع - من أردأ زرعه .

فتقبّل الله تعالى من هابيل إمّا : بخبر من السماء ، أو بالعلام ة السابقة في الأمم أن تنْزل نار من السماء فتحرقه . فحسد قابيل أخاه هابيل وتوعده بالقتل ، ثمّ بيّن هابيل لقابيل أنّه لن

---

(١) سورة الأعراف ، آية ٢٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٤ .

(٣) انظر المسألة والأدلة عليها: حادي الأرواح ص١٩ وما بعدها ، ومفتاح دار السعادة ١/١١ وما بعدها .

يتعرض لقتله ، لا ابتداء ولا مدافعة ، وليس ذلك جبناً مني ولا عجزاً ، وإنّما من عه من ذلك الخوف من الله وتعظيمه، ثم إنّه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلاً أو مقتولاً فإني أوثر أن تقتلني ؛ فتبوء بالوزرين ، فلم يرتدع قابيل و لم ينْزجر ، فقتل أخاه فأصبح من الخاسرين في الدنيا والآخرة ، فلما قتل أخاه حمله في جراب على رقبته سنة لا يدري ماذا يفعل بجثته حتى بعث الله – عز وجل – غرابين اقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فجعل يحثي عليه التراب، وعندئذٍ جعل قابيل يُنكر على نفسه عجزه ، ويتعجب من اهتداء الغراب إلى الدفن وهو لم يهتد إلى مواراة سوءة أخيه ، وكان ما حدث منه أول جريمة قتل على وجه الأرض[1].

وقد جعل الله تعالى فعل قابيل بأخيه هابيل سنّة الدفن للموتى .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( وتأمل الحكمة في إرسال الله تعالى لابن آدم الغراب الْمُؤْذن اسمه بغربة القاتل من أخيه ، وغربته هو من رحمة ا لله تعالى ، وغربته من أبيه وأهله ، واستيحاشه منهم ، واستيحاشهم منه ، وهو من الطيور التي تنفـــر منها الإنس ، وتستوحش بها، فأرسل إليه مثل هذا الطائر حتى صار كالمعلّم له والأستاذ ... ولا تُنكر حكمة هذا الباب))[2].

(١) انظر : تفسير الطبري ٦ /١٨٨ ، وتفسير البغوي ٢ /٢٨ ، وتفسير ابن كثيـــر ٢ /٤٣ ، وتفسير السعدي ص ٢٢٩ .

(٢) مفتاح دار السعادة ص٢٣٩ .

## المطلب الثاني : نوح عليه السلام

إن الله بعث نبيه نوح – عليه السلام – بعد آدم بعشرة قرون ، حينما فشا الشرك في الأرض، فبعث الله نوحاً لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهيهم عن عبادة الأصنام .

وقد ذكر الله تعالى قصته في مواطن من كتابه منها : ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾؟.

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أعجبتم أن يوحي الله إلى رجل منكم رحمة ولطفاً بكم ؟ [2].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴾ [3].

اشتملت الآية على أسلوبي استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ؟) والأداة فيه : الهمزة ، وهو بمعنى : أخبروني [4].

الثاني: في قوله تعالى: (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ؟) والأداة فيه : الهمزة .والمراد منه : الإنكار والنفي أي: لا ينبغي أن نلزمكم من ذات أنفسنا بشيء وأنتم له كارهون[1].

---

(١) سورة الأعراف ، آية ٦٣ .

(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن ٣/٢٠٥ ، وتفسير أبي السعود ٣ /٢٣٦ ، وروح المعاني ٨ /١٥٣ .

(٣) سورة هود ، آية ٢٨ .

(٤) انظر : الكشاف ٢ /٣٦٩ ، وتفسير البيضاوي ٣٠ / ٢٣٠ ، وتفسير الجلالين ص٢٨٨ ، وتفسير أبي السعود ٤ /٢٠١ ، وروح المعاني ١٢ /٣٩ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [(٢)].

اشتملت الآية على هذين الاستفهامين :

الأول : في قوله تعالى : (مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ ؟)

والأداة فيه : مَنْ . والمراد منه : الإنكار والنفي أي : لا أحد ينصرني من الله [(٣)].

الثاني : في قوله تعالى : (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟)

والأداة : الهمزة مقترنة بالفاء ولا النافية . والمراد منه : الإنكار التوبيخي . أي : أتسخرون على ما أنتم عليه من الجهل فلا تتذكرون [(٤)].

وقول الله تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [(٥)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَلَا تَتَّقُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بلا النافية . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، فنوح – عليه السلام – ينكر عليهم كفرهم وتركهم تقوى الله تعالى ، ويحثهم على التقوى وعبادة الله وحده لا شريك له [(٦)].

---

=

(١) انظر : زاد المسير ٤ /٩٧ ، البرهان في علوم القرآن ٣ /٣٣٠ ، والإتقان في علوم القرآن ٢ /٢١٢ ، وفتح القدير ٢ /٤٩٤ .

(٢) سورة هود ، آية ٣٠ .

(٣) انظر : روح المعاني ١٢ /٤٢ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٤ /٢٠٣ ، وروح المعاني ١٢/٤٢ .

(٥) سورة الشعراء ، آية ١٠٦ .

(٦) تكررت الآية في دعوة الأنبياء المذكورين في سورة الشعراء ، فنكتفي بالحديث عنها في قصة نوح ، ففي قصة هود – عليه السلام – قوله تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء ، ١٢٤) ، وفي قصة صالح : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ( الشعراء ، ١٤٢ ) ، وفي قصة لوط : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء ،١٦١)، وفي قصة شعيب : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الشعراء ، ١٧٧ ) .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ۝ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [1].

ورد في هاتين الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَنُؤۡمِنُ لَكَ... ؟)

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار التوبيخي أي كيف نؤمن لك والحال أنه قد اتبعك الأرذلون[2].

الثاني : في قوله تعالى : (وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ... ؟)

والأداة فيه : ما مقترنة بالواو . والمراد منه : النفي ، أي : لا أعلم أن الله تعالى سيخصهم بالهداية دونكم[3].

وقـــول الله تعـــالـى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[4][5].

ورد في هاتين الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : ( ... فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ؟)

والأداة فيه : هل مقترنة بالفاء . والمراد منه : الأمر و التحضيض والحث على الاعتبار و التذكر[6].

---

(١) سورة الشعراء ، آية ١١١ ، ١١٢ .

(٢) انظر : فتح القدير ٤ /١٠٨ .

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تكررت الآية في سورة القمر أربع مرات ، مرّة في قصة نوح التي هي محلّ دراستنا ، وآية ١٨ –٢١ في أعقاب هلاك عاد قوم هود ، وآية ٣٠ في قصة ثمود قوم صالح حينما عقروا الناقة ، فنكتفي ببحثها في هذا الموضع لكون الآيات تتعلق بقصص الأنبياء وفي مبحث واحد دفعاً للتكرار .

(٥) سورة القمر ، آية ١٥ ، ١٦ .

(٦) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٤ /١٩٤ .

والثاني : في قوله تعالى : (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي... ؟)

والأداة فيه : كيف مقترنة بالفاء. والمراد منه : التعجيب والتهويل والتعظيم للعذاب الذي يَنزله الله تعالى بمَنْ خالف أمره[1].

دلالة الآيات :

في الآيات قصة نوح - عليه السلام - وما جرى بينه وبين قومه ، وعاقبة نوح ومَنْ آمن معه وعاقبة المكذبين ، وقد تلخصت دعوته في عدة جوانب :

١- فقد أرسل الله تعالى نوحاً إلى قومه ، فخاطبهم بألطف العبارات كما هي طريقة الرسل - عليهم السلام- ( ألا تتقون ) الله تعالى ، فتتركوا ما أنتم مقيمون عليه من الشرك وعبادة الأوثان ، وتخلصون العبادة لله وحده ، فقد مكث -عليه السلام- زمناً طويلاً لدعوة قومه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[3]. وتحلّى بالصبر مع قومه لعلّ الله تعالى أن يهديهم .

٢- أن نوحاً - عليه السلام - أخبرهم أنّه ليس بعجب أن يوحي الله إلى رجلٍ منكم ؛ رحمة بكم ولطفاً ، وإحساناً إليكم لدعوتكم إلى توحيد الله وعبادته ، ولينذركم عذاب الله ونقمته إن خالفتم أمره بعبادة الأوثان .

٣- أنّ نوحاً - عليه السلام - أخبرهم أنّ دعوته عن بيّنة وبرهان وأمر جليّ ويقين، وعندئذٍ يتجلّى صدق دعوته ونبوته بما لا يخفى على أحد . وأنّ الله تعالى وفقه للنبوة والهداية وقد عميت بصائرهم عن رؤية الحق والاهتداء إليه، فنحن لا نكرهكم على الدخول في الإسلام وقد عمّاه الله عليكم، فالله تعالى هو الذي يقضي في أمركم ما يرى وما يشاء[4].

قال الطبري - رحمه الله - : « يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول نوح لقومه إذ كذبوه وردوا عليه ما جاءهم به من عندالله من النصيحة : يا قوم إن كنت على بيّنة من ربي أي :

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٨ /١٨٠ ، وفتح القدير للشوكاني ٥ /١٢٣ ، وروح المعاني ٢٧ /٨٣ .
(٢) سورة العنكبوت ، آية ١٤ .
(٣) سورة نوح ، آيتا ٥ ، ٦ .
(٤) انظر : فتح القدير ٢ /٤٩٤ ، وتفسير السعدي ص ٣٨٠ .

على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له ويجب علي من إخلاص العبادة له وترك إشراك الأوثان معه فيها ... أنأخذكم بالدخول في الإسلام وقد عمّاه الله عليكم ... ولكن نكل أمركم إلى الله حتى يكون هو الذي يقضي في أمركم )) [(١)].

وقد طلب قوم نوح – عليه السلام – منه أمرين :

١- اعترضوا على دعوته استكباراً وتجبراً عن قبول الحق بدعوى أن أتباعه أراذل الناس وأسافلهم ، وبذلك يُعرف تكبرهم عن الحق؛ إذ لو كان قصدهم الحق لاستوضحوا ما خفي عليهم من الحق، وبذلوا جهدهم للوصول إليه . وإلا فإنّ أتباع نوح – عليه السلام – هم الأعلون وأهل العقول الرزينة إذ اتبعوا الحق واهتدوا إليه. أمّا من عمي عليه فهم من سُلب خاصّية العقل فاستحسن عبادة غير الله ؛ فعُلم فساد ما اعترضوا به على نوح – عليه السلام – .

٢- أنّهم طلبوا منه أن يطرد مَنْ آمن به تكبراً وتجبراً ؛ فردّ نوح – عليه السلام — مستبعداً ما طلبوه منه فقال لهم: من يمنعني من عذاب الله ؛ فإنّ طردهم مُوجب للعذاب والهلاك، كما أنّهم لا يستحقون الطرد والإهانة، وإنما يستحقون الإكرام والتقدير . ولذلك أمرهم أن يتفكروا فيما يقولون فيعلموا خطأه ، ثم أخبرهم نوح – عليه السلام – عن عدم علمه بأعمالهم وأنّ حسابهم على الله تعالى إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فدعوهم وشأنهم ، وانقادوا إلى ما جئتكم به من الحق [(٢)].

لما رفض قوم نوح – عليه السلام – دعوته ، مع بذله الوسائل لدعوتهم أنجى الله تعالى نوحاً ومَنْ آمن معه بالسفينة ، وأهلك قومه بالطوفان حتى غرقوا عن آخرهم ، فأبقى الله تعالى سفينة نوح آية وعبرة وعظة لمن بعد قوم نوح من الأمم ليعتبروا ويتعظوا، فيتركوا مسالك الكفر بالله وتكذيب الرسل حتى لا يصيبهم ما أصاب قوم نوح من العذاب ، و أمر الله تعالى عباده بالتذكر (فهل من مدكر) متذكر ومعتبر ؛ فيحذر مخالفة أمر الله تعالى وتكذيب رسله ، أمر عباده بالتأمل في عاقبة من يخالف أمر الله تعالى فإنّ مَنْ خالف أمر الله مستحق للعذاب

---

(١) تفسير الطبري ١٢ /٢٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣٠/١٢ ، وتفسير البغوي ٢ /٣٨٠ ، وتفسير السعدي ص ٣٨١ ، ٥٩٤ .

الأليم ، كما أنّه تعالى لا يُعذب أحداً حتى تبلغه الحجة والنذير الذي لا يقى لأحد عليه حجة[1].

## المطلب الثالث : إبراهيم عليه السلام

ذكر الله تعالى نبيه وخليله إبراهيم – عليه السلام- في مواطن متعددة من كتابه، وكان محور الحديث عنه – عليه السلام – يدور على إقامة العبودية لله تعالى والبراءة من الشرك وأهله، وقد تمّ بحثها في مواطنها من هذا البحث [2].

أما ما يتعلق بما سوى ذلك فقد ورد في مواطن متعددة من كتاب الله تعالى، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقوله الله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[3].

ورد في هاتين الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ.. ؟)

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : التعجب حيث لم تجر العادة أن تلد النساء في سن اليأس ويردف عليه الاستبعاد [4].

الثاني : في قوله تعالى : (أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ؟)

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار حيث أنكرت عليها الملائكة تعجبها ؛ فالله تعالى هو القادر على إيجاد الأمور بأسبابها المعتادة ومن غير المعتادة [5].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٧ /٩٥ ، وتفسير القرطبي ١٧ /١٣٣ ، وفتح القدير ٥ /١٢٣ ، وتفسير السعدي ص٨٢٥ .

(٢) انظر : الفصل الثالث من الباب الأول من البحث نفسه.

(٣) سورة هود ، آية ٧٢ ، ٧٣ .

(٤) تفسير أبي السعود ٤ /٢٢٥ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٤ /٢٢٦ .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [(١)].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَبَشَّرْتُمُونِي؟ )

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : التعجب المشوب بالإنكار والاستبعاد من حصول الولد بعد بلوغ الشيخوخة وسن اليأس [(٢)].

الثاني : في قوله تعالى : ( ...فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ؟)

والأداة فيه : ( ما ) مقترنة بالفاء والباء . والمراد منه : التعجب المشوب بالإنكار والاستبعاد أن يولد ولد من هرمين ، بحكم العادة البشرية [(٣)].

وقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [(٤)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ... ؟)

والأداة فيه : ما مقترنة بـــ(ذا ) ، والاستفهام حقيقي فإبراهيم – عليه السلام – أراد أن يعرف موقف ابنه بشأن هذا الأمر ، فقد امتثل الابن وأبوه لأمر الله تعالى طائعين .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على مسألتين :

الأولى : البشارة بإسحاق – عليه السلام– ، والثانية : الذبيح من ابني إبراهيم – عليه السلام – .

فالأولى منهما : تضمنت الآيات بشارة الملائكة لإبراهيم – عليه السلام – بإسحاق حينما بلغ سن الشيخوخة، كما أنّ زوجته سارة قد بلغت سن اليأس، وهذان سببان في العادة مانعان من حصول الولد، ولذلك تعجب إبراهيم – عليه السلام – فبم تبشرون ؟ مع انعدام الأسباب المعتادة ، فقالت الملائكة له : بشرناك بالحق الذي لاشك فيه ؛ فإن الله تعالى لا

---

(١) سورة الحجر ، آية ٥٤ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٥/٨٥ ، وروح المعاني ١٤ /٦١ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٥/٨٥ .

(٤) سورة الصافات ، آية ١٠٢ .

يعجزه ذلك فهو القادر على إيجاد الأمور دون مسببتها ، و إنّه لا يُستغرب فضل الله تعالى وجوده على ذلك البيت الصالح .

ثم إنّ الملائكة ذكرت لإبراهيم – عليه السلام- أن البشارة حق من الله تعالى، فلا تكن من القانطين الذين يستبعدون وجود الخير، بل كن راجياً لفضل الله وإحسانه ، فبيّن إبراهيم – عليه السلام – أنّ القنوط من رحمة الله ليس من صفات المؤمنين الذين يحسنون الظن بالله تعالى ويؤمنون بكمال قدرته تعالى (١).

قال الشيخ سليمان بن عبدالله – رحمه الله – : إنّ المؤمن إذا خاف الله تعالى فلا يقنط من رحمة الله، بل يرجوها مع العمل الصالح، فإن إبراهيم – عليه السلام – تعجب حدوث هذا في العادة مع كبر السن منه ومن زوجته ؛ ولذلك أجاب الملائكةَ بأنه ليس بقانط، ولكن يرجو من الله الولد وإن كان قد كبر وأيست امرأته فإنّه يعلم من قدرة الله ورحمته ما ه و أبلغ من ذلك (٢).

كما أنّ سارة زوجة إبراهيم – عليه السلام – تعجَّبت من حصول الولد لها بعد بلوغها سن اليأس ولذلك قالت : (ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعۡلِى شَيۡخًا ؟)، فهذان مانعان في العادة من وجود الولد .

ولذلك أخبرتها الملائكة : أنّ هذا أمر لا يُتعجب منه ؛ فإن قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء ، وذلك أمر الله الكوني الذي لا بدّ من نفوذه ونفوذ مشيئته التامة في كل شيء . كما أنّ البشارة بإسحاق بشارة بنبوته وعلمه وبشارة بيعقوب ابناً له (٣).

قال ابن كثير – رحمه الله – : « فبشروهما مع وجوده بنبوته ، وبأنّ له نسلاً وعقباً كما قال تعالى : ﴿ وَبَشَّرۡنَـٰهُ بِإِسۡحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (٤)، وهذا أكمل في البشارة وأعظم في

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٤ /٤٠ ، وتفسير ابن كثير ٢ /٥٥٥ ، وتفسير السعدي ص٤٣٢ .
(٢) تيسير العزيز الحميد ص٤٢٧ – بتصرف – .
(٣) انظر : تفسير الطبري ١٢ /٧٣ ، وتفسير البغوي ٢ /٣٩٣ ؛ وتفسير السعدي ص٣٨٥ .
(٤) سورة الصافات ، آية ١١٢ .

النعمة ، وقال : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[1]، أي : ويولد بهذا المولود ولد ، فإنّ الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ›› [2].

والثانية : في آية (الصافات) قصة الذبيح عليه السلام حينما رأى إبراهيم – عليه السلام- في المنام أنه يذبح ابنه، ورؤيا الأنبياء وحي ، فعرض على ابنه الرؤيا فاستسلما لأمر الله تعالى .

وفي المسألة مذهبان مشهوران لأهل العلم ، وقد نقل ابن جرير الطبري القولين وعزاهما إلى طائفة من الصحابة والتابعين [3] ، هما :

القول الأول : أنّ الذبيح إسحاق – عليه السلام – .

القول الثاني : أنّ الذبيح إسماعيل – عليه السلام – .

وهو الصحيح من مذهب الإمام أحمد .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-: ‹‹ لكن الذي يجب القطع به أنّه إسماعيل ، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة ... فإسماعيل هو وحيد إبراهيم وبكره باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، لكن أهل الكتاب حرفوا فزادوا إسحاق ، فتلقى ذلك عنهم من تلّقاه ، وشاع عند بعض المسلمين أنّه إسحاق ، وأصله تحريف أهل الكتاب ›› [4].

وقد دلت القصة على أن الذبيح إسماعيل من وجوه :

أحدها : أنه بشره بالذبيح وذكر قصته أولا ، فلما استوفى ذلك قال : ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[5]، فبين أنهما بشارتان : بشارة بالذبيح، وبشارة ثانية بإسحاق ، وهذا بيّن .

الثاني : أنه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن إلا في هذا الموضع ، وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصه .

(١) سورة هود ، آية ٧١ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢ /١٥٥ .
(٣) انظر : تفسير الطبري ٨١/٢٣ – ٨٨ ، وتفسير البغوي ٤ /٣٢ ، والفتاوى ٤ / ٣٣١ .
(٤) الفتاوى ٣٣١/٤ – ٣٣٢ ، وانظر : منهاج السنة ٥ /٣٥٣ – ٣٥٥ ، والرد على المنطقيين ص ٥٦٧.
(٥) سورة الصافات ، آية ١١٢ .

الثالث : أنه ذكر في الذبيح أنّه غلام حليم ، ولما ذكر البشارة بإسحاق ذكر البشارة بغلام عليم في غير هذا الموضع ؛ والتخصيص لا بد له من ح كمة ، والحلم هو مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح ، وإسماعيل وصف بالصبر، فإنه قال في الذبيح : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [(١)].

الرابع : أن البشارة بإسحاق كانت معجزة ؛ لأنّ العجوز عقيم ، ولهذا قـال الخليل – عليه السلام–: ﴿ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[(٢)]، وقالت امرأته :﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴾ [(٣)]، وكانت البشارة مشتركة بين إبراهيم وامرأته .

وأما البشارة بالذبيح فكانت لإبراهيم – عليه السلام – ، وامتحن بذبحه .

الخامس: أنّ البشارة بإسحاق تضمنت البشارة بيعقوب، وهي تقتضي أنّ إسحاق يعيش ويولد له يعقوب ، ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب؛ بل يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم – عليه السلام – وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلا ريب .

السادس : أنّ قصة الذبيح كانت بمكة قطعاً ؛ ولهذا جعل الله ذبح الهدايا والقرابين بمكة تذكيراً للأمة ؛ ما كان من قصة إبراهيم – عليه السلام – ، ولم ينقل أحد أنّ إسحاق ذهب إلى مكة لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم ، لكن بعض أهل الكتاب يزعم أنّ قصة الذبيح كانت بالشام ، فهذا افتراء [(٤)].

---

(١) سورة الصافات ، آية ١٠٢ .

(٢) سورة الحجر ، آية ٥٤ .

(٣) سورة هود ، آية ٧٢ .

(٤) انظر : – الأوجه السابقه – الفتاوى ٤/٣٣٢ – ٣٣٥ ، وإغاثة اللهفان ٢ /٢٥٥ – ٢٥٨ .

## المطلب الرابع : موسى عليه السلام

إنّ موسى – عليه السلام – من أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن ؛ ولذلك نلحظ أن الله تعالى تحدث عن أطوار حياة موسى منذ طفولته إلى ما مّر به في شبابه من أحداث ، ثمّ تكل يفه بالرسالة والنبوة، وإرساله إلى أعتى أهل الأرض فرعون، وما دار بينه وبين عدو الله تعالى من أحداث، ثم نجاة موسى – عليه السلام – وهلاك فرعون ، ثم ما دار بينه وبين بني إسرائيل من أحداث ، وتحمّله ما بدر منهم من سفاهات ؛ رجاء صلاحهم وهدايتهم .

وقد وردت تلك القصة في مواطن من كتابه، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام كما سيأتي توضيحه في المسائل التالية :

المسألة الأولى : الأطوار التي مرّ بها نبي الله موسى - عليه السلام -في حياته

في هذه الآيات يقصّ الله تعالى ما مرّ به نبي الله موسى – عليه السلام – من أطوار منذ ولادته رضيعاً إلى أن أصبح شاباً قوياً يافعاً ، كما سيأتي توضيحه في الآيات الآتية :

قول الله تعالى : ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( .. هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ... ؟)

والأداة فيه : هل ، والاستفهام ح قيقي ؛ فقد طلبتْ أخت موسى الإذن لها بأن تدلهم على مرضعة لموسى – عليه السلام – .

وقول الله تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ (٢).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ ﴾ ؟

والأداة فيه : هل ، والاستفهام في الآية حقيقي كما في الآية الأولى .

وقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ (٣).

ورد أسلوب الاستفهام متوسطاً في الآية في قوله تعالى : (...أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى...؟)

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار والتعجيب ؛ فإنّ الرجل أنكر وتعجب من موسى أن يقتله كما قتل نفساً بريئة من قبل (١).

---

(١) سورة طه ، آية ٤٠ .

(٢) سورة القصص ، آية ١٢ .

(٣) سورة القصص ، آية ١٩ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (مَا خَطْبُكُمَا ؟)، والأداة فيه : ما ، والاستفهام حقيقي أي : ما شأنكما ؟ فموسى –عليه السلام– أراد معرفة سبب اعتزال المرأتين الماء .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على الأطوار التي مرّ بها موسى – عليه السلام – خلال نشأته :

الطور الأول : دلت الآيات على فترة الحضانة والطفولة التي مرّ بها موسى – عليه السلام–، وذلك أنّ فرعون في ذلك الحين اتخذ قرارَ قَتْل ذكور بني اسرائيل وترك إناثهم ، فخشيت أمه عليه، فألقته في تابوت في نيل مصر ؛ فساق الله تعالى ذلك التابوت كيف ؟ إلى الشاطئ فأخذوا بموسى إلى قصر فرعون ، فلما همّوا بقتله عرضت آسيا زوجة فرعون ما حكاه الله عنها : ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3].

وهذا الذي ذكره الله تعالى في الآيتين من كون أخته مشت إليهم وقالت : ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ؟) والأخت مرسلة من قِبل أمها لتعرف خبره بعد إلقائه في البحر، فأبصرته من بُعد وهم لا يشعرون بذلك، والله تعالى قد حرّم عليه المراضع غير أمه تحريماً كونياً قدرياً ، لَمّا وجدته أخته ممتنعاً من قبول الرضاع من غير أمه . عرضت أخته عليهم ما حكاه الله تعالى عنها: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾[4].

---

=

(١) انظر : أساليب الاستفهام في القرآن لعبد العليم السيد فودة ص ١٧ .
(٢) سورة القصص ، آية ٢٢ .
(٣) سورة القصص ، آية ٩ .
(٤) سورة القصص ، آية ١٢ .

قيل : إنّهم – قوم فرعون – أخذوها وشكوا في أمرها فقالوا : وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت لهم : نصحهم له وشفقتهم عليه رغبة في سرور الملك ورجاء منفعته . فأرسلوها وذهبوا معها إلى منْزل والدته ، فأعطته أمه ثديها فالتقمه ؛ ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، وأخبروا امرأة فرعون ، وأَجْرَت إلى أم موسى النفقة والإحسان الجزيل ، فأبدل الله أم موسى بعد خوفها أمناً ، وبعد فقرها رزقاً ورغداً [(١)].

الطور الثاني : من حياة موسى حينما بلغ أشده من العقل والقوة دخل موسى – عليه السلام – على حين غفلة من النّاس إما وقت القائلة أو غير ذلك من الأوقات التي يغفلون بها عن الانتشار ، ووجد رجلين يقتتلان ، أحدهما من بني إسرائيل والآخر من القبط ، فاستغاث الإسرائيلي بموسى – عليه السلام– فضرب موسى القبطي ضربة قضت عليه لشدتها وقوتها . فندم موسى – عليه السلام – على ما جرى منه ؛ واستغفر ربه مِمّا حصل .

فأصبح موسى – عليه السلام – في المدينة خائفاً يترقب هل يشعر به آل فرعون أو لا؟ فبينما هو على تلك الحال فإذا الإسرائيلي نفسه يختصم مع قبطيٍّ آخر، فلم يزل اللّجاج بين القبطي والإسرائيلي ، وهو يستغيث بموسى ، فلما همّ موسى أن يبطش بالقبطي ، فخاف الإسرائيلي وقال لموسى : منكراً متعجباً : (أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ...؟)، فانكفّ موسى – عليه السلام – عن قتله وارعوى لوعظه وزجره، فبلغ ذلك فرعون فتشاور في قتله ، فجاءه رجل من أقصى المدينة ناصحاً له بالخروج من المدينة ليسلم من بطش فرعون[(٢)].

الطور الثالث : انتقال موسى – عليه السلام – إلى مدين[(٣)] ذلك أنّ موسى لما بلغه ما همّ به فرعون وملؤه خرج من مصر خائفاً يترقب ، فتوجه تلقاء مدين فلما وصلها ، ورد ماء مدين ووجد عليه أمة من الناس يسقون مواشيهم ، إلا امرأتان تذودان مواشيهما عن الورد ، فلما سألهما موسى عن ذلك ، أجابتا بعدم مزاحمة الرجال في السقي ، بأن أباهما شيخ لا قوة

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٠/٤٠، وفتح القدير ٤/١٦١، وتفسير السعدي ص٥٠٥، وأضواء البيان ٤/١٠ .
(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٠ /٤٥ ، وتفسير ابن كثير ٣ /٣٨٤ ، وتفسير السعدي ص٦١٣ .
(٣) مدين هي: قرية على البحر الأحمر محاذية لتبوك، وتعرف في زماننا بمدينة (البدع) ، وهي بالقرب من غزة . انظر : معجم ما استعجم ٤/١٢٠١ .

له على السقي ، فسقى موسى – عليه السلام – لهما دوابهما غير طالب منهما أجرة على ذلك، ثم إنّ شعيباً لَمّا أخبرته بنتاه بالأ مر استدعى موسى – عليه السلام – واستأجره للسقي عشر سنين على أن يزوّجه إحدى ابنتيه ، فمكث تلك المدة ثم اصطحب أهله للعودة إلى مصر[1].

وقد ذكر الله تعالى تفضّله على نبيه موسى – عليه السلام – بالمنن المتابعة ، بالدين والرسالة ، والنعمة عليه وقت التربية والتنقلات في أطواره ، منها :

١- تثبيت أمه حين كادت تفشي أمره عند فقـــده ، كما قـــال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

٢- إنّ الله تعالى ألقى عليه محبة منه فيحبه ويشفق عليه من يراه، كما قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾[3]. أي : أحبه الله وحببه إلى خلقه .

٣- تحريم المراضع عليه تحريماً كونياً قدرياً ليتيسر بذلك رجوعه إلى أمه وتقرّ عينها ولا تحزن.كما قال الله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4].

٤- النجاة من عقوبة الذنب حينما قتل القبطي ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾[5][6].

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٣ /٤٤٢ ، وزاد المسير ٦٣ /٢٠٩ ، وتفسير السعدي ص ٦١٤ .
(٢) سورة القصص ، آية ١٠ .
(٣) سورة طه ، آية ٣٩ .
(٤) سورة القصص ، آية ١٣ .
(٥) سورة طه ، آية ٤٠ .
(٦) انظر : تفسير السعدي ص ٥٠٥ ، وأضواء البيان ٤/١٠ .

المسألة الثانية : دعوة موسى - عليه السلام - لفرعون

يخبر الله تعالى عن تحمّل نبيه موسى – عليه السلام – الرسالة والنبوة ودعوة فرعون إلى عبادة الله تعالى ، وما حصل من فرعون وقومه مواجهة للدعوة بالتكذيب والكفر إلى مآله الأخير من الهلاك والغرق ، ونجاة نبي الله موسى – عليه السلام – ومن معه كما سيأتي توضيحه في الآيات :

كقول الله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾ ؟

والأداة فيه : هل . والمراد منه: التقرير ؛ أي : قد أتاك حديث موسى وقصته ، ويردف عليه التشويق[(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾ ؟

والأداة فيه : ما مقترنة باسم الإشارة (تلك). والمراد منه : التقرير والتحقيق والتنبيه على أنّها عصا جامدة؛ لئلا يهوله انقلابها حية، ويردف عليه الإيناس لموسى عليه السلام[(٤)].

وقول الله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [(٥)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) . والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد ربيناك ، ويردف عليه الامتنان [(٦)].

---

(١) سورة طه ، آية ٩ .
(٢) انظر : روح المعاني ١٦ / ١٦٤ .
(٣) سورة طه ، آية ١٧ .
(٤) انظر : وتفسير أبي السعود ٦ / ١٠ ، وروح المعاني ١٦ /١٧٤ .
(٥) سورة الشعراء ، آية ١٨ .
(٦) انظر : فتح القدير ٤ /٩٦ ، وروح المعاني ١٩ /٦٨ .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (.. أَلَا تَسْتَمِعُونَ ؟ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ( لا ) . والمراد منه : التعجب والاستغراب لاستماع قومه لكلام موسى وهم صامتون .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام كما في قوله تعالى:﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ولو ، والاستفهام حقيقي مشوب بالإنكار أي : أتجعلني من المسجونين ولو جئتك بشيء مبين [3].

وقول الله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴾[4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴾ ؟

والأداة فيه : هل ،و المراد منه : الأمر أي : اجتمعوا

وقــول الله تعـــالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى :﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(إنّ)، والاستفهام حقيقي فإن السحرة طلبت من فرعون أن يفرض لها الأجر عند غلبتها لموسى – عليه السلام – .

وقول الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾[6].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ ؟

---

(١) سورة الشعراء ، آية ٢٥ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٣٠ .

(٣) انظر : روح المعاني ١٩/ ٧٥ .

(٤) سورة الشعراء ، آية ٣٩ .

(٥) سورة الشعراء ، آية ٤١ .

(٦) سورة النازعات ، آية ١٥ .

والأداة فيه : هل . والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد أتاك حديث موسى ويردف إليه التشويق كما تقدم نظيره في سورة طه [(١)].

وقول الله تعالى : ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [(٢)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ ؟ والمراد منه : الأمر والطلب برفق ، والأداة فيه : هل؛ فإن موسى –عليه السلام– عرض الرسالة على فرعون مرغباً له فيها بأن يتطهر من دنس الكفر إلى الإيمان .

دلالة الآيات :

ففي هذه الآيات بيان لمنهج الدعوة الذي سلكه نبي الله موسى – عليه السلام – مع عدو الله فرعون بتبليغه رسالة ربه ، ويتضح ذلك من عدة جوانب :

١– أنّ الله تعالى يخاطب نبيه محمداً – ﷺ– مسلياً له عن تكذيب قومه، وأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان قبلهم ممّن هو أقوى منهم .

٢– أن مبدأ نبوة موسى – عليه السلام – حينما خرج من مدين عائداً إلى مصر رأى ناراً من بعيد ، فأمر أهله بالمكث ، وذهب إلى موضع النار فوجدها نوراً في الحقيقة ، ويدل على ذلك قوله – ﷺ–: (( حجابه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سُبُحات [(٣)] وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه )) [(٤)] كما ذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن السعدي[(٥)].

فلما نزل الوادي المقدس طوى [(٦)] ناداه الله تعالى وكلّمه حقيقة ، فاصطفاه لتحمّل رسالته، ثم قرّره بإفراده بالعبادة .

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٤ /٤٤٤ ، وتفسير القرطبي ١٩٥/١٩ ، وتفسير أبي السعود ٩ /٩٩ ، وروح المعاني ٣٠ /٢٧ .

(٢) سورة النازعات ، آية ١٨ .

(٣) سُبُحات جمع سبحه أي : جلال وجهه ونوره .
انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين ص ٨٢ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٤٥٤/١ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب قوله : ( نور أنى أراه ) ١٧٩٦ ، ١ /١٦١ .

(٥) انظر : تفسير السعدي ص٥٠٣ .

(٦) طوى : اسم للوادي وهو موضع عند مدين بجوار جبل الطور الذي بسيناء مصر . انظر : معجم ما استعجم ٨٩٦/٣ ، ومعجم البلدان ٤٥/٤ – ٤٧ ، والروض المعطار ٣٩٧/١ .

(( فلما بيّن الله لموسى – عليه السلام – أصل الإيمان أراد أن يُبين له ويريه من آياته ما يطمئن به قلبه ، وتقر به عينه ، ويقوى إيمانه ، بتأييد الله له على عدوه )) [(١)].

فقال : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [(٢)].

إن الله تعالى يعلم ما في يده ، ولكن لتنبيه موسى – عليه السلام – وأنّ ما في يده عصا جامدة لئلا يُفزعه تحوّلها إلى ثعبان مبين ؛ ولذلك جاء جواب موسى – عليه السلام – كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [(٣)].

فذكر منفعتها للآدمي ، ومنفعتها للبهائم .

هيأ الله تعالى موسى لدعوة فرعون ؛ فأراه آيتين من آياته الكبرى : تحوّل العصا إلى ثعبان عظيم يسعى ، وبياض يده بياضاً ساطعاً لا عيب فيه ولا برص .

كما قال الله تعالى: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ [(٤)].

ليطمئن قلبه بتلكما الآيتين ؛ ولتكونا معجزة دالة على صحة رسالته .

قال الإمام الطبري – رحمه الله– : (( ولعل قائلاً أن يقول : ما وجه استخبار الله موسى عمّا في يده ؟ ألم يكن عالماً بأن الذي في يده عصا ؟ قيل له : إنّ ذلك على غير الذي ذهب إليه ، وإنّما قال – عز ذكره – له إذا أراد أن يحوّلها حية تسعى ، وهي خشبة ، فَنَبَّهَ ه عليها وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها ويهشُّ بها على غنمه ليُعرَّفه قدرته على ما يشاء وعِظَمَ سلطانه ونفاذ أمره فيما أحب بتحويله إياها حية تسعى إذا أراد ذلك به ، يجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه )) [(٥)].

---

(١) تفسير السعدي ص ٥٠٤ .

(٢) سورة طه ، آية ١٧ .

(٣) سورة طه ، ١٨ .

(٤) سورة القصص ، آية ٣٢ .

(٥) تفسير الطبري ١٦ /١٥٣ .

٣- أنَّ الله تعالى أمر موسى - عليه السلام - بدعوة فرعون ، كما قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ [١].

أمر الله - تعالى - موسى بأن يتوجه إلى فرعون فقد طغى وتجبر وعصى وبأن ينهاه عن ذلك بقولٍ ليّن، وعرض لطيف، لعله يستجيب لتلك الدعوة ؛ فيؤمن بالله تعالى ، فقل : هل لك إلى أن تُطهّر نفسك من دنس الكفر وظلمته إلى طهارة الإيمان ونوره ؟ وأدلك على طريق الهداية والصراط المستقيم .

قال الشنقيطي - رحمه الله - : (( وفي هذه السورة الكريمة بيان لمنهج الدعوة وما ينبغي أن يكون عليه نبي الله موسى مع عدو الله فرعون ، وأسلوب العرض ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [٢]، ثم تقديم الآية الكبرى ، ودليل صحة دعواه ممّا يلزم كل داعية اليوم أن يقف هذا الموقف حيث لا يوجد اليوم أكثر من فرعون ، ولا أشد طغياناً منه حيث ادّعى الربوبية والألوهية معاً .. )) [٣].

قابل فرعون دعوة موسى -عليه السلام- بالكفر والتكذيب، واعترض عليها بقوله كما أخبر الله -تعالى- عنه: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[٤].

ففرعون يُقرّر موسى - عليه السلام - بما منّ عليه من الحضانة والتربية التي حظي بها في قصره .

قال ابن كثير - رحمه الله-: أعرض فرعون هنالك بالكلية، ونظر إليه بعين الازدراء، أمَا أنت الذي ربَيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا ، وأنعمنا عليه مدة من السنين ، ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة أن قتلت منّا رجلاً ، وجحدت نعمتنا عليك [٥] ؟.

---

(١) سورة النازعات ، الآيات ١٥ ، ١٨ .

(٢) سورة النازعات ، الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٣) أضواء البيان ٨ / ٤١٩ .

(٤) سورة الشعراء ، آية ١٨ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣ /٣٣٣ - بتصرف - .

ثم سأل فرعون موسى منكراً : ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1][2] ؟ .

فأجابه موسى – عليه السلام – بقوله : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [3] .

فلما بيّن موسى – عليه السلام – أنّ الله تعالى لا يخفى على مَنْ له عقل ، تعجّب فرعون من موسى – عليه السلام – وإجابته بما أجابه عن حقيقة رب العالمين ، ثم حثّ قومه متعجباً مستغرباً عليه بقوله : (أَلَا تَسْتَمِعُونَ) كيف تستمعون إلى كلامه وأنتم صامتون ؟!

لّما ابتدر فرعون موسى – عليه السلام – بعقوبه السجن ، عرض عليه موسى – عليه السلام – أن يريه آيةً وبرهانـــاً دالاً على صدق رسالته ، فقال : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾ [4]، فقَبِل بذلك كما قال الله تعالى : ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [5].

فكانت الآية الأولى : العصا وتحوّلها إلى ثعبان مبين حقيقة لا تمويه فيها ولا خيال .

الثانية : نزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء ساطعة البياض لا عيب فيها ولا برص .

فقابل فرعون ذلك باتهام موسى – عليه السلام – بالسحر، وأنّ ما جاء به من جنس ما يجيء به السحرة .

ثمّ أراد عقد مناظرة بين موسى – عليه السلام– وبين المهرة من السحرة، وأن يُنادى في عموم الناس للاجتماع لذلك اليوم الموعود ، كما قال تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴾ [6].

---

(١) تقدم بحث الآية انظر : ص١٣٩ من البحث نفسه .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٢٣ .

(٣) سورة الشعراء ، ٢٤ – ٢٥ .

(٤) سورة الشعراء ، آية ٣٠ .

(٥) سورة الشعراء ، آية ٣١ ، ٣٣ .

(٦) سورة الشعراء ، آية ٣٩ .

فلما جاء السحرة قالوا : ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ [1].

فوعدهم فرعون بالأجر الوفير والقربة منه ؛ ليبذلوا مافي وسعهم في معارضة ما جاء به موسى، فدارت المناظرة كما أخبر الله تعالى به : ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [2].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : (( وهذا من لطف الله أن يُريَ العبادَ بطلان ما موّه به فرعون الجاهل الضال الْمُضل ، من أنّ ما جاء به موسى سحر ، فقيضهم أن جمعوا أهل المهارة بالسحر لينعقد المجلس عن حضرة الخلق العظيم ، فيظهر الحق على الباطل، ويقرّ أهل العلم، وأهل الصراعة بصحة ما جاء به موسى، وأنه ليس بسحر )) [3].

وبذلك أقام الله تعالى الحجة عليهم، وردّ كيدهم في نحورهم ، فانقمع الباطل وأقرَّ زعماؤه ببطلانه [4].

---

(١) سورة الشعراء ، آية ٤١ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٤٣ ، ٤٨ .

(٣) تفسير السعدي ص٥٩١ .

(٤) انظر : – ذكر قصة موسى – عليه السلام – تفسير الطبري ١٦ /١٥٣ ، ١٩ /٦٦ ، ٣٨/٣٠ ، وتفسير القرطبي ١١ /١٨٦ ، ٩٤/١٣ ، وتفسير ابن كثير ٢١٤/٣ ، ٣٣٣ ، ٤/ ٤٦٩ ، وفتح القدير ٣٧٥/٥ ، وتفسير السعدي ص٥٠٤ – ٥٨٩ .

## المسألة الثالثة : قصة البقرة

إن الله تعالى يذكر ما حصل من بني إسرائيل من قتل القتيل وترافعهم إلى نبي الله م وسى - عليه السلام - وطلبه منهم أن يذبحوا بقرة ؛ فيبين الله تعالى لهم الجاني على ما سيأتي توضيحه في الآيات ، وما في تلك القصة من العبر والعظــات ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

قول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ (1).

وردت ثلاثة أساليب استفهام في هذه القصة :

الأول : ( ما هي ) ؟ ، والثاني : ( ما لونها ) ؟ ، والثالث : ( ما هي ) ؟

والأداة في تلك الاستفهامات : ما ، والاستفهامات الثلاثة حقيقة وقد اتضح المراد منها بجواب كلٍ منها .

دلالة الآيات :

قصة البقرة تُبين ما دار بين نبي الله موسى - عليه السلام - وبني إسرائيل ، وأنّ الله تعالى امتنّ على بني إسرائيل بخرق العادة لهم في شأن البقرة وبيان القاتل ، وإحياء المقتول ونصّه على من قتله منهم؛ وذلك أنّ بني إسرائيل كان منهم رجلٌ مكثرٌ من المال، وكان له ابنة فقتله ابن أخيه ، وقيل : أخو المقتول ، وقيل : بل كانوا جماعة ورثة استبطؤوا حياته ؛ فترافعوا إلى موسى - عليه السلام - متهمين قتلةً لهذا الرجل سواهم ، فأمرهم موسى عليه السلام بذبح بقرة .

(1) سورة البقرة ، آية ٦٨ - ٧٠ .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : (( فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شدّدوا ، وتعنتوا موسى ، فشدّد الله عليهم )) [1].

اعترضوا على موسى عليه السلام بثلاث مسائل :

الأولى: ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ ؟ فأجابهم موسى بما أوحى تعالى إليه : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴾ [2].

أي : إنّها بقرة ليست هرمة ولا صغيرة ، عوانٌ بين ذلك أي : متوسطة بين البكر والهرمة .

الثانية: سؤالهم عن لونها في قولهم : ﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا ﴾ ؟ فأجابهم بقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ [3].

أي : إنّها بقرة صفراء شديدة الصفرة ، تُعجب الناظرين إليها .

الثالثة: سألوا زيادة وصف في قولهم :﴿ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ﴾؟ فأجابهم بقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ ﴾ [4].

أي : ليست مذللة بالعمل والحرث ، وليست بساقية ، وهي مسلّمة من العيوب أو من العمل ، لا شية فيها لا لون فيها غير لونها الموصوف .

ثم بعد هذا البيان ذبحوها وضرب القتيل ببعضها فأحياه الله ، فسُئل مَنْ قتلك ؟ فقال : فلان ، ثم خرّ صريعاً .

هذه القصة تُبين فضل نبي الله موسى – عليه السلام – وصبره على تعنت بني إسرائيل وكثرة اختلافهم عليه ، ويتضح ذلك من عدة جوانب :

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١ /٣٣٩ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٦٨ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٦٩ .

(٤) سورة البقرة ، ٧١ .

١- الاختلاف على الأنبياء، وذلك يتضح من كثرة أسئلتهم فلو أنّهم ذبحوا أيَّ بقرة لأجزأهم، ولكنهم تعنتوا في طلبها .

٢- عدم تعظيمهم لله تعالى وذلك أنهم لم يقولوا : ادع لنا ربنا ، وإنما : ادع لنا ربك .

٣- استهانتهم بنبي الله موسى - عليه السلام - وذلك حينما أمرهم بذبح البقرة قالوا : أتهزأ بنا ؟! وما شأن البقرة في القتيل ؛ ولذلك أجابهم بقوله : ( أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ) .

٤- عدم المبادرة في تنفيذ أمر الله كما قال تعالى:﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[1].

(١) انظر القصة بإيجاز في : تفسير الطبري ٣٣٨/١ ، وتفسير القرطبي ١/ ٤٥٠ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٠٩ ، وروح المعاني ١/ ٢٨٨ ، وتفسير السعدي ص٥٥ .

المسألة الرابعة : قصة عبادة العجل

في هذه القصة يذكر الله تعالى المنكر العظيم الذي قام به بنو إسرائيل عند غيبة موسى – عليه السلام – عنهم حينما صنعوا تمثالاً للعجل ثم عبدوه ، وما في تلك القصة من العبر ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

قول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي . أي : أعجلتم عن انتظار أمر ربكم أي ميعاده الذي وعد به فتعجلتم سخط ربكم [2].

قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ... ؟)

والأداة فيه : ما . والمراد منه : الإنكار على موسى – عليه السلام – أي : ما الذي قدّمك على قومك؟ ولِمَ لم تصبر حتى تقدم أنت وهم ؟ فالإنكار مسلّط على سبب العجلة، والعجلة نفسها ؛ لأن العجلة لا تليق بأولي العزم من الرسل [4].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٥٠ .

(٢) انظر : فتح القدير ٢ /٢٤٨ .

(٣) سورة طه ، آية ٨٣ .

(٤) انظر : الكشاف ٣ / ٨٢ ، وتفسير البيضاوي ٤ / ٦٤ ، وتفسير أبي السعود ٦ / ٣٣ ، وروح المعاني ٢٤١/١٦.

(٥) سورة طه ، آية ٩٢ ، ٩٣ .

ورد أسلوبا الاستفهام في الآيتين :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴾ ؟

والأداة فيه : ما . والمراد منه : الإنكار ؛ أي : إنكار موسى – عليه السلام – على أخيه هارون على عدم اللحاق به ومفارقة عباد العجل [1].

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتقريع ؛ أي : كيف خالفت أمري دون منابذة ومقاطعة مَنْ خالف دين الله بعبادة العجل [2].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴾ ؟

والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار التوبيخي، أي : ما الذي حملك على هذا المنكر والشناعة العظيمة [4].

وقول الله تعالى : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ...) ؟ والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الدعاء والتضرع ، أي : لا تعذبنا بذنب غيرنا [6].

---

(١) انظر : فتح القدير ٣ /٣٨٢ .

(٢) انظر : والإتقان للسيوطي ٢ / ٢١٣ ، وتفسير أبي السعود ٦ / ٣٨ ، وفتح القدير ٣ /٣٨٢ .

(٣) سورة طه ، آية ٩٥ .

(٤) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢ /٣٢٨ .

(٥) سورة الأعراف ، آية ١٥٥ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٢ /٢٠٤ ، وتفسير القرطبي ٧ /٢٩٥ ، وتفسير الجلالين ص ٢١٦ ، وتفسير أبي السعود ٣ /٢٧٧ ، وفتح القدير ٢ /٢٥٢ ، وروح المعاني ٩ /٧٥ .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على المنكر الشنيع الذي صدر من بني إسرائيل وهو عبادة العجل متغافلين ما تفضّل الله به عليهم من إنقاذهم من ذُلّ فرعون واستعباده ، حيث إنّ موسى – عليه السلام – بادر للقاء ربه طاعة لربه ، وحرصاً على موعده، فأنكر الله تعالى عليه تعجّله عن قومه ، وأخبر الله تعالى أنّ الذي دفعه للتعجل التقرب إلى ربه والمسارعة في رضاه . فأخبر الله تعالى موسى – عليه السلام – بما فُتن به قومه من عبادة العجل ، فلمّا رجع موسى – عليه السلام – غضبان أسفاً واجه قومه لمعرفة الدافع لهم إلى عبادة العجل وناقشهم بثلاثة أسئلة :

١- وجّه الخطاب إلى عموم قومه كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ [(1)(2)]، فهل تطاول بكم عهد النبوة؟ فلم يكن لكم علم بالنبوة فاندرست آثارها ، فعبدتم غير الله ؛ لغلبة الجهل ! أم أردتم أن يحلّ بكم غضب الله وعقوبته بمخالفة أمره .

٢- أن موسى – عليه السلام – وجه السؤال إلى هارون – عليه السلام – الذي جعله خليفة في قومه ، فأخذ برأسه ولحيته وقال : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ ، فموسى أنكر على هارون مكثه بين بني إسرائيل مع مخالفتهم أمر الله تعالى بعبادة العجل ، ولا شك أنّ نبي الله هارون سوّغ بقائه بينهم بما حكاه الله عنـــه : ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [(3)]، فمكث في بني إسرائيل منتظراً مجيء نبي الله موسى – عليه السلام – وخشي إن فارق بني إسرائيل أن يتفرقوا ، فيكون من الصعب اجتماعهم مرَّة أخرى ، إضافة إلى أنّ بني إسرائيل استهانوا بهارون واستضعفوه وأوشكوا على قتله .

(١) سورة طه ، آية ٨٦ .

(٢) تقدم بحث الآية انظر : ص ٢٦٢ من البحث نفسه .

(٣) سورة طه ، آية ٩٤ .

٣- أن الخطاب وُجّه إلى رأس الفتنة ومصدرها ( السامري ) فسأله موسى - عليه السلام - ما شأنك يا سامري حتى فعلت ما فعلت ؟

فأجاب : أنه بصر بما لم يبصروا به وهو جبريل - عليه السلام - على فرس رآه حينما خرجوا من البحر ، فقبض قبضة من أثر حافر فرسه ، فنبذه ا على العجل بعد صهر الحلي وتمثيله فتحرّك العجل ، وصار له خوار فتنة لهم وامتحاناً .

وقد واجه موسى تلك الفتنة بأمرين :

١- إتلاف العجل وإحراقه ثم نسفه في البحر؛ وذلك لأن العجل أشْربَ في قلوبهم ، فأراد موسى - عليه السلام - إتلافه وهم ينظرون على وجه لا يمكن إعا دته لقطع دواعي الباطل من قلوبهم .

٢- أن موسى قرّر عقيدة التوحيد كما أخبر الله عنه : ﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[1].

ثم لما تاب بنو إسرائيل عمّا بدر منهم من عبادة العجل، اختار موسى -عليه السلام- من قومه سبعين رجلاً من خيارهم ؛ ليعتذروا ممّا كان من فعل سفهائهم في أمر العجل، وقد وعدهم الله تعالى ميقاتاً يحضرون فيه ، فلمّا حضروا قالوا ما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[2]، فتجرؤوا على الله جراءة عظيمة ، وأساؤوا الأدب فأخذهم الرجفة فصعقوا وهلكوا جميعاً ، فلم يزل موسى - عليه السلام - متضرعاً إلى الله باكياً داعياً ويقول : يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ؟ فلو شئت أهلكتهم من قبل أن يحضروا، فقد جاؤوا معتذرين مِمّا صدر من قومهم من عبادة العجل فصاروا هم الظالمين ، أ تهلكنا بما فعل السفهاء وضعفاء العقول منا ؟ فاعتذر بأن المتجرئين على الله ليس لهم عقول كاملة تردعهم عمّا قالوا وفعلوا ، فما ذلك إلا فتنة وامتحان سَلِم منها مَنْ وفقه الله بالهداية، وزلّ فيه من ضعف عقله وسفه رأيه . فتوسل إليه أن يشملهم بعفوه ومغفرته [3].

---

(١) سورة طه ، آية ٩٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٥٥ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩ /٧١ ، وزاد المسير ٣ /٢٦٩ ، وتفسير ابن كثير ٢ /٢٥١ ، وفتح القدير ٢/٢٥٢ ، وتفسير السعدي ص ٣٠٤ .

قال ابن القيم – رحمه الله – لما نقل أقوال المفسرين : (( قلت وهؤلاء كلهم حاموا حول المقصود ، والذي يظهر – والله أعلم بمراده ومراد نبيه– أنّ هذا استعطاف من موسى – عليه السلام – لربه وتوسل إليه بعفوه عنهم من قبلُ حين عبد قومهم العجل و لم ينكروا عليهم ، يقول موسى : إنهم قد تقدم منهم ما يقتضي هلاكهم، ومع هذا فوسعهم عفوك ومغفرتك و لم تهلكهم فليسعهم اليوم ما وسعهم من قبل ))[1].

فأجاب الله سؤال موسى –عليه السلام– فأحياهم من بعد موتهم، وغفر لهم ذنوبهم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ ﴾[2].

(١) إغاثة اللهفان ٢ /٣٠٧ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٥٦ .

المسألة الخامسة : تذمّر بني إسرائيل مـمّا وهبهم الله من النعم ، وشوقهم إلى الأرض التي ألفوها

في تلك القصة يذكر الله تعالى حال بني إسرائيل وأنفسهم الدنيئة ومقابلتهم نِعم الله بالاحتقار لها ، حيث ملّوا طعام المنّ والسلوى ، ورغبوا فيما ألفوه من الطعام المنوّع كما سيأتي توضيحه في هذه المسألة

كقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:(...أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ؟

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أتستبدلون الذي هو أدنى من الأطعمة المذكورة بالذي هو خير من المنّ والسلوى ؟! فهذا غير لائق بكم[2].

دلالة الآية :

يخبر الله في هذه الآية عن قلة صبر بني إسرائيل ، واحتقارهم لنعمه ، فبعد ذلّ فرعون لهم واستعباده لهم أنجاهم الله تعالى ، وبعث فيهم رسولاً من خير الرسل ، ثمّ ارتحل بهم من المكان الذي استُذلُّوا به ، وأطعمهم من أفضل الأطعمة وهما :

١- المنّ قيل : إنه عسل كالصمغة ينزله الله تعالى على الأشجار[3].

٢- السلوى طائر يشبه السُّماني[4].

---

(١) سورة البقرة ، آية ٦١ .

(٢) انظر : البحر المحيط ١ / ٣٩٣ ، وتفسير الجلالين ص ١٣ ، وروح المعاني ١ / ٢٧٣ ، وتفسير السعدي ص٥٣.

(٣) انظر : تفسير الطبري ١ /٢٩٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١ /٢٩٥ .

ولكن نفوسهم الدنيئة كرهت ما وهبها الله واحتقرته فقالوا : ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ ، وهو : المــنّ والسلــوى ، فطلبوا طعاماً منوّعاً كما في مصر من البقول والقثاء والفوم[1] والعدس والبصل .

فأنكر نبي الله موسى – عليه السلام – ما بدر منهم وفي ذلك تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيئة مع ما هم فيه من العيش الرغيد والطعام الهنيء الطيب النافع))[2]، فلما حصل منهم الاحتقار لنعم الله وقلة الصبر ، جازاهم الله من جنس عملهم ؛ فضرب عليهم الذلة التي تشاهد على ظاهر أبدانهم ، والمسك نة بقلوبهم فلم تكن أنفسهم عزيزة ، ولا هممهم عالية بل أنفسهم مهينة ، وهممهم أردأ الهمم ، كما استحقوا غضب الله عليهم بكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير الحق [3].

والخطاب في الآية لليهود الذين كانوا زمن النبي – ﷺ – وقد نسبت هذه الأعمال إليهم لفوائد :

١– أنّهم كانوا يتمدَّحون ويزكّون أنفسهم ويزعمون فضلهم على محمد –ﷺ– .

٢– أنّ نعمة الله على المتقدمين منهم نعمة واصلة للمتأخرين، فخُوطبوا بها؛ لأنها تشملهم .

٣– أنّ الخطاب لهم بأفعال غيرهم مما يدل على أنّ الأمة مجتمعة على دين تتكامل وتتساعد على مصالحها فمتقدمهم ومتأخرهم واحد .

٤– أنهم لم ينكروا أكثر أفعالهم ، والراضي بالمعصية شريك العاصي [4].

---

(١) الفوم : قال بعض المفسرون : إنه الحنطة والخبز ، ويقال : هو الثوم المعروف .
انظر : تفسير الطبري ١/٣١٠ ، وتفسير السعدي ص٥٣ .

(٢) الجواب الصحيح ٢ /٢١٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١ /٣١٠ ، وتفسير ابن كثير ١ /١٠٢ ، وتفسير السعدي ص ٥٣ –٥٤ .

(٤) انظر : تفسير السعدي ص ٥٣ – ٥٤ .

## المسألة السادسة : قصة أصحاب السبت

في هذه القصة يذكر الله تعالى امتحانَه وابتلاءه لأصحاب السبت حين حرّم عليهم الصيد فيه دون ما سواه من الأيام ، فانتهكوا محارم الله، واحتالوا للصيد ف يه ؛ فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير كما سيأتي توضيحه في هذه المسألة :

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ..لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ... ) ؟

والأداة فيه : ما مقترنة باللام . والمراد منه : الإنكار ، ويردف عليه التعجب على استمرار الوعظ لمن ارتكب محارم الله مع عدم كفّهم وانتفاعهم بالوعظ [(٢)].

دلالة الآية :

في هذه الآية قصة قوم من اليهود يسكنون في قرية أَيْلَة [(٣)] على ساحل ا لبحر ، حيث أمرهم الله أن يُعظموه في يوم السبت ويتفرغوا لعبادته ، ونهاهم عن الصيد فيه وأباحه لهم بقية الأيام . ثم ابتلاهم وامتحنهم في ذلك اليوم ؛ فتأتيهم الحيتان على ظهر الماء و في بقية الأيام تختفي امتحاناً لهم . فانتهك قوم منهم محارم الله، واحتالوا، فأصبحوا ينصبون الشباك يوم الجمعة، ثم يأخذونها يوم الأحد ، وذلك تحايلٌ للحرام في ال باطن ، فصار أهل القرية ثلاث فرق:

١- فرقة ارتكبت المحرم واحتالت في الصيد .

٢- فرقة نَهَتْ واعتزلتهم .

٣- فرقة سكتت فلم تفعل و لم تَنْهَ ، ولكنها قالت للمنكرة : (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) .

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٦٤ .

(٢) انظر : روح المعاني ٩ /٩١ .

(٣) أيلة : مدينة على ساحل خليج العقبة مما يلي الشام ، وهي شمال غرب جزيرة العرب، وهي آخر الحجاز وأول الشام . انظر : جزيرة العرب ١/٢ ، وتهذيب الأسماء ١٨/٣، ومعجم البلدان ١ /٣٤٧ .

وقد أنزل الله تعالى عقابه بالفرقة الأولى فمسخهم قردة وخنازير ثم أهلكهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [(١)].

والفرقة الثانية نجت ، كما قال تعالى : ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾ [(٢)].

وأمّا الفرقة الثالثة التي سكتت فاخ تلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والأظهر أنهم كانوا من الناجين ؛ لأن الله تعالى خصَّ الهلاك بالظالمين وأنهم كرهوا ما فعله المعتدون ؛ ولذلك قالوا ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ .

قال ابن القيم – رحمه الله– : أخبر الله تعالى عن الفرقة الساكتة أنّهم أنكروا فعلهم ، وغضبوا عليهم وإن لم يواجهوهم بالنهي ، فقد واجههم به مَنْ أدَّى الواجب عنهم ؛ فإنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، فلما قام به أولئك سقط عن الباقين فلم يكونوا ظالمين بسكوتهم ، وأيضاً فإنّ ا لله سبحانه إنما عذب الذين نسوا ما ذُكِّروا به وعَتَوْا عما نُهوا عنه ، وهذا لا يتناول الساكتين قطعاً [(٣)].

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٦٥ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٦٥ .

(٣) انظر : أعلام الموقعين ١ /٣٥٣ .

## المسألة السابعة : قصة الملك طالوت في بني إسرائيل

في هذه القصة يذكر الله قصة الملأ من بني إسرائيل بعد وفاة موسى – عليه السلام – وطلبهم من نبيهم أن يبعث الله تعالى لهم ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله .

قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [(١)].

وفي الآية عدة استفهامات :

الأول : صُدِّرتْ الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ( لم ) . والمراد منه : التقرير والتحقيق والإثبات لخبر النبي من بني إسرائيل وقومه [(٢)].

والاستفهام الثاني في قوله تعالى : (هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ... ) ؟

والأداة فيه : هل . والمراد منه : تقريرهم أنّ المتوقع كائن من تراجعهم عن القتال بعد فرضه [(٣)].

والاستفهام الثالث : في قوله تعالى : (مَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ) ؟

والأداة فيه : ( ما ). والمراد منه : الإنكار أي : لماذا لا نقاتل في سبيل الله وقد أوذينا في ديارنا وأبنائنا .

دلالة الآية :

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢٤٦ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١ /٢٣٩ .

(٣) انظر : الكشاف ١ / ٣١٩ ، وتفسير الجلالين ص ٥٣ ، وتفسير أبي السعود ٢ / ٢٣٩ ، وروح المعاني ١٦٥/٢.

يقص الله تعالى على نبيه محمد – ﷺ– قصة الملأ من بني إسرائيل بعد وفاة موسى ، حيث طلبوا من نبي من أنبيائهم قيل : إنّ اسمه ( شمويل ) أن يعين لهم ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله، فقد أوذوا في أموالهم وأنفسهم ، فقال لهم نبيهم : (هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُواْ ) ، فقد يُفرض القتال عليكم ثم لا تقاتلون ، فأصرّوا على القتال . فلمّا فرض الله تعالى عليهم القتال جبنوا عن قتال الأعداء و ضعفوا وزال ما كانوا عزموا عليه ، إلا قليلاً منهم وهم مَنْ ثبته الله .

ثم إن نبيهم شمويل أخبرهم أنّ الله تعالى جعل لهم طالوت ملكاً، وكان من سبط من أسباط بني إسرائيل ليس فيهم نبوة ولا ملك ، فاعترضوا على ذلك الاختيار؛ لكونه كان دبّاغاً قليل المال وهم أولى بالملك منه ، فأخبرهم نبيهم أنّ طالوت تميزّ عليهم بأمرين :

١- العلم ، فقد أوتي ما لم يُؤْتَ غيره ، وقيل : الوحي .

٢- قوة الجسم قيل : كان فيه الزيادة في الطول التي لم يُؤتها غيره ، فقوة العلم والجسم بهما تتم أمور الملك، ثم إنّ الله تعالى جعـــل لهم آية حسية على ملكه وهي إتيان التابوت [1] الذي قد فقدوه زماناً طويلاً، فأتت به الملائكة حاملة له وهم يرونه عياناً ، فلما تملّك طالوت على بني اسرائيل واستقر له الملك تجهز لقتال العدو ، فلما فصل طالوت بجنود بني اسرائيل وكانوا جمعاً غفيراً ، امتحنهم الله بنهر بين الأردن وفلسطين فمن شرب منه فهو عاص لله تعالى ، ومن شرب غرفة بيده فلا جناح عليه في ذلك . فلما تجاوزوا النهر وقع التمييز بينهم برؤية جالوت ولقائه، فتراجع أهل الشرك والنفاق ، وثبت أهل الإيمان، وقتل داود – عليه السلام – جالوت فأتاه الله تعالى الملك والنبوة [2].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – :((ففي الآيات تأديب لليهود زمن النبي – ﷺ– لتكذيبهم لمحمد – ﷺ– مع علمهم بصدقه ، فيكونون كأسلافهم الذين كذبوا نبيهم شمويل مع

---

(١) ذكر ابن جرير رحمه الله أن التابوت احتوى على :رضاض الألواح، وعصا موسى وثياب هارون، والسكينة قيل : ريح ، وقيل : هي الوقار أو الرحمة ، انظر : تفسير الطبري ٢ /٦١١ ، ٦١٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢ /٥٩٥ وما بعدها ، وتفسير البغوي ١ /٢٢٦ ، وتفسير السعدي ص١٠٧ .

علمهم بصدقه ، وامتناعهم من الجهاد مع طالوت لّما ابتعثه ملكاً عليهم بعد مسألتهم نبيهم ابتعاث ملك يقاتلون معه)) [1].

## المطلب الخامس: عيسى وأمّه وزكريا عليهما السلام

ذكر الله تعالى قصة عيسى –عليه السلام– وأمه ، وقصة زكريا –عليه السلام– في سياق واحد، كما في سورة آل عمران وسورة مريم لتزامنهما وترابطهما ، وقد أُفِردَ ذكرهما في مواطن أخرى من كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ؟ )

والأداة فيه : أنّى ، والاستفهام حقيقي ؛ فإنّ زكريا – عليه السلام – تعجب من حصول مريم على الطعام فسألها عن مصدره .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ...؟)

والأداة فيه : أنّى ، والاستفهام حقيقي، حيث إنّ زكريا تعجب من حصول الولد مع وجود الأسباب المانعة من حصوله [4].

---

(١) تفسير الطبري ٢ /٦٠٦ – بتصرف – .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٣٧ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٤٠ .

(٤) انظر : روح المعاني ٣ /١٤٩ .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ...؟)

والأداة فيه: أنّى . والمراد منه : التعجب والاستبعاد ويحتمل أن يكون الاستفهام حقيقاً، فإن مريم سألت عن وجود الولد من غير أب، فهذا مما لم تجر به العادة البشرية [(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ... ؟)

والأداة فيه : أنّى بمعنى كيف . والمراد منه : الاستبعاد أي : أيحصل الولد مع كوني شيخاً كبيراً وزوجتي عاقر [(٤)] .

وقول الله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [(٥)] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ؟)

والأداة فيه : أنّى . والمراد منه : التعجب والاستبعاد من حصول الولد من غير مسببه .

وقول الله تعالى:﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾[(٦)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ؟)

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٤٧ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٢ /٣٧ ، وروح المعاني ٢ /١٦٤ .

(٣) سورة مريم ، آية ٨ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٥ /٢٥٦ ، وروح المعاني ١٦ /٥٦ .

(٥) سورة مريم ، آية ٢٠ .

(٦) سورة مريم ، آية ٢٩ .

والأداة فيه : كيف . والمراد منه : الإنكار على مريم والتعجب من إشارتها إلى صبي في المهد لا يستطيع التكلّم [1].

وقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ [2] نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ؟ )

والأداة فيه: مَنْ ، وهو استفهام حقيقي ، حيث إنّ عيسى – عليه السلام – أعرض كثير من بني إسرائيل عن دعوة عيسى – عليه السلام – فهب من آمن به إلى نصرته ونصرة دين الله تعالى .

وقول الله تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ...) ؟

والأداة فيه : هل ، والاستفهام حقيقي، فالحواريون لم يكونوا شاكين في قدرة الله على إنزال المائدة، وإنما المراد : هل يستجيب لك ربك إن سألته ذلك [5].

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٥ /٢٦٣ .

(٢) الْحَوَارِيُّون: الحور شدة البياض، يقال : حوّرت الثياب أي بيضتها ، وقيل لأصحاب عيسى –عليه السلام–: الحواريون؛ لأنّهم كانوا يحورون الثياب أي: يبيضونها، هذا هو الأصل، ثم قيل: لكل ناصر حواري والحواريون كانوا اثني عشر رجلاً تفرقوا في البلاد بعد رفع عيسى – عليه السلام – يدعون الأمم إلى توحيد الله ودينه والإيمان بعبده ورسوله عيسى .

انظر : العين ٣ /٢٨٨ ، والجواب الصحيح ٣ /٤١٨ – ٤١٩ ، وهداية الحيادي ص ١٦٨ ، والمعجم الوسيط ٢٠٥/١ ( حار ) .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٥٢ .

(٤) سورة المائدة ، آية ١١٢ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٢٩/٧ ، وذلك على أرجح القراءتين : ( هل يستطيع ربك ) ، والقراءة الأخرى : (هل تستطيع ربك ) والمراد : هل تستطيع أن تسأل ربك .

وقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ؟)

والأداة فيه : مَنْ ، والاستفهام حقيقي؛ فإن عيسى – عليه السلام – ندب الذين آمنوا به أن ينصروا الله ورسوله .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على ما قصه الله تعالى عن نبيّه عيسى وأمه مريم ، وزكريا – عليهما السلام – وما فيها من الدلالة على كمال قدرة الله وإيجاد الأشياء من غير أسبابها ونجمل القصة في وجوه :

١– أنّ والدة مريم لما حملت بمريم نذرت أن تجعل ما في بطنها خالصاً لوجه الله محرراً لخدمته وخدمة بيته، وكانت تشوفت إلى أن يكون ذكراً ليكون أقدر على الخدمة ، فلمّا وضعتها أنثى قالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ ، وظهرت حسرتها على فوات ما كانت تأمله وهو أن يكون ذكراً ، نشأت مريم نشأة صالحة ، فلما ذهبت بها أمها إلى من لهم الأمر في بيت المقدس تشاحوا وتخاصموا أيّهم يكفل مريم ، واقترعوا بأن ألقوا أقلامهم في النهر فأيّهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها فوقع ذلك لزكريا نبيهم وأفضلهم .

فنشأت في عبادة ربها وانقطعت لعبادة ربها ولز مت محرابها ، فكلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً من غير كسب ولا تعب ، بل رزق ساقه الله إليها ، وكرامة أكرمها الله بها ، فقال لها زكريا : (أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ؟) ، فأخبرته أنّ ذلك فضلٌ من الله وإحسانٌ ، وهذا مما أكرمها الله تعالى به [2].

---

(١) سورة الصف ، آية ١٤ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ص١٢٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((فمريم لم تكن نبيةَ وإنّما كانت صديقة كما قـــال الله تعالى : ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ ﴾ (1).

فإنّ الله ذكر ذلك في بيان غاية فضلها ؛ دفعاً لغلو النصارى فيها ، فلو كان للمسيح مرتبة فوق الرسالة ، أولها مرتبة فوق الصديقية لذكرت ، وما وهبها الله تعالى من الــــرزق من جنس كرامات الأولياء )) (2).

٢- ثم إنّ زكريا – عليه السلام – لما رأى ما أكرم الله به مريم من الرزق الهنيء بغير سعي ولا كسب طمعت نفسه في الولد، فدعا زكريا – عليه السلام- ربَّه أن يرزقه ذرية طيبة وتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله من وهن العظم، وانتشار الشيب وبلوغه الكبر، فبينما هو قائم في محرابه يتعبد لربه ويتضرع نادته الملائكة للبشارة بيحيى – عليه السلام- نبياً من الصالحين ، فقال زكريا من شدة فرحه : ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ (3).

وكل من الأمرين مانع – في العادة – من وجود الولد فأخبره الله تعالى أنّ هذا دليل على قدرة الله ، وخارق للعادة الكونية (4) .

٣- ثمّ إنَّ الله تعالى بيّن ما أكرم به مريم وتفضيلها على نساء العالمين فلما اعتزلت أهلها ؛ لتنفرد لعبادة ربها والخضوع والذل إليه ، أرسل الله تعالى إليها جبريل – عليه السلام – في صورة حسنة ليبشرها بالولد المطهر من الخصال الذميمة ؛ فتعجّبت من وجود الولد من غير أب، فقالت ما أخبر الله تعالى عنها : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ

---

(1) سورة المائدة ، آية ٧٥ .

(2) الفتاوى ١١ /٣١٨ ، ٣٦٤ – ٣٦٥ – بتصرف – وانظر : والصفدية ١ /١٩٨ .

(3) سورة آل عمران ، آية ٤٠ .

(4) انظر : تفسير الطبري ٣ /٢٥٧ – ١٦ /٥٠ ، وتفسير ابن كثير ١ /٣٦٣ ، وأضواء البيان ٣ /٣٦٨ ، وتفسير السعدي ص١٣٠ .

بَغِيًّا ﴾ [1]، والولد لا يوجد إلا بذلك ، فأخبرها جبريل – عليه السلام – بأنّ الله تعالى جعله آية للناس ورحمة منه به وبوالدته وبالناس جميعا إذ بعثه رسو لاً إلى بني إسرائيل ليعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم فيؤمنون به ، وذلك يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلى أنّ الأسباب جميعا لا تستقل بالتأثير والإيجاد . وأنّ وجوده قضاءٌ سابقٌ فلا بد من نفوذه [2].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : (( ومن حكمة الباري تعالى أن تدرج بإخبار العباد من الغريب إلى ما هو أغرب منه ، فذكر وجود يحيى بن زكريا من بين أبوين أحدهما كبير والآخر عاقر ، ثم ذكر أغرب من ذلك وأعجب ، وهو وجود عيسى – عليه السلام – من أم بلا أب ؛ ليدِلَّ عباده على أنه الفعَّال لما يريد ، وأنّه ما شاء كان وم ا لم يشأ لم يكن)) [3].

فلما وضعت مريم عيسى – عليه السلام – أمرها الله تعالى إذا رأت أحداً من البشر أن تقول : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [4].

وكان السكوت من العبادات المشروعة ، فلما أتت به قومها تحمله أنكرو ا عليها وضع مولود من غير زواج ؛ فقد كانت من أبوين صالحين ، وأسرة عُرفت بالصلاح والتقوى ؛ فأشارت إليهم أن كلموه فتعجبوا من ذلك وقالوا : كيف نكلّم صبياً في المهد ؟ ! و لم تجر عادة بأن يتكلم صبي في هذا السن ، فخاطبهم عيسى – عليه السلام– كما قال تعالى : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [5].

---

(١) سورة مريم ، آية ٢٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣ /١٢٠ ، وفتح القدير ٢ /١٤٧ ، وتفسير السعدي ص٤٩٢ .

(٣) تفسير السعدي ص١٣١ .

(٤) سورة مريم ، آية ٢٦ .

(٥) سورة مريم آية ٣٠ ، ٣٣ .

فخاطبهم بوصفه بالعبودية الخا لصة لله تعالى فليس فيه صفة يستحق الألوهية ،كما زعمت النصارى ، وبأن أخبرهم أن الله علمه الكتاب ، وجعله من جملة أنبيائه ، وجعله تعالى مباركاً أينما حلّ لتعليمه للناس الخير ولنهيهم عن الشر ، وبّراً بوالدته [(١)].

٤- أنّ الله تعالى أرسل عيسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى الله ، كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [(٢)].

وقد أيده الله تعالى بالآيات العظيمة من جعل الجماد حيواناً ، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها ، والإخبار بالأمور الغيبية - كل ذلك بإذن الله - فكل واحدة من هذه الآيات مُوجبة - بمفردها - للإيقان بصدق نبوته ، فكيف إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضاً ؟

ثم إنّ رسالة عيسى - عليه السلام - تضمنت التصديق بما جاء به بموسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل، فكان متمماً ومقرراً لأحكام التوراة ، والتوحيد والأمر بعبادة الله وحده لا شريك له .

كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [(٣)].

فلما رأى عيسى - عليه السلام - من بني إسرائيل إعراض عامتهم عن دعوته قال مستنهضاً للحواريين: مَنْ أنصاري إلى الله في الدعوة إلى دينه؟ فأجابه الحواريون وهم الأنصار : نحن أنصار الله ، قائمون بنصرة دين الله وإقامة شرعه مع نبي الله عيسى - عليه السلام - فندخل مدخله ونخرج مخرجه ، فآمنت طائفة من بني إسرائيل بسبب دعوة عيسى - عليه

(١) انظر : تفسير الطبري ١٦/٧٥ ، وتفسير القرطبي ١١ /١٠٢ ، وتفسير السعدي ص٤٩١ .
(٢) سورة آل عمران ، آية ٤٩ .
(٣) سورة آل عمران ، آية ٥١ .

السلام– ومَنْ معه من الحواريون ، وكفرت طائفة فأيد الله تعالى الذين آمنوا بنصرهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين [1] .

ويُوضح شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أنّ الحواريين مؤمنون بعيسى – عليه السلام – وليسوا رُسلاً كما تزعم النصارى يقول : (( والحواريون مؤمنون مسلمون وهم أنصار الله لكن ليس في هذا أهم رسل الله، ولا في هذا أن كل ما أنتم عليه من ا لدين مأخوذ عنهم، ولا في هذا أن الواحد من الحواريين معصوم من الغلط ، بل أمر الله المؤمنين من أمة محمد – ﷺ – أن يكونوا أنصار الله كما طلب المسيح ذلك بقوله : (مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ؟) وقد وصف الله المؤمنين أصحاب النبي – ﷺ – من أهل المدينة النبوية بأهم أ نصـار الله...))[2].

وقال : (( و لم يذكر الله تعالى في القرآن أنه أرسلهم ألبتة بل ذكر أنه ألهمهم الإيمان به وبرسوله وأنّهم أُمروا باتباع رسوله ، وقوله : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـنَ ﴾ [3] لا يدل على النبوة ))[4] ؛ لأن من معاني الوحي الإلهام ، كما في قصة أم موسى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[5].

وقـد استنهض الله تعالى المؤمنين للاقت ـــداء بمن قبلهم من الصالحين ، كما قـــال تعـــالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ﴾[6].

(١) انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢٨٤ – ٢٨ /٩٠ ، وتفسير البغوي ١ / ٣٠٥ – ٤ /٣٣٨ ، وتفسيـــر ابن كثير ١ /٣٦٦ – ٤ / ٣٦٣ ، وتفسير السعدي ص ١٣٢ ، ٨٦١ .

(٢) الجواب الصحيح ٢ /٢٦٦.

(٣) سورة المائدة ، آية ١١١ .

(٤) الجواب الصحيح ٢ /٣٤٩ .

(٥) سورة القصص ، آية ٧ .

(٦) سورة الصف ، آية ١٤ .

وخص الله تعالى الأنصار من أهل المدينة بهذا الاسم ، والمهاجرون أفضل من الأنصار ، وهم أنصار الله نصروه كما نصره الأنصار ، لكن لما كان لهم اسم يخصهم وهو المهاجرون ، وهو أفضل الاسمين خُص الأنصار بهذا الاسم [1].

يخبر الله تعالى أن الحواريين سألوا عيسى : ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [2].

وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله على ذلك ، قال الإمام الطبري – رحمه الله – : وإنّما كانت مسألتهم إياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيّه إذا كان فقيراً أن يسأل ربه أن يغنيه ، وإن عرضت به حاجة أن يسأل له أن يقضيها ، وذلك من باب العرض والأدب منهم [3].

ولذلك استعظم عيسى – عليه السلام – سؤالهم ، فقال : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [4].

فأجاب الحواريون عيسى – عليه السلام – : أنّا إنّما طلبنا ذلك وسألناك أن تسأل لنا ربنا لنأكل من المائدة فنعلم يقينا قدرته على كل شيء ، وتطمئن قلوبنا على وحدانيته وقدرته عند رؤيتها عياناً ، ونعلم أنك رسول مرسل نعلم صدقك وصدق ما جئت به ، ونكون عليها من الشاهدين فهي حجة علينا في توحيده وقدرته على ما شاء .

فاستجاب الله تعالى لعيسى – عليه السلام– فأنزل الله تعالى مائدة عليها مأكولٌ إما أن يكون سمكاً وخبزاً، أو ثمراً من ثمر الجنة [5].

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ٢ /٢٦٧ .

(٢) سورة المائدة ، آية ١١٢ .

(٣) تفسير الطبري ٧ /١٣١ – بتصرف – .

(٤) سورة المائدة ، آية ١١٢ .

(٥) والعلم به غير نافع ولا ضار .
انظر : تفسير الطبري ٧ /١٣٠ – ١٣٥ ، وزاد المسير ٢ /٤٥٥ ، وتفسير ابن كثير ٢ /١١٧ ، وفتح القدير ٢ /٩٣ ، وتفسير السعدي ص ٢٤٨ – ٢٤٩ .

قال ابن القيم – رحمه الله –: إنّ عيسى – عليه السلام – خوّفهـــم الله وأعلمهم أنّ هذا مما لا يليق أن يسأل عنه ، وأن الإيم ان يرده ، فلما ألحوا في الطلب وخاف المسيح أن يدخلهم الشك إن لم يجابوا إلى ماسألوا بـدأ في السؤال باسم ( اللهم ) الـدال علـى الثناء على الله بجميع أسمائه وصفاته ، وإنّما المقصــود من هذا الدعــاء وقضاء هذه الحاجـــة إنما هو أن يثني على الرب ويمجده ويذكر آلاءه ، ويظهر شواهد قدرته وربوبيتـــه ، ويكـــون برهاناً على صدق رسوله، فيحصل بذلك من زيادة الإيمان والثناء على الله أمر يحسن معه الطلب...[1].

ويزعم النصارى أن المائدة المذكورة في القرآن هي القربان المقدَّس الذي يتقرب به، وقد ردّ شيخ الإسلام – رحمه الله – هذه الدعوى بقوله : والجواب أن يقال هذا كذب ظاهر على القرآن، فإنه ليس في القرآن ذكر قرابينكم ألبتة وإنما فيه ذكر المائدة التي أنزلها الله تعالى في عهد المسيح ، ثم إنّ قولكم قول لا دليل عليه ومعلوم الفساد بالاضطرار من دين المسلمين الذين نقلوا القرآن عن محمد – ﷺ– لفظه ومعناه؛ فإنهم متفقون على أنّ المائدة مائدة أنزلها الله على عيسى – عليه السلام – ، ثمَّ إنّ المائدة منزلة من السماء وقرابينهم هي عندهم في الأرض لم تنْزل من السماء[2].

(١) انظر : بدائع الفوائد ٢ /٤٢١ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ١٢٦/٣ – ١٢٧ .

## المطلب السادس : المصطفى ﷺ

ذكر الله تعالى في كتابه ما قام به المصطفى -ﷺ- من دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة ما سواه ، وتقرير البعث وغيرها من مسائل الإيمان ، وذكر الله تعالى ما تميز به – عليه الصلاة السلام – من الصفات البشرية، وما امتن به عليه وتفضل ، وذلك بمواطن متعددة في كتابه منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [1].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟... ؟)

وأم هنا منقطعة تقدر بـ(بل) والهمزة ، أي : بل أتريدون أن تسألوارسولكم ؟، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أتريدون أن تتعنتوا كبني إسرائيل حينما سألوا موسى أسئلة الاعتراض والتعنت [2].

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ [3] قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى...؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : التقرير وهو التحقيق والإثبات بالعهد الثقيل الذي أُخذ على الأنبياء من الإيمان بالرسول – ﷺ– ، ونصرته ، وأخذ العه د على أممهم الإيمان بمحمد – ﷺ– ونصرته إن أدركوه[5].

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٠٨ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١٥٣/١ ، وتفسير أبي السعود ٢٤٦/٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ١٠٤/١.

(٣) سورة آل عمران ، آية ٨١ .

(٤) الإصر : العهد الثقيل . انظر : تفسير الطبري ٣٣٤/٣ ، وتفسير البغوي ٣٢٢/١ .

(٥) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ١٧٠/١ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: (...أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ)؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء وإنْ ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي [2].

وقول الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [3].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ...) ؟

والأداة فيه : كيف مقترنة بالفاء . والمراد منه : التعجيب والتوبيخ والتهويل من حال مكذبي الرسل العصاة من هول ذلك الموقف وشهادة كل رسول على أمته [4].

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾[5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء وإنْ . والمراد منه : الإنكار الإبطالي؛ فلم يجعل الله تعالى لبشر الخلد لا الرسل ولا المرسل إليهم [6].

وكقول الله تعالى : ﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ[7] عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [8] .

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤٤ .

(٢) انظر : الكشاف ١/٤٥٠، وتفسير أبي السعود ٢ /٩٢، والبحر المحيط ٣/٧٤ ، وروح المعاني ٤ /٧٣.

(٣) سورة النساء ، آية ٤١ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٣ /٢٦٢ ، وفتح القدير ١ /٤٦٧ ، والتفسير البلاغي للاستفهام ١/ ٢٠٤ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية ٣٤ .

(٦) انظر : تفسير البيضاوي ٤ /٩٣ ، وتفسير أبي السعود ٦ /٦٦ .

(٧) مارى فلان فلاناً معناه : قد استخرج ماعنده من الكلام والحجة مأخوذ من قولهم : مريت الناقة إذا مسحت ضَرْعها لتدّر . وماراه مراء : جادله ، والمرية الشك ، والامتراء في الشيء الشك فيه وكذا التماري . انظر : تهذيب اللغة ١٥ /٢٠٣ ، مختار الصحاح ص ٢٦٠ .

(٨) سورة النجم ، آية ١٢ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ... ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار التوبيخي على مجادلتهم ومرائهم للرسول – ﷺ– على ما رآه من الآيات ليلة الإسراء والمعراج .

وقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ) ؟

والأداة فيه : ما مقترنة باللام . والمراد منه : الإنكار والنفي أي : لا سبب يدعوك إلى تحريم ما أحله لك [(٢)]، وفي سؤاله – ﷺ– تلطف وعتاب [(٣)].

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾[(٤)].

صُدرت الآية بأسلوب الا ستفهام : (أَلَمْ يَجِدْكَ... ؟ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ ( لم ) . والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد كنت يتيماً فامتن الله عليه ورعاك ، ويردف عليه الامتنان [(٥)].

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [(٦)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَمْ نَشْرَحْ... ؟ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم). والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد شرحنا لك صدرك ، ويردف عليه الامتنان [(٧)].

---

(١) سورة التحريم ، آية ١ .

(٢) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٤ /٢٦٨ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٨ /٢٨٤ ، وروح المعاني ٢٨ /١٤٧ .

(٤) سورة الضحى ، آية ٦ .

(٥) انظر: مغني اللبيب ص٢٥ ، ورح المعاني ٣٠ / ١٦١ ، وفتح القدير ٥/٤٥٨ ، وأضواء البيان ٣ /٤٥ .

(٦) سورة الشرح ، آية ١ .

(٧) انظر : الفتاوى ١٦ / ٣٤٠ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٨٣ ، ومغني اللبيب ص ٢٥ ، و البرهان في علوم القرآن ٢ /٣٣٥ ، وأضواء البيان ٨ /٥٧٢ .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على ما تفضل الله تعالى به على نبيه – ﷺ –، و بعض ما تتميز به حياته ، وشهادته على أمته يوم القيامة ، وذلك من عدة جوانب :

١– أنّ الله تعالى أخذ الميثاق على النبيين ، والعهد المؤكد بما أعطاهم من كتاب الله المنَ زل ، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل ، إنّه إن بعث محمد – ﷺ – أن يؤمنوا به ، ويصدقوه ، وينصروه ، ويأخذوا ذلك على أممهم [١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (( وقوله : ﴿رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ متناول لمحمد بالاتفاق ؛ فإن رسالته كانت عامة ، وقد قال الله له : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا ﴾ [٢].

فكتابه مهيمن على ما بين يديه من كتب السماء ، وقد أوجب الله على أهل الكتابين وسائر أهل الأرض الإيمان به ، وهذا مذكور في غير موضع من القرآن والحديث ، وهو مع إنه إجماع من المسلمين فهو معلوم بالاضطرار من دينه ، متواتر عنه كما تواتر عنه غزوه اليهود والنصارى . وهل يدخل في ذلك غيره من الرسل ؟ فيه قولان :

(( قيل : إن الله أخذ ميثاق الأول من الأنبياء أن يصدق الثاني وينصره وأمره أن يأخذ الميثاق على قومه بذلك .

وقيل : بل هذا الرسول هو محمد خاصة وهذا قول الجمهور وهو الصواب ؛ لأن الأنبياء قبله إنما كانت دعوتهم خاصة لم يكونوا مبعوثين إلى كل أحد ... )) [٣].

٢– يذكر الله تعالى ما أنعم به على نبيه محمد – ﷺ – من النعم والآلاء، ويذكِّره بأفضاله عليه قبل البعثة وبعدها منها :

أ– أنّه –عليه السلام– نشأ في طفولته يتيماً فتولا ه الله تعالى بعنايته ولطفه، فقد توفي والده وهو جنين في بطن أمه ، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وهو ابن ست سنين، فكفلهِ جده عبدالمطلب ، ثمّ توفى جده ، فكفله عمه أبو طالب . فالله تعالى تفضّل

(١) انظر : تفسير الطبري ٣/٣٢٩ – ٣٣٤ ، وتفسير السعدي ص١٣٦ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٤٨ .

(٣) الرد على المنطقيين ص ٤٥٣ .

عليه، فجعل لــه مأوى يأوي إليه في كل أحواله . كما عطف الله تعالى على نعمة الإيواء ما أخبر الله تعــالى بــه : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾[1].

فإن النبي – ﷺ – لم يهتدِ للإيمان والنبوة إلاّ بفضل الله تعالى عليه ، كما قــال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾[2]. فعلّمه تعالى ما لم يعلم، ووفقّه لأحسن الأعمال ، كما أنّه – عليه السلام – كان فقيراً فأغناه الله تعالى بفضله عمّا سواه [3].

ب- أنّ الله تعالى شرح صدر نبيه – ﷺ– ونَوَّره وجعله فسيحاً رحيبا واسعاً لشرائع الدين والدعوة إلى الله ، والاتصاف بمكارم الأخلاق فلم يكن ضيقاً حرجاً لا يكاد ينقاد لخير ، ولا تكاد تجده منبسطاً [4].

قال الإمام الطبري –رحمه الله-: « ألم نشرح لك يا محمد للهدى ، والإيمان بالله ومعرفة الحق، صَدْرَك ؛ فنُليِّن لك قلبك ، ونجعله وعاء للحكمة ...» [5].

ويقول الشنقيطي – رحمه الله – : وفي الآية إشارة إلى أنّ الإيواء والهدى والغنى من الله لإسنادها هنا لله تعالى ، ولكن في السياق لطيفة دقيقة ، و هي معرض التقرير يأتي بكاف الخطاب ( ألم يجدك يتيماً )، ( ألم يجدك ضالاً ) ، ( ألم يجدك عائلاً ) ؛ لتأكيد التقرير لم يُسند اليتم ولا الإضلال ولا الفقر لله مع أنه كلّه من الله فهو الذي أوقع عليه اليتم ... ، وفي تعداد النعم : فأوى ، فهدى ، فأغنى ، أسند ذلك إلى ضمير الْمُنعِم ، و لم يُبرز ضمير الخطاب ؛ وذلك – والله أعلم- أنه لما كان فيه امتنان وأنها نعم مادية لم يُبرز الضمير لئلا يثقل عليه المنّة ،

---

(١) سورة الضحى ، آية ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الشورى ، آية ٥٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٣٣/٣٠ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٥٢٤ ، وفتح القدير ٥ / ٤٥٨ ، وتفسير السعدي ص ٦٢٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤ /٥٢٥ ، وتفسير السعدي ص ٩٢٩ .

(٥) تفسير الطبري ٣٠ /٢٣٤ .

بينما أبرز ذلك في قوله : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ الآيات ؛ لأنها نعم معنوية انفرد بها ﷺ[1].

٢- إن الله تعالى نهى المؤمنين عن التشبه بأهل الكتاب ، فيسألوا النبي - ﷺ- أسئلة التعنت والاعتراض ، كما سأل بنو إسرائيل موسى - عليه السلام- أسئلة التعنت والاعتراض . فالواجب على المؤمن أن يسأل أسئلة التفقه والعلم ، وأن يُسلّم التسليم التام لله ولرسوله[2].

يقول ابن كثير : (( والمراد : أن الله ذمّ مَنْ سأل الرسول عن شيء على وجه التعنت والاقتراح كما سألت بنو إسرائيل موسى تعنتاً وتكذيباً وعناداً : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ ، أي : ومن يشترِ الكفر بالإيمان ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ))[3].

فالسؤال الصادر عن التعنت والاعتراض ينافي التوقير والتعظيم لأوامر الله ورسوله ﷺ.

٣- أن النبي - ﷺ - بشرٌ يجري عليه ما يجري على غيره من البشر من الموت بانقضاء أجله الذي كتبه الله تعالى ، فقد اصطفاه الله تعالى بالرسالة كغيره من الرسل دعاة لخلقه إلى عبادة الله تعالى، فإذا انقضت آجالهم توفاهم الله تعالى، فلم يخلد مِنْ قَبْلِه بشرٌ رسلٌ أو مرسلٌ إليهم ، وإنّما سنة الله تعالى في خلقه الموت، فكلهم آئلون وصائرون إليه . وفي آية آل عمران عتاب لأصحاب النبي - ﷺ - حينما انتابهم الجزع في غزوة أحد لَمّا أُشيع أنّ النبي - ﷺ- قُتل فأراد الله تعالى تثبيت المؤمنين وعدم ارتدادهم أو تراجعهم القهقرى عن دينهم، فهم يقاتلون لإقامة دين الله تعالى أكان محمدٌ حياً أم ميتاً[4].

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : (( قال تعالى لأصحاب محمد معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحد : ( إنّ محمداً ) قتل ، ومقبحاً إليهم انصراف مَنْ انصرف منهم عن عدوهم وانهزامهم عنهم ، أفإن مات محمد أيها القوم لانقضاء مدة أجله أو قَتَلَه عدوُّكم انقلبتم ، يعني : ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمداً بالدعوة إليه، ورجعتم

(١) انظر : أضواء البيان ٨ /٥٦٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١/٤٨٣ ، والاستغاثة ٢/٥٢٦ ، وتفسير السعدي ص ٦٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ١/١٥٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٧ / ٢٤ ، وتفسير ابن كثير ١ /٤٣ .

عنه كفاراً بالله بعد الإيمان به وبعد ما قد وضحت لكم صحة مادعاكم محمد إليه وحقيقة ما جاءكم به من عند ربه ... ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافراً بعد إيمانه فلن يضر الله شيئاً، يقول : فلن يُوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه، ولا يدخل بذلك نقص في ملكه بل نفسه يضر بردته، وحظ نفسه ينقص بكفره »[1].

ولذلك تمثّل أبو بكر – رضي الله عنه – هذه الآية حينما خطب الناس بعد وفاة النبي – ﷺ – فقال : أما بعد فمن كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ الآية [2]، وذلك حينما مات النبي – ﷺ – وموته كان أعظم المصائب التي تزلزل بها الإيمان حتى ارتدّ أكثر الأعراب ، واضطرب لها عمر الذي كان أقواهم إيماناً ، وأعظمهم يقيناً ،كان مع هذا تثبيت الله تعالى للصديق بالقول الثابت أكمل وأتمّ من غيره[3].

٣- شهادة النبي – ﷺ – على أمته يوم القيامة ؛ حيث يكون فيه الهول وشدة الفزع؛ فيجيء الله تعالى من كل أمة بشهيد من الأنبياء – عليهم السلام – يشهد عليها بأعمالها من تصديق الرسل أو تكذيبها، ويجيء الله بمحمد – ﷺ – شهيداً على أمته ، فكيف يكون حال هؤلاء الكفار يوم القيامة ؟ يتمنون أن تبتلعهم الأرض ، ويعترفون لله تعالى بما عملوا، وتشهد عليهم جوارحهم، حينئذ ينجلي الأمر ولا يبقى للكتمان فائدة [4].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي –رحمه الله– : « أي كيف تكون تلك الأحوال ، وكيف يكون ذلك الحكم العظيم الذي جمع أنَّ مَنْ حَكم به كامل العلم ، كامل العدل ، كامل الحكمة بشهادة أزكى الخلق وهم الرسل على أممهم مع إقرار المحكوم عليه فهذا الحكم الذي هو أعمّ الأحكام وأعدلها وأعظمها، وهناك يبقى المحكوم عليهم مقرين له ؛ لكمال الفضل

---

(١) تفسير الطبري ٤ /١١٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب : المغازي ، باب : مرض النبي – ﷺ – ووفاته – انظر : البخاري مع الفتح [ ٤٤٥٤ ] ، ٨ / ١٤٥ .

(٣) انظر : منهاج السنة ٨ /٤٥٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٥ /٩٢ ، وتفسير ابن كثير ١ /٤٩٩ ، وفتح القدير ١ /٤٦٧ .

والعدل والحمد والثناء ، وهناك يسعد أقوام بالفوز والفلاح والعز والنجاح ، ويشقى أقوام بالخزي والفضيحة والعذاب المبين »[1].

وفي الحديث عن ابن مسعود قال : « قال لي رسول الله – ﷺ – : اقرأ عليّ ، فقلت : يا رسول الله ، أقرأ عليك وعليك أُنزل ، قال : نعم ، فإني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ فقال : أمسك ، فإذا عيناه تذرفان »[2].

فقد استعظم – عليه الصلاة والسلام – هذه الشهاده على أمته في هول ذلك اليوم العظيم الذي ينقسم الناس فيه ما بين سعداء وأشقياء .

٤- موقف كفار قريش من حادثة الإسراء والمعراج ، فقد كان موقف قريش من حادثة الإسراء والمعراج حينما أخبرهم المصطفى – ﷺ – بما رآه من الآيات ، فجادلوه جاحدين مارآه من الآيات لا سائلين مسترشدين ومقصودهم إثارة الشبه والشكوك حول صدق المصطفى – ﷺ – ، ودعوى تكذيبه فيما جاء به من عند الله تعالى؛ ولذلك قال الله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[3].

فقد تواطأ قلبه وسمعه وبصره على رؤية الوحي الذي أوحاه الله تعالى إليه ، ودليل على كمال الوحي الذي أوحاه الله إليه ، وأنه تلقّاه تلقياً لا شك فيه ولا مرية ؛ ولذلك أنكر الله تعالى على المشركين مجادلتهم الرسول – ﷺ – فيما رأى من الآيات العظيمة المستلزمة لصدقه ﷺ[4].

---

(١) تفسير السعدي ص ١٧٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب : التفسير ، باب : ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ...) انظر : البخاري مع الفتح [ ٤٥٨٢] ٨ /٢٥٠ ، ومسلم في صحيحه – كتاب : صلاة المسافرين ، باب : فضل استماع القرآن – [ ٨٠٠ ] ١ /٥٥١ .

(٣) سورة النجم ، آية ١١ ، ١٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٧ / ٥٠ ، وتفسير ابن كثير ٤ /٢٥٠ ، وتفسير السعدي ص٨١٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-: فأخبر بمسراه ليلاً بين المسجدين ، وأخبر أنّه فعل ذلك ليريه من آياته، ومعلوم أنّ الأرض قد رأى سائر الناس ما فيها من الآيات ، فعُلم أن ذلك ليريه آيات لم يرها عموم الناس ، كما قال في سورة النجم : ﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [1] ، وذكر في سورة الإسراء المسرى ؛ لأنّه أمكنه أن يقيم عليه برهاناً . فإنّه لما أخبرهم به ، فكذّبه من كذّبه ، وتعجبوا من ذلك ، سألوه عن نعته وصفته ، فنعته لهم ، فظهر لهم صدقه ، وكان صدقه في هذا آية على صدقه فيما غاب عنهم [2].

فحادثة الإسراء والمعراج من أعظم الآيات والدلائل على نبوة المصطفى – ﷺ-؛ لأنه ليس في مقدور البشر في ذلك الحين المسير ليلاً إلى المسجد الأقصى ، ومن ثَمَّ العروج إلى السموات والهبوط منها ، والعودة إلى المسجد الحرام ؛ ولذلك ابتدروه بالتكذيب مع جلاء صدقه –ﷺ – لهم .

٥- أمّا آية التحريم ففيها عتاب من الله تعالى لنبيه – ﷺ – في تحريم ما أحلّ الله تعالى له من الطيبات على نفسه وقد اختلف المفسرون في الحلال الذي حرّمه المصطفى – ﷺ – على نفسه :

فقال بعضهم: مارية القبطية حرّمها على نفسه بيمين طالباً لرضا زوجته حفصة ، وقيل : عائشة – رضي الله عنهن – .

وقال بعض المفسرين : إنّ النبي – ﷺ- حرّم شراباً يشربه وكان يعجبه .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : « والصواب من القول في ذلك أن يقال كان الذي حرّمه النبي –ﷺ – على نفسه شيئاً كان الله قد أحلّه له، وجائز أن يكون ذلك كان جاريته ، وجائز أن يكون شراباً من الأشربة ، وجائز أن يكون غير ذلك ، غير أنه كان تحريم شيء كان حلالاً فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ما كان له قد أحلّه»[3].

---

(١) سورة النجم ، آية ١٢- ١٤ .

(٢) الجواب الصحيح ٦ /١٦٥ – ١٦٧ – بتصرف – .

(٣) تفسير الطبري ٢٨ /١٢٨ .

وقد صرّح الله تعـــالى بالغفران والرحمة لنبيه - ﷺ - ورفع اللّوم ، وصـــار ذلك التحريم الصادر منه سبباً لشرع حكم عام لجميع الأمة ، وهو كفارات الأيمان عند الحنث في اليمين[1].

(1) انظر : تفسير السعدي ص ٨٧٣ .

## المطلب السابع : يوسف عليه السلام

إنّ قصة نبي الله يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم – عليهم الصلاة والسلام – من أعظم القصص القرآني وأحسنها ، وقد بسطها الله تعالى في كتابه قصة تامة كاملة تستوقف القلوب والعقول لحسنها؛ و لما تضمنته من آيات وعِبر ينتفع بها أ هل الإيمان ، كما قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [(١)].

وسنقف مع موارد الاستفهام في تلك القصة ؛ كقول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ [(٢)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ) ؟

والأداة فيه : (ما) مقترنة بالجار والمجرور ( لك ) . والمراد منه : الإنكار والتعجب من عدم إرسال أبيهم يوسفَ معهم على الرغم من حفظهم له ملميسوؤه [(٣)].

وقول الله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [(٤)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ) ؟

والأداة فيه : (ما) [(٥)]. والمراد منه : التعظيم والتهويل والتفظيع، فقدّ هالها حضور زوجها وهي في حالة مريبة، ففزعت إلى حيلة تبرئ نفسها، فهوّلت الأمر [(٦)].

---

(١) سورة يوسف ، آية ٧ .

(٢) سورة يوسف ، آية ١١ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٢ /٤١٢ ، والبحر المحيط ٥ /٢٨٥ .

(٤) سورة يوسف ، آية ٢٥ .

(٥) جوّز أهل العلم أن تكون (ما) نافية أي : ليس له جزاء إلا السجن ، وجوّزوا أن تكو ن (ما) استفهامية وإلى الأخير أميل . انظر : الكشاف ٢ /٤٣٣ ، والبحر المحيط ٥ /٢٩٧ ، وتفسير أبي السعود ٤ /٢٦٨ ، وروح المعاني ١٢ /٢١٨ ، وفتح القدير ٣ /١٨ .

(٦) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢ /١٢٥ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١).

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ.. ؟)

والأداة فيه : ( ما ) ،والاستفهام حقيقي، ويتضح مراده من سياق الآية، فالمقصود سؤال النسوة اللاتي دخل عليهن يوسف – عليه السلام – أرابهنّ في شأنه شيء ؟

الثاني : في قوله تعالى : (مَا خَطْبُكُنَّ.. ؟)

والأداة فيه : (ما) ، والاسفهام حقيقي، أي : أنّ الملك وجه السؤال للنسوة ، هل حصل منهنّ مراودة ليوسف – عليه السلام – .

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ (٢).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ...) ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بــ(لا) . والمراد منه : التقرير ؛ أي : ألا ترون أني أتمّ الكيل ولا أبخس الناس شيئاً، فأزيدكم حمل بعير لأجل أخيكم ، والحال أني خير المنْزلين لمن نزل بي في حسن الضيافة وحسن الإنزال (٣).

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة يوسف ، آية ٥٠ – ٥١ .

(٢) سورة يوسف ، آيتي ٥٩ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٢ /٤٢٥ ، وفتح القدير ٣ /٣٧ .

(٤) سورة يوسف ، آية ٦٤ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( .. هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ) .

والأداة فيه : هل . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : كيف آمنكم عليه و لم آمنكم على أخيه من قبل؟[1] .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴾[2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( ...مَّاذَا تَفْقِدُونَ ؟) أي عَمَّ تبحثون ؟

والأداة فيه : ما مقترنة باسم الإشارة ( ذا ) ، والاستفهام حقيقي ؛ وذلك أن إخوة يوسف لما ناداهم المنادي : ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴾[3].

سألوا : (مَّاذَا تَفْقِدُونَ ؟) أي عمَّ تبحثون ؟

وقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴾[4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (..فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ..؟)

والأداة فيه : ما مقترنة بالفـــاء . والمراد منه : التقرير للحكم والاعتراف بنوع العقوبة[5].

وقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾[6].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:(أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم...)؟

---

(١) انظر : روح المعاني ١٣ /١١ .
(٢) سورة يوسف ، آية ٧١ .
(٣) سورة يوسف ، آية ٧٠ .
(٤) سورة يوسف ، آية ٧٤ .
(٥) انظر : الكشاف ٢ /٤٦٢ ؛ والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢/ ١٣٧ .
(٦) سورة يوسف ، آية ٨٠ .

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ (لم) . والمراد منه : التقرير ، وهو التحقيق والتثبيت أن أباهم قد أخذ عليهم موثقاً من الله .

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1].

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : (هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ...) ؟

والأداة فيه: هل . والمراد منه : التقرير، أي : قد علمتم ما فعلتم بيوسف ، ويردف عليه : التقريع [2].

والثاني : (أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ)؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ (إنّ ، والكاف ) . والمراد منه : التقرير المشوب بالتعجب[3] ، أي : فقد عرفوا أن ما أخبرهم به لا يصدر إلا عن مثله ، فأثارهم العجب لَمَّا رأوا ما بلغ من السيادة والمكانة .

وقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( ..أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ) ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ (لم) . والمراد منه : التقرير ؛ أي : أراد يعقوب – عليه السلام – حمل أبنائه على الاعتراف بما ألهمه الله تعالى من العلم والوحي .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على قصة نبي الله يوسف – عليه السلام – وما مّر بها من أحداث وعبر، ويمكننا أن نقسمها مراحل بحسب أحداثها :

(١) سورة يوسف ، آية ٨٩ – ٩٠ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٥ /٣٣٧ .

(٣) انظر : الكشاف ٢ /٤٧٣ ، والبحر المحيط ٥ /٣٣٧ ، وتفسير أبي السعود ٤ /٣٠٤ .

(٤) سورة يوسف ، آية ٩٦ .

المرحلة الأولى : مرحلة الطفولة التي مرَّ بها يوسف – عليه السلام– ؛ فإن إخوة يوسف لَمّا شعروا بمحبة أبيهم يعقوب – عليه السلام – ليوسف وأخيه ، عزموا على التخلص من يوسف ليُقبل والدهم عليهم بالمحبة والشفقة ، فقد اشتغل قلبه بيوسف ، وعزموا على إبعا ده عن والده ، فأرادوا التحايل للتمكن من سماح والدهم ليوسف كي يذهب معهم ، فعرضوا على أبيهم ذلك ، كما قال الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴾ [(١)].

فقالوا ذلك منكرين متعجبين على أبيهم : لأي شيء يدخلك الخوف منّا على يوسف، من غير مُوجب له ؟ مع كوننا مشفقين عليه ، ناصحين له، وهذا يدل على أنّ يعقوب – عليه السلام – يخشى على يوسف ولا يتركه ينفرد بالذهاب مع إخوته ، فلما خفّفوا عن أنفسهم التهمة المانعة من عدم إرساله معهم ، ذكروا لوالدهم المصلحة المترتبة على ذهاب يوسف معهم من الأنس واللعب في البرية مع رعايتهم له وحفظه . وذلك يقتضي أن يسمح يعقوب – عليه السلام – بإرساله معهم [(٢)].

المرحلة الثانية : يوسف في بيت العزيز .

إنّ يوسف – عليه السلام – اشتراه عزيز مصر ، فلما اشتراه أعجب به ووصى عليه امرأته بإحسان المثوى والإكرام له ، فلما بلغ أشده مرَّ بمحنة أعظم على يوسف من محنة إخوته، فقد كان له من الجمال والكمال والبهاء ما أن تُراوده سيدته عن نفسه، فصبر عن معصية الله مع وجود الدواعي القوية لفعل المعصية ، فلما امتنع من إجابة طلبها ليتخلص من الفتنة ويهرب منها ، تعلقت بأثوابه، فشقت قميصه من دُبرٍ، فوجدا سيدها لدى الباب، فبادرت إلى الكذب، وأنّ المراودة قد كانت من يوسف ، فقالت على وجه التهويل والتفظيع : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [(٣)].

فبَّرأ نفسه مّما رمته به ، ولكن الله تعالى جعل للحق والصدق علامات وأمارات ، فانبعث شاهد من أهل بيتها، فذكر أمارة من وجدت معه فهو الصادق ، فإن كان شق

---

(١) سورة يوسف ، آية ١١ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٢/٤١٢ ، و تفسير القرطبي ٩ /١٣٨ ، وتفسير السعدي ص ٣٩٤ .

(٣) سورة يوسف ، آية ٢٥ .

القميص من الأمام فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه شق من الخلف فكذبت وهو من الصادقين ، فثبتت براءة يوسف – عليه السلام – وصدقه ؛ ولذلك أمره العزيز أن يُعرض عن ذكر ما حصل، وأمر زوجته بالاستغفار، ولكنه سُجن (١).

المرحلة الثالثة : براءة يوسف – عليه السلام – من التهمة التي ألقيت عليه ؛ وذلك أنّ يوسف – عليه السلام – لما عبّر رؤيا الملك طلب الملك إخراج يوسف من السجن وإحضاره إليه ، إلا أنّ يوسف امتنع من المبادرة للخروج حتى تتبين براءته التامة ، ولا شك أنّ هذا من صبره وعقله التام ، فطلب من الرسول أن يرجع للملك، فيسأله ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ وما قصتهن ؟ فأحضرهنّ الملك فسألهنّ : ماشأنكنّ مع يوسف ؟ فهل رأيتن منه ما يُريب ؟

فَبَرْأَنَهُ كما أخبر الله عنهن : ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ (٢). فحينئذ زال السبب الذي تنبني عليه التهمة ، ولم يبقَ إلا ما عند امرأة العزيز ، فقالت ما أخبر الله عنها: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٣).

فقد تمحضّ الحق وتبينت براءته، فهو من الصادقين في أقواله وبراءته (٤).

المرحلة الرابعة : تولي يوسف – عليه السلام – خزائن الأرض ، فدبرها وأحسن تدبيرها، فزرع أرض مصر جميعها في السنين المخصبة ، وجبا من الأطعمة شيئاً كثيراً وحفظه ، تحسباً للسنوات المجدبة ، فجاء إخوة يوسف – عليه السلام – من فلسطين إلى مصر ، وذلك حين سرى الجدب إليهم ، فلمّا كال لهم كما كان يكيل لغيرهم ، وكان قد سألهم عن حالهم ، فأخبروه أن لهم أخاً من أبيهم وهو بنيامين فطلب منهم الإتيان به معهم ، ثم رغبهم في الإتيان

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٢ /١٩١ ، وتفسير ابن كثير ٢ /٤٧٦ ، وتفسير السعدي ص ٣٩٦ .

(٢) سورة يوسف ، آية ٥١ .

(٣) سورة يوسف ، آية ٥١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٢ / ٢٣٦ ، وزاد المسير ٤ / ٢٣٧ ، والفتاوى ١٥ / ١٣٤، وتفسير السعدي ص٤٠٠ .

به، فقال : ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [1]. فبين لهم حُسن ضيافته وإكرامه، ثم رهبهم من عدم الإتيان به فقال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾[2].

فلمّا رجع إخوة يوسف إلى أبيهم ذكروا له أنَّه إنْ لم يُرسل معهم بنيامين سيمنعون من الكيل ، فطلبوا من والدهم إرساله معهم، وأنّهم سيحفظونه من كل مكروه . فقال لهم يعقوب –عليه السلام– : ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ ؟، فقد تقدم التزامكم في حفظ يوسف، ومع هذا لم تفوا بما وعدتم ، فلا أثق بحفظكم، وإنما أثق بحفظ الله، فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ، ثم أخذ يعقوب – عليه السلام – على بنيه العهد والميثاق على حفظ بنيامين بعد حفظ الله تعالى له ، فذهبوا إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف –عليه السلام –اختص يوسف بنيامين من بينهم وأخبره بما يريد أن يصنع ويتحيّل لبقائه عنده إلى أن ينتهي الأمر . فلما جهزهم بجهازهم ، جعل الإناء الذي يكال به في متاع أخيه ، فلما انطلقوا ذاهبين نادى منادٍ إنكم لسارقون ، ثم أقبل إخوة يوسف لإزالة التهمة التي رمو ا بها عنهم ، فقالوا : ماذا تفقدون ؟ لجزمهم ببراءهم من السرقة . فقالوا: نفقد صواع الملك ، ثم برأوا أنفسهم من السرقة والإفساد في الأرض. فقالوا: فما جزاؤه إن كنتم كاذبين؟ فقال إخوة يوسف: من وجد في رحله الصواع فهو جزاؤه بأن يمتلكه صاحب السرقة، فلما وجد الصواع في رحل بينامين، فبذل إخوة يوسف المحاولات بذكر حال أبيهم وأنه سيشق عليه فراقه ، فطلبوا أن يأخذ أحدهم مكانه ، فرفض يوسف عرضهم .

فلما استيأسوا من عودة أخيهم معهم اجتمعوا ، فقال كبيرهم:﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ؟ فقرّرهم بما أخذه والدهم عليهم من الميثاق الغليظ في حفظ بنيامين، فاجتمع في حقهم التفريط في يوسف من قبل، ثم عدم الإتيان بأخيه بنيامين. وأخبرهم أنه سيقيم في هذه الأرض ولا يزال فيها حتى يُقدّر الله له المجيء وحده أو مع أخيه [3] .

(١) سورة يوسف ، آية ٥٩ .
(٢) سورة يوسف ، آية ٦٠ .
(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣ / ١٨ – ٢٢ ، وإغاثة اللهفان ٢ /١١٠ ، وفتح القدير ٣ /٤٢ – ٤٤ ، وتفسير السعدي ص ٤٠١ – ٤٠٣ .

ثم إنّ يوسف عرّفهم بنفسه، فيوسف – عليه السلام – سألهم مقرّراً لهم : ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾[1].

فما فعلوا بيوسف ظاهر كما تقدم بيانه ، أما أخوه فلعله والله أعلم قولهم : ( إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل )، فمقصودهم بذلك تبرئة أنفسهم، وأنّ هذا وأخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السارقين ، وهما ليسا شقيقين لنا . فعرف إخوة يوسف أنّ الذي خاطبهم هو يوسف : فقالوا : ( أإنك لأنت يوسف ) ؟ فقال : أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا بالتقوى والتمكن في الدنيا بالصبر والتقوى ، ثم عفا وصفح عمّا ب در منهم . فأمرهم بأخذ قميصه إلى والده ، ليشمه والده فيرجع إليه بصره ، ثم الإتيان بأهلهم جميعاً ، فلمّا فصلت العير عن أرض مصر مقبلة على أرض فلسطين ، شمّ يعقوب – عليه السلام – ريح يوسف، فأخبرهم بما وجد لولا مخافة أن يسخروا منه ويتعجبوا من حاله، فلما جاء البش ير بحياة يوسف وأخيه ومقابلته لهما ألقى القميص على وجه يعقوب، فرجع إلى حاله الأولى بصيراً بعد أن ابيضت عيناه من الحزن ، فقال لمن حضره من أولاده الذين فنَّدوا رأيه : ( ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون ) ؟ حيث كنت راجياً لقاء يوسف ، مترقباً زوال الهمّ والغم والحزن[2].

---

(١) سورة يوسف ، آية ٨٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣/٥٤ – ٦٢، وتفسير البغوي ٢ /٤٤٦ – ٤٤٩ ، تفسير السعدي ص ٤٠٥ .

## المطلب الثامن : داود وسليمان عليهما السلام

داود وسليمان – عليهما السلام – نبيَّان من أنبياء بني إسرائيل، آتاهما الله الملك والنبوة ومَكَّنهما بالقوة وما يحتاج إليه الملوك ، وقد أثنى الله تعالى عليهما في مواطن من كتابه، وقصَّ خبرهما منه ا ماورد بأسلوب الاستفهام ، كقول الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ؟)

والأداة فيه : هل مقترنة بالفاء . والمراد منه : الأمر ، أي : اشكروا الله تعالى على نعمته عليكم بما علّمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب [2].

وقول الله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟... ؟ )

والأداة فيه : (هل) . والمراد منه : التقرير ، أي : قد أتاك ويردف عليه التشويق والتعجيب إلى استماع ما في خبر هذه القصة من العِبر [4].

وقول الله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى :(مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ؟)

والأداة فيه : ما مقترنة بالجار والمجرور ، والاستفهام حقيقي، فإنّ سليمان سأل عن المانع له من رؤية الهدهد، كأنّه قال : مالي لا أراه! هل ذلك لساتر يسترِه عني أو لشيء آخر؟[1]

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٨٠ .

(٢) انظر : تفسير البيضاوي ٤ /١١٣ ، والبرهان في علوم القرآن ٤ /١٧٨ ، وتفسير أبي السعود ٦ /٨٠ وروح المعاني ١٧ /٧٧ ، وفتح القدير ٣ /٤١٥ .

(٣) سورة ص ، آية ٢١ .

(٤) انظر : زاد المسير لابن الجوزي ١١٢/٧ ، وتفسير البيضاوي ٤١/٥ ، وتفسير أبي السعود ٧ /٢٢٠ .

(٥) سورة النمل ، آية ٢٠ .

وأم متصلة ، والمعنى : أحاضر هو أم غائب .

وقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ..؟) .والأداة فيه : الهمزة .

والمراد منه : الإنكار التوبيخي واستبعاد أن يكون سليمان –عليه السلام– طالباً للدنيا [3].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا ؟) والأداة فيه : أيّ ، والاستفهام حقيقي، فسليمان – عليه السلام – يسأل جنوده عَمَّنْ في مقدوره الإتيان بعرش ملكة سبأ ؟

قول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِ؟).

والأداة فيه: الهمزة. والمراد منه: تقريرها وتعريفها بعرشها والاختبار لعقلها، فهل ستعرف عرشها أو تنكره؟ [6].

دلالة الآيات :

=

(١) انظر : فتح القدير ٤ /١٣٢ .

(٢) سورة النمل ، آية ٣٦ .

(٣) انظر : تفسير البيضاوي ٤ /٢٦٧ ، وروح المعاني ١٩ /٢٠٠ ، وفتح القدير ٤ /١٣٨ .

(٤) سورة النمل ، آية ٣٨ .

(٥) سورة النحل ، آية ٤٢.

(٦) انظر : تفسير البيضاوي ٤ /٢٦٩ ، وروح المعاني ١٩ /٢٠٢ ، وفتح القدير ٤ /١٤١ .

دلت آية ( الأنبياء ) على ما امتنّ الله تعالى به على نبيه داود – عليه السلام – ، حيث إنّ الله تعالى علّم داود صنعة الدروع ، فهو أول مَنْ صنعها، وقيل : إن اللبوس السلاح كله درعاً كان أو سيفاً أو رمحاً . فقد علّمها ثم سرت صناعته إلى من بعده ، والفائدة من صناعتها كبيرة، فهي وقاية للناس وحفظ لهم عند الحرب واشتداد القتال ، ويُحتمل : أنّ تعليم الله لداود صناعة الدروع أمر خارق للعادة، فقد ألان له الحديد كالعجين من دون إذابة على النار .

ويُحتمل : أن تعليم الله لداود – عليه السلام – جارٍ على العادة، وأنّ إلانة الحديد له بما علّمه من الأسباب المعروفة لإذابتها ؛ لأنّ الله امتن على العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أنّ صنعته من الأمور المقدورة للعباد لم يمتن على العباد بذلك ويذكر فائدتها ؛ لأنّ الدروع التي صنعها داود – عليه السلام – متعذر أن يكون المراد أَعْينها وإنما المنّة بالجنس [1].

قال الطبري – رحمه الله – : (( فهل أنتم أيها الناس شاكرو اللهِ على نعمته عليكم بما عَلَّمكم من صنعة اللبوس المحصِّن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم، يقول : فاشكروني على ذلك )) [2] .

أما آية (ص)، فإنّ الله تعالى منّ على نبيه داود – عليه السلام – بالعلم والنبوة والفصل بين الناس في خصوماتهم ، وقد ذكر تعالى نبأ خصمين اختصما عنده في قضية جعلهما الله تعالى فتنة لداود وامتحاناً له ، فتاب الله عليه وغفر له . وقيل : إنّ الخصمين ملكان .

فهذان الخصمان تسلقوا المحراب الذي هو محلّ عبادته من غير استئذان ، و لم يدخلوا عليه من الباب، مِمّا كان سبباً في فزع داود منهما ، فقالا : لا تخف لَمّا رأيا فزعه ، فقالوا له : خصمان تعدى أحدنا على صاحبه بغير حق ، فاقض بيننا بالعدل ولا تظلم في حكمك بالميل مع أحدنا على صاحبه . فعرضا ما لديهما، فقال : إنّ هذا أخي على ديني له : تسعٌ وتسعون نعجة ، وليَ نعجة واحدة . فقال : دعْها لي في كفالتي ، فقال داود – عليه السلام – للخصم المتظلّمِ من صاحبه : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، فحكم دون أن يسمع ما عند

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١١ /٣٢١ ، وتفسير السعدي ص ٥٢٨ ، وأضواء البيان ٤ /٢٣٣ .

(٢) تفسير الطبري ١٧ /٥٤ .

الخصم الثاني ، فلما حكم بينهما اختفى الخصمان ، فعلم داود أنّ الله تعالى ابتلاه ، فسأله ربُّه المغفرة لذنبه ، وخرّ ساجداً لله وأناب [1].

أمّا قصة نبي الله سليمان بن داود – عليهما السلام – فما خصّه الله تعالى به من الملك العظيم الذي لم يؤته أحداً قبله ولا بعده، فقد سخر الله تعالى له الشياطين يعملون بأمره ، وسخر الله تعالى له الريح وغيرها، إضافة إلى ما أتاه الله تعالى من علم النبوة والرسالة ، فكان من الشاكرين لربه على ما امتنّ به عليه من النعم الدينية والدنيوية، ونعرضها من عدة جوانب:

١- قصة سليمان – عليه السلام – مع الهدهد ، حيث إن نبي الله سليمان – عليه السلام – تفقّد الطير من جملة جنده الذين تفقدهم؛ وذلك من حسن تدبيره وتنظيمه لجنوده بنفسه ، فقد تفقّد الطير ونظر هل كلها موجودة أو مفقود منها شيء ؟ ففقد الهدهد ثم سأل هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفياً بين هذه الأمم الكثيرة ؟ أو كان غائباً من غير إذني ، حينئذٍ توّعده، فقال : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[2] ؛ وذلك من كمال ورعه وإنصافه، فلم يقسم على مجرد العقوبة والقتل حتى يتبيّن سبب غيبته فقد تحتمل عذراً واضحاً [3].

٢- سليمان – عليه السلام – مع ملكة سبأ : وذلك أنّ سليمان – عليه السلام – لَمّا أخبره الهدهد بخبر ملكة سبأ وقومها وعبادهم للشمس من دون الله تعالى ، قال للهدهد متثبتاً : ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[4].

فأمره أن يذهب بكتاب سليمان إليهم فينظر ماذا يكون ردّهم . فجمعت ملكة سبأ كبار دولتها فاستشارتهم في شأن كتاب سليمان، فأحالوا الأمر إليها لعلمهم برجاحة عقلها ونصحها لأهل مملكتها، فاستقرَّ رأيها على إرسال هدية لسليمان لتنظر هل يستمر على رأيه وقوله ؟ أو تخدعه الهدية ، ويُبدل فكرته ؟ فلما أرسلت الهدية مع رسل من عقلاء قومها، قال

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣/١٤١ – ١٤٨ ، وتفسير السعدي ص ٧١١ – ٧١٢ .
(٢) سورة النمل ، آية ٢١ .
(٣) انظر : تفسير الطبري ١٩ /١٤٣ ، تفسير البغوي ٣ /٤١٢ ، وتفسير السعدي ص ٦٠٣ .
(٤) سورة النمل ، آية ٢٧ .

لهم سليمان – عليه السلام – منكراً عليهم : ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [(1)].

فالهدية لا تقع عندي موقع الفرح ، فقد أغناني الله عنها ، وأعظم عليّ النعم الدينية والدنيوية وأنتم تفرحون بالدنيا لحبكم لها . ثمّ أوصى الرسول : أن يرجع بهديتهم ، ويخبرهم أنّ سليمان سيأتيهم بجنود لا طاقة لهم بهؤلاء الجند [(2)].

٣- إسلام ملكة سبأ وقومها ودخولهم تحت ملك سليمان – عليه السلام – أنّ سليمان لّما علم بمسيرهم إليه قال لجنوده من الجن والإنس : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [(3)]. فقال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تنصرف من مجلسك الذي أنت فيه على بعد المسافة بين الشام واليمن [(4)].

ثم قال الذي عنده علم من الكتاب وهو رجلٌ صالح على قول أكثر المفسرين ، وكان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، وذلك تحريك الأجفان بفتحها للنظر بانضمامها، ولَمّا رأى سليمان – عليه السلام – العرش مستقراً عنده حمد الله تعالى على تيسير الأ مور له ، ثم قال هذا من فضل الله تعالى ليختبرني أأشكر الله تعالى على نعمه أم أغترُّ بذلك وأكون من الكافرين ؟

٤- ثمّ أمر سليمان – عليه السلام – بقوله : نكّروا لها عرشها وغيروه ننظر مختبرين لعقلها أهتدي للصواب، فيكون عندها ذكاء وفطنة أم أنّها لا تهتدي لمعرفته؟.

فلما قدمت على سليمان – عليه السلام – عُرض عليها عرشها وقد خلّفته في بلدها ، هل عرشك كهذا ؟ قالت : كأنّه هو ، وهذا من ذكائها وفطنتها، فأتت بلفظ محتمل للأمرين، فلم تنف أنه هو ، و لم تجزم أنه عرشها؛ وذلك لوجود التغير والتنكير، ثم إن بلقيس علمت

---

(١) سورة النمل ، آية ٣٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٩ /١٥١ ، وتفسير ابن كثير ٣ /٣٦٢ .

(٣) سورة النمل ، آية ٣٨ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٩ / ١٦٥ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٣٦٤ ، وفتح القدير ٤ / ١٣٩ ، وتفسير السعدي ص٦٠٥.

بنبوة سليمان – عليه السلام – وتابت ورجعت عن كفرها كما أخبر الله تعالى عنها : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [(1)(2)].

## المطلب التاسع : لوط عليه السلام

ولوط – عليه السلام – هو ابن أخي إبراهيم على قول بعض الم فسرين[(3)] ، وكان قد آمن به فهاجر من أرض العراق إلى الشام، فأرسله الله تعالى إلى خمس قرى أكبرها سدوم [(4)]، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهيهم عن اقتراف الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين ، فقابلوا دعوته بالتكذيب والإصرار على الإثم، فأنزل تعالى بهم بأسه، فأرسل عليهم حجارة من طين فأهلكهم عن آخرهم ، وقد ذكر الله تعالى قصة لوط – عليه السلام – في مواطن من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [(5)] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ..أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم... ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي، أي : أتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح ما سبقكم بها من أحد من العالمين [(6)].

---

(1) انظر : تفسير الطبري ١٦٧/١٩ ، وتفسير البغوي ٤١٩/٣ ، وتفسير بن كثير ٣٦٣/٣ ، وتفسير السعدي ص ٦٠٥ .

(2) سورة النمل ، آية ٤٤ .

(3) انظر : زاد المسير ٥ /٣٦٨ ، وفتح القدير ٣ /٤١٧ .

(4) سدوم: هي مدينة على شاطئ البحر الميت في الأردن ، وهي من مدائن لوط .
انظر : معجم البلدان ٣ /٢٠٠١ ، والروض المعطار ٣٠٨/١ .

(5) سورة الأعراف ، آية ٨٠ .

(6) انظر : الفتاوى لابن تيمية ١٥ /٣٣٤ ، والبحر المحيط ٤ /٣٣٧ ، وتفسير أبي السعود ٢ /٢٤٤ ، وفتح القدير ٢ /٢٢٢ ، وروح المعاني ٨ /١٦٩ .

وقـول الله تعـالى : ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتعجب ، أليس منكم رجـل يهتدي إلى الحق ويرعوي عن الباطل [2].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية : ( ... أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ( ليس ) . والمراد منه : التقرير ؛ فإنّ قرب الصبح داعٍ إلى الإسراع في الإسراء للابتعاد عن مواقع العذاب والنجاة منها[4] .

وقول الله تعالى : ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [5].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ... ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتقريع ، أي :كيف تأتون الذكران من العالمين [6].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1].

---

(١) سورة هود ، آية ٧٨ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٥ /٢٤٧ ، وروح المعاني ١٢ /١٠٧ .

(٣) سورة هود ، آية ٨١ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٤ /٢٣٠ ، وفتح القدير ٢ /٥١٢ ، وروح المعاني ١٢ /١١٢ .

(٥) سورة الشعراء ، آية ١٦٥ .

(٦) انظر : البحر المحيط ٧ /٣٥ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو و لم . والمراد منه : الإنكار التوبيخي .

وقول الله تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [٢] .

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي، أي : أتفعلون الفاحشة مع علمكم بقبحها و شناعتها[٣].

والثاني : في قوله تعالى (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً... ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي المؤكد للإنكار الأول ، فكيف تتجاوزن ما أحلّ الله لكم من النساء إلى ما ليس محّلاً للنكاح من الذكور[٤] ؟

دلالة الآيات :

دلت الآيات على قصة نبي الله لوط – عليه السلام – ، فقد أرسله الله تعالى إلى قومه لدعوتهم إلى أمرين :

الأول : عبادة الله وحده لا شريك له كما هو أول دعوة الرسل لأقوامهم .

الثاني : النهي عن إتيان فاحشة اللواط التي بلغت من القبح منتهاه وبيّن لهم – عليه السلام –ما فيها من المفاسد والآثام[١] من وجوه :

---

=

(١) سورة الحجر ، آية ٧٠ .

(٢) سورة النمل ، آية ٥٤ – ٥٥ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٧ / ٨٣ ، وتفسير أبي السعود ٦ / ٢٩٢ ، وفتح القدير ٤ / ١٤٥ ، وروح المعاني ١٩ /٢١٦ .

(٤) انظر : الفتاوى لابن تيمية ١٥ /٣٣٤ ، وتفسير أبي السعود ٦ /٢٩٢ ، وفتح القدير ٤ /١٤٥ ، وروح المعاني ١٩ /٢١٦ .

١- أنّهم ابتدعوها وسنّوها لمن بعدهم، فلم تُعرف عند أمة من الأمم قبلهم، فعليهم وزرها ووزر من عمل بها . كما قال تعالى : ( ...مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ) .

قال ابن كثير -رحمه الله- : إنّ الله تعالى بعث لوطاً إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله - عز وجل - ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم ، وهو إتيان الذكور دون الإناث ، وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعرفه ولا تألفه ولا يخطر ببالهم حتى صنع ذلك أهل سدوم [٢].

٢- أنّ ما ارتكبوه مخالف للفطرة الآدمية ؛ حيث إنّ الله تعالى خلق الإناث للذكور وأحلهنّ لهم بالنكاح الذي شرعه الله لعباده وقوم لوط تجاوزوا ما حدّه الله وتجرؤوا على محارمه؛ولذلك سمى الله تعالى ما فعلوه فاحشة لاستغراق الفحش والشناعة .

قال ابن القيم - رحمه الله - : إنّ الله تعالى عرّف (الفاحشة) في قوله تعالى : ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾[٣]؛ وذلك يفيد أنه جامع لمعاني اسم الفاحشة، أي : أتأتون الخصلة التي استقر فحشها عند كل أحد لظهور فحشها وكماله غنية عن ذكره بحيث لا ينصرف الاسم إلى غيرها ، ثم أكدّ - سبحانه - شأن فحشها بأنّها لم يعملها أحد من العالمين قبلهم ، ثم زاد في التأكيد بأن صرّح بما تشمئز منه القلوب وتنبو عنها الأسماع ، وتنفر منه أشد النفور وهو إتيان الرجل رجلاً مثله ، ثم أكدّ سبحانه قبح ذلك بأن اللوطية عكسوا فطرة الله التي فُطر عليه الرجال ، وقلبوا الطبيعة التي ركَّبها الله في الذكورة وهي شهوة النساء دون الذكورة فقلبوا الأمر، وعكسوا الفطرة والطبيعة فأتوا الرجال شهوة من دون النساء [٤].

=

(١) انظر : تفسير الطبري ٨ / ٣٤٣ ، ١٩ / ١٧٥ ، والفتاوى لابن تيمية ١٥ / ١٤٥، ٣٨١ ، وفتح القدير ٤ /١٤٩ ، وأضواء البيان ٤ /١٦٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢ /٢٣١ - بتصرف - .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٨٠ .

(٤) الجواب الكافي ص ١٢٠ - بتصرف - .

٣- أنّ قوم لوط لمّا أسرفوا على أنفسهم بارتكاب الفاحشة مع علمهم بقلوبهم جُرم ما فعلوه وقبحه ، كانوا لا يستترون حال فعل الفاحشة عتواً وتمرداً ، كما قال تعالى : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[1] .

لما استشرى الفساد في قوم لوط ، و لم يصغوا إلى ما نهاهم عنه لوط في فعل الفاحشة أرسل الله تعالى رسله من الملائكة لإهلاكهم بعد قيام الحجة عليهم ، وقد أرسل الله تعالى رسله في صور شباب حسان مرد ، فشق مجيئهم على لوط - عليه السلام - ؛ لأنه علم أنّ قومه لا يتركونهم ؛ ولذلك جاؤا مهرولين مسرعين يريدون أضيافه بالفاحشة ، فخوفهم بالله تعالى كما قال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ ﴾ [2] ، اتقوا الله وارعوا حقه ، وراعوني في ضيفي ، فلا تخزون عندهم ، ثمّ أنكر عليهم : ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ [3] رجل عاقل رشيد ينهاكم ويزجركم، فكان موقف قوم لوط أن زجروا لوطاً - عليه السلام - فقالوا : أو لم ننهك عن تضييف الأضياف من الذكور ؟ ! فاشتدّ ذلك على نبي الله لوط - عليه السلام - فقال ما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [4]، فلما بلغ الأمر منتهاه واشتدّ الكرب أخبرته الملائكة بحالهم ليطمئن قلبه فلن يصلوا إليهم بسوء ، فأمروا لوطاً - عليه السلام - أن يسري بأهله بالخروج ليلاً قبل الفجر ليتمكنوا من البعد عن قريتهم ، فإنّ موعد هلاكهم الصبح : ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [5].

قال ابن القيم - رحمه الله - : نادى اللوطية بعضهم بعضاً أن هلمّوا إلى منْزل لوط ففيه قضاء الشهوات ، ونيل أكبر اللذات ، فلما دخلوا إليه هجموا عليه قال لهم وهو كظيم من الهم والغم وقلبه بالحزن عميد : ﴿ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي

(١) سورة العنكبوت ، آية ٢٩ .
(٢) سورة هود ، آية ٧٨ .
(٣) سورة هود ، آية ٧٨ .
(٤) سورة هود ، آية ٨٠ .
(٥) انظر : تفسير الطبري ١٢ /٨٣ ، وتفسير ابن كثير ٢ /٤٥٤ ، وفتح القدير ٢ /٥١٤ ، وتفسير السعدي ص ٣٨٩ .

ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾ [1]. فلما سمع اللوطية مقاله أجابوه جواب الفاجر المجاهر العنيد ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾[2]. فقال لهم لوط مقالة المضطهد الوحيد : ﴿ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ [3].

فلما رأت رسل الله ما يقاسي نبيه من اللوطية كشفوا له عن حقيقة الحال وقالوا : هوّن عليك يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ، فسُرّ نبي الله سرور المحب وافاه الفرج بلغته على يد الحبيب ، فصبحهم العذاب صبحاً فأهلكهم عن آخرهم [4].

## المطلب العاشر : هود عليه السلام

ذكر الله تعالى قصة نبي الله هود – عليه السلام – فقد بعثه إلى قبيلة عاد الذين يسكنون الأحقاف[5] من أرض اليمن فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، وشكر الله تعالى على ما متعهم الله به من القوة ، وأنكر عليهم الإسراف في الأبنية لغرض العبث واللهو والاستكبار على الخلق ، وقد وردت تلك القصة في مواطن متعددة من كتاب الله منها ما ورد بأسلوب الاستفهام .

كقول الله تعالى : ﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [6].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ... ؟)

---

(١) سورة هود ، آية ٧٨ .

(٢) سورة هود ، آية ٧٩ .

(٣) سورة هود ، آية ٨٠ .

(٤) روضة المحبين ص ١٩٢ – بتصرف – .

(٥) الأحقاف : رمل بين عُمان إلى حضرموت ، وقيل : رمال مشرفة على البحر من أرض اليمن ، انظر : معجم البلدان ١ /١١٥ ، والروض المعطار ١/١٤.

(٦) سورة الأعراف ، آية ٦٩ .

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أأستبعدتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم على لسان رسول منكم [(١)].

وقول الله تعالى : ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [(٢)].

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية : ( أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ؟ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ولا النافية ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي على عدم تعقلهم حيال دعوة نبي الله هود – عليه السلام – التي تجردت لله وحده، فلم يبتغِ منها حظوظ الدنيا .

وقول الله تعالى : ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ ﴾ [(٣)].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ... ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي على عبثهم وتلاعبهم حين اتخذوا أبنية في الأماكن المرتفعة لا لحاجة بل لمجرد اللهو واللعب [(٤)].

دلالة الآيات :

أنّ الله تعالى أرسل نبيه هود – عليه السلام – إلى قومه يدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له ، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وتلخصت دعوته –عليه السلام– في عدة وجوه:

١- أنّ إرسال الرسل أمرٌ لا يُتعجب منه ولا يُنكر؛ فأنا من جملة الرسل الذين أرسلهم الله تعالى فأمري لا يخفى عليكم ، وقد تضمنت دعوتي لكم مافيه صلاح دينكم ودنياكم فلم تتعجبون وتنكرون . ثم ذكرهم بحال الأمم الهالكة قبلهم حينما خالفوا أمر الله وكذبوا رسله فإنّ الله تعالى مَكَّنكم بعد في الأرض بَعْدَ هلاك قوم نوح؛ فاحذروا سخطه فيصيبكم ما أصابهم ، ثمّ احمدوا الله تعالى على ماخصكم به من النعم ، حيث متّعكم بالقوة الباهرة،

---

(١) انظر : البرهان في علوم القرآن ٣ /٢٠٥ ، وتفسير أبي السعود ٣ /٢٣٦ ، وروح المعاني ٨ /١٥٣ ، وفتح القدير ٣ /٢١٦ .

(٢) سورة هود ، آية ٥١ .

(٣) سورة الشعراء ، آية ١٢٨ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٧ /٣١ ، وتفسير ابن كثير ٣ /٣٤٢ .

فَأَدُّوا حق هذه النعم بشكر مُسْدِيها إليكم بعبادته وحده لا شريك له، ففي ذلك فلاح لكم في الدارين [1].

٢- أنّ هوداً – عليه السلام – بيّن أنّ دعوته إليهم لا لطلب الدنيا، وإنما تجردت لله وحده لا شريك له، فأنكر عليهم عَدَمَ إعمال عقولهم للتفكر بأمر دعوته إليهم .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : ((يقول تعالى عن قول هود لقومه : ياقوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وخلع الأوثان والبراءة منها جـــزاء وثواباً إن أجري وثوابي على نصيحتي لكم ودعوتكم إلى الله إلا على الذي خلقني ، أفلا تعقلون أني لو كنت أبتغي بدعوتكم إلى الله غير النصيحة لكم لاَلْتَمَسْتُ منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا)) [2].

٣- أنّ هوداً – عليه السلام – أنكر عليهم عبثهم في الأرض، ومن ذلك : بناؤهم المعَالم والأبنية المشهورة في الأماكن المشرفة المرتفعة، وقيل : في كل طريق أو وادٍ ، وذلك لا لحاجة بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوّة ؛ ولذلك أنكر عليهم نبي الله هود – عليه السلام – ؛ لأن ذلك تضييع للزمان، وإتعاب للأبدان، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا والآخرة، فخراً واستكباراً على الخلق ؛ ولذلك حذرهم عذاب الله تعالى كما قال تعالى عنه : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[3] [4].

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢ /٢٢٥ ، تفسير السعدي ص ٢٩٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٥٧/١٢ ، وفتح القدير ٥٠٤/٢ – ٥٠٥ ، وتفسير السعدي ص٣٨٣.

(٣) سورة الشعراء ، آية ١٣١ – ١٣٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٩ /٩٣ ، وتفسير البغوي ٣٩٣/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٤٢/٣ .

## المطلب الحادي عشر : صالح عليه السلام

ذكر الله تعالى قصة نبيه صالح – عليه السلام – حيث أرسله إلى قبيلة ثمود الذين يسكنون الحجر[1]، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يذروا آية الله تعالى الناقة فيمُكّنوها من الشرب يوماً وهم يشربون يوماً ولا يتعرضوا لها بسوء، إلا أنهم عقروا الناقة ؛ فاستحقوا ما أنزل تعالى عليهم من العذاب الذي أهلكهم عن آخرهم .

وقد ذُكرت قصتهم في مواطن من كتاب الله تعالى منها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٍ﴾[2].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ؟ )

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : أخبروني إن كنت على برهان وحجة ظاهرة من ربي[3].

الثاني : في قوله تعالى : ( فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ؟)

والأداة فيه : مَنْ مقترنة بالفاء ، والمراد منه : النفي والإنكار، أي : لا أحد ينصرني من الله تعالى إن عصيته في تبليغ ما أرسلت به [4].

وقول الله تعالى : ﴿ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾[5].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَـٰهُنَآ... ؟ )

---

(١) الحجر : اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام ، وهي المعروفة في زماننا بمدائن صالح .
انظر : معجم البلدان ٢/٢٢١ .

(٢) سورة هود ، آية ٦٣ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٤/ ٢٢١ ، وروح المعاني ١٢ /٨٩ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٩ / ٥٩ ، وتفسير أبي السعود ٤ / ٢٢١ ، وفتح القدير ٢ / ٥٠٨ ، وروح المعاني ١٢ /٩٠ .

(٥) سورة الشعراء ، آية ١٤٦ .

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الابطالي أي : إنكار وإبطال لما يرجونه من تركهم في ديارهم آمنين من غير ابتلاء أو هلاك بمخالفتهم لأوامر الله [1].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:(...لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ ؟ )

والأداة فيه : ما مقترنة باللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي لمبادرتهم بفعل السيئات وترك فعل الحسنات [3].

دلالة الآيات :

يخبر الله تعالى أنّه أرسل نبيه الله صالحاً – عليه السلام – إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له ، ولكنه لما جاءهم بما لا يوافق أهواءهم تصدّوا لردّ دعوته محتجين بما عليه آباؤهم من الشرك ، وأنّ قدحه في معبوداتهم قدح بآبائهم . ونُجمل ذلك من عدة وجوه :

١- أنّ صالحاً – عليه السلام – لما أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له زعموا أنّهم في شك من صدق دعوته، وأنّه رسول – حقاً – من عند الله، وأنّهم لو علموا صحة ما دعاهم إليه لاتّبعوه ، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [4].

فردّ نبي الله صالح – عليه السلام – على زعمهم الباطل بقوله : أخبروني إن كنت على برهان وبيان وحجة ظاهرة تيقنتها، واختصني الله تعالى بالنبوة والحكمة ، فإن عصيته فلا ناصر يمنعني من الله تعالى، فما تزيدونني بعذركم الذي تعتذرون به من تقليد الآباء في عبادة غير الله غير تخسير كما خسرتم حظوظكم من رحمة الله بمعصية أوامره [5].

---

(١) انظر : روح المعاني ١٩/ ١١٢ .

(٢) سورة النمل ، آية ٤٦ .

(٣) انظر : فتح القدير ٤/ ١٤٣ .

(٤) سورة هود ، آية ٦٢ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٢/ ٦٤ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٥٢ ، وتفسير السعدي ص ٣٨٥ .

قال الشوكاني - رحمه الله - : ((وهذه الأمور أي : الحجة الظاهرة ، وما اختص الله به صالحاً من النبوة ، وإن كانت متحققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك [ إِنْ ] اعتباراً بحال المخاطبين؛ لأهم في شك من ذلك كما وصفوا به أنفسهم)) [1].

٢- أنّ نبي الله صالحاً - عليه السلام - بيّن لهم الغاية من خلقهم وأنّهم لم يخلقوا سدى، وإنما خلقوا لغاية عظيمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له ؛ ولذلك أنكر عليهم أن يتركوا يتمتعون في النعم التي أسبغها الله عليهم من : الأمن ، والزروع ، والنخل ذات الطلع النضيد ، والقوة التي مكنتهم من نحت الجبال بيوتاً، فهل ي تركون دون أمر من الله تعالى الذي أمرهم بها ودون نهي ؟ فهذا أمرٌ يتنافى مع الحكمة الإلهية ، فإنّ الله تعالى مكّن للإنسان في الأرض حتى يقوم عبادة الله وحده لا شريك ، ويعمل بدينه وشرعه[2].

٣- أنّ صالحاً لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له انقسموا فريقين مختصمين : فريق مُصدِّق بصالح، مؤمن به ، وفريق مكذب به كافر . فأنكر صالح - عليه السلام - استعجالهم ومسارعتهم إلى فعل السيئات المستلزمة لعقوبة الله وسخطه ، وترك فعل الحسنات التي تَصْلُحُ بها أمورُهم الدينية والدنيوية المستلزمة لرحمة الله وعفوه ؛ ولذلك ندبهم إلى المسارعة إلى الاستغفار والتوبة من الشرك ليشملهم عفو الله ورحمته [3] .

---

(١) فتح القدير ٢ /٥٠٨ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ص ٥٩٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٩ /١٧٠ ، وتفسير ابن كثير ٣ /٣٦٨ ، وتفسير السعدي ص ٦٠٦ .

## المطلب الثاني عشر : شعيب عليه السلام

ذكر الله تعالى قصة نبيه شعيب – عليه السلام – في مواطن متعددة من كتابه، حيث بعثه إلى مدين في أدنى فلسطين ، فركزت دعوته على : تقرير العبودية لله تعالى ، وترك عبادة ما سواه ، وترك تطفيف المكيال والميزان وأمرهم بالوفاء بها .

وسنتناول مواطن الاستفهام الواردة في تلك القصة :

كقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ..أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى...؟)

والأداة فيه : الهمزة ، وهو بمعنى : أخبروني، وفيه تقرير بمضمون الجملة [(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ...؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي؛ فإنّ الله تعالى أعز من رهطي ومن كل شيء [(٤)].

دلالة الآيتين :

ذكر الله تعالى قصة نبي الله شعيب – عليه السلام – فقد أرسله الله تعالى إلى أهل مدين يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يُعْبَد من دونه، ونهاهم عمّا يقومون به من تطفيف المكيال والميزان ، وحذرهم عذاب الله تعالى وعقابه ، وناقشهم – عليه السلام – من جانبين :

---

(١) سورة هود ، آية ٨٨ .

(٢) انظر : فتح القدير ٢ /٥١٩ .

(٣) سورة هود ، آية ٦٢ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٤ /٢٣٦ ، وفتح القدير ٢ /٥٢٠ .

الأول : أنّ شعيباً – عليه السلام – بيّن لهم أنّ دعوته لهم عن بيّنة وحجة من الله تعالى بما لا يدع مجالاً للشك والارتياب في أنّه تعالى اختصه بها، وتفضّل عليه بالرزق الحسن ، ثمّ بيّن لهم أنّه أول المبادرين لامتثال أمر الله، فلم ينههم عن البخس في المكيال والميزان وهو يريد فعله بل إنّه ينها هم عن معصية الله، وهو أول المبادرين لترك معصيته . كما بيَّن لهم أنّ المقاصد التي بُنيتْ عليها دعوته هي الإصلاح الذي تستقيم به أحوالهم ومنافعهم الدينية والدنيوية [1].

الثاني : أنَّ قوم شعيب تضجروا من دعوته لهم ونصحه لهم ؛ فقالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم : ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [2]؛ ولذلك أنكر نبي الله شعيب عليهم هذا الردّ منهم، حيث لم يقدروا الله حق قدره و لم يُعظموه حق عظمته، حيث أعززتم قومكم، فكانوا أعزّ عليكم من الله،واستخففتم بربكم، حيث جعلتموه وراء ظهوركم لا تأتمرون لأمره، ولا تخافون عقابه ؛ فاحذروا الله تعالى الذي لا يخفى عليه مثقال ذرة من أعمالكم وسيجازيكم على ما عملتم أتمّ الجزاء [3]

(١) انظر : فتح القدير ٢ /٥١٩ ، وتفسير السعدي ص ٣٨٧ .

(٢) سورة هود ، آية ٩١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٢ /١٠٦ ، وفتح القدير ٢ /٥٢٠ ، وتفسير السعدي ص ٣٨٨ .

# المبحث الرابع

## الاستفهام في قصص الصالحين

وفيه مطالب :

المطلب الأول : قصة أصحاب الكهف

المطلب الثاني : قصة الخضر مع موسى - عليهما السلام - .

المطلب الثالث : قصة ذي القرنين .

ذكر الله تعالى في كتابه قصصاً يعتبر منها المؤمن، ويستفيد من دلالتها التي تضمنتها ، فيستغني المؤمن عمّا مُلئتْ به بعض الكتب من القصص الخيالية الكاذبة التي احتوت في مضامينها على الباطل الصريح .

وقد ورد الكثير من قصص الصالحين في كتاب الله تعالى ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام كما سيتضح في المطالب التالية .

## المطلب الأول : قصة أصحاب الكهف

ذكر الله تعالى في كتابه قصة أصحاب الكهف، وقد افتتح الله جلّ ثناؤه سورة الكهف بذكر نفسه بما هو له أهل ، وبالكتاب الذي أنزله على رسوله إخباراً منه للمشركين من أهل مكة بأنّ محمداً رسوله – ﷺ- ؛ وذلك أنّ المشركين كانوا سألوا رسول الله – ﷺ – عن أشياء امتحاناً له بما أملاها عليهم اليهود؛ فقالوا : سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهنّ فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقوِّلٌ، فقالوا : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإنّه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طَوَّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح ماهو ؟ [1].

وقد أنزل الله تعالى في هذه السورة خبر هؤلاء الفتية ، وخبر ذي القرنين ، أما الروح فقد قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [2].

ففي هذه كلها دلائل على صدق نبوته – عليه السلام – حينما أخبرهم بخبر الفتية والرجل الطواف .

فما جاء من شأن هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم ثم انحا زوا إلى كهف في جبل ، أما الرقيم: فهو لوح كتبت فيه أسماؤهم وخبرهم وقد عُلق على الكهف ، ثم إنّ ا لله تعالى أيقظهم بعد نومة طويلة لم تُحلَّلْ أجسادهم ، و لم تُبْلَ ثيابهم، فذلك آية ودلالة على كمال قدرة الله تعالى، وسنتناول مواطن الاستفهام في قصتهم التي ذكرها الله تعالى في الآيات التي هي موضع البحث .

كقول الله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴾[3].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ...؟)

و(أم) هنا منقطعة بمعنى (بل والهمزة)، أي : بل أحسبت أنّ أصحاب الكهف ... ، والمراد منه : النفي أو النهي، أي : لا تظن أنّ قصة أصحاب الكهف ، غريبة من آيات الله ،

(١) انظر : تفسير الطبري ١٥ /١٩١ ، وتفسير البغوي ٣ /١٤٥ ، وتفسير ابن كثير ٣ /٧٤ .
(٢) سورة الإسراء ، آية ٨٥ .
(٣) سورة الكهف ، آية ٩ .

بل لله تعالى من الآيات العجيبة ما هو من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها[1] . قال الشنقيطي : ((وأم جامعة بين الإضراب والإنكار)) [2].

وقول الله تعالى : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ؟)

والأداة فيه : مَنْ مقترنة بالفاء ، والمراد منه : النفي، أي : لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب بادعاء أن له شريكاً كما افتراه عليه قوم أصحاب الكهف [4].

وقول الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( .. كَمْ لَبِثْتُمْ ؟)

والأداة فيه : كم ، والاستفهام حقيقي؛ فإنّ الفتية أرادوا معرفة المدة الزمنية التي لبثوا فيها نائمين .

دلالة الآيات :

ذكر الله تعالى قصة أصحاب الكهف مُفَّصلة ، ونُجمل القصة فيما يلي :

١- أن الله تعالى ذكر أنّ قصة أصحاب الكهف وما فيها من الآيات العجيبة ليست غريبة على آيات الله تعالى بل لله تعالى من الآيات العجيبة ما لا يحصى ، فالله تعالى يُري عبادهَ من

(١) انظر: الكشاف ٢ /٦٦٠ ، البحر المحيط ٦ /٩٧ ، وتفسير أبي السعود ٥ /٢٠٥ ، وروح المعاني ١٥ /٢٠٨ ، وتفسير السعدي ص ٤٧١ .

(٢) انظر : أضواء البيان ٣ /٢٠٥ .

(٣) سورة الكهف ، آية ١٥ .

(٤) انظر : أضواء البيان ٣ /٢١٦ .

(٥) سورة الكهف ، آية ١٩ .

الآيات في الآفاق وفي أنفسهم ما تهتدي به القلوب والعقول إلى الحق ، ولا يعني ذلك أنّ ما حصل لأصحاب الكه ف ليس من الآيات بل هي من الآيات العجيبة ، فالمؤمن يتفكر بجميع آيات الله تعالى التي دعا إلى التأمل فيها والتفكر ، فذلك ممّا يزيد العبد إيماناً ويقيناً بربه [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فإنّ قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله ، فإن مكثهم نياماً لا يموتون ثلاثمائة سنة آية دالة على قدرة الله ومشيئته، وأنه يخلق ما يشاء ، وهي آية على معاد الأبدان ، وإخبار النبي – ﷺ– بقصتهم من غير أن يعلّمه بشر آية على نبوته ، وآية على أصول الإيمان الثلاثة : الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والإيمان برسوله ، ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب بل في آيات الله ماهو أعجب من ذلك [2].

٢– أنّ الذي دفع الفتية إلى الكهف هو تعظيمهم لله تعالى وتوحيده والفرار بدينهم خوفاً من الفتنة ؛ ولذلك مقتوا ما كان عليه قومهم من اتخاذ الآلهة معبودات من دون الله ، بلا حجة ولا برهان أوجب لهم صرف العبادة لغير الله تعالى ، وإنّما ذلك افتراء على الله تعالى وكذباً وزوراً وهذا من أعظم الظلم .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : إنّ الفتية من أصحاب الكهف قالوا : هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها، فهلاّ يأتون على عبادتهم بحجة بيّنة ، فمن أظلم وأشدّ اعتداء وإشراكاً بالله ممّن اختَلق فتَخرص على الله كذباً وأشرك مع الله في سلطانه شريكاً يعبده دونه ويتخذه إلهاً [3].

٣– أنّ الله تعالى لَمّا مَنّ على هؤلاء الفتية بالثبات على دين الله نشر لهم رحمته حيث ناموا نومة طويلة،حفظ الله تعالى فيها أبدانهم،فيسرّ لهم غاراً إذا طلعت الشمس تميل عنه يميناً، وعند غروبها تميل عنهم شمالاً ، فلا ينالهم حرّها فتفسد أبدانهم بها، ثمّ بعثهم الله بعد نومهم، فتساءلوا بينهم عن مدة لبثهم ، ولذلك قال قائل منهم : كم لبثتم؟ وكأنهم وقع

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٣ / ١٤٥ ، وتفسير ابن كثير ٣ / ٧٤ ، تفسير السعدي ص ٤٧١ ، وأضواء البيان ٣/٣٠٤.

(٢) الجواب الصحيح ٥ /٣٨٤ – بتصرف – .

(٣) تفسير الطبري ١٥ /٢٠٨ – بتصرف – .

عندهم اشتباه في طول مدتهم ، ثمّ ردوا العلم بمدة مكثهم إلى الله تعالى الذي أحاط علمه بكلّ شيء [1].

وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – عدداً من الفوائد المستنبطة من قصة أصحاب الكهف منها :

١- الأدب فيمن اشتبه عليه العلم أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده .

٢- الحث على التحرز والاستخفاء والبعد عن مواقع الفتن في الدين .

٣- شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين ، وفرارهم من كل فتنة في دينهم وتركهـم أوطانهم في الله.

٤- ذكر ما اشتمل عليه الشر من المضار والمفاسد الداعية لبغضه وتركه ، وأن هذه الطريقة هي طريقة المؤمنين [2].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٥ / ٢١٦ ، وتفسير البغوي ٣ /١٥٥ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ص ٤٧٣ .

## المطلب الثاني : قصة الخضر مع موسى عليهما السلام

ذكر الله تعالى قصة الخضر مع موسى – عليهما السلام – في سورة الكهف، كما وردت في الصحيحين في حديث طويل جاء فيه قال – ﷺ – : « قام موسى خطيباً في بني إسرائيل ، فقيل له : أيّ الناس أعلم ؟ قال : أنا ، فعَتَب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه ، وأوحى إليه : بلى عبدٌ من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال : أي ربِّ كيف السبيل إليه ؟ قال : تأخذ حوتاً في مِكتَل [1]، فحيثما فقدت الحوت فاتَّبِعه ... » [2].

واختلف العلماء في الخضر هل هو نبي أو ولي من أولياء الله ؟

فقال : بعض العلماء : إنّه ولّي من أولياء الله ، وإنّه قتل الغلام ، وخرق السفينة ، وبنى الجدار عن طريق الإلهام الذي أُلقي في روعه.

وقال آخرون: إنه نبي من أنبياء الله تعالى؛ فإن الرحمة والعلم الذين امتنّ الله بهما على الخضر عن طريق النبوة والوحي، ويدل عليه قوله تعالى:﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [3].

أي : إنما فعلته عن أمر الله – جلّ وعلا – وأمر الله إنّمايتحقق عن طريق الوحي؛ إذ لا طريق تُعرف به أوامر الله ونواهيه إلا الوحي لا سيما قتل الأنفس البريئة في الظاهر ، وتعييب سفن الناس بخرقها ؛ لأن العدوان على أنفس الناس ، وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله .

أما الإلهام للأولياء فلا يجوز الاستدلال به على شيء؛ لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به [4].

---

(١) المكتل هو : الزمبيل الذي يحمل فيه التمر ونحوه .
انظر : المحكم والمحيط الأعظم ٦/٧٦٨ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/٣٦٨ .

(٢) أخرجه البخاري – كتاب : التفسير ، باب : ( قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ) انظر : البخاري مع الفتح [٤٧٢٧] ٨ /٤٢٣ ، ومسلم في صحيحه – كتاب : الفضائل ، باب : من فضائل الخضر – عليه السلام – [ ٢٣٨٠ ] ٤ /١٨٤٧ .

(٣) سورة الكهف ، آية ٨٢ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٣ / ١٧٣ ، وزاد المسير ٥ / ١٦٨ ، وتفسير القرطبي ١١ / ١٦ ، والفتاوى لابن تيمية ٤ /٣٣٨ ، وتفسير ابن كثير ٣ /١٠٠ ، وفتح القدير ٣ /٢٩٩ ، وأضواء البيان ٣ /٣٢٢ .

قال الشنقيطي – رحمه الله –: (( ومِمّا يستأنس به للقول بنبوّته تواضع موسى له في قوله: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾))[1][2].

كما أنّ المتقرر عند أهل العلم أنّ الخضر ميت وإن كان بعض أهل العلم يرى أنّه حيّ، ويستدل بأدلة ضعيفة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : ((القول الفصل في الخضر – عليه السلام – ، والصواب الذي عليه المحققون أنّه ميت، وأنه لم يُدرك الإسلام ولو كان موجوداً في زمن النبي – ﷺ – لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب ذلك عليه وعلى غيره ... ، ويكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم ، ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت للناس ، ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة لا في دينهم ولا في دنياهم ، وإذا كان الخضر حيّاً دائماً فكيف لم يذكر النبي – ﷺ – ذلك قط ، ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه)) [3].

ويذكر شيخ الإسلام – رحمه الله – بطلان دعوى الفلاسفة : أنّ أرسطو كان هو الخضر مع موسى – عليه السلام – فقال : (( وقولهم أن الخضر هو أرسطو من أظهر الكذب البارد ، والخضر على الصواب مات قبل ذلك بزمان طويل )) [4].

وكثيراً ما تذكر قصص عن الخضر يتعلق بها أهل البدع في تقديم الولي على النبي من الصوفية ونحوهم ، وهذا من خداع الشياطين وتلبيسهم عليهم ، وسنتناول موارد الاستفهام في هذه القصة كما وردت في كتاب الله تعالى.

كقول الله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ... ؟)

---

(1) سورة الكهف ، آية ٦٦ .

(2) أضواء البيان ٣ /٣٢٢ .

(3) انظر : زيارة القبور ص ٧٠ ؛ والرد على المنطقين ص ١٨٥ ، والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٢٨.

(4) الرد على المنطقيين ص ٨٤ .

(5) سورة الكهف ، آية ٦٣ .

والأداة فيه : الهمزة ، وهو بمعنى : أخبرني [1].

ويُمكن حمل المراد من الاستفهام : على إثارة الذهن نحو المستفهم عنه ، حيث أراد فتى موسى – عليه السلام – أن يستحضر موسى لحظة لجوئهما إلى الصخرة ونومهما عندها ؛ لأنّها مكان نسيان الحوت وعودته إلى البحر [2].

وقول الله تعالى:﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾[3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...هَل أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ... ؟ )

والأداة فيه : هل ، والاستفهام حقيقي ؛ فإن موسى عرض على الخضر أن يصاحبه ليتعلّم منه . و(( في هذا السؤال ملاطفة ومبالغة في حسن الأدب )) [4].

وقول الله تعالى : ﴿ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ... ؟)

والأداة فيه : كيف ، والمراد منه : النفي ؛ فإنّ موسى – عليه السلام – لن يصبر على ما سيرى من أعمال الخضر [6].

وقول الله تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ۝٧١ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ [7].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا) ؟

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار على ما قام به الخضر من إفساد السفينة .

---

(١) انظر : الكشاف ٢ /٦٨٤ ، وروح المعاني ١٥ /٣١٦ .

(٢) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢ /٢٥٤ .

(٣) سورة الكهف ، آية ٦٦.

(٤) فتح القدير ٣ /٢٩٩ .

(٥) سورة الكهف ، آية ٦٨ .

(٦) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢ /٢٥٧ .

(٧) سورة الكهف ، آية ٧١ – ٧٢ .

الثاني : في قوله تعالى : (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ (لم )، والمراد منه : التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بمضمون الجملة ويردف عليه الإنكار ، فإن الخضر ذكر موسى – عليه السلام – بما اتفقا عليه من عدم الاعتراض على ما يقوم به الخضر من تصرفات [١] .

وقول الله تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [٢].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى ( ..أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ) ؟

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار؛ فإنّ موسى أنكر على الخضر قتله الغلام .

الثاني : في قوله تعالى : ( ... أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم)، والمراد منه : التقرير؛ فإن الخضر قرّر موسى – عليه السلام – بما اتفقا عليه من عدم الاعتراض على أفعاله .

دلالة الآيات :

ذكر الله تعالى قصة موسى – عليه السلام – مع الخضر، فموسى – عليه السلام – اصطحب فتاه ( يوشع بن نون ) إلى أن بلغوا مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحى الله إلى موسى أنَّك ستجد عبداً من عباده العَالِمين ، فلما بلغا مجمع البحرين نسيا الحوت الذي أخذاه معهما في مِكْتَل، وقد أخبره الله تعالى متى فقد الحوت فثمَّ ذلك العبد الصالح ، فالحوت أصابه بعض ماء البحر، فاتخذ طريقه في البحر سرباً وصار حياً . فلما سارا وجدّا في السير نالهم التعب؛ ولذلك قال موسى لفتاه : ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [٣]، قال الفتى لموسى – عليه السلام – : ألم تعلم ح ين آوانا الليل إلى تلك الصخرة فإني نسيت الحوت، فانسرب في البحر ودخل فيه، وكان عند موسى – عليه السلام

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٥ /٢٣٥ ، وروح المعاني ١٥ /٣٣٧ فقد ذكرا أن مضمون الاستفهام الإنكار .

(٢) سورة الكهف ، آية ٦٢ .

(٣) سورة الكهف ، آية ٦٢ .

– وعد من الله أنّه إذا فُقد الحوت وجدت الخضر؛ ولذلك قال موسى : ذلك الذي نطلب ، فرجعا يقصّان أثرهما إلى أنْ بلغا الموضع الذي فقدا فيه الحوت . فوجدا الخضر الذي آتاه الله تعالى من العلم ما لم يُؤتَ موسى – عليه السلام – وإن كان موسى – عليه السلام – أعلم منه في العلوم الإيمانية ، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب : ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ [(١)] ، قال الخضر : لا أمتنع من ذلك ، ولكن لاتقدر على اتباعي؛ لأنك ترى ما لا تستطيع معه صبراً ؛ لأن هذه الأمور ظاهرها منكرة وباطنها غير ذلك، فكيف تصبر على ما لم تحط بباطنه ومقصده . فقال موسى : سوف أعاهدك على الصبر ، فاشترط الخضر أن لا يسأله عن شيء يفعله حتى يخبره بحاله في الوقت الذي ينبغي إخباره به . فأنكر موسى – عليه السلام – أفعالاً منها :

-أن الخضر خرق السفينة واقتلع لوحاً منها ، فأنكر موسى – عليه السلام – ذلك الفعل لأنّه يتسبب في إغراق أهلها ، وهذا من عدم صبره – عليه السلام – على ذلك الفعل الذي ظاهره أنّه فعل شنيع . ولذلك قرّره الخضر وذكره بما اتفقا عليه من عدم السؤال حتى يخبره بتأويل هذا الفعل ، فقال موسى – عليه السلام – : اسمح لي فقد وقع ذلك مني على وجه النسيان [(٢)].

-أنّ الخضر قتل غلاماً صغيراً ، فأنكر موسى – عليه السلام – ذلك الفعل كيف تقتل غلاماً صغيراً لم يذنب ذنباً يستحق عليه القتل ؟ ولذلك قال له الخضر مقرراً ومذكراً : ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ [(٣)] ، فاعتذر موسى – عليه السلام – للخضر ووعده بأنه إن صدر مني اعتـــراض على أفعالك يكـــون فراق بيني وبينك ، وتعذر بعدم صحبتي لك[(٤)] .

---

(١) سورة الكهف ، آية ٦٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٥ /٢٧١ –٢٨٣ ، وتفسير البغوي ٣ /١٤٥ ، وتفسير ابن كثير ٣ /٧٤ ، وفتح الباري لابن حجر ٨ /٤٢٠ – ٤٢١ ، وتفسير السعدي ص ٤٨٢ .

(٣) سورة الكهف ، ٧٥ .

(٤) انظر : المصادر نفسها .

وقد بيّن الخضر – عليه السلام – لموسى – عليه السلام – الأسباب التي دفعته لخرق السفينة وقتل الغلام كما أخبر الله تعالى عنها : ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [(١)].

---

(١) سورة الكهف ، آية ٧٩ – ٨٢ .

## المطلب الثالث : قصة ذي القرنين

ذكر الله تعالى قصة ذي القرنين في سورة الكهف، وذلك إجابة عن سؤال المشركين عنه. كما قال تعالى :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾[(١)].

وذي القرنين رجل مؤمن وهبه الله من الملك والقوة ما استطاع به بلوغ مشرق الأرض ومغربها ، وسمّي بذلك؛ لأنه ملك الروم والفرس ، وقيل : لأنه بلغ قرني الشمس شرقها ومغربها.

وقيل : لأنّ صفحتي رأسه كانتا من نحاس . وقيل : لأنّ في رأسه شبه القرنين .

والله أعلم ، وقد أعطاه الله ملكاً عظيماً م ا لم يؤته الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب ؛ ولهذا ملك مشارق الأرض ومغاربها ودانت له العرب والعجم [(٢)].

وقد ادّعى الفلاسفة أنّ ذا القرنين هو الاسكندر اليوناني ، ولا صحة لذلك؛ لأنّ ذا القرنين رجلٌ مؤمن والاسكندر اليوناني رجل مشرك، وكان قريباً من زمن عيسى – عليه السلام – .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( وذو القرنين المذكور في القرآن وصل إلى شرق الأرض وغربها ، وذاك مشركٌ يعبد هو وقومه الكواكب والأصنام ، فأين هذا من هذا؟))[(٣)].

وقال : ((وأرسطو كان وزير الإسكندر بن فيلبس المقدوني، وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة، فيظن من يُعظّم هؤلاء الفلاسفة أنّه كان وزيراً لذي القرنين المذكور في القرآن ليعْظُم قدره وهذا جهل ؛ فإنّ ذا القرنين كان قبل هذا بمدة طويلة جداً، وذو القرنين بنى سدّ يأجوج ومأجوج، وهذا المقدوني ذهب إلى بلاد فارس، و لم يصل إلى بلاد الصين، فضلاً عن السدّ)) [(٤)].

وسنتناول مورد الاستفهام في هذه القصة كما ذُكرت في كتاب الله تعالى .

---

(١) سورة الكهف ، آية ٨٣ .
(٢) انظر : تفسير الطبري ١٦ /٨ ، وتفسير ابن كثير ٣ /١٠١ ، وفتح الباري ٦ /٣٨٢ .
(٣) الفتاوى ٤ /١٦١ – بتصرف – ، وانظر : والرد على المنطقيين ص ١٨٢ .
(٤) الفتاوى ١٧ /٣٣٢ – بتصرف – وانظر : تلخيص الاستغاثة لابن كثير ص ١٥٦ .

في قول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( .. فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا... ؟ )

والأداة فيه : هل مقترنة بالفاء ، والاستفهام حقيقي؛ فقد عرضوا على ذي القرنين أن يبني سداً بينهم وبين يأجوج ومأجوج ، ويتقاضى على ذلك أجراً .

دلالة الآيات :

أنّ ذا القرنين لما بلغ مطلع الشمس ذهب متوجهاً من المشرق إلى الشمال، فوصل إلى ما بين السدين وهما جبلان متقابلان بينهما ثغرة يخرج منها – يأجوج ومأجوج، فوجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قولاً لعجمة ألسنتهم أو استعجام أذهانهم ، وقد أعطي ذو القرنين من الأسباب ما فقه به ألسنة أولئك القوم ، حيث اشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج وإفسادهم بالقتل وسلب الأموال [(٢)]؛ ولذلك عرضوا عليه أن يجعلوا له أجراً على أن يبني بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً ، و لم يكن ذو القرنين ذا طمع ولا رغبة في الدنيا فلم يأخذ منهم أجرة وإنما طلب منهم أن يبذلوا ما في وسعهم لإعانته على بناء السدّ فأمرهم بإحضار قطع الحديد حتى إذا ساوى بين قمتي الجبل أمرهم بصهر النحاس وإفراغه على السدّ فاستحكم السدّ استحكاماً هائلاً، فلا يأتيهم ضرر يأجوج ومأجوج، حتى يأذن الله تعالى لهم بالخروج؛ فينهدم ذلك السدّ دكًّا ء فيخرج منه يأجوج ومأجوج . كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [(٣)]، وذلك عند قرب قيام الساعة .

---

(١) سورة الكهف ، آية ٩٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٦ /٨ – ١٧ ، وتفسير ابن كثير ٣ /١٠٥ ، وتفسير السعدي ص ٤٨٦ .

(٣) سورة الكهف ، آية ٩٨ .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

# الدلالات العقدية لأساليب الاستفهام في القرآن الكريم

« رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة »

إعـــــداد
**منى بنت عبدالرحمن بن إبراهيم الشنيفي**

إشــراف
الدكتور علي بن محمد السويلم
الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

والمشرف المساعد الدكتور ناصر بن عبدالرحمن الخنين
الأستاذ المساعد في قسم البلاغة

**الجزء الثاني**

**العام الجامعي**

**١٤٢٩ – ١٤٣٠هـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

# الباب الثالث

الدلالات العقدية للاستفهام
في الإيمان باليوم الآخر ، وبالقدر ، ومسائل الأسماء
والأحكام

# الباب الثالث

الدلالات العقدية للاستفهام
في الإيمان باليوم الآخر ، وبالقدر ، ومسائل الأسماء
والأحكام

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الإيمان باليوم الآخر .

الفصل الثاني : الإيمان بالقدر .

الفصل الثالث : الأسماء والأحكام .

## الفصل الأول:

## الإيمان باليوم الآخر

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أسماء اليوم الآخر .

المبحث الثاني : تقرير البعث .

المبحث الثالث: الأدلة العقلية على البعث والرد على منكريه.

المبحث الرابع : مشاهد اليوم الآخر .

سُمّي اليوم الآخر بذلك لتأخره عن الدنيا ،ولأنه لايوم بعده ، وقد دلّ عليه العقل والفطرة ، كما صرّحت به جميع الكتب السماوية ، ونادى به الأنبياء والمرسلون [(١)]، فالإيمان به أحد أركان الإيمان الستة التي يجب على العبد الإقرار بها ؛ ولذلك نهج القرآن الكريم منهجاً فريداً في تقرير هذه العقيدة ؛ ليغرس في النفس البشرية أنَّ وراء هذه الحياة ، التي هي دار العمل ، دارَ الجزاء، وذلك مقتضى عدل الله وحكمته ، فلا يستوي من آمن بالله تعالى ومن أعرض عن ذكره ، فطبيعة النّفس البشرية تنتابها الغفلة والنسيان وتغلبها الشهوة ، فجعل الله تعالى الإيمان باليوم الآخر ليبعث النفس على شدة التوقي والشعور بالرقابة التي تحيط به ؛ ممّا يجعله مسارعاً في فعل الطاعات، رادعاً له عن فعل المنكرات، ومن مظاهر اهتمام القرآن بتقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر، ربط الإيمان به بالإيمان بالله – عز وجل – كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ [(٢)].

فلا يكاد القرآن الكريم يعرض لمناقشة قضية من القضايا أو موضوع من الموضوعات إلاَّ وتجد فيها حديثاً عن اليوم الآخر ، وما سيكون فيه من الأحداث، بأساليب متنوعة، ومِنْ بينها أساليب الاستفهام التي قرَّر الله تعالى فيها عقيدة الإيمان باليوم الآخر كما سيتضح في هذا الفصل. ولذلك اعتنى السلف –عليهم رحمة الله– ببيان ذلك وتوضيحه وببسط الأدلة من الكتاب والسنة في كتب العقائد، ومن ذلك :

يقول الإمام الطحاوي –رحمه الله– : (( ونؤمن بالبعث ، وجزاء الأعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب ، وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب ، والصراط والميزان ))[(٣)].

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ذلك بقوله: (( ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما أخبر به الرسول – ﷺ– ممّا يكون بعد الموت؛ فيؤمنون بفتنة القبر ، وبعذاب القبر ونعيمه ...)) [(١)].

---

(١) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص١٩١ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٧٧ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٥٦ .

وقال : (( إنّ المسلمين واليهود والنصارى متفقون على أنّ في الكتب الإلهية الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ... وأنّ فيها الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب، بل هم متفقـــون على الإيمان باليوم الآخر، وقد تنازعوا في بعض معانيها، واختلفوا في تفسير ذلك...))[(٢)].

ويقول الإمام ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله – : (( الإيمان بالمعاد ممّا دل عليه الكتاب والسنة ، والعقل والفطرة السليمة ؛ فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز ، وأقام الدليل عليه ، وردّ على منكريه في غالب سور القرآن ؛ ومحمد – ﷺ – لَمّا كان خاتم النبيين ، بيّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء ...)) [(٣)].

ويقول الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله–: (( والإيمان باليوم الآخر معناه : أن تُصدق بكل ما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه ، وبالبعث بعد ذلك ، والحساب ، والميزان ، والثواب ، والعقاب ، والجنة ، والنار ، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة ))[(٤)].

وقد اتفق المسلمون على أن الإعادة والبعث تكون بالروح والجسد معاً، ولكن اختلفوا في الإعادة هل هي عن عدم أو عن تفريق ؟ على قولين :

القول الأول :

أن الإعادة عن عدم ؛ أي أن الأجساد تعُدم أجزاؤها وذواتها، ثم يعيدها الله تعالى، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [(٥)].

فكل شيء ما ســوى الله تعالى هالك ومعدوم ، ومن ذلك ذوات الأجسام وأجزاؤها[(٦)].

القول الثاني :

---

=

(١) الواسطية – ضمن الفتاوى– الفتاوى ٣ / ١٤٥ .

(٢) الجواب الصحيح ٢/٤٤٠ – ٤٤١ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٢ /٤٥٦ – ٤٥٧ .

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص١٩٤ .

(٥) سورة القصص ، آية ٨٨ .

(٦) انظر : الأربعين في أصول الدين للرازي ٢ / ٥٠ ، والفوائد ص٥ .

أنّ الإعادة عن تفريق ؛ فإنَّ النّاس يبعثون ويعادون بأرواحهم وأجسادهم معاً ، فالله تعالى له القدرة التامة على أنْ يجمع هذه الأجزاء التي تفرقت من أبدانها ، ويخلقها على صورها الأولى[(١)].

يقول ابن القيم -رحمه الله - : والجزاء إنّما هو للأجسام الأولى بأعيانها ، ولو كان الجزاء إنّما هو لأجسام غير هذه لم يكن ذلك بعثاً ولا رجعاً، بل يكون ابتداء ، ولم يكن لقوله تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ [(٢)]...كبير معنى ؛ فإنّه -سبحانه- جعل هذا جواباً لسؤال مقدر، وهو أنّه تعالى يميز تلك الأجزاء التي اختلطت بالأرض ، واستحالت إلى العناصر بحيث لا تتميز؟ فأخبر - سبحانه - أنّه قد علم ما تنقصه الأرض من لحومهم وعظامهم وأشعارهم ، وأنّه كما هو عالم بتلك الأجزاء، فهو قادر على تحصيلها وجمعها بعد تفرقها ، وتأليفها خلقاً جديداً [(٣)].

وقد خالف الفلاسفة في ذلك، فزعموا أن المعاد والبعث للروح لا للجسد ، فإنّ الأجساد إذا بليت فلن تعود بل تعدم، وزعموا أنّ الرسل خاطبت الجمهور على طريق التخييل والخطاب الجمهوري .

يقول الغزالي -رحمه الله- موضحاً مذهبهم : (( وقد قالوا : إنّ النَّفس تبقى بعد الموت بقاء سرمدياً ، إمّا في لذة ، لا يحيط الوصف بها لعظمها ، وإمّا في ألم لا يحيط الوصف به لعظمه ؛ ثم قد يكون ذلك الألم مخلداً ، وقد ينمحي على طول الزمان ...)) [(٤)].

وقال: ((وإنّما أنكرنا عليهم...إنكار حشر الأجساد، وإنكار اللذات الجسمانية في الجنة، وإنكار الآلام الجسمانية في النار، وإنكار وجود الجنة والنار، كما وُصف في القرآن))[(٥)].

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : (( وأما اليوم الآخر فلا يقرون بانفطار السماوات ، ولا بانتثار الكواكب ، ولا قيامة الأبدان ))[(١)] ، فقد ضاهوا مشركي العرب بإنكارهم ؛ فإنّ

---

(١) انظر : الأربعين في أصول الدين ٢ / ٥٠ .

(٢) سورة ق ، آية ٤ .

(٣) الفوائد ص٦ - بتصرف - .

(٤) تهافت الفلاسفة للغزالي ص ٢٨٢ .

(٥) المصدر نفسه ص ٢٨٧ .

مشركي العرب أنكروا عودة هذا الجسد بعد تفرّقه وتمزقه وصيرورته إلى التراب . وقد أبطل الله تعالى هذه الدعوى منهم بأنّ ذلك أمر لا يُتعجب منه على قدرة الله التامة ، الذي خلق هذه الأجساد ابتداء قادر على إعادتها، كما سيأتي بسطه في أدلة البعث وتقريره والرد على منكريه؛ فبذلك نعلم أنّ مَنْ أنكر حشر الأجساد فهو كافر بصريح القرآن، كما قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [٢].

فهؤلاء الفلاسفة يزعمون أنَّ الرسل لم تُفصح عن معاد الأبدان سوى محمد – ﷺ – ، وذلك من باب التخييل والخطاب الجمهوري ، وبطلان ذلك ظاهر بصريح القرآن ، فإنّ الرسل من لدن آدم – عليه السلام– إلى محمد –ﷺ– أنذرت أقوامها لقاء الله تعالى . قال الله تعالى في شأن آدم –عليه السلام–:﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [٣].

وفي شأن نوح – عليه السلام – : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ [٤].

وكذلك إبراهيم وموسى–عليهما السلام– وعموم الرُسُل إلى خاتمهم محمد ﷺ[٥].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى ، وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة » [٦].

---

=

(١) إغاثة اللهفان ٢ /٢٦٢ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٩٨ – ٩٩ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٢٥ .

(٤) سورة نوح ، آية ١٧ – ١٨ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٧ .

(٦) الفتاوى ٤ / ٢٨٤ .

وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين[1] لمخالفتهم صريح الكتاب والسنة ؛ فإنّ الكتاب والسنة دلت دلالة قاطعة على معاد الأبدان ، كما سنتناول دراسته في هذا الفصل .

## المبحث الأول
## أسماء اليوم الآخر

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الساعة .
المطلب الثاني : الحاقة .
المطلب الثالث : القيامة .
المطلب الرابع : الغاشية .
المطلب الخامس : القارعة .
المطلب السادس : الدار الآخرة .
المطلب السابع : يوم الفصل .
المطلب الثامن : يوم الدين .
المطلب التاسع : أنّه يوم لا ريب فيه .
المطلب العاشر : يوم الفتح .

(١) المصدر نفسه ٤ / ٢٨٣ .

تعدَّدت في القرآن الكريم أسماء اليوم الآخر تعدداً يسترعي الانتباه إلى عظمة ذلك اليوم، وشدة أهواله ؛ لتستيقظ القلوب إلى هذه النهاية المحتومة على كل فرد ، وإذا أمعنَّا النظر إلى هذه الأسماء التي تعددت في كتابه فنلحظ أنّ كل اسم منها يُعبر عن حالة من الحالا ت التي يكون عليها ذلك اليوم، كتسميته بالآزفة كما قال الله تعالى : ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [1] ، أي : دنت وقربت القيامة ، وكذلك تسميته بيوم الفصل أي: يومٌ يُقضى فيه بين الخلائق ، ولا يظلم ربك فيه أحداً، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴾ [2]، ويوم البعث ؛ لأنّ الله تعالى يبعث فيـــه الموتى ، كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[3].

و كذلك غيرها من الأسماء التي ذكرها الله تعالى في كتابه .

قال الشنقيطي – رحمه الله – : ومعلوم أنَّ الشيء إذا عظم خطره كثرت أسماؤه ...، ومعلوم أنّ ذلك ليس من المترادفات ؛ فإنّ لكل اسم دلالة على معنى خاص به ، فالواقعة لصدق وقوعها ، والحاقة لتحقق وقوعها ، والطامة لأنّها تطمّ وتعمّ بأحوالها ، والآزفة من قرب وقوعها [4].

وقد وردت هذه الأسماء في مواطن من القرآن الكريم ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام كما سنتناوله في هذا المبحث :

---

(١) سورة النجم ، ٥٧ – ٥٨ .

(٢) سورة النبأ ، آية ١٧ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ٣٦ .

(٤) أضواء البيان ٩ / ٧٠ ، – بتصرف – .

## المطلب الأول : الساعة

سميت القيامة بالساعة ؛ لأنَّها تَفْجأ النَّاس بوقوعها في آخر لحظات الدنيا ، فالساعة تطلق ويُراد بها جزء من أربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم و الليلة ، وتطلق ويراد بها جزء قليل من أجزاء اللَّيل والنهار، والساعة : الوقت الحاضر ، والجمع سواعٍ وساعات [1]، وقد جرت كلمة الساعة عَلَماً على القيامة، وقد سماها الله تعالى في مواطن من كتابه الكريم بالساعة ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا) ؟

والأداة فيه : أيّان . والمراد منه : الإنكار والاستبعاد لوقوعها والتكذيب بوجودها إن كان السائلُ من كفار قريش ، وقيل : إنَّهم نفرٌ من اليهود، فيُحمل المعنى على الامتحان للنبي – ﷺ – وإلا فهم يؤمنون بالبعث [3].

وقول الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا؟)

والأداة فيه : ما . والمراد منه : النفي أي : لا علم لأحد بالساعة، وإنّما علمها عند الله [5].

---

(١) انظر : تاج العروس ٢٠ / ٢٤١ ( سوع ) .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٨٧ .

(٣) انظر : الكشاف ٢ / ١٧٢ ، وتفسير القرطبي ٧ / ٣٣٥ ، وتفسير ابن كثير ٢ /٢٧٢ .

(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦٣ .

(٥) انظر : روح المعاني ٢٢ / ٩٢ .

وقول الله تعالى:﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[(١)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ؟)

والأداة فيه : هل . والمراد منه : الإنكار والنفي ؛ أي : ما ينتظر الكفار إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم في غفلة عنها [(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴾ [(٣)].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول في قوله تعالى : (فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ؟)

والأداة فيه : هل مقترنة بالفاء . والمراد منه : إنكار مشوب بتهكم ؛ أي : لا تحسب تأخير مؤاخذاهم إفلاتاً من العقاب ، فإهم مرجون إلى الساعة [(٤)].

والثاني : في قوله تعالى : (فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ؟)

والأداة فيه : أنّى . والمراد منه : الإنكار عليهم لعدم الانتفاع بالذكرى[(٥)].

وقول الله تعالى:﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴾[(٦)].

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (...أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ؟) والأداة فيه : أيّان . والمراد منه : الإنكار والاستبعاد لوقوعها كما تقدم في آية الأعراف[(٧)].

---

(١) سورة الزخرف ، آية ٦٦ .

(٢) انظر : مغني اللبيب ص ٤٥٩ ، وروح المعاني ٢٥ /٩٧ ، وأضواء البيان ٧ / ١٣٩ .

(٣) سورة محمد ، آية ١٨ .

(٤) انظر : روح المعاني ٢٦ /٥٢ ، والتحرير والتنوير ٢٦ /١٠٣ .

(٥) انظر : التحرير والتنوير ٢٦ /١٠٤ .

(٦) سورة النازعات ، آية ٤٢ ، ٤٣ .

(٧) انظر : ص ٦٢٩ .

والثاني : في قوله تعالى : (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ؟) والأداة فيه : ( ما ) مقترنة بـــ( في ) . والمراد منه : الإنكار ، أي : فيم أنت من ذلك حتى يسألـــوك عن زمن الساعة ، ولست تعلمه؟! [1]

دلالة الآيات :

سمّى الله تعالى القيامة بالساعة ؛ وذلك لسرعة وقوعها ، وكونها تأتي النّاس بغتة ، ومن ثَمَّ فأُطْلِقَ اسم الساعة عَلَماً على القيامة كما سنوضحه في الجوانب التالية :

١- إنّ الله تعالى استأثر بعلم الساعة، فلا يعلمها ملك مقرّب ولا نبي مرسل ، وقد أخبر الله تعالى أنّ قوماً سألوا النبي – ﷺ – عن وقت الساعة استبعاداً وتكذيباً بوجودها ، فقيل : إنّهم من قريش قالوا للنبي –ﷺ–: إنّ بيننا وبينك قرابة فأسرّ إلينا متى الساعة ؟

وقال آخرون: بل قوم من اليهود قالوا : متى الساعة إن كنت نبياً ؟ فإنّا نعلم متى هي؟ امتحاناً له –ﷺ – وجائز أن يكونوا من قريش أو اليهود [2].

فأمر الله تعالى رسوله –ﷺ– أن يجيب سائليه عن الساعة بأنّه لا يعلم وقت قيامها إلا الله الذي يعلم الغيب – جلَّ ذكره – كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [3].

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [4]، فلا يكشف وقتها إلا الله تعالى ، فقد ثقل علمها ، وخفي أمرها على أهل السموات والأرض .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : « يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث عن الساعة متى وقوعها ؟ ... فأجابهم الله بقوله : (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ؟) أي : ما الفائدة لك ولهم من ذكرها ، ومعرفة وقت مجيئها فليس تحت ذلك نتيجة ؛ ولهذا لَمّا كان علم العباد للساعة

---

(١) انظر : البحر المحيط ٨ /٤١٦ ، وتفسير أبي السعود ٩ /١٠٥ ، وفتح القدير ٥ / ٣٨٠ .
(٢) انظر : تفسير الطبري ٩ /١٣٧ – ١٣٨ .
(٣) سورة الأعراف ، آية ١٨٧ .
(٤) سورة الأحزاب ، آية ٦٣ .

ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دينوية، بل المصلحة في إخفائه عليهم طوى علم ذلك عن جميع الخلق واستأثر بعلمه ، فقال : (إلى ربك منتهاها ) ؛ أي : إليه ينتهي علمها)) [1].

٢- إخباره – جـــل وعلا – عن قربها كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [2] .

وقد أوضح الله – تعالى – اقترابها في آيات أُخر كقوله تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [3].

ولذلك قال : (( وما أشعرك يا محمد ، لعل قيام الساعة يكون منك قريباً ، قد قرب وقت قيامها ودنا ح ين مجيئهـــا)) [4] ، فعلى العاقل الفطن الاستعداد لقيامها بالعبودية التامة ، والعمل الصالح لا سيما قد ظهر كثيرٌ من أشراطها كما قال تعالى : ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[5] وأشراطها علاماتها التي تسبقها وتدل على قربها ، وقيل : ما تُنكره النّاس من صغار أمورها قبل أن تقوم[6] كالتطاول في البنيان، وقبض العلم ، وفتح بيت المقدس ، وظهور الدجال ، ونزول عيسى بن مريم – عليه السلام – ... ، فعلى العبد الإيمان بما صحَّ منها عن المصطفى – ﷺ – ما ظهر منها وما لم يظهر بعد .

٣- وصف الله تعالى قيام الساعة بأنَّه مباغت مفاجئ للناس ح ال غفلتهم وعدم شعورهم بمجيئها ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[7].

---

(١) تفسير السعدي ص ٩١٠ .
(٢) سورة الأحزاب ، آية ٦٣ .
(٣) سورة القمر ، آية ١ .
(٤) تفسير الطبري ٢٢ /٤٩ .
(٥) سورة محمد ، آية ١٨ .
(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة ٣/٢٦٠ ، والنهاية في غريب الحديث ٢/٤٦٠ (شرط)، ولسان العرب ٧ / ٣٢٩ ( شرط ) .
(٧) سورة الزخرف ، آية ٦٦ .

وقوله : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ [1].

وفي ذلك الحث على الاستعداد بالعمل الصالح ، و الرجوع إلى الله قبل أن تباغته الساعة بقيامها ، أو يفاجئه الموت ، فإنّ موت الإنسان قيام ساعته ؛ فالقبر أول منازل الآخرة[2].

(١) سورة محمد ، آية ١٨ .

(٢) انظر : تفسير السعدي ص ٧٨٧ ، وأضواء البيان ٧ /١٣٩ .

## المطلب الثاني : الحاقة :

الحاقة : الساعة والقيامة سميّت حاقة ؛ لأنها تحقّ كل إنسان بعمله من خير وشر ؛ ولأنّ فيها حواقّ الأمور والثواب . وسُمّيت القيامة حاقة ؛ لأنّها تحقّ كل مجادل في دين الله بالباطل، فتحقُه ، أي : تغلبه وتخصمه ، من قولك : حاققته أُحاقه حقاقاً ومحاقة وحققته أحُقّه ؛ أي : غلبته[1] .

وقد وردت في كتاب الله تعالى سورة تسمى سورة الحاقة ، وورد منها بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ [2].

ورد في الآيات ثلاثة استفهامات :

الأول : في قوله تعالى : (مَا ٱلْحَآقَّةُ ؟) ، والأداة فيه : ما ، والمراد منه : التعظيم والتهويل لشأنها بخروجها عن دائرة علوم المخلوقات لبيان مدى هولها وشدتها [3].

الثاني والثالث : في قوله (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ؟) ، والأداة فيهما ( ما ) ، والمراد منهما: تأكيد التعظيم والتهويل والتفخيم[4] .

دلالة الآيات :

سمّى الله تعالى القيامة بالحاقة ؛ لأنّها تحقُّ كلَّ إنسان بعمله من خير وشر ؛ ولأنّ فيها حواقَّ الأمور ، ولذلك عظَّم الله شأنها وفخَّمه ؛ فإنَّ لها شأناً عظيماً، وهولاً جسيماً [5].

---

(١) انظر : تهذيب اللغة ٢٤٣/٣ ، تاج العروس ١٦٨/٢٥ ، لسان العرب ٥٤/١٠ (حقق) ، ومختار الصحاح ص٦٢.

(٢) سورة الحاقة ، الآيات ١ ، ٣ .

(٣) انظر : زاد المسير ٨ /٣٤٥ ، والبحر المحيط ٨ / ٣١٥ ، وبدائع الفوائد ١ /١٦٥ ، والبرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٣٨ ، وتفسير أبي السعود ٩ /٢١ ، وفتح القدير ٥ / ١٧٩ ، وروح المعاني ٤/٢٩ .

(٤) المصادر نفسها .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٤٧/٢٩ ، وتفسير ابن كثير ٤ /٤١٣ وتفسير السعدي ص ٨٨٢ ، وأضواء البيان ٢٥٧/٨ .

قال الإمام البغوي – رحمه الله – : الحاقة يعني القيامة سُمّيت حاقَّة ؛ لأنّها حقت فلا كاذبة لها، وقيل : لأنّ فيها حواق الأمور ، وحقائقها ، ولأنّ فيها يحق الجزاء على الأعمال؛ أي : يجب ، ثم عظَّم الله شأنها وفخمه ...، فليستعدّ المؤمن لوقوعها بامتثال أمر الله تعالى والحذر من عقوبته [1].

(١) تفسير البغوي ٤ / ٣٨٥ – بتصرف يسير – .

## المطلب الثالث : القيامة

القيامة يوم البعث، وسُمّي بذلك لقيام الخلق فيه بين يدي الحيّ القيوم ، والقيامة أصلها من القيام دفعة واحدة ، أدخل فيها الهاء للمبالغة،و تنبيهاً على وقوعها دفعة [1].

كقول الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ؟ ) والأداة فيه : أيّان ، والمراد منه : الاستبعاد والاستخفاف لوقوعها ، والتكذيب لوجودها[3].

دلالة الآية :

سمّى الله تعالى الساعة بالقيامة ؛ لقيام النّاس لربهم للجزاء والحساب وفصل القضاء .

وتُطلق القيامة ويُراد بها :

القيامة الكبرى : وهي قيام الناس من قبورهم للجزاء والحساب .

القيامة الصغرى : ويُراد بها الموت ، فإنّ من مات قامت قيامته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : في سورة القيامة ذكر القيامتين : القيامة الكبرى ، والقيامة الصغرى فقال : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [4]، فذكر هنا القيامة الكبرى، أمّا الموت فقال [5]: ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾ [6].

قال ابن كثير – رحمه الله– : يقول ابن آدم متى تكون القيامة ، وإنّما سؤاله سؤال استبعـــاد لوقوعه وتكذيب لوجوده ، فذلك يوم لا يستقر لهم بصر على شيء من شـــدة الرعب ، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور [7].

## المطلب الرابع : الغاشية

---

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن ص٦٩١ ( قوم ) ، ولسان العرب ١٢ / ٥٠٩ ( قوم ) .

(٢) سورة القيامة ، آية ٦ .

(٣) انظر: الكشاف٤/٦٥٩، وتفسير ابن كثير٤/٤٤٩، وتفسير أبي السعود٩/٦٥، وروح المعاني٢٩/١٣٨ .

(٤) سورة القيامة ، آية ١ .

(٥) الفتاوى ٤ /٢٦٢ – ٢٦٤ – بتصرف – .

(٦) سورة القيامة ، آية ٢٦ .

(٧) تفسير ابن كثير ٤ /٤٤٩ – بتصرف – .

الغاشية اسم من أسماء يوم القيامة ، وسميت بذلك؛ لأنها تغشى الناس بأهوالها ، فالغاشية كل ما يغطي الشيء ويعمه[1] .

وقد وردت في كتاب الله تعالى في مواطن منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾[2].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ( هل أتاك ...؟)

والأداة فيه : هل . والمراد منه : التقرير وهو التحقيق والإثبات ؛ أي : قد أتاك حديث الغاشية ، ويردف عليه : (( التشويق وشدة التعجب والتنويه بشأنها ))[3].

دلالة الآية :

سمَّى الله تعالى القيامة بالغاشية ؛ لأنها تغشى النّاس بأهوالها وشدائدها ، فتعمّ أوّلهم وآخرهم : إنسهم وجنّهم ، فَتَرِد عليهم بغتة .

واختلف المفسرون في معنى الغاشية على قولين :

القول الأول :

أنَّ معنى الغاشية القيامة تغشى الناس بأهوالها . قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : ((الغاشية من أسماء يوم القيامة عظَّمة الله ، وحذّره عباده ))[4].

القول الثاني :

الغاشية النار تغشى وجوه الكفرة ، وجمع ابن جرير الطبـــري بين القولين ، فقال : ((وكلتاهما غاشية : هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب ، وهذه تغشى الكفار باللفح في الوجوه والشواظ والنحاس ))[5].

والذي يظهر رجحانه – والله تعالى أعلم – ما رجحه الإمام الشنقيطي – رحمه الله – أنّها في عموم القيامة ، وهو ما يشهد له السياق من عدة وجوه :

---

(١) انظر : المحكم والمحيط الأعظم ٦/٣٢ ، ولسان العرب ١٥/١٢٦ ( غشي)، ومختار الصحاح ص١٩٩ .

(٢) سورة الغاشية ، آية ١ .

(٣) انظر : تفسير السمرقندي ٣ /٥٥١ ، وتفسير أبي السعود ٩/١٤٨ ، وروح المعاني ٣٠ /١١٢ ، وأضواء البيان ٨ / ٥٠٨ .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٠ / ١٥٩ .

(٥) تفسير الطبري ٣٠ / ١٦٠ .

١- أنه جاء بعدها قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ [١] ، ويوم أنسب للقيامة منه للنار .

٢- التصريح بعد ذلك بأنّ من كانت تلك صفاتهم يَصْلَو نَ ناراً حامية ، ممّا يدل على أنّ الغاشية شيء آخر سوى النار الحامية .

٣- أنّ التعميم ليوم القيامة يشمل جميع الخلائق، وهو الأنسب بالموقف ، ثم يُنجي الله الذين اتقوا، وقد بين الله تعالى قسيم هذا الصنف، مما يدل على أنّ المراد بها يوم القيامة[٢].

---

(١) سورة الغاشية ، آية ٢ .

(٢) أضواء البيان ٨/٥٠٩ - بتصرف - .

## المطلب الخامس : القارعة :

القرع ضرب شيء على شيء ، ومنه قَرَعْتُه بالمقرعة ، والقراع والمقارعة : مضاربة القوم في الحرب ، والقارعة من شدائد الدهر ، والقارعة : النازلة الشديدة تنْزل بأمر عظيم ، ولذلك قيل ليوم القيامة : القارعة ؛ لأنّها تقرع أهلها وتفلحهم بأهوالها [(١)].

وقد وردت في كتاب الله تعالى بأسلوب الاستفهام كقول الله تعالى : ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ [(٢)].

ورد في الآيات ثلاثة استفهامات :

الأول : في قوله تعالى : (مَا ٱلْقَارِعَةُ ؟)، والأداة فيه : ما . والمراد منه : التعظيم والتهويل لشأنها [(٣)].

الثاني : في قوله تعالى : (وَمَآ أَدْرَىٰكَ ؟) ، والأداة فيه : ( ما ) مقترنة بالواو ، والمراد منه : زيادة في التهويل والتعظيم لشأنها [(٤)].

الثالث : (مَا ٱلْقَارِعَةُ ؟ ) وهو كالاستفهام الأول .

دلالة الآيات :

سمّى الله تعالى القيامة بالقارعة؛ لأنّها تقرع قلوب الناس لِهولها وعظيم ما ينْزل بهم من البلاء وذلك صبيحة لا ليل بعدها ، ثم عظَّم الله شأنها بقوله : (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ؟ ) ؛ أي : أيُّ شيء أعظم من الساعة التي يقرع الخلق هولها ما أعظمها وأفظعها وأهولها[(٥)].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما- : « " القارعة " من أسماء يوم القيامة ، عظَّمه الله، وحذره عباده » [(٦)].

---

(١) انظر : المحكم والمحيط الأعظم ١ /١٩٩ ، ولسان العرب ٨ / ٢٦٥ ( قرع ) .

(٢) سورة القارعة ، آية ١ ، ٣ .

(٣) انظر : الخصائص ٣ /٥٤ ، وتفسير القرطبي ٢٠ /١٦٤ ، بدائع الفوائد ١ /١٦٥ ، الإتقان ٢/٢١٤ ، وفتح القدير ٥ /٤٨٦ .

(٤) انظر : المصادر السابقة نفسها .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٣٠ / ٢٨١ ، وتفسير البغوي ٤/٥١٩ ، وتفسير ابن كثير ٤/٥٤٤ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠ /٢٨١ .

قال الشنقيطي – رحمه الله – : القارعة من قرع الصوت الشديد لشدة أهوالها ... وأيضاً فإنّ كل حالة يذكر معها الحال الذي يناسبها، فالقارعة من القرع وهو : الضرب ، ناسب أن يذكر معها ما يُوهن قوى الإنسان إلى ضعف الفراش المبثوث ، وتفكك ترابط الجبال إلى هباء العهن المنفوش ... [1].

فقد عظَّم الله أمرها وفخمه ؛ ليحذر العباد نزولها فيستعدوا لذلك اللقاء بالإيمان والعمل الصالح .

(١) أضواء البيان ٩/٧٠ – بتصرف – .

## المطلب السادس : الدار الآخرة :

سمّى الله تعالى الدار الآخرة بذلك؛ لتأخرها عن دار الدنيا؛ ولكونها الآخرة التي يتحقق فيها حصاد الدنيا وما قدّم الإنسان لنفسه من سبل السعادة أو الشقاوة، ففريق في الجنة وفريق في السعير – نعوذ بالله – .

كقول الله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية : ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟) .

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء واللام . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : (( أفلا تكون لكم عقول تدركون بها أي الدارين خير وأحق بالإيثار؟! )) [2].

دلالة الآية :

دلت الآية على أنّ الدار الآخرة من الأسماء التي أطلقها الله تعالى على ذلك اليوم مبيّناً حقيقة هذه الدار، وأنّها خيرٌ للمتقين من الدار التي حقيقتها لعب الأبدان ، ولهو القلوب . أما الآخرة ففيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين ، وفيها نعيم القلوب والأرواح والسعادة الأبدية، لكن هذه النعم ليست لكل أحد، وإنّما هي للمتقين الذين يقفون عند أوامر الله لفعلها، وعند نواهيه وزواجره لتركها [3].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (( وهذا تكذيب من الله – تعالى ذكره – لهؤلاء الكفار المنكرين للبعث بعد الممات في قولهم : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ مكذِّباً لهم في قولهم ... وللدار الآخرة خيرٌ للذين يتقون فيعملون بطاعته لتلك الدار التي تبقى منافعها لأهلها ، ويدوم سرور أهلها ، خير من ا لدار التي تفنى ، فلا يبقى لعمّالها سرور ولا يدوم لها فيها نعيم ... أفلا يعقل هؤلاء المكذبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به من أنّ الحياة الدنيا لعب ولهو، وهم يرون من يخترم منهم ، ومن يهلك فيموت ، ومن تنوبه فيها النوائب

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٣٢ .

(٢) تفسير السعدي ص ٢٥٤ – بتصرف – .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢/٢٦١ ، وتفسير السعدي ص ٢٥٤ .

وتصيبه المصائب ، وتفجعه الفجائع، ففي ذلك لم ن عقل مُدَّكر ومُزْدَجر عن الركون إليها واستبعاد النَّفس لها ، دليل واضح على أنّ لها مدبراً ومصرفاً يلزم الخلق إخلاص العبادة له بغير إشراك شيء سواه » [1].

(١) تفسير الطبري ٧ / ١٨٠ .

## المطلب السابع : يوم الفصل

الفصل القضاء بين الحق والباطل، واسم ذلك القضاء الذي يفصل بينهما فيصل، و سمّ ي يوم القيامة بذلك ؛ لأنّه يفصل بين المحسن والمسيء ، ويُجازى كلٌّ بعمله [١] . كقول الله تعالى: ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ [٢].

ورد في الآيات أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ؟)، والأداة فيه : ( أيّ ) مقترنة باللام ، والمراد منه : التعظيم والتعجيب لهول ذلك اليوم [٣].

الثاني : في قوله تعالى : (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ؟) والأداة فيه : ( ما ) مقترنة بالواو ، والمراد منه : التعظيم والتهويل لشأن ذلك اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق [٤].

دلالة الآيات :

إنَّ الله تعالى سمّى يوم القيامة بيوم الفصل؛ وذلك لأنّه اليوم الذي يُفصل فيه بين الخلائق بميزان العدل، فيُؤتى كل ذي حق حقه، ولا يظلم ربك أحداً، فقد عظّم الله ذلك اليوم، فأرجأ أمر الرسل حتى تقوم الساعة من تعذيب من خالف أمر الله، وتكريم مَنْ آمن بالله تعالى ورسله، وبيان صدق ما أخبرت به الرسل أممها من اليوم الآخر وأهواله وأحواله[٥].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : فإذا حصل التغير للعالم و الأهوال الشديدة ما يُزعج القلوب، وتشتدّ له الكروب، فتنطمس النجوم وتزول عن أماكنها ، وتُنسف الجبال ، فتكون كالهباء المنثور ، وتكون هي والأرض قاعاً صفصفاً ، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، وذلك اليوم هو اليوم الذي أُقتت فيه الرسل ، وأجُلت للحكم بينهما وبين أممها ، وهو اليوم الذي يُفصل فيه بين الخلائق ، وحساب كل منهم منفرداً [٦].

## المطلب الثامن : يوم الدين

(١) انظر : المفردات في غريب القرآن ص٦٣٨ ( فصل ) ، ولسان العرب ١١/٥٢١ ( فصل ) .
(٢) سورة المرسلات ، آية ١٢ ، ١٤ .
(٣) انظر : روح المعاني ٢٩ / ١٧٣ ، وتفسير السعدي ص٩٠٤ .
(٤) انظر : تفسير الجلالين ١ /٧٨٤ ، وفتح القدير ٥/٣٥٧ .
(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٩ / ٢٣٥ ، والمحرر الوجيز ٥ /٤١٨ ، وتفسير ابن كثير ٤ /٤٦٠ .
(٦) تفسير السعدي ص ٩٠٤ – بتصرف – .

سُمّي يوم القيامة بيوم الدين ؛ لأنّه يوم الجزاء كما قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ [(١)]، أي : غير مجزيّن ؛ وقوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [(٢)]، أي : مالك يوم الجزاء [(٣)].

وقد ورد ذلك في مواطن من كتابه منها ماورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى:﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾[(٤)].

ففي الآيتين أربعة من أساليب الاستفهام :

الأول والثاني : (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ؟)

والأداة فيهما: (ما)، والمراد منها: التعظيم والتعجيب والتهويل لشأن ذلك اليوم[(٥)].

الثالث والرابع : ( ما ) ، والمراد منهما : تأكيد للتهويل والتعظيم لذلك اليوم [(٦)].

دلالة الآيتين :

سمّى الله –تعالى– يوم القيام بيوم الدين؛ لأنّه يوم الجزاء والحساب ، فيُدان كل عامل بعمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فلا تملك نفس شيئاً إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى[(٧)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( والله سبحانه وتعالى سمّى يوم القيامة يوم الدين كما قال : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [(٨)]، وهو كما روي عن ابن عبـاس وغيره من

---

(١) سورة الواقعة ، آية ٨٦ .

(٢) سورة الفاتحة ، آية ٤ .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن ص ٣٢٣ ( دين ) ولسان العرب ١٣ /١٦٩ ( دين ) .

(٤) سورة الانفطار ، آية ١٧ ، ١٨ .

(٥) انظر : تفسير البيضاوي ٥/٤٦٢ ، وتفسير أبي السعود ٩ /١٢٢ ، وتفسير روح المعاني ٣٠ /٦٦ ، وفتح القدير ٥ /٣٩٦ .

(٦) انظر : المصادر نفسها .

(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٤ /٤٨٤ ، وفتح القدير ٥ /٣٩٦ .

(٨) سورة الفاتحة ، آية ٤ .

السلف يوم يُدين الله العباد بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر، وذلك يتضمن جزاءهم وحسابهم، فلهذا من قال: هو يوم الحساب ويوم الجزاء، فقد ذكر بعض صفات الدين))[1].

ففي ذلك اليوم لا تُغني نفس عن نفس شيئاً ، فلا تدفع عنها بلية نزلت بها ، ولا تنفعه ا بنافعة ، وقد كانت في الدنيا تحميها وتدفع عنها من بغاها سوءاً ، فبطل ذلك يومئذٍ ؛ لأنّ الأمر صار لله الذي لا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر ، واضمحلت هنالك الممالك ، وذهبت الرياسات ، وحصل الملك للملك الجبار [2].

---

(١) قاعدة في المحبة ، ص ٣٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣٠ /٨٩ .

## المطلب التاسع : أنَّه يوم لا ريب فيه

إنّ الله تعالى وصف يوم القيامة بيوم لا ريب فيه، أي : لا شك ولا مرية في تحقق وقوعه ومجيئه ، وقد سماه تعالى في مواطن من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [1].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ؟)

والأداة فيه : كيف مقترنة بالفاء .

والمراد منه : تعظيم وتهويل وتفظيع لما سيلقاه العصاه في ذلك اليوم [2].

دلالة الآية :

وصف الله تعالى يوم القيامة بأنه يوم لا ريب فيه ؛ لتحقق وقوعه ، وأنه يوم لا شك في مجيئه ، فلا بد للاستعداد لذلك اليوم باتباع أوامر الله ، وتحقيق مرضاته ، واجتناب نواهيه.

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : فكيف إذا جمعناهم في يوم لا شك في مجيئه ؛ ما حالهم ؟ وما يحدث لهم من فصل القضاء بين خلقه ؟ ماذا لهم من العقاب وأليم العذاب ؟ وفَّى الله تعالى كل نفس ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون [3].

## المطلب العاشر : يوم الفتح

سمّى الله تعالى يوم القيامة بيوم الفتح ؛ لأنه يوم يُقضى فيه الحكم بين الخلائق [4]، وقد سمّاه الله تعالى بذلك في مواطن من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى ( ...مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ...؟ )

والأداة فيه : متى ، والمراد منه : الإنكار والاستهزاء والاستبعاد لوقوعه [1].

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٢٥ .

(٢) انظر : الكشاف ١ /٣٧٧ ، وتفسير أبي السعود ٢ /٢١ ، وروح المعاني ٣ /١١١ .

(٣) تفسير الطبري ٣ /٢٢٠ – بتصرف – .

(٤) انظر : لسان العرب ٥٣٨/٢ (فتح) ، والبحر المحيط ٢٠٠/٧ .

(٥) سورة السجدة ، آية ٢٨ .

دلالة الآية :

سمى الله تعالى يوم القيامة بيوم الفتح ، فحينما تساءل المشركون متى هذا الفتح ؟ استبعاداً وإنكاراً لوقوعه أخبر الله تعالى أن وقوع ذلك أمر محقق ، ولا ينفع في ذلك اليوم من كفر بالله وبآياته .

فلمّا سألوا : متى هذا الفتح ؟ استهزاءً وإنكاراً لوقوعه قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[2].

فلا ينفع الإيمان الذي يحدثونه في ذلك الوقت .

قال البغوي – رحمه الله – : أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد ، فإنّ المسلمين قالوا للكفار : إنّ لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح، ويُحكَم بيننا وبينكم ، فقالوا استهزاءً : متى هذا الفتح ؟ ؛ أي القضاء والحكم[3].

=

(١) انظر : تفسير البغوي ٣/٥٠٤ ، تفسير القرطبي ١٤/١١١ .

(٢) سورة السجدة ، آية ٢٩ .

(٣) تفسير البغوي ٣/٥٠٤ – بتصرف – .

# المبحث الثاني
# تقرير البعث

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الإقسام بالله تعالى تأكيداً لوقوعه .

المطلب الثاني : إن البعث من مقتضى عدل الله وحكمته .

المطلب الثالث : تحقق وقوعه .

# المبحث الثاني
# تقريـــر البــــعث

إنّ الله تعالى قرَّر البعث في كتابه ، وبيّن أنّه من الأمور التي يجب على العبد الإيمان بها، مبيناً أنّ ذلك موعد لا محيد عنه ، ففي ذلك اليوم يتميز أهل السعادة الذين أمضوا حياتهم في طاعة الله والاستجابة لرسله وأهل الشقاوة الذين انصرمت أيامهم في الحياة الدنيا ضياعاً ولهواً وبعداً عن داعي الحق ، فكان فصل القضاء ونيل الجزاء . ولذلك قرَّر الله تعالى البعث، مبيناً أنَّ من ظنّ به تعالى أنّه أبدع الكون وخلق الخلق عبثاً ، فقد ظن به ظن السوء ، وأمر نبيه – ﷺ– أن يُقسم بالله تعالى على تحقق وقوع البعث ، وأنّ حكمته تأبى أن يساوى بين المحسن والمسيء.

وقد ورد تقرير البعث في مواطن من كتابه الكريم ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام كما سنتناوله في المطالب الآتية :

المطلب الأول : الإقسام بالله تعالى تأكيداً لوقوعه :

إن الله تعالى أمر نبيه - ﷺ- لَمّا حاجَّه المشركون وأنكروا المعاد أن يُجيبهم بالإقسام عليه ، مؤكداً وقوعه ، وذلك في ثلاثة مواضع من كتابه ورد منها واحدٌ بأسلوب الاستفهام وهو :

قول الله تعـــالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [1].

وقد ورد أسلوب الاستفهام بقوله تعالى : (وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار والسخرية ؛ أي : أحق المعاد والقيامة بعد صيرورة الأجسام تراباً؟![2].

دلالة الآية :

لَمَّا قرّر المصطفى -ﷺ- عقيدة البعث والمعاد أنكر المشركون ذلك ، واستبعدوا وقوعه، فاستخبروا النبي -ﷺ- أحق المعاد بعد فناء الأجساد واختلاطها بالتراب وغيره ؟ فأمر الله تعالى نبيه -ﷺ- أن يجيبهم بالقسم على وقوع المعاد ، وأنّه حق ليس بعزيز على قدرة الله الذي لا يعجزه الإعادة وقد خلقكم ابتداءً .

وهذه الآية لها نظير في القرآن في آيتين أُخريين يأمـــر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد ، كما قـــال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[4].

---

(١) سورة يونس ، آية ٥٣ .

(٢) انظر: الكشاف٢/٣٣٥، وتفسير أبي السعود ٤/١٥٤، وروح المعاني ١١/١٣٥، وفتح القدير ٢/٤٥٢.

(٣) سورة سبأ ، آية ٣ .

(٤) سورة التغابن ، آية ٧ .

قال ابن القيم –رحمه الله – : (( وقد أمر نبيه أن يقسم على الجزاء والمعاد في ثلاث آيات قال تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾ [(١)] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾ [(٢)] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ [(٣)] ؛ وهذا لأن المعاد إنما يعلمه عامة الناس بإخبار الأنبياء ... وهو سبحانه يقسم على هذه الأمور الثلاثة ، ويقررّها أبلغ التقرير لحاجة النفوس إلى معرفتها والإيمان بها ، فهذه ثلاثة مواضع لا رابع لها يأمر نبيه –ﷺ– بما أقسم عليه سبحانه من النبوة والقرآن والمعاد ، فأقسم سبحانه لعباده ، وأمر أصدق خلقه أن يُقسم لهم ، وأقام البراهين القطعية على ثبوت ما أقسم عليه ، فأبى الظالمون إلا جحوداً وتكذيباً )) [(٤)].

---

(١) سورة التغابن ، آية ٧ .

(٢) سورة سبأ ، آية ٣ .

(٣) سورة يونس ، آية ٥٣ .

(٤) التبيان في أقسام القرآن ص ٦ ، ١٠ وانظر : تفسير الطبري ١١/١٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٢/٤٢١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٨ ، وأضواء البيان ٦ /٢٦٣ .

## المطلب الثاني : البعث من مقتضى عدل الله وحكمته

إنّ الله تعالى خلق هذا الكون ، وجعل فيه الدلائل والآيات الدالة على كمال ألوهيته وربوبيته ، فخلق السموات والأرض ، وخلق الإنسان ، وخلق الجبال ، والبحار وغيرها لإقامة العبودية لله تعالى ، ثم رجوعهم إلى الله تعالى لفصل القضاء والحساب .

وقد ورد ذلك في مواطن من كتابه، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1] .

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، أي : أفظننتم أنا خلقناكم عبثاً لا لحكمة ؟ [2].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴾[3] .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ؟)، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار والنفي [4] ؛ أي : لا يستوي المؤمن والفاسق .

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [5].

ورد في الآية استفهامان :

الأول : في قوله تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا ...؟)، وأم هنا منقطعة تقدر بـــ(بل)، والهمزة ؛ بل أنجعل المؤمنين كالكفرة المفسدين؟ والمراد منه: إنكار التسوية بين الفريقين[6].

---

(١) سورة المؤمنون ، آية ١١٥ .

(٢) انظر : الفتاوى ١٦ /٢٩٩ ، وفتح القدير ٣/ ٥٠٠ ، وأضواء البيان ٥ /٣٦٣ .

(٣) سورة السجدة ، آية ١٨ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٧ /٨٥ . وروح المعاني ٢١ /١٣٣ ، وفتح القدير ٤ /٢٥٤ .

(٥) سورة ص ، آية ٢٨ .

(٦) انظر : تفسير أبي السعود ٧/٢٢٤ ، وروح المعاني ١٨٨/٢٣ .

الثاني : في قوله تعالى : (أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ؟) ، وأم هنا منقطعة تقدر بـــ (بل ) والهمزة؛ أي: بل أنجعل المتقين كالفجار، والمراد منه: الإنكار للمساواة بينهما [1].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [2].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ؟)

والأداة فيه: الهمزة مقترنة بالفاء، والمراد منه : الإنكار ونفي التسوية، فلا يستوي المسلم والمجرم الكافر في الجزاء [3] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « وهذا استفهام إنكار ، فعُلم أنّ من جعل هؤلاء مثل هؤلاء منكر لا يجوز أن يظن بالله أنّه يفعله»[4].

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [5].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ...؟)

وأم منقطعة تقدر بـــ ( بل ) والهمزة ؛ أي : بل أحسب الذين عملوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا ؟

والمراد منه : الإنكار ، ونفي المساواة ، فلا يستوي من آمن بالله تعالى ومن أجرم واكتسب السيئات ؟ [6].

وقول الله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [7].

---

(١) انظر : المصدرين نفسيهما .
(٢) سورة القلم ، آية ٣٥ .
(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١٧/٩ ، وروح المعاني ٢٩ /٣٣ ، وفتح القدير ٢٧٤/٥ .
(٤) منهاج السنة ١٠٧/٥ .
(٥) سورة الجاثية ، آية ٢١ .
(٦) انظر : البحر المحيط ٨ /٤٧ ، وتفسير أبي السعود ٨ /٧٢ ، وروح المعاني ٢٥ /١٤٩ .
(٧) سورة القيامة ، آية ٣٦ ، ٤٠ .

ورد في الآيات ثلاثةٌ من أساليب الاستفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى؟)، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه: الإنكار التوبيخي ، أي : أينكر قدرة الله على إعادة المعدوم ؟ [(١)].

الثاني : قوله تعالى : (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ؟)، والأداة فيه الهمزة مقترنة بـــ (لم) ، والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد كان نطفة ، ثم تطور خلقه إلى أن صار إنساناً سوياً ، فمن خلقه ابتداء قادر على إعادته .

الثالث : (أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : التقرير فإنّ الله تعالى قادر على إحياء الموتى[(٢)].

دلالة الآيات :

إنّ الله تعالى قرّر البعث ، وبيّن أنّ مقتضى حكمته وتمام عدله أنْ يجمع الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ، يقضي بين الخلائق مسيئهم ومحسنهم ، ثمّ يصير كلٌّ منهم إمّا إلى السعادة الأبدية وإمَّا إلى الشقاء الأبدي. فإنّ الله تعالى خلق هذا الكون الفسيح وسيّره وفق نظام دقيق، لا الليل سابق النهار ولا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر وكل في فلك يسبحون، واستخلف ابن آدم في الأرض لعمارتها لا للعبث ، وإنّما لإقامة العبوديـة لله وحده لاشريك له .

ويتضح ذلك من عدة جوانب :

١- أنّ الله تعالى بيّن أنّه لم يخ لق الخلق عبثاً وباطلاً لا لحكمة ؛ ولذلك أنكر على من ظنَّ ذلك، ثم نزّه الله تعالى ذاته المقدسة عن أن يكون خلقهم عبثاً ، وأنّهم لا يرجعون إليه للحساب والجزاء كما قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[(٣)]، وبين -جلّ وعلا- أنه إن لم يبعث ا لخلائق ويجزهم، لكان خلقه لهم عبثاً تعالى الله عن ذلك، وإنّما خلق الخلق لإقامة العبودية له وحده لا شريك له.

---

(١) انظر : روح المعاني ٢٩ /١٤٩ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٢٩ /٣٦٨ .

(٣) سورة المؤمنون ، آيتا ١١٥ – ١١٦ .

قال ابن كثير –رحمه الله-: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة ولا حكمة لنا لتلعبوا وتعبثوا كما خُلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب ؟ ! وإنّما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ، ثم إنكم معادون في الدار الآخرة ، ولذلك نزَّه الله تعالى ذاته المقدسة أن يخلق شيئاً عبثاً ، فإنّه الملك الحق المنَزه عن ذلك [(١)].

ويوضح ابن القيم – رحمه الله- الغاية التي لأجلها خلق الخلق : فمن أنكر حقيقة الإلهية، و لم يعرفها كيف يستقيم له معرفة حكمة العبادات وغاياتها ومقاصدها، وما شرعت لأجله، وكيف يستقيم له العلم بأنّها – أي العبادة – هي الغايتي المقصودة بالخلق ، والتي لها خُلقوا ، ولها أُرسلت الرسل ، وأُنزلت الكتب ولأجلها خُلقت الجنة والنار ، وأنّ فرض تعطيل الخليقة عنها نسبة لله ما لا يليق به ، ويتعالى عنه مَنْ خلق السماوات والأرض بالحق و لم يخلقهما باطلاً، و لم يخلق الإنسان عبثاً، و لم يتركه سدى مهملاً...، فأخبر سبحانه وتعالى – أنّه خلق السماوات والأرض بالحق ، المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه[(٢)].

وقال : إنّ الله منَزه عن العبث والعيب والنقص ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[(٣)]الآية ، فجعل كمال ملكه وكونه سبحانه الحق ، وكونه رب العرش المستلزم لربوبيته لكل ما دونه ؛ مبطلاً لذلك الظن الباطل ، والحكم الكاذب [(٤)].

٢– بين تعالى أنَّه خلق الإنسان في هذه الأطوار من نطفة ، ثم علقة ، ثم إخراجه إنساناً تام الخلقة في أحسن تقويم ، يأبى أن يتركه سُدى مهملاً لا يُؤمر ولا يُنهى ، وإنّما خُلق لغاية عظيمة ، وهي إقامة العبادة لله وحده ، ثم يتحقق بعد ذلك الجزاء على الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٢٦٠ – بتصرف – ، وانظر : تفسير الطبري ١٨ / ٦٣ – ٦٤ ، وتفسير القرطبي ١٢ /١٥٦ ، والفتاوى ١٦ /٢٩٩ .

(٢) مدارج السالكين ١ / ٩٨ – بتصرف – .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ١١٥ .

(٤) التبيان في أقسام القرآن ص١٠١ – بتصرف يسير – .

قال ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله – : (( فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملاً عن الأمر والنهي والثواب والعقاب ، وأنّ حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء ... فإنّ من نقله من النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم شقّ سمعه وبصره وركّب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع والأعصاب والرباطات التي هي أشده ، وأحكم خلقه غاية الإحكام ، وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي أتمّ الصور وأحسن الأشكال ، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية ؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى ، فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته ، فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب بالقول الوجيز الذي لا يكون أوجز منه والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه )) [1].

٣- أنّ من حكمة الله وتمام عدله أن جعل ذلك اليوم لِيُقضى بين الخلائق وتُؤدى الحقوق لأهلها بميزان العدل والقسط ، فلا يُسَاوَى من آمن وعمل صالح بمن أجرم وأعرض عن دين الله ؛ ولذلك أنكر الله تعالى على من ظنّ ذلك ، فلا يتساوى المؤمن الذي أمضى الحياة في طاعة الله والكافر الذي أعرض وأمضى الحياة عبثاً ولهواً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( وقد بين سبحانه الفرق بين ما أمر به وما نهى عنه ، وبين من يحمده ويكرمه من أوليائه ومن يذمه ويعاقبه من أعدائه ، وأنّهم مختلفون لا يجوز التسوية بينهما، وجعل خلاف ذلك من المنكر الذي لا مساغ له، فقال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [2] ... فبيّن أنّ هذا الحكم سيئ في نفسه ليس الحكم به مساوياً للحكم بالتفاضل ، وقد خلق الله تعالى الخلق ليجزي كل نفس بما كسبت ، ولا يظلم ربك أحداً ؛ فينقص من حسناته فلا يؤتيه أجره، أو يحمل عليه ذنب غيره)) [3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٢ .

(٢) سورة القلم ، آية ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) الفتاوى ١٧ / ١٧٤ – ١٧٥ .

المطلب الثالث : تحقق وقوعه

إنّ الله تعالى قرَّر البعث ببيان أن ذلك اليوم واقع لا محالة ولا مفرَّ من وقوعه ، وقد ورد ذلك موضحاً في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأ سلوب الاستفهام

كقول الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[١].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول: في قوله تعالى : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ؟) والأداة فيه : هل . والمراد منه : النفي [٢] ؛

أي : « ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم إيمانهم به إلا ما يرجع إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما أخبر به من الوعد والوعيد » [٣].

الثاني: في قوله تعالى:(فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ..؟)والأداة فيه: هل مقترنة بالفاء، والمراد منه: التمني،

أي: هل يشفع لنا أحد، أو نرد إلى الحياة الدنيا، فنعمل غير الذي كنا نعمل؟! [٤].

وقول الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٥][٦].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : ( ... مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ...؟ )

والأداة فيه : متى . والمراد منه : الإنكار والاستهزاء والاستبعاد لوقوعه [٧].

وقول الله تعالى : ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ [٨].

---

(١) سورة الأعراف ، آية ٥٣ .

(٢) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام ١/٣٧٦ .

(٣) تفسير أبي السعود ٣ /٢٣٢ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٧/٢١٨ ، وفتح القدير ٢ /٢١٠ .

(٥) سورة يونس ، آية ٤٨ .

(٦) الآية لها نظائر في سور أُخر كما في سورة (الأنبياء، ٣٨)، (النحل، ٧١)، (سبأ، ٢٩)، (يس ، ٤٨).

(٧) انظر : تفسير أبي السعود ٢/ ٦٧ ، وروح المعاني ١١/١٧٦ ، وفتح القدير ٤/٣٢٨ .

(٨) سورة المؤمنون ، آية ١١٢ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: (...كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ والأداة : كم ، والمراد منه : تذكيراً لهم كم لبثوا في الدنيا ، وذلك لما سألوا الرجوع إلى الدنيا [1].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام بقوله : (...مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ؟)

والأداة فيه : مَنْ ، والمراد منه : التعجب والتحسر ؛ أي : من الذي بعثنا ؟ ! وقد استبعدوا ذلك في الحياة الدنيا ، فيتحسرون عند رؤيتهم للعذاب [3].

وقول الله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[4].

صُدرت سورة النبأ بهذا الاستفهام : (عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ)

والأداة فيه : ما مقترنة بــ( عن ) ، والمراد منه : التفخيم لشأن ذلك اليوم ؛ أي : عن أي شيء يتساءلون عن يوم القيامة[5] ؟!.

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ [6].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ ؟ )، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بــ(لا)، والمراد منه: الإنكار والتعجب من حالهم؛ حيث إنّهم لم يقدروا للبعث قدره[7].

وقوله تعالى:﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[8].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ؟ )

---

(١) فتح القدير ٣/٥٠٠ .

(٢) سورة يس ، آية ٥٢ .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ٢٣ / ٣٦ .

(٤) سورة النبأ ، آية ١ .

(٥) انظر : الكشاف ٤/٦٨٤ ، وتفسير البيضاوي ٥/٤٣٨ ، وفتح القدير ٥/٣٦٢ .

(٦) سورة المطففين ، آية ٤ .

(٧) انظر : التحرير والتنوير ٣٠ /١٩٣ .

(٨) سورة الفجر ، آية ٢٣ .

والأداة فيه : أنّى ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : أين له نفع الذكرى[1] ؟

وقول الله تعالى : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ [2]. صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ...؟) ، والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء وهي بمعنى مَنْ [3] ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي .

أي : فما الذي يكذبك بالبعث والجزاء بعد هذه الحجج من خلق الإنسان على أكمل صورة ثم تحوّله إلى الهرم وضعف القوى فكيف يُنكر بعثه وحسابه[4].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ [5]. صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ...؟)، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء واللام ، والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بالبعث والجزاء ، فكيف يكفر نعم الله ، ويتعلق بحطام الدنيا الفانية [6].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على تحقق وقوع البعث ، وأنّ هذه الدار دار عمل وابتلاء يعيش فيها الإنسان إلى أجل معلوم، ثم يعيدهم الله تعالى ليوم الحساب، ويتضح ذلك من عدة أمور:

١- إنّ الله تعالى أخبر أنّه نبأ عظيم[7] ؛ ولذلك قال تعالى منكراً على المشركين في تساؤلهم عن عن يوم القيامة إنكاراً لوقوعها ، عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة ، وهو النبأ العظيم

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ٣٠ /٣٣٩ .

(٢) سورة التين ، ٧ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٤٩/٣٠.

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ١٧٦/٩ ، وروح المعاني ١٧٧/٣٠ ، التحرير والتنوير ٤٣٠/٣٠ .

(٥) سورة العاديات ، آية ٩ .

(٦) ويرى بعض العلماء أن المراد من الاستفهام الإنكار على مذهب الزمخشري كأبي السعود والشوكاني والألوسي، والذي يظهر لي والله أعلم أن المراد منه التقرير كما هو مذهب الجمهور .
انظر : تفسير أبي السعود ١٩١/٩ ، وفتح القدير ٤٨٣/٥ ، وروح المعاني ٢١٩/٣٠ .

(٧) اختلف في النبأ العظيم : فقيل : الرسول - ﷺ - ، وقيل : القرآن ، وقيل : البعث بعد الموت ، وهو الصواب بدليل ما بعده من الآيات . انظر : تفسير الطبري ٣٠ /١ ، وأضواء البيان ٨ /٤٠٦ .

، والأمر المهول الذي يُفزع الخلائق ، الذي افترق فيه الناس ما بين مؤمن مصدق وكافر جاحد ، وهو واقع لا محالة .

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : (( عن أيّ شيء يتساءل المكذبون بآيات الله ؟! عن الخبر العظيم الذي طال فيه نزاعهم ، وانتشر فيه خلافهم على وجه التكذيب والاستبعاد ، وهو النبأ الذي لا يقبل الشك ، ولا يدخله الريب ، ولكن المكذبين بلقاء ربهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ))[1].

٢-أنّ الدار الآخرة هي الحياة الدائمة الباقية، فالإنسان في ذلك اليوم يتذكر ما فرّط في الحياة الفانية ، ويتمنى أن يكون قدم شيئاً للحياة الكاملة الدائمة ، فهو في دار لا عمل فيها ، دار الجزاء لا ينفع فيها الندم .

قال ابن القيم – رحمه الله – : الحياة الدائمة الباقية بعد طي هذا العالم ، وذهاب الدنيا وأهلها، هي دار الحيوان، وهي الحياة التي شمّر إليها المشمرون ، وسابق إليها المتسابقون، ونادت الكتب السماوية ورسل الله جميعهم عليها ، وهي التي يقــول من فاته الاستعداد لها : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾[2].

والحياة المتقدمة كالنوم بالنسبة إليها ، فإن قلت : ما سبب تخلف النفس عن طلب هذه الحياة التي لا خطر لها ، وما سبب رغبتها في الحياة الفانية المضمحلة التي هي كالخيال ، أفساد في تصورها وشعورها ؟ أم تكذيب بتلك الحياة ؟ أم لآفة في العقل ؟ ... وأقوى الأسباب في ذلك: ضعف الإيمان ، وجثوم الغفلة على القلب؛ فإن الغفلة نوم القلب، فإنّ القلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام ولا يغفل ...[3].

فالإنسان حينما يرى أحوال ذلك اليوم يستيقظ من غفلته ، ويتذكر ما فرّط في الحياة الدنيا ، لكن بُعداً لهذا التذكر الذي لا ينفع صاحبه في تلك الحياة الدائمة .

٣- أن الله تعالى جعل ذلك اليوم لقاءً محققاً ، وأنّ الكفار سألوا في أكثر من موضع من كتابه الكريم : ( متى هذا الوعد؟ ) ، فهم يستعجلون بنُــزول العذاب تكذيباً وجحوداً وكفراً

---

(١) تفسير السعدي ص٩٠٦ .

(٢) سورة الفجر ، آية ٢٤ .

(٣) مدارج السالكين ٣/٢٨٣ – ٢٨٤ – بتصرف – .

وعناداً واستبعاداً لوقوعه ، فنفى الله ذلك محققاً ووقوعه ، وأنّه لا مرية ولا شك في حصول ذلك الموعد ، بقولــه : ﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[1].

فهم يستعجلون تلك الحال الشنيعة والعذاب المحيط بهم .

وكما قال في آية يس: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴾[2].

فما ينظرون مقابل استعجالهم لنُزول العذاب إلا النفخة في الصور تأخذهم وهم لاهون غافلون .

وقال في آية النحل : ﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ [3].

أي : أن العذاب أوشك أن يقع بكم وأنتم تستعجلون بنُزوله .

وقال في آية سبأ :﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[4].

فقد أخبر تعالى أنّه موعد لا شك في وقوعه ، فليحذروا ذلك اليوم ، ويعدوا له عدته بالتزود بالعمل الصالح [5].

٤- أنّ الله تعالى أخبر أنّهم إذا شاهدوا قيام الساعة أقرّوا بأنّ الذي جاءت به الرسل حق من ثبوت البعث والحشر والنشر والثواب والعقاب ، وأقروا بحقيقة هذه الأشياء ؛ لأنّهم شاهدوها وعاينوها ؛ ولذلك لَمّا رأوا أنفسهم في العذاب قالوا : (فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُ؟)[6]، فلا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ٣٩ .

(٢) سورة يس ، آية ٤٩ .

(٣) سورة النحل ، آية ٧٢ .

(٤) سورة سبأ ، آية ٣٠ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١١ / ١٢١ - ١٧ / ٢٥ - ٢٠ / ٩ - ٢٢ /٩٦ وتفسير ابن كثير ٣/١٨٠ ، ٣/٣٧٤ ، ٣/٥٤٠ ، وتفسير السعدي ص٦٨٠ .

(٦) سورة الأعراف ، آية ٥٣ .

فيه من العذاب الشديد إلا أحد أمرين : أن يشفع لنا شفيع فيزول عنّا العذاب ، أو يَردُّنا الله – تعالى – إلى الحياة الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل[1].

وقد ذكر ابن جرير الطبري أقوال المفسرين في قوله تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾[2].

تأويله : ثوابه ، وقيل : عاقبته ، وقيل : جزاؤه [3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : « قال : ( هل ينظرون ) أي : ما ينتظرون (إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ) إلى آخر الآية ، وإنما ذلك مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها : كالدابة ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، ومجيء ربك والملك صفا صفاً ، وما في الآخرة من الصحف ، والموازين ، والجنة والنار ، وأنواع النعيم والعذاب ، وغير ذلك فحينئذ يقولون : ﴿ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ ﴾[4] [5].

وكما في سورة (المؤمنون) أنّ الله تعالى يسأل الأشقياء من أهل النار تذكيراً وتحسيراً لهم: كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟

فيجيب الأشقياء من أهل النار وهم في النار أنّهم لبثوا يوماً أو بعض يوم ﴿ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾[6]، فنسي الأشقياء لعظم ما هم فيه من البلاء مدة مكثهم في الحياة الحياة الدنيا ، وربما عاش كثير منهم السنين الطويلة في الأرض ، وذلك أنّهم في الحياة الدنيا أنكروا البعث والرجوع إلى الله واستبعدوا وقوعه ، فلما أُدخلوا النار تمنّوا العودة إلى الحياة الدنيا ، واستقصروا مدة مكثهم في الأرض [7].

---

(١) انظر : التفسير الكبير ١٤ /٧٩ .
(٢) سورة الأعراف ، آية ٥٣ .
(٣) انظر : تفسير الطبري ٨ /٢٠٣ .
(٤) سورة الأعراف ، آية ٥٣ .
(٥) الفتاوى ٢٧٨/١٣ .
(٦) سورة المؤمنون ، آية
(٧) انظر : تفسير الطبري ١٨ /٦٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٥٩/٣ ، وتفسير السعدي ص ٥٦ .

٥- التهويل لذلك اليوم الذي تُبلى فيه السرائر ، ويبعثر فيه مَنْ في القبور ، ويُجمع فيه الأولون والآخِرون، ويُقضى بينهم، ولذلك قال تعالى : (أَلَا يَظُنُّ أُوْلَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ) ؛ أي : ألا يظن هؤلاء المطففون أنهم سيبعثون ويحاسبون على جرم صنيعهم بميزان العدل والقسط.

قال ابن كثير –رحمه الله-: أي : ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب ، من خسر فيه أدخل ناراً حامية ، وفيه يقوم الناس حفاة عراة غرلا في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه [(١)].

كما أنهم إذا خرجوا من قبورهم للحساب ، ومُيّز مافي صدورهم من خير وشر ، يُظهرون الحسرة والندامة : ﴿ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ ، فيقال لهم تقريراً لبعثهم : هذا الذي وعدكم الله به ، ووعدتكم به الرسل .

قال الشنقيطي – رحمه الله – : « والتحقيق أنّ هذا قول الكفار عن البعث ، والآية تدل دلالة لا لبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث كما قاله غير واحد ، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت ، يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان : ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ أي هذا البعث بعد الموت الذي وعدكم الرحمن على ألسنة رسله ، وصدق المرسلون في ذلك كما شاهدتموه عياناً »[(٢)].

٦- أنكر الله تعالى على مَنْ أنكر البعث والجزاء وحكمة الله تعالى تأبى ذلك ، و ذلك خطاب للإنسان أي : فما يكذبك بالجزاء والمعاد بعد هذا البيان ، وهذا البرهان فتقول إنك لا تُبعث ولا تحاسب ولو تفكرت في مبدأ خلقك الأول ، فإنّ الذي كّمل خلقك في أحسن تقويم ، كيف يتركك سدى بلا حساب ولا جزاء فإن ذلك يتنافى مع حكمة الله تعالى [(٣)]

.

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٤ – بتصرف – .

(٢) أضواء البيان ٦ /١٧٦ .

(٣) التبيان في أقسام القرآن ص٣٣ .

# المبحث الثالث
# الأدلة العقلية على البعث والرد على منكريه

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الاستدلال على المعاد بإحياء الموتى.

المطلب الثاني : الاستدلال بالبدء على الإعادة .

المطلب الثالث : الاستدلال على المعاد بخلق الأعظم.

المطلب الرابع : شبهات المنكرين للمعاد والرد عليها .

.

إنّ من أعظم القضايا التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم قضية البعث التي أنكرها مشركو العرب ، فقد استدلَّ الله تعالى عليها بأدلةٍ فريدة تخاطب الألباب والعقول لتستعيد رشدها ، فتؤمن بأنّ الأبدان والأرواح تعاد وتبعث بعد موتها وفنائها ، وقد تنوّعت الأدلة ، وتعددَّت في تقرير ذلك وبيانه بالأدلة المرئية المحسوسة التي تُشاهد عياناً ؛ كخلق الإنسان ، وخلق النبات ، وإحياء الموتى حتى ينتقل الإنسان إلى الإقرار بذلك والإيمان به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : إنّ الله تعالى ذكر في كتابه من دلائل ا لمعاد وبراهينه ما لا يقدر أحد على أن يأتي بقريب منه ، وذكر فيه من أصناف الحجج ما ينتفع به عامة الخلق . فإنّه سبحانه دلّ على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك بطريق : الوجود والعيان ، وبطريق الاعتبار والبرهان ، والأول أعظم الطريقين ، فلا شيء أدلّ على إمكان الشيء من وجوده ، فذكر في كتابه ما أحياه من الموتى في غير موضع ...، وأمَّا الصنف الثاني: وهو طريق إثبات الإمكان والقدرة بالاعتبار والقياس بطريق الأَوْلى ، فإنّه سبحانه يستدل على ذلك تارة بخلق النبات ، ويُبيّن قدرته على إحياء الموتى كقدرته على إنبات النبات ، وتارة يستدل بخلق الحيوان نفسه ، وأنّ قدرته على الإعادة كقدرته على الابتداء وأَوْلى [1].

ونجمل تلك الأدلة كما يلي :

---

(١) انظر : درء التعارض ٣٧٤/٧ ، ٣٧٨ .

## المطلب الأول : الاستدلال على المعاد بإحياء الموتى

إنّ الله تعالى أخبر في كتابه إحياء الموتى ، وجعل ذلك دليلاً واضحاً للعيان ، أنّ مَنْ مات ثمّ أحياه بعد موته ، وذلك في الحياة الدنيا ، لمن الأدلة القطعية على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم .

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار إعادة حياة كاملة إلى بدن قد فارقته الروح ، فتكلّم ومشى وأكل وشرب و تزوج وولد له ﴿ ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ ، وكقتيل بني إسرائيل ، أو كالذين قالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأماتهم الله ثمّ بعثهم من بعد موتهم، وكأصحاب الكهف ، وقصة إبراهيم في الطيور الأربعة . فإذا أعاد الحياة التامة إلى هذه الأجساد بعد ما بردت بالموت ، فكيف يمتنع على قدرته الباهرة أن يُعيد إليها بعد موتها حياة ما غير مستقرة ، يقضي بها ما أمره فيها ، ويستنطقها بها ويعذبها أو ينعمها بأعمالها ، وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب وعناد وجحود )) [1].

وقد قصَّ الله تعالى خبر من أماتهم ، ثم أحياهم ليغرس في ا لنفوس عقيدة البعث التي لا ينكرهـا إلا كافر ملحد ، وقد وردت في مواطـن في كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [2].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ...؟)

---

(١) الروح ص٧٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٤٣ .

والأداة فيه (الهمزة) مقترنة بـــ( لم ) ، والمراد منه : التقرير[1] أي : « ألم تعلم يا محمد، الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف » [2].

وقول الله تعالى : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ [3] وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [4] .

ورد في الآية استفهامان :

الأول : في قوله تعالى : (أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟)، والأداة فيه : أنّى ، والمراد منه : الاستبعاد لإحيائها وهي على تلك الحال المشابهة لحالة الأموات [5].

والثاني : في قوله : ( ...كَمْ لَبِثْتَ ...؟)، والأداة فيه : كم ، والمراد منه : سؤال على سبيل التقرير[6] أي : كم مدة الزمن الذي لبثت فيه ميتاً ؟

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[7].

ورد في الآية استفهامان :

---

(١) انظر : الكشاف ١ / ٣١٨ .
(٢) تفسير الطبري ٢ /٥٨٥ .
(٣) تسنى الشيء تغير . انظر : المعجم الوسيط ١ /٤٥٧ ( تسنى ) .
(٤) سورة البقرة ، آية ٢٥٩ .
(٥) انظر : البحر المحيط ٢ /٣٠٣ ، وتفسير أبي السعود ١ /٢٥٣ ، وفتح القدير ١ /٢٧٩ .
(٦) انظر : البحر المحيط ٢ /٣٠٣ .
(٧) سورة البقرة ، آية ٢٩٠ .

الأول : في قوله تعالى : ( ...كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ...؟)

والأداة فيه : كيف ، والاستفهام حقيقي ؛ فإنّ إبراهيم -عليه السلام- يسأل عن الحال والكيفية التي يحيي الله تعالى بها الموتى .

الثاني : في قوله تعالى : ( ... أَوَلَمْ تُؤْمِن ...؟ )

والأداة فيه : الهمزة. والمراد منه: التقرير[1] أي : قد آمنت بالله تعالى الذي لا يعجزه شيء؛ ولذلك أجاب -عليه السلام- بما أخبر الله تعالى عنه: (بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى).

دلالة الآيات :

أرشدت الآيات إلى أدلة عظيمة محسوسة في الدنيا قبل الآخرة على البعث والمعاد الجسماني ، فقد قصَّ الله تعالى لنا في كتابه موت الإنسان والحيوان ، ثم إحياءه وعودته إلى مثل حاله الأولى ، فالله تعالى لا يعجزه إحياء الموتى وإقامتهم من قبورهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « فهذه خمس قصص في إحياء الآدميين ، وقصة في إحياء البهائم ، وقصة في إبقاء الطعام والشراب ، وقصة في إحياء الطير ... فهذه القصص فيها من الإخبار بالموجود ما هو من أعظم الدلائل على القدرة والإمكان لإحياء الموتى »[2].

وقد استدل الله تعالى على المعاد بثلاث قصص هي :

أولاً : قصة النَّفر من بني إسرائيل الذي خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ؛ حيث خرجوا من موطنهم فراراً من الطاعون أن يصيبهم ، وكانوا يزيدون على عشرة آلاف، فأماتهم الله تعالى ثمّ أحياهم حياة كاملة ، فأكلوا وشربوا وتزوجوا وولد لهم حتى استوفوا مدة حياتهم .

قال ابن كثير – رحمه الله – : « إنّ هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد ، فخرجوا فرارا من الموت هاربين إلى البرية ، فنَزلوا وادياً أفيح ، فملأوا ما بين عدوتيه ، فأرسل الله إليهم ملكين ؛ أحدهما من أسفل الوادي ،

---

(1) انظر : البحر المحيط ٢ /٣٠٩ .

(2) درء التعارض ٧ /٣٧٧ ، وانظر : الصفدية ٢ /٢٢٦ .

والآخر من أعلاه ، فصاحا بهم صيحةً واحدة ، فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد ... فلمّا كان بعد دهر مرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل ، فسأل الله أن يحيهم على يديه ، فأجابه إلى ذلك ، وأمره أن يقول : أيتها العظام البالية ، إنّ الله يأمرك أن تجتمعي ، فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض ، ثمّ أمره فنادى أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً وعصب اً وجلداً ، فكان ذلك وهو يشاهده ، ثمّ أمره فنادى أيتها الأرواح إنّ الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره ، فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة ... وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة ))[1] .

ففي هؤلاء النّفر الذين تجاوزوا عشرة آلاف دليلٌ قاطع على إحياء البشرية كلها يوم القيامة .

ثانياً : قصة عزير[2]:

إن الله تعالى يخبرنا عن رجل شَاهد القرية [3] التي حلّ بها الخراب والدمار وهلك أهلها، فقال على وجه الشك والاستبعاد : أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ أي ذلك بعيد وهي على تلك الحال ، فأراه الله تعالى آياته عياناً ، وذلك من خلال عدة أمور :

١- حينما أماته الله تعالى مائة عام ثمّ أحياه ، فهذه آية في نفسه ، فلّما سأله كم لبثت ميتاً ؟ فأجاب : أنّه لبث يوماً أو بعض يوم ؛ لأنّ الله – تعالى ذكره – قبض روحه أول النهار ثم ردّ إليه روحه آخر النهار بعد مائة عام .
٢- الآية الأخرى في حماره الذي أماته الله تعالى معه ، فأراه الله آية إحيائه ، فنظر إليه يتصل بعضه إلى بعض ، ثمّ كساه باللحم حتى استوى ، ثمّ جرى فيه الروح فقام ينهق .
٣- الآية الثالثة في طعامه[4] الذي لم يتغير و لم يتعفن و لم يجر عليه الفساد ، فإنّ بقاءه على حاله مائة سنة آية من آيات الله تعالى الذي لا يعجزه شيء .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٩٩/١ .

(٢) اختلف المفسرون في اسم هذا الرجل ، فقيل : عزير ، وقيل : إرميا ، انظر : تفسير الطبري ٣ /٢٩ .

(٣) القرية التي مرَّ بها هي بيت المقدس حينما خربه بختنصر . انظر : تفسير الطبري ٣ /٣٦ .

(٤) ذكر المفسرون : أنّ طعامه من التين والعنب ، وشرابه من العصير . انظر : تفسير الطبري ٣ / ٣٨ .

فلمَّا تأمل هذه الآيات الثلاث قال : ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، فجعل الله تعالى قصة عزير دليلاً عملياً يُثبت أنّه قادر على إحياء الموتى [(١)].

ثالثاً – قصة إبراهيم الخليل – عليه السلام – :

إنّ نبي الله إبراهيم – عليه السلام – سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ؟ و لم يصدر سؤاله – عليه السلام – عن شك وارتياب ؛ وإنّما ليبلغ بذلك عين اليقين ، فيرى عياناً كيف يحيي الله تعالى الموتى ، فهو مؤمن بأنَّ الله على كل شيء قدير ، فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير ، فذبحها ، وقطعها ، ونتف ريشها ، وخلط بعضها ببعض ، ثم فرقهنَّ على كل جبل منهن جزء ، وأخذ رؤوسهنَّ بيده ، ثم أمره الله – عز وجل – أن يدعوهن فدعاهنَّ ، فنظر إلى أجزائهن تجتمع من ك ل طائر ، فيتصل بعضها ببعض ، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم – عليه السلام – [(٢)].

قال الإمام الطبري –رحمه الله– : « إن مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، كانت ليرى عياناً ما كان عنده من علم ذلك خبراً » [(٣)].

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله –ﷺ– : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أو لم تؤمن ، قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي » [(٤)].

وليس المراد به الشك ، وإنَّما رؤية ذلك عياناً ، فيصل بذلك إلى عين اليقين .

قال ابن القيم – رحمه الله – : وإبراهيم لم يشك ، ورسول الله لم يشك ، ولكن أوقع اسم الشك على المرتبة العلمية باعتبار التفاوت الذي بينها وبين مرتبة العيان في الخارج ، وباعتبار هذه المرتبة تسمى العلم اليقيني ومعلوم الفرق بين الخبر والعيان [(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٨/٣، وتفسير ابن كثير ٣١٥/١، وفتح القدير ٢٧٩/١، وتفسير السعدي ص١١٢ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ١ /٢٤٧ ، وتفسير ابن كثير ١ /٣١٦ .

(٣) تفسير الطبري ٣ /٤٨ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب : التفسير ، باب : ( وإذ قال إبراهيم رب أرني ...) [٤٥٣٧] انظر : البخاري مع الفتح ٨ /٢٠١ .

(٥) مدارج السالكين ٣ /٣٨٨ – بتصرف – .

ويتضح لنا أن هذه القصص دالة على أن الله تعالى له القدرة التامة على الخلق والإعادة.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : وهذه الأمور التي قصها الله : من إحياء الآدميين من بعد موتهم مرة بعد مرة ، ومن إحياء الحمار ، ومن إبقاء الطعام والشراب مائة عام لم يتغير ، ومن إبقاء النيام ثلاثمائة وتسع سنين ، ومن تمزيق الطيور الأربعة ، وجعلهن أربعة أجزاء على الجبال ، ثم إتيانهنَّ سعيًا لما دعاهن إبراهيم الخليل – عليه السلام – فيها أنواع من الاعتبار :

١– منها تثبيت المعجزات للأنبياء ، وأنها خارجة عن قوى النفس .

٢– أن في ذلك إثباتاً أن الله فاعل مختار يفعل بمشيئته وقدرته .

٣– أنّ هذا من أعظم الدلالة على إمكان معاد الأبدان وإعادة الأرواح إليها، فإنه لا أدلّ على إمكان الشيء من وقوعه، أو وقوع نظيره، فلما كان هذا واقعاً عُلم أنَّه ممكن[1].

(١) الصفدية ١ /١٨٦ – بتصرف – .

## المطلب الثاني : الاستدلال بالبدء على الإعادة

خاطب الله تعالى العقول وأرشدها إلى النظر في ذلك الكون الفسيح علويه وسفليه ، والتأمل في إتقان خلقه وإحكامه وفق نظام بديع ، ومن ذلك مراحل خلق الإنسان وانتقاله من طور إلى طور ، ثم إيجاده مخلوقاً كامل الخلقة ، ففي ذلك دلالة تقود العقول لمعرفة كمال قدرة الله تعالى الذي أنشأ هذا الكون بمخلوقاته ، فلا يعجزه تعالى إعادة ذلك الإنسان ، بل الإعادة أهون من البدء . وقد عرض الله تعالى تلك الأدلة في مواطن من كتابه الكريم ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في كلتا الآيتين :

الأولى : في قوله تعالى : ( ...أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ؟)

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار والاستبعاد ؛ أي : أبعث من حال الموت إلى الحياة ثانية ، فذلك أمر بعيد [2].

الثانية : في قوله تعالى : (أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ؟ )

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر ؛ أي : أيقول ذلك ولا يذكر أنا خلقناه من قبل و لم يكن شيئاً [3].

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [4].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ...؟)

---

(١) سورة مريم ، آية ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) تفسير القرطبي ١١ /١٣١ ، تفسير البيضاوي ٤ /٢٦ ، تفسير أبي السعود ٥ /٢٧٤ ، وفتح القدير ٣/٣٤٣ ، وروح المعاني ١٦ /١١٧ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٥ / ٢٧٤ وفتح القدير ٣ /٣٤٣ ، وروح المعاني ١٦ / ١١٨ .

(٤) سورة العنكبوت ، آية ١٩ .

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو . والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد علموا ، فالله تعالى يقررهم برؤية هذا الكون ، ثم ينكر عليهم عدم إيمانهم بالإعادة وهي أيسر [1].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾[2].

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : أفعيينا بابتداع الخلق الأول و لم يكن شيئاً؟![3].

دلالة الآيات :

لَمَّا كان إنكار المعاد من الأمور العظيمة التي عارضها المشركون واستبعدوا وقوعها، وقد ردَّ الله تعالى معارضتهم مخاطباً عقولهم لتستهدي إلى الحق ، وتعلم أنّ ما عارضته عقولهم لا يستحق المعارضة ؛ فنبههم الله تعالى أنّ من قدر على البدء فالإعادة عليه أهون ، فلا يستحيل على قدرة الله تعالى الذي أوجد هذا الكون علويه وسفليه على نظام محكم ، وأوجد الإنسان وخلقه على أحسن صورة لا تعجزه الإعادة ، وهي أهون عليه، ويتضح ذلك من جوانب:

١- ففي سورة مريم لما حكى الله تعالى استبعاد الإنسان لخروجه حيّاً بعد موته وجهه إلى التذكر والتفكر في حاله الأولى ؛ حيث أوجده من العدم .

قال الشوكاني – رحمه الله – : « والمراد بالذكر هنا إعمال الفكر ؛ أي : ألا يتفكر هذا الجاحد في أول خلقه، فيستدل بالابتداء على الإعادة والابتداء أعجب وأغرب من الإعادة ؛ لأنّ النشأة الأولى هي إخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداعاً واختراعاً لم يتقدم عليه ما يكون كالمثال له، وأمّا النشأة الآخرة فقد تقدم عليها النشأة الأولى فكانت كالمثال لها ... فإعادته بعد أن كان شيئاً موجوداً أسهل وأيسر » [4].

---

(١) انظر : الكشاف ٣ /٤٥٣ ، والبحر المحيط ٧ /١٤٢ .

(٢) سورة ق ، آية ١٥ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٧ /٨ ، ودرء التعارض ٧ /٣٨٠ ، وتفسير أبي السعود ٨ /١٢٨ ، وفتح القدير ٥ /٧٣ ، وروح المعاني ٢٦ /١٧٧ .

(٤) فتح القدير ٣ / ٣٤٣ ، وانظر : تفسير الطبري ١٦ /١٠٦ ، وزاد المسير ٥ /٢٥٢ ، وتفسير ابن كثير ٣ /١٣٢ .

٢- أما آية العنكبوت فقد قرَّر الله تعالى عباده في النظر والتأمل في هذه المخلوقات التي أحسن خلقها وأتقنه ، فإذا كان هذا الكون علويه وسفليه قد خلقه الله تعالى وأوجده على غير مثال سابق ، فالإعادة والبعث بعد الموت أيسر .

٣- أما آية ( ق ) فإنَّ الله تعالى نفى عن ذاته المقدسة العيَّ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– : فقال سبحانه باستفهام الإنكار المتضمن نفي ما استُفهم عنه ، وأنّ ذلك معلوم عند المخاطب : ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ... ﴾[١] فلم نكن عالمين بما نصنع فيه ، ولا قادرين عليه ؟ أم خلقناه بعلمنا وقدرتنا ، وأتينا فيه من الإحكام والإتقان بما دلّ على كمال علمنا وحكمتنا وقدرتنا ؟ [٢].

وقال : لم يُرد الإعياء الذي هو التعب ، وإنما أراد العي ، كما تقول العرب : عَيِيَ بأمره إذا لم يهتد لوجهه ، وحينئذٍ فيكون في الآية من الدلالة على علم الخالق وحكمته ما يبين أنه خلقه بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه . ومَنْ كان خالقاً لهذا العالم بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه ، كان قادراً على إحياء الموتى أولى [٣].

فكيف التبس عليهم إعادة الخلق خلقاً جديداً ، ثم نبههم على ما هو أعظم آيات قدرته ، وشواهد ربوبيته ، وأدلة المعاد وهو خلق الإنسان فإنه من أعظم الأدلة على التوحيد والمعاد ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [٤][٥].

---

(١) سورة ق ، آية ١٥ .
(٢) درء التعارض ٧ /٣٨٠ .
(٣) المصدر نفسه ٧ /٣٨٣ – بتصرف – .
(٤) الفوائد ص ٩ – بتصرف – .
(٥) سورة ق ، آية ١٦ .

## المطلب الثالث : الاستدلال على المعاد بخلق الأعظم

انتقلت الآيات للاستدلال على ما هو أعظم ، فمتى كابر المنكر بعد إقامة الدليلين السابقين ، فالقرآن ينقله إلى ما هو أكبر من خلق الإنسان وإعادته إلى خلق السماوات والأرض ، ومعلوم في بدائه العقول أنّ خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ، فلا يعجز الله تعالى أن يحيي الموتى ويعيدهم بعد فنائهم وصيرورتهم رفاتاً وتراباً ؛ وقد ورد ذلك في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام .

كقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [(١)].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله: (أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو . والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد علموا أن الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم [(٢)].

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو . والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد علموا أن الله خلق السماوات والأرض فلا يعجزه إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم .

وقول الله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ [(٤)].

ورد أسلوب في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : صُدرت به الآية : (ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا ...؟)

---

(١) سورة الإسراء ، آية ٩٩ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٨١/٦ ، وتفسير أبي السعود ١٩٧/٥ .

(٣) سورة الأحقاف ، آية ٣٣ .

(٤) سورة النازعات ، آية ٢٧ .

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : أخلقكم بعد الموت وبعثكم أشد عندكم أم خلق السماء ؟! [(١)].

الثاني : في قوله تعالى : ( ... أَمِ ٱلسَّمَآءُ ...؟)

( أم ) هنا متصلة معادلة للهمزة . والمراد منه : التقرير ، أي : أنّ السماء أشد خلقاً من بني آدم ، ويردف عليه التوبيخ[(٢)].

دلالة الآيات :

إنّ الله تعالى قرَّر البعث والمعاد، مطالباً الإنسان أن يتدبر في هذا الكون الفسيح ، فيتأمل ما هو أعظم وأكبر من خلق الإنسان الضعيف ، فما هي السماء والأرض ، فليتدبر عظمها ، ويعلم يقيناً أنّ من له القدرة التامة على إيجادها فقدرته على إحياء الموتى وبعثهم أولى وأحرى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( والإنسان يعلم الإمكان الخارجي : تارة بعلمه بوجود الشيء ، وتارة بعلمه بوجود نظيره ، وتارة بعلمه بوجود ما هو أبلغ منه، فإنّ وجود الشيء دليل على أنّ ما هو دونه أولى بالإمكان منه ، ثم إنّه إذا بين كون الشيء ممكناً فلا بد من بيان قدرة الرب عليه ... فإنّه من المعلوم لبداهة العقول أنّ خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم ، والقدرة عليه أبلغ ، وأنّ هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك )) [(٣)].

ولذلك أمر الله المنكرين للمعاد بالت أمل في هذين المخلوقين العظيمين ، فترى السماء رفعها بغير عمد تروها ، وأعظم خلقها وأبدعه ، وزينها بزينة الكواكب ، فإذا أرسل الإنسان بصره علم أنّها من أعظم دلائل صنعه ، وإذا تأمل الأرض حيث جعلها ذلولاً للناس ، وثبتها بالجبال الراسيات ، وشق فيها الأنهار ، وأن بت فيها النبات رزقاً للعباد ، علم أنّها من أعظم الآيات الدالة على كمال قدرته ، فكيف يتبجح هذا المخلوق الضعيف فيستعبد قدرة الله على الإعادة وإحياء الموتى ؟ ولذلك أمر الله تعالى الإنسان إلى تحكيم عقله ، وأن يوازن بين هذين

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٩ / ١٠١ ، وفتح القدير ٥ /٣٧٨ .
(٢) انظر : المقتضب ٣/٢٨٧ ، وبدائع الفوائد ١/٢١١ .
(٣) الفتاوى ٣/٢٩٨– ٢٩٩ .

المخلوقين العظيمين وبين ذلك المخلوق الصغير الذليل ، أليس من خلق الأعظم قادر على الأدنى؟ كما قال الله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

فكل آيات الله الظاهرة والمعنوية وجميع مخلوقاته العلوية والسفلية تد ل على كمال قدرته الشاملة ، وكفى العبد دليلاً أن ينظر في خلق نفسه ، فكيف إذا سرح قلبه في عجائب الملكوت، ونظر بعين بصيرته إلى مبدعات الحيّ الذي لا يموت ، ورأى الآيات الباهرة والبراهين الظاهرة على كمال قدرة ذي العزة والجبروت الذي لا يعجزه إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم بعد فنائهم (٢).

قال ابن كثير –رحمه الله – : أو لم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الأجسام يوم المعاد أنّ الذي خلق السماوات والأرض و لم يكرثه خلقهنَّ ، بل قال لها : كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة ، بل طائعة مجيبة خائفة وجلة ، أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؛ لأنَّ من قدر على خلق السماوات والأرض و لم يعي ، بخلقهن قادر على أن يحي الموتى بطريق الأولى والأحرى (٣).

وقد بين الله تعالى أنّ خلق السماوات أشد وأعظم من خلق الإنسان الذي لا يزن في ملكوهما واتساعها شيئاً .

قال ابن القيم – رحمه الله – : « فكيف صنعه في ملكوت السماوات ، وعلوها وسعتها، واستدراهما ، وعظم خلقها ، وحسن بنائها ، وعجائب شمسها وقمرها وكواكبها، ومقاديرها وأشكالها ، وتفاوت مشارقها ومغاربها ، فلا ذرة فيها تنفك عن حكمته ، بل هي أحكم خلقاً، وأتقن صنعاً ، وأجمع العجائب من بدن الإنسان ، بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السماوات ؛ ولهذا قلَّ أن تجيء سورة في القرآن إلا وفيها ذكرها إما إخباراً عن

---

(١) سورة غافر ، آية ٥٧ .

(٢) معارج القبول ١/١٣٩ – ١٤٠ – بتصرف – .

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٢٣٠ – بتصرف – وانظر : تفسير الطبري ٢٦/٣٥ ، والرد على المنطقيين ١/٣٢٠ ، وتفسير السعدي ص ٧٨٣ ، وأضواء البيان ١ /١٧– ١٨ .

عظمها وسعتها ، وإما إقساماً بها ، وإمّا دعاءِ إلى النظر فيها ، وإما إرشادا للعباد أن يستدلوا بها على عظم بنيانها ورافعها ، وإما استدلالاً منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة ... لقد تعرَّف إلى خلقه بأنواع التعرفات ، ونصب لهم الدلالات ، وأوضح لهم الآيات البينات ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة » [1].

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٩٦ – ١٩٧ .

## المطلب الرابع : شبهات المنكرين للمعاد والرد عليها

إنّ من أبرز القضايا التي أنكرها مشركو العرب قضية المعاد ، وإحياء الموتى بعد تفرق أجسادهم وتحلّلها وصيرورتها إلى التراب ؛ ولذلك عرض الله تعالى شبهاتهم ، وناقشها بالرد في غالب سور القرآن مطالباً ذلك المنكر أن يقف أمامها بميزان العقل السليم الذي يقوده إلى الحق الذي لا مرية فيه ، وهو أنّ الموتى يبعثون من قبورهم للحساب والجزاء ، فذلك مقتضى عدل الله وحكمته . وإذا تأملنا الشبهات التي حكاها الله تعالى عنهم نجدها شبهات واهية لا تستند إلى العقل والشرع ، وقد كشف الله تعالى زيفها وفنّد مُدَّعَاها كما سيتضح من خلال الآيات التي سنتناول دراستها . وقد وردت في مواطن من كتابه، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [١].

ففي الآية أسلوبان من أساليب الاستفهام :

الأول : في قوله تعالى : ( ...أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا .؟)، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والاستبعاد ؛ ويؤكده الاستفهام الثاني [٢].

الثاني : في قوله تعالى : (أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ...؟)، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه: الإنكار والاستبعاد، أي: وإن تعجب فعجب إنكار المكذبين للبعث[٣].

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾[٤].

---

(١) سورة الرعد ، آية ٥ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٥ /٦ ، وروح المعاني ١٣ /١٠٤ .

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ٥ / ٦، وروح المعاني ١٣ / ١٠٤، وفتح القدير ٣/ ٦٧، وأضواء البيان ٢٣/٦.

(٤) سورة الإسراء ، آية ٤٩ – ٥١ .

ورد في الآيات ٤٩ – ٥١ أربعة من أساليب الاستفهام :

الأول : في قوله تعالى : ( ... أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا...؟) ، والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والاستبعاد ؛ أي : أنبعث بعد كنا عظاماً بالية ورفاتاً ؟ ويؤكده الاستفهام الثاني [1].

الثاني : في قوله تعالى : ( ...أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ؟ )، والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه: الإنكار والاستبعاد؛ أي : أنبعث خلقاً تاماً بعد أن تحوّلت أجسادنا تراباً[2].

الثالث : في قوله تعالى : ( ... مَن يُعِيدُنَا ؟)، والأداة فيه ( مَنْ ) ، والمراد منه : الإنكار والاستبعاد والتهكم ؛ أي : إنّ عودتنا مستحيلة وغير متحققة[3].

الرابع : في قوله تعالى : ( ...مَتَىٰ هُوَ ؟) والأداة فيه:متى ،والمراد منه: الإنكار،ويردف عليه الاستهزاء و السخريه.(٥)

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ عَهۡدًا ﴾ [4].

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا...؟، والأداة فيه : الهمزة ، والمعنى : أخبروني عن حال هذا الكافر المثير للعجب [5].

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣ / ٤٥ ، وتفسير أبي السعود ٥ / ١٧٧ ، وروح المعاني ١٥ / ٩١ ، وفتح القدير٣/٢٣٤.

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٧٣/١٠ ، وتفسير أبي السعود ١٧٧/٥ ، وروح المعاني ٩١/١٥ .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ١٢٨/١٥ .

(٥)انظر: روح المعاني١٥/٩٢.

(٤) سورة مريم ، آيتا ٧٧ ، ٧٨ .

(٥) انظر : البحر المحيط ٦ / ٢٠١ ، وتفسير أبي السعود ٣ / ٩ ، وفتح القدير ٣ / ٣٤٨ ، وروح المعاني ١٣٠/١٦.

الثاني : في قوله تعالى : (أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي فلم يطلع على مآله في الآخرة و لم يتخذ عهداً من الله [١].

و(أم) في قوله: (...أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا؟) (( متصلة ومعناها مع معنى الهمزة في أطلع أن أياً من الأمرين لم يحدث لا الاطلاع على الغيب، ولا اتخاذ عهد عند الرحمن))[٢].

وقول الله تعالى:﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾[٣].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ...؟ )

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه: الإنكار الإبطالي والتعجب؛ أي: أن البعث وإحياء الموتى لا حقيقة له[٤].

وقول الله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [٥].

ورد في هذه الآية أسلوبان من أساليب الاستفهام :

الأول : في قوله تعالى : ( ... أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا ؟ )

والأداة فيه: الهمزة، والمراد منه : الإنكار الإبطالي : أإذا ما متنا سوف نبعث [٦].

والثاني : في قوله تعالى : ( ...أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ؛ أي : أنبعث بعد صيرورتنا تراباً وعظاماً ؟! ويؤكده الاستفهام الأول [٧].

وقول الله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ [١].

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٢٧/٣، والتحرير والتنوير ١٥٩/١٦ ، وأضواء البيان ٤٩١/٣ .

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢٩١/٢ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ٣٥ .

(٤) انظر : روح المعاني ١٨ / ٣٠ ، والتحرير والتنوير ١٨ /٥٣ .

(٥) سورة المؤمنون ، آية ٨٢ .

(٦) انظر : التحرير والتنوير ١٠٧/١٨ .

(٧) المصدر نفسه .

ورد في الآية أسلوبان من أساليب الاستفهام :

الأول: في قوله تعالى : ( ... أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا ؟)، والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار : أَنُخْرج من قبورنا إذا كنَّا تراباً ؟! [٢].

الثاني : في قوله تعالى : ( أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ؟ ) ، والأداة فيه : الهمزة، والمراد : الإنكار الإبطالي؛ أي : لا نخرج من قبورنا بعد صيرورتنا تراباً، وذلك مؤكد للاستفهام الأول[٣].

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [٤].

ورد في الآية أسلوبان من أساليب الاستفهام :

الأول: في قوله تعالى : (أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، أي : إذا ضلت أجسادنا وتفرقت ، فمحال عودها ويؤكـــده الاستفهام الثاني[٥].

الثاني : في قوله تعالى : ( ...أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي أي : إذا متنا واختلطت أجسادنا بالتراب وتفرقت فمحال عودتنا للحياة مرَّة أخرى [٦].

=

(١) سورة النحل ، آية ٦٧ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٢٩٧/٦ ، وروح المعاني ١٥/٢٠ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٢٩٧/٦ ، وروح المعاني ٢٠ /١٥ .

(٤) سورة السجدة ، آية ١٠ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٨٢/٧ ، وروح المعاني ١٢٥/٢١ .

(٦) انظر : المصدران السابقان .

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: (...هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمۡ ؟)

والأداة: هل ، والمراد منه : التعجب والاستهزاء ؛ أي : أيبعث الناس بعد موتهم وتفرقهم؟[2].

وقولـه تعـالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلۡقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحۡىِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[3].

ورد في الآيات ثلاثة من أساليب الاستفهام :

الأول: في صدر الآية : ( ...أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ ؟) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد رأى الإنسان أنَّ الله تعالى خلقه أتمَّ خلق .

الثاني : في قوله تعالى: (... مَن يُحۡىِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ؟) ، والأداة فيه : مَنْ ، والمراد منه : الإنكار والاستبعاد [4].

الثالث : في قول الله تعالى : (أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ...؟)، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد خلق الله السماوات والأرض وهو قادر على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم [1].

---

(١) سورة السجدة ، آية ١٠ .

(٢) انظر : روح المعاني ١٠٩/٢٢ ، وتفسير السعدي ص ٦٧٥ .

(٣) سورة يس ، الآيات ٧٧ – ٨١.

(٤) انظر : الكشاف ٣٣/٤ ، وتفسير أبي السعود ١٨١/٧ ، وفتح القدير ٣٨٣/٤ .

وقـــول الله تعـــالى : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [٢].

ورد في الآيتين ثلاثة من أساليب الاستفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا ؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والاستبعاد لوقوع البعث ، ويؤكده الاستفهام الثاني [٣].

الثاني : في قوله تعالى : (أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ؟)، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والتعجب ؛ أي : أنبعث إذا متنا أو يُبعث آباؤنا ؟![٤].

الثالث : في قوله تعالى : (أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ؟) ، والأداة فيه : الهمزة والواو للعطف على الاستفهام الأول ، والمراد منه : الإنكار ؛ أي: أيبعث آباؤنا الأولون [٥].

وقول الله تعالى : ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴾[٦].

ورد في الآيات خمسة من أساليب الاستفهام :

الأول : في قول الله تعالى : ( ...أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي؛ أي : كان لي قرين يقول لي منكراً موبخاً هل تصدق بالبعث ؟ [١].

---

=

(١) انظر : تفسير أبي السعود ١٨٢/٧ ، روح المعاني ٢٣ /٥٦ .

(٢) سورة الصافات ، آية ١٦ ، ١٧ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٨ /١٩٥ .

(٤) انظر: المقتضب ٢٠٨/٣، تفسير القرطبي ٧١/١٥، وتفسير أبي السعود ١٩٥/٨، وروح المعاني٧٧/٢٣.

(٥) انظر : المقتضب ٢٠٨/٣ ، الكشاف ٤١/٤ ، وتفسير أبي السعود ١٩٥/٨ ، فتح القدير ٤ /٣٨٩ .

(٦) سورة الصافات ، الآيات ٥٢ ، ٥٨ .

الثاني : في قوله تعالى : (أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ؛ أي : إذا صارت أجسادنا تراباً سيحينا الله . ذلك مستحيل [٢].

الثالث : في قوله تعالى : ( ...أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ؟ )

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، ويؤكد الاستفهام الثاني ؛ أي : هل نحن مجزيون بأعمالنا بعد البعث [٣]؟

الرابع : في قوله تعالى : (هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ؟)

والأداة فيه : هل، والاستفهام حقيقي ، أي : هل تطلعون على أهل النار لأريكم ذلك القرين ؟

الخامس : في قوله تعالى : (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : التقرير والابتهاج، حيث يقول ذلك ابتهاجاً بما أتاح الله تعالى له من الفضل العظيم والنعيم المقيم وتعريضاً للقرين بالتوبيخ [٤].

وقول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٥].

---

=

(١) انظر : تفسير أبي السعود ١٩٢/٧ ، وروح المعاني ٩١/٢٣ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١٩٢/٧ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١٩٢/٧ ؛ وروح المعاني ٩١/٢٣ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ١٩٣/٧ ، وفتح القدير ٣٩٧/٤ ، وروح المعاني ٩٣/٢٣ ، والتحرير والتنوير ١١٩/٢٣ ، وتفسير السعدي ص٧٠٤ .

(٥) سورة الأحقاف ، آية ١٧ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والاستبعاد لإحياء الموتى [1].

وقول الله تعالى : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ [2].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَءِذَا مِتْنَا...؟)

والأداة فيه: الهمزة، والمراد منه: الإنكار والتعجيب؛ أي: أإذا متنا وكنّا تراباً بعثنا؟![3]

وقول الله تعالى : ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [4].

ورد في الآيتين ثلاثة من أساليب الاستفهام :

الأول : في قوله تعالى : (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا ؟ )

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والاستبعاد ؛ أي : إذا متنا وصارت أجسادنا تراباً وعظاماً نخرة نبعث؟! [5]

الثاني : في قوله تعالى : ( ...أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ؟) والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار المؤكد للاستفهام الأول [6].

الثالث : في قوله تعالى : (أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ ؟) والأداة فيه : الهمزة والواو عاطفة على الاستفهام الأول، والمراد منه: الإنكار؛ أي : أيبعث آباؤنا الأولون ، فذلك بعيد[7].

وقول الله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴾[1].

(١) انظر : المحرر الوجيز ٥/٩٩ .
(٢) سورة ق ، آية ٣ .
(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٨/١٢٥ ، وروح المعاني ٢٦/١٧٣ .
(٤) سورة الواقعة ، آية ٤٧، ٤٨ .
(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٨/١٩٥ ، وروح المعاني ٢٧/١٤٥ .
(٦) انظر : تفسير أبي السعود ٨/١٩٥ ، وروح المعاني ٢٧/١٤٥ .
(٧) انظر : تفسير أبي السعود ٨/١٩٥ ، وروح المعاني ٢٧/١٤٥ .

ورد في الآيتين أسلوبان من أساليب الاستفهام :

الأول : ( ...أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ؟ ) والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار ، ويردف عليه التعجب [٢].

الثاني : في قوله تعالى : (أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ؟ ) والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والاستبعاد؛ أي : أنرد للحياة بعد أن صرنا عظاماً بالية ؟! [٣]

دلالة الآيات :

إذا تأمَّلنا الآيات نجد أنَّ الشبهات التي ترددت على ألسنة المشركين الذين أنكروا المعاد وإحياء الموتى ركزت على جانبين :

الأول: استحالة عودة الحياة بعد الموت ؛ وذلك أنّ الناس إذا ماتوا تمزقت أجسادهم وتفرقت ، وبليت عظامهم ، واختلطت بالأرض ، وتلاشت واضمحلت أعضاؤهم ، وصارت رميمًا تذروه الرياح ، فكيف يعودون خلقاً جديداً كما كان ؟

قال ابن كثير – رحمه الله – : يقولون : أإذا متنا وبلينا، وتقطعت الأوصال منا ، وصرنا تراباً كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب ؟ فذلك رجع بعيد الوقوع . والمعنى أنّهم يعتقدون استحالته وعدم إمكانه [٤].

ويقول الشيخ السعدي : « فقاسوا قدرة من هو على كل شي قدير الكامل من كل وجه، بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه ، وقاسوا الجاهل الذي لا علم له بمن هو بكل شيء عليم» [٥].

=

(١) سورة النازعات ، آية ١٠، ١١ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٩/٩٧ ، روح المعاني ٣٠ / ٢٧ ، تفسير السعدي ص ٩٠٩ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٩/٩٧ ، روح المعاني ٣٠ /٢٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٢٢٣ – بتصرف – .

(٥) تفسير السعدي ص٨٠٣ .

ولذلك أنكر الله تعالى عليهم زعمهم فيما تقدّم من الآيات ، وأنّ قولهم مثير للعجب كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ...﴾ [(١)].

قال ابن القيم – رحمه الله – : وفي الآية قولان :

أحدهما : إن تعجب من قولهم : (أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) فعجب قولهم، كيف ينكرون هذا وقد خُلقوا من تراب و لم يكونوا شيئاً .

والثاني : إن تعجب من شركهم مع الله غيره ، وعدم انقيادهم توحيده وعبادته وحده لا شريك له ، فإنكارهم للبعث أعجب .

وعلى التقديرين فإنكار المعاد عجب من الإنسان، وهو محض إنكار الرب والكفر به ، والجحد لإلهيته ، وقدرته ، وحكمته ، وعدله وسلطانه [(٢)].

الثاني : أنّ البعث خرافة لا حقيقة لها ، وإنّما هو أسطورة من الأباطيل التي سطَّرها الأولون، فإنّ الأموات مرضوا وماتوا و لم يرجع أحد منهم بعد الموت ، فهل تأتون بالقرون الماضية من الآباء وغيرهم إن كنتم صادقين في دعواكم ؟

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : أتعدانني أن أخرج من بعد فنائي وبلائي حيًا ، وقد مضت القرون من الأمم قبلي فلم يبعث منهم أحد، فلو كنت مبعوثاً بعد وفاتي كما تقـــولان لكان قد بعث من هلك قبلي من القرون [(٣)].

ولذلك تساءلوا منكرين : هل سيبعث آباؤنا الأولون ؟ فردّ الله تعالى تلك الدعوى محققاً عودهم وبعثهم:﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( والملاحدة المنكرون للمعاد تعود شبههم كلها إلى ما ينفي علم الرب تعالى ، أو قدرته ، أو مشيئته، أو حكمته ...)) [(٥)].

---

(١) سورة الرعد ، آية ٥ .

(٢) مدارج السالكين ١/١٢٦ – بتصرف – .

(٣) تفسير الطبري ٢٦ /١٩ – بتصرف – .

(٤) سورة الصافات ، آية ١٨ ،١٩ .

(٥) درء التعارض ٧/٣٨٤ .

وقال ابن القيم – رحمه الله – : (( فإن شبه المنكرين له – أي المعاد – كلها تعود إلى ثلاثة أنواع :

أحدهما : اختلاط أجزائهم بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز، ولا يحصل معها تميز شخص عن شخص .

الثاني : أن القدرة لا تتعلق بذلك .

الثالث : أن ذلك لا فائدة فيه ، أو إنّما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئاً بعد شيء ، هكذا أبداً كلما مات جيل ، خلفه جيل آخر ، فأما أن يُميت النوع الإنساني كله ، ثم يُحييه بعد ذلك فلا حكمة في ذلك ... ))[1].

وقد أبطل ما تعلّق به المشركون من شبهات، وخاطب عقولهم لتستهدي إلى الحق ، مع أنّ إنكارهم للبعث ليس لخطأ الحق وعدم بيانه ، وإنّما كان مكابرة وعناداً عن قبول الحق الذي جاء به المصطفى – ﷺ – فردَّ عليهم من ثلاثة أوجه :

أولاً : تقرير كمال علم الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾[3].

فما أكلته الأرض من لحومهم ، ومزقته من أجسامهم وعظامهم يعلمه – جل وعلا – ولا يخفى عليه أين تفرقت الأبدان ؟ وأين ذهبت ؟ وإلى أين صارت ؟[4].

الثاني : تقرير كمال قدرة الله – تعالى –[5] فلما أنكر المشركون البعث واستبعدوه باستحالة عودة ذلك الجسد بعد اضمحلاله وفنائه وتفرق أجزائه ردّ الله تعالى تلك الدعوى ببيان كمال قدرته؛ فإنّ مَنْ ابتدأ الخلق من عدم فإعادته عليه أهون ، كما أنّ مَنْ خلق الأعظم

(١) الفوائد ص٦ .
(٢) سورة يس ، آية ٧٩ .
(٣) سورة ق ، آية ٤ .
(٤) انظر : الفوائد ص٦ ، وتفسير ابن كثير ٤/٢٢٣ ، وأضواء البيان ٦ /٣٢٩ .
(٥) انظر : الفوائد ص٧ .

فهو على الأدنى أولى وأحرى كما قال تعالى :﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ (١).

ولذلك نبَّه العباد إلى التأمل في آثار قدرته العظيمة ، فلما أنكروا المعاد وقالوا : إنه رجع بعيد أمرهم الله تعالى بالتأمل ا لذي يقودهم إلى الحق كما قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ (٢).

فهذه آيات عيانية دالة على كمال قدرته – جلّ وعلا – وعظيم صنعه ، فإحياء الموتى وبعثهم من قبورهم أولى وأحرى (٣).

الثالث: بيان كمال حكمته(٤) كما قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(٥).

فإنّ حكمة الله وكمال تدبيره تأبى أن يخلق الخلق عبثاً دون أن يُؤمروا أو ينهوا ، ثم يحاسبون ويجزون على أعمالهم ، فمن آمن فليس بينه وبين النعيم إلا الموتة الأولى ، أمّا مَنْ كفر فهو في سواء الجحيم .

قال ابن القيم – رحمه الله– : « ومن ظن أنّه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثوا ب والعقاب في دار يُجازى المحسن فيها بإحسانه ، والمسيء بإساءته، و يبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه، وصدق رسله ، وأنّ أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء»(٦).

---

(١) سورة يس ، آية ٨١ .
(٢) سورة ق ، آية ٦-٧ .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٢٢٣ .
(٤) انظر : الفوائد ص٧ .
(٥) سورة المؤمنون ، آية ١١٥ .
(٦) زاد المعاد ٣/٢٣٠ .

وقد عرض القرآن الكريم بعض حجج المنكرين للمعاد مفصلة بأوجز عبارة وأ بلغ حجة وأوضح دلالة موضحاً ذلك في أمثلة منها :

المثال الأول : آيات سورة الإسراء ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ... ﴾ [١]، فقد عرض الله تعالى شبهات المنكرين للمعاد وبين زيفها، فقد سألوا ثلاثة أسئلة :

الأول : إذا كنا عظاماً ورفاتاً أئِنا لمبعوثون خلقاً جديداً ؟ وأجابهم بجوابين :

الأول: قال لهم : (( إن كنتم تزعمون أنه لا خالق لكم ولا رب، فهلاّ كنتم خلقاً جديداً لا يفنيه الموت كالحجارة والحديد أو ما هو أكبر في صدوركم من ذلك، فإن قلتم لنا رب وخالق خلقنا على صفة لا تقبل البقاء و لم يجعلنا حجارة أو حديداً فقد قامت عليكم الحجة بإقراركم ، فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وبين إعادتكم خلقاً جديداً؟)) [٢].

الثاني: إن كنتم حجارة أو حديداً أو خلقاً أكبر منهما فالله تعالى قادرٌ على أن يفنيكم وينقلكم من حال إلى حال، فمن قدر على التصرف في هذه الأجسام الصلبة بالإفناء والإحالة فهو قادر فيما دونها بإفنائها ونقلها من حال إلى حال[٣].

الثاني : أنهم سألوا : من يعيدنا بعد موتنا وفنائنا ؟ فأجابهم بقوله : ( قل الذي فطركم أول مرَّة) فاستدل تعالى بالبدء على الإعادة ، فإنّ من خلقكم وأوجدكم من عدم قادر على إعادتكم وبعثكم [٤].

الثالث: لَمّا لزمتهم الحجة سألوا سؤالاً آخر : متى هو ؟ أي : متى ذلك الموعد الذي يعاد فيه الموتى أحياء ؟

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات ٤٩ -٥٢ .

(٢) الصواعق المرسلة ٢/٤٧٨ .

(٣) انظر : الصواعق المرسلة ٢/٤٧٨ .

(٤) انظر : المصدر السابق ٢ /٤٧٩ .

فأجابهم بقوله : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [1]))[2] .

المثال الثاني : في سورة مريم : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ [3].

فنَزلت الآيات في العاص بن وائل السهمي فقد روى الشيخان عن مسروق [4] قال : (سمعت خبَّابًا[5] قال : جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقًا لي عنده ، فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد – ﷺ– . فقلت : لا ، حتى تموت ثم تبعث ، قال : وإنّي لميتٌ ثم مبعوث؟ قلت : نعم. قال: إنّ لي هناك مالاً وولداً فأقضيك، فنَزلت هذه الآية . ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾[6].

---

(١) سورة الإسراء ، آية ٥١ – ٥٢ .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ٢/٤٧٩ .

(٣) سورة مريم ، الآيات ٧٧ – ٧٨ .

(٤) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمدانيُّ الكوفي ، الإمام القدوة العلم ، عِدَاده في كبار التابعين، يُقال : إنه سُرِقَ وهو صغير ثمّ وُجِدَ فسمِّي مسروقاً . حدَّث عن جمع من الصحابة ، كان عابدًا شديد الخشية لله . توفي سنة ٦٣هـ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٤/٦٣-٦٩ ، والبداية والنهاية ٨/٢٢٤ .

(٥) هو –الصحابي الجليل – خبَّاب بن الأرتّ التميمي ، يكنى أبا عبدالله ، وهو عربي لحقه سباء في الجاهلية فبيع بمكة ، وهو من السابقين الأولين للإ سلام، فهو سادس ستة في الإسلام ، وقد عُذب في سبيل الله ، توفي سنة ٣٧ في الكوفة .

انظر : أسد الغابة ٢/١٤١ ، والإصابة في تمييز الصحابة ٢/٢٥٨ .

(٦) أخرجه البخاري – كتاب : التفسير ، باب : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا ...﴾ [ ٤٧٣٢] انظر : البخاري مع الفتح ٨/٤٢٩ ، ومسلم في صحيحه – كتاب: صفة القيامة والجنة والنار – باب:سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح . [ ٢٧٩٥] ٤/٢١٥٣.

فالعاص بن وائل قال ذلك مستهزئاً منكراً للبعث بعد الموت، وأنّه سيُؤتى في الآخرة مالاً وولداً، أي : يكون من أهل الجنة المنعمين، فردّ الله تعالى دعواه منكراً عليه ومكذباً لادعائه من وجوه :

١-هل أحاط علمه بالغيب حتى علم ما يكون في الآخرة ؟ وأنّه يُؤتى مالاً وولداً ، فالأمر ليس كما زعم، فليس للقائل من علم الغيب شيء، بل هو كافر مُتقوِّل .

٢-أو هل هو متخذٌ عهداً عند الله بالإيمان به ، واتباع رسله ؟ فإذا انتفى هذا الأمر والذي قبله عُلم بذلك بطلان دعواه .

٣-أنّ ما قاله وادعاه مكتوب محفوظ ليُجازى عليه، ويعاقب ك لما ازداد من الغيّ والضلال زاده الله تعالى من العذاب .

٤-أنّ الله تعالى سيبعثه فردًا على خلاف ما زعم ، فينتقل من الدنيا فردًا بلا مال ولا أهل ولا أنصار [١].

قال الشنقيطي – رحمه الله – : (( قولك – أي العاص بن وائل – إنّك تُؤتى مالاً وولداً يوم القيامة لا يخلو مستندك فيه من واحد من ثلاثة أشياء :

الأول : أن تكون اطّلعت على الغيب ، وعلمت أنّ إيتاءك المال والولد يوم القيامة ممّا كتبه الله في اللوح المحفوظ .

الثاني : أن يكون الله أعطاك عهداً بذلك ، فإنه إن أعطاك عهداً لن يخلفه .

الثالث: أن تكون قلت ذلك افتراء على الله من غير عهد ولا اطلاع غيب .

وقد ذكر الله تعالى القسمين الأولين في قوله : ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ ، مبطلاً لهما بأداة الإنكار . ولا شك أن كلا هذين القسمين باطل ... فتعين القسم الثالث وهو أنّه قال ذلك افتراء على الله)) [٢].

المثال الثالث : في سورة يس : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ...﴾ [١].

---

(١) انظر : تفسير السعدي ٥٠٠ ، وانظر : تفسير الطبري ٢٤٦/١٨ ، وتفسير ابن كثير ١٢٧/٣ .

(٢) أضواء البيان ٤٩٢/٣.

فلما أنكر ذلك الملحد البعث أقام الله تعالى عليه الحجج الدامغة لكل شبهة . قال الإمام الطبري – رحمه الله – : أنّ القائل : من يحيي العظام وهي رميم ؟ هو أبي بن خلف وقيل : العاص بن وائل السهمي ، وقيل ؛ عبدالله بن أبيّ[٢] .

والآية عامة في كل منكر للمعاد .

فأجاب عن تلك الشبهة بأربعة أجوبة :

١- الاستدلال بالبدء على الإعادة في قوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ؛ إذ كل عاقل يعلم أنّ من قدر على النشأة الأولى قدر على الإعادة ، فلو كان عاجزاً ع ن الثانية لكان عن الأولى أعجز .

٢- الاستدلال باستخراج العنصر من نقيضه، كخروج النار التي هي غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة كما قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ .

فالذي يخرج الشيء من ضده ، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ولا تستعصي عليه هو الذي يحيي العظام وهي رميم .

٣- الاستدلال بخلق الأكبر على خلق الأصغر كما قال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾.

فالذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما أقدر على أن يحيي العظام وهي رميم ، فيردها إلى حالتها الأولى [٣].

---

=

(١) الآيات ٧٧ – ٨١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣ /٣٠ – ٣١ .

(٣) انظر : الصواعق المرسلة ٢ /٤٧٦ .

٤- الاستدلال بكمال علم الله تعالى وقدرته ونفاذ مشيئته وأمره كما قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [(١)].

فإنّ فعله تعالى ليس بمنْزلة فعل غيره الذي يفعل بالآلات والكلفة والتعب والمشارك والمعين، بل إنه تعالى أخبر عن نفاذ مشيئته وإرادته ، وانقياد المكوَّن له ، وعدم استعصائه عليه [(٢)] وبذلك نعلم أنّ الذين أنكروا المعاد لم ينكروه لخفاء الدليل عليه ، فقد دلّ على المعاد الشرع والعقل ، وإنما أنكروه مكابرة واتباعاً للأهواء وحسداً من عند أنفسهم .

---

(١) سورة يس ، الآيتان ٨١ – ٨٢ .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ٢/٤٧٨ – ٤٧٩ .

# المبحث الرابع
# مشاهد اليوم الآخر

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : أهوال يوم القيامة .

المطلب الثاني : أصحاب اليمين وأصحاب الشمال .

المطلب الثالث : صحائف الأعمال .

المطلب الرابع : الجنة والنار .

إنّ مشاهد الآخرة مشاهد عظيمة ومتعددة ذكرها الله تعالى في كتابه ، وعلى لسان رسوله – ﷺ– من ظهور أشراط الساعة الكبرى المعلنة بنهاية العالم إلى قيام الساعة واضطراب الكون عند قيامها ؛ فتزلزل الأرض ، والكواكب متناثرة ، والجبال تمرّ مرّ السحاب ، والهلع والفزع الذي يسيطر على الخلق ، فيحشرون إلى ربهم فُرادى كما خلقهم أول مرَّة ، ويقفون وقوفاً طويلاً انتظاراً لفصل القضاء ، وتوزن أعمالهم ، ويمرون على الصراط ، فإمّا ناج موفق ، وإمّا معذب في النار – أعاذنا الله منها –.

وقد ذكر الله تعالى تلك المشاهد المتعددة في كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام كما سنتناوله في هذا المبحث .

## المطلب الأول : أهوال يوم القيامة

ذكر الله تعالى في كتابه أهوال يوم القيامة ، وما يصيب الناس فيها من الفزع والخوف؛ حيث تضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سُكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب شديد ، ذلك حين يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، ويحشر الإنس والجن ، وتتناثر نجوم السماء ، وطمست الشمس القمر فتظلما على الخلق ، وتصير الجبال كالصوف المنفوش ، وتُنكّس الرؤوس ، وتخشع الأصوات للرحمن ، فيشتدّ الفزع والكرب ، وقد ذكر الله تعالى أهوالها في مواطن من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [(١)].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ...؟)

والأداة فيه : كيف مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : فكيف لا تخشون هول ذلك اليوم بإصراركم على كفركم ؟

وقول الله تعالى : ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ [(٢)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ؟)، والأداة فيه : أين ، والاستفهام حقيقي ؛ حيث إنّ الإنسان لهول ذلك اليوم يبحث عن مفرٍّ لنفسه ومهرب .

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...مَا لَهَا ؟)

والأداة فيه : ما ، والاستفهام حقيقي، فإن الإنسان يتعجب مما يحصل للأرض من اضطراب فيتساءل ما لها؟ وماذا أصابها؟

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أهوال يوم القيامة وما يغشى الناس في ذلك اليوم من الهلع والفزع وشدة الكرب مّما تتزلزل به القلوب والأبدان .

---

(١) سورة المزمل ، آية ١٧ .

(٢) سورة القيامة ، آية ١٠ .

(٣) سورة الزلزلة ، آية ٣ .

ودلت على ذلك بأمور عدة :

١- أنّ الأرض تتزلزل وترجف وتضطرب حتى يسقط ما عليها من بناء ومَعلم ، فتندك جبالها، فتكون قاعاً صفصفاً ، وتخرج ما في بطنها من الكنوز والأموات ، فإذا رآها الإنسان على هذا الحال العظيم تساءل : أيّ شيء عرض لها ؟ فيومئذٍ تحدث بما عمل الناس على ظهرها من خير وشر وطاعة ومعصية ، وذلك بأنّ الله تعالى أوحى لها . وأمرها أنْ تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها [١].

قال الشنقيطي - رحمه الله - : قوله : ( ما لها ) سؤال استيضاح وذهول من هول ما يشاهدون ، والإنسان هنا عام ، وظاهره أنّ كل إنسان يقول ذلك ، ولكن جاء ما يدل على أن الذي يقول ذلك هو الكافر ، أمَّا المؤمن فيقول : ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [٢]. فالكافر يدعو بالويل ، والمؤمن يطمئن للوعد ، فيومئذٍ تحدث بأخبارها وما عمل كل إنسان على ظهرها في حال حياته [٣].

٢- أنّ الولْدان يصيرون شيباً أي شيوخاً ، وهذا يجوز أنّ يكون حقيقةً ، وأنهم يصيرون كذلك، أو تمثيلاً ؛ لأنّ من شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه ، وضعفت أعضاؤه ، وصار كالشيخ في الضعف ، وسقوط القوة ؛ ولذلك حذر الله تعالى عباده من هول ذلك اليوم ، ووبَّخ من كفر ، فقال : كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم وأعرضتم [٤].

قال البغوي - رحمه الله - : أي : كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذا كفرتم في الدنيا؛ يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة ، فبأي شيء تتحصنون منه إذا كفرتم في ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيباً من هوله وشدته [٥].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٣٠/ ٢٦٥ - ٢٦٧ ، وزاد المسير ٩ / ٢٠٣ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٤٠ ، وتفسير السعدي ص٩٣٢ .

(٢) سورة يس ، آية ٥٢ .

(٣) أضواء البيان ٩ /٥٧ - ٥٨ - بتصرف - .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٩ /١٣٧ ، وتفسير القرطبي ١٩ /٤٩ ، وفتح القدير ٢/ ٣١٩ .

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٤١٠ - بتصرف - .

وقد أخرج الإمام مسلم عن عبدالله بن عمرو أن الرسول - ﷺ- قال في حديث طويل جاء فيه : ( .. ثمَّ ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يُقال : يا أيُّها الناس هلمّ إلى ربكم (وقفوهم إنّهم مسؤولون ) قال : ثم يُقال : أخرجوا بعث النار فيقال : مِنْ كم ؟ فيُقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال : فذاك يوم ( يجعل الولدان شيباً ) ، وذلك ( يوم يكشف عن ساق ) [(1)].

٣- أنّ الإنسان حينما يرى تلك القلاقل ، والدمار الذي يعتري الكون يقول : أين المفر ؟ أي: أين الخلاص والفكاك مما طرقنا وألَّم بنا ؟ في ذلك الحين لا مفر ولامهرب ، ولا يمكن لأحد أن يستتر في ذلك الموقف ، بل لا بد أن يُجازى كل بعمله كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[(2)(3)].

قال ابن القيم - رحمه الله - : أخبر سبحانه عن هذا الإنسان إذا شاهد اليوم الذي كذّب به ، فقال : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ [(4)]. فبرق بصره ؛ أي : يشخص لما يشاهده من العجائب التي كان يكذب بها ، وخسف القمر : ذهب ضوؤه وانمحى ، وجُمع الشمس والقمر و لم يجتمعا قبل ذلك ، فيقول الإنسان حينئذٍ أين المفر ؟ هل من ملجأ ؟ من هول ذلك اليوم فليس هناك فرد ينفع صاحبه ، ولا جبل ، ومعقل ، ولا حصن من أمر الله [(5)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الفتن وأشراط الساعة ، باب : في خروج الدجال ومكثه في الأرض [٢٩٤٠] ٤/٢٢٥٨ - ٢٢٥٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٩/١٨١ ، وتفسير القرطبي ١٩/٩٧ ، وتفسير ابن كثير ٤/٤٤٩ ، وتفسير السعدي ص٨٩٩ .

(٣) سورة القيامة ، آية ١١- ١٥ .

(٤) سورة القيامة ، ٧ - ١٠ .

(٥) التبيان في أقسام القرآن ص٩٥ - بتصرف - .

## المطلب الثاني : أصحاب اليمين وأصحاب الشمال

ينقسم الناس يوم القيامة إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال بحسب إيمانهم وكفرهم ، فينجو أصحاب اليمين ، ويهلك أصحاب الشمال ، وقد بين ما للفريقين في الآخرة من الثواب والعقاب .

وقد ورد في مواطن في كتاب الله وصف الفريقين ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقول الله تعالى : ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ [1].

ورد في الآيات أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : ( ...مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ؟)

والأداة فيه : ما . والمراد منه : تعجيب السامع من شأن أصحاب اليمين [2].

الثاني : في قوله تعالى : ( ...مَا أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ؟)

والأداة فيه : ما . والمراد منه : تعجيب السامع من فظاعة حال أصحاب الشمال [3].

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ؟)

والأداة فيه : ما . والمراد منه : التعجيب والتفخيم لشأن أصحاب اليمين [5].

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ [6].

---

(١) سورة الواقعة ، آية ٨ – ٩ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١٨٩/٨ ، وروح المعاني ٢٧ /١٣١ ، وأضواء البيان ٥١٤/٣ .

(٣) المصادر نفسها .

(٤) سورة الواقعة ، آية ٢٧ .

(٥) انظر : روح المعاني ٢٧ /١٣٣ ، وفتح القدير ١٥٢/٥ .

(٦) سورة الواقعة ، آية ٤١ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( ...مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ؟)

والأداة فيه : ما . والمراد منه : التعجيب من فظاعة ما عليه أصحاب الشمال [1].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أنّ الناس في اليوم الآخر ينقسمون قسمين : أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال .

**الصنف الأول** : أصحاب اليمين ، وسُمّوا بذلك كما قال بعض أهل العلم ؛ لأنهم يؤتون كتبهم باليمين [2].

وقيل : لأنّهم يذهبون بهم ذات اليمين إلى الجنة .

وقيل : لأنهم عن يمين أبيهم آدم .

وقيل : سمّوا أصحاب اليمين وأصحاب الميمنة لأنّهم مباركون على أنفسهم ؛ لأنهم أطاعوا ربهم فدخلوا الجنة ، واليمن البركة [3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، وهم على درجتين : السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون ؛ فالمتقربون إلى الله بالفرائض هم الأبرار المقتصدون أصحاب اليمين ، والمتقربون إليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون[4].

فدرجة أصحاب اليمين من أهل الجنة درجة أدنى من درجة المقربين السابقين؛ حيث إنّهم اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات ، فلم يزيدوا على ذلك ، و لم ينقصوا منه . أما السابقون فتقربوا إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، وتركوا ما لا بأس به خوفاً مما به بأس[5].

**الصنف الثاني** : أصحاب الشمال سُمّوا بذلك لأنّهم يُؤتون كتبهم بشمائلهم .

---

(١) انظر : روح المعاني ٢٧ / ١٣٣ ، وفتح القدير ٥ /١٥٢ ، وأضواء البيان ٣ /٥١٤ .

(٢) وهناك صنف هم المقربون المذكور في السورة نفسها .

(٣) أضواء البيان ٥١٣/٧ – بتصرف يسير – .

(٤) الفتاوى ٢٢٤/٢ – ٢٢٥ – بتصرف – .

(٥) انظر : معارج القبول ١٠٠٨/٣ .

وقيل : لأنّهم يُذهب بهم ذات الشمال إلى النار ؛ ولأنَّهم مشائيم على أنفسهم فعصوا الله فأدخلهم النار .

فأصحاب الشمال هم المكذبون الضالون ؛ فليسوا من أهل الإسلام باتفاق [1]. وقد ذكر الله ما أعدَّ لهم من العذاب والنكال ، فقال تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [2].

قال ابن كثير –رحمه الله – : لما ذكر الله تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال، وذكر أي شيء هم فيه ؟ ثم فسرَّ ذلك بأنهم في سموم وهو الهواء الحار ، وحميم وهو الماء الحار ، وظلّ من دخان أسود ليس بطيب الهبوب ولا حسن المنظر[3].

---

(١) معارج القبول ٣/١٠٠٨ .

(٢) سورة الواقعة ، الآيات ٤١ – ٤٤ .

(٣) تفسير بن كثير ٤/٢٩٥ – بتصرف – .

## المطلب الثالث : صحائف الأعمال

إنّ صحائف الأعمال ونشرها للعبد يكون يوم القيامة ، فمنهم آخذ كتابه باليمين، ومنهم آخذ كتابه بالشمال ، وهي من الأمور الغيبية التي يجب على العبد الإيمان بها ، كما جاء بذلك الكتاب والسنة والإجماع .

**ومعنى الصحائف في اللغة :**

(( الصاد والحاء والفاء أصل صحيح يدل على انبساط في شيء وسعته ... والصحيفة التي يُكتب فيها ))[1].

الصحف جمع الصحيفة ، وسمّى المصحف مصحفاً ؛ لأنَّه أصحف أي : جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين[2].

**أمَّا معناها في الشرع :**

فهي صحائف الأعمال ، يعني : التي كتبتها الملائكة الموكلون بأعمال بني آدم ، وأحصوا فيها سائر أعمالهم القولية والفعلية[3].

كما قال الله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[4].

وطائر كلّ إنسان عمله المتعلّق به ، يقرِّره الله تعالى بأ ع ماله (ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) ، وهـــذا من تمام العدل والإنصاف أن يوكل الحساب إلى الإنسان نفسه.

وينقسم الناس في ذلك قسمين :

الأول : آخذ كتابه باليمين وهم المؤمنون إكراماً لهم .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٣٤ ( صحف ) .

(٢) العين ٣/١٢٠ ( صحف ) ، وتهذيب اللغة ٤/١٤٩ ( صحف ) .

(٣) سورة الإسراء ، آية ١٣-١٤ .

(٤) انظر : لمعة الاعتقاد لابن قدامة ص٢٦ ، والواسطية ص٢٣ ، وشرح العقيدة الطحاويه ص٤٥٦ ، وقطف الثمر في بين عقيدة أهل الأثر ص١٣٥ ، ولوامع الأنوار ٢/١٨٠، ومعارج القبول ٢/٨٤٠ ، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ٢/١٤٦ .

الثاني : آخذ كتابه بالشمال أو من وراء ظهره وهم الكفار ، فتجعل يده الشمال من خلف ه فيأخذ كتابه بها ، فلمّا استدبر كتاب الله في الدنيا ، جُوزي بأن يجعل كتاب أعماله من وراء ظهره .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [١].

وقد ذكر الله تعالى صحائف الأعمال في مواطن من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [٢].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (...مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ...؟)

والأداة فيه : (ما) مقترنة باللام، والمراد منه : التعجب و التفجّع [٣]، فإذا رأوا ما أُحصي عليهم من الأعمال تفجّعوا ، ونادوا بالويل على أنفسهم لتيقنهم بالهلاك .

دلالة الآية :

يُخبر الله تعالى عن مشهدٍ من مشاهد الآخرة، وهو صحائف الأعمال التي أُحصيت على العباد، فجمعت الصغير والكبير ، ففي الآية ذكر الله تعالى حال المجرمين يومئذٍ حينما يوضح الله تعالى صحائف الأعمال لعباده في أيديهم، فآخذ كتابه باليمين ، وآخذ كتابه بالشمال ، فالمشركون بالله خائفون وجلون ممّا في كتبهم من السيئات التي عملوها في الدنيا، إذا رأوا ما قد كُتب عليهم فيه من الصغائر والكبائر ، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، فلم يستطيعوا أن ينكروا ما أحصي عليهم [٤].

---

(١) سورة الانشقاق ، الآيات ٧ – ١٢ .

(٢) سورة الكهف ، آية ٤٩ .

(٣) انظر : البرهان ٢/٣٢، والإتقان ٢/٢١٤.

(٤) انظر : تفسير القرطبي ١٠/٤١٨، وأضواء البيان ٣/٦١.

وتتمحض دلالة الآية من وجهين :

١-أنّ كُتب الأعمال تميزت بالدقة المتناهية حيث لم تُفرّط في جليل الأعمال وصغيرها .

يقول ابن كثير – رحمه الله – : (( كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير ، والفتيل [١] والقطمير [٢]، والصغير والكبير ... فلا يترك ذنباً صغيراً أو كبيراً ولا عملاً وإن صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها ...)) [٣].

٢-كمال عدل الله تعالى، حيث قرّرهم على أعمالهم ثم عاقبهم على سيئاتهم التي عملوها، فلم يعاقبوا بلا ذنب ، و لم ينكروا أعمالهم التي عملوها .

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – : (( اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء ، و لم يشتك أحد ظلماً ، فإياكم والمحقرات من الذنوب فإنّها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه )) [٤].

---

(١) فتيلاً ما يكون في شق النواة ، يضرب به المثل في الشيء الحقير . انظر : تهذيب اللغة ٢١٦/١٤ ، ومعجم مقاييس اللغة ٤٧٢/٤ .

(٢) قطمير هي القشرة البيضاء التي تكون على النواة . انظر : تهذيب اللغة ٣٠٤/١٤ ، ولسان العرب ١٠٨/٥ (قطمير) .

(٣) تفسير ابن كثير ٨٨/٣ .

(٤) تفسير الطبري ٢٥٨/١٥ .

## المطلب الرابع: الجنة والنار

إن الجنة والنار من أعظم المشاهد في اليوم الآخر ، فهي المصير الأخير لكل فرد ، فإن كان من أهل السعادة فييسر إلى دار السعادة ، وإن كان من أهل الشقاوة فييسر إلى دار الشقاء – أعاذنا الله–، وقد ورد ذكرها في كتاب الله تعالى ، ومنها ما ورد بأساليب الاستفهام ، وهو ما سنتناوله في هذا المبحث، وقبل الشروع في دراسة الآيات لا بد من تناول الأمور التالية:

**تعريف الجنة في اللغة :**

جنَّ الشيء يجنّه جنّاً ستره ، وكل شيء سُتر عنك فقد جنّ عنك والجنة البستان ومنه الجنات ، وجمعها جِنان ، وقيل : لا تكون الجنة في كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب ، فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة [(١)].

**تعريف الجنة في الشرع :**

هي دار النعيم في الدار الآخرة ، وسُميت بذلك لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها [(٢)].

**تعريف النار في اللغة :**

(( النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة ، واضطراب ، وقلة ثبات ، منه : النور والنار )) [(٣)].

والنار مؤنثة وهي من الواو ؛ لأنّ تصغيرها نُويرة ، وجمعها نُور وأَنْور ونيران[(٤)].

**تعريف النار في الشرع :**

فهي الدار التي أعدّها الله للكافرين به [(٥)].

فالجنة والنار من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها كما أخبر الله تعالى عنهما في كتابه، وما جاء في سنة نبيه –ﷺ– وهاهنا مسألتان مهمتان لا بد أن نُعرج عليها في هذا المطلب :

**المسألة الأولى :**

---

(١) انظر : العين ٢٢/٦ ( جن ) ، ولسان العرب ٩٢/١٣ ( حنن ) .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣٠٧/١ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٣٦٨/٥ ( نور ) .

(٤) انظر : مختار الصحاح ص ٢٨٥ .

(٥) اليوم الآخر ( الجنة والنار ) لعمر الأشقر ص١١ ، وانظر : الكواشف الجلية للسلمان ص ٣٥٠ .

أنّ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن لا تفنيان ولا تبيدان ، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ذلك .

قال الإمام الطحاوي – رحمه الله – : « والجنة والنار مخلوقتان ، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإنّ الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً » [1].

وخالف في ذلك المعتزلة ، فأنكروا أنّ الجنة والنار مخلوقتان الآن ، وقالوا : بل ينشئهما الله يوم القيامة ، فإنّ خلق الجنة قبل الجزاء عبث ؛ لأنّها تصير معطلة مدداً متطاولة [2].

وأدلة الكتاب والسنة تدل على أنّهما مخلوقتان موجودتان الآن ، منها :

قول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [4].

فقوله تعالى : ( أعدّت ) دلالة قاطعة على أهما مخلوقتان موجودتان ، فالمعدّ ؛ أي : المستعد المهيأ [5].

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن رسول الله – ﷺ– قال : ( لَمّا خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال : انظر إليها ، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال : فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها ، قال : فرجع إليه قال : فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمُر بها فحفّت بالمكاره ، فقال : ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه، فقال : وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد قال : اذهب إلى النار، فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فإذا هي يركب

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٧٦ .

(٢) انظر : مقالات الإسلاميين ص٢٩٦ ، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٣/٦٥٨ ، وحادي الأرواح ص١١ ، ويقظة أولي الاعتبار ص٣٧ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٣٣ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٣١ .

(٥) انظر : الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٣/٦٦٣ .

بعضها بعضاً فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحّفت بالشهوات. فقال : ارجع إليها، فرجع إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها)[1].

وقد عقد الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه بابين : الأول منهما : ( باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة )[2] و( باب : صفة النار وأنها مخلوقة )[3]، وساق جملة من الأحاديث الدالة على ذلك ، منها :

حديث عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله – ﷺ– : ( إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ) [4].

فالمؤمن يرى مقعده من الجنة ، والكافر يرى مقعده من النار ، ففي ذلك دلالة صريحة على أنّ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان .

وفي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ( اشتكت النار إلى ربها فقالت : ربّ أكل بعضي بعضًا ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف، فأشدُّ ما تجدون من الحرّ ، وأشدُّ ما تجدون من الزَّمهرير ) [5][6] .

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات [ ٢٥٦٠] ٦٩٣/٤ ، وقال : حديث حسن صحيح .
والنسائي في السنن الكبرى، كتاب : الأيمان والكفارات ، الحلف بالعزة ، [ ٤٧٠٢] ١٢١/٣ .
وأبو داود في السنن كتاب : السنة ، باب : في خلق الجنة والنار [ ٤٧٤٤] ٢٣٦/٤ ، قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . انظر : المستدرك ٧٩/١ .

(٢) فتح الباري ٣١٧/٦ .

(٣) المصدر نفسه ٣٢٩/٦ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة [ ٣٢٤٠] ٣١٧/٦ .

(٥) الزمهرير : شدة البرد ، وقد ازمهر ازمهرارا. انظر: العين ١٢٤/٤ (زمهر)، والقاموس المحيط ٥١٤/١.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب : بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة [ ٣٢٦٠] ٣٣٠/٦ .

أما شبهة من قال إنها لم تخلق بعد، وهي : أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة ، وأن يهلك كـــل من فيها ويموت ؛ لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[1].

وقول الله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾[2].

قالوا : لو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء معنى .

ولحديث ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : ( لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال : يا محمد ، أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أنّ الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنّها قيعان، وأنّ غراسها: سبحان الله، والحمدلله، ولاإله إلا الله، والله أكبر)[3].

قالوا : لو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ، و لم يكن لهذا الغراس معنى .

الرد عليهم من ثلاثة وجوه :

١– أنّ الجنة والنار مخلوقتان ، ولا يمنع أنّه تعالى يحدث فيها شيئاً بعد شيء ، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أُخر ، فلا يمنع أن يبني لمن شاء من عباده بيتاً ، وأن يزيد في غراس الذاكرين .

٢– أما استدلالكم بقوله : (كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ) ، فالمراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك ، والجنة والنار قد خلقتا للبقاء ولا للفناء .

٣– أنّ الأدلة المتقدمة فيها دلالة قاطعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن[4].

---

(١) سورة القصص ، آية ٨٨ .

(٢) سورة التحريم ، آية ١١ .

(٣) أخرجه الترمذي ، كتاب : الدعوات ، باب : ٥٩ ، وقال : حديث حسن غريب [ ٣٤٦٢] ٥/٥١٠ . قال الألباني –رحمه الله–: ((لا بأس به لشواهده)) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/١٦٥ – ١٦٦.

(٤) انظر : الفصل لابن حزم ٤/٦٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص٤٧٩ .

المسألة الثانية :

أنّ الجنة نعيمها دائم لا ينقطع فلا فناء بها ، وكذلك النار عذابها دائم لا ينقطع، ولا يخرج منها إلا عصاة الموحدين .

قال ابن حزم[1] في الفصل : (( اتفقت فرق الأمة كلها على أنّه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها )) [2].

وأشهر مَنْ خالف[3] في ذلك :

الجهمية : حيث زعموا أنّ الجنة والنار تفنيان ويفنى أهلهما .

أبو الهذيل العلاّف[4]: زعم أنهما لا تفنيان ولا يفنى أهلها ، إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون بمنْزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون [5].

وابن عربي الطائي [6]؛ زعم أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم

---

(١) هو : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأموي عُرف بالإمام الحافظ ، صنف الكتب المشهورة ، قيل: إنّه صنف أربعمائة مجلد ، كان أديباً شاعراً ، كان ظاهرياً في الفروع ، من مصنفاته : (المحلى) ، و(الإحكام لأصول الأحكام ) ، توفي سنة ٤٥٦هـ ، وله تسعون عاماً .
انظر : العبر للذهبي ٢٤١/٣ ، والبداية والنهاية ٩١/١٢ .

(٢) الفصل ٧٠/٤ .

(٣) انظر : التذكرة للقرطبي ص٥١٠ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص٤٨٠ ، ويقظة أولى الاعتبار ص٤٠ .

(٤) أبو الهذيل العلاّف هو : محمد بن هُذيل بن عُبيدالله البصـري ، شيخ المعتزلة ؛ ورأس البدعة ، توفي سنة ٢٣٥ هـ وله مائة سنة .
انظر : العبر للذهبي ٤٢٢/١ ، شذرات الذهب ١٦٥/٣ .

(٥) انظر الأقوال : مقالات الإسلاميين ص١٦٤ ، الفصل ٧٠/٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٨٣ ، ويقظة أولي الاعتبار ص٤٠ .

(٦) هو : محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الصوفي ، إمام الاتحادية ، ألف وصنف ، ومن مصنفاته : ( الفتوحات المكية ) ، و( فصوص الحكم ) وغيرها ، قال ابن كثير : (( وله كتابه المسمى فصوص الحكم فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح )) ، توفي سنة ٦٣٧هـ .
انظر : البداية والنهاية ١٥٦/١٣ ، ونفح الطيب ١٦١/٢ .

قول من زعم أن أهلها -أي : النار- يخرجون منها ، وتبقى على حالها خالدة لا تبيد.

قول من قال: إن الله يخرج من النار من يشاء، ثم يبقيها شيئاً، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ، وهذا قول منسوب إلى بعض أهل السنة، كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم[1].

**والأدلة تدل دلالة قطعية على بقائهما وعدم فنائهما ومنها :**

١- قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[2]. أي : غير مقطوع .

٢- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[3].

٣- وقول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[4].

٤- وقول الله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾[5].

٥- وقوله تعالى : ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[6].

٦- وحديث النبي -ﷺ- من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، ثم ينادي يا أهل

---

(١) نسب القول ابن القيم إلى شيخ الإسلام في كتابه (حادي الأرواح) ص٢٤٩ ، و لم يعرف في مصنفات شيخ الإسلام التصريح بهذا القول . وقد بسط القول في ذلك الصنعاني في كتابه المشهور (رفع الأستار) .

(٢) سورة هود ، آية ١٠٨ .

(٣) سورة ص ، آية ٥٤ .

(٤) سورة المائدة ، آية ٣٧ .

(٥) سورة الدخان ، آية ٥٦ .

(٦) سورة البينة ، آية ٨ .

النار : فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت)(١).

وفي حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ– أنه قال : ( من يدخل الجنة ينعم لا يبأس؛ لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ) (٢).

والأدلة واضحة على بقاء الجنة والنار وخلود أهلهما .

قال القرطبي –رحمه الله – : (( فمن قال : إنّهم يخرجون منها ، وإنّ النار تبقى خالية ، بجملتها خاوية على عروشها ، وأنّها تفنى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى المعقول ، ومخالف لما جاء به الرسول ، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول )) (٣).

وقال الصنعاني(٤)–رحمه الله–: ((فإنّ هذه المسألة (فناء النار) لا تعرف في عصر الصحابة، الصحابة، ولا دارت بينهم، فليس فيها نفي ولا إثبات ، بل الذي عرفوه فيها هو ما في الكتاب والسنة من خلود أهل النار أبداً، وأنّ أهلها ليسوا منها بمخرجين، وعرفوا ما ثبت من خروج عصاة الموحدين. فإذا عرفت هذا عرفت أن دعوى فناء النار أو عدم فنائها قول للصحابة دعوى باطلة إذ هذه الدعوى لا توجد في عصرهم حتى يُجمعوا عليها نفياً وإثباتاً...)) (٥) .

أولاً : الجنة :

وقد ذكر الله تعالى الجنة في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير باب : ( وأنذرهم يوم الحسرة ) [ ٤٧٣١] انظر : البخاري مع الفتح ٤٢٨/٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب : الجنة وصفتها ونعيمها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء [٢٨٤٩] ٢١٨٨/٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في دوام نعيم الجنة [ ٢٨٣٦] ٢١٨١/٤ .

(٣) التذكرة ص٥١٢ .

(٤) هو : محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الكحلاني ثم الصنعاني المشهور بالأمير اليماني ، الإمام المجتهد المحدث الأصولي ، من مصنفاته ( شرح التنقيح في علوم الحديث ) ، و( سبل السلام ) ، و(تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ) ، توفي سنة ١١٨٢هـــ .

انظر : البدر الطالع ١٣٣/٢ ، ومعجم المؤلفين ١٣٢/٣ .

(٥) رفع الأستار عن أدلة القائلين بفناء النار ص١١٦– ١١٧ .

كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (... أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ...؟)

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : التقرير والتشويق ؛ أي : أأخبركم بما هو خير لكم من تلك المستلذات المزينة لكم ؟ [2][3].

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [4].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ...؟)

وأم هنا منقطعة تقدر بــ(بل) والهمزة ؛ أي : بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة ؟

والمراد منه: الإنكار والنفي؛ أي: لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة مع التقصير في العمل[5].

قال الشنقيطي – رحمه الله – : « أنكر الله في هذه الآية على من ظنَّ أنه يدخل الجنة دون أن يُبتلى بشدائد التكاليف التي يحصل بها الفرق بين الصابر المخلص في دينه وبين غيره» [6].

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴾ [1].

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٥ .

(٢) أي المتقدم ذكرها من الخيل ، والنساء ، والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام والحرث في قول الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ... ﴾ الآية [ ١٤ ] .

(٣) انظر : تفسير البيضاوي ١٥/٢ ، وتفسير أبي السعود ١٥/٢ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٤٢ .

(٥) انظر : البحر المحيط ٧٢/٣ ، وبدائع الفوائد ٢١٣/١ ، تفسير أبي السعود ٩١/٢ ، وروح المعاني ٧٠/٤ ، وفتح القدير ٣٨٥/١ .

(٦) أضواء البيان ٢٠٩/١ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ...؟)

والأداة فيه: الهمزة. والمراد منه: نفي التسوية بين الجنة والنار[2]؛ أي: أهذه النار التي وصف الله لكم خير أم جنة الخلد؟ ويردف عليه التوبيخ والتقريع للمكذبين بالساعة [3].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴾ [4].

ورد أسلوبا الاستفهام في قوله تعالى : (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ؟)

وهما استفهامان في صورة استفهام واحد : ( وما أدراك ) ؟ و ( ماسجين)

والأداة فيهما : ما . والمراد منهما : التعظيم والتهويل لأمرها [5].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ [6].

ورد أسلوبا الاستفهام في قوله (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ؟)

وهما استفهامان في صورة استفهام واحد ( وما أدراك ) ؟ ( ما عليون ) ؟

والأداة فيهما : ما . والمراد منهما : التعظيم والتفخيم لعلوّ شأنهما[7] .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على ما أعدَّه الله تعالى لأوليائه من النعيم المقيم في الآخرة ، وهو الفوز بدخول الجنة والخلود فيها أبد الآبدين ، ويتضح ذلك من عدة أمور :

١- بيّن الله تعالى أنّ دخول الجنَّة سببه الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح ، ولذلك أنكر الله تعالى على من ظنَّ أنّه يدخل الجنة دون أن يصبر على الشدائد والمحن ، ويعمل في مرضاة الله تعالى مجاهداً نفسه للعمل بطاعة الله ، ومن ذلك بذل الأنفس رخيصة في سبيل الله .

=

(١) سورة الفرقان ، آية ١٥ .

(٢) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٣/٤٨ .

(٣) انظر : المحرر الوجيز ٤/٢٠٣ ، وفتح القدير ٤/٦٤ .

(٤) سورة المطففين ، آية ٨ .

(٥) انظر : زاد المسير ٩/٥٤ ، وتفسير أبي السعود ٩/١٢٦ ، والتحرير والتنوير ٣٠/١٩٥ .

(٦) سورة المطففين ، آية ١٩ .

(٧) انظر : التحرير والتنوير ٣٠ /٢٠٤ .

قال ابن القيم – رحمه الله – : أنكر الله – تعالى – على من حسب أن يدخل الجنة بغير امتحان له، وتكليف يتبين به صبره وشكـــره ، وأنَّ حكمته تأبى ذلك كما قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [(1)] فأنكرها عليهم هذا الظنّ والحسبان لمخالفتهما لحكمته تعالى وتمام عدله [(2)].

وقد نزلت الآية في غزوة أحد[(3)] وما أصاب المسلمين من الهمّ والحزن والهزيمة ، فأخبرهم الله تعالى بما في ذلك من الحكمة والتمحيص والابتلاء ما يكون سبباً لدخول الجنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله – : (( ومن ذلك أن يمحص الله الذين آمنوا فيخلصهم من الذنوب ، فإنّهم إذا انتصروا دائما حصل للنفوس من الطغيان وضعف الإيمان ما يُوجب لها العقوبة والهوان ... وقد شهدنا أن العسكر إذا انكسر خشع لله ، وذلّ له ، وتاب إلى الله من الذنوب، وطلب النصر من الله ، وبرئ من حوله وقوته متوكلاً على الله))[(4)].

فالجنة سلعة غالية ثمنها الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح .

٢- أخبر الله تعالى بالتفاوت العظيم بين نعيم الدنيا ولذها الزائلة وبين النعيم المقيم المستديم للمؤمنين في الآخرة . فلمّا ذكر تعالى متاع الدنيا بقوله : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [(5)].

قرَّر تعالى ما هو خيرٌ وأبقى من ذلك المتاع الزائل ، مشوقاً إياهم إلى ذلك المتاع الذي هو خير من متاع الدنيا الزائل من : النساء ، والبنين ، والذهب ، والفضه ، والخيل ، والأنعام،

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٤٢ .

(٢) شفاء العليل ص١٩٩ – بتصرف – .

(٣) أخرج البخاري في صحيحه – كتاب المغازي ، باب : غزوة أحد – وذكر الآية . انظر : البخاري مع الفتح ٣٤٥/٧ .

(٤) الأصفهانية ص١٣٠ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٤ .

والزرع بمتاع الآخرة الكامن في جنة عرضها السموات والأرض ، فينعم ساكنها بأنواع من النعيم ، ومنها :

١- تتفجر بين جوانبها الأنهار بأنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء .

٢- كما أن أهلها مخلدون في ذلك النعيم دون انقطاع .

٣- لهم الأزواج المطهرة من الدنس والأذى .

٤- يحلّ عليهم رضوان الله فلا يسخط عليهم بعده [1].

قال الزركشي [2] - رحمه الله - : (( قابل الجنان ، والأنهار ، والخلد ، والأزواج، والتطهير، والرضوان بإزاء النساء في الدنيا، وختم بالحرث، وهما طرفان متشابهان ، وفيهما الشهوة والمعاش الدنيويّ ، وأخَّر ذكر الأزواج كما يجب في الترتيب الأخروي، وختم بالرضوان)) [3].

وقد وصف الله تعالى أصحاب هذا النعيم من أوليائه ، كما في الآيات التالية للآية بقوله :

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴾ [4].

٤- ذكر الله تعالى الكتاب الذي كُتبت به أعمال الأبرار والفجار ، فالأبرار كتابهم في عليون والفجار كتابهم في سجين .

فسجين [5] الأرض السابعة السفلى [1]، فيها الكتاب الذي كُتبت فيه أعمال الفجار التي كانوا يعملونها في الدنيا .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٣/٢٠٦ ، وعدة الصابرين ص١٣٩ ، وتفسير ابن كثير ١/٣٥٣ .

(٢) هو : محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي ، الفقيه الأصولي الأديب ، ألف وصنف ، ومن مصنفاته : (البحر في أصول الفقه ، و( القواعد في أصول الفقه )، و( الديباج في توضيح المنهاج ) ، توفي سنة ٧٩٤هـ . انظر: شذرات الذهب ٦/٣٣٥ ، ومعجم المؤلفين ٣/١٧٤ .

(٣) البرهان ٣/٤٦٥ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٦-١٧ .

(٥) سِجِّين فعيل من السجن ، والسِّجِّين : الصُّلب الشديد من كل شيء ، وسِجِّين موضع فيه كتاب الفجار قيل: الأرض السابعة .

=

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - : (( سجين كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة ، والسجين المحلّ الضيق الضنك ، وسجين ضد عليين ))[٢] .

وجاء في حديث البراء –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ : ( وذكر نفس الفاجر وأنه يُصعد بها إلى السماء قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إ لا قالوا: (ما هذا الروح الخبيث... فيقول الله : اكتبوا كتابه في أسفل الأرض في سجين في الأرض السفلى)[٣].

أمَّا الأبرار فكتابهم في عليين ، فعليُّون قيل هي : السماء السابعة ، وقيل : الجنة ، وقيل: سدرة المنتهى ، وقيل : في السماء عند الله [٤].

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : والصواب أن يقال في ذلك كما قال جل ثناؤه إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حد قد علم الله - جل وعز - منتهاه ، ولا علم عندنا بغايته ، غير أنّ ذلك لا يقصر عن السماء السابعة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، وقد وصف ذلك الكتاب بأنه كتاب مرقوم ؛ أي مكتوب بأمان الله إياه من النار يوم القيامة والفوز بالجنة ، يشهد ذلك الكتاب المقربون من الملائكة من كل سماء [٥].

قال ابن القيم - رحمه الله - : (( فأخبر الله تعالى أنّ كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقة ، وخَصَّ تعالى كتاب الأبرار بأنَّه يكتب ويُوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويهاً بكتاب الأبرار وما وقع لهم به ، وإشهاراً له ، وإظهاراً بين خواص خلقة ))[٦].

---

=

انظر : المفردات للراغب ص٣٩٩ ( سجن ) ، ولسان العرب / ٢٠٣ ( سجن ) .

(١) انظر : وتفسير الطبري ٣٠ / ٩٤ .

(٢) تفسير السعدي ص٩١٥ .

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٢٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٣٠ /١٠٣ .

(٥) تفسير الطبري ٣٠ /١٠٤ – بتصرف يسير – .

(٦) حادي الأرواح ص٤٩ .

وقد جاء في حديث البراء – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – : ( فيستفتحون له فيفتح لهم، ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ...) الحديث(1).

٣– بيّن الله تعالى التفاوت العظيم بين مصير أوليائه ومصير أعدائه، فلما ذكر الله تعالى مصير من كذّب بقوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾(2).

فلا يستوي مَنْ آمن ومَنْ كفر في المآل والعاقبة ، فأهل الإيمان ينعمون بج نة الخلد التي لا ينقطع نعيمها ، ولا يزول ، فهي جزاء لمن حقق تقوى الله تعالى .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبيد ، الذي وعد مَنْ اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه ، فجنة الخلد جزاء أعمالهم في الدنيا بطاعته ومصيرٌ يصيرون إليها في الآخرة (3).

ثانياً : أما النار فقد وردت في مواطن من كتابه

ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (4).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( ...أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ؟)

(١) تقدم تخريجه ص ٤٢٣ .

(٢) سورة الفرقان ، آية ١١ – ١٤ .

(٣) تفسير الطبري ١٨/ ١٨٨ – ١٨٩ – بتصرف – .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٠٦ .

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا ما تستحقون من العذاب والجزاء الذي أعدَّه الله لأهل النار[1].

وقول الله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا..؟).

والأداة فيه : هل مقترنة بالفاء ، والمراد منه : التقرير وهو التحقيق والإثبات ، ويردف عليه التحسير لأهل النار بما صاروا فيه من العذاب [3] .

وقول الله تعالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴾[4].

ورد في الآية أسلوبان من أساليب الاستفهام :

الأول : في قول الله تعالى : (فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا...؟)

والأداة فيه : هل مقترنة بالفاء ، والاستفهام حقيقي ، فإنّ الأتباع من الضعفاء يسألون الكبراء ، هل تتحملون عنا نصيباً من النار ؟

الثاني : في قوله تعالى : (سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا؟)

والأداة فيه : الهمزة ، و(أم) المتصلة المعادلة للهمزة ، والمراد منه : التسوية ؛ أي : مستوٍ علينا الجزع والصبر . ويردف عليه التوبيخ العتابي [5].

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٦٩/٢، وروح المعاني ٢٥/٤ والتحرير والتنوير ٤٥/٤ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٤٤ .

(٣) انظر : زاد المسير ٢٠٣/٣ ، وتفسير أبي السعود ٢٢٩/٣ .

(٤) سورة إبراهيم ، آية ٢١ .

(٥) انظر : مغني اللبيب ص٦١ ، والبرهان في علوم القرآن ٣٣٧/٢ ، والإتقان ٤٤٥/٢ وفتح القدير ١٠٣/٣، وروح المعاني ٢٠٧/٣ ، والتحرير والتنوير ٢١٧/١٣ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا؟)

والأداة فيه: ما مقترنة باللام. والمراد منه: الإنكار التوبيخي ؛ حيث أنكروا على جلودهم شهادتها ؛ لكونها جزءاً منهم لا تخف شهادتها عليهم؛ لأنها تنال العذاب كسائر الجسد[2].

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ؟)، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، ومَنْ وأم في قوله : ( أم هي ) : المتصلة . والمراد منه : نفي التسوية بين من يُلقى في النار ومَنْ هو آمن من عذاب الله [4].

وقول الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ؟)

والأداة فيه : الهمزة . والمراد منه : التقرير، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة ؛ أي : تحقق ما أنذرت به الرسل من وجود النار التي تنتظر كل مخالف لأمر الله فحينما يرونها ويُوقفون عليها، ويردف عليه التوبيخ [6].

وقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[1].

---

(١) سورة فصلت ، آية ٢١ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٢٦٧/٢٤ .

(٣) سورة فصلت ، آية ٤٠ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٤ / ٣٠٤ .

(٥) سورة الأحقاف ، آية ٣٤ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٣٦/٢٦ ، وتفسير أبي السعود ٩٠/٨ .

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول في قوله تعالى : (هَلِ ٱمْتَلَأْتِ ؟)

والأداة فيه : هل . والمراد منه : التقرير، كما حمله بعض العلماء على التقرير بمعنى : قد[2] ، والصحيح –والله أعلم – أنه توبيخ لمن أدخلها [3].

الثاني : في قوله تعالى : (هَلْ مِن مَّزِيدٍ ؟)

والأداة فيه : هل . والمراد منه : التعظيم والتهويل وطلب الاستزادة ؛ أي : هل من شيء أزداده؟[4]

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [5].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:(فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ؟)

والأداة فيه : هل مقترنة بالفاء ، والاستفهام حقيقي ، فإن الأتباع من الضعفاء يسألون الكبراء والرؤساء هل تتحملون عنا نصيباً من النار ؟

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾[6].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ( أفسحر ... ) ؟

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء . والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتهكم بهم ، فقد كانوا ينسبون محمداً –ﷺ– إلى السحر، وإلى أنّه يغطي الأبصار بالسحر [7].

---

=

(1) سورة ق ، آية ٣٠ .

(2) انظر : الخصائص ٢٦٣/٣ ، والمحرر الوجيز ١٦٥/٥ ، وفتح القدير ٧٧/٥ .

(3) انظر : زاد المسير ١٩/٨ .

(4) انظر : تفسير الطبري ١٧٠/٢٦ ، الفتاوى ٤٦/١٦ ، وفتح الباري ٥٩٥/٨ .

(5) سورة غافر ، آية ٤٧ .

(6) سورة الطور ، آية ١٥ .

(7) انظر : تفسير البيضاوي ٢٤٥/٥ ؛ وروح المعاني ٣٠/٢٧ .

الثاني : في قوله تعالى : (أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ؟)

و ( أم ) هنا منقطعة تقدر بـــ(بل) والهمزة ! بل أأنتم لا تبصرون . والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : لا تبصرون المرئيات كما هي في الواقع ، فلعلكم تزعمون أنكم لا ترون ناراً كما كنتم في الدنيا تزعمون أن محمداً –ﷺ– ساحر [(١)].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ [(٢)].

الأول : في قوله تعالى : (وَمَآ أَدْرَىٰكَ ؟) والأداة فيه : ما .

الثاني : في قوله تعالى : (مَا سَقَرُ ؟) والأداة فيه : ما ، والمراد منهما : التعظيم والتفخيم والتهويل لشأنها [(٣)].

والاستفهامان في صورة استفهام واحد .

وقول الله تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ [(٤)].

ورد أسلوب الاستفهام : (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟)

والأداة فيه : ما ، والذي يظهر – والله أعلم – أنّ الاستفهام حقيقي فأصحاب اليمين يسألونهم : أيُّ شيء أدخلكم فيها ؟ وبأيِّ ذنب استحققتم دخولها ؟

وقول الله تعالى :﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ [(٥)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (وَمَآ أَدْرَىٰكَ.. ؟)

والأداة فيه : ما ، والمراد منه : التقرير لها بعدم إبهامها ؛ والإشعار بخروجها عن المعهود للتفخيم والتهويل[(٦)].

---

(١) انظر :التحرير والتنوير ٤٤/٢٧ .

(٢) سورة المدثر ، آية ٢٧ .

(٣) انظر : تفسير البيضاوي ٤١٤/٥ ، وروح المعاني ١٢٥/٢٩، وفتح القدير ٣٢٧/٥ .

(٤) سورة المدثر ، آية ٤٢ .

(٥) سورة القارعة ، آية ١٠ .

(٦) روح المعاني ٣٠ /٢٢٢ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ؟)، وقوله : (مَا ٱلۡحُطَمَةُ؟) ، وهما استفهامان في صورة استفهام واحد .

والأداة فيهما : ما . والمراد منه : التعظيم والتهويل لأمرها والتفخيم لشأنها (٢).

وقول الله تعالى : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾ (٣).

صدرت الآيتي بأسلوب الاستفهام : (أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ... ؟ )

والأداة فيه : الهمزة ، و ( أم ) هي المعادلة لهمزة الاستفهام . والمراد منه : التقرير ؛ أي : تقرير قريش والكفار بأنّ ما ذكره الله من نعيم الجنة (٤) خير من طعام أهل النار ، وهي الشجرة الخبيثة الثمار ، ويردف عليه التوبيخ والتهكم (٥).

دلالة الآيات :

دلت الآيات على عظم شأن النار – أعاذنا الله منها – فقد تعدَّدت أسماؤها بياناً لعظم هول عذابها شأنها، وهول عذابها ، وخيبة داخلها ، كما أوضح تعالى في الآيات عذابها وشدته، وطعام ساكنها ، وأنّها نارٌ حامية يدخلها أهل الشرك والكفر ، مخلدين فيها أبد الأباد . أما أهل الفسق والمعصية فهم تحت مشيئة الله ورحمته ، إن شاء عذبهم فيها إلى أمد، ثم أخرجهم منها إلى الجنة ، وإن شاء عفا عنهم وغفر لهم ابتداءً .

ونُجمل دلالات الآيات فيما يلي :

أولاً– أنّ الله تعالى أخبر بتحقق وقوع العذاب ونزوله بمن خالف أمر الله ، فحينئذٍ ينقسم أهل الموقف قسمين : قسم ابيضتَّ وجوههم فهؤلاء أهل الإيمان ، وقسم اسودَّت وجوههم ؛

---

(١) سورة الهمزة ، آية ٥ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٨٤/٢ ، تفسير أبي السعود ١٩٩/٩ ، وروح المعاني ٣٠ /٢٣١ .

(٣) سورة الصافات ، آية ٦٢ .

(٤) كما أخبر الله تعالى في الآيات المتقدمة على هذه الآية : ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ۝ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ... ﴾ الآيات [ الصافات ٤٠ –٦١ ] .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ٤٧٥/٤ ، والبحر المحيط ٣٤٨/٧ ؛ وروح المعاني ٢٣ /٩٥ .

لكفرهم بالله تعالى فيتحقق عذابهم [1]، فإذا عُرضوا على الله تعالى ، وأُوقفوا على النار سُئلوا سؤال تقريع وتوبيخ : ( أليس هذا بالحق ) ؟ ( أفسحرٌ هذا)؟ وقد كذبتم به في الحياة الدنيا وادَّعيتم أنّه لا صحة لذلك في الحياة الدنيا ، وإنّما هو سحر، أم أنكم لا بصيرة لكم ولا علم بل كنتم جاهلين بهذا الأمر ، ولم تقم عليكم الحجة ؟ والجواب : انتفاء الأمرين ؛ أما كونه سحراً فقد ظهر لهم الحق ، وانجلى السحر الذي زعموه ، وأما كونهم لا يبصرون فالأمر بخلاف ذلك ، فقد قامت عليهم الحجة بإنذار رسل الله تعالى لقاء ذلك اليوم [2].

قال ابن القيم –رحمه الله – : أفسحر هذا الآن كما كنتم تقولون للحق لما جاءتكم به الرسل أنّه سحر وأنّهم سحرة ، فهذا الآن سحر لا حقيقة له كما قلتم أم على أبصاركم غشاوة فلا تبصرونها، كما كان عليها غشاوة في الدنيا فلا تبصرون الحق؟ أفعميت أبصاركم اليوم عن رؤية هذا الحق ، كما عميت في الدنيا فلا تبصرون الحق ؟ ثم سلب عنهم نفع البصر الذي كانوا في الدنيا إذا داهمتهم الشدائد، وأحاطت بهم ، لجؤوا إليه، وتعللوا بانقضاء أمدها ، فاصبروا أولا تصبروا كلاهما سواء عليكم ، لا يجدي عنكم الصبر ولا الجزع ، فلا الصبر يخفف عنكم حمل هذا العذاب ، ولا الجزع والسخط يخفضه ... [3].

ثانياً : تعدد أسماء النار :

أ- جهنم: سمى الله تعالى النار بجهنم، والجِهِنام القعر البعيد، وسُميت بذلك لبعد قعرها[4].

فالله تعالى وعد جهنم أنّه سيملؤها من الجِنة والناس أجمعين ، فهو تعالى يأمر بمن يأم ر به إليها ويُلقى وهي تقول : هل من مزيد ؛ أي : هل من شيء أزداده ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله-: تقول : هل من مزيد؟ على سبيل الطلب؛ أي: هل من زيادة تُزاد فيّ، والمزيد ما يزيده الله فيها من الجن والإنس، كما في الصحيحين عن

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٤١/٤ ، وأضواء البيان ٢٠٦/١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٦/ ٣٦ ، ٢٣/٢٧ ، وتفسير البغوي ٢٣٨/٤ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٢/٤ .

(٣) التبيان في أقسام القرآن ص١٧٠ – بتصرف – .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث ٢٥/٢ ( جهنم ) ، ولسان العرب ١١٢/١٢ ( جهنم ) .

أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- أنّه قال: ( يُقال لجهنم: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها ، فتقول : قطٍ قطٍ)[1].

فإذا قالت حسبي حسبي ، كانت قد اكتفت بما أُلقي فيها ، و لم تقل بعد ذلك : هل من مزيد ؟ بل تمتلئ بما فيها لانزواء بعضها إلى بعض ، فإنّ ا لله يضيقها على من فيها لسعتها، فإنّه وعدها ليملأها من الجِنِّ والناس أجمعين ، وهي واسعة فلا تمتلــئ حتى يضيقها على مَنْ فيها[2].

كما أنّ في الآية دلالة واضحة على أنّ النار تتكلم كما صرّح - جلّ وعلا - في الآية بقولها : ( هل من مزيد ) وكما في الحديث المتقدم .

نجد أنَّ الزمخشري وأبا السعود زعما أنّ سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل والتمثيل والمجاز، ولا حقيقة لذلك . فقال الزمخشري - عفا الله عنه - : « وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته » [3] .

ويُجاب عن ذلك أنّ نصوص الكتاب والسنة دلت على أنّ النار تُبصر وتتكلم كما في الآية السابقة ؛ حيث قالت : ( هل من مزيد ) ؟ وكما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾[4].

ولا يجوز صرف ظاهر النصوص إلا لدليل يُوجب صرفها .

قال الشنقيطي -رحمه الله - : واعلم أنّ ما يزعمه كثير من المفسرين وغيرهم من المنتسبين للعلم من أنّ النار لا تبصر ولا تتكلم ولا تغتاظ ، وأنّ ذلك كله من قبيل المجاز أو أنّ

---

(١) أخرجه البخاري - كتاب : التفسير ، باب : ( وتقول هل من مزيد ) [ ٤٨٤٩] انظر : البخاري مع الفتح ، ٨/٥٩٥ ، ومسلم في صحيحه عن أنس - كتاب : الجنة وصفة نعيمها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء - [ ٢٨٤٨] ٤/٢١٨٨ .

(٢) الفتاوى ١٦/٤٦ - ٤٧ .

(٣) الكشاف ٤/٣٩٢ ، وانظر : تفسير أبي السعود ٨/١٣٢ ، وانظر : تنْزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبدالجبار ص٣٩٨ .

(٤) سورة الفرقان ، آية ١٢ .

الذي يفعل ذلك خزنتها ، كله باطل ولا معوّل عليه لمخالفته نصوص الوحي الصحيحة بلا مستند ، وقد أجمع من يعتدُّ به من أهل العلم على أنّ النصوص من الكتاب والسنة لا يجوز صرفها عن ظاهرها إلا لدليل يجب الرجوع إليه كما هو معلوم [1].

وقد تعقب ابن المنير الزمخشري في ذلك ، فقال : (( تقدم إنكاري عليه إطلاق التخييل في غير ما موضع ، والنكير ههنا أشد عليه ... فنقول : هو منكر لفظاً ومعنى ، أما لفظاً : لأنّ التخييل لفظ موهم في حق الله جل وعلا ، أما المعنى : فلأنا نعتقد أن سؤال جهنم وجوابها حقيقية...))[2].

**ب- سقر :**

إنّ الله سمّاها سقر، وسُميت بذلك لأنّها تذيب الأجسام والأرواح ، وهي من قولهم : سقرته الشمس ؛ أي : أذابته واشتدَّ وقعها عليه [3].

وقد توعَّدها الله تعالى الوليد بن المغيرة حينما قال عن القرآن : ﴿ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾[4]. فقال تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾[5]. فمن شأنها أنّها تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم؛ فلا تبقي ولا تذر – أعاذنا الله منها ، وذلك أنّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي – ﷺ– ، فقرأ عليه القرآن فكأنّه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فقال : أيْ عم إنّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ،

---

(١) أضواء البيان ٦/٢٥ – بتصرف يسير – .

(٢) الانتصاف في هامش الكشاف ص١٠٤٧ – بتصرف – .

ونلحظ أن ابن المنير وقع في تناقض حينما أنكر على الزمخشري اطلاق لفظ (التخييل) حيال هذه الآية ، أما الآيات السابقة في إثبات اليدين لله تعالى ونحوها فأنكر عليه لفظ التخييل، أما معناه فوافقه فيه فقال: (( وإنما أراد حمل الأيدي على نوع من المجاز فتمعن كلامه صحيح ؛ لأنا نعتقد فيهما المجاز ، ونُدين الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقي، فلا بأس عليه في معنى إطلاقه، غير أننا مخاطبون باجتناب الألفاظ الموهمة في حق الله تعالى...))، وقد أوردت ما ذكر ؛ لأن ابن المنير أورد كلاماً حول إطلاق لفظ ( التخييل ) وأنه من الألفاظ الموهمة في ذلك الموضع .

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة ٣/٨٦ (شعر) ، ولسان العرب ٤/٣٧٢ ( سقر ) .

(٤) سورة المدثر ، آية ٢٤ .

(٥) سورة المدثر ، آية ٢٦ – ٢٩ .

قال : لِمَ ؟ قال : يعطونكه ؛ فإنك أتيت محمداً تتعرَّض لما قِبَله ، قال : قد علمت قريش أنّي أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يعلم قومك أنّك مُنكر لما ق ال ، وأنك كاره له ؛ إلى أن قال:... ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإنّه ليحطم ما تحته ، وإنّه ليعلو ولا يُعلى ، قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكَّر قال : هذا سحر يأثره عن غيره، ... )) [(١)].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : نزلت الآيات في الوليد بن المغيرة المعاند للحق المبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة ، فذمه الله ذماً لم يذم به غيره ، وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذه ...فقال: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ أي : ما هذا كلام الله بل كلام البشر ، وليس أيضاً كلام البشر الأخيار ، بل كلام الأشرار منهم والفجار من كل كاذب سحَّار، فـتبّاً له ما أبعده من الصواب ، وأحراه بالخسارة والتَّباب ، كيف يدور في الأذهان أو يُتصوّر ضمير أي إنسان أن يكون أعلى الكلام وأعظمه كلام الرب الكريم الماجد العظيم يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين ؟ أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد على وصفه بهذا الوصف لكلام الله ؟ فما حقه إلا العذاب الشديد [(٢)].

كما بين تعالى أنّ سقر دار للمجرمين حينما يسأل أصحاب اليمين عن المجرمين الذين سُلِكُوا في سقر أيَ شيء سلككم في سقر ؟ ذكروا عدة أعمال كانت سبباً لدخولهم النار هي: ترك الصلاة ، وترك الزكاة ، والخوض في الباطل فيما يكره الله ، والتكذيب بيوم البعث والجزاء [(٣)] ، فكانت هذه الأعمال سبباً لدخولهم النار والخلود فيها .

**ج – الحطمة :**

إن الله تعالى سمّاها الحطمة ؛ وسُميت بذلك لأنّها تحطم ما يلقى فيها [(٤)]. وقد توعَّدها الله تعالى من يهمز الناس بفعله ويلمزهم بقوله بالحطمة ، التي هي نا ر موقدة يطَّلع ألمها

---

(١) أخرجه الطبري عن عكرمة ٢٩ /١٥٦ .

(٢) تفسير السعدي ص٨٩٦ – بتصرف يسير – .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٩ /١٦٦ ، وتفسير ابن كثير ٤/٤٤٧ .

(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة ٧٨/٢ ( حطم ) ، وتاج العروس ٥٠٥/٣١ .

ووهجها على القلوب ، فهي نار تكسر وتحطم كل مَنْ يُلقى فيها فهم محبوسون فيها قد أيسوا من الخروج منهما [1].

ثالثاً: أنّ عذابها مقيم لا يمكن دفعه والافتداء حياله إلا من آمن بالله تعالى ووحَّده ؛ ولذلك ذكر الله تعالى أنّ أهل النار يتحاجون في النار ، فيحاول التابعون من الصغار دفع العذاب عنهم ببيان أنّ كفرهم كان بإغواء الكبراء المتبوعين ، فهل أنتم متحمّلون عنّا نصيباً من النار ولو قليلاً؟ فيخبرهم الكبراء عجزهم عن ذلك ، وأنّ نفاذ الحكم الإلهي على الجميع فسواء عليهم صبروا أو لم يصبروا فالأمر سواء [2].

قال ابن القيم – رحمه الله – : « فإنّ الكافر من جحد توحيد الله ، وكذب رسوله إما عناداً أو جهلاً وتقليداً لأهل العناد بهذا ، وإن كان غير معاند فهو متبع لأهل العناد ، وقد أخبر الله تعالى في القرآن في غير موضع بعذاب المقلدين لأسلافهم من الكفار ، وأن الأ تباع مع متبوعيهم ، وأنّهم يتحاجون في النار، وأنّ الأتباع يقولون : ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾... فهذا إخبار من الله وتحذير بأنّ المتبوعين والتابعين اشتركوا و لم يغن عنهم تقليدهم شيئاً » [3].

رابعاً: تحقق وقوع العذاب لأهل النا ر ، فحينما ينادي أهل الجنة أهل النار : يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً في الدنيا على ألسنة رسله من الثواب والنعيم ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من العذاب على كفركم وضلالكم في الحياة الدنيا ؟ فأجابهم أهل النار : نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً [4].

خامساً: شهادة السمع والبصر والجلود على أهل النار بما كانوا يعملون، وخُصت هذه الأعضاء الثلاثة ؛ لأنّ أكثر الذنوب إنما تقع بها أو بسببها، فإذا شهدت عليهم عاتبوها : لم شهدتم علينا ؟ فتجيب بقوله : ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ فليس في إمكاننا

---

(1) انظر : تفسير الطبري ٢٩٤/٣٠ ، وتفسير القرطبي ١٨٤/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٥٤٩/٤ ؛ وأضواء البيان ١٠١/٩ –١٠٢ .

(2) انظر : تفسير ابن كثير ٨٤/٤ ، وتفسير السعدي ص٧٣٩ .

(3) طريق الهجرتين ص٦٠٨ .

(4) انظر : تفسير الطبري ١٨٦/٨ ، وزاد المسير ٢٠٣/٣ .

الامتناع عن الشهادة حين أنطقنا الذي أنطق كل شيء ، فهو الذي خلقهم وخلق صفاتهم ، ومن ذلك النطق والتكلم [1].

قال الطبري – رحمه الله – : وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون : لَمَ شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟ فأجابتهم جلودهم أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ؛ فنطقنا . وهذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله إياها عليهم بما أنكروا من الأفعال التي فعلوها في الدنيا بما يُسخط الله [2].

سادساً: بين الله تعالى خبث طعام أهل النار ، وهو شجرة الز قوم ، وهي شجرة مرَّة كريهة الرائحة ، ولذلك قال تعالى : أهذا الذي أعطيت عبادي المؤمنين من الجنة خير أو ما أعددت لأهل النار. فلمّا أنزل الله تعالى خبر تلك الشجرة لأهل النار ، قال المشركون : كيف ينبت الشجر في النار والنار تحرق الشجر؟ فأخبرهم الله تعالى أنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، وأنّ طلعها كأنَّه رؤوس الشياطين في قبحه[3].

قال ابن القيم –رحمه الله– : ((لَمّا ذكر الله تعالى هذه الشجرة اُفتتن بها الظلمة فقالوا : يكون في النار شجرة والنار تأكل الشجر ؟ ! فأنزل الله عز وجل : ( إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ) فأخبرهم أن غذاءها من النار ؛ أي : غذيت بالنار ، وقد يكون بشجر النار وسلاسل النار ، وأغلالها ، وأنكالها، وعقاربها ، وحياتها من جوهر النار لا تأكله . وإنما دلّنا الله تعالى على الغائب عنده بالحاضر عندنا فالأسماء متفقة الألفاظ والمعاني مختلفة ... والمقصود أنّ هذه الشجرة فتنة لهم في الدنيا بتكذيبهم بها، وفتنة لهم في الآخرة بأكلهم منها))[4].

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٩٦/٤ ، وتفسير السعدي ص٧٤٧ .

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ١٠٧ – بتصرف – .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٦٣/٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٣١٣/٣ ، وتفسير وفتح القدير ٣٩٧/٤ .

(٤) إغاثة اللهفان ١٦٣/٢ ، وانظر : درء التعارض ٦١/٧ .

سابعاً: إن من أسباب دخول النار – أعاذنا الله منها – الإلحاد في آيات الله ، والإلحاد هو الميل عن آيات الله تعالى والعدول عنها بالتكذيب بها ، وقد يكون بالاستهزاء بها مكاء وتصدية ، ويكون بمفارقته لها والعناد ، ويكون بالتحريف والتغيير لمعانيها . ولذلك أخبر الله تعالى عمّا هو فاعل بهم عند ورودهم عليه ، فإنهم يُلْقَوْنَ في نار جهنم . فلا مساواة بين من يأتي يوم القيامة معذباً وبين من يكون آمناً من عذاب الله لإيمانه بالله – جل جلاله – في الحياة الدنيا [1].

---

(1) انظر : تفسير الطبري ٢٤ /١٢٤ .

# الفصل الثاني :

## الإيمان بالقدر

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : مراتب القدر .

المبحث الثاني : الهدايـــة .

المبحث الثالث: إذن الله.

المبحث الرابع : أمر الله.

الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان التي يجب على العبد الإيمان بها ، فعلى كل مؤمن أن يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أ خطأه لم يكن ليصيبه ، فيؤمن ويرضى بأقدار الله تعالى حلوها ومرها .

وفي مطلع هذا الفصل نشير إلى تعريف القدر في اللغة والاصطلاح وأدلته ونشأة الخلاف فيه .

**تعريف القدر في اللغة :**

(( القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته ))[1]، وهو بتسكين الدال وفتحها مع فتح القاف .

(( والقدر بفتح الدال الاسم ، وبسكونها المصدر )) [2].

ويطلق القدر على الحكم والقضاء ، والقدر بتحريك الدال وإسكانها : الطاقة . ويأتي القَدَر بمعنى التضييق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ ﴾[3].

والقَدْرُ : قياس الشيء بالشيء [4].

(( والقدر : قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها )) [5].

**معنى القدر في الشرع :**

الإيمان بالقدر : التصديق الجازم بأنّ الله قدَّر الأشياء في القدم ، وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة ، وكتابته لها قبل كونها ، ومشيئته لها ، وخلقه لها ، فهي تقع حسب ما قدَّرها الله [6].

(( ووجوب الإيمان بالقدر موضع إجماع علماء السنة ، تواترت به أدلة الكتاب والسنة، مّما لا مجال للشك والتردد في إثبات القدر ، ووجوب الإيمان به )) [1].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٦٢ ( قدر ) .

(٢) لسان العرب ٥/ ٧٤ ( قدر ) .

(٣) سورة الفجر ، آية ١٦ .

(٤) انظر : تاج العروس ١٣ / ٣٧٠ - ٣٧٤ ( قدر ) .

(٥) معجم مقاييس اللغة ٥/٦٢ ( قدر ) .

(٦) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ١/١٥٤ ، والواسطية ص٢١ ، وشفاء العليل ص٢٩ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص٣٠٥ ، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ص ٨٩ ، ومعارج القبول ص٩٢٠ ، والكواشف الجليلة عن معاني الواسطية ص٥١ ، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص٢٢٦ .

وقد استفاضت الأدلة من الكتاب والسنة الموجبة للإيمان بالقدر إجمالاً وتفصيلاً، فمن القرآن قول الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (٢).

أي: (( قدَّر كل شيء تقديرًا من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق))(٣).

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤).

قال ابن كثير – رحمه الله – : (( يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه )) (٥).

وقول الله تعالى : ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾ (٦).

أي : (( جاء موسى – عليه السلام – موافقًا لقدر الله تعالى وإرادته على غير ميعاد . والأمر كله لله تبارك وتعالى ، هو المسير عباده وخلقه فيما يشاء )) (٧).

وجاء في حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : ( قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت ... ) (٨).

**والإيمان بالقدر على درجتين :**

**الدرجة الأولى** : الإيمان بأنّ الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق (٩).

---

=

(١) الإبانة لابن بطة ١ / ١٤٩ .

(٢) سورة الفرقان ، آية ١ ، ٢ .

(٣) تفسير البغوي ٣/٣٦٠ .

(٤) سورة القمر ، آية ٤٩ .

(٥) تفسير ابن كثير ٤/٢٦٨ .

(٦) سورة طه ، ٤٠ .

(٧) تفسير ابن كثير ٣ / ١٥٤ .

(٨) تقدم تخريجه ص٤٠١ من البحث نفسه .

(٩) انظر : الواسطية ص ٣٥ – ٣٨ ، وشفاء العليل ص ٢٩ .

**الدرجة الثانية** : هي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه [1].

فالإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بمراتبه الأربع :

١ -العلم .

٢ -الكتابة .

٣ -المشيئة .

٤ -الخلق .

وسيأتي بيانها في موضعها من هذا الفصل .

و لم يقع خلاف في عهد الرسول -ﷺ- في أمر القدر، بل حال الصحابة التسليم التام لله ولرسوله ، وهو الحال في عهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - من الإيمان وعدم الخوض والجدال فيه . وأوَّل من قال بالقدر (( مَعْبد الجهني )) [2] كما روى الإمام مسلم في صحيحه عن يحيى بن يعمر [3] قال : (( كان أوَّل من قال في القدر بالبصرة معبد الْ جُهني ، فانطلقت أنا وحُميد بن عبدالرحمن الحميري [4] حاجَّين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله - ﷺ- فسألناه عمّا يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته[5] أنا وصاحبي ، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن

---

(١) الواسطية ص٣٥-٣٤ ، وشفاء العليل ص٢٩ .

(٢) هو معبد بن عبدالله بن عويم الجهني البصري ، سمع الحديث من ابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية، وغيرهم ، قال عنه الذهبي : (( صدوق في نفسه ، ولكن سن سنة سيئة ، فكان أوَّل من تكلم بالقدر )) ، قُتل معبد عام ٨٠هـ . انظر : ميزان الاعتدال ٤٦٥/٦ ، والعبر ٩٢/١ ، والبداية والنهاية ٣٤/٩ ، وشذرات الذهب ٨٨/١ .

(٣) يحيى بن يَعْمَر البصري تابعي ثقة ، ولي قضاء مرو ، روى عن كثير من الصحابة كعثمان ، وعلي ، وعمار وغيرهم، كان من فصحاء أهل زمانه ، وأكثرهم علمًا باللغة مع الورع الشديد ، توفي سنة ١٢٩هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٣٠٦/١١ .

(٤) حُميد بن عبدالرحمن الحمْيري ، البصري ، تابعي ثقة ، روى عن أبي بكرة وأبي هريرة وابن عباس - رضي الله عنهم - وغيرهم ، كان فقيهًا عالمًا ، انظر : تهذيب التهذيب ٤٥/٣ - ٤٦ .

(٥) أي : صرنا في ناحيتيه، وقد فسرها بقوله: (( فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله)) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ١٥٥/١ .

أن صاحبي سيكل الأمر إليّ ، فقلت : أبا عبدالرحمن إنّه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون[1] العلم ، ... وأنهم يزعمون ألاَّ قدر وأنّ الأمر أُنف ... ) [2].

فهؤلاء القدرية أنكروا علم الله السابق بالأمور ؛ حيث زعموا أن الأمر أُنف ؛ أي: مستأنف لم يسبق لله – تعالى – به علم .

يقول شيخ الإسلام : (( وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين ... في أواخر عصر عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عباس وغيرهما من الصحابة ، وكان أوَّل من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني ، ف لَمَّا بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرؤ وا منهم، وأنكروا مقالتهم ،كما قال عبدالله بن عمر لما أُخبر عنهم : وإذا لقيت أولئك فأخبرهم : أنّي بريء منهم وأنّهم بُراء مني ، وكذلك كلام ابن عباس ، وجابر بن عبدالله ، وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين فيهم كثير، حتى قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم : إن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون )) [3].

ويقول ابن القيم –رحمه الله–: (( ثمّ نبغ في أواخر عهد الصحابة القدرية مجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر وأنّ الأمر أُنف ، فمن شاء هدى نفسه ومن شاء أضلَّها ... ثم جاء خلف هذا السلف –أي : المعتزلة– فقرَّروا ما أسسه أولئك من نفي القدر وسمّوه عدلاً ..))[4].

وهؤلاء لم يكن لهم أتباع على مذهبهم، بل انقرضوا إلا أنّ المعتزلة تلقوا مقولتهم في نفي القدر، وأسسوا مذهبهم، فلم يُنكروا العلم والكتابة كما سيأتي .

ثمَّ تطور الخلاف في القدر بين الفرَقِ على أقوال نُجملها في ما يلي :

القول الأول :

الجبرية حيث زعموا : أنّ العباد مجبورون على أعمالهم ، فلا قدرة لهم ، ولا إرادة ، ولا اختيار ، والله تعالى هو خالق أفعال العباد ، وإنما تُنسب إليهم مجازًا ، كما يقال : زالت

---

(١) أي: يطلبونه ويتتبعونه ، هذا هو المشهور ، وقيل : يجمعونه. انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ١/١٥٥.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٠١ .

(٣) الفتاوى ٨/ ٤٥٠ ، وانظر : الفرق بين الفرق ص١٤ ، ودرء التعارض ٩/٣٩٦ ، وبيان تلبيس الجهمية ١/٤٧٤ .

(٤) شفاء العليل ص٣ .

الشمس، ودارت الرحى ، وأثمرت الشجرة ، وهذا هو مذهب الجهم بن صفوان، وهو أشهـــر من قال بالجبر [(1)].

القول الثاني :

مذهب المعتزلة الذين زعموا أنّ الله تعالى لا يخلق أفعال العباد ، وإنَّما العباد هم الخالقون لها، فهم ينكرون مرتبتي الإرادة والخلق، فينفونها عن الله، ويثبتونها للعبد، وسمّوا ذلك عدلاً.

يقول القاضي عبدالجبار:((إنّ أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنّهم المحدِثون لها، وتحريرها: هو أنَّ هذه التصرفات يجب وقوعها بحسب قصـ ودنا ودواعينا ، ويجب انتفاؤها بحسب كراهتنا... )) [(2)].

وزعموا أنّ الله تعالى لو كان الفاعل لأعمالهم ، الخالق لها ، لم يخاطبهم و لم يعظهم ، و لم يلمهم على ما كان من التقصير ، و لم يمدحهم على ما كان منهم من جميل وحسن[(3)].

القول الثالث :

قول جمهور الأشاعرة حيث قالوا : إنّ الله تعالى خالق أفعال العباد ، وهي كسب للعباد، وعلى ذلك يترتب الثواب والعقاب ، ولا تأثير لقدرة العبد في الفعل .

قال أبو الحسن الأشعري : (( لا تأثير للقدرة الحادثة في الإحداث ، ... غير أنّ الله تعالى أجرى سننه بأن يحقق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرَّد له ، ويُسمَّى هذا الفعل كسبًا ، فيكون خلقًا من الله – تعالى – : إبداعاً وإحداثًا ، وكسبًا من العبد : حصولا تحت قدرته )) [(4)].

---

(1) انظر : مقالات الإسلاميين ١/٢٧٩ ، والفرق بين الفرق ص١٩٩ ، والملك والنحل للشهرستاني ١/٨٧.

(2) متشابه القرآن ص ٣٣٦ ، وانظر : المحيط بالتكليف ص٣٤٠ .

(3) انظر : العدل والتوحيد ونفي التشبيه عن الله الواحد الحميد للرسي ١/١١٨ ، وإنقاذ البشر من الجبر والقدر للمرتضي ١/٢٧٤ . الكتابان : ضمن – رسائل العدل والتوحيد – .

(4) الملل والنحل للشهرستاني ١/٩٦–٩٩، وانظر : مجرد مقالات أبي الحسن ص٩٣ ، ونهاية إقدام العقول ص ٧٢ – ٧٧، وشرح جوهرة التوحيد ص٩٩؛ وهذا رأي جمهور الأشاعرة ، فالباقلاني يخالف أبا الحسن؛ حيث ذكر أن المؤثر في الفعل قدرتان: قدرة الله تتعلق بأصل الفعل، وقدرة العبد تتعلق بصفته؛ أي : كونه طاعة أو معصية. انظر: الإنصاف ص٧٠ – ٧١، والجويني في الإرشاد يوافق جمهور الأشاعرة انظر: شرح الإرشاد ص٣٩٥، بينما رجع الجويني للمذهب الحق في كتابه العقيدة النظامية ص ٤٦ – ٤٨ ، وقد ذكر الشهرستاني خلاف الأشاعرة في ذلك .

فمذهبهم أنّ قدرة العبد غير مؤثرة في حدوث الفعل، فهم بذلك لم يكونوا بعيدين عن مذهب الجبرية .

القول الرابع : مذهب الماتريدية :

مذهب الماتريدية كمذهب الأشاعرة ، أنَّ الله تعالى خالق أفعال العباد ، وهي كسب لهم، إلا أنّ للعباد إرادة وقصداً غير مخلوقة ، فإذا أراد العبد وصمم على أداء الفعل خلق الله تعالى الفعل بناء على ذلك الاختيار من العبد .

قال الماتريدي -رحمه الله- : (( إنّ حقيقة ذلك الفعل الذي هو للعباد من طريق الكسب، ولله من طريق الخلق )) [1].

ويوضح مذهبهم البياضي [2] -رحمه الله - بقوله: (( جرت عادته تعالى أنّا متى قصدنا الحركة الاختيارية قصدًا جازمًا من غير اضطرار إلى القصد يخلق الله تعالى عقيبه الحالة المذكورة الاختيارية ، وإن لم نقصد لم يخلق ...)) [3].

فمذهبهم أن للعبد إرادة غير مخلوقة ، فالعباد يتصرفون بإرادتهم باستقلال كما يشاؤون بخلاف الأشاعرة الذين يرون أن الله هو الذي يوجه إرادة العبد، ولا اختيار للعبد في أفعاله.

وقد خالف هؤلاء الكتاب والسنة ، فالله تعالى هو خالق فعل العبد ، والعبد فاعل حقيقة، مختار مريد لما يفعله ، فإذا تأمّلنا نصوص الكتاب والسنة نجدها تثبت أن الله تعالى هو الخالق ، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ويشاء، كما أنّ الله تعالى منح الإنسان القدرة والإرادة التي يستطيع فيها فعل الإيمان والكفر وسائر أفعاله ، لكنها خاضعة لمشيئته تعالى، ولا تخرج عن كونها مخلوقة مفعولة لله تعالى .

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الله تعالى خالق كل شيء ، ومن ذلك أفعال العباد، وأنّ العبد لا يخلق فعله استقلالاً من طاعة ومعصية وإيمان وكفر ، كل ذلك خلق الله تعالى، وهو فعل العبد ، ونُجمل الرد على المخالفين من وجهين :

---

(١) التوحيد للماتريدي ص ٢٢٨ ، وانظر : التمهيد لأبي المعين النسفي ص ٦٧ - ٧٠ .

(٢) هو : أحمد بن حسن البياضي ، القاضي ، بوسنوي الأصل ، من علماء الماتريدة ، له مصنفات منها : ( إرشاد المرام ) في فقه الحنفية ، و( سوانح العلوم ) ، توفي سنة ١٠٩٨هـ .
انظر : الأعلام للزركلي ١١٢/١ .

(٣) إشارات المرام ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

١ أن العبد لا يُجبر على فعله من طاعة ومعصية ، وإنّما منح الله تعالى العبد القدرة والإرادة التي يفعل بها أفعاله، وهي خاضعة لمشيئة الله تعالى .

كما قال الله تعالى : ﴿ **جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾ [(١)].

أي : بسبب أعمالكم، والله تعالى خالق الأسباب والمسببات ، وقوله الله تعالى : ﴿ **فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ** ﴾ [(٢)].

وقد علَّق الله تعالى الإيمان والكفر على أفعالهم ، ممّا يدل على أنّ للعبد اختياراً ومشيئة ، وإن كانت تخضع لمشيئة الله تعالى .

فالله تعالى خلق العبد على (( نشأة وصفة يتمكن بها من إحداث إرادته وأفعاله ، وتلك النشأة بمشيئة الله وقدرته وتكوينه ، فهو الذي خلقه وكوَّنه كذلك ، وهو لم يجعل نفسه كذلك، بل خالقه وباريه جعله محدثًا لإرادته وأفعاله ، وبذلك أمره ونهاه ، وأقام عليه حجته ، وعرَّضه للثواب والعقاب، فأمره بما هو مُتمكّن من إحداثه ، ونهاه عمّا هو متمكن من تركه ، ورتب ثوابه وعقابه على هذه الأفعال والتروك التي مكَّنه منها وأَقْدَره عليها ... فالرب أعطاه مشيئة ، وقدرة ، وإرادة ، وعرَّفه ما ينفعه وما يضره ، وأمره أن يُجري مشيئته وإرادته وقدرته في الطريق التي يصل بها إلى غاية صلاحه ... )) [(٣)].

فأفعال العباد هي أفعالهم حقيقة ، وهي مخلوقة لله تعالى ، ومن ذلك إرادتهم ، لا كما زعمت الماتريدية من أنّ الإرادة من فعل العبد استقلالاً .

كما أنَّ دعوى الكسب للعبد عند الأشاعرة دعوى باطلة لا حقيقة لها ، فقد زعموا أن للعبد قدرة غير مؤثرة في حدوث الفعل ، فهم بذلك يوافقون الجبرية الغلاة ، وإن لم يصرحوا بذلك. فالعبد له قدرة واختيار مؤثر في حدوث الفعل تخضع لمشيئته الله تعالى كما تقدم بيانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : (( والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر ، والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى : ﴿ **لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝**

---

(١) سورة السجدة ، آية ١٧ .

(٢) سورة الكهف ، آية ٢٩ .

(٣) شفاء العليل ص ١٣٧ .

وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [(١)]))[(٢)].

٢ -إنّ الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد ، والعباد فاعلون مختارون لأفعالهم ، والله تعالى خالق لأفعالهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [(٣)].

فالهدى والضلال بيد الله يمنحها من يشاء .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[(٤)].

فأفعال العباد وكل ما في الكون هو خلق الله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [(٥)].

فلا مشيئة للعبد استقلالاً ، وإنّما مشيئته خاضعة لمشيئة الله تعالى .

قال ابن القيم -رحمه الله- : ((ومعاذ الله والله أكبر وأجلّ وأعظم وأعزّ أن يكون في عبده شيء غير مخلوق له ، ولا هو داخل تحت قدر ته ومشيئته ، فما قَدَر الله حق قدره مَنْ زعم ذلك، ولا عَرَفه حق معرفته، ولا عظَّمه حق تعظيمه، بل العبد جسمه وروحه وصفاته وأفعاله ودواعيه ، وكلُّ ذرة فيه مخلوق لله خلقًا تصرف به في عبده ... فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ...)) [(٦)].

(١) سورة التكوير ، آية ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) الفتاوى ٣/١٥٠ ، وانظر : الواسطية ص ٣٨ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ١٢٥ .

(٤) سورة الرعد ، آية ١٦ .

(٥) سورة التكوير ، آية ، ٢٩ .

(٦) شفاء العليل ص ١٤٤ .

# المبحث الأول
# مراتب القدر

وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : العلم .
المطلب الثاني : الإرادة والمشيئة .
المطلب الثالث : الكتابة .
المطلب الرابع : الخلق .

إن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بمراتبه الأربع : العلم ، والكتابة ، والمشيئة ، والخلق ، ومن لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر ، وقد وردت النصوص مفصلة بالدلالة على كل مرتبة .

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( الباب العاشر : في مراتب القدر التي مَنْ لم يؤمن به ا لم يؤمن بالقضاء والقدر ، وهي أربع مراتب :

المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة : مشيئته لها .

المرتبة الرابعة : خلقه لها )) [1].

وقد وردت مراتب القدر في مواطن من القرآن الكريم منها ماورد بأسلوب الاستفهام :

(1) شفاء العليل ص ٥٥ .

## المطلب الأول : مرتبة العلم :

**العلم في اللغة :**

العلم نقيض الجهل ، يُقال : (( عَلِم يعلم عِلمًا نقيض جهل ، ورجلٌ علاّمة وعلاّم وعليم)) (١).

ورجل عالمٌ من قوم علماء وعالمين ، والعالم والعليم واحد .

والمعلوم : ما أدركه علمُك (٢).

**تعريف العلم في الشرع :**

أن الله تعالى علم بعلمه القديم ما الخلق عاملون ، والعلم صفة يتصف بها الرب أزلاً وأبدًا.

فيجب الإيمان بعلم الله – تعالى- المحيط بكل شيء (٣)، وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على تلك المرتبة :

يقول الله تعالى : ﴿ **وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ** ﴾ (٤).

وقد فسرَّ النبي –ﷺ- مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ** ﴾ (٥)(٦).

وفي الحديث عن عمران بن حصين(٧) –رضي الله عنه– قال : ( قال رجل: يا رسول

---

(١) العين ٢/١٥٢ ( علم ) .

(٢) انظر : جمهرة اللغة ٢ / ٩٤٨ ( علم ) .

(٣) انظر : رسالة في تحقيق مسألة علم الله لابن تيمية ص ١٨٣ ، وشفاء العليل ص ٥٥ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٥٩ .

(٥) الحديث أخرجه البخاري عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي – ﷺ- قال : مفاتيح الغيب خمس ، ثم تلى الآية – كتاب التفسير ، باب : مفاتيح الغيب – [ ٤٦٢٧] انظر : البخاري مع الفتح ٨/٢٩١ .

(٦) سورة لقمان ، آية ٣٤ .

(٧) هو – الصحابي الجليل – عمران بن حُصين بن عُبيد الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر ، وغزا مع رسول الله =

الله –ﷺ– أُعلِمَ أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم ، قال : ففيم يعمل العاملون ؟ قال : كلٌّ مُيسَّر لما خلق له )[(١)].

فالمصطفى – ﷺ– أخبر بأنّه قد عُلم أهل الجنة ، وعُلم أهل النار ، وهذا يدل على سعة علم الله تعالى .

وقد قرّر الله تعالى علمه التام في مواطن من كتابه ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ** ﴾ [(٢)].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ **أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ** ؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والاستهزاء ، فقد أنكروا أن يكون هؤلاء الضعفاء سبقوهم بفضيلة [(٣)].

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ** ؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بسعة علم الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافيه [(٤)].

وقول الله تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [(٥)].

=

– ﷺ– بعض الغزوات . وبعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ؛ ليفقه أهلها ، كان من فضلاء الصحابة ، توفي سنة ٥٢هـــ بالبصرة . انظر : أسد الغابة ٢٧٠/٤ ، والإصابة ٢٦/٣ .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب: جف القلم [٦٥٩٦] انظر: البخاري مع الفتح ٤٩١/١١، ومسلم في صحيحه ، واللفظ له ، كتاب : القدر ، باب : كيفية الخلق [ ٢٦٤٩] ٢٠٤١/٤.

(٢) سورة الأنعام ، آية ٥٣ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٠٧/٧ ، وزاد المسير ٤٧/٣ ، والبحر المحيط ١٤٢/٤ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٤٣٤/٦ ، والبحر المحيط ١٤٢/٤ .

(٥) سورة التوبة ، آية ١٦ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ...؟ ﴾

و(أم) هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة أي : بل أحسبتم ، وا لمراد منه : الإنكار التوبيخي أي: أحسبتم أن تتركوا على ما أنتم عليه، فلا تبتلوا بما يمحصكم فتبين المخلص من غيره[1].

وقـول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [2].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ...؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ (لم) ، والمراد منه : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بسعة علم الله تعا لى وكماله ، ويردف عليه التوبيخ [3] لهؤلاء المنافقين على نقضهم العهود مع الله تعالى .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

ورد أسلوب الاستفهام في عجز الآية: ﴿ ... أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ؟﴾

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : التقرير؛ فالله تعالى لا يخفى عليه خافية من شؤون الخلق [5].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على إثبات مرتبة العلم ، وأنَّ الله تعا لى متصف بصفة العلم أزلاً وأبدًا، وتتضح دلالتها من وجوه :

(١) انظر: الكشاف٢/٢٤٠، وتفسير أبي السعود ٤/٤٩، وفتح القدير٢/٣٤٢، والتحرير والتنوير ١٠/١٣٧.

(٢) سورة التوبة ، آية ٧٨ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٨/٢١٤ ، وقد ذكر أبو السعود أن المراد منه : الإنكار والتوبيخ ، وتبعه ابن عاشور . انظر : تفسير أبي السعود ٤/٨٦ ، والتحرير والتنوير ١٠/٢٤٦ .

(٤) سورة العنكبوت ، آية ١٠ .

(٥) يرى ابن عاشور أن الاستفهام للإنكار عليهم ، ويمكن حمله على التقرير إذا كان الخطاب للنبي – ﷺ – . انظر : التحرير والتنوير ٢٠ /٢١٧ .

١-أنّ الله تعالى قرن بين العلم والتخصيص ؛ فقد بين تعالى أنّه أعلم بالشاكرين فقال: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ؟ ﴾ ، فالله تعالى أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه ، كما هو أعلم حيث يجعل رسالته ، وكما أنه ليس كل محلّ أهلاً لتحمّل الرسالة عنه وأدائها إلى الخلق ، ليس كل محلّ أهلاً لقبولها والتصديق بها ،فقد أخبر تعالى عن حال ا لسادة والضعفاء ، إذ ابتلى بعضهم ببعض، فابتلى الرؤساء بالأتباع والموالي والضعفاء ، فإذا نظر الرئس والمطاع إلى المولى والضعيف أنف أن يُسْلم، وقال : هذا يمنّ الله عليه بالهدى دو ني ، فقرّر الله تعالى كمال علمه بمنْ يعرف النعمة وقدْرها ، ويشكر الله عليها بالذل والخضوع وا لعبودية ، فلو كانت قلوبكم مثلَ قلوبهم تعرفون قَ دْر نعمتي وتشكروني عليها لمننت عليكم كما مننت عليهم [١].

٢-أنّ الله تعالى بين الحكمة من فرضية الجهاد ، وهو أن يتبين المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب، فيعلم من جاهد في سبيله لإ ع لاء كلمته ، و لم يتخذ بطانة وول يًّمن الكافرين ، وإنّما وليّه الله ورسوله.

قال ابن كثير - رحمه الله - : « والحاصل أنّه تعالى لَمّ ا شرع الجهاد بين أنّ له فيه حكمة، وهو اختبار عبيده من يطيعه ممّن يعصيه ، وهو تعالى العالم بما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فيعلم الشيء قبل ك ونه ومع كونه على ما هو عليه ، لا إله إلا هو، ولا رب سواه ، ولا رادَّ لما قدّره وأمضاه » [٢].

٣-قرّر الله تعالى كمال علمه وسعته ، فهو الذي يعلم السر وأخفى وأعلم بضمائر الخلق من أنفسهم، فهو تعالى علاّم الغيوب . فقد فضح الله المنافقين الذين عاهدوا الله تعالى إن رزقهم المال ليتصدقوا وليكونوا من الصالحين ، فلمّا رزقهم الله تعالى من فضله بخلوا وأعرضوا عن إنفاق ما أمرهم الله تعالى به .

فعاقبهـــم الله تعالى بهذا الصنيع نفاقًا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقونه ، كما قال تعـــالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ

---

(١) شفاء العليل ص ٥٩ - بتصرف - .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٢٤/٢ .

يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ...﴾[1][2].

كما بيّن الله تعالى لوناً آخر من ألوان النفاق ، فهناك قوم من المكذبين الذين يدّعون الإيمان بألسنتهم، و لم يثبت الإيمان في قلوبهم، فإذا نزلت بهم محنة وفتنة في الدنيا ارتدَّ عن دينه، وإذا جاء نصرٌ من الله وفتح وغنائم قالوا : إنا إخوانكم في الدين، فأنكر الله تعالى هذا الكفر منهم ببيان كمال علمه تعالى ، فهو يعلم ما في قلوبهم وما تكنّه صدورهم من الكفر ، وإن أظهروا لكم الموافقة في الظاهر . فكيف يُخادعون من لا تخفى عليه خافية ؟ ولا يستتر عنه سر ولا علانية [3].

(١) سورة التوبة ، آية ٧٥ ، ٧٨ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣٥٥/٢ ، وتفسير السعدي ص ٣٤٥ .

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٣/٢٠ ، وتفسير ابن كثير ٢٧٨/٣ ، وتفسير السعدي ص ٦٢٧ .

## المطلب الثاني : الكتابة

**تعريف الكتابة في اللغة :**

« الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء ، من ذلك الكتاب والكتابة » [1]، يقال : كتب الشيء يكتبه كتبًا وكتاباً ، وكتبه : خطّه ، واكتتبه : استملاه ، والكتاب : ما كُتب فيه [2].

**تعريف الكتابة في الشرع :**

هي إن الله تعالى كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ [3].

كما قال الله تعالى : ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [4].

والمقصود بالكتاب هنا اللوح المحفوظ على أحد الوجهين [5].

**المقادير الخمسة المتعلقة بمرتبة العلم والكتابة :**

١–التقدير وكتابة المقادير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة عندما خلق الله القلم.

٢–التقدير حين أخذ الميثاق على بني آدم، وهم على ظهر أبيهم، وسيأتي في موضعه[6].

٣–التقدير العمري عند أوّل تخليق النطفة ، ودليله حديث ابن مسعود – رضي الله عنه– قال: حدثنا رسول الله – ﷺ– وهو الصادق المصدوق : (إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكًا بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فوالله الذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٥٨/٥ ( كتب ) .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٧٧٥/٦ – ٧٧٦ .

(٣) انظر : شفاء العليل ص ٧٣ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٣٨ .

(٥) شفاء العليل ص ٧٥ .

(٦) انظر ص ٧٤٩ من البحث نفسه .

حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[1].

٤-التقدير الحولي في ليلة القدر، ودليله قوله تعالى : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [2].

أي : يُقضى في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة وغيرها من المقادير إلى السنة [3].

٥-التقدير اليومي ، ودليله قوله تعالى : ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ [4][5].

أي : ((كل يوم في شأن خلقه فيفرج كرب ذي كرب ، ويرفع قومًا ، ويخفض آخرين وغير ذلك من شؤون خلقه )) [6].

وقد وردت مرتبة الكتابه في مواطن من كتابه ، منها ماورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** ﴾[7].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ..؟ ﴾.

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : التقرير [8]، فقد أقرّوا بربوبيه الله تعالى ، وشهدوا على على ذلك .

وقول الله تعالى : ﴿ **قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا**

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب : القدر ، الباب الأوّل - [ ٦٥٩٤] انظر : البخاري مع الفتح ٤٧٧/١١ .
ومسلم في صحيحه ، كتاب : القدر ، باب: كيفيةِ الخلق الآدمي في بطن أمه ... [٩٦٤٣] ٢٠٣٦/٤.

(٢) سورة الدخان ، آية ٤ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٠٩/٢٥ .

(٤) سورة الرحمن ، آية ٢٩ .

(٥) انظر : المقادير الخمسة شفاء العليل ص ١١، ١٥ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٢ .

(٦) تفسير الطبري ٢٧ /١٣٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٣٧٠/٤ .

(٧) سورة الأعراف ، آية ١٧٢ .

(٨) انظر : مغني اللبيب ص١٥٣ ، والبرهان في علوم القرآن ٢٦٢/٤ ، والإتقان ٤٦٦/٢ .

يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ...؟﴾

والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء .

والمراد منه : الاستبعاد والتعجيز والمغالطة لموسى -عليه السلام-، فلمَّا خاف فرعون أن يُظهر موسى لقومه أنّه قد قهره بالحجة[2] قال : ما حال القرون الأولى ؟

أي : ما شأهم ، وما خبرهم ؟ وقد سبقونا إلى الإنكار ، والكفر ، والعناد ، ولنا فيهم أسوة ؟ [3].

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [4].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه : التقرير وهو التحقيق والإثبات؛ أي[5]: ألم تعلم يا محمد أنّ الله يعلم كل ما في السماوات السبع والأرضين السبع لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا ، فمجازيهم : المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته [6].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على المرتبة الثانية من مراتب القدر ، وهي مرتبة الكتابة، ويتضح ذلك من وجوه:

١-فرعون لمَّا سأل موسى -عليه السلام- ما شأن الأمم الماضية من قبلنا لَمَ لَمْ تعبد الله وتقر بما تدعو إليه ، بل عبدت الأوثان من دونه ؟ فأجابه موسى - عليه السلام- أنّ أحوال

---

(١) سورة طه ، الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

(٢) انظر : التسهيل لعلوم التنْزيل ٣/٢٤ ، وفتح القدير ٣/٣٦٩ ، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢٣٤ .

(٣) تفسير السعدي ص ٥٠٧ .

(٤) سورة الحج ، آية ٧٠ .

(٥) انظر : التحرير والتنوير ١٧/٣٣١ .

(٦) تفسير الطبري ١٧ / ٢٠٠ .

الأمم التي قبلنا علمها عند الله تعالى في أم الكتاب ، فقد كتب فيه شأن الأمم، ومن ضل منهم عن دين الله دون تفريط أو نسيان [1].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله- : ((فقال موسى: ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾؛ أي: قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، وأحاط به علمًا وخبرًا، فلا يضل عنه شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها))[2].

٢-أن آية الحج دلت على مرتبتي : العلم والكتابة . فقرّر تعالى عباده بإحاطة علمه ما في السموات والأرض، فلا يخفى عليه خافية ، ثم إنّ ذلك العلم المحيط بما في السماء والأرض قد أثبته الله تعالى في اللوح المحفوظ الذي كتب الله تعالى فيه مقادير الخلائق إلى يوم القيامة، ثمّ بين تعالى أنّ كتابة المقادير التي أمر الله القلم أن يكتبها في اللوح المحفوظ يسيرة هينة[3].

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( وهو سبحانه قد أحاط علمًا بذلك كلّه قبل السموات والأرض ، وقدَّره وكَتبه عنده، ثم يأمر ملائكته بكتابة ذلك من الكتاب الأول قبل خلق العبد، فيطابق حاله وشأنه لما كتب في الكتاب ، ولم ا كتبته الملائكة ، لا يزيد شيئاً ولا ينقص مِ مّا كتبه سبحانه وأثبته عنده ، وكان في علمه قبل أن يكتبه ، ثم كتبه كما في علمه ، ثم وُجد كما كتبه ... والله سبحانه قد علم قبل أن يوُجِد عباده أحوالهم ، وما هم عاملون وما هم إليه صائرون ، ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليُظهر معلومه الذي علمه فيهم كما عَلمِه )) [4].

٣-دلت آية الأعراف على التقدير حين أخذ الميثاق على بني آدم وهم على ظهر أبيهم آدم .

ودليله حديث عمر بن الخطاب حين سئل عن هذه الآية ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ .. ﴾ الآية، فقال: سمعت رسول الله -ﷺ- سُئل عنها فقال:(إنّ الله خلق آدم -عليه السلام- ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته، قال : خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون ، فقال رجل :

---

(١) تفسير الطبري ١٨ / ٣١٨ .

(٢) تفسير السعدي ص ٥٠٧ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٨ / ٦٨٢ ، وتفسير السعدي ص ٥٤٥ .

(٤) شفاء العليل ص ٦٥ .

يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال رسول الله - ﷺ -: إنّ الله -عز وجل- إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النّار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار؛ فيدخل النار ) [1].

وقد اختلف أهل العلم في ذلك الميثاق على قولين :

القول الأول :

أنّ الله تعالى استخرج ذرية آدم من أصلابهم ، ثمّ استنطقهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، ثم ميّزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال . وذلك الاستنطاق بلسان المقال وهذا الميثاق وحده لا تقوم به الحجة عليهم ، وإنّما أرسل الله تعالى الرسل ، وأنزل الكتب مذكّرة به ، وعليها مناط التكليف .

القول الثاني :

أن المراد بالميثاق الفطرة التي فطر الله تعالى بني آدم عليها من الإقرار بأنّه ربهم ومليكهم، والمعنى : أوجدهم شاهدين بلسان الحال أنه ربهم [2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- : (( ففيها - أي الأحاديث - إثبات القدر ، وأنّ الله علم ما سيكون قبل أن يكون ، وعلم الشقي والسعيد من ذرية آدم ... أما نطقهم فليس في شيء من الأحاديث المرفوعة الثابتة )) [3].

وقد ذكر القولين ورجح القول الثاني منهما أن المراد به : إقرارهم بربوبية الله تعالى وشهادتهم بأنه ربهم وهم مخلوقون له، وهذا أمر فطري ضروري لا ينفك عنه مخلوق .

وإذا تأمّلنا الآية ففيها دلالة واضحة على أنّ الميثاق الذي أخذ عليهم كان بلسان المقال؛ حيث إنّ الله تعالى استنطق الذرية: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُواْ بَلَىٰ﴾، فأجابوا بلسان المقال: بلى. كما دلت على ذلك الأحاديث من السنة ، منها ما رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب -

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٤/١، وأبو داود في السنن، كتاب: السنة، باب: القدر [ ٤٧٠٣] ٢٢٦/٤، والترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الأعراف[٣٠٧٥]٢٦٦/٥، وقال:((هذا حديث حسن صحيح))، قال الألباني: ((صحيح لغيره إلا مسح الظهر لم أجد شاهده)) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٥٦ .

(2) انظر - القولين - : زاد المسير ٥٨٥/٢ ، وتفسير القرطبي ٣١٤/٧ ، وشفاء العليل ص ١٥-٢٢ ، وتفسير ابن كثير ٢٤٩/٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٦ .

(3) درء التعارض ٨/ ٤٨٤ .

رضي الله عنه- أنه سئل عن هذه الآية ، فقالت : سمعت رسول الله -ﷺ- سئل عنها، فقال: (إنّ الله خلق آدم - عليه السلام- ثم مسح ظهره بيمينه...) الحديث الذي تقدم ذكره ، فقد فسرَّ الإشهاد بأنّه وقع عندما أُخذت الذرية وهم في عالم الذر .

وحديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: ( يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة : لو أن ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به ؟ ؛ فيقول : نعم، فيقول : أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم : ألا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي شيئا )[1].

وقد دلَّ الحديث على الإشهاد والأخذ من صلب آدم .

وما روى الإمام أحمد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال: (أخذ الله الميثاق من ظهر آدم - عليه السلام- بنَعْمَان يعني عرفة ، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها ، فنثرها بين يديه كالذر ثم كلمّهم قُبُلاً قال : (...**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ**...)إلى قوله : ( المبطلون)[2][3]، والحديث دال على الأخذ من صلب آدم و الإشهاد عليهم بأنه ربهم ومليكهم؛ فالله تكلم حقيقة وهم تكلموا حقيقة وهم في عالم الذر ، يقول الإمام الطحاوي - رحمه الله- : ((والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق))[4].

ويقول الشنقيطي - رحمه الله - : (( هذا الوجه الأخير - أي مَنْ قال أن الميثاق بلسان المقال - يدل له الكتاب والسنة ... فإنه قد دلت أحاديث كثيرة على أنَّ الله أخرج ذرية آدم في صورة الذر فأخذ عليهم الميثاقُ )) [5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب : الرقائق، باب: صفة الجنة والنار [٦٥٥٧] انظر: البخاري مع الفتح ٤١٦/١١، ومسلم في صحيحه ، كتاب: صفة القيامة، باب: طلب الكافر النداء بملء الأرض ذهباً [٢٨٠٥] ٢١٦٠/٤ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٧٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٧٢/١ ، والنسائي في السنن الكبرى ، باب قوله تعالى : ( وإذا أخذ ربك من بني آدم ...) [ ١١١٩] ٢٤٧/٦ ، والحاكم في المستدرك، وقال : (( صحيح الإسناد ولم يخرجاه )) ٨٠/١ ، وقال الألباني : (( صحيح لطرقه وشواهده )) انظر : شرح الطحاوية ص١٥٦.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص١٥٦ .

(٥) أضواء البيان ٤٣/٢ - ٤٤ .

المطلب الثالث : مرتبة الإرادة والمشيئة :

**تعريف الإرادة والمشيئة :**

أراد الشيء : شاءه ، يُقال : أراد يريد إرادا ةً ، والريدة الاسم من الإرادة ، والإرادة المشيئة، وأصله الواو كقولك : راوده ؛أي : أراده على أن يفعل كذا ، والإرادة تكون محبة وغير محبة [1].

يقول ابن فارس : « الراء والواو والدال معظم بابه يدل على مجيء وذهاب من انطلاق في جهة واحدة » [2].

والمشيئة : الإرادة ، شئت الشيء أشاؤه شيئًا ومشيئة : أردْتهُ .

والاسم : الشيئة ، والمشيئة مصدر شاء يشاء مشيئة .

فإذاً المشيئة والإرادة بمعنى واحد [3].

**المشيئة في الشرع :**

الإيمان بعموم مشيئة الله – عز وجل– ، وأنّها الموجبة لكل ما في الوجود ، فما وقع في الوجود من عمل، فإنما وقع بمشيئة الله ، وما لم يقع إنّما لم يقع ؛ لأنّ الله –عز وجل– لم يشأ وقوعه، ولو شاء وقوعه لوقع [4].

**فمن أدلتها :**

قول الله تعالى : ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ** ﴾ [5].

فالله تعالى يؤتي الملك من يشاء ، وينزْع الملك ممن يشاء .

وقول الله تعالى : ﴿ **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ** ﴾ [6].

والإرادة تنقسم نوعين :

---

(١) انظر : لسان العرب ٣/١٨٧ ( رود ) .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/٤٥٧ ( رود ) .

(٣) لسان العرب ١/١٠٣ ( شيأ ) ، ومختار الصحاح ص ١٤٨ ( شيأ) .

(٤) انظر : شفاء العليل ص ٨٠ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ٢٦ .

(٦) سورة الإنسان ، آية ٣٠ .

النوع الأول : الإرادة الكونية القدرية ، وهذا النوع من الإرادة لا بد من وقوعه ، ويتضمـــن ما يحبه الله تعالى وما لا يحبه ، ومن أدلتها قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾[١].

فالإرادة الكونية مرادفة للمشيئة[٢].

النوع الثاني : الإرادة الدينية الشرعية ، وهذا النوع يتعلق بما يحبه الله ويرضى ، وقد تقع وقد لا تقع . ويدل لها قول الله تعالى : ﴿ **وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ** ... ﴾ الآية [٣].

وما وقع منها كطاعة الملائكة و الأنبياء ونحوهم تحقق فيها النوعا ن لوقوعها . والإرادة الدينية هي المحبة [٤].

ولدينا مسألة مهمة هي : أنَّه لا تلازم بين المشيئة والمحبة ، وذلك أن المشيئة لا تأتي إلا بمعنى الإرادة الكونية القدرية . فلا يقال : إنْ شاء الله ؛ أي : أحب الله . كما لا تلازم بين الإرادة الدينية والمشيئة ، فما أراده الله وأحبه من الإيمان قد يقع وقد لا يقع ، ولذلك ضل من ضل في باب القدر بعدم اهتدائه للفرق بينهما .

فالمعتزلة تثبت الإرادة الدينية ، فتقول : ما أراد الله يعني : ما أحب الله تعالى ، فوقوع الكفر والمعاصي أمر غير مخلوق لله ؛ لكونه غير محبوب ، وإنّما العبد خالق لأفعاله .

أما الجبرية فتثبت الإرادة الكونية؛ قالوا: ما أراد الله تعالى وشاء؛ أي: ما أحب الله، فكل ما في الكون مخلوق محبوب لله تعالى، و لم يميزوا بين الكفر والإيمان والطاعة والمعصية[٥].

ولو أنّهم اهتدوا لتفصيل أهل السنة بين نوعي الإرادة لم يقعوا في ذلك الضلال ، فقد يحب الله تعالى أمورًا ولا يريدها ، وتقع أمورٌ لا يحبها الله تعالى .

وقد وردت تلك المرتبة في كتاب الله تعالى في مواطن متعددة ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

---

(١) سورة هود ، آية ١٠٧ .

(٢) انظر : شفاء العليل ص٨٩ .

(٣) سورة النساء ، آية ٢٧ .

(٤) انظر : شفاء العليل ص ٨٩ .

(٥) انظر : الفتاوى ١٣١/٨ ، وشفاء العليل ص ٨٨ – ٨٩ .

كقول الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ..؟ ﴾

والأداة فيه : هل ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتهكم بهم والتبكيت ؛ أي : ليس عندكم من العلم ما تحتجون به فتظهرونه لنا ، وما تتبعون في دعواكم إلا الظن الكاذب الفاسد(٢).

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ (٣).

صدُرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ ... ﴾

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : التقرير والتعجب من شدة ضلالتهم؛ إذ لم يتعظوا بحال من قبلهم من الأمم ، ونسوا أنّ الله قادر على استئصالهم إذا شاء (٤).

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥) .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ..؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو . والمراد منه : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة ، وهو أنّه تعالى يُوسّع رزقه على من يشاء ويُضيّق على من يشاء ، ففي ذلك آيات لأهل الإيمان الذين يُقرّون بوحدانيته تعالى .

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٤٨ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٢٤٨/٤ ، وفتح القدير ١٧٥/٢ ، والتحرير والتنوير ١٤٩/٨ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١٠٠ .

(٤) انظر : المحرر الوجيز ٤٣٣/٢ ، والتحرير والتنوير ٢٦/٩ .

(٥) سورة الروم ، آية ٣٧ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ..؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والتهكم و الاستهزاء بالمؤمنين الذين أمروهم بالإنفاق والإطعام على المحتاجين [2].

وقـول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾[3] .

ورد أسلوب الاستفهام في فاصلة الآية : ( ...فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ؟)

والأداة فيه : أنّى مقترنة بالفاء بمعنى : كيف .

والمراد منه : الإنكار التوبيخي أي : لعجلنا لهم العقوبة ، فلا يبصرون وقد طمست أعينهم [4]. ويردف عليه التعجيز والتهديد لهم [5].

وقول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [6].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ؟ ﴾

وأم هنا منقطعة تقدر بـ(بل) والهمزة [7].

والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : مثله لا يُنسب إليه الكذب على الله مع اعترافهم له بالصدق والأمانة [8].

---

(١) سورة يس ، آية ٤٧ .

(٢) انظر : فتح القدير ٣٧٣/٤ ، وروح المعاني ٢٣ / ٣٠ .

(٣) سورة يس ، آية ٦٦.

(٤) انظر : التحرير والتنوير ٩٢/٢٢.

(٥) انظر : البحر المحيط ٣٢٩/٧، وفتح القدير ٣٧٨/٤ .

(٦) سورة الشورى ، آية ٢٤ .

(٧) انظر: الكشاف٢٢٦/٤، وتفسير البيضاوي١٢٩/٥، وتفسير أبي السعود٣٠/٨.

(٨) انظر: الكشاف٢٢٦/٤، والبحر المحيط ٤٩٤/٧، وتفسير أبي السعود ٣٠/٨.

دلالة الآيات :

دلت الآيات على دلالتين :

الأولى: إثبات مشيئة الله تعالى العامة النافذة ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . فقد نبَّه الله تعالى عباده إلى أمور مهمة، هي :

١-أمر الله تعالى عباده بالنظر إلى حال الأمم الماضية الذين ورثوا الأرض من بعد إهلاك أهلها بذنوبهم ، ثم عملوا كأعمال أولئك المهلكين ؟ فإن سنة الله تعالى في الأولين والآخرين أن ينزل بأسه وعقوبته بمن يخالف أمره، وذلك وفق مشيئته النافذة ، كما أنه تعالى يذكِّر عباده بالآيات، ويقيم عليهم الحجج، فإذا لم يهتدوا يطبع على قلوبهم ؛ فيعلوها الران حتى يختم عليها ، فلا يدخلها حق ، ولا يصل إليها خير [1].

٢-أنّ الشدة والرخاء بمشيئة ا لله تعالى ؛ فإن الناس إذا أصابهم خصب ورخاء فرح وا بذلك ، وإن تصبهم شدة من جدب وقحط ييأسوا من الفرج كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾ [2]. فأنكر الله عليهم ذلك، فالرزق بيد الله تعالى، يُوسعه على من يشاء، ويضيقه على من يشاء[3].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي –رحمه الله– : « فالقنوط بعد ما علم أن الخير والشر من الله ، والرزق ، سعته وضيقه من تقديره ، ... فلا تنظر أيها العاقل لمجرد الأسباب ، بل اجعل نظرك لمسببها، ولهذا قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ ، فهم الذين يعتبرون ببسط الله الرزق لمن يشاء وقبضه ، ويعرفون بذلك ، حكمة الله ورحمته وجوده وجذب القلوب لسؤاله في جميع مطالب الرزق » [4].

٣-يثبت الله تعالى مشيئته العامة في إخباره تعالى عن حال الكفار ، فلو شاء الله تعالى لأعمى أبصارهم عن رؤية الطريق، فصيرهم عمياً لا يبصرون طريقاً، ولا يهتدون إليه .

وقد اختلف المفسرون في معنى الآية :

القول الأول :

---

(١) انظر : تفسير السعدي ص ٢٩٨ .

(٢) سورة الروم ، آية ٣٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣/٢٤ ، وتفسير القرطبي ٣٥/١٤ ، تفسير السعدي ص٦٤٢ .

(٤) تفسير السعدي ص٦٤٢ .

أنّ المراد بالآية : لو نشاء لأعميناهم عن الهدى ، وأضللناهم عن قصد المحجَّة ، فأنّى يهتدون للحق .

القول الثاني :

أنّ المراد لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم ، فطمسنا على العين ، فلا يكون شقاً بين جفني العين ، فلا ترى الطريق ولا تهتدي إليه ، وذلك ما ذهب إليه ابن جرير الطبري – رحمه الله- فيرى أنه لا وجه لإضلالهم وقد أضلهم الله بالكفر، فواقع حالهم أنّهم على الضلال[1].

٤-أنّ الله تعالى ردّ دعوى المكذبين للرسول -ﷺ- ؛ حيث رموه بالافتراء على الله وادعاء النبوة ونسبتها إلى الله . وأمرُه – عليه الصلاة والسلام – تحت مشيئة الله ، فلو علم الله تعالى كذبه لحسم هذه الدعوة من أصلها ومادها ، وختم على قلب الرسول – ﷺ- ، فلا يعي شيئًا ، ولا يصل إليه خير . لكنّ النبي – عليه السلام- بريء مما رموه ، كما أنهم يعلمون صدقه ؛ حيث مكّن الله دعوته وأظهرها، وأيده بالمعجزات، ونصره على أعدائه ، فهذه أدلة قاطعة على صحة ما جاء به عليه السلام [2].

قال الإمام الطبري –رحمه الله- : « يقول الله لنبيه – ﷺ- لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبًا لطبعتُ على قلبك ، وأذهبت الذي آتيتك من وحي ؛ لأني أمحو الباطل فأذهبه ، وأحق الحق ، وإنما هذا إخبار من الله لـلكافرين به ، الزاعمين أن محمدًا افترى هذا القرآن من قبل نفسه ، فأخبرهم أنه إن فعل لفُعل به ما أخبر به في هذه الآية » [3].

**الدلالة الثانية** : حكم الاحتجاج بالقدر؛ ففي آيتي الأنعام ويس احتج المشركون وعارضوا أمر الله تعالى بالقدر ؛ فقد ذكر الله تعالى أنّهم عارضوا أمر الله تعالى لهم بالإيمان بالقدر ، كما اعترضوا على أمره لهم بإنفاق ما فرضه الله عليهم لأهل الحاجة بالقدر ﴿ **أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ** ..؟ ﴾

فكلتا الحجتين باطلة ، وقد اقتفى أثرهم كلُّ مَنْ أعرض عن منهج الله ، واحتج بالقدر على المعصية ، ففي آية الأنعام دلالة على مشيئة الله العامة وقدره ، وهؤلاء الكفار جمعوا بين أنواع من الضلال :

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٥/٢٣ ، وتفسير البغوي ١٨/٤، وتفسير ابن كثير ٥٣٩/٣، وفتح القدير ٣٧٨/٤.

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٥ / ٢٧ ، وتفسير البغوي ١٢٦/٤ ، تفسير السعدي ص ٧٥٨ .

(٣) تفسير الطبري ٢١ / ٥٣٢ .

١-معارضة الأمر بالقدر، ودفعه به .
٢-الإخبار عن الله أنه يحب ذلك منهم ويرضاه حيث شاءه وقضاه .
٣-أنّ لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر [١].

وقد أبطل الله تعالى هذه الحجة من عدة وجوه :

١-أنّ الحجة لا بد أن تكون مُستندة إلى العلم والبرهان ، أما إذا كانت مُستندة إلى الظن والتخرّص فإنها باطلة ، فلو كان لهم علم لأخرجوه ، فدلَّ على أنَّها حجة واهية باطلة[٢][٣].

٢-أنّ الحجة لله تعالى هي الحجة البالغة؛ حيث أخبر الله تعالى أنّ الحجة له عليهم برسله وكتبه، وبيان ما ينفعهم ويضرهم ، كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [٤]. فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك [٥].

٣-أنّ الله تعالى هو المتفرد بالربوبية والملك والتصرف في خَلْقه ، فكيف يعبدون معه إلهاً غيره؟ كما قرّرها تعالى بقوله : ﴿ **فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [٦].

٤-أنَّ الكفار إنما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء وترك التصديق ، ويعلمون أنه ليس حجة، وإنّما المقصود منه دفع الحق، كما قالوا لم أمرهم الله تعالى بالإنفاق مما في أيديهم ﴿ **أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ..؟** ﴾ ، فأكذبهم الله على ذلك ﴿ **كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ الآيةَ ، كما ذمَّهم وبخهم على ما قالوه في الإطعام بقوله تعالى : ﴿ **إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ..؟** ﴾ [٧].

---

(١) انظر : شفاء العليل ص ٢٨ .
(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٠ / ٥٢٧ ، وتفسير السعدي ص ٢٧٨ .
(٣) انظر : الانتصار في الود على القدرية ٣٥٣/٢ -٣٥٤ ، والحجة في بيان المحجة ٦٨/٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص١٣٤ .
(٤) سورة الأنعام ، آية ١٤٩ .
(٥) شفاء العليل ص ٣١ .
(٦) المصدر نفسه ص ٣١ .
(٧) الانتصار في الرد على القدرية ٣٥٤/٢ ، وتفسير السعدي ص ٢٧٩ .

٥-لو كان الاحتجاج بالقدر صحيحًا لما أنزل الله تعالى بهم بأسه وعقابه ، كما قـال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ﴾ (١).

٦-أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة وإرادة يتمكن بها من فعل ما كُلّف به ، فالاحتجاج بالقدر لا مُسوِّغ له (٢).

٧-أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم ، بل جعل أفعالهم تبعًا لاختيارهم ، وهذا أمر لا ينكره إلا مكابر (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : (( كلُّ ما في الوجود واقع بمشيئة الله وقدره ، كما تقع سائر الأعمال، لكن لا عذر لأحد بالقدر ، بل القدر يؤمَن به ، وليس لأحد أن يحتج على الله بالقدر ، بل لله الحجة البالغة ، ومن احتج بالقدر على ركوب المعاصي فحجته داحضة ، ومن اعتذر به فعذره غير مقبول ... )) (٤).

فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر مُصوِّبون ما هم عليه من الشرك والمعصية ، و لم يَعزموا على تركه ، و لم يُقرّوا بفساده ، وهذا بخلاف من احتج بالقدر على المعصية بعد فعلها ، وتبين له خطأ نفسه، وندم وعَزَمَ كلَّ العزْم على أن لا يعود ، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال : ما كان بقدر الله ، أمَّا أن يحتج على المعصية في الحال والمستقبل ، فهذا ممّا لا يجوز الاحتجاج به كما بيّنا (٥).

---

(١) تفسير السعدي ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ، ٦٩٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الفتاوى ٥٤٣/٨ .

(٥) انظر : شفاء العليل ص ٣٢ .

## المطلب الرابع : الخلق :

الخلق صفة فعلية قائمة بذات الرب ، متعلقة بقدرته ومشيئته ، والمراد بالخلق : الإبداع والإنشاء للمخلوقات من العدم وفق تقدير الله تعالى كما تقدَّم بيانه [(١)].

فالله تعالى هو الذي قدَّر الأشياء وعلمها ، وكتب ذلك عنده ، وأراد حصولها ، ثم خلقها وأنشأها وفق تقديره ، ومن ذلك فعل العبد ، فالله تعالى خالق العبد وأفعاله ، وقد منح العبد اختياراً وقدرة على فعله . وحيث إنّ المعتزلة والجبرية فسروا الحسنة والسيئة بالطاعة والمعصية فقد أفردنا بحثها في هذا المطلب ، وقد ورد بأسلوب الاستفهام كما يلي :

كقول الله تعالى : ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ﴾ [(٢)].

ورد أسلوب الاستفهام : ﴿ **فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** ..؟ ﴾

والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء ، والمراد منه : التعجب من هذه المقالة ، فكيف ينسب ما هو من عندالله إلى غير الله ؟ أي : أنّ هؤلاء كانوا ينبغي لهم أن يتدبروا القرآن ليتبصروا في الدين ، ويبلغوا اليقين [(٣)].

وقول الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [(٤)].

اشتملت الآية على استفهامين :

الأول : ما صُدرت الآية به في قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم** ... ﴾

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي : كيف تجزعون من نزول مصيبة القتل والجرح ونحوها؟ وإنّما نزلت بكم بمخالفتكم أمر رسول الله ﷺ؟[(١)]

---

(١) انظر:ص٤٥

من البحث نفسه ، فقد بحثت الآيات المتعلقة بالخلق ، وهنا أفردت ما يتعلق بفعل العبد .

(٢) سورة النساء ، آية ٧٨ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٣١٢/٣ ، وتفسير الجلالين ص ١١٤ ، وتفسير أبي السعود ٢٠٥/٢ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٦٥ .

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ أَنَّىٰ هَـٰذَا .. ﴾ [٢].

والأداة فيه : أنّى، والمراد منه : الإنكار والتعجب؛ أي : من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون [٣]؟!

دلالة الآيتين :

دلت آية النساء التي ذكرها الله تعالى في سياق الأمر بالجهاد ، وذم الناكصين عنه ، مبينًا أنّ ترك الجهاد لا يدفع عنهم الموت ، فأينما كانوا أدركهم الموت ولو كانوا في بروج مشيدة ، فلا ينالون بترك الجهاد منفعة .

وقد اختلف في المقصود هنا المراد بالحسنة والسيئة على آراء هي :

أحدها : أن (الحسنة) ما فتح الله عليهم يوم بدر ، و(السيئة) ما أصابهم يوم أحد .

الثاني : (الحسنة) الطاعة ، و(السيئة) المعصية .

الثالث: وهو ما عليه عامة المفسرين : أنّ (الحسنة) يراد بها : النعم ، و (السيئة): المصائب[٤]،

((وهذا المعنى تتناوله الآية قطعاً كما يدل لفظها وسياقها ومعناها ، أما المعنى الثاني : فليس مرادًا دون الثالث . لكن يقال : إنه مراد مع الثاني ، باعتبار أن ما يهديه الله إليه من الطاعة : هو نعمة في حقه مِنْ الله أصابتْ . وما يقع منه من المعصية : هو سيئة أصابته ، ونفسه التي عملت السيئة ، وإذا كان الجزاء من نفسه ، فالعمل الذي أوجب الجزاء : أولى أن يكون من نفسه )) [٥].

أما آية آل عمران فقد نزلت في غزوة أحد وما أصابهم من القتل والجرح ، فتساءلوا (أنى هذا) ؟ أي : من أين أصابنا هذا الذي أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون ؟ فأمر الله تعالى

=

(١) انظر : اللباب في علوم الكتاب ٦/٣٥ .

(٢) انظر : اللباب في علوم الكتاب ٦/٣٥ .

(٣) انظر : تفسير الجلالين ص ٩٠ .

(٤) الفتاوى ١٤/ ٢٢٩ .

(٥) الفتاوى ١٤ / ٢٣٤ .

نبيه ﷺ بالرد عليهم بقوله : ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي : بمخالفكم أمري، وترككم طاعتي لا من عند غيركم ، ولا من قِبل أحد سواكم [1].

وقد خالف في معنى الآية القدرية من المعتزلة والجبرية :

فقالت المعتزلة : فعل العبد حسنة كان أو سيئة هو من العبد ، لا من الله ، محتجين بقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [2].

فهم يرون أن العبد أَ حْدَثَ إرادةً فعلَ بها الحسناتِ ، كما أَ حْدَثَ إرادةً فعَلَ بها السيئاتِ، وليس واحد منهما من إحداث الرب ، وهذا بناء على أصلهم الفاسد : أن العبد يخلق فعل نفسه [3].

ويُرد عليهم من وجوه :

١-أنّ معنى الآية : الذين قالوا الحسنة من عندالله والسيئة من عندك ، أرادوا من عندك يا محمد؛ أي : بسبب دينك ، فجعلوا رسالة الرسول - ﷺ- هي سبب المصائب ، فردّ الله تعالى عليهم ذلك بقوله:﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ النعم والمصائب من عندالله تعالى[4].

٢-إذا فُسرت الحسنة والسيئة بالطاعة والمعصية . فالمراد بأن الحسنة من الله ؛ أي : أنّ الله أَنْعَمَ بها وثوابها ، والسيئة هي من الإنسان نفسه ، وإن كانت بقضاء الله وقدره ، ولم يقل الله تعالى : إنّي لم أُقدّر ذلك ولم أخلقه . بل ذكر للناس ما ينفعهم تنبيهاً على الاستغفار والتوبة ، والاستعاذة بالله من شرّ النفس وسيئات العمل [5].

أما الجبرية فيستدلون بالآية على أنّ العبد مجبور لا اختيار له ، ولا إرادة ولا فعل ؛ ذلك أنّ الله تعالى بين أن الحسنة والسيئة من عند الله[6] في قوله : ( قل كلٌّ من عندالله ) .

يقول شيخ الإسـلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وقد ظن بعض المتأخرين أن معنى قوله: ( فمن نفسك ) ، أي : أفمن نفسك ؟ وأنّه استفهام ؛ على سبيل الإنكار ، ومعنى

(١) انظر : تفسير الطبري ٣٧١/١ ، تفسير ابن كثير ٤٠٥/١ .
(٢) سورة النساء ، آية ٧٩ .
(٣) انظر : الانتصار في الرد على القدرية ٢ / ٢٢٥ .
(٤) انظر : الفتاوى ٢٥٨/١٤ .
(٥) انظر : المصدر نفسه ١٤ / ٢٦٣ .
(٦) انظر : التفسير الكبير للرازي ١٠ / ١٥٢ .

الكلام : أن الحسنات والسيئات كلها من الله لا من نفسك ... ، وممن ذكر ذلك : أبو بكر ابن فورك... ، قلت : وإضمار الاستفهام – إذا دلّ عليه الكلام – لا يقضي جواز إضماره في الخبر المخصوص من غير دلالة . فإنّ هذا يناقض المقصود ، ويستلزم أنّ كل من أراد أن ينفي ما أخبر الله به يُقدِّر أن ينفيه ، بأنْ يُقدّر في خبره استفهاماً ، ويجعله استفهامَ إنكارٍ ))(١).

وقولهم مردود من وجوه :

١-أن الله تعالى خلق للعبد قدرة وإرادة واختياراً يستطيع معها الفعل ، وإن كانت لا تخرج عن مشيئة الله تعالى .

٢-أنّ المراد بالآية : أن نزول المصائب بسبب مخالفة العبد لأمر الله تعالى ، فإنّ الله لم يهلك أحدًا إلا بذنبه كما قال تعالى : ﴿ **وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾ (٢).

وقال لهم في شأن أحد : ﴿ **أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** ﴾(٣).

فجميع النعم والمصائب بقضاء الله تعالى وقدره ، وإن كان العبد سبباً في نزول ما حلّ به من النعم والمصائب .

٣-أنّ الآية في معرض الرد على المنافقين ؛ حيث جعلوا ما يصيبهم من المصائب بسبب ما جاءهم به الرسول -ﷺ- من الدين والأمر(٤). فلذلك ردّ الله عليهم أنّ النعم والمصائب من من عند الله، لا من عند محمد -عليه الصلاة والسلام- الذي لا يأتي بنعمة أو مصيبة (٥).

---

(١) الفتاوى ١٤ / ٤٢١ - ٤٢٢ .

(٢) سورة النساء ، آية ٧٩ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٦٥ .

(٤) انظر : الفتاوى ١٤ / ٢٥٦ .

(٥) انظر : الفتاوى ١٤ / ٢٥٦ ، وانظر المسألة في : الشريعة ٩٧٠/٢ ، وتفسير البغوي ٤٥٥/١ ، والحجة في بيان المحجة ٦٢/٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤١١ .

## المبحث الثاني : الهداية

## المبحث الثاني: الهداية

الهداية هي ضد الضلالة ، فالمهتدي من هداه ا لله تعالى، والضَّال من أضلَّه الله تعالى ، وهي مستلزمة فعل العبد واختياره الخاضع لمشيئة الرب تعالى ، فإذا عرفنا الهداية فلا بدَّ من معرفة نقيضها، وهو الضلال، وهو ما سنعرضه في هذا المبحث .

**تعريف الهداية في اللغة :**

الهدى : خلاف الضلالة، وهو : الرشاد ، يقال : هديته هدىً ، وقد هَداه هُدىً ، وهَدْياً ، وهِدايَةً ، وهِدْيَةً ، وهَداهُ للدين هُدىً ، وقد تهدَّى إلى الشيء ، واهتدى .

يقال : هداه الله الطريق ، وهداه للطريق ، وإلى الطريق هِدايةً ، وهُدى الله : الصراط الذي دعا إليه، وهو طريق الحق [١].

**أما الهداية في الشرع فهي على مراتب أربع :**

**المرتبة الأولى** : الهدى العام ، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها ، وهذا أعمّ مراتبه. يقول الله تعالى: ﴿ **رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾ [٢].

(( فإعطاء الخلق : إيجاده في الخارج ، والهداية : التعليم والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه ويُقيمه ... فإنّ الآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقه وبهيم ه ، وطيره ودوابه ، فصيحه وأعجمه ...)) [٣].

**المرتبة الثانية** : هداية الإرشاد والبيان للمكلفين ، وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق ، وإنْ كانت شرطاً فيه .

ويدل عليها قول الله تعالى:﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ** ﴾[٤].

وقال : ﴿ **وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ** ﴾ [٥].

---

(١) انظر : العين ٤٢/٦ ، والمحكم والمحيط الأعظم ٣٧٠/٤ ، ولسان العرب ١٥ / ٣٥٣ ( هدى ) .

(٢) سورة طه ، آية ٥٠ .

(٣) شفاء العليل ص ١١٩ .

(٤) سورة فصلت ، آية ١٧ .

(٥) سورة التوبة ، آية ١١٥ .

(( فهداهم هدى البيان والدلا لة ، فلم يهتدوا ، فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولا بعد أن عرفوا الهدى ، فأعرضوا، عنه فأعماهم عنه بعد أن أراهموه )) [١].

وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله، حيث قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢].

أي : داعيا ومبلّغاً ومعلّماً دين الله تعالى وشرعه ، ولا يملك – عليه الصلاة والسلام – من هداية التوفيق شيء .

**المرتبة الثالثة** : هداية التوفيق والإلهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل ، وهي التي نفاها الله عن نبيه –ﷺ– بقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [٣].

وهذه المرتبة تستلزم أمرين :

(( أحدهما : فعل الرب تعالى وهو الهدى .

الثاني : فعل العبد ، وهو الاهتداء ، وهو أثر فعله سبحانه ؛ فهو الهادي والعبد المهتدي، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ [٤].

وقال : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾ [٥].

وهذا صريح في أنَّ هذا الهدى ليس له –ﷺ– ولو حرص عليه ، ولا إلى أحد غير الله ، وأن الله سبحانه إذا أضل عبدًا ، لم يكن لأحد سبيل إلى هدايته )) [٦].

**المرتبة الرابعة** : الهداية إلى الجنة والنار يوم القيام ة ، كما قال تعالى : ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [٧].

وقال:﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾[٨].

---

(١) شفاء العليل ص ١٤٩ .

(٢) سورة الشورى ، آية ٥٢ .

(٣) سورة القصص ، آية ٥٦ .

(٤) سورة الإسراء ، آية ٩٧ .

(٥) سورة النحل ، آية ٣٧ .

(٦) شفاء العليل ص ١٤١ .

(٧) سورة الصافات ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٨) سورة محمد ، الآيتان ٤ ، ٥ .

(( فهذه هداية بعد قتلهم ، فقيل المعنى : سيهديهم إلى طريق الجنة ، ويصلح بالهم في الآخرة بإرداء خصومهم وقبول أعمالهم )) (١).

**تعريف الضلال في اللغة :**

الضلال والضلالة : ضد الهدى والرَّشاد ، يقال : ضللت تضل ضَلالاً وضِلالة، وضللت الدار والمسجد والطريق وكل شيء مقيم ثابت لا تهتدي له ، وضلَّ الشيءُ : خفي وغاب ، والضلال : النسيان (٢).

**تعريف الضلال في الشرع :**

هو وقوع الإنسان في الكفر وما يخالف أمر الله تعالى .

قال الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾ (٣).

(( ومن أراد إضلاله عن سبيل الهدى ، يشغله بكفره، وصدِّه عن سبيله ، ويجعل صدره بخذلانه وعليه الكفر غلبة ، حرجًا )) (٤).

وقال في موضع آخر : (( فالله تعالى هو المضلّ من يشاء إضلاله من خلقه عن الإيمان إلى الكفر ... ولا يُضِلُّ منهم أحدًا إلا من سبق عليه الشقاء ...)) (٥).

والضلال نوعان :

الأول: ضلال عن الصراط فلا يهتدي إليه ، وهو ضلال عن الإسلام فلا يهتدي إليه.

الثاني: ضلالٌ فيه –أي في الصراط– ، وهو ضلال عن تفاصيله أو بعضها ، فقد تكون هناك أمور قد هُدي إلى أصلها دون تفصيلها ، أو هدي إليها من وجه دون وجه ، وهناك أمور خالٍ عن اعتقادٍ فيها ، وأمور لم يفعلها (٦).

وقد خالف المعتزلة فزعموا : أنّ الهدى أي : الدلالة والبيان والتعريف لا خلق الهداية

---

(١) شفاء العليل ص ١٤٨ .

(٢) لسان العرب ١٢/ ٣٩٠ (ضلل)، ومختار الصحاح ص ١٦٠ (ضلل)، والمصباح المنير ٣٦٣/٢ (ضلَّ) .

(٣) سورة الأنعام ، آية ١٢٥ .

(٤) تفسير الطبري ١٢ / ١٠٣ .

(٥) المصدر نفسه ١١/ ٣٥٠ .

(٦) شفاء العليل ص ١٤٣ – بتصرف – .

للمهتدي ، والضلال للضال . وقد يطلق الهدى والضلال ، والمراد به : تسمية الله العبد مهتدياً وضالاً ، أو أعلم ملائكته ورسله بضلالهم ، أو أنّ الله تعالى ألفاهم ووجدهم كذلك [1].

يقول القاضي عبدالجبار : (( اعلم أنّ ا لهدى بمعنى الدلالة والبيان ... وقال في قوله تعالى: ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [2].

المراد به : أنّه زادهم – لما آمنوا واتقوا – ألطافاً وأدلة بعثهم بها إلى التمسك بالإيمان ، وعلى هذا الوجه قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [3]: لأنه دعاه بذلك إلى الثبات على الإيمان ، كما دعاه بضيق الصدر الذي أورثه الكافر إلى مجانبة الكفر والعدول عنه ... فأمّا إضافة الهدى ، بمعنى خلق الإيمان والطاعة ، فغير موجود في اللغة ولا في الكتاب ، وإنّما يُوصف المؤمن بأنّه قد اهتدى ، ويُوصف تعالى ، من حيث إنه دلّه وسهل سبيله إليه ، بأنّه قد هداه )) [4].

يقول الخياط المعتزلي[5] موضحاً معنى (الضلال) : (( وأما قوله : ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [6].

فإن الله – جلّ ذكره – يريد أن يضل الكافر ، وإضلاله إياه تسميته إياه ضالاً ، وحكمه عليه بما كان منه من الضلال )) [7]، فهنا بين أن معنى الإضلال هو : تسميته ضالاً .

ويُوضح الزمخشري معنى (الضلال) في قوله تعالى : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]. قال : (( أي يخذله ويخلّه وضلاله ، لم يُلطف به ، لأنـــه ليس من أهل اللطف )) [2].

---

(١) انظر : شفاء العليل ص ١٤٤ – ١٤٦ .

(٢) سورة الكهف ، آية ١٣ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ١٢٥ .

(٤) متشابه القرآن ص ٦١ – ٦٥ .

(٥) هو : عبدالرحيم بن عثمان ، أبو الحسين بن الخياط ، المعتزلي ، تنسب إليه فرقه الخياطية من المعتزلة ، من مصنفاته : ( الانتصار في الرد على ابن الراوندي ) ، توفي نحو سنة ٣٠٠هـ .
انظر : معجم المؤلفين ١٣٦/٢ .

(٦) سورة الأنعام ، آية ١٢٥ .

(٧) الانتصار والرد على ابن الراوندي ص ١٢٤ .

فيتضح من قوله أنّ قدرة الله تعالى وإرادته لا تأثير لها في الهدى والضلال ، وإنّما العباد هم الخالقون لأفعالهم من الهدى والضلال ، وذلك هو مقصوده بالخذلان والتخلية وعدم اللطف .

ونُجمل الرد عليهم من عدة أوجه :

١-أننا إذا تأمّلنا الآيات القرآنية نعلم قطعاً أنّه لا يصح حملها على ما أرادوه من أنّ ( هدى وأضل ) تسمية العبد مهتدياً وضالاً ، فهل فهم هؤلاء من قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [٣] أي : لا تسميه مهتدياً ، ولكن الله يسميه بهذا الاسم ، فهذا من جناية القدرية على القرآن ومعناه [٤].

٢-كما أنّ اللغة العربية من أفصح اللغات وأتمّها ، فلا يوجد فيها ( هدى وضلّ ) بمعنى : سمّاه مهتدياً أو ضالاً، وإنّما تكون بمعنى هدى من كان مهتدياً ، أضل من كان ضالاً .

كما أنّه لا يمكن حمل ( أضله الله ) بمعنى : وجده ضالاً : ولا يمكن حمل الهدى والضلال على أن علّمناهم بعلامة الهدى والضلال ، وإنما هذا افتراء على القرآن واللغة [٥].

٣-أمّا تأويلهم الهداية على أنّ المقصود بها : البيان والتعريف لا خلق الهدى في القلب ، و إنّ الله تعالى لا يقدر على ذلك ، فهذا من أبطل الباطل ، فإن الله تعالى قسّم هدايته للعبيد قسمين :

الأول: قسم لا يقدر عليه غير الله، وذلك هداية التوفيق ؛ ومعلوم أن البيان و الدلالة حاصلة للمؤمن والكافر، وأما التوفيق فقد خُصَّ به المؤمن .

الثاني : قسم مقدور للعباد ، ومن ذلك هداية الدلالة والبيان [٦].

---

=

(١) سورة الأنعام ، آية ٣٩ .

(٢) الكشاف ٢/ ٢٢ .

(٣) سورة القصص ، آية ٥٦ .

(٤) انظر : شفاء العليل ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٥) انظر : المصدر نفسه ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٦) انظر : المصدر نفسه ص ١٤٥ .

وقد ذكر الله تعالى الهدى والضلال في مواطن من كتابه ، و منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقـول الله تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : التسوية ؛ أي مستو عليك إنذارهم وعدم إنذارهم ؛ لأنّه سبق في علم الله تعالى شقاوتهم [2].

وقول الله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾ [3].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ..؟﴾

والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء ، والمر اد منه : الإنكار التوبيخي والتعجب ، أي : فما لكم تفترقون في شأن المنافقين ؟! فأمرهم ظاهر الكفر [4].

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ ...؟ ﴾

والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : ليس في وسعكم هدا ية من أضله الله [5].

---

(١) سورة البقرة ، الآيتان ٦– ٧ .

(٢) انظر : مغني اللبيب ص٦١ ، والبرهان ٣٣٧/٢ ، والإتقان ٤٤٥/٢ .

(٣) سورة النساء ، آية ٨٨ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٢١٢/٢ ، وروح المعاني ٥/ ١٠٧ ، والتحرير والتنوير ٥/ ١٤٩ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٢/ ٢١٢ ، وروح المعاني ٥/ ١٠٨ ، والتحرير والتنوير ١٥١/٥ .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (١).

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ ..؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة ، وهو بمعنى : أخبروني ، ويردف عليه التهديد بأنّ الله قادر على أن يأخذ سمعهم وأبصارهم ، ويختم على قلوبهم كما وهبهم إياها (٢).

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ...؟ ﴾

والأداة فيه : مَنْ ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي والتوقيف ؛ أي : فليس هناك إله غير الله يأتيكم به (٣).

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ..؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة .

أي : ليس في وسعك يا محمد هداية الخلق ، وإنّما الهداية ملك لله يؤتيها من يشاء وذلك تسلية للنبي -ﷺ- (٥).

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١).

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٤٦ .

(٢) البحر المحيط ٤/ ١٣٥ ، والبرهان من علوم القرآن ١٥٣/٤ ، وتفسير أبي السعود ٣/ ١٣٤ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٤/ ١٣٥ .

(٤) سورة يونس ، آية ٩٩ .

(٥) يرى بعض العلماء أن الاستفهام للإنكار كالألوسي وابن عا شور . انظر : روح المعاني ١٩٢/١١ ، والتحرير والتنوير ١٩٣/١١ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ..؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء .

والمراد منه : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بأنّه لا مساواة بين مَنْ هداه الله إلى الصراط المستقيم ، وبين من أضله فهو يمشى معوجاً عن الصراط [٢].

وأم في قوله تعالى : ﴿ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ..؟ ﴾ هي ( أم ) المعادلة لما بعد همزة الاستفهام [٣].

**دلالة الآيات :**

دلّت الآيات أنّ الهدى والضلال بيد الله تعالى يؤتيه ا من يشاء من عباده ، كما أنّ الله تعالى منح العبد القدرة والإرادة التي يُميز فيها بين الحق والباطل ، فهو قادر على فعل الاهتداء أو إضلال نفسه ، لا أنّه مسلوب الإرادة والقدرة ، ونُجمل دلالات الآيات فيما يلي :

١-ففي آية النساء يُنكر الله تعالى على المسلمين أمرين :

**الأول:** أنهم اختلفوا في شأن المنافقين المظهرين للإسلام، فبعض الصحابة -رضي الله عنهم- تحرَّج من قتالهم وقطع موالاتهم بسبب ما أظهروه من الإيمان ، وبعضهم علم أحوالهم بقرائن أفعالهم فحكم بكفرهم ، فأخبرهم الله تعالى أنه لا ينبغي أن تشكوا فيهم فأمرهم ظاهر الكفر ، فإنّ الله تعالى ردهم إلى الكفر وأحكام أهل الشرك من إباحة دمائهم وسبي ذراريهم ، بسبب كفرهم بالله وبرسوله - ﷺ- واتباعهم الباطل [٤].

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( أركسهم : نكسهم وردهم ، والمعنى : أنه ردَّهم إلى حكم الكفر من الذل والصغار ، وأخبر سبحانه عن حكمه وقضائه فيهم وعدله ، وإن كان إركاسه كان بسبب كسبهم وأعمالهم )) [٥].

=

(١) سورة الملك ، آية ٢٢ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٢٩ / ٤٦ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٩ / ٧ ، وتفسير ابن كثير ٥١١/١ .

(٥) شفاء العليل ص ١٧٥ .

**الثاني**: أنّ هداية التوفيق ملك لله تعالى لا لغيره ، ولذلك قال تعالى : ﴿ **أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ** ...؟ ﴾ ، فمَنْ أضله الله تعالى فلا طريق له إلى الهدى ، ولا لكم سبيل إلى هدايته [١].

قال الإمام الطبري –رحمه الله– : (( يقول لهم جلّ ثناؤه – أي للمؤمنين – : أتبتغون هداية هؤلاء الذين أضلّهم الله ؛ فخذلهم عن الحق واتباع الإسلام ، بمدافعتكم عن قتالهم من أراد قتالهم من المؤمنين ؟ ﴿ **وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً** ﴾ ، يقول : ومن خذله عن دينه واتباع ما أمره به من الإقرار به وبنبيه محمد – ﷺ – وما جاء به من عنده فأضلَّه عنه ﴿ **فَلَن تَجِدَ لَهُۥ** ﴾ يا محمد ﴿ **سَبِيلاً** ﴾ يقول : فلن تجد له طريقاً تهديه فيها إلى إدراك ما خذله الله عنه، ولا منهجاً يصل منه إلى الأمر الذي قد حرمه الوصول إليه )) [٢].

٢–أمَّا آية سورة يونس فقد دلَّت على أنّ هداية التوفيق والإيمان ملك لله تعالى ، فمن شاء الله تعالى إيمانه آمن ، وكان من أهل السعادة ، ومن شاء إضلاله أضله الله تعالى ، فكان من أهل الشقاوة . ولذلك أنكر الله تعالى على نبيه – ﷺ – حرصه أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى ، فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من قد سبق له من الله السعادة في الكتاب الأول ، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاء في الكتاب الأول ، فلن يصدقك إلا من شاء ربك أن يصدقك ، لا بإكراهك إياه ، ولا بحرصك على ذلك [٣] .

٣–أمَّا آية الملك ففيها مثلٌ ضربَهُ الله تعالى للمؤمن والكافر في اتباع الهدى ، فالكافر مثله كمثل من يمشي منحنياً لا مستوياً على وجهه ؛ أي لا يدري أين يسلك ، بل تائه حائر ضال ، والمؤمن يمشي سويّاً مستقيماً على طريق واضح ، فأيُّهما أهدى وأشدّ استقامة على الطريق ؟ المؤمن أم الكافر [٤]؟

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٩/١٢ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٥١١ .

(٢) تفسير الطبري ٩/ ١٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٥ / ٢١١ – ٢١٣ ، وتفسير السعدي ص ٣٧٤ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٥١٦ ، وتفسير ابن كثير ٤/٣٦٩ .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : (( مَنْ يمشي في الضلالة أهدى ، أم من يمشي مهتدياً ؟ ))[1] .

فحال المؤمن والكافر في الدنيا كحاله في الآخرة ، فالكافر يحشر على وجهه يوم القيامة إلى جهنم ، أمّا المؤمن فيحشر سويّاً مستقيماً على صراط مستقيم إلى الجنة .

٤–أما آية الجاثية فإن الله تعالى يخبر أن من اتخذ دينه هواه ، وركب ما تهواه نفسه من المعبودات (وأضله الله على علم) ، فخذله سبيل الحق ، فلا يهتدي ولو جاءته كل آية .

قال ابن كثير – رحمه الله – : ( وأضله الله على علم ) يحتمل قولين :

أحدهما : وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك .

والآخر : وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه ، والثاني يستلزم الأول))[2].

كما أنّ الله تعالى يعاقبه بالختم على سمعه وقلبه ؛ أي : الطبع على سمعه ، فلا يسمع مواعظ الله ، وآي القرآن فيعقل ما فيها من الهدى ، ويطبع على قلبه فلا يعي به حقاً.

وجعل على بصرة غشاوة ، وهو (( غطاء العين ، وهذا الغطاء سرَى إليها من غطاء القلب، فإن ما في القلب يظهر على العين من الخير والشر ، فالعين مرآة القلب تُظهر ما فيه))[3]، فلما كان القلب مختوماً مطبوعاً عليه حجب البصر عن رؤية ما ينفعه في دينه ، ثم بين تعالى أنّ هدايته هداية التوفيق ملك لله ، فلا يهديه لرؤية الحق والإيمان به تعالى بعد إضلال الله تعالى أحد ، فعلى العبد إفراده بالعبادة [4].

٥–أمَّا آيتا سورتي البقرة والأنعام فتدلان على مسألة مهمة ، وهي ما يتعلق بالختم والطبع والغشاوة التي تحول بين الكافر والإيمان . وقد حرَّفها القدرية والجبرية بالتحريف المبطل لمعانيها .

---

(١) أخرج الإمام الطبري في تفسيره ٢٣ / ٥١٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ١٣٦ .

(٣) شفاء العليل ص١٦٧ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢ / ٥ – ٧٧ ، وشفاء العليل ص ١٦٧ .

فزعمت الجبرية : أنّ الله أكرهها على ذلك ، وقهرها عليه، وأجبرها من غير فعل منها ولا إرادة وكسب ، بل حال بينها وبين الهدى ابتداءً من غير ذنب ولا سبب من العبد يقتضي ذلك [١].

وزعمت القدرية : أنّه لا يجوز حمل الآيات على معنى أنّه منعهم من الإيمان ، و حال بينهم وبينه؛ إذ يكون لهم الحجة على الله، فكيف يأمرهم بالإيمان ثم يحول بينهم وبينه[٢].

قال القاضي عبدالجبار: (( إنّ الختم في اللغة لا يعقل منه القدرة على الكفر ، ولا الكفر ، وإنّما يستعمل في العلامة الحاصلة بنقش الخاتم وما شاكلها ، وقد يُراد به : انتهاء الشيء ، وقد يراد به : الحكم عليه بأنه لا ينتفع بما سمعه ... ويجب أن يحمل على أن المراد به أنه علّم على قلوبهم بعلامة تعرف بها الملائكة أنَّهم من أهل الذم ...)) [٣].

وحمّل الزمخشري معنى الختم ما لا يحتمل مطولاً ، في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَـٰرِهِمۡ غِشَـٰوَةٌ ﴾ [٤]، فقال : (( فإن قلت : فلمَ أُسند الختم إلى الله تعالى وإسناده يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه ، وهو قبيح ، والله يتعالى عن فعل القبيح ... ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير الله ، فيكون الختم مسندًا إلى الله على سبيل المجاز ...)) [٥].

والذي عليه أهل السنة والجماعة إثبات معنى الختم والعمى وعدم الإيمان ونحوها على حقيقته التي أثبتها الله تعالى لنفسه كما أخبر الله تعالى في كتابه ، ففي آية البقرة ذكر الله تعالى عن عدم إيمان الكفار ، وقد جاء في آيات أخر ما يدل على أن بعض الكفار يؤمن بالله ورسوله .

---

(١) انظر : شفاء العليل ص ١٤٩ .

(٢) انظر : المصدر نفسه .

(٣) متشابه القرآن ٥١/١ – ٥٢ . وانظر : الانتصار في الرد على القدرية ٣٦١/٢ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٧ .

(٥) الكشاف ص ٤٢ – ٤٣ .

وقد جمع بين الآيات الشنقيطي - رحمه الله - بقوله : (( ووجه الجمع ظاهر ، وهو أن الآية من العام المخصوص ؛ لأنها في خصوص الأشقياء الذين سبقت لهم في علم الله الشقاوة ، .... ويدل لهذا التخصيص قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [1].

وأجاب البعض بأنّ المعنى : لا يؤمنون ما دام الطبع على قلوبهم وأسماعهم ، والغشاوة على أبصارهم ، فإن أزال الله عنهم ذلك بفضله آمنوا )) [2].

ففي آية الأنعام يأمر الله رسوله -ﷺ- أن يقول للمشركين: أرأيتم إن سلبكم الله السمع والبصر وختم على قلوبكم فطبع عليها حتى لا تفقه قولاً ، ولا تبصر حجة ، ولا تفهم مفهوماً ، فمَنْ غير الله الذي له العبادة وحده يرده عليكم ؟ فهو المستحق لإفراده بالعبادة لا العاجز الذي لا يقدر على شيء .

وتتضح حقيقة الختم والعمى ونحوها فيما يلي :

١-أنّ الله تعالى عاقب الكفار بعدة أمور تمنعهم عن الإيمان، منها : الختم ، والطبع ، والضلال والعمى والبكم ونحوها . وهذه الأمور منها ما يرجع إلى القلب كالختم والطبع والقفل ونحوها ، ومنها ما يرجع إلى السمع كالصمم والوقر ، ومنها ما يرجع إلى البصر كالعمى والعشى .

٢-دعوى أنّ المراد بالختم والطبع والعمى ونحوها مجازات واستعارات دعوى باطلة ، فإنّ هذه الأمور إذا أُضيفت إلى محالّها كانت بحسب تلك المحالّ ، فنسبة ختم القلب وطبعه كنسبة ختم أو طبع الباب والصندوق ونحوهما ، وكذلك نسبة العمى إلى العين كعمى القلب وبصيرته ، بل هذه الأمور ألزم للقلب منها للبدن ، فالعمى في الحقيقة للقلب كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [3]. والمقصود : معظم العمى وأصله ، وهكذا جميع مانسب للقلب من الختم والطبع والموت ونحوها .

٣-أن القلب مَلِكُ الأعضاء، وهي جنوده ، وهو يحركها ويستعملها ، والإرادة والقوى والحركة الاختيارية تنبعث من القلب أصلاً والأعضاء تبعاً له .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٧ .

(٢) دفع إيهام الاضطراب ص١١ .

(٣) سورة الحج ، آية ٤٦ .

٤-أنّ الختم والطبع والإضلال ونحوها أفعال حسنة من الله وضعها في أليق المواضع لها ، والشرك والكفر والمعاصي وغيرها من الأفعال القبيحة لا تنسب إلى الله فعلاً ، وإن نُسب إليه خلقاً ، فخلقها غيرها، والخلق غير المخلوق ، والفعل غير المفعول .

٥-لا بد أن يُعلم أنه لا يمتنع مع الطبع والختم والقفل والضلال حصول الإيمان إذا تعاطى الإنسان أسباب الهداية ؛ فيفتح الأقفال والختم ونحوها (١).

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( والمقصود أنه مع الطبع والختم والقفل لو تعرّض العبد أمكنه فكُّ ذلك الختم والطابع وفتح ذلك القفل ، يفتحه مَنْ بيده مفاتيح كل شيء ، وأسباب الفتح مقدورة للعبد غير ممتنعة عليه ، وإن كان فك الختم وفتح القفل غير مقدور له كما أن شُرب الدواء مقدور له ، وزوال العلة وحصول العافية غير مقدور ، ... والله سبحانه يهدي عبده إذا كان ضالاً وهو يحسب أنَّه على هدى ، فإذا تبين له الهدى لم يعدل عنه لمحبته وملاءمته لنفسه ، فإذا عرف الهدى فلم يحبه ولم يرضَ به ، وآثر عليه الضلال مع تكرر تعريفه منفعة هذا وخيره ومضرة هذا وشره ، فقد سدّ على نفسه باب الهدى بالكلية ، فلو أنَّه في هذه الحال تعرض وافتقر إلى من بيده هداه ، وعلم أنه ليس له هدى نفسه وفَّقه وهداه ... لكن مِنْ أعظم أسباب الشقاء والضلال محبته له ورضاه به وكراهته الهدى والحق )) (٢).

---

(١) انظر: – الأوجه المتقدمة – الانتصار في الرد على القدرية ٢/ ٣٦١ – ٣٦٨ ، وشفاء العليل ص ١٥٨ – ١٦١ .

(٢) شفاء العليل ص ١٥٨ – ١٥٩ .

# المبحث الثالث : إذن الله

## المبحث الثالث : إذن الله

**تعريف الإذن في اللغة :**

الهمزة والذال والنون أصلان متقاربان في المعنى ، متباعدان في اللفظ : أحدهما : أذن كل ذي أذن ، والآخر : العلم ، وعنهما يتفرع الباب كله [1].

أذن يأذن إذا عَلِم ، وأذنت بهذا الشيء ؛ أي : علمت ، وآذنني فلان أعلمني ، والمصدر الإذن والإيذان ، وفعله بإذني أي : بعلمي ، ويجوز بأمري وهو قريب من ذلك [2].

**تعريف الإذن في الشرع :**

ورد لفظ الإذن في كتاب الله .

والإذن نوعان :

**الأول**: الإذن الكوني المتضمن ما يحبه الله تعالى وما لا يحبه ، ولا بد من وقوعه ، كقول الله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [3]. فلا يقع منه إلا ما أذن الله تعالى فيه إذناً كونياً قدرياً .

الثاني : إذن الله الشرعي ، المتضمن ما يحبه الله تعالى من الأمور الدينية ، كما قال الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [4][5].

فالمعتزلة ومن وافقهم يؤمنون بالإذن الشرعي فقط ، فما أذن الله تعالى ؛ أي ما أحب وأراد ؛ ولذلك زعموا أن العبد يخلق فعل نفسه ؛ فإنّ الله تعالى لم يأذن له بفعل الكفر والمعاصي ونحوها [6].

أما الجبرية : فأقروا بإذن الله تعالى الكوني ، فما أذن الله تعالى بوقوعه فهو محبوب لله تعالى ، ولم يُميزوا بين الإيمان والكفر والحق والباطل ، فكانوا شرًّا من المعتزلة ؛ حيث رأوا أن الله خالق المخلوقات كلها ، فهو خالق أفعال العباد ومريد جميع الكائنات [7].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١/٧٥ ( أذن ) .

(٢) انظر : العين ٨/٢٠٠ ، وتهذيب اللغة ١٥/ ١٥ ، ومعجم مقاييس اللغة ١/٧٦ – ٧٧ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٠٢ .

(٤) سورة الحشر ، آية ٥ .

(٥) انظر : الفتاوى ٨/٥٨ ، وشفاء العليل ص ٤٦٧ .

(٦) انظر : الفتاوى ٨/٥٩ .

(٧) الفتاوى ٨/٥٩.

ويوضح شيخ الإسلام الإذن بقوله : (( الإذن نوعان : إذن بمعنى المشيئة والخلق ، وإذن بمعنى الإباحة والإجازة . فمن الأول قوله في السحر : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (١)، فإن ذلك بمشيئة الله وقدرته ، وإلا فهو لم يبح السحر .

والقدرية تنكر هذا ( الإذن ) وحقيقة قولهم : إن السحر بدون إذن الله ... ، والنوع الثاني : قوله : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (٢).

فإن هذا يتضمن إباحته لذلك وإجازته له ، ورفع الحرج عن فاعله ، مع كونه بمشيئة الله وقضائه (٣).

وقد ورد ( الإذن ) في مواطن من كتاب الله تعالى، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (٤).

اشتملت الآية على الاستفهامات التالية :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ...؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة ، والمعنى : أخبروني آلله أذن لكم في التحليل والتحريم (٥)؟!

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ...؟ ﴾

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : التقرير، فهم يعلمون أنّ الله تعالى لم يأذن لهم في التحليل والتحريم .

و(أم) متصلة في قوله : ﴿ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ...؟﴾ ، ففي ذلك تقرير لافترائهم الكذب على الله (٦).

دلالة الآية :

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٠٢ .

(٢) سورة الحشر ، آية ٥ .

(٣) الفتاوى ١٤ / ٣٨٣ - ٣٨٤ - بتصرف - .

(٤) سورة يونس ، آية ٥٩ .

(٥) انظر : البحر المحيط ١٧١/٥ ، وتفسير الجلالين ص ٢٧٥ ، وتفسير أبي السعود ١٥٦/٤ .

(٦) انظر : تفسير أبي السعود ١٥٦/٤ ، وروح المعاني ١١ / ١٤٢ .

دلت الآية على أحد نوعي الإذن ، وهو الإذن الشرعي ، فإن الله تعالى أنكر على المشركين ما كانوا يحرمونه من الحرث والأنعام وغيرها من الأرزاق على أنفسهم ، وما كانوا يحللونه دون مسوّغ شرعي ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ [1].

فهل أباح الله لهم ذلك ، وأذن لهم في التحليل والتحريم ، أو أنّ ذلك محض افتراء وكذب على الله تعالى؟ من المعلوم أنّه تعالى لم يأذن لهم [2].

(١) سورة الأنعام ، آية ١٣٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٥/ ١١١ ، ١١٢ ، وتفسير السعدي ص ٣٦٧ .

# المبحث الرابع : أمر الله

## المبحث الرابع : أمر الله

**معنى الأمر في اللغة :**

الأمر نقيض النهي ، والأمر واحد من أمور الناس [1].

وأمرته بكذا أمراً ، والجمع الأوامر ، والأمر الحادثة ، والجمع الأمور [2].

**معنى الأمر في الشرع :**

ورد الأمر في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة ، و كان له أكثر من معنى بحسب السياق، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [3].

فالأمر في الآية الكلام، وهو صفة من صفات الله تعالى الذاتية الفعلية كما تقدم بحثها .

وينقسم الأمر قسمين :

الأمر الكوني : الأمر المتضمن ما يحبه الله تعالى وما لا يحبه ، ولا بد من نفوذ ذلك الأمر ووقوعه ، فمشيئته تعالى متعلقة بأمر الله الكوني ، كقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [4].فهذا أمر كوني قدري .

الأمر الشرعي : المتضمن ما يحبه الله تعالى من الأوامر ا لدينية الشرعية ، وهذا الأمر يقع من المؤمن ا لمطيع ، ولا يقع من الكافر المعرض ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [5][6]. فمحبته ورضاه متعلقة بأمره الشرعي .

وخالف في ذلك القدرية من المعتزلة وغيرهم ، فأقروا بالأمر الشرعي ، فقالوا : ما أمر الله ؛ أي : ما أحب وأراد ، ولذلك زعموا أن العبد يخلق فعل نفسه . فالله تعالى لم يأمر بالكفر والمعاصي ونحوها ، وإنما العبد فعلها استقلالاً [7].

---

(١) العين ٨/٢٩٧ .

(٢) لسان العرب ٤/٢٧ ( أمر ) .

(٣) سورة الأعراف ، آية ٥٤ .

(٤) سورة يس ، آية ٨٢ .

(٥) سورة النساء ، آية ٥٨ .

(٦) انظر : الفتاوى ٨ / ٥٨ ، وشفاء العليل ص ٨٨ – ٤٦٦ – ٤٦٧ .

(٧) انظر : الفتاوى ٨/ ٥٩ – ٦٠ .

أما الجبرية : فأقروا بالأمر الكوني ، فالله تعالى خالق المخلوقات ومريدها ، و لم يميزوا بين الحق والباطل والهدى والضلال ؛ حيث شهدوا المشيئة النافذة والقدرة الشاملة ، وعَمَوا عن الفارق بينهما [1].

قال ابن القيم – رحمه الله – : (( والصواب أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية ولا يستلزم الإرادة الكونية ، فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعاً وديناً ، وقد يأمر بما لا يريده كوناً وقدراً ، كإيمان من أمره و لم يوفقه للإيمان مراد له ديناً لا كوناً ....)) [2].

وقد ورد في كتاب الله تعالى نوعا الأمر ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ** ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (**هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ**...؟)

والأداة فيه : هل ، والمراد منه : الإنكار والجحد ؛ أي : ما لنا من أمر النصر والظفر شيء [4].

دلالة الآية :

دلت الآية أن الأمر بنوعيه الكوني والشرعي كله لله تعالى ، كما قال تعالى : (**قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ** ) ، فقد نزلت الآية لتبين ما أصاب المؤمنين في غزوة أحد من الهزيمة ، فأصاب المؤمِنْين الغمّ والحزن الشيء الكثير ، فأنزل الله تعالى على المؤمنين من عباده النعاسَ أمنةً من الله تعالى ورحمة ؟ أما المنافقون فقد أهمتهم أنفسهم ، فلا يغشاهم النعاس من القلق والجزع

(١) الفتاوى ٥٩/٨ – ٦٠ .

(٢) شفاء العليل ص ٤٦٥ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٥٤ .

(٤) انظر : زاد المسير ١ / ٤٨١ ، وتفسير القرطبي ٢٤٢/٤ ، وفتح القدير ٣٩١/١ ، وروح المعاني ٩٤/٤ ، وتفسير السعدي ص١٥٣ .

والخوف، يظنون بالله تعالى الظنونَ الكاذبة شكاً في أمره وتكذيباً لنبيه – ﷺ– يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟ وهذا استفهام إنكاري ؛ أي : ما لنا من النصر والظفر شيء ؟ فأساؤوا الظن بربهم وبدينه وبنبيه ، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله ، وأن هذه الهزيمة هي القاضية على دين الله [(١)].

فأمر الله تعالى نبيه أن يجيبهم بقوله : ( **قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ** ) ، والأمر يشمل الأمر القدري والأمر الشرعي ، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره ، فالنصر والظفر متحقق لرسوله ﷺ ولأوليائه.

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (( قل يا محمد لهؤلاء المنافقين : ﴿**إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ**﴾ يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحب )) [(٢)].

وزعم القاضي عبدالجبار من المعتزلة أن دعوى المنافقين ﴿أنه ليس لهم من الأمر شيء﴾ مَجاز بناءً على أصله الفاسد ، وهو أن العبد يخلق فعل نفسه .

قال : (( فظاهره يُوجب أنهم ليس لهم فيما يسمى أمراً صنعٌ . والأفعال إذا سميت بذلك فمجاز . وقوله تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ**﴾ ظاهره إنما يدل على أن التكليف والأمر هو الذي يختص به ، وليس فيه ذكر الأفعال )) [(٣)].

وقد بينا –فيما تقدم– أنّ أمر الله تعالى نوعان : كوني فكل ما في الكون لا يخرج عن ذلك الأمر ومن ذلك فعل العبد ، وشرعي ديني ، وكلاهما ثابتان لله تعالى ، وقد ضل من أثبت لله تعالى أمراً دون أمر .

---

(١) تفسير السعدي ص ١٥٣ – بتصرف يسير – .

(٢) تفسير الطبري ٧ / ٣٢٢ .

(٣) متشابه القرآن ص ١٦٩ .

# الفصل الثالث:

## الأسماء والأحكام

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الإسلام والإيمان والإحسان .

المبحث الثاني : الكفر وأنواعه .

المبحث الثالث : أهل الكتاب .

المبحث الرابع : النفاق .

## المبحث الأول

## الإسلام والإيمان والإحسان

وفيه مطالب :

المطلب الأول : الإسلام .

المطلب الثاني : الإيمان .

المطلب الثالث : الإحسان .

يشتمل الدين على مراتب ثلاث ، هي : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان كما بيّنها النبي – ﷺ– في حديث جبريل المشهور ، وحاصل ذلك أنّ الدين وأهله ثلاث طبقات : أولها: الإسلام ، وأوسطها : الإيمان ، وأعلاها : الإحسان ، فكل محسن مؤمن مسلم ، وكل مؤمن مسلم ، أمّا المسلم فلا يلزم أن يكون مؤمناً ، وقد قسَّم الله تعالى عباده أصنافاً ثلاثة : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [١].

فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان هو الظالم لنفسه ، والمقتصد هو الذي أدى الواجب وترك المحرم ، والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنّه يراه [٢].

---

(١) سورة فاطر ، آية ٣٢ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار ١/٤٣٠ .

## المطلب الأول : الإسلام

**تعريف الإسلام في اللغة :**

الإسلام والاستسلام : الانقياد ؛ لأنّه يَسْلم من الإباء والامتناع ، يقال : سَلَّمَ الشيء لفلان ؛ أي : خلَّصه ، وسَلَمَ له الشيء ؛ أي : خَلَصَ له . والإسلام إظهار القبول والخضوع لما أتى به سيد المرسلين -ﷺ- [1].

**تعريف الإسلام في الشرع :**

هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله [2].

**ولإطلاقه في الشرع حالتان :**

الحالة الأولى : أن يُطلق مفرداً غير مقترن بالإيمان ، فحينئذٍ يُراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقادات وأقوال وأعمال ، كقول الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ [3].

الحالة الثانية : أن يُطلق مقترناً بالإيمان ، فحينئذٍ يُراد به الأعمال والأقوال الظاهرة ، ويُراد بالإيمان الأعمال الباطنة ، كقول الله تعالى : ﴿ **قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ** ﴾ [4][5].

فالإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، فإذا قُرن بين الاسمين افترق المراد بهما ، وإذا أفرد أحدهما اجتمع معناهما ولا فرق بينهما .

وقد ذكر الله تعالى دين الإسلام في مواطن متعددة من كتابه الكريم ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ**

---

(1) معجم مقاييس اللغة ٣/٩٠ ( سلم ) ، ولسان العرب ١٢ / ٢٨٩ ( سلم ) .
(2) الأصول الثلاثة ص ١٨٩ .
(3) سورة آل عمران ، آية ٨٥ .
(4) سورة الحجرات ، آية ١٤ .
(5) انظر : الإيمان لابن تيمية ص ١٠ – ١١ ، ومعارج القبول ٢ / ٥٩٥ – ٥٩٧ .

﴿بَصِيرٌۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( ...ءَأَسۡلَمۡتُمۡ ؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الأمر ؛ أي : أسلموا تتحقق لكم الهداية [2].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ [3].

صُدّرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ...؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : أتبتغون ديناً غير دين الله الذي استسلم له مَنْ في السموات والأرض طوعاً وكرهاً؟ [4].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾[5].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا...؟) .

والأداة : مَنْ مقترنة بالواو ، والمراد منه : النفي أي : لا أحد أحسن ديناً مّمن أسلم وجهه لله .

وقول الله تعالى:﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾[6].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي [7].

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٢٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ / ٢١٤ ، وتفسير البغوي ١/ ٢٨٧ ، وزاد المسير ٣٦٤/١ ، ومغني اللبيب ص ٢٧ ، وفتح القدير ١ / ٣٢٦ ، وأضواء البيان ٢ / ٤٠٥ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٨٣ .

(٤) انظر : روح المعاني ٢١٣/٣ ، والتحرير والتنوير ٣ / ٢١٣ .

(٥) سورة النساء ، آية ١٢٥ .

(٦) سورة النحل ، آية ٥٢ .

(٧) انظر : فتح القدير ١٦٩/٣ ، وروح المعاني ١٦٤/١٤ .

يقول الشنقيطي : (( أنكر – جلّ وعلا – في هذه الآية على من يتقي غيره ؛ لأنه لا ينبغي أن يُتقى إلا مَنْ له النفع كله والضر كله ؛ لأنّ غيره لا يستطيع أن ينفعك بشيء لم يرده الله لك ، ولا يستطيع أن يضرك بشيء لم يكتبه الله عليك )) (١).

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (٢).

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ...؟ )

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والنفي ؛ أي : فلا يستوي المؤمن الذي نوّر الله قلبه بالإيمان والكافر العاصي الذي خلى قلبه من ذكر الله (٣).

وقول الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (٤).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ ؟)

والأداة فيه: الهمزة، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، فإنّ الله تعالى ينكر عليهم ادعاءهم الإيمان ، والله تعالى لا يخفى عليه شيء من حالهم (٥).

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أن المرتبة الأولى من مراتب الدين ، وهي : الإسلام الذي لا يقبل من الأولين والآخرين دين سواه ، ويتضح ذلك من وجوه :

١-أن الإسلام ينقسم قسمين :

---

(١) سورة الزمر ، آية ٢٢ .

(٢) أضواء البيان ٣٨٤/٢ .

(٣) انظر : روح المعاني ٢٥٧/٢٣ .

(٤) سورة الحجرات ، ١٦ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ١٢٤/٨ ، وروح المعاني ٢٦ / ١٦٩ ، والتحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٩ ، وأضواء البيان ٤٢١/٧ .

أ-الإسلام العام : الذي بُعث به جميع الرسل، ولن يقبل الله ديناً سواه ، فقد أنكر الله تعالى على مَنْ أراد ديناً سوى دين الله الذي أنزل به كتبه ، وأرسل به رسله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وله استسلم مَنْ في السموات والأرض طوعاً وكرهاً : والمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ، والكافر مستسلم لله كرها ، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان الذي لا يُخالف ولا يُمانع.

ب-أمَّا الإسلام الخاص فيُطلق على الدين الذي جاء به محمد - ﷺ- مما يطلق على أتباعه المسلمين ، وهو المتضمن لشرائع الإسلام المعروفة ؛ كإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (( له معنيان - أي الإسلام - أحدهما : الدين المشترك ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي بعث به جميع الأنبياء ؛ كما دلَّ على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة .

والثاني : ما اختص به محمد من الدين والشرعة والمنهاج ...)) [(١)].

٢-أنّ الدعوة إلى الإسلام عامة لكل من أدرك بعثة النبي -ﷺ- ، سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم ، فقد أمر الله نبيه -ﷺ- أن يردّ على نصارى نجران لَمّا حاجوه ، فقل : (**أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ**) ، ثمّ وجه الأمر إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمشركين من العرب : (أأسلمتم؟) ؛ أي : أسلموا وأفردوا التوحيد لله وحده ، وأخلصوا العبادة له وحده دون سائر الأنداد والشركاء الذين تشركوهم معه في عبادتكم [(٢)].

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : (( فقد أُمِر أهل الكتاب بالإسلام كما أُمر به الأميين ، وجعلهم إذا أسلموا مهتدين وإن لم يسلموا فقد قال : (**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ**) أي : تبلغهم رسالات ربك إليهم ، والله هو الذي يحاسبهم ، فدل هذا على أنّه عليه أن يُبلّغ أهل الكتاب ما أمرهم به من الإسلام كما يُبلّغ الأميين ، وأنّ الله يحاسبهم على ترك الإسلام كما يحاسب الأميين )) [(٣)].

(١) الفتاوى ٧ / ٦٣٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣ / ٣١٤ ، وتفسير البغوي ١ / ٢٨٧ .

(٣) الجواب الصحيح ٢ / ١٢٧ .

٣-أنّ دين الإسلام أفضل الأديان وأحسنها ، ولذلك نفى الله تعالى أن يكون دين أفضل وأحسن منه ، فهو الدين الدائم والثابت الذي يجب على كل فرد الدخول فيه [(١)].

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – : (( فنفى أن يكون دين أحسن من هذا الدين ، وأنكر على مَنْ أثبت ديناً أحسن منه ؛ لأن هذا استفهام إنكار ، وهو إنكار نهي وذم لمن جعل ديناً أحسن من هذا )) [(٢)].

كما أنّ حال المسلم الذي نوّر الله قلبه بوحدانية الله والخضوع لطاعته فهو على نور من ربه وبصيرة ، ليس كحال مَنْ أقسى الله قلبه ، وأخلاه من ذكره ، وضيقه عن استماع الحق ، واتباع الهدى [(٣)].

يقول الإمام ابن منده : (( مدح الله الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان ، وجعله اسم ثناء وتزكية ، وأخبر أنّ مَنْ أسلم فهو على نور من ربه ، وأخبر أنّه دينه الذي ارتضاه )) [(٤)].

٤- أمَّا آية الأعراب فدليلٌ على الفرق بين الإسلام والإيمان، فالله تعالى نفى عنهم الإيمان، وأثبت لهم إسلاماً، فالله تعالى سمى فعلهم إسلاماً، وإنّما قالوا: آمنّا، ثمّ أخبر أنّ المنة تقع بالهداية إلى الإيمان، فأمّا الإسلام الذي لا إيمان معه، فكان الناس يفعلونه خوفاً من السيف، فلا منّة لهم بفعله، بل كان كإسلام المنافقين الذي لا يقبله الله. وفي هذه الآيات ورد الإسلام والإيمان مقترنين، مما يدل على أنّ المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة[(٥)].

فالأعراب ليسو منافقين ، وإنّما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مِمّا وصلوا إليه ، فأُدّبوا في ذلك ، أن لا يدّعوا لأنفسهم الإيمان الكامل ، ولذلك أنكر الله تعالى عليهم ذلك بقوله : (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ؟) أي : أتخبرونه بما في ضمائركم ؟ فإنّ الله تعالى لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء [(٦)].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١١٨ ، وتفسير القرطبي ١١٤/١٠ ، وتفسير ابن كثير ٥٧٣/٢ .

(٢) الفتاوى ١٤/ ٤٢٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٠٩/٢٣ ، وتفسير البغوي ٦٧/٤ .

(٤) الإيمان لابن منده ص٣٢١.

(٥) انظر : الفتاوى ٧ / ٣٧٦ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٦ / ١٤٤ ، وتفسير البغوي ٢١٩/٤ ، وتفسير ابن كثير ٢٢٠/٤ .

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : يخبر تعالى عن مقالة الأعراب الذين دخلوا في الإسلام على عهد رسول الله دخولاً من غير بصيرة ، ولا قيام بما يجب ، ويقتضيه الإيمان مع هذا ادَّعوا وقالوا : آمنا إيماناً كاملاً مستوفياً جميع أموره ، فأمر الله رسوله أن يرد عليهم ؛ فلا تدَّعوا لأنفسكم مقام الإيمان ظاهراً وباطناً ... ولكن قولوا أسلمنا في الإسلام واقتصروا على ذلك ... فإنه تعالى يعلم ما في القلوب من الإيمان والكفر ، والبر والفجور ويجازي عليه إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر [1].

(١) تفسير السعدي ص ٨٠٢ – بتصرف يسير – .

## المطلب الثاني : الإيمان

**تعريف الإيمان في اللغة :**

مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن [١]، وأصل آمن أأمن بهمزتين لينت الثانية ، وهو من الأمن ضد الخوف [٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( ... فإن اشتقاقه من الأمن[٣] الذي هو القرار والطمأنينة ، وذلك إنّما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد )) [٤].

إذاً فلفظ (آمن) مرادف للفظ (أقرَّ) ، وقد عُرِّف الإيمان في اللغة بعدّة تعريفات ، فقيل : هو التصديق ، وقيل : هو الثقة ، وقيل : هو الطمأنينة [٥].

وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: أن آمن ؛ أي : أقرَّ . ونفى دعوى الترادف بين الإيمان والتصديق ، وذلك من وجوه :

١–أنّ لفظة (آمن) تختلف عن لفظة (صدَّق) ، من جهة التعدي ، فإن لفظ (آمن) لا يتعدى بنفسه، وإنّما يتعدى بلفظ الباء أو اللام ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ** ﴾[٦]، وقال تعالى : ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ** ﴾ [٧]، فلا يقال : آمنه ، وإنّما آمن به ، وآمن له . أمّا لفظ (التصديق) فيتعدى بنفسه ، فيقال : (صدقه) .

٢– لا ترادف بينهما من حيث المعنى ؛ فإن الإيمان لا يستخدم إلا في الأمور التي يؤتمن فيها المخبر مثل الأمور الغيبية ؛ لأنّه مشتق من الأمن . أما الأمور المشاهدة فلا يصح أن يُقال فيها : آمن ، وإنما يقال : صدق ، لأن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له : صدقت، كما يقال : كذبت ، بخلاف الإيمان فلا يستعمل إلا في الخبر عن غيب .

---

(١) تهذيب اللغة ١٥/ ٣٦٨ ( أمن ) .

(٢) لسان العرب ٢٧/١٢ ( أمن ) .

(٣) لسان العرب ١٢/ ٢٧ ( أمن) ، والقاموس المحيط ص ١٥١٨ .

(٤) الصارم المسلول ٩٦٧/٣ .

(٥) لسان العرب ١٢ / ٢١ ( أمن ) .

(٦) سورة العنكبوت ، آية ٢٦ .

(٧) سورة البقرة ، آية ٢٨٥ .

٣-أنّ لفظ الإيمان في اللغة لا يقابل : التكذيب ، فإذا لم يصدق المخبر في خبره يقال : كذبت، وإذا صدق يقال : صدقت ، ولا يقال لكل مخبر : آمنا له أو كذبناه ، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر ، والكفر لا يختص بالتكذيب ، بل له أنواع أخر ، كما سيأتي بيانه .

٤-أن الإيمان في اللغة مشتق من الأمن الذي هو ضد الخوف ، فآمن أي صار داخلاً في الأمن. كما قال الله تعالى عن إخوة يوسف: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾[1]؛ أي: لا تقر بخبرنا ، ولا تثق به ، ولا تطمئن إليه ولوكنا صادقين ؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممّن يؤتمن [2].

ومن ثمَّ فلفظ (آمن) مرادف للفظ (أقرّ) .

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – : (( ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق ، والإقرار ضُمن قول القلب الذي هو التصديق ، وعمل القلب الذي هو الانقياد )) [3].

ويقول : (( ... فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق ، مع أنّ بينهما فرقاً )) [4].

**تعريف الإيمان في الشرع :**

هو تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح .

يقول الآجرى – رحمه الله – : (( اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أنّ الذي عليه علماء المسلمين: أنّ الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح .

ثمَّ اعلموا أنّه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق ، إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا، ولا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمنًا دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين )) [5].

---

(١) سورة يوسف ، آية ١٧ .

(٢) الإيمان ص ٢٧٥ – ٢٧٨ .

(٣) الفتاوى ٧ / ٦٣٨ .

(٤) الإيمان ص ٢٧٦ .

(٥) الشريعة ص ١٢٥ . وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٤/٩١١ .

ويقول شيخ ابن تيمية – رحمه الله – : (( ومن أصول أهل السنة والجماعة : أنّ الدِّين والإيمان قولٌ وعمل )) (١).

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : (( إن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل ، والقول قسمان : قول القلب وهو الاعتقاد ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام ، والعمل قسمان : عمل القلب ، وهو نيته وإخلاصه ، وعمل الجوارح ، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله ، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء ...)) (٢).

إذاً فالقول قسمان : قول القلب وهو اعتقاده ، وقول اللسان ، والعمل قسمان : عمل القلب كالنية والإرادة ، وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة والحج وغيرها .

والأدلة على ذلك كثيرة منها :

الدليل على تصديق القلب وإيقانه قول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ...﴾ (٣).

ومن الأدلة على أنّه قول باللسان قول الله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ (٤).

ومن الأدلة على أنّه عمل بالجوارح قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥).

**وقد خالف في مسمّى الإيمان طوائف ، بيانها كما يلي :**

الأولى: الخوارج والمعتزلة يوافقون أهل السنة والجماعة أنّ الإيمان : قول واعتقاد وعمل، لكنهم يجعلون العمل شرطًا في صحة الإيمان ، فهو كُلٌّ واحد لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله، فإذا أخل بالعمل فهو كافر عند الخوارج، وفي منْزلة بين المنْزلتين عند المعتزلة(٦).

---

(١) الواسطية ( شرح الشيخ ابن عثيمين ) ٢/٢٢٩ .

(٢) الصلاة ص ٥٢ – ٥٣ .

(٣) سورة الزمر ، آية ٣٣ – ٣٤ .

(٤) سورة البقرة ، آية ١٣٦ .

(٥) سورة الحج ، آية ٧٧ .

(٦) انظر : الفتاوى ١٣ / ٤٨ .

الثانية : أن الإيمان مجرد المعرفة القلبية ، ولازم هذا القول أن يكون إبليس وفرعون وغيرهما من رؤوس الضلال مؤمنين كاملي الإيمان .

الثالثة : أن الإيمان مجرّد قول اللسان ، ولا يعرف عن أحد إلا الكرَّامية .

الرابعة : أنّ الإيمان تصديق القلب وقول اللسان ، وهذا المشهور عن أهل الفقه الذين أُطلق عليهم : مرجئة الفقهاء [(١)].

والأدلة التي تثبت أن الإيمان قول واعتقاد وعمل كثيرة ، وليس هذا موضع بسطها ؛ منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا** ﴾ [(٢)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (**وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ**...؟)

والأداة فيه : (ما) مقترنة بالواو واسم الإشارة، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، فأيّ شيء يضرهم لو سلكوا الطريق الحميدة ، وآمنوا بالله تعالى [(٣)].

وقول الله تعالى:﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[(٤)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : ( **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ**...؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، ونفي المساواة ، فالله تعالى أنكر عليهم التسوية بين ما كان يعمله أهل الجاهلية من الأعمال التي لم ينتفعوا بها إيمان المؤمنين بالله واليوم الآخر [(٥)].

---

(١) انظر : الأقوال في : مقالات الإسلاميين ص ١٣٢ ، والإيمان لابن تيمية ص ١٨٤ ، لوامع الأنوار ١/ ٤٢٠ – ٤٢٢ .

(٢) سورة النساء ، آية ٣٩ .

(٣) انظر: الكشاف ٥٤٣/١، وتفسير أبي السعود ١٧٧/٢، وروح المعاني ٣١/٥، والتحرير والتنوير ٥٤/٥.

(٤) سورة التوبة ، آية ١٩ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٩٤/٣ ، وبدائع الفوائد ٨١٤/٤ ، وفتح القدير ٣٤٤/٢ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [(1)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا...؟)

والأداة فيه : أيّ ، مقترنة بالكاف والميم ، والمراد منه : الإنكار والاستهزاء بالمؤمنين ، فإن المنافقين كانوا يقولون ذلك استهزاء بالقرآن وبالمؤمنين [(2)].

وقول الله تعالى : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[(3)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ...؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والنفي ؛ أي : أتؤمن الآن ، فإيمانك غير مقبول [(4)].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [(5)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ...؟)

والأداة فيه : ما مقترنة بالجار والمجرور ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : أيُّ مانع من الإيمان وقد أُزيحت عنكم العلل [(6)]؟!

دلالة الآيات :

إنّ الإيمان بالله تعالى هو سبيل النجاة في الدنيا والآخرة ، فما من أمة من الأمم إلا بُعث فيها الرسل ، وأنزلت فيها الكتب لتقيم الإيمان والعبودية لله تعالى ، ويتضح ذلك من خلال الآيات التي هي محل الدراسة ، وذلك من وجوه :

---

(١) سورة التوبة ، آية ١٢٤ .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٣٤٠/٢ ، والبحر المحيط ١١٨/٥ ، وفتح القدير ٤١٧/٢ .

(٣) سورة يونس ، آية ٩١ .

(٤) انظر : رسالة في الرد على ابن عربي ص ٢٠٧ ، وفتح القدير ٤٧٠/٢ ، وأضواء البيان ١٦١/٢ .

(٥) سورة الحديد ، آية ٨ .

(٦) انظر : زاد المسير ١٦٢/٨، والبحر المحيط ٢١٧/٨، وتفسير أبي السعود ٢٠٥/٨ ، وروح المعاني ٢٧/ ١٦٩، وفتح القدير ٥ / ١٦٧ .

١-أن الإيمان بالله أساس قبول الأعمال ؛ إذ لا يقبل من الأعمال إلا ما أُريد به وجهه ، ولذلك أنكر الله تعالى على مَنْ أنفق ماله رئاء الناس ، ولم يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وأخلصوا له التوحيد ، وأيقنوا بالبعث بعد الممات ، وأنفقوا الأموال طيبة بها نفوسهم ، ولم ينفقوها التماس الذكر والفخر عند أهل الكفر لكان خيرًا لهم وسعادة لهم في الدنيا والآخرة [(١)].

كما أنّ الله تعالى نفى المساواة بين إيمان مَنْ آمن بالله واليوم والآخر ، وجاهد في سبيل الله وبين السقاية والعمارة للمسجد الحرام ؛ ولذلك لَمّا افتخر المشركون بالأعمال التي يقومون بها من سقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام ، أنكر الله تعالى عليهم ذلك مبينًا التفاوت بين مَنْ حقق الإيمان بالله واليوم الآخر ، فكانت أعماله خالصة لوجه الله وبين مَنْ كانت أعمالهم مبنية على الشرك والفخر والرياء ، فعمارة المساجد والسقاية محمودة حينما يُراد بها وجه الله وتكون خالصة من الشرك ، فالإيمان والإخلاص أساس لقبول الأعمال [(٢)].

٢-أنّ الله تعالى أقام من الحجج والأدلة ما قطع به العذر، وأزال به الشك من قلوبكم ، فما المانع الذي يمنعكم من الإيمان بربكم ؟ والرسول يدعوكم إلى الإقرار بوحدانية الله ، ودعوته مؤيدة بالأدلة والحجج القطعية الدالة على صدق ما جاء به مِمّا يستوجب المبادرة إلى إجابة دعوته بالإيمان بالله تعالى وبرسوله[(٣)] .

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – : (( **﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ...؟﴾** ما شأنكم أيُّها الناس لا تُقرُّون بوحدانية الله ، ورسوله محمد -ﷺ- يدعوكم إلى الإقرار بوحدانيته، وقد أتاكم من الحجج على حقيقة ذلك ما قطع عذركم، وأزال الشك من قلوبكم، **﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ﴾** ...، وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم بأنه الله ربكم لا إله لكم سواه))[(٤)].

٣-دلت آية التوبة على مسألة مهمة ، وهي : أنّ الإيمان يزيد بالطاعة ، كما دلت بدلالـــة

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٥/ ٨٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٠ / ٩٤ ، طريق الهجرتين ص ٥٢٧ ، وفتح القدير ٣٤٤/٢ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٢٩٤/٤ ، وزاد المسير ١٦٢/٨ ، وتفسير ابن كثير ٣٠٦/٤ .

(٤) تفسير الطبري ٢٧ / ٢١٨ .

الالتزام على أنّ الإيمان ينقص بالمعصية؛ لأن كل ما يزيد ينقص[1]. فإنّ المنافقين كانوا يقولون : أيُّها الناس أيّكم زادته هذه الآية إيمانًا ؟ وذلك استهزاءً منهم واستخفافاً بالمؤمنين، وحال المؤمنين عند نزول القرآن تزيدهم إيمانًا وفرحًا واستبشارًا ، وحال الذين في قلوبهم مرض وريب يزيدهم رجسًا إلى رجسهم ويودّون أنّها لم تنْزل [2].

وقد دلَّ الكتاب والسنة على أنَّ الإيمان يزيد وينقص ، وأنّ الناس يتفاضلون في الإيمان بعضهم أكمل من بعض ، فمنهم السابق بالخيرات ، ومنهم المقتصد ، ومنهم الظالم لنفسه[3].

وقد صرّح الله تعالى في مواضع من كتابه بزيادة الإيمان، ومن ذلك قول الله تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴾ [4].

وقول الله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ [5].

كما يدل على ذلك حديث أبي هريرة -رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ-: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شُعبة ، فأفضلها قول لاإله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شُعبة من الإيمان ) [6].

وهذه الشعب متفاوتة ليست على درجة واحدة في الفضل ، بل بعضها أفضل من بعض، فمنها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً كشعبة الشهادتين ، ومنها ما لا يزول بزوالها

(١) أضواء البيان ٥٠/٢ - بتصرف - .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٧٢/١١ ، وتفسير البغوي ٣٤٠/٢ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٥١٨/٣ ، وتفسير القرطبي ٢٩٨/٨ ، وتفسير ابن كثير ٤٠٣/٢ .

(٣) انظر : الشريعة ص ١١٧ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٧٣ .

(٥) سورة الأحزاب ، آية ٢٢ .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان ، باب : أمور الإيمان [٩] انظر : البخاري مع الفتح ٥١/١ ، ومسلم في صحيحه، كتاب : الإيمان ، باب : بيان عدد شعب الإيمان ... [ ٣٥ ] ٦٣/١ واللفظ لمسلم .

إجماعًا كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً ، فمنها ما يقرب من شعبة الشهادتين ، ومنها ما يقرب من شعبة إماطة الأذى [1].

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( الإيمان أصلٌ له شُعب متعددة ، وكل شعبة منها تسمى إيمانًا ... وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة ، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق ، وبينها شعب متفاوتة تفاوتًا عظيمًا ، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب ، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى، ويكون إليها أقرب))[2].

وقد خالف في زيادة الإيمان ونقصانه بعض العلماء ، وسنعرض أقوالهم بإيجاز :

القول الأول :

مَنْ قال بزيادة الإيمان ، وتوقف في نقصانه ؛ لأنّهم وجدوا ذكر الزيادة في الإيمان ، ولم يجدوا ذكر النقص .

وهذه إحدى الروايتين عن الإمام مالك[3]. وإن كان الأئمة رووا عن الإمام مالك أنه قال بزيادة الإيمان ونقصانه ، وهو المشهور عنه [4].

القول الثاني :

أنّ الإيمان يزيد ولا ينقص .

فهؤلاء مَنْ قال : إن الإيمان هو التصديق بالقلب ، فقد منعوا من النقصان فيه ، واختلفوا في زيادته ، فمنهم من منعها ، ومنهم من أجازها [5]. وقد قال بهذا القول طائفة من الأشاعرة [6].

القول الثالث :

مَنْ قال : إنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨٢ .

(٢) الصلاة ص ٥١ – ٥٢ .

(٣) انظر : الفتاوى ٥٠٦/٧ .

(٤) انظر : السنة للخلال ٢٠٨/٣ ، والشريعة للآجري ص١٢٣ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي ٩٦٣/٥ .

(٥) انظر : الفتاوى ٥١١/٧ .

(٦) انظر : شرح جوهرة التوحيد ص٥١ .

وهذا القول منسوب إلى أبي حنيفة وأصحابه ، والخوارج والمعتزلة ، والجهمية ، والأشاعرة ، والماتريدية (١).

وذلك أنّ الإيمان عندهم كل واحد لا يتجزأ ولا يتبعض ، وإذا ذهب بعضه ذهب كله، وإذا ثبت بعضه ثبت كله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((وجماع شبههتم -الخوارج والمعتزلة والمرجئة- في ذلك أنّ الحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها كالعشرة ، فإنّه إذا زال بعضها لم تبق عشرة ... قالوا إذا كان الإيمان مركباً من أقوال وأعمال ، ظاهرة وباطنة ، لزم زواله بزوال بعضها. وهذا قول الخوارج والمعتزلة ... ولهذه الشبهة – والله أعلم – امتنع من امتنع من أئمة الفقهاء أن يقول بنقصه ؛ كأنّه ظن أنه إذا قال ذلك يلزم ذهابه كله ؛ بخلاف إذا زاد )) (٢).

ويقول : (( وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنّهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه ، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه ... )) (٣).

وهذه الشبهة التي استندوا إليها شبهه ضعيفة ، فإنّ من المركبات ما يكون التركيب شرطاً في إطلاق الاسم ، ومنها ما لا يكون كذلك ، فالأول كاسم العشرة ، والثاني : ما يبقى الاسم بعد زوال بعض الأجزاء ، فالمكيلات والموزونات تسمى حنطة ، وهي بعد النقص حنطة، وكذلك التراب والماء ونحو ذلك (٤).

٤-دلت آية يونس على أنّ الإيمان يُقبل من الكافر حال حياته قبل حضور الموت، فالإسلام يجبُّ ما قبله ، أما إذا كانت توبته من الكفر والشرك عند حضور الموت، فإنها لا تنفعه كما هو حال فرعون الذي بلغ من الكفر والظلم والعتو والتجبر في الأرض بغير الحق، فحينما أهلكه الله بالغرق وظن أنّه ميت لا محالة قال : ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ص١٣٣ ، والإرشاد للجويني ص ٣٩٩ ، والملل والنحل ٨٨/١ ، وشرح الفقه الأكبر ص ١٢٦ ، وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ٥٠ - ٥١ .

(٢) الفتاوى ٥١١/٧ .

(٣) الفتاوى ٧/ ٥١٠ .

(٤) انظر : الفتاوى ٥١٤/٧ - ٥١٦ .

ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ، فأنكر الله تعالى عليه ذلك الصنيع بقوله : ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ، ونفى قبول الإيمان منه في ذلك الحين ، فقد أرسل الله تعالى إليه موسى وهارون –عليهما السلام– مُؤَيدين بالبراهين من ربهم ، فأبى واستكبر عن الإيمان بهما ، فلما حضره الموت أعلن توبته، فذلك أمر نفى الله تعالى قبوله [1].

---

(١) انظر : رسالة في الرد على ابن عربي ص ٢٠٣ ، وأضواء البيان ٢٥٧/٥ .

## المطلب الثالث : الإحسان

### تعريف الإحسان في اللغة :

(( الحاء والسين والنون أصلٌ واحد . فالحسن ضد القبح )) [(١)].

يُقال : حَسُن وحَسَن يَحْسُن حُسْناً ، فهو حاسِنٌ وحَسَن .

والإحسان ضد الإساءة ، ويُقال : أحْسِنْ يا هذا فإنك مِحْسانٌ ، أي : لا تزال مُحْسِناً. وأحسَنَ به الظنَّ : نقيض أساءَه [(٢)].

### تعريف الإحسان في الشرع :

قد عرّفه النبي – ﷺ– في حديث جبريل بقوله : ( أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنّه يراك ) [(٣)].

ويُوضح شيخ الإسلام ابن تيمية معنى الإحسان بقوله : (( أمَّا الإحسان الذي فيه أن تعبد الله كأنك تراه ، فهذا مقام من يُميّز بين المأمور والمحظور ، فإنّ العبد إذا قدّر كأنّه يشاهد ربه فعَلَ ما أُمر به ، وترك ما نهى عنه ، ووالى أولياءه ، وعادى أعداءه ...)) [(٤)].

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : (( فإنّ الإحسان إذا باشر القلب منعه عن المعاصي ، فإنّ مَنْ عبد الله كأنّه يراه لم يكن كذلك إلا لاستيلاء ذكره ، ومحبته ، وخوفه ، ورجائه على قلبه بحيث يصير كأنّه يشاهده ، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعاصي ...)) [(٥)].

ومرتبة الإحسان على درجتين ، وإنّ للمحسنين مقامين متفاوتين :

المقام الأول : وهو أعلاهما : أن تعبد الله كأنك تراه ، وهذا مقام المشاهدة ، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته الله –عز وجل– بقلبه ، وهو أَنْ يتنوّر القلب بالإيمان ، وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان ، فمن عبد الله –عز وجل– على استحضار قربه منه وإقباله عليه ، وأنّه بين يديه كأنه يراه ، أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٥٧/٢ ( حسن ) .

(٢) لسان العرب ١٣ / ١١٤ ( حسن ) .

(٣)تقدم تخريجه ص٤٠١ .

(٤) الاستغاثة ١/ ٢٢١ ، وانظر : الفتاوى ٩١/١ .

(٥) الجواب الكافي ص ٤٧ .

المقام الثاني : مقام الإخلاص ، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه ، واطلاعه عليه ، وقربه منه ؛ فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى ، لأنّ استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غيره [1].

وقد ذكر الله تعالى مقام الإحسان وما أعدّه للمحسنين في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ...؟)

والأداة فيه : هل ، والمراد منه : النفي ؛ أي : ما جزاء من أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة [3].

دلالة الآية :

دلت الآية على مقام الإحسان الذي هو أعلى مراتب الدين ، وأهله هم أهل الخشية والتقوى والمراقبة لله تعالى ، فلمّا كانوا يعبدون الله -عز وجل- في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنّهم يرونه بقلوبهم ، وينظرون إليه في حال عبادتهم إياه ، كان جزاؤهم على ذلك الإحسان إليهم ودخولهم الجنة [4].

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( أعظم الإحسان الإيمان ، والتوحيد ، والإنابة إلى الله، والإقبال عليه ، والتوكل عليه ، وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً ومهابة وحياء وخشية ، فهذا مقام الإحسان كما قال النبي -ﷺ- وقد سأله جبريل عن الإحسان ، فقال : ( أن تعبد الله كأنك تراه) ، وإذا كان هذا هو الإحسان فرحمة الله قريب من صاحبه ... كما أحسنوا جُوزوا بالإحسان و﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ يعني : هل جزاء من أحسن عبادة ربه إلا أن يحسن ربه إليه )) [5] .

---

(١) معارج القبول ٩٩٩/٣ – بتصرف يسير – .

(٢) سورة الرحمن ، آية ٦٠ .

(٣) مغني اللبيب ص٤٥٩ ، وتفسير أبي السعود ١٨٥/٨ ، وفتح القدير ١٤٢/٥ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٧ / ١٥٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٨١/٤ ، وتفسير السعدي ص ٨٣٢ .

(٥) بدائع الفوائد ١٨/٣ .

ويقول: ((إنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأُولَيين[1]﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ ، وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل ، فكان جزاؤهم بإحسان كامل )) [2].

فكما أحسنوا في عبادة الله تعالى وأحسنوا إلى عباد الله أحسن الله إليهم ، وأعطاهم أفضل ما يُعطي أولياءه من الجزاء الأوفى والأكمل .

---

(١) في قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ (٦٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾. الآيات [ الرحمن ٤٦ – ٦٣] .

(٢) حادي الأرواح ص ٧٢ .

# المبحث الثاني

## الكفر وأنواعه

وفيه مطالب :

المطلب الأول : كفر التكذيب والجحود .

المطلب الثاني : كفر الإباء والاستكبار .

المطلب الثالث : كفر الإعراض .

المطلب الرابع : كفر الشك والظن .

المطلب الخامس : كفر النعمة .

قبل الدخول في موضوع الكفر لا بد من معرفة حقيقة الكفر في اللغة والشرع :

**تعريف الكفر في اللغة :**

((الكاف والفاء والراء أصلٌ صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية))[1].

فالكفر تغطية الشيء ، وسُمّي الفلاّح كافرًا لتغطيته الحب ، وسُمّي الليل كافرًا لتغطيته كل شيء قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ [2].

والكفر : ضد الإيمان ؛ وسمّي كذلك لأنه تغطية الحق .

والكفر : جحود النعمة ، وهو نقيض الشكر ، وكفَّره بالتشديد نسبه إلى الكفر ، أو قال له : كفرت بالله ، وأكفره إكفارًا حكم بكفره [3].

**تعريف الكفر في الشرع :**

الكفر : (( عدم الإيمان ، باتفاق المسلمين ، سواء اعتقد نقيضه وتكلّم به ، أو لم يعتقد شيئاً و لم يتكلم )) [4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( الكفر عدم الإيمان بالله ورسله ، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب ، بل شك وريب ، أو إعراض عنه كله حسدًا أو كبراً ، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة )) [5].

فالكفر إذًا هو ضد الإيمان ، وهو أنواع متعددة وشعب متنوعة ، وقد قسمه أهل العلم قسمين :

الأول : الكفر الاعتقادي .

الثاني : الكفر العملي .

**فالأول : الكفر الاعتقادي ، ويشتمل على خمسة أنواع ، هي :**

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٩١/٥ ( كفر ) .

(٢) سورة الحديد ، آية ٢٠ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ١٩١/٥ ( كفر ) ، ولسان العرب ١٤٤/٥ ( كفر ) .

(٤) الفتاوى ٢٠ / ٨٦ .

(٥) المصدر نفسه ١٢/ ٣٣٥ .

١-كفر التكذيب والجحود : هو اعتقاد كذب الرسل ، وهذا القسم قليل في الكفار ؛ فإن الله تعالى أيدّ رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة عليهم ، وإن عامة من كذب الرسل يكذبهم بلسانه مع تصديقهم للرسول باطنًا، كما قال تعالى عن فرعون : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [(١)][(٢)].

٢-كفر الإباء والاستكبار : وهو أن يتلقى أمر الله تعالى بالإباء والاستكبار وإن لم يجحد أمر الله تعالى ، وذلك ككفر إبليس وهو الغالب على كفر أعداء الرسل . كما قال تعالى عن فرعون : ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴾ [(٣)] ، وكفر الأمم لرسلهم : ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [(٤)]، وهو كفر أبي طالب أيضاً ، فإنه صدقه ولم يشك في صدقه ، ولكن أخذته الحمية أن يرغب عن ملة آبائه [(٥)].

٣-كفر الإعراض : وهو أن يُعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ، ولا يواليه ولا يعاديه ، ولا يصغي إلى ماجاء به ألبتة [(٦)].

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾ [(٧)].

٤-كفر الشك : وهو أن لا يجزم بصدقه ولا بكذبه ، بل يشك في أمره ، وهذا الشك لا يستمر إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول -ﷺ- جملة ، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها ، وأما مع التفاته إليها ونظره فيها فلا يبقى معه شك ؛ لأنّها مستلزمة للصدق [(٨)].

وذلك مثل كفر صاحب الجنتين كما سيأتي .

---

(١) سورة النمل ، آية ١٤ .

(٢) انظر : مدارج السالكين ١/ ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية ٤٧ .

(٤) سورة إبراهيم ، آية ١٠ .

(٥) مدارج السالكين ٣٦٦/١ .

(٦) المصدر نفسه ٣٦٧/١ .

(٧) سورة الأحقاف ، آية ٣ .

(٨) مدارج السالكين ٣٦٧/١ .

٥-كفر النفاق : وهو أن يظهر بلسانه الإيمان ، وينطوي قلبه على التكذيب[١] ، وسيأتي بيانه فقد أفردنا له المبحث الرابع.

**الثاني : الكفر العملي ، وهو نوعان :**

١-كفر يناقض الإيمان وينافي التوحيد كالسجود لغير الله ، والاستهانة بالمصحف ، وقتل نبي من الأنبياء وغيرها ، فهذا كفر أكبر مخرج من الملة ، وصاحبه مخلد في النار [٢].

٢-كفر أصغر ينافي كمال الإيمان ، ولا يخرج من الملة ، وصاحبه مستحق للوعيد ، وهو ما ورد تسميته من الذنوب كفراً ككفر النعمة [٣].

ويدل عليه ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ- : (اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت ) [٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( فقوله : ( هما بهم كفر ) أي : هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس ، فنفس الخصلتين كفر ؛ حيث كانتا من أعمال الكفار وهما قائمتان بالناس ، لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر ، كما أنّه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً ، حتى يقوم به أصل الإيمان ، وفرق بين الكفر المعرف باللام ، كما في قوله – ﷺ- : (ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة) [٥] وبين كفر منكَّر في الإثبات))[٦].

ويوضح ابن القيم – رحمه الله – أن الكفر شعب متعددة كالإيمان بقوله : (( المعاصي كلها شعب من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها شعب من شعب الإيمان ، فالعبد تقوم

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٦٧ .

(٢) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص٥٤ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : إطلاق الكفر على الطعن في النسب – [ ١٧ ] ٨٢/١ .

(٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : إطلاق الكفر على من ترك الصلاة [ ٨٢] ٨٨/١ بلفظ ( إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة ) .

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ٢١١/١-٢١٢ .

به شعبة أو أكثر من شُعب الإيمان ، وقد يُسمّى بتلك الشعبة مؤمناً ، وقد لا يُسمَّى ، كما أنّه قد يُسمّى بشعبةٍ من شعب الكفر كافراً ، وقد لا يُطلق عليه هذا الاسم )) [1].

ويتضح الكفر بأنواعه في المطالب التالية التي تضمنت دراسة الآيات الواردة بأساليب الاستفهام كما يلي :

(١) الصلاة ص ٦١ ، وانظر : الدرر السنية ١/٤٧٨، - ( رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن )-.

## المطلب الأول : كفر التكذيب والجحود .

إنّ كفر التكذيب والجحود أحد أنواع الكفر الاعتقادي المخرج من الملة ، وقد ورد في مواطن متعددة من كتاب الله تعالى ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ** ﴾ (١).

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ...؟**) ، والأداة فيه ( مَنْ ) مقترنة بالواو ، والمراد منه : النفي ؛ أي : لا أحد أظلم مِمّن افترى الكذب على الله أو كذب بآياته ، و لم يتلقَّها بالتصديق (٢).

وعند بعض العلماء أن أسلوب هذه الآية ممّا يُستَشكل ؛ وذلك لورود أفعل التفضيل بعد النفي ( لا أظلم )، وأسلوب التفضيل يفيد مشاركة طرفين أو أطراف في صفة ، وأن أحدهما زائد على الآخر (٣).

وللجمع بين هذه الآيات أوجه :

١-تخصيص كل موضع بمعنى صلته ، أي : لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله ، ولا أحد من المفترين أظلم ممّن افترى على الله كذباً ، فإذا تخصصت بصلاتها زال الإشكال .

٢-أنّ التخصيص بالنسبة إلى السبق ، فلما لم يسبقهم أحد إلى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم.

٣-أنّ نفي التفضيل لا يستلزم نفي المساواة ، فلم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر؛ لأنّهم يتساوون في الأظلمية ، فيصير المعنى : لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله ، ومن افترى على الله كذباً ، وكذَّب بآيات الله . ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية ، ولا يدل على أن أحدهم أظلم من الآخر (٤).

---

(١) سورة الأنعام ، آية ٢١ .

(٢) انظر: الإتقان ٧٩/٣ – ٨٠ ، وتفسير أبي السعود ١٩٦/٤ ، وفتح القدير ٣٠٣/٢ ، وأضواء البيان ٣١١/٣، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص٢٩ .

(٣) انظر : الإتقان ٧٩/٣ – ٨٠ ، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢٩٠/١ .

(٤) انظر : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص ٢٩ – ٣٠ .

وقول الله تعالى : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١).

ورد في الآيتين السابقتين ثمانية من أساليب الاستفهام :

الأول: في قوله تعالى (ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي أن يكون الله تعالى حرَّم هذا (٢).

الثاني : في قوله : (أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ؟)

و(أم) هنا منقطعة ، والمعنى : بل أحرم الأنثيين . والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، أي أن الله تعالى لم يُحرم ذلك .

الثالث : في قوله : (أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ؟)

(أم) هنا منقطعة ، وتقدر بـــ(بل) والهمزة : بل آشتملت عليه أرحام الأنثيين . والمراد منه : الإنكار ؛ أي : أم الذي حملته إناث النوعين ؟! (٣)

الرابع : في قوله : (ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ) ،وهو كالأول أداة ومعنى .

الخامس : في قوله : (أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ؟) وهو كالثاني .

السادس : في قوله : (أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ؟) وهو كالثالث .

السابع : في قوله تعالى : (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا؟ )

وأم هنا منقطعة والمعنى : بل أكنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا .

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١٤٣ – ١٤٤ .

(٢) انظر : التسهيل لعلوم التنْزيل ٢٣/٢، وتفسير أبي السعود ١٩٣/٣ ، وروح المعاني ٤١/٨ ، والتحرير والتنوير ١٣١/٨ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١٩٣/٣ ، روح المعاني ٤١/٨ ، والتحرير والتنوير ١٣٢/٨ .

والمراد منه : الإنكار الإبطالي فلم يشهدوا تحريم ذلك [1].

الثامن : في قوله : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا...؟)

والأداة فيه : مَنْ مقترنة بالفاء ، والمراد منه : النفي ؛ أي : لا أحد أظلم ممّن افترى على الله كذباً كما تقدم .

وقول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ [2].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول: ما صُدرت به الآية : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ؟) ، والأداة فيه ( مَنْ ) مقترنة بالفاء ، والمراد منه : النفي ؛ أي : لا أحد أظلم ممّن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته.

الثاني : في قوله تعالى : (أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ؟)، والأداة فيه : أين ، والمراد منه: الإنكار التوبيخي ، والمراد : إنكار الآلهة المُدّعاة على أبلغ وجه [3].

وقول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾[4].

صُدرت الآية باسلوب الاستفهام : (فَمَنْ أَظْلَمُ...؟) ، والأداة فيه ( مَنْ ) مقترنة بالفاء، والمراد منه : لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[5].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (وَمَنْ أَظْلَمُ...؟) .

---

(١) التحرير والتنوير ١٤٣/٨ .

(٢) سورة الأعراف ، آية ٣٧ .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ١١٧/٨ .

(٤) سورة يونس ، آية ١٧ .

(٥) سورة هود ، آية ١٨ .

والأداة فيه : ( مَنْ ) مقترنة بالواو ، والمراد منه : النفي ؛ أي : لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً .

وقول الله تعالى : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ [1].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ( ...فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ...؟)

والأداة فيه : مَنْ مقترنة بالفاء ، والمراد منه : النفي ؛ أي : لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً .

وقوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾[2].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه : التقرير ، ويردف عليه التعجيب للرسول – ﷺ– من حال الكفرة الذين استبدلوا نعمة الله تعالى كفراً وتكذيباً [3].

وقول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [4].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول: في قوله : (أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي؟)، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : التقرير ، أي : قد كذبتم بآياتي دون النظر فيها ، ويردف عليه التوبيخ والتقريع [5].

الثاني: في قوله: (...أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ؟)، والأداة فيه: (ما) مقترنة بـــ(أم) المنقطعة[6].

---

(١) سورة الكهف ، آية ١٥ .

(٢) سورة إبراهيم ، آية ٢٨ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٤٥/٥ .

(٤) سورة النمل ، آية ٨٤ .

(٥) انظر : المحرر الوجيز ٢٧١/٤ ، وأضواء البيان ١٤٣/٦ .

(٦) انظر : الإتقان ٤٤٨/٢ .

والمراد : الإنكار والتوقيف والإفحام المترتب على الاستفهام الأول ؛ أي : (( أكذبتم بآياتي دون النظر فيها أم ماذا كنتم تعملون بها إن لم تكونوا مكذبين بها )) ؟[1].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [2].

ورد في الآية أسلوبا استفهام ، وهي :

الأول: ما صدرت به الآية : (وَمَنْ أَظْلَمُ...؟) ، والأداة فيه ( مَنْ ) مقترنة بالواو ، والمراد منه: النفي ؛ أي : لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق .

الثاني : في قوله تعالى : (أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ...؟) ، والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة [3].

وقول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [4].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول: ما صُدرت الآية به : (فَمَنْ أَظْلَمُ...؟) ، والأداة فيه : ( مَنْ ) مقترنة بالفاء ، والمراد منه : النفي ؛ أي : لا أحد أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه .

الثاني : في قوله تعالى : (أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ...؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة [5].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[6].

---

(1) التفسير البلاغي للاستفهام ١٨٤/٣ وانظر : التحرير والتنوير ٢٠/ ٤١ .

(2) سورة العنكبوت ، آية ٦٨ .

(3) انظر : تفسير أبي السعود ٤٨/٧ ، والتحرير والتنوير ٣٥/٢١ .

(4) سورة الزمر ، آية ٣٢.

(5) انظر : تفسير أبي السعود ٢٦١/٨ ، والتحرير والتنوير ٢٤/٢٤ .

(6) سورة الصف ، آية ٧ .

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (**وَمَنْ أَظْلَمُ**...؟) ، والأداة فيه : مَنْ مقترنة بالواو ، والمراد منه : النفي ؛ أي : لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً .

وقول الله تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ** ﴾ [(١)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (**هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ**...؟) ، والأداة فيه : هل ، والمراد منه : التقرير[(٢)] ، أي : قد أتاك حديث الجنود ، ففيها التسلية لرسول الله -ﷺ- والتخفيف عنه بما قصة عليه من حال الأمم السابقة .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على كفر التكذيب والجحود ، وقد تقدم بيان معناه ، وينقسم قسمين:

١-أن يُكّذب بقلبه ولسانه الرسول - ﷺ- وهذا نادر في الكفار ؛ فإن الله أيّد رسله بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم .

٢-أن يُكّذب بلسانه دون قلبه ، فقلبه مصدق بالرسول - ﷺ- ، إلا أنّه يتظاهر بالتكذيب باللسان ، وهذا حال عامة الكفار كفرعون وكفار قريش وغيرهم .

يقول الله تعالى : ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾[(٣)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في هذه الآية : (( فنفى عنهم التكذيب وأثبت الجحود، ومعلوم أنّ التكذيب باللسان لم يكن منتفيًا عنهم ، فعُلم أنّه نفى عنهم تكذيب القلب ... فلما نفى عنهم التكذيب بقلوبهم عُلم أنّ الجحود الذي هو ضرب من الكذب والتكذيب بالحق معلوم ليس هو كذباً في النفس ولا تكذيب فيها ... وذلك مثل المعاندين من المشركين ، وأهل الكتاب وليس كفرهم لمجرد لفظهم ، فإنّهم أيضاً قد يقولون بألسنتهم ما يعلمونه ، ولا يكونون مؤمنين مثل ما كان يقوله أبو طالب من الإخبار : بأنّ محمداً رسول الله)) [(٤)].

---

(١) سورة البروج ، آية ١٧-١٩ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١٣٩/٩ .

(٣) سورة الأنعام ، آية ٣٣ .

(٤) الفتاوى الكبرى ١٩٨/٥ .

وينقسم هذا النوع بالنسبة للمُكذَّب به إلى قسمين :

الأول: كفر مطلق عام : وهو أن يجحد جملة ما أنزله الله على رسوله -ﷺ- .

الثاني: كفر مُقيّد : وهو أن يجحد فرضًا من فروض الإسلام ، أو تحريم محرم من محرماته ، أو صفة وصف الله تعالى بها نفسه ، أو خبراً أخبر الله به ، عمداً أو تقديماً لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض .

أمّا إن جحد ذلك متأولاً تأويلاً يعذر فيه صاحبه أو جاهلاً فلا يكفر [1].

وقد بين الله تعالى حال الأمم الهالكة كيف كذبوا الرسل فجعلهم الله من المهلكين ، فالكافرون لا يزالون مستمرين في التكذيب والعناد ، لا لخفاء الحق وعدم بيانه ، وإنّما جحوداً وعنادًا [2].

يقول ابن القيم - رحمه الله - : (( فكفر الجحود : أنْ يكفر بما عَلِم أنّ الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعنادًا ، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه )) [3].

فبين تعالى أنه لا أحد أظلم ممّن كذّب بالحق لَمّا جاءه ، وبما بعث الله به رسوله - ﷺ- من توحيده ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، وكذب الرسل في دعوى الرسالة ، وكذب بالبعث فتوعد الله هؤلاء المكذبين بالنار التي هي مثوى ومسكن لمن كفر بالله ، وجحد توحيده ، وكذَّب رسوله - ﷺ- [4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (( وهذا يتناول كل كافر ممّن كَذَّب رسولاً صادقًا ، فقال : إنّ الله لم يرسل هذا ، ولم يأمر بهذا ، فكذب على الله ، وهذا إنّما يقع ممّن فسد قصده بحب الدنيا وإرادتها ، وممّن أحب الرئاسة وأراد العلو في الأرض من أهل الجهل)) [5].

وقد ذكر الله تعالى أنّ زعماءهم ورؤساءهم أوقعوا أقوامهم في الهلاك؛ فقد ردّوا رسالة

---

(1) انظر : مدارج السالكين ١/٣٦٧ .

(2) انظر : تفسير السعدي ص٩١٩ .

(3) الصلاة ص٥٤ .

(4) انظر : تفسير الطبري ١٢/٢٠ ، ٢١ / ١٤ ، وتفسير البغوي ٢/٣٤٧ ، وتفسير ابن كثير ٢/١٢٧ ، وأضواء البيان ٣/٣١٠- ٣١١ .

(5) الفتاوى ١٥/٩٣-٩٤.

المصطفى -ﷺ- التي أنعم الله تعالى بها عليهم تكذيباً وجحوداً ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [1] .

قيل : إنّ الآية نزلت في كفار أهل مكة ، والمعنى يعمّ جميع الكفار الذين ردّوا الحق ، وأصروا على الباطل ، وأوردوا أقوامهم سُبل الهلاك في الدنيا والآخرة [2].

يقول ابن القيم - رحمه الله - : (( وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾[3].

ذكر الصنفين المبطلين :

أحدهما : منشئ الباطل والفرية ، وواضعها ، وداعي الناس إليها .

والثاني : مُكذّب بالحق .

فالأول : كفره بالافتراء وإنشاء الباطل ، والثاني : كفره بجحود الحق .

وهذان النوعان يُعرضان لكل مبطل ، فإن انضاف إلى ذلك دعوته إلى باطله ، وصدّ الناس عن الحق استحق تضعيف العذاب لكفره وشره ... )) [4].

كما بين الله تعالى أنّه لا أحد أظلم ممّن افترى ، واختلق على الله كذباً ، فادّعى أنّ الله تعالى أحلَّ ما لم يُحلّل أو حرَّم ما لم يُحرم ، كما في آية الأنعام ؛ فإنّ الله تعالى أمر نبيه أن يقول للمشركين الذين حرّموا بعض الإناث كالبحائر والسوائب دون بعضها ، وحرّموا بعض الذكور كالحامي دون بعضها[5]: فردّ الله تعالى عليهم بأنه لا يخلو تحريمكم لبعض ما ذكر دون دون بعضه من أنْ يكون معلّلاً بعلّة معقولة أو تعبدياً :

---

(١) سورة إبراهيم ، آية ٢٨.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥٠٩/٢ .

(٣) سورة يونس ، آية ١٧ .

(٤) الرسالة التبوكية - زاد المهاجر - ص٤٧ .

(٥) كما قال الله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ الآية [ المائدة ، ١٠٣ ].
والبحيرة : ناقة يشقون أذنها ثم يحرمون ركوبها ويرونها محترمة . والسائبة : ناقة أو بقرة أو شاة ، إذا بلغت شيئاً اصطلحوا عليه سيبوها فلا تُركب ، ولا يحمل عليها ، ولا تؤكل . والحام : جمل يُحمى ظهره عن الركوب والحمل إذا وصل إلى حالة معروفة بينهم . انظر : تفسير السعدي ص ٢٤٦ .

- فإذا كان معللاً بعلة ، إمّا أن تكون العلّة في المحرم من الإناث الأنوثة ، ومن الذكور الذكورة، أو تكون العلة فيهما معاً التخليق في الرحم .

هذه هي الأقسام التي يمكن ادِّعاء إناطة الحكم بها ، ثمَّ بعد حصر الأوصاف نرجع إلى سبر الأقسام المذكورة ، فنجدها كلها باطلة بالسبر الصحيح ؛ لأنّ كون العلة الذكورة : يقتضي تحريم كل ذكر ، وأنتم تحلّون بعض الذكور ، وكون العلة الأنوثة يقتضى تحريم كل أنثى ، وكون العلة اشتمال الرحم عليهما يقتضى تحريم الجميع .

- وكون ذلك تعبدياً يقتضي أنّ الله تعالى وصاكم به بلا وساطة ؛ إذ لم يأتكم منه رسول بذلك ، فدل ذلك على أنّه باطل أيضاً .

فالتحريم بغير دليل من أشنع الظلم ، وهوكذب مفترى وإضلال بالخلق [1]. ولذلك وبخهم الله تعالى على فساد الاعتقاد في الأعمال بقوله : ﴿ **أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [2]؛ لأن التصديق بآيات الله من عقائد الإيمان التي لا بد منها كما هو معلوم في حديث جبريل المشهور [3].

ولذلك يعاقبهم الله تعالى يوماً بتسويد وجوههم أمام أهل الموقف ، كما سوَّدوا الحق كما قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [4][5].

---

(١) أضواء البيان ٤٩٣/٣ - ٤٩٤ - بتصرف - ، وانظر : تفسير الطبري ٦٦/٨ - ٦٨ .

(٢) سورة النمل ، آية ٨٤ .

(٣) انظر : أضواء البيان ١٤٣/٦ .

(٤) سورة الزمر ، آية ٦٠ .

(٥) انظر : تفسير السعدي ص ٧٢٨ .

## المطلب الثاني : كفر الإباء والاستكبار

كفر الإباء والاستكبار أحد أنواع الكفر الاعتقادي المخرج من الملة ، وقد ورد بيانه في مواطن من القرآن ، منها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ؟)

والأداة فيها : ما ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : ما الذي منعك من السجود لآدم [(٢)]؟!

وقول الله تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [(٣)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ؟)

والأداة فيه : ما مقترنة بالجار والمجرور، والمراد منه: الإنكار التوبيخي[(٤)] ؛ أي : أيُّ سبب عرض لك بترك السجود ؟

وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾[(٥)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي...؟) والأداة فيه: الهمزة ، والمراد منه : الإنكار والتعجب [(٦)]؛ أي : أتتخذونه ولياً وقد نصب العداوة لكم ولأبيكم .

---

(١) سورة الأعراف ، آية ١٢ .

(٢) انظر : زاد المسير ١٧٣/٣ ، وتفسير أبي السعود ٢١٦/٣ وفتح القدير ١٩١/٢ .

(٣) سورة الحجر ، آية ٣٢ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٧٤/٥ ، والتحرير والتنوير ١٤/ ٤٦ .

(٥) سورة الكهف ، آية ٥٠ .

(٦) انظر : الكشاف ٦٧٩/٢ ، وتفسير أبي السعود ٢٢٧/٥ ، والتحرير والتنوير ٣٤١/١٥ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِى تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِى تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(الفاء ولم) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتقريع ، أي : أتكبرتم عن الإيمان بآياتي وكنتم قوماً مؤمنين ؟! (٢).

دلالة الآيات :

دلت الآيات على كفر الإباء والاستكبار ، وهو أن : يتلقى أمر الله وأمر رسوله بالإباء والاستكبار، لا إنكاراً ولا جحوداً ، فإذا أُقيمت عليهم الحجج ، وتُليت الآيات استكبروا عن سماعها والإيمان بها مع علمهم بصدق رُسل الله ، وأنّ ما جاؤوا به حق من عند الله ، إلا أنّهم واجهوا أمر الله تعالى بالاستكبار ، وعدم الانقياد كحال أهل الكفر وإبليس .

ويُوضح الإمام المروزي(٣) -رحمه الله- كفر إبليس بقوله: (( فهل جحد إبليس ربه؟ وهو يقول : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (٤) إيماناً منه بالبعث ، في إنظاره إياه إلى يوم البعث، أو هل جحد أحداً من أنبيائه، وأنكر شيئاً من سلطانه، وهو يحلف بعزته ؟! وهل كان كفره إلا بترك سجدة واحدة، أُمر بها، فأباها ))(٥).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( وكفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم ؛ فإنّ إبليس لم يخبره أحد بخبر ، بل أمره الله بالسجود لآدم ، فأبى واستكبر ، وكان من الكافرين ، فكفره بالإباء والاستكبار وما يتبع ذلك ، لا لأجل تكذيب ، وكذلك فرعون وقومه جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً

(١) سورة الجاثية ، آية ٣١ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٧٦/١٦ ، وتفسير ابن كثير ١٥٣/٤ ، وتفسير أبي السعود ٧٥/٨ ، وفتح القدير ١١/٥ ، وروح المعاني ١٥٧/٢٥ .

(٣) هو : محمد بن نصر المروزي الإمام الفقيه ، أبو عبدالله أحد الأعلام الجهابذة ، كان من أعلم الناس في زمانه بالاختلاف والحديث والفقه ، وكان عابدًا ربانياً . توفي سنة ٢٩٤ .
انظر : المختصر من أخبار البشر لابن كثير ١٩٠/١ ، وصفة الصفوة ٢٤٧/٤ ، والعبر للذهبي ١٠٥/٢ .

(٤) سورة الحجر ، آية ٣٩ .

(٥) تعظيم قدر الصلاة ٣٩٤/١ – ٣٩٥ .

... فقد يحصل في القلب علم بالحق وتصديق به ، ولكن ما في القلب من الحسد والكبر ونحو ذلك مانع من استسلام القلب وانقياده ومحبته ))[1] .

ويتضح لنا أنّ القلب إذا وُجد به مانع من الهدى كالكبر والحسد مع إيقانه بالحق، فإنّ ذلك مرض مانع للإنسان من الانقياد لأمر الله وأمر رسوله ، وذلك سبب لكفره .

فإبليس عارض أمر الله تعالى بالقياس الفاسد، فحينما أمره الله تعالى بالسجود اعترض قائلاً : أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين .

وهذا القياس من أفسد الأقيسة ، وهو باطل من عدة وجوه :

١-أنّ ذلك القياس فاسد؛ لأنّه في مقابلة النص ومعارضته، والأصل أنّ القياس يكون تابعاً للنص لا معارضاً .

٢-أنّ قوله : ( أنا خير منه ) هذه الكلمة وحدها كافية لنقص إبليس الخبيث، فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره .

٣-دعوى أنّ عنصر النار خير من عنصر الطين دعوى كاذبة ، فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة ، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات . أمَّا النار ففيها الخفة والطيش والإحراق [2].

وقد سمَّى الله تعالى كفر إبليس فسقاً كما قال تعالى : (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦ )،وذلك فسق أكبر مخرج من الملة ، كما أن الفسق الأصغر يطلق على المعاصي [3].

ولذلك أنكر الله تعالى على عباده أن يتخذوه وذريته أولياء ، وقد تبينت عداوته لهم ولأبيهم ، فكيف تتخذونه وذريته من الشياطين أولياء ؟!

يقول ابن القيم - رحمه الله - : (( فكيف يحسن بكم بعد هذا أن تتخذوه وذريته أولياء من دوني ، فتطيعونه في معصيتي وتوالونه في خلاف مرضاتي ، وهم أعدائي ، فواليتم عدوي، وقد أمرتكم بمعاداته، ومن والى أعداء الملك كان هو وأعداؤه عنده سواء ))[4].

---

(١) الإيمان الأوسط - ضمن الفتاوى - ٥٣٤/٧ - ٥٣٥ .

(٢) تفسير السعدي ص٢٨٤ - بتصرف - وانظر : تفسير السمرقندي ٥٢٢/١، وتفسير البغوي ١٥٠/٢ .

(٣) انظر : مدارج السالكين ٣٩٠/١ - ٣٩١ ، ومعارج القبول ٣٤٣/٢ .

(٤) الجواب الكافي ص ٥٦ .

## المطلب الثالث : كفر الإعراض

إن كفر الإعراض من أنواع الكفر الأكبر الاعتقادي، وقد ذكره الله تعالى في مواضع من القرآن، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ [1].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [2].

صدرت الآيتان بأسلوب الاستفهام : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ...؟ )

والأداة فيه: مَنْ، والمراد منهما : النفي[3] ؛ أي : لا أحد أظلم ممّن ذُكر آيات ربه وحججه لتصل به إلى سبيل الرشاد، ثمّ تولّى عنها وأعرض .

وقول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ[4] ۝ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ [5].

ورد في الآيات ثلاثة من أساليب الاستفهام :

الأول: في قوله تعالى: (أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ؟)، والأداة فيه: الهمزة وهو بمعنى: أخبروني[6].

الثاني: في قوله تعالى : (أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ...؟ ) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه:

---

(١) سورة الكهف ، آية ٥٧ .

(٢) سورة السجدة ، آية ٢٢ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٥٢٧/١ ، والبرهان في علوم القرآن ٧٤/٤ ، والإتقان ٧٩/٣ .

(٤) أكْدَى : أمسك من العطيّة وقطع ، وأصله من الحفر في البئر ، يقال للحافر إذا حفر البئر ، فبلغ إلى حَجَر لا يمكنه معه الحفر : قد بلغ الكُدْية ، وعند ذلك يقطع الحَفْرَ . انظر : تهذيب اللغة ١٧٧/١٠ ، ومعجم مقاييس اللغة ١٦٦/٥ ( كدى ) .

(٥) سورة النجم آية ، ٣٣ ، ٣٦ .

(٦) انظر : روح المعاني ٦٥/٢٧ .

الإنكار التوبيخي ، والتعجب منه ، أي : أعنده علم ما غاب من أمر العذاب، فهو يعلم ذلك [1].

الثالث: في قوله تعالى : (أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ؟) ، ( أم) هنا منقطعة تقدر بـــ(بل) والهمزة ؛ أي : بل ألم يُخبر بما في صحف موسى ؟ ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : ألم ينبأ بما في صحف موسى ، وأن كل عامل مجزيٌّ بعمله [2].

وقول الله تعالى : ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ [3] ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ [4] ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ [5].

ورد في الآيات أسلوبان من أساليب الاستفهام :

الأول: في قوله تعالى : (فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...؟) ،والأداة فيه : ما مقترنة بالفاء ، والمراد منه: الإنكار التوبيخي للكفار الذين يستمعون إلى النبي – ﷺ– وما جاء به من الهدى ثم يُعرضون عنه ، ويتفرقون يميناً وشمالاً [6].

الثاني: في قوله تعالى : (أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ...؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي[7]؛ أي: أيطمعون في دخول الجنة، ولم يقدموا بين أيديهم إلا الكفر والإعراض ؟!

وقول الله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [8] .

---

(١) انظر : فتح القدير ١١٤/٥ ، والتحرير والتنوير ١٢٨/٢٧ ، وأضواء البيان ٤٦٩/٧ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ١٢٩/٢٧ .

(٣) المهطع: المقبل ببصره على الشيء لا يرفعه عنه. انظر: العين١٠١/١، والنهاية في غريب الحديث٢٦٥/٥.

(٤) عزين ؛ أي : حِلقاً حِلقاً ، وجماعةً جماعةً ، وعزون جمع : عزة ، فقد كانوا عن يمينه وشماله جماعات متفرقة . انظر : تهذيب اللغة ٦٣/٣ ، ولسان العرب ٥٣/١٥ ( هطع ) .

(٥) سورة المعارج ، آية ٣٦ ، ٣٨ .

(٦) انظر : تفسير ابن كثير ٤٢٣/٤ ؛ والتحرير والتنوير ١٧٧/٢٩ .

(٧) انظر : روح المعاني ٦٥/٢٩ ، والتحرير والتنوير ١٧٧/٢٩ .

(٨) سورة المدثر ، آية ٤٩ .

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ...؟) ، والأداة فيه : مامقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار والتعجيب لإعراضهم عن كل تذكرة وأعظمها تذكرة القرآن[1] .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على كفر الإعراض الذي تقدم ذكره ، وهو أن يُعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ...

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– كفر الإعراض بقوله : (( والكفر أعمّ من التكذيب ، فكل من كذّب الرسول كافر ، وليس كل كافر مكذباً ، بل من يعلم صدقه ، ويُقرّ به وهو مع ذلك يبغضه أو يعاديه كافر ، أو من أعرض فلم يعتقد لا صدقه ولا كذبه كافر وليس بمكذب ...)) [2].

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– الناقض العاشر من نواقض الإسلام: (( العاشر : الإعراض عن دين الله لا يتعلّمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [3])) [4].

((والإعراض معناه : الانصراف عن الشيء ، وعدم الرغبة فيه بكفر الإعراض ، وهو الانصراف عن الدين ، فلا يتعلّمه رغبة عنه ، وهذا يكفر ؛ لأنّه لا يريد الدين ، أو يتعلّمه ولكن لا يعمل به ، وهذا يكفر ويرتد عن دين الإسلام ، فإذا كان لا يصلي ، ولا يصوم ، ولا يؤدي الزكاة ، ولا يحج ، ولا يؤدي الواجبات ، ولا يتجنب المحرمات ، فهذا لا رغبة له في العمل فيكفر )) [5].

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٦٢/٩ ، والتحرير والتنوير ٣٢٩/٢٩.

(٢) الفتاوى الكبرى ٢٠٠/٥ .

(٣) سورة السجدة ، آية ٢٢ .

(٤) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العقيدة ٢١٤/١ .

(٥) شرح نواقض الإسلام للشيخ صالح الفوزان ص١٩٠ .

وهناك فرق بين الإعراض المكفر وغير المكفر ، فإذا عدم الأصل الذي يدخل به في الإسلام ، وأعرض عن هذا بالكلية ، فهو كفر إعراض فيه قول الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا** ﴾ (١).

أمّا إذا كان أصل الإيمان موجوداً ولكنه أعرض عن بعض العمل فذلك إعراض ينقص الإيمان لكن لا ينفيه بالكلية (٢).

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – : (( وأي الناس أوضح للإعراض والصدّ في غير موضعهما ممّن ذُكِّر بآياته ، وحججه فدلّه بها على سبيل الرشاد ، وهداه بها إلى طريق النجاة، فأعرض عن آياته وأدلته التي في استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك )) (٣).

فآيتا الكهف والسجدة دلت على أنّه لا أحد أظلم لنفسه ممّن ذُكر ووُعظ بآيات ربه سواء المَنَزَّلة أو الكونية أو بمجموعهما، فتهاون وأعرض عن تأمّلها والعمل بمقتضاها (٤).

أمَّا آيتا المعارج والمدثر فيُنكر الله تعالى على الكفرة الذين يستمعون إلى النبي– ﷺ– وينظرون إليه، فلا ينتفعون منه، بل هم معرضون نافرون ممّا تدعوهم إليه، وهم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن كأنّهم حُمُر رأت الأسد والرُّماة ففرَّت منه(٥)، كما شبههم الله تعالى بقوله: ﴿ **كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ** ﴾(٦)، أيطمع كل واحد منهم أن يدخل الجنة و لم يقدم سوى الكفر والجحود لرب العالمين والإعراض عن رسوله وكتابه (٧).

يقول ابن كثير – رحمه الله – : (( يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا في زمن النبي – ﷺ– وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات

(١) سورة طه ، آية ١٢٤ .

(٢) الرسائل والمسائل النجدية ٣ / ٣١٥ ، وانظر : منهاج التأسيس للشيخ عبداللطيف آل الشيخ ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) تفسير الطبري ٢٦٨/١٥ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ١٦٩/٢، وتفسير القرطبي ٧/١١، وتفسير ابن كثير ٤٦٣/٣، وأضواء البيان ٣٠٩/٣ ، وفتح القدير ٢٩٦/٣.

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٤٤٨/٤ .

(٦) سورة المدثر ، آية ٥٠ ، ٥١ .

(٧) انظر : تفسير البغوي ٣٩٥/٤ ، وتفسير السعدي ص ٨٨٨ .

الباهرات، ثم هم مع هذا كله فارون منه ، متفرقون عنه ، شاردون يميناً وشمالاً ، فرقاً فرقاً ، وشيعاً شيعاً ... أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول - ﷺ- ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ...)) [1].

ومن أمثله المعرضين : الوليد بن المغيرة الذي وصفه تعالى بالاعراض بعد بلوغ الحق له وبيانه، كما قال تعالى : (**أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ**) ؛ أي : أعرض وأدبر عن الحق حينما عاتبه المشركون على اتباعه للنبي -ﷺ-؛ حيث ضمن له الذي عاتبه إن هو أعطاه شيئاً من ماله ، ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الآخرة، ففعل ذلك، ثم بخل ومنعه وقطع ما كان يعطيه من المال [2].

وقد تضمنت هذه الآيات سبعة أمور :

الأول: إنكار علم الغيب المدلول عليه بالهمزة : (**أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ**) والمراد : نفي علمه للغيب .

الثاني : أنّ لكل من إبراهيم وموسى -عليهما السلام- صحفاً لم ينبأ بما فيها هذا الكافر .

الثالث : أنّ إبراهيم وفَّى ؛ أي : أتمَّ القيام بالتكاليف التي كلفه ربه بها .

الرابع : أنّ في تلك الصحف أنّه (أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ )؛ أي : لا يتحمّل أحد عن أحد خطاياه .

الخامس: أنّ فيها أيضاً أنّه : (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)، أي : ليس له إلا ما عمل بنفسه لا بعمل غيره .

السادس: (وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ)؛ أي ما يعمل عامل من عمل، فهو مقدم أمامه عند الله .

السابع : أنه (يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ) ؛ أي : الأكمل الأتم [3].

وقد زعم الزمخشري أنّ المقصود بالآيـــات هو عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ؛ حيث قال : (( رُوي أنّ عثمان بن عفان كـــان يعطي ماله في الخير ، فقال له عبدالله بن سعد

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٢٣ - ٤٢٤ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٧/٧٠ ، وزارد المسير ٨/٧٧ .

(٣) أضواء البيان ٧/٤٦٩ .

ابن أبي السرح[١]- وهو أخوه من الرضاعة - : يُوشك ألا يبقى لك شيء ! ، فقال عثمان : إنّ لي ذنوباً وخطايا ،وإنّي أطلب بما أصنع رضا الله تعالى ، وأرجو عفوه ، فقال عبدالله : أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحّمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه ، وأمسك عن العطاء)) [٢]، وقوله من نتائج معتقد المعتزلة الفاسد في صحابة رسول الله ﷺ، فقد طعنوا في أكابر الصحابة ، فطعنوا في أبي بكر ، عمر ، وعثمان ، وعلي ، وغيرهم من الصحابة الكرام — رضي الله عنهم أجمعين — بمطاعن يضيق المجال عن بسطها هنا [٣].

ولا شك في بطلان ما زعمه الزمخشري، فمنْزلة عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه- معلومة لكل مؤمن ، وسابقته للإسلام وبذل نفسه وماله رخيصة في سبيل الله ، فهو ثالث الخلفاء الراشدين ، وصِهر رسول الله - ﷺ- بابنتيه ، وسياق الآيات دال على ما يناقض ذلك [٤].

يقول الشنقيطي - رحمه الله - : (( ولا يخفى سقوط هذا القول وبطلانه ، وأنّه غير لائق بمنصبه أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - )) [٥].

---

(١) هو : عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري ، أخو عثمان بن عفان لأمه ، أمَّره عثمان على مصـــر ، ولما وقعت الفتنة سكن عسقلان ، ولم يبايع لأحد ، ومات بها سنة ٣٦هـــ .
انظر : الإصابه في تمييز الصحابة ٣١٦/٢ .

(٢) الكشاف ٤٢٧/٤ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق ص ١٥٠ ، والاعتصام ص ١١٩ .

(٤) انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ، وقال : ذكر الثعلبي أنها نزلت في عثمان ، وذلك كله باطل عندي . وانظر : روح المعاني ٦٥/٢٧ .

(٥) أضواء البيان ٤٦٩/٧ .

## المطلب الرابع : كفر الشك والظن

إنّ كفر الشك نوع من أنواع الكفر الاعتقادي ، وضحه الله تعالى في كتابه في مواطن متعددة ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ....أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ...؟)

والأداة فيه: الهمزة، والمراد منه : الإنكار التوبيخي(٢)؛ أي: أكفرت بالله تعالى الذي خلقك من نطفة وكملك إنساناً ذكراً .

دلالة الآية :

دلت الآية على كفر الشك والظن، وهو التردد وعدم الجزم واليقين بالحق، وقد تقدم بيانه من أنه لا يجزم بصدق الرسول – ﷺ- ولا بكذبه ، بل يشك في أمره ، وهذا الشك لا يستمر إلا إذا ألزم الإنسان نفسه الإعراض عن النظر في الأدلة التي تقوده للتصديق بالحق ، أمّا مع النظر والبحث عن الحق فإنّه لا يبقى معه شك ؛ لأنّ حجج الله وأدلته واضحة للعامي والمتعلّم ، فإذا نظر فيها قادته إلى الحق .

ومن هذا النوع كفر صاحب الجنتين .

يقول ابن حزم –رحمه الله-: ((ومّما يتبين أن الكفر يكون بالكلام قول الله –عز وجل-: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾(٣)، فأثبت الله الشرك والكفر مع إقراره بربه تعالى ؛ إذ شك في البعث))(٤).

---

(١) سورة الكهف ، آية ٣٧ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٢٢٢/٥ ، والتحرير والتنوير ٣٢٣/١٥ .

(٣) سورة الكهف ، آية ٣٥ – ٤٢ .

(٤) الفصل ٢٣٥/٣ .

والشك في أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين شيئين ، كالذي لا يجزم بصدق الرسول – ﷺ – ولا كذبه ، ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ، أو لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها ، أو لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه وهذا كفر بإجماع العلماء ، ولا عذر لمن حاله عدم فهم حجج الله وبيّناته ؛ لأنه لا عذر له بعد بلوغها وإن لم يفهمها[1].

(١) الضياء الشارق ص٣٧٤ .

## المطلب الخامس : كفر النعمة

إنّ الواجب على الإنسان أن يشكر الله على نعمه التي أسبغها عليه ؛ وذلك يتحقق بثلاثة أمور :

١-الإقرار بالنعمة والاعتراف بها .

٢-نسبتها إلى المنعم وهو الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [(١)].

٣-بذلها فيما يحب الله تعالى ويرضاه [(٢)].

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( أمَّا إنعام الرب تعالى على عبده : فإحسان إليه وتفضل عليه ، ومجرد امتنان لا لحاجة منه ، ولا لمعاوضة ... وأمره له بالشكر أيضاً : إنعام آخر عليه ، وإحسان منه إليه؛ إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة ... )) [(٣)].

فالإنسان ظلموم لنفسه، فقد ينسيه تعلقه بالدنيا وأسبابها نعمة ربه ، فينكرها ويكفرها ، وكفران النعم قسمان :

الأول: مَنْ كفر كفراً أصغر فينسب النعم إلى غير الله، كمن يقول: مطرنا بنوء[(٤)] كذا وكذا، يعتقد أنّ النوء والنجم سبب في المطر ، فكفره أصغر ؛ لأنه لم يعتقد التشريك والاستقلال ؛ لكنه جعل ما ليس سبباً سبباً .

الثاني: مَنْ كفر كفراً أكبر ، وهو مَنْ اعتقد أن النعم حاصلة من غير الله تعالى كمن اعتقد أنّ المطر أثر من آثار الكواكب والنجوم ، وأنها تفضلت بالمطر ، فهذا كفر أكبر ؛ لأنّه اعتقاد بربوبية غير الله تعالى [(٥)].

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن[(٦)] – رحمه الله –: فإذا قال قائلهم : مطرنا بنجم

---

(١) سورة الضحى ، آية ١١ .

(٢) التعليق المفيد للشيخ ابن باز ص٢٢٩ – ٢٣٠ .

(٣) مدارج السالكين ٢/٢٦٢ .

(٤) النوء : النجم ، وجمعها الأنواء ، كانت العرب في الجاهلية ينسبون كل غيث للنجم ، فيقولون : مطرنا بنوء الثريّا والدَّبران . انظر : تهذيب اللغة ١٥/٣٨٥ ، ولسان العرب ١/١٧٦ ( نوء ) .

(٥) انظر : التمهيد شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح آل الشيخ ص٣٥٦ .

(٦) هو الشيخ : عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ، العالم الفقيه المصلح مولده في الدرعية ، تولّى قضاء الرياض في عهد الإمام تركي بن عبدالله ، ألف وصنَّف، ومن مصنفاته : (الإيمان والرد على أهل البدع)، و( مجموعة رسائل وفتاوى ) ، توفي سنة ١٢٨٥هـ . انظر : الأعلام للزركلي ٣/٣٠٤ .

كذا أو بنوء كذا ، فلا يخلو : إما أن يعتقد أنّ له تأثيراً في إنزال المطر ، فهذا شرك وكفر وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية ، كاعتقادهم أنّ دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعاً ، أو يدفع عنهم ضراً ... وإمّا أن يقول ذلك لكن مع اعتقاده أنّ المؤثر هو الله وحده ، فيحرُم نسبةُ ذلك للنجم، وذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر[1].

وكثيراً ما يُطلق أهل العلم على المعاصي التي ورد تسميتها كفراً أنّ ذلك كفر نعمة ويقصدون أنّه كفر أصغر لا يخرج من الملة ، وكفر النعمة كما سبق منه الأكبر والأصغر ، وقد تقدم بيانه .

وقد ورد ذمّ الله تعالى كفر النعم في مواطن متعددة من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** ﴾ [2].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:(أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : أيؤمنون بما يُحرمه أهل الشرك على أنفسهم ، وبنعمة الله وما أحلّ لعباده هم يكفرون ؟! ويردف عليه التعجيب من حالهم [3].

وقول الله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ** ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( **...أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ...؟**)

---

(١) فتح المجيد ص٤٥٣ – بتصرف يسير – وانظر : تيسير العزيز الحميد ص٣٨٢ .

(٢) سورة النحل ، آية ٧٢ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٤٩٩/٥ ، وتفسير ابن كثير ٥٧٩/٢ ، وتفسير أبي السعود ١٢٨/٥ ، وفتح القدير ١٧٩/٣ ، وروح المعاني ١٩٢/١٤ .

(٤) سورة القصص ، آية ٧٨ .

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(الواو و لم) ، والمراد منه : الإنكار والتعجب ، تعجباً من عدم جريه على موجب علمه بأنّ الله أهلك أُمماً على بطرهم النعمة [1] .

وقول الله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ[2] رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ[3] ﴾ [4].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ...؟ )، والأداة فيه : أي مقترنة بالباء والفاء ، والمراد منه : التقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة ، أي: ((فبأي نعمات ربك يا ابن آدم التي أنعمها عليك ترتاب وتشك وتجادل )) [5].

وقول الله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [6] [7].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (فَبِأَيِّ ءَالَآءِ...؟)

والأداة فيه: أي مقترنة بالفاء ، والمراد منه : التقرير[8]، وهو حمل المخاطب على الإقرار بالنعم الدينية والدنيوية التي ذكَّره الله تعالى بها .

يقول البغوي – رحمه الله – : (( وكرّر هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنعمة وتأكيداً في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع ؛ يعدّد على الخلق آلاءه ، ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ...)) [9].

**دلالة الآيات :**

ذكَّر الله تعالى عباده ما امتن عليهم به من النعم الدينية والدنيويه والأخروية التي واجبها

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٢٥/٧ ، والتحرير والتنوير ١٨٠/٢٠ .

(٢) الآء : النعم : واحدها أُليَو ، وإِلْي ، وألي .
انظر المحكم والمحيط الأعظم ٤٣/١٠ .

(٣) تتمارى ؛ أي : تتشكك ، والمرية الشك ، يقال : تمارى يتمارى تمارياً ، وامترى امتراء ، إذا شك .
انظر : لسان العرب ٢٧٨/١٥ ( مري ) ، وتاج العروس ٥٢٥/٣٩ .

(٤) سورة النجم ، آية ٥٥ .

(٥) تفسير الطبري ٨٠/٢٧ .

(٦) سورة الرحمن ، آية ١٣ .

(٧) تكررت الآية في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة ، فاكتفيت بذكر أول موضع وردت فيه .

(٨) انظر : تفسير البغوي ٢٦٨/٤ ، وتفسير الجلالين ص٧٠٩ ، وتفسير السعدي ص٨٢٩ .

(٩) تفسير البغوي ٢٦٨/٤ .

الإقرار بها والشكر ، ونسبتها إلى المنعم بها تعالى ، واستعمالها في مرضاته ، ويتضح المراد من الآيات من وجهين :

١-ذكر الله تعالى نعمة الأزواج والذرية ، وما منَّ الله تعالى على عباده من الأرزاق الطيبة التي أحلها لهم ، ولذلك أنكر على أهل الشرك عبادهم الأصنام وتحريمهم ما أحلّ الله تعالى كالبحائر والسوائب والوصائل وكفرهم بنعم الله ونسبتها إلى غيره من معبوداهم [(١)].

٢-حكى الله تعالى شأن قارون الذي كفر بنعمة الله وجحدها ، فهو من قوم موسى – عليه السلام – ولكنّ قارون انحرف عن قومه بني إسرائيل ، حيث آتاه الله المال العظيم ، فأنكر نعمة الله تعالى عليه ، وطغى وتكبر وعصى الله تعالى ، فلمّا وعظه قومه ، قال قارون رادّاً لنصيحتهم كافراً بنعمة ربه : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ [(٢)].

والمراد بذلك قولان :

الأول: إنما أدركت هذه الأموال على علم مني بوجوه المكاسب .

الثاني: أنّ الله تعالى أعطاني هذا المال ؛ لأنّي أهلٌ له ؛ ولأنّه يعلم أني أستحقه ، ولا فضل لله عليّ فيه . ولا تنافي بين القولين [(٣)].

فأنكر الله تعالى عليه زعمه، فقال: ﴿ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ [(٤)].

((فلو كان إعطاء المال والقوة والجاه يدل على رضاء الله سبحانه عمّن آتاه ذلك، وشرف قدْره ، وعلّو منْزلته عنده، لما أهلك من آتاه من ذلك أكثر ممّا آتى قارون ، فلما أهلكهم مع سعة هذا العطاء وبَسْطته عُلم أن عطاءه إنما كان ابتلاءً وفتنة لا محبة ورضا))[(٥)].

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( ذَمَّ – الله تعالى – من أضاف النعم إلى نفسه وعلمه وقوته ولم يضفها إلى فضل الله وإحسانه ، وذلك مَحْض الكفر بها، فإن رأس الشكر الاعتراف بالنعمة وأنّها من المنعم وحده ، فإذا أُضيفت إلى غيره كان جَحْداً لها ...))[(٦)].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٤٧/١٤ ، وزاد المسير ٤٦٩/٤ ، وتفسير ابن كثير ٥٧٩/٢ .

(٢) سورة القصص ، آية ٧٨ .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤٠٠/٣ -٤٠٢ ، وتيسير العزيز الحميد ص١٦٤ ، وتفسير السعدي ص٦٣١ .

(٤) سورة القصص ، آية ٧٨ .

(٥) شفاء العليل ص٦٩ .

(٦) شفاء العليل ص٧٠ .

فقارون جحد نعمة الله – تعالى – عليه وكذّب بها ، فعاقبه الله – تعالى – فخسف به وبداره الأرض ، كما قال تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ [(١)].

(( ومن زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهو بكدّه وحذقه وفطنته ، أو أنه مستحق لذلك ، لما يظن له على الله من الحق ، فإن هذا منافٍ للتوحيد )) [(٢)].

٣- أنّ الله تعالى ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم الدينية والدنيوية والأخروية ، وبعد كل نوع وجنس من نعمه ، يقرِّر الثقلين وينبههم إلى هذه النعم ليقوموا بما أوجبه عليهم من حقها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( إنّ كل ما خلقه الله فهو نعمة على عباده المؤمنين ، يستحق أن يحمدوه ويشكروه عليه ، وهو من آلائه . ولهذا قال في آخر سورة النجم : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ ، وفي سورة الرحمن يذكر ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ، ونحو ذلك ، ثم يقول عقب ذلك ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ... ففي كل ما خلقه الله إحسان إلى عباده ، يُحمد عليه حمد شكر ، وله فيه حكمة تعود إليه ، يستحق لأجلها أن يُحمد عليه حمداً يستحقه لذاته )[(٣)].

وأفضل النعم نعمة الهدى والإيمان حينما اُختص المؤمنين بتعليم القرآن والهداية له ، كما ذكَّر عباده بآياته الدالة على قدرته وربوبيته من خلق الإنسان والسماء والأرض والشمس والقمر وغيرها ، ففيها تذكير بآياته التي فيها نعمه وإحسانه إلى عباده .

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : (( هذه السورة الكريمة الجليلة افتتحها باسمه ( الرحمن ) الدال على سعة رحمته ، وعموم إحسانه وجزيل بره وواسع فضله ، ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله الله إلى عباده من النعم الدينية والدنيوية والأخروية ، وبعد كل جنس ونوع من نعمه ، يُنبّه الثقلين لشكره )) [(٤)].

---

(١) سورة القصص ، آية ٨١ .

(٢) القول السديد ص٢٤٩ .

(٣) الفتاوى ١٤/٣٠١ – ٣٠٢ .

(٤) تفسير السعدي ص٨٢٨ .

أمَّا آية النجم فيُنكر الله تعالى على الإنسان قائلاً : فبأيّ نعم الله وفضله تشك أيها الإنسان ؟ فإنَّ نعم الله تعالى ظاهرة للعيان لا تقبل الشك بوجه من الوجوه ؛ فقد ذكر الله تعالى ما تفضل به على نبيه – ﷺ – من النعم له ولأهل الإيمان ، ثم ذكر تعالى ما أحلَّ بأعدائه من النقم ، فهي نعم لأهل الإيمان أيضاً.

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – : (( قلت : قد ضَمِنَ ( تتمارى ) معنى تكذب . ولهذا عدَّاه بالتاء ، فإنّ التماري : تفاعل من المراء ، يقال : تمارينا في الهلال ، والمِراء في القرآن كفر ، وهو يكون تكذيباً وتشكيكاً ... والخطاب لإنسان ، قيل : للوليد بن المغيرة ، فإنه قال: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ، ثم التفت إليه فقال : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ تُكذب ...)) [1].

ويقول – رحمه الله – : (( فكل ما يقضيه الله تعالى هو من نعمته على عباده ؛ ولهذا يقول عقب تعديد ما يذكره : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [2] .

ولما ذكر ما ذكره في سورة النجم وذكر إهلاك مكذبي الرسل ، قال : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ [3] ، فإهلاكهم من آلاء ربنا ، وآلاؤه نعمه التي تدل على رحمته ، وعلى حكمته، وعلى مشيئته ، وقدرته ، وربوبيته سبحانه وتعالى )) [4] .

---

(١) الفتاوى ١٤/٣٠٢ .
(٢) سورة الرحمن ، آية ١٣ .
(٣) سورة النجم ، آية ٥٥ .
(٤) الفتاوى ١٦، ١٧٠ .

# المبحث الثالث
# أهل الكتاب

وفيه عشرة مطالب :

المطلب الأول : كفر أهل الكتاب .
المطلب الثاني : تلبيسهم الحق بالباطل ، وكتمان الحق .
المطلب الثالث : التحريف .
المطلب الرابع : تضييع العمل بالتوراة .
المطلب الخامس : المحاجة والمجادلة بغير علم .
المطلب السادس : نقضهم للعهد .
المطلب السابع : الصدّ عن دين الله .
المطلب الثامن : تزكية نفوسهم .
المطلب التاسع : اتصافهم بالحسد والبخل .
المطلب العاشر : مؤمنوا أهل الكتاب .

## المبحث الثالث : أهل الكتاب

أهل الكتاب هم : اليهود والنصارى ؛ وذلك لأنَّهم أصحاب دين سماوي ، أنزله الله تعالى فنعرِّف بهم تعريفاً موجزاً .

أولاً: **اليهود**: قيل : إنّ كلمة اليهود مشتقة من (هاد) بمعنى رجع، وقيل: إن أصلها من (التهوُّد) وهو الصوت الضعيف .

وقيل : نسبة إلى ( يهوذا ) أحد أبناء يعقوب – عليه السلام – ، فعُرِّب الاسم وقلبت الذال دالاً ، فقيل : يهودا [١].

والمراد بهم في الشرع : هم أتباع موسى – عليه السلام – كما يزعمون[٢]. وكتابهم الذي أنزله الله على موسى – عليه السلام – التوراة وقد خطَّها الله تعالى بيده ، واشتملت على الأسفار التالية : مبدأ الخلق ، ثم الخروج ، الأحبار ، العدد ، والتثنية ، ثم الأنبياء[٣].

ومن أشهر الفرق اليهودية : السَّامِريّة ، والصَّدُوقية ، والعنانية ، والعيسوية ، والمقاربة ، والربانيون، وتفرع عنها في العصر الحاضر : الماسونية التي تهدف إلى سيطرة اليهود على العالم، والصهيونية حركة عنصرية سياسية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، ويهود الدونمة الذين ظهروا في آسيا الصغرى ، فأظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية[٤].

ومعلوم أنّ الدين الذي أنزله الله تعالى إلى موسى – عليه السلام – دين صحيح من عند الله ، فعبث اليهود بكتاب الله تعالى ، وحرَّفوه فزادوا ونقصوا ، وملؤوا التوراة من تحريفهم وأباطليهم التي يزعمون أنّها من عند الله .

وقد كشف الله تعالى افتراءاتهم وأباطليهم وقولهم عليه بلا علم .

ثانياً: **أما النصارى** : يُطلق لفظ النصارى نسبة إلى قرية (ناصرة) التي كان يسكنها عيسى عليه السلام .

---

(١) انظر : لسان العرب ٤٥١/٤ – ٤٥٢ ، والملل والنحل ٢١٠/٢ .

(٢) اليهودية والنصرانية للدكتور / سعود الخلف ص ٣٦ .

(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢١١/١ .

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٧٦/١ – ١٧٧، والملل والنحل للشهرستاني ٢١٥/١ – ٢١٧ ، واليهودبية والمسيحية للأعظمي ص١٨٥ ، والفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ٢٠٥ وما بعدها ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٥٠٣/١ – ٥٢٨ .

أما المراد بهم في الشرع فهم : أتباع عيسى – عليه السلام – كما يزعمون ، وكتابهم الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى – عليه السلام – مكملاً للتوراة ، والمصدر الأساس عند النصارى (الكتاب المقدس) ، وينقسم قسمين :

١-العهد القديم ، ويُقصد به التوراة وما يلحق بها .

٢-العهد الجديد ، ويُقصد به الأناجيل الأربعة : إنجيل متَّى ، وإنجيل مُرقس ، وإنجيل لوقَا ، وإنجيل يوحنا ، وما يلحق به من الرسائل [١].

والإنجيل الذي أنزله تعالى على عيسى – عليه السلام – لا وجود له الآن بين يدي النصارى ، وقد كان له وجود لدى النصارى ، وعُرف بإنجيل الله أو إنجيل المسيح ، ولعله فُقد في زمن مبكر من تاريخ النصارى [٢].

وقد حرّف النصارى الدين الذي جاء به عيسى – عليه السلام – بشوائب الوثنية والشرك ، كعقيدة التثليث والصلب والفداء وغيرها [٣].

ومن أشهر فرقهم : النسطورية ، واليعقوبية ، والمَلْكانية [٤]، وأهم فرقهم المعاصرة الكاثوليك أتباع البابا في روما، والأرثوذكس وهم النصارى الشرقيّون، والبروتستانت، وهذه الفرقة تنتشر في ألمانيا وبريطانيا ، وكثير من بلاد أوربا وأمريكا الشمالية[٥] .

وقد بُعث موسى إلى بني إسرائيل فآمنوا به ، وقد بشر موسى – عليه السلام – بني إسرائيل بعيسى – عليه السلام – ، فلما بُعث كفرت به اليهود ، وعظمته النصارى ، وقد بشرت التوراة والإنجيل ببعثة محمد – ﷺ- ، فقد جاء ذكره ووصفه في كتبهم وقد أُمروا باتباعه ، فلمّا بعث – عليه السلام – كفروا به مع ظهور الأدلة والبراهين الدالة على صدقه وتيقنهم بحقيقة دعوته ورسالته ، وكان كفرهم إباءً واستكباراً وحسداً من عند أنفسهم ، حيث صارت النبوة التي انتظروها في ولد إسماعيل – عليه السلام – ، ولعل ذلك يتضح في المطالب التالية :

---

(١) انظر : اليهودية والنصرانية د . سعود الخلف ص١٢١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ١٠٧/٢ ، ١٨٢/٣ .

(٤) انظر : الفصل لابن حزم ١١٠/١ – ١١١ ، والملل والنحل ٢٢٤/١ – ٢٢٨ .

(٥) انظر : اليهودية والمسيحية ص ٣٩٨ ، واليهودية والنصرانية ص ٢٧٥ .

## المطلب الأول : كفر أهل الكتاب :

إنّ اليهود والنصارى مأمورون في دينهم باتباع النبي -ﷺ- ، فقد بشَّرت به كتبهم : التوراة والإنجيل ، إلا أنّهم مع جلاء الحق لديهم كفروا وجحدوا ما أمرهم الله تعالى باتباعه ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه في مواطن متعددة ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ...؟)

والأداة فيه : كم ، وهي استفهامية مقرِّرة ، والمراد منه : تقرير اليهود بالآيات البينة الدالة على الإيمان ، وتقريعهم على طغيانهم وجحودهم للحق (٢).

وقول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾(٣).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ...؟)

والأداة فيه : (ما) مقترنة باللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي (٤)؛ أي : لم تكفرون بآيات الله مع علمكم بأنّ ما أنتم عليه باطل ، وأنّ ما جاءكم به محمد - ﷺ- هو الحق الذي لا مرية فيه (٥) ؟!

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ (٦).

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم)

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢١١ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٢١٣/١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٧٠ .

(٤) انظر : التحرير والتنوير ٢٧٩/٣ .

(٥) انظر : تفسير السعدي ص ١٣٤ .

(٦) سورة النساء ، آية ٥١ .

والمراد منه : التقرير والتعجيب من حالهم ، فهم يؤمنون بالجبت والطاغوت ، وهم أهل كتاب منَزل ودين سماوي [1].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على كفر أهل الكتاب ، فقد كانوا على دين صحيح قبل بعثة الرسول – ﷺ –، أما بعد بعثته فقد كفروا لما أعرضوا عن الإيمان به ، وقد أمرهم الله تعالى بالإيمان وتصديقه ونصرته . إلا أنّهم أبو استكباراً وجحوداً للحق مع تيقنهم بصدقه ، فلا شك لديهم ولا ارتياب ، بل الآيات والدلائل تؤيده .

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – موضحاً قول الله تعالى : ﴿ **يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ** ﴾ [2] (( وإنّما هذا من الله –عز وجل– توبيخ لأهل الكتابين على كفرهم بمحمد – ﷺ – ، وجحودهم نبوته ، وهم يجدونه في كتبهم مع شهادتهم أنّ ما في كتبهم حق ، وأنّه من عند الله )) [3].

ويُوضح شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كفر أهل الكتاب بقوله : ((كفر اليهود : أصله من جهة عدم العمل بعلمهم ، فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه قولاً أو عملاً ، أو لا قولاً ولا عملاً ، وكفر النصارى : من جهة عملهم بلا علم فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ، ويقولون على الله ما لا يعلمون )) [4].

ويُوضح –رحمه الله– موقفهم من بعثة المصطفى – ﷺ– بقوله : (( لَمَّا بعث الله محمداً– ﷺ– كفروا به[5] ، فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين : تبديل دين الرسول الأول ، وتكذيب الرسول الثاني .

كما كان كفر اليهود بتبديلهم أحكام التوراة قبل مبعث المسيح ، ثم تكذيبهم المسيح – عليه السلام – )) [6] ، ثم التكذيب بمحمد – ﷺ– .

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٢/١٨٨ ، وروح المعاني ٥/٥٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٧٠ .

(٣) تفسير الطبري ٣/٣٠٩ .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٥ .

(٥) أي : النصاري .

(٦) الجواب الصحيح ١/١١٠ .

ويقول ابن القيم –رحمه الله–: ((يعني: تكفرون بالقرآن وبمَنْ جاء به وأنتم تشهدون بصحته وبأنّه الحق ، فكفرتم كفر عناد وجحود ، وعن علم وشهود ، لا عن جهل وخفاء...))(١).

وقد أنزل الله تعالى على بني إسرائيل الآيات والحجج القاطعة ، كعصى موسى– عليه السلام– ويده ، وإغراق فرعون ونجاتهم ، وإنزال المنّ والسلوى ، والحجج الدالة على أمر النبي – ﷺ– ، وكان يلزم عند رؤية الآيات والحجج أن يبادروا بالإيمان بالله وبمحمد –ﷺ – إلا أنهم استبدلوا الكفر بالإيمان ، فعطلوا حجج الله تعالى بالتحريف والتأويل الفاسد (٢).

وإذا تأمَّلنا حال اليهود والنصارى نرى أنه غلب عليهم حب الدنيا، ونضحت قلوبهم بالكبر والحسد ، فقد انقلب الحق باطلاً ، فزعموا أنّ أهل الشرك عُباد الأوثان أهدى من محمد –ﷺ – والمؤمنين ، ولذلك يُعجِّب الله تعالى نبيه – ﷺ– من حالهم في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ** ﴾ (٣).

فوصفهم الله تعالى أنّهم يُصدقون (( بمعبودين يعبدونهما من دون الله ويتخذونهما إلهين ، وذلك أنّ الجبت والطاغوت : اسمان لكل معظَّم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر ، أو إنسان ، أو شيطان )) (٤).

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش : أنت خير أهل المدينة وسيدهم ؟ ، قال : نعم ، قالوا : ألا ترى إلى هـذا الصنْبُور(٥)

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٩١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢/ ٣٣٢ ، وزاد المسير ١/ ٢٢٧ .

(٣) سورة النساء ، آية ٥١ .

(٤) تفسير الطبري ٥/ ١٣٣ .

وذكر المفسرون معاني أُخر للجبت والطاغوت يقول الإمام الطبري : ((الأصنام التي كانت في الجاهليه تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جُبوتاً وطواغيت ، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كانا مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله ، وكذلك حيي بن أخطب ، وكعب بن الأشرف ؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسله )) ٥/ ١٣٣، وانظر : تفسير البغوي ١ / ٤٤١، وزاد المسير ٢ / ١٠٦، وفتح القدير ١/ ٤٧٧.

(٥) الصنْبُور : الفرد الضعيف الذليل الذي لا أهل له ولا ناصر .

=

المُنْبَتر[1] من قومه يزعم أنّه خيرٌ منّا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السِّدانة ، وأهل السقاية؟، قال : أنتم خير )) [2]. فأنزل الله تعالى الآية .

فهؤلاء جمعوا بين تعظيم زعمائهم في معصية الله تعالى والكفر بدعوة المصطفى -ﷺ - اتباعاً لعظمائهم كحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ، وكذلك زعمهم أنّ أهل الشرك والأوثان خيرٌ وأهدى من محمد - ﷺ- ، والمؤمنين به وهم يعلمون حقيقة دعوته وصفته كما جاء في التوراة والإنجيل .

---

=

والأبتر الذي لا عقب له .

وأصل الصنبور : سعفة تنبت في جذع النخلة لا في الأرض ، وقيل : النخلة التي يدق أسفلها فإذا قلع انقطع .

انظر : تهذيب اللغة ١٩٠/١٢ ( صنبر ) ، والنهاية في غريب الحديث ٥٥/٣ ( صنبر ) .

(١) المنبتر : أي : الأبتر الذي لا ولد له ، يقال : بترت الشيء بتراً : قطعته قبل الإتمام ، والانبتار : الانقطاع .

انظر : النهاية في غريب الحديث ٣٧/٤ ( بتر ) ، وتاج العروس ٩٧/١٠ ( بتر ) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣٣/٥ .

## المطلب الثاني : تلبيسهم الحق بالباطل ، وكتمان الحق

لَمَّا كفر اليهود والنصارى برسالة المصطفى – ﷺ- لبَّسوا الحق الذي علموه بالباطل ، وكتموا الحق الذي أمرهم الله تعالى باتباعه ، وهو بعثة النبي –ﷺ – والعهد الذي أُخذ عليهم أن يُصدّقوا برسالة النبي – ﷺ- وينصروه ، فمنعهم من قبول الحق واتباعه حسدهم أن يُختص محمد – ﷺ- بالرسالة ، وهو من ولد إسماعيل دون ولد إسحاق ، وقد ورد ذلك موضحاً في كتاب الله تعالى ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ** ﴾ [(١)].

ورد في الآيتين ثلاثة من أساليب الاستفهام :

الأول : في قوله : (**أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ**...؟) ، والأداة فيه الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، فالتحديث وإن كان منكراً في نفسه لكنه لهذا الغرض لا يكاد يصدر عن عاقل ؛ أي : كتمان الحق [(٢)].

الثاني : في قوله : ( ... **أَفَلَا تَعۡقِلُونَ** ؟) ، والأداة فيه الهمزة مقترنة بالفاء ؛ والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، وذلك تأكيد للإنكار الأول ، والمراد : أفلا تكون لكم عقول تستدلون بها على بطلان فعلكم [(٣)]؟!

الثالث : في قوله : (**أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ**؟.. )، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه: الإنكار والتوبيخي ؛ لأنّهم عالمون بإحاطة علم الله لسرهم وعلانيتهم [(٤)].

وقول الله تعالى : ﴿ **يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة البقرة ، آية ٧٦ – ٧٧ .
(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١/١١٧ ، وروح المعاني ١/٢٩٩ .
(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١/١١٨ .
(٤) انظر : تفسير أبي السعود ١/١١٨ ، وروح المعاني ١/٣٠١ .
(٥) سورة آل عمران ، آية ٧٠ – ٧١ .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ؟﴾

والأداة فيه : ما مقترنة باللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي على ما أدخلوه من الأكاذيب والخرافات الباطلة وكتمانهم للحق ، ويراد به : تصديق المصطفى ﷺ [(١)].

دلالة الآيات :

أنكر الله تعالى على أهل الكتاب تلبيسهم الحق بالباطل وكتمان الحق ، والمقصود تلبيس الحق بالباطل؛ أي : خلطه ؛ أي : تلبيس اليهودية والنصرانية بالإسلام ، وقد علموا أن الإسلام دين الله الذي لا يقبل غيره، على قول بعض المفسرين .

وقال بعض المفسرين : إنّ المقصود بتلبيس الحق بالباطل ، أي : التوراة التي أنزلها الله على موسى والباطل الذي كتبوه وحرّفوه بأيديهم [(٢)].

أمَّا كتمان الحق فهو : ما في كتبهم من نعت النبي – ﷺ– ومبعثه ونبوته .

قال قتادة[(٣)]: (( كتموا شأن محمد ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر )) [(٤)].

فهم بهذين الأمرين : تلبيس الحق بالباطل ، وكتمان الحق ، يُضلون مَنْ انتسب إليهم ، فإن علماء أهل الكتاب إذا أخفوا الحق ولبَّسوه بالباطل الذي لا يُميّزه عوامهم ضلوا ولم يهتدوا، فتعذر عليهم تمييز العقائد الصحيحة من الفاسدة [(٥)].

ويُوضح الألوسي – رحمه الله – معنى تلبيس الحق بالباطل وكتمانه : (( لبس الحق بالباطل وكتمانه ... في المراد به أقوال :

أحدهما : أنّ المراد تحريفهم التوراة والإنجيل .

ثانيها : أنّ المراد إظهارهم الإسلام وإبطانهم النفاق .

---

(١) انظر : التحرير والتنوير ٢٧٩/٣ .

(٢) تفسير الطبري ٦/ ٥٠٤ – ٥٠٥ ، وانظر : تفسير البغوي ٣١٥/١ .

(٣) هو : قتادة بن دِعامة بن قتادة ، الحافظ المفسر ، روى عن أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب وعكرمة ، وروى عنه أئمة الإسلام كأيوب السختياني ومعمر بن راشد وغيرهما ، توفي سنة ١١٨هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ .

(٤) تفسير الطبري ٥٠٥/٦ .

(٥) انظر : تفسير السعدي ص ١٣٤ .

ثالثها : أنّ المراد الإيمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد - عليهم السلام - .

رابعها : أنّ المراد ما يعلمونه في قلوبهم من حقيقة رسالته - ﷺ- وما يظهرونه من تكذيبه )) [1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (( فقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ [2]، نهي عنهما، والثاني لازم للأول مقصود بالنهي، فمن لَبّس الحق بالباطل كتم الحق وهو معاقب على لَبْسِه الحق بالباطل ، وعلى كتمانه الحق ... فإنّ كتمان أهل الكتاب ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس يستحقون به العقاب باتفاق المسلمين ، وكذلك لَبْسهم الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي ابتدعوه ، وجمع بينهما بدون إعادة حرف النفي ؛ لأنّ اللبس مستلزم للكتمان ... وإنما كان اللبس مستلزماً للكتمان ؛ لأن من لبّس الحق بالباطل ، كما فعله أهل الكتاب - حيث ابتدعوا ديناً لم يُشرِّعه الله ، فأمروا بما لم يأمر به ، ونهوا عما لم ينه عنه ، وأخبروا بخلاف ما أخبر به ، فلا بدَّ له أن يكتم من الحق المنزل ما يناقض بدعته ؛ إذ الحق المنَزل الذي فيه خبر بخلاف ما أخبر به إن لم يكتمه لم يتمّ مقصوده ، وكذلك الذي فيه إباحته لما نُهي عنه أو إسقاط لما أُمر به ...)) [3].

وقد أخبر الله تعالى عن حال اليهود ، وقيل : منافقو اليهود بقوله : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [4].

فحالهم إنكار بعضهم على بعض ، ولوم بعضهم بعضا : أن يتحدثوا مع أصحاب النبي - ﷺ - فيخبروهم بما في كتبهم من وصف النبي -ﷺ - وأنّه مبعوث حجة لهم عليكم ، أفلا تعقلون ذلك ولا تقولون لهم مثل ما قلتم : وقد كان حالهم قبل مبعث النبي - ﷺ- أنهم كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية ، ويستنصرون عليهم بالنبي -ﷺ - قبل ظهوره ، فلما ظهر النبي - ﷺ- كفروا به ، وجحدوا نبوته ، وكتموا ما في كتبهم من أخذ العهد والميثاق

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للألوسي ص ٦٢ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٤٢ .

(٣) درء التعارض ١/٢١٩ - ٢٢٠ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٧٦ .

عليهم أن يؤمنوا به وينصروه [1].

فردّ الله تعالى عليهم منكراً وموبخاً لهم ألا يعلم هؤلاء المخادعون لأصحاب النبي -ﷺ -: أنّ الله تعالى يعلم ما أسرّوا به حينما تولوا عن أصحاب محمد -ﷺ- وخلا بعضهم إلى بعض ؛ وما أعلنوه حينما قالوا لأصحاب النبي -ﷺ - : آمنا [2].

(١) انظر : تفسير الطبري ٣٧٢/١ ، وبدائع الفوائد ١٤٤/٤ - ١٤٥ ، وتفسير السعدي ص٥٦ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١١٥/١ .

## المطلب الثالث : التحريف

إنّ من أعظم الفضائح التي فضح الله تعالى بها أهل الكتاب ما قاموا من تحريف الكلمِ عن مواضعه في التوراة والإنجيل وهما من كلام الله تعالى ؛ فاستهانوا و لم يُعظموا الله ، فبدلوا ، وغيروا ، وقد ذمهم الله تعالى في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (١).

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ**...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والاستبعاد ، والمراد تبصير للمؤمنين بحقيقة اليهود ، فإن قلوبهم القاسية يبعد عليها الإيمان ، وقد استهانت بكلام الله تعالى ، فحرفته بعد تعقل وعلم (٢).

وقول الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ (٣).

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ**...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم)، والمراد منه : التقرير والتعجيب ؛ أي : تعجيب لرسول الله – ﷺ– من حال أهل الكتاب وسوء صنيعتهم ، وتقرير لما سبق من أنّ الاختلاف إنما كان بعد مجيء العلم (٤).

وقول الله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ**﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة ، آية ٧٥ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١/٢٩٨ ، وروح المعاني ١/٢٩٨ .

(٣) سورة آل عمران ، آية ٢٣ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٢/٢٠ ، وروح المعاني ٣/١١٠ .

(٥) سورة المجادلة ، آية ٨ .

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام بقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ...؟)

والأداة فيه : لم ، والمراد منه : التقرير والتعجيب من حالهم على تكرر عودهم للتناجي والعصيان [1].

دلالة الآيات :

دلت الآيات على الجرم الشنيع الذي قام به اليهود والنصارى ، وهو التحريف ، والتحريف والليّ بمعنى واحد ، وهو نوعان : ليّ في اللفظ ، وليّ في المعنى .

النوع الأول : ليّ في اللفظ ، وهو أن يلفظ بها على وجه لا يستلزم الحق ، إما بزيادة لفظة أو نقصانها أو إبدال غيرها بها .

وليّ في كيفية أدائها ، وإيهام السامع لفظاً وإرادة غيره ، كما كان اليهود يلوون ألسنتهم بالسلام على النبي – ﷺ – وغيره .

والنوع الثاني منه : ليّ المعنى ، وهو تحريفه ، وتأويل اللفظ على خلاف مراد المتكلم ، أو يُسقط منه بعض المراد به ، ونحو هذا من ليّ المعاني [2].

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( ( وأمَّا التحريف ) فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة ، وكذلك ليّ اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه، وما هو منه ، فهذه خمسة أمور :

أحدها : لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل .

الثاني : كتمان الحق .

الثالث : إخفاؤه وهو قريب من كتمانه .

الرابع : تحريف الكلم عن مواضعه ، وهو نوعان : تحريف لفظه ، وتحريف معناه .

الخامس : ليّ اللسان به ليُلبِّس على السامع اللفظ المنَزل بغيره .

وهذه الأمور إنّما ارتكبوها لأغراض لهم دعتهم إلى ذلك ، فإذا عادوا الرسول وجحدوا نبوته وكذبوه وقاتلوه ، فهم إلى أن يجحدوا نعته وصفته ، ويكتموا ذلك ويزيلوه عن مواضعه، ويتأوّلوه على غير تأويله أقرب بكثير . وهكذا فعلوا ، ولكن لكثرة البشارات وتنوعها غابوا عن كتمانها وإخفائها فصاروا إلى ( تحريف التأويل ) وإزالة معناها ...)) [3].

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ٢١٩/٨ .

(٢) الرسالة التبوكية لابن القيم ص٣٥ .

(٣) هداية الحيارى ص ١٠١ – ١٠٢ .

وقد أجمع المسلمون على أنّ كتب أهل الكتاب حُرفت وفقدت إسنادها قبل زمان المصطفى- ﷺ- ، وأنّ التحريف في كثير من المواضع وقع فيها بعد زمانه أيضاً ، وكثرة النُّسخ لا تنفع في ردّ التحريف ، بل إنّ وجود نسخ كثيرة قديمة يكون دافعاً لدعوى التحريف .

وإن وجود النُّسخ الكثيرة ، واختلاف بعضها عن بعض اختلافاً شديداً من أعظم الأدلة الدالة على تحريف أسلافهم لكتبهم المقدسة [1].

ومن الأمثلة على ذلك :

١-تحريفهم حكمَ الله تعالى في الزاني والزانية المحصنين ، وذلك أنَّ النبي – ﷺ- دعاهم إلى التحاكم إلى التوراة ، فهم يُقرون بأنّها حق ، ويعلمون أن حكم الله تعالى فيها على الزاني المحصن الرجم ، فيتركون الحكم به جراءة على الله وعصياناً [2] . ومن ذلك أن اليهود جاؤوا إلى النبي – ﷺ- ليحكم في رجل وامرأة زنيا .

يقول الشنقيطي –رحمه الله-: ((حكم الرجم في آية غير منسوخة، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾الآية، فإنّها نزلت في اليهودي واليهودية اللذين زنيا وهما محصنان، رجمهما النبي –ﷺ-، فذمُه تعالى في هذا الكتاب للمعرض عمّا في التوراة من رجم الزاني المحصن دليل قرآني واضح على بقاء حكم الرجم))[3].

روى الشيخان عن ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما – قال : (( أُتي النبي – ﷺ- بيهودي ويهودية زنيا جميعاً ، فقـــال لهم : ( ما تجدون في كتابكم ) ؟ قالوا : إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه[4] والتَّجبية[5]، فقال عبدالله بن سلام[6]: ادْعهم يا رسول الله بالتوراة،

---

(١) انظر : إظهار الحق ١٥٣/١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٨٩/١٠ .

(٣) أضواء البيان ٢٢٩/١ ، ٣٧٠/١ ، ٣٦/٣ .

(٤) تحميم الوجه : تسويد الوجه ، يُقال : مُسْوَدّ الوجه من الَحَمَمَه : الفَحْمَة وجمعها حُمم .
انظر : الصحاح ١٩٠٥/٥ ، والنهاية في غريب الحديث ٤٤٤/١ ( حمم ) . الفائق ٣٢١/١ ( حمم ) .

(٥) التجبية: أن يُحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما، ويطاف بهما. انظر: تفسير الطبري ٣٣٩/١٠ .

(٦) هو الصحابي الجليل: عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي،أبو يوسف،أسلم عند قدوم الـــنبي ﷺ المدينـــة، وكان اسمه(الحصين)، فسماه النبي ﷺ عبدالله، وقيل: إنّه من نسل يوسف عليه السلام، شهد لـــه الـــنبي ﷺ بالجنة، توفي سنة ٤٣هــ.انظر: أسد الغابة٢٦٥/٣- ٢٦٦، والإصابة في تمييز الصحابة٣٢٠/٢-٣٢١.

فأُتي بها ، فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، وجعل يقرأ ما قبلها وما بعدها . فقال له ابن سلام : ارفع يدك ، فإن آية الرجم تحت يدك ، فأمر بهما رسول الله – ﷺ– فرُجما[1].

٢- تحريفهم التحيةَ والسلام على النبي –ﷺ – ، فقد كانت اليهود يتناجون بما حرَّم الله من الفواحش ، والعدوان ، وذلك خلاف أمر الله ورسوله – ﷺ– ، ونهاهم النبي – ﷺ– عن ذلك ، فعادوا لِما نُهوا عنه [2].

وقد كانوا يتظاهرون أنَّهم يحيونه التحية الحسنة ، وهي : السلام عليكم ، ويُحرفونها مخفين ما يبطنون بقولهم : السام[3] ، فكان النبي –ﷺ– يرد عليهم بـــ: وعليكم ، فإذا خرجوا من عنده قالوا: لو كان نبياً حقاً لعجَّل الله تعالى لنا العقوبة في الدنيا ، فأخبرهم الله تعالى أنّ جهنم كافيتهم في الدار الآخرة ، ويُوضحه حديث عائشة – رضي الله عنها – ، قالت : دخل رَهْطٌ من اليهود على رسول الله –ﷺ– فقالوا : السَّام عليك ، فَفهمتُها ، فقلت : عليكم السَّام واللعنة. فقال رسول الله –ﷺ–: (مهلاً يا عائشة، فإنّ الله يُحب الرّفق في الأمر كلِّه، فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟، قال رسول الله –ﷺ–: فقد قلت وعليكم)[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( أظهروا التحية الحسنة ، والسلام المعروف، ولم يظهروا سباً ولا شتماً ، وإنما حرَّفوا السلام تحريفاً خفياً لا يظهر ، ولا يفطن له أكثر الناس، ولهذا لما سلّم اليهودي على النبي –ﷺ – بلفظ (السام) لم يعلم أصحابه حتى أعلمهم وقال : إنّ اليهود إذ سلَّم أحدهم ، فإنما يقول السام عليكم ... )) [5] ، وذلك ما وصفهم الله تعالى به من الأذى الظاهر والباطن .

---

(١) أخرجه البخاري – كتاب : الحدود ، باب : أحكام أهل الذمة – [ ٦٨٤١ ] ، انظر : البخاري مع الفــتح ١٦٦/١٢ ، ومسلم في صحيحه بنحوه – كتاب : الحدود ، باب : رجم اليهود أهل الذمة ... [ ١٦٩٩ ] ١٣٢٠٦/٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣٩/٢٣ ، وتفسير ابن كثير ٢٩٧/٤ .

(٣) السام : الموت .
انظر : لسان العرب ٣١٣/١٢ ( سوم ) ، وفتح الباري ٤٢/١٢ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب : الاستئذان ، باب : كيف الرد على أهل الذمة بالســـلام [ ٦٣٥٦] انظر : البخاري مع الفتح ٤١/١١ ، ومسلم في صحيحه – كتاب : السلام ، باب : النهي عن ابتداء أهـــل الكتاب بالسلام – [ ٢١٦٥ ] ١٧٠٦/٤ .

(٥) الصارم المسلول ١٣/٢ .

## المطلب الرابع : تضييع العمل بالتوراة

إن اليهود ضيعوا العمل بالتوراة وتحكيمها ؛ وذلك لِما نضحت به قلوبهم من حب الدنيا، وحب المال ، فقد استمرؤوا على أخذ الرِّشوة [١] على الحكم اتباعاً لأهوائهم ، ووطَّنوا أنفسهم على مخالفة أمر الله تعالى ، متمنين على الله الأماني ، وقد ذكر الله تعالى ذلك عنهم في مواطن من كتابه ، ومنه ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [٢].

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام (**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ ؟**)

والأداة فيه : كيف ، والمراد منه : التعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به ، والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم [٣].

وقول الله تعالى : ﴿ **فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[٤].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول: ( ...**أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم**...؟) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه : التقرير؛ أي : قد أُخذ عليهم ميثاق الكتاب على ألا يقولوا إلا الحق .

---

(١) الرِّشوة والرُّشوة : الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة ، وأصله من الرِّشاء الذي يتوصل به إلى الماء .
انظر : النهاية في غريب الحديث ٢/٢٢٦ ( رشا ) ، ولسان العرب ١٤/٣٢٢ ( رشا ) .

(٢) سورة المائدة ، آية ٤٣ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٣/٤٠ ، وروح المعاني ٦/١٤١ .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٦٩ .

الثاني: في فاصلة الآية : ( ...**أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ؟**)، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء واللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : أفلا تكون لكم عقول تدركون ما أُعدّ للمتقين في الدارالآخرة .

**دلالة الآيتين :**

إنّ اليهود لم يُعظّموا أمر الله تعالى وكتابه ؛ حيث ضيعوا العمل بها ، فإذا دُعوا إلى حكمها الذي يُصدقون به أعرضوا استهانة بحكم الله تعالى .

يقول الطبري – رحمه الله – : (( إنّ الله أخبر عن طائفة من اليهود ... مِمّن قد أُوتي علماً بالتوراة ، أنّهم إذا دُعوا إلى كتاب الله الذي كانوا يُقرِّون أنّه من عند الله – وهو التوراة – في بعض ما تنازعوا فيه هم ورسول الله –ﷺ – ... وإذا دُعوا إلى حكم التوراة ، أبوا الإجابة فيه وكتمه بعضهم ... فأخبر الله – جل ثناؤه – بردّهم ؛ وتكذيبهم بما في كتابهم ، وجحودهم ما قد أُخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم بإقامته والعمل به ... )) [(١)].

فإنّ اليهود أُشربت قلوبهم حب الدنيا ، فكانوا يخالفون حكم الله طمعاً في الرّشوة ، ثم يتمنون على الله تعالى الأماني ، فيقولون : سيغفر لنا ، فكلّما شَرَع لهم ذنبٌ حرامٌ مثله من الرِّشوة بعد ذلك أخذوه واستحلوه ، ولم يرتدعوا عنه ، فهم أهل إصرار على ذنُوبهم دون توبة أو إنابة [(٢)].

يقول ابن القيم–رحمه الله–:((فأخبر سبحانه أنّهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه، وقالوا: سيغفر لنا، وإن عَرَضَ لهم عَرَضٌ آخر أخذوه ، فهم مصرُّون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أنّ دينه وشرعه وحكمته خلاف ذلك، أو لا يعلمون أن ذلك دينه، وشرعه ، وحكمه، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه))[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري ٢٩٠/٦ – ٢٩١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢١١/١٣ ، وتفسير البغوي ٢١٠/٢ ، وزاد المسير ٢٨٠/٣ ، وتفسير القرطبي ٣١٢/٧.

(٣) الفوائد ص ١٠٠ .

ويقـــول الغَزّيّ [(١)]-رحمه الله – موضحاً خصـــال أهل الكتـــاب : (( ومنهـــا أكـــل السُّحْت[(٢)] ، وهو : أكل أموال الناس بالباطل : كالربا والسرقة ، والغَصْب والرِّشوة في الحكم، وأخذ القاضي ونحوه للهدية ...)) [(٣)].

فخالفوا أمر الله وميثاقه إيثاراً للدنيا على الآخرة ، ووطَّنوا أنفسهم على مخالفة أمر الله تعالى .

(١) هو:محمد بن محمد بن محمد الغَزَّي، أبو المكارم الشافعي، ألف وصنف ، ومن مصنفاته : ( لطـــف السَّـــمر وقطف الثمر ) ، و( شرح جواهر الذخائر في الكبائر والصغائر ) ، و( حسن التنبه لما ورد في التشبه ) . تـــوفي سنة ١٠٦١هـــ .

انظر : معجم المؤلفين ٦٨٥/٣ ، والأعلام ٦٣/٧ .

(٢) السُّحْتُ : يقال سُحِتَ الشيء إذا استؤصل وأسحت ، يقال : سحت الله الكافر بعذاب استأصله ، والسُّحت كل حرام يلزم آكله العار ؛ وسمي سحتاً ؛ لأنّه لا بقاء له .

انظر : معجم مقاييس اللغة ١٤٣/٣ ( سحت ) ، والمعجم الوسيط ٤١٩/١ ( سحت ) .

(٣) حسن التنبه لما ورد في التشبه ص٦٩ – رسالة علمية محققة – .

## المطلب الخامس : المحاجة والمجادلة بغير علم

كثيراً ما يذكر الله تعالى عن أهل الكتاب الجدال بغير الحق والدعاوى الباطلة المجرّدة عن الدليل والبرهان ، ممَّا يُثبت بطلانها وزيفها ، وقد ذكر الله تعالى كثيراً منها في كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (1).

ورد في الآيات أربعةٌ من أساليب الاستفهام :

الأول: في قوله تعالى ( ...أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ...؟) ، والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي؛ أي: أتجادلوننا في الله تعالى، وهو تعالى مالك أمرنا وأمركم؟(2).

الثاني: (أَمْ تَقُولُونَ...؟) و(أم) هنا منقطعة ؛ تقدر بـــ(بل) والهمزة ؛ أي : بل أتقولون؟ والمراد منه : الإنكار التوبيخي للافتراء على الأنبياء ودعوى أنهم هود أو نصارى (3).

الثالث: (ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ؟) ، والأداة فيه: الهمزة ، وأم هي المعادلة لما بعد الهمزة ، والمراد منه : تأكيد للإنكار والتوبيخ ، أي : فلستم أعلم من الله تعالى بحال إبراهيم عليه السلام(4).

الرابع : ( ... ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ؟) ، والأداة فيه : مَنْ ، والمراد منه : النفي والإنكار ؛ أي : لا أحد أظلم ممن كتم الشهادة عنده من الله(5).

وقـــول الله تعـــالى : ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ

---

(1) سورة البقرة ، آية ١٣٩ - ١٤٠ .

(2) انظر : تفسير أبي السعود ١٦٨/١ ، وروح المعاني ٣٩٨/١ .

(3) انظر : تفسير أبي السعود ١٦٩/١ ، وروح المعاني ٤٠٠/١ .

(4) انظر : تفسير أبي السعود ١٧٠/١ ، وروح المعاني ٤٠٠/١ .

(5) انظر : تفسير أبي السعود ١٧٠/١ .

وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [١].

ورد في الآيتين ثلاثة من أساليب الاستفهام :

الأول: في قوله تعالى : ( ...لِمَ تُحَآجُّونَ...؟) ، والأداة فيه : (ما) مقترنة باللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : لم تحاجون وتجادلون في إبراهيم ، والحال أن نبوته قبل نزول التوراة والإنجيل [٢].

الثاني: في فاصلة الآية : ( ...أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ؟) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء واللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، أي : أتقولون ذلك ولا تعقلونه [٣].

الثالث: في قوله تعالى : ( ...فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ؟) ، والأداة فيه : (ما) مقترنة باللام والفاء ، والمراد منه : الإنكـــار التوبيخي لمجادلتهم بما ليس لديهم فيه علم[٤].

دلالة الآيات :

ذمّ الله تعالى اليهود والنصارى على مجادلتهم ومحاجتهم بغير علم وبغير برهان أو دليل، فيمارون في دين الله ورسله ، فأبطل تلك الدعاوى ، وبيّن الحق الذي يجب اتباعه ، ومن تلك الحجج :

١- محاجة اليهود والنصارى المسلمين بقولهم : ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ ﴾[٥]، فزعموا أنّ دينهم خيرٌ من دين محمد -ﷺ-، وكتابهم خير من كتاب محمد -ﷺ-؛ لأنّ نبيهم وكتابهم متقدم على دين محمد -ﷺ- وكتابه، وأنّهم أهدى من محمد -ﷺ-[٦]، فردَّ الله تعالى عليهم هذه الدعوى بقوله : ﴿ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٦٥ – ٦٦ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٤٨٥/٢ ، وروح المعاني ١٩٤/٣ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٤٨٥/٢.

(٤) انظر : البحر المحيط ٤٨٥/٢ ، وتفسير أبي السعود ٤٨/٢ ، وروح المعاني ١٣٤/٣ .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٣٥ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٥٧٢/١ – ٥٧٣ ، وتفسير ابن كثير ١٨٩/١ .

**أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴾**(١)، أي : أتجادلوننا في توحيد الله ، والإخلاص له ، والانقياد له ، واتباع أوامره ، وترك زواجره ، وهو المتصرف فينا وفيكم ، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، فنحن برآء من أعمالكم ، وأنتم برآء من أعمالنا(٢).

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – : (( فإنّا مشتركون في أنّه ربنا كلنا ، وأنّ عمل كل عامل له لا لغيره ، وامتزنا نحن بأنّا مخلصون له ، وأنتم لستم مخلصين له ، فأوجب هذا أنّ الحق معنا دونكم ، وأنّ أعمالنا صالحة مقبولة ، وأعمالكم مردودة )) (٣).

٢- دعوى أنّ إبراهيم – عليه السلام – ومن بعده من الأنبياء : إسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط كانوا هوداً أو نصارى .

وقد ردّ الله تعالى هذه الدعوى من ثلاثة أوجه :

١- أنّ جدالهم في إبراهيم – عليه السلام – وغيره من الأنبياء جدال بلا علم ، ولا دليل، ولا برهان ، كما قال تعالى : (**قل أأنتم أعلم أم الله** ) ؟ وقوله : (**فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ**) ، فجدالهم جدال في أمر ليس لهم فيه علم .

٢- أنّ اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة ، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل ، وما أُنزلا إلا بعد إبراهيم – عليه السلام – ، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم ، وهو متقدم عليهم ، فهذا مخالف للعقول ؟!.

٣- أنّ الله تعالى برَّأ خليله من اليهود والنصارى والمشركين ، وجعله حنيفاً مسلماً ، وأولى الناس به من آمن به واتبعه (٤) ، فقال تعالى : **﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾** (٥).

(١) سورة البقرة ، آية ١٣٩ .
(٢) تفسير ابن كثير ١/١٨٩ .
(٣) الجواب الصحيح ٣/٨٢ – ٨٣ .
(٤) انظر: تفسير السعدي ص١٣٤ ، وانظر : تفسير الطبري ١/٥٧٢ – ٥٧٣ ، وتفسير ابن كثير ١/٢٧٣ .
(٥) سورة آل عمران ، آية ٦٧ .

## المطلب السادس : نقضهم للعهد

اتصف أهل الكتاب بنقض العهد ، فكلّما أُخذ عليهم عهد نقضوه ، وأعظم العهود التي أُخذت عليهم هي العملُ بالتوراة وإقامتها ، فضيعوا ذلك ، ونقضوا العهد ، وقد جاوروا النبي -ﷺ- في المدينة، وعاهدوه معاهدات، سرعان ما نقضوها ، واستهانوا بالوفاء والحفاظ على العهد ، ولا يزالون على ذلك ؛ فيُبرمون الاتفاقيات والمعاهدات ، ويُبادرون إلى نقضها حسب أهوائهم، وذكر الله تعالى ذلك في مواطن من كتابه، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقول الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[(١)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ**...؟)، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والتهديد ، أي : أتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض [(٢)].

وقوله تعالى:﴿ **أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[(٣)].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (**أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟**...؟) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، فكلّما أُخذ عليهم عهد نقضوه معرضين[(٤)].

دلالة الآيتين :

إنّ الله تعالى أخذ العهود على بني إسرائيل لإقامتها والعمل بما في التوراة مرة بعد أخرى ، ثم نقض بعضهم ذلك مرَّة بعد أخرى ؛ ولذلك وبّخهم الله تعالى ، وعيَّر به أبناءهم ، إذ سلكوا

---

(١) سورة البقرة ، آية ٨٥ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١/١٢٥ ، وروح المعاني ١/٣١٣ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٠٠ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ١/١٣٥ ، وروح المعاني ١/٣٣٥ .

منهاج أسلافهم ، فقد أخذ الله تعالى عليهم الميثاق بالإيمان بمحمد -ﷺ- فكفروا وجحدوا ما في التوراة من نعته وصفته [1].

فهذه سمة ثابتة في اليهود ، فكلّما أُخذ عليهم عهد وميثاق ترتب عليه النقض ، والسبب في ذلك عدم إيمانهم وتصدقهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( إنّ النبي – ﷺ- عاهد لَّما قدم المدينة جميع أصناف اليهود : بني قينقاع ، والنضير ، وقريظة ، ثم نقضت بنو قينقاع عهده فحاربهم ، ثم نقض عهده كعب بن الأشرف ، ثم نقض عهده بنو النضير ، ثمّ بنو قريظة ...)) [2].

فنقض العهد صفة من صفاتهم إلى يومنا هذا .

ويقول الشيخ عبدالرحمن السعدي –رحمه الله–: (( وهذا فيه تعجيب من كثرة معاهداتهم وعدم صبرهم على الوفاء بها، ( فكلّما ) تفيد التكرار ، فكلّما وجد العهد ترتب عليه النقض ، ما السبب في ذلك ؟ السبب أنّ أكثرهم لا يؤمنون، فعدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم نقض العهود )) [3] .

وقد بين الله تعالى أنّه أخذ الميثاق عليهم : ألا يسفكوا دماء بعضهم بعضاً ، ولا يخرجون بعضهم بعضاً من ديارهم ، وأن يفدي بعضهم بعضاً ، فأقرَّوا بذلك ، وصدقوا أنّه حق لازم لهم الوفاء به . قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ** ﴾ [4].

وذلك أنّ اليهود في المدينة كانوا فريقين : بنو قينقاع حلفاء الخزرج ، وبنو النضير وقريظة حلفاء الأوس . فإذا كانت حرب بين الأوس والخزرج خرجت كل طائفة منهم مع حلفائها ، فيظاهر كل فريق منهم حلفاءه على إخوانه ، ومعلوم أنّ الأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان لا يعرفون جنة ولا ناراً ، ولا بعثاً ولا قياماً ، ولا كتاباً ، ولا حراماً ولا حلالاً . فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقاً لما في التوراة وأخذاً به ، ونقضوا العهد في

(١) انظر :تفسير الطبري ٢/ ٤٠٠ ، وتفسير البغوي ١/٩٧ ، وتفسير ابن كثير ١٤/٤٢٣ .
(٢) الصارم المسلول ٢/١٥٣ .
(٣) تفسير السعدي ص٦٠ .
(٤) سورة البقرة ، آية ٨٤ .

القتـــل والإخراج ، ولذلك أنكر الله تعالى عليهم : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [1].

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( فهذه حجة من الله احتج بها على أهل الكتاب ، فإنه كان قد أخذ عليهم الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يجليه عن دياره ، وأن يفدي بعضهم بعضاً من الأسر ، فهذه ثلاثة عهود خالفوا منها عهدين ، وأخذوا بالثالث ، فقتل بعضهم بعضاً، وأخرجه من دياره ، ثمَّ فادوا أسراهم ؛ لأنّ الله أمرهم بذلك ، فإن كنتم قد فاديتم الأسرى ؛ لأن الله أمركم بفدائهم ، فلم قتلتم بعضكم بعضاً ، وأخرجتموهم من ديارهم ، والله قد نهاكم عن ذلك ، والأخذ ببعض الكتاب يوجب عليكم الأخذ بجميعه ، فكيف تكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ؟! )) [2].

وهذه الآية في ذم اليهود على نقضهم للعهد الذي أخذ عليهم ، فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، فهم مصدقون بالتوراة ولكن لا يؤمنون بكل ما فيها ، وإنّما بحسب أهوائهم ، كما جاء فيها من ذكر النبي – ﷺ– ونعته ومبعثه ووجوب الإيمان به ، فتكاتموه بينهـــم[3]، ولذلك توعدهم بقوله : ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [4].

(١) انظر : تفسير الطبري ٣٠٣/٢ .
(٢) بدائع الفوائد ١٤٣/٤ – ١٤٤ .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير ١٢٢/١ .
(٤) سورة البقرة ، آية ٨٥ .

## المطلب السابع : الصدّ عن دين الله

لَمَّا أنكر اليهود نبوة المصطفى – ﷺ- اجتهدوا في صدّ المسلمين عن دينهم ، تارة بإثارة الشبه ، وتارة بالاستهزاء والسخرية بهم ، ولا يزال اليهود إلى يومنا هذا يجتاحون العالم ، ويقيمون الجمعيات السرية ، والمؤتمرات ، ويسيطرون على الإعلام فيبثون زيفهم وسمومهم ؛ ليشككوا المسلمين في أصول دينهم وشرائعه ، وذلك لِبثِّ الهزيمة النفسية بين المسلمين ، ولتخلّيهم عن دينهم ، وإغراقهم في الشهوات وجدالهم في الشبهات ، ولصدّ غير المسلمين عن التعرف على حقيقة الإسلام دين العدالة والحرية ، ولكن الله تعالى ناصر دينه ومظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، وذكر الله تعالى في مواطن من كتابه كيد اليهود للنبي –ﷺ – والمسلمين ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ؟**)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه : التقرير بكمال قدرة الله تعالى على كل شيء (٢).

وقول الله تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (٣).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ( ...**مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ؟**...)

والأداة فيه : ما ، والمراد منه : الإنكار والتشكيك في صحة رسالة المصطفى – ﷺ- وإثارة البلبلة في نفوس المسلمين(٤). وإن كان بعض المفسرين يرى أن المراد منه الإنكار والتعجب (٥) .

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٠٦ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١/١٤٣ ، وروح المعاني ١/٣٥٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٤٢ .

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام ١/١١٧ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ١/١٧٠ ، وروح المعاني ٢/٢ .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١).

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول: في قوله تعالى ( ...لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ؟) ، والأداة فيه : ما مقترنة باللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والمبالغة في تقريعهم على كفرهم (٢).

الثاني: في قوله تعالى : ( ...لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ؟) ، والأداة فيه : ما مقترنة باللام ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي لمجادلتهم المؤمنين ولإضلالهم المؤمنين بعد أن علمهم ضلالهم في أنفسهم (٣).

وقول الله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٤).

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ...؟) ، والأداة فيه: كيف، والمراد منه : التعجيب من حالهم والاستبعاد؛ أي: استبعاد أن يقع الكفر وعندهم ما يأباه لا سيما في هذه الحال التي فيها الكفر أفظع من غيره (٥).

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (٦).

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَمْ تَرَ...؟) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم)، والمراد : التقرير والتعجيب من شناعة حبهم للضلال والإضلال للمؤمنين (٧).

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٩٨ – ٩٩ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٦٣/٢ ، وروح المعاني ١٥/٤ – ١٦ ، والتحرير والتنوير ٢٦/٤ .

(٣) انظر : المصادر نفسها ، والصفحات نفسها .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٠١ .

(٥) انظر : روح المعاني ١٦/٤ ، والتحرير والتنوير ٢٨/٤ .

(٦) سورة النساء ، آية ٤٤ .

(٧) انظر : تفسير أبي السعود ١٨١/٢ ، وروح المعاني ٤٤/٥ .

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (١).

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول: في قوله تعالى : (**هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ**...؟) ، والأداة فيه : هل ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ؛ أي : هل تجدون علينا إلا أنّنا آمنا بالله وما أنزل إلينا من القرآن وما أنزل على رسله من قبل ؟!

الثاني: في قوله تعالى : (**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً**...؟) ، والأداة فيه : هل ، والمراد منه : التنبيه والذم والتقريع والتهديد بسوء المصير ؛ والنعي على حالهم (٢).

دلالة الآيات :

أهل الكتاب يعلمون أنّ الحق ما جاء به النبي – ﷺ– ؛ ويعلمون ما هم عليه من الباطل ، فقد كانوا قبل مبعثه مؤمنين به شاهدين له بالنبوة ، فلمّا بُعث كفروا حسداً وبغياً ، فهم يشترون الكفر بالإيمان والشقاء على السعادة، وهم حريصون كل الحرص على إضلال المسلمين ، فقد بذلوا السُبل لصدِّ المسلمين عن دينهم ، ولا يزالون إلى يومنا هذا يعملون لإيقاع المسلمين في الضلال ، وتخلّيهم عن دينهم وهويتهم الإسلامية . فقد حرصوا على ذلك أبلغ الحرص ، كما وصفهم الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (٣)، وقال تعالى:( وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ ) (٤)فالله تعالى يُقرِّر عباده بأن ينظروا في حال من يشتري الضلالة ويحبها ويؤثرها على الهدى ، مع حرص على إضلال المؤمنين وصدّهم عن سبيل الله باذلاً الجهد

---

(١) سورة المائدة ، آية ٥٩ – ٦٠ .

(٢) انظر : التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن ٢٦١/١ .

(٣) سورة النساء ، آية ٤٤ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٠١ .

والمال [١]. وقد استبعد الله تعالى أن يقع الكفر من أهل الإيمان والرسول بين أظهرهم يتلو عليهم آيات ربهم ، ففي ذلك عصمة لأهل الإيمان مما يكيده أهل الكتاب لصدهم عن دينهم.

وقد أنكر الله تعالى على أهل الكتاب ، ووبَّخهم على صدِّ المؤمنين عن سبيل الله ، فقال تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [٢].

فأنكر عليهم إضلال المؤمنين عن طريق الله ومحجَّته التي شرعها لأنبيائه وأوليائه من أهل الإيمان ، فمن فعل ذلك فقد طلب العوج والميل عن الحق والزيغ عن الاستقامة ، مع علمهم أن الذي يصدون عنه حق يعلمونه في كتبهم [٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( إنّ الله ذمّ من ذمّه من أهل الكفر على أنّهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ...، ومعلوم أنّ سبيل الله هو ما بعث به رسله ممّا أمر به وأخبر عنه، فمن نهى الناس نهياً مجرداً عن تصديق رسل الله وطاعتهم، فقد صدهم عن سبيل الله، فكيف إذا نهاهم عن التصديق بما أخبرت به الرسل ؟! وذلك هو سبيل الله ، فمن صدَّ الناس عنه فقد بغى عوجاً، أي: طلب لها العوج، فإنّه طلب أن يبين اعوجاج ذلك وميله عن الحق )) [٤].

ومن أمثلة ذلك :

أولاً: إثارة الشبه والشكوك حول القبلة التي يستقبلها المسلمون ، فقد صلَّى النبي –ﷺ– بعد قدومه المدينة إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، وقيل : ستة عشر شهراً ، وقيل : غير ذلك . ثمَّ نُسخت القبلة إلى الكعبة ، فأَعلم الله تعالى نبيه – ﷺ– ما اليهود والمنافقون قائلون عند تحويل قبلته : أيّ شيء حوّل وجوه هؤلاء ، فصرفها عن الموضع الذي كانوا يستقبلونه بوجوههم في صلاتهم ؟ فعابوا عليه تحويل القبلة ، فقالت اليهود : ارجعْ إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدّقك ! يريدون فتنته عن دينه [٥].

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١١٦/٥ ، وتفسير السعدي ص١٨٠ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٩٩ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٢/٤ .

(٤) درء التعارض ٢١٠/٥ – ٢١١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٢٩/٣ ، وانظر : زاد المسير ١٥٣/١ ، وتفسير البغوي ١٠٣/١ ، وتفسير القرطبي ٦١/٢ ، والفتاوى ١٧/ ١٨٣ وما بعدها ، وتفسير ابن كثير ١٥١/١ .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : (( قال : قال ذلك قومٌ من اليهود للنبي – ﷺ – ، فقالوا له: ارجِعْ إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصَدقك! يريدون فتنتَه عن دينه))[1].

وهذا القول من اليهود فيه إثارة للشبه ، وتشكيك للمسلمين ، وصدٌّ لهم عن دينهم، فاليهود ينكرون النسخ، ولذلك قالوا: الانتقال عن قبلتنا باطل . يقول ابن القيم –رحمه الله– : (( هذا سؤال من السفهاء أوردوه على المؤمنين ، ومضمونه : أنّ القبلة الأولى إن كانت حقاً فقد تركتم الحق ، وإن كانت باطلاً فقد كنتم على باطل ...)) [2].

ويقول الشيخ عبدالرحمن السعدي – رحمه الله – : (( النسخ هو النقل ، فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر أو إلى إسقاطه ، وكان اليهود ينكرون النسخ ويزعمون أنه لا يجوز ، وهو مذكور عندهم في التوراة ، فإنكارهم له كفر ... فأخبر الله تعالى عن حكمته في النسخ فقال : (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ) ، أي : ننسها العباد فنُزيلها من قلوبهم (نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ) وأنفع لكم (أَوْ مِثْلِهَآ) ، فدلَّ على أنَّ النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول ...)) [3].

وردَّ الله تعالى عليهم من وجوه :

١–أنّ نسخ القبلة ، وغيرها من أحكام الشرع تبعاً لمصلحة العباد ولما فيه خير لهم ولذلك قال تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ .

٢–أنّ مَنْ قدح في النسخ فقد قدح في ملك الله تعالى ، وقدرته التامة فله التصرف التام ، وهو البرّ الرحيم في أقداره وأوامره ونواهيه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( وقوله : **﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾** [4]، والمراد بوجه الله : وجهة الله، الوجه والجهة والوجهة الذي لله

---

(١) أخرجه الطبري ١٣٩/٣ .

(٢) بدائع الفوائد ١٥٧/٤ .

(٣) تفسير السعدي ص٥٩٣ ، وانظر : أحكام القرآن للجصاص ١٠٦/١ ، والبحر المحيط ٥٩٣/١ .

(٤) سورة البقرة ، آية ١١٥ .

يستقبل في الصلاة ... فإذا كان لله المشرق والمغرب ، ولكل وجهة هو موليها ؛ أي : متوليها أم مستقبلها ..، أي : فأينما تستقبلوا فثمَّ وجهة الله )) [(١)].

فالمشرق والمغرب لله تعالى ، فأين ما تعبد له عبادة فبأمره ، وإلى أيّ جهة كانت فأنتم مطيعون ، فإذا كنتم تصلون إلى غير الكعبة فبأمره ، ثمَّ أمركم أن تصلوا إليها فما صليتم إلا له تعالى أولاً وآخرًا [(٢)].

٣-أنّ النبي – ﷺ- هُدي إلى الصراط المستقيم ووفقه الله تعالى وأمته إلى اتخاذ الكعبة قبلة لهم، فهي قبلة أبيه إبراهيم – عليه السلام –، وفي ذلك مخالفة لما عليه أهل الكتاب .

يقول شيخ الإسلام –رحمه الله– : (( فانظر كيف قطعت الشريعة المشابهة في الجهات وفي الأوقات ، وكما لا يُصلَّى إلى القبلة التي يُصلون إليها ، كذلك لا يُصلَّى إلى ما يصلون له، بل هذا أشدُّ فساداً، فإن القبلة شريعة من الشرائع قد تختلف باختلاف شرائع الأنبياء))[(٣)].

٤- أنّ تحويل القبلة لحكمة ، وهو أن يعلم سبحانه من يتبع الرسول ويدور معه حيثما دار ، ويأتمر بأمره .

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( أمركم باستقبال غيرها أولاً لحكمة له في ذلك ، وهو أن يعلم سبحانه من يتبع الرسول ويدور معه حيثما دار ويأتمر بأوامره ... فيتميز بذلك الراسخ في الإيمان المُسلِّم للرسول المُنقاد له ممّن يعبد الله على حرف ، فينقلب على عقبه بأدنى شبهة ، فهذا من بعض حكمه في أن جعل القبلة الأولى غير الكعبة ، فلم يُشرّع ذلك سدى ولا عبثاً )) [(٤)].

ثانياً: الاستهزاء والسخرية بالنبي – ﷺ- والمؤمنين، فقد حرص اليهود في مجاورتهم للنبي-ﷺ – في المدينة على السخرية والاستهزاء به عليه السلام ، وبشرائع دينه تَعْمِيةً للحق وجعله محلاً للاستخفاف والسخرية ، وهكذا دأْب أهل الباطل يُضعفون الحق أمام أهله بإلباسه ألقابًا ينفر منها الناس علَّ ذلك يكون سبيلا لصدِّهم عن دينهم .

(١) الجواب الصحيح ٤١٤/٤ – ٤١٥ .
(٢) انظر : بدائع الفوائد ١٥٨/٤ .
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١٩٦/١ – ١٩٧ .
(٤) بدائع الفوائد ١٥٩/٤ .

فقد كانوا يتحينون الفرص للسخرية والاستهزاء برسول الله -ﷺ- والمؤمنين ، فإذا أذّن المؤذن للصلاة سخروا من ذلك النداء ، ولعبوا واستخفوا بذلك الأمر العظيم الذي لو أجابوا له لأفلحوا ، فلو عقلوا لعلموا ما أعدَّه الله تعالى من العذاب لمن لم يُعظِّم أمره ؛ حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا ﴾ [1].

فأنكر الله تعالى عليهم هذا الصنيع ، هل تكرهون منّا أو تجدون علينا في شيء إذ تستهزئون بديننا إلاَّ أن صدَّقنا وأقررنا بالله فوحدناه ، وبما أُنزل إلينا من عند الله من الكتاب وما أُنزل إلى أنبياء الله من الكتب ؟! [2].

وقد عاقبهم الله تعالى بأربع عقوبات ذكرها تعالى في قوله : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [3].

فيقول تعالى : هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة ممّا تظنون بنا ؟ وهم المتصفون بالصفات المفسرة :

١- لَعْن الله لهم وإبعادهم من رحمته .

٢- أنَّ الله أحلّ عليهم غضبه ؛ فلا يرضى عنهم أبداً .

٣- أنّ الله تعالى مسخ منهم القردة والخنازير حينما خالفوا أمر الله تعالى واحتالوا للصيد يوم السبت الذي نُهوا عن اصطياد الحوت فيه ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [4].

٤- أنَّ الله تعالى جعل منهم من عبد الطاغوت .

ويقول ابن كثير - رحمه الله - : (( إنكم يا أهل الكتاب الطاعنين في ديننا والذي هو توحيد الله ، وإفراده بالعبادات دون ما سواه ، كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وُجِدَ منكم جميع ما ذكر ؟ )) [1].

---

(١) سورة المائدة ، آية ٥٨ - ٥٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٤٣٣/١٠ ، وتفسير ابن كثير ٧٢/٢ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٦٠ .

(٤) سورة البقرة ، آية ٦٥ .

وبذلك نعلم عِظم ما يسعى له أعداء ديننا من اليهود والنصارى ؛ للصدّ عن دين الله ببث الشبهات والمطاعن حول أحكامه وتعاليمه، وإغراق بنيه في الشهوات والركون إلى الدنيا.

## المطلب الثامن : تزكية نفوسهم

اليهود شعب يرون أنَّهم شعبُ الله المختار ، أمَّا غيرهم فهم كالعبيد والبهائم ، ولذلك كذبهم الله تعالى في كتابه ، كما قال تعالى : ( ...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ )[٢].

كما بين سبحانه أنّ الفضل والتزكية لا ينتمي لعرق أو جنس ، إنّما بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والتقوى ، وقد ورد ذلك موضحاً في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [٣] .

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (**قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، فالله تعالى لم يُعطهم العهد والميثاق في مدّة دخولهم النار ، وإنما ذلك من الأماني التي تمنوها على الله [٤].

أما (أم) فهي منقطعة بمعنى بل والهمزة ، أي : بل أتقولون على الله ؟ والمراد منه : التقرير، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة ، ويردف عليه التوبيخ[٥]. فقولهم ناشئ عن تقوّل على الله وكذب وافتراء [١].

=

(١) تفسير ابن كثير ٧٣/٢ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٧٥.

(٣) سورة البقرة ، آية ٨٠ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ١٢١/١ ، وفتح القدير ١٠٥/١ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ١٢١/١ ، وفتح القدير ١٠٥/١ .

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ۝ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾[٢].

ورد في الآيتين أسلوبان من أساليب الاستفهام :

الأول: ما صُدرت به الآية:(أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ...؟)، والأداة فيه: الهمزة مقترنة بـــ(لم)، والمراد منه: التقرير والتعجيب من ادّعائهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه[٣].

الثاني: في قوله تعالى : ( ...كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ؟) ، والأداة فيه : كيف ، والمراد منه : التعجب من كذبهم وافترائهم وشناعة تلك المزاعم وفظاعتها ، فإن ذلك متضمن قبول الله وارتضاءه لهم [٤].

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [٥].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم؟)، والأداة فيه: ما مقترنة بالفاء واللام ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ؛ أي: إن صح ما زعمتم ، فلأيّ شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ ؟ وقد علمتم أنّه سيعذبكم في الآخرة [٦].

دلالة الآيات :

---

=

(١) انظر : تفسير أبي السعود ١٢١/١، فتح القدير ١٠٥/١، وروح المعاني ٣٥٥/١. ويرى ابن عاشور أن الاستفهام الأول للتقرير، وأن (أم) متصلة معادلة للهمزة ، والمعنى : أي الأمرين كائن . انظر : التحرير والتنوير ٥٨١/١ .

(٢) سورة النساء ، آية ٤٩ – ٥٠ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١٨٨/٢ ، وروح المعاني ٥٤/٥ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ١٨٨/٢ ، وروح المعاني ٥٥/٥ .

(٥) سورة المائدة ، آية ١٨ .

(٦) انظر : تفسير أبي السعود ٢١/٣ .

وصف الله تعالى اليهود بتزكية أنفسهم ، ودعوى أنّها طاهرة من الذنوب ، وقيل المعنى التي كانت اليهود تزكي به أنفسها هو قولهم: ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [1]. وقولهم:﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [2].

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – : (( تزكية القوم الذين يزكون أنفسهم ، وصفهم إياها بأنّها لا ذنوب لها ولا خطايا ، وأنّهم لله أبناء وأحباء )) [3].

ويقول ابن القيم –رحمه الله– : (( قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم) أي : يعتقدون زكاءها ويخبرون به، كما يُزكّي المُزكّي الشاهد ، فيقول عن نفسه ما يقول المزكّي فيه ، ثمَّ قال تعالى: (بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ) أي: هو الذي يجعله زاكياً ، ويخبر بزكاته...))[4].

وردَّ الله تعالى دعوتهم تلك من وجهين :

١– بيان أن المزكّي والمطهر هو الله تعالى وحده ، ولا عبرة لتزكية الإنسان نفسه ، وإنّما العبرة بتزكية الله تعالى له ، فهو الذي يزكي من يشاء بتوفيقه لاجتناب ما يكرهه من معاصيه ، وإلى ما يرضاه من طاعته [5].

٢– تكذيب الله تعالى لهؤلاء المزكين نفوسهم المبرئينها من الذنوب بقوله لهم : الأمر كما تدَّعون ؟ لكنكم أهل فرية وكذب على الله كما أخبر تعالى عنهم : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [6][7].

ونوضح هنا بعض الدعاوى التي ساقها الله على لسانهم :

---

(١) سورة المائدة ، آية ١٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١١١ .

(٣) تفسير الطبري ٤٥٥/٨ ، وانظر : تفسير القرطبي ٢٤٦/٥ ، وأضواء البيان ٢٤٤/١ .

(٤) إغاثة اللهفان ٦٠/١ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٤٥١/٨ ، وتفسير القرطبي ٢٤٦/٥ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٤٥٦/٨ .

(٧) سورة النساء ، آية ٥٠ .

١- ادَّعوا أنّهم أبناء الله وأحباؤه كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ [١]، فزعموا أنّ الله تعالى لنا كالأب في الحنو والعطف، ونحن كالأبناء له في القرب والمنْزلة[٢] .

قال ابن عباس –رضي الله عنهما– : أتى رسول الله –ﷺ– نعمانُ بن أضَاء وبحرّى بن عمرو وشأس بن عدي ، فكلّمُوه ، فكلَّمهم رسول الله–ﷺ–، ودعاهم إلى الله، وحذّرهم نقمته ، فقالوا : ما تُخَوّفنا يا محمد ! نحن والله أبناء الله وأحباؤه ! كقول النصارى ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ ﴾ ، [٣] إلى آخر الآية .

وإلى وقتنا الحاضر يزعم اليهود (( أنّهم أبناء الله ، وأنّهم أفضل من الملائكة ، وأمَّا غير اليهودي ، فهو كالحيوان ، بل هو أرذل منه ، وأنّ اليهود شعب الله المختار فقط ، وهم الذين يجوز لهم أن يعيشوا على الأرض مكرمين )) [٤].

ولذلك ردَّ الله تعالى ادّعائهم الباطل بقوله : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ الآية ، فإذا كنتم كما تزعمون فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الذنوب بالقتل والمسخ وبالنار يوم القيامة ؟!

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( وههنا نكتة لطيفة جداً قلَّ من ينتبه لها ونحن نقرِّرها بسؤال وجواب ، فإن قيل : معلوم أنّ الأب قد يُؤدب ولده إذا أذنب ، والحبيب قد يهجر حبيبه إذا رأى منه بعض ما يكره . قيل : لو تأمَّلت أيُّها السائل قوله : ( قل فلم يعذبكم بذنوبكم ) ؟ لعلمت الفرق بين هذا التعذيب وبين الهجران والتأديب ، فإنّ التعذيب بالذنب ثمرة الغضب المنافي للمحبة ، فلو كانت المحبة قائمة كما زعموا لم يكن هناك ذنوب يستوجبون عليها العذاب من المسخ قردة وخنازير ، وتسلّط أعدائهم عليهم يستبيحونهم ويستعبدونهم ... ومعلوم أنّ الرحمن الرحيم لا يفعل هذا بأمة إلا بعد فرط إجرامها وعتوِّها على الله ، واستكبارها عن طاعته وعبادته ، وذلك ينافي كونهم أحبابه ، فلو أحبّوه لما ارتكبوا من غضبه

---

(١) سورة المائدة ، آية ١٨ .

(٢) انظر: تفسير البغوي ٢/٢٣، وتفسير ابن كثير ٢/١٣٦، وفتح القدير٢/٢٤، وتفسير السعدي ص٢٢٧.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٠/١٥١ .

(٤) اليهودية والمسيحية للأعظمي ص٢٠٨ .

وسخطه ما أوجب لهم ذلك ، ولو أحبهم لأدَّبهم ولم يعذبهم ، فالتـــأديب شيء والتعذيب شيء، والتأديب يُراد به التهذيب والرحمة والإصلاح ، والتعذيب للعقوبة والجزاء على القبائح))[1].

٢- دعوى أنّ النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة :

زعمت اليهود أنهم لا يُعذبون في النار إلا أياماً معدودة ، ولم يذكر تعالى عدد الأيام التي وقّتوها لمكثهم في النار ، إلا أنّ أهل العلم ذكروا فيها قولين :

الأول: أنّها أربعون يوماً ، وهي عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل ، فإذا انقضت انقطع عنهم العذاب .

الثاني: أنّها سبعة أيام ، وذلك أنّ اليهود كانت تقول : إنّما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنّما يُعذب الله الناس يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً من أيام الآخرة[2].

فردَّ الله تعالى هذه الدعوى ، فإمَّا أن تكون هذه الدعوى قولاً على الله بلا علم فيكون كذباً ، وإمَّا أن تكون عهداً من الله تعالى لهم ، وهذا غير صحيح ، فيتحقق أن يكون كذباً وافتراءً على الله تعالى .

يقول ابن القيم - رحمه الله - : (( فهذا مطالبته لهم بتصحيح دعواهم ، وترديد لهذه المطالبة بين أمرين لا بد من واحد منهما ، وقد تعين بطلان أحدهما ، فلزم ثبوت الآخر ، فإن قولهم: (لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة) خبر عن غيب لا يُعلم إلا بالوحي، فإمَّا أن يكون قولاً على الله بلا علم فيكون كاذباً، وإمّا أن يكون مستنداً إلى وحي من الله، وعهد عهده إلى المُخبر، وهذا منتفٍ قطعاً فتعين أن يكون خبراً كاذباً قائله كاذب على الله تعالى))[3].

فتبين أنّ هذه الدعوى منهم باطلة وقولٌ على الله بلا علم ، كسائر مزاعم اليهود التي حرّفوها وتقوّلها على الله بلا علم .

---

(١) بدائع الفوائد ١٥٠/٤ ، وانظر : تلبيس إبليس ص٧٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٧٤/٢ - ٢٧٦ ، وتفسير البغوي ٨٩/١ ، وزاد المسير ١٠٦/١ - ١٠٧ .

(٣) بدائع الفوائد ١٤٣/٤ .

## المطلب التاسع : اتصافهم بالحسد والبخل

الحسد، وهو تمني زوال النعمة من الغير ، خُلُقٌ اتَّصف به اليهود ؛ حيث أنكروا نبوة المصطفى -ﷺ- ، وأنكروا ذكره في التوراة حسداً من عند أنفسهم ، فقد تشوّفت نفوسهم إلى أن النبي المنتظر يكون منهم ، فلمّا علموا أنّه من ولد إسماعيل جحدوا نبوته . كما اتصفوا بالبخل في المال والعلم ، فقد كانت نفوسهم تشح ببذل المال وبذل العلم ، وذلك خلق يدل على تعلق أصحابه بالدنيا وحبها ، وقد وصف الله تعالى ذلك في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا** [1] ﴿٥٣﴾ **أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا** ﴾ [2].

ورد في الآيتين أسلوبا استفهام :

الأول: ما صُدرت به الآية : (**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ**...؟) ، و(أم) هنا منقطعة تقدر بـــ(بل) والهمزة؛

أي : بل ألهم نصيب من الملك ؟ والمراد منه : الإنكار الإبطالي ، فالله تعالى ينكر عليهم أن يكون لهم نصيب من الملك ، فالملك لله وحده [3].

الثاني: في قوله تعالى : (**أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ**...؟) ، و(أم) هنا المنقطعة تقدر بـــ(بل) والهمزة ؛

أي : بل أيحسدون الناس ... ؟! ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي على شناعة ما يصدر منهم واستقباحه [4].

دلالة الآية :

الحسد خلقٌ اشتهر به اليهود ، ووصفهم الله تعالى به في كتابه في مواضع متعددة ، منها الآية التي موضع الدراسة ، فقد أنكر الله تعالى عليهم إعراضهم عن تصديق النبـــي -ﷺ- حسداً لما آتاه الله تعالى من النبوة والفضل ، التي كانوا يتشوَّفونها لأنفسهم ، فلما بُعث – عليه

(١) النقير: النكتة التي في ظهر النواة .
انظر : المحكم والمحيط الأعظم ٣٦٩/٦ ، ولسان العرب ٢٢٨/٥ ( نقر ) .
(٢) سورة النساء ، آية ٥٣ – ٥٤ .
(٣) انظر : تفسير أبي السعود ١٨٩/٢ ، وروح المعاني ٥٦/٥ ، والتحرير والتنوير ٨٨/٥ .
(٤) انظر : تفسير أبي السعود ١٩٠/٢ ، وروح المعاني ٥٦/٥ ، والتحرير والتنوير ٨٨/٥ .

السلام – ، وهو من ولد إسماعيل – عليه السلام – ، من العرب أعرضوا عن الإيمان به بل نصبوا العداء له وقاتلوه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : (( ذمَّ الله اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم ، وقد يُبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله بعلم نافع أو عمل صالح ، وهو خلق مذموم مطلقاً ، وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم )) [١].

ويقول : (( وصف الله اليهود أنَّهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور النبي الناطق به ، والداعي إليه، فلمَّا جاءهم الناطق به من غير طائفة يهوونها لم ينقادو له . وأنّهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم منتسبون إليها، مع أنّهم لا يتبعون ما لزمهم في اعتقادهم))[٢].

ويُوضح ابن القيم – رحمه الله – الأسباب المانعة من قبول الحق بقوله : (( والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً ... ومن أعظم هذه الأسباب الحسد ، فإنّه داء كامن في النفس ، ويرى الحاسد المحسود قد فُضِّل عليه ، وأُوتي ما لم يُؤتَ نظيره ، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه .

وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد ؟! ... وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم ، وقد علموا علماً لا شك فيه أنّه رسول الله جاء بالبينات والهدى ، فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان ...

هذا ، وقد جاء المسيح بحكم التوراة ، ولم يأت بشريعة يخالفها ولم يقاتلهم ... فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع ، مُبكتاً لهم بقبائحهم ، ومنادياً على فضائحهم ، ومخرجاً لهم من ديارهم ، ... فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم ؟! وأين يقع حالهم معه من حالهم مع المسيح ، وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى . وهذا السبب وحده كافٍ في ردّ الحق ...)) [٣].

فالحسد من الأسباب التي حملت أهل الكتاب على ردّ الحق والكفر به .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٧١ – ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه ١/ ٧٤ .

(٣) هداية الحيارى ص ٤١–٤٢ .

أمَّا صفة البخل فقد أنكرها الله تعالى عليهم في قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (١).

أي : (( لأنّهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحداً من الناس ، ولا سيما محمداً -ﷺ- ، ولا ما يملأ النقير وهو النقطة التي في النواة )) (٢) ؛ وذلك وصف لهم بشدة البخل ، فلو أعطاهم الله تعالى الملك لشحوا وبخلوا أشدّ البخل .

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : (( وصفهم بالبخل الذي هو : البخل بالعلم ، والبخل بالمال ، وإن كان السياق يدل على أنّ البخل بالعلم هو المقصود الأكبر )) (٣).

---

(١) سورة النساء ، آية ٥٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٩٣/١ . وانظر : تفسير السعدي ص١٨٣ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٧٢/١ .

المطلب العاشر : مؤمنو أهل الكتاب

إنّ دين الإسلام هو الدين العالمي الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين سواه ، فمن آمن وصدّق به من أهل الكتاب آتاه كفلين من رحمته ، كما أخبر الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١).

أي : أجرين ، أجر ما آمنوا به سابقاً ، أجر إيمانهم بمحمد -ﷺ-، وقد أثنى الله تعالى على من آمن وصدَّق في مواطن متعددة من كتابه، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقول الله تعالى : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (٢).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله : (**وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ...؟** ) ، والأداة فيه : (ما) مقترنة بالجار والمجرور ، والمراد منه : النفي والاستبعاد ؛ أي : أيُّ شيء حصل لنا حال كوننا لا نؤمن بالله ، ومما جاء من الحق بعد ظهور الحق ودلائله (٣).

دلالة الآية :

دلت الآية على مَنْ آمن من النصارى برسالة المصطفى -ﷺ - ، فقد اتسمت قلوبهم بالرقة ، وقبول الحق ، والإيمان به دون استنكاف واستكبار . وقد ذكر المفسرون أنّ الآية نزلت في النجاشي ومن آمن معه من النصارى ، فقد بعث النجاشي اثني عشر رجلاً إلى النبي - ﷺ- يسألونه ويأتونه بخبره ، فقرأ عليهم القرآن ، ففاضت أعينهم خشية لله تعالى، وتصديقاً بالحق الذي جاء به ، فآمنوا وصدقوه (٤).

وقد ذكر الله من شأنهم أنَّهم استبعدوا أن يُعرضوا عن الإيمان ، وقد جاءهم الحق الذي لا يقبل الشك والتردد ، وطمعوا فيما أعدَّ الله تعالى لأوليائه في الدنيا والآخرة ؛ وذلك مُوجب

---

(١) سورة الحديد ، آية ٢٨ .

(٢) سورة المائدة ، آية ٨٤ .

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٧٢/٣ ، وفتح القدير ٦٨/٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٦/٧ ، والشريعة للآجري ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

للمسارعة والانقياد[1] ، فليس المراد بهؤلاء المتمسكين باليهودية والنصرانية بعد محمد -ﷺ- قطعاً ، فإنّ هؤلاء قد شهد لهم بالكفر ، وأوجب لهم النار ، فلا يُثنى عليهم . أمَّا من آمن فلا يُطلق عليه أنّه من أهل الكتاب إلا باعتبار ما كان عليه من قبل، وإنما يطلق على من هو باقٍ على دين أهل الكتاب [2].

يقول القرطبي – رحمه الله – : (( فهؤلاء الذين عرفوا شرعة المسيح -عليه السلام – ، وعلموا ما عهد إليهم من نعت محمد خير الأنام ، فبادروا لتصديقه ، ولم يمكنهم العدول عن طريقه والتخلّف عنه ، لَمَّا جاءهم الحق من ربهم ، ولَمَّا طمعوا في إنعام الله عليهم بالدخول مع القوم الصالحين المطيعين )) [3].

ولا يزال كثير من أهل الكتاب يُقبلون على الدخول في دين الإسلام على رغم المحاولات التي تبذل لصدهم عن ذلك ، والله متمٌّ نوره ولو كره الكافرون .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٦/٧ ، وتفسير البغوي ٥٨/٢ ، وزاد المسير ٤٠٩/٢ ، وتفسير ابن كثير ٨٧/٢ .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٣١ .

(٣) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد ص ١٧٨ .

# المبحث الرابع : النفاق

وفيه مطالب :

المطلب الأول : بغض الرسول ﷺ أو بغض بعض ماجاء به .

المطلب الثاني : المسرَّة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

المطلب الثالث : سمات المنافقين .

المطلب الرابع : عقوبة المنافقين في الدنيا والآخرة .

النفاق هو الداء العضال الذي يفتك بالأمة ، ويُؤدي بصاحبه إلى الشقاوة الأبدية ، وقد خافه خيار الأمة – وصحابتها – رضي الله تعالى عنهم – وهو أنواع وشعب ذكرها الله تعالى في كتابه ليحذر منها ، ومنه النفا

الأكبر المخرج من الملة ، ومنه النفاق الأصغر المنافي لكمال الإيمان الواجب .

وحقيقة النفاق في اللغة والشرع :

**تعريف النفاق في اللغة :**

((النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على: انقطاع شيء وذهابه، والآخر على: إخفاء شيء وإغماضه، فالأول: نفَقَت الدابة نُفُوقاً: ماتت ...، والآخر: النفق سرب في الأرض له مَخْلَصٌ إلى مكان، والنَّافقاء: موضع يُرقِّقه اليَربوع من جُحره...)) [(١)].

والمنافق (( هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ... يقال : نافق ينافق منافقة ونفاقاً ، وهو مأخوذ من النَّافقاء ومن النفق ، وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره )) [(٢)].

**تعريف النفاق في الشرع :**

النفاق نوعان :

**الأول**: النفاق الأكبر، وهو : أن يُظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب له ، وهذا النوع موجب للخلود في النار في دركها الأسفل [(٣)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : (( فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبدالله بن أُبيّ وغيره، بأن يُظهر تكذيب الرسول ، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرّة بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله؛ وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله –ﷺ– وما زال بعده بل هو بعده، أكثر منه على عهده...))[(٤)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤٥٤/٥ – ٤٥٥ ( نفق ) ، وانظر : العين ١٧٧/٥ ( نفق ) ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٥٦/٩ ( نفق ) .

(٢) لسان العرب ١٠/ ٣٥٩ ( نفق ) .

(٣) مدارج السالكين ٣٧٦/١ .

(٤) الفتاوى ٢٨ /٤٣٤ .

الثاني : النفاق الأصغر : وهو العملي وهو ما ورد تسميته من الذنوب والأعمال نفاقاً ، ولم يصل إلى حدّ النفاق الأكبر . وأمثلته كثيرة : كإخلاف الوعد ، والكذب في الحديث ، والغدر في العهد وغيرها[1]. كما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال : ( آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كَذَب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائْتُمِنَ خان )[2].

وإذا قامت بالإنسان شعبة من تلك الشعب لا يكفر إلا إذا قارنه النفاق الأكبر ، وهذا النوع هو الذي خافه الصحابة – رضي الله عنهم – جميعا .

ويُوضح الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – أنواع النفاق بقوله : (( أما النفاق فنوعان : اعتقادي ، وعملي : فأما الاعتقادي ، فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، أو تكذيب بعض ما جاء به ، أو بغض الرسول ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ، أو المسرَّة بانخفاض دين الرسول ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول ، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار ... ))[3].

---

(1) انظر : الفتاوى ٤٣٥/٢٨ ، ومدارج السالكين ٣٨٨/١ – ٣٨٩ .
(2) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب : الإيمان ، باب : علامة المنافق – [ ٢٣ ] انظر : البخاري مع الفتح ٨٩/١ ، ومسلم في صحيحه كتاب : الإيمان ، باب : بيان خصال المنافق [ ٥٩ ] ٧٨/١ .
(3) مجموعة التوحيد ١٠/١ .

## المطلب الأول : بغض الرسول ﷺ أو بغض بعض ما جاء به

إنّ بغض الرسول -ﷺ- أو بغض بعض ما جاء به من الدين والشرع من النفاق الأكبر المخرج من الملة ؛ لأنّ أصل الدين مبني على المحبة والتعظيم والانقياد ؛ إذ لا يجتمع محبة وبغض، ولا إجلال واستهزاء واستخفاف ، فلا يكون البغض إلا من قلوب نضحت بالكفر بالله وبرسوله -ﷺ - وإنْ تظاهروا بخلافه ، فأنزل الله تعالى الآيات الفاضحة لما أخفته سرائرهم ، وقد ورد ذلك في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ** ﴾ (١).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ...**أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ**؟)

والأداة فيه : الهمزة ، والمراد منه : الإنكار الإبطالي ؛ أي : لن يتحقق لنا إيمان كهؤلاء السفهاء تشنيعاً لهم ، وأنّ الذي حملهم على الإيمان سفاهة عقولهم (٢).

وقول الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا** ﴾ (٣).

ورد في الآيات أسلوبا استفهام :

الأول: ما صدرت به الآية : (**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ**...؟) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه : تقرير النبي - ﷺ - من حال هؤلاء ، وتعجيب(٤) من حال أهل النفاق الذين يزعمون الإيمان وينافونه بتحكيم الطاغوت .

---

(١) سورة البقرة ، آية ١٣ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ١/٢٨٧ .

(٣) سورة النساء ، آية ٦٠ - ٦٢ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود ٢/١٩٤ .

الثاني: ما صُدّرت به الآية الثالثة : (فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ؟) ، والأداة فيه : كيف ، والمراد منه : التعظيم والتهويل والتفظيع من حالهم [١].

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [٢].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى:(...أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(الباء) ، والمراد منه : التقرير على استهزائهم ، ويردف عليه التوبيخ[٣] ((وقد أثبت الله تعالى وقوع ذلك منهم، ولم يعبأ بإنكارهم ؛ لأنّهم كاذبون في الإنكار ؛ بل جعلهم كالمعترفين بوقوع ذلك منهم وبقوله )) [٤].

وقول الله تعالى : ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[٥].

ورد في الآية ثلاثة أساليب من أساليب الاستفهام ، وهي :

الأول: (أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ...؟) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(في) ، والمراد منه : التقرير والتوقيف ، ويردف عليه التوبيخ ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة ، وهو أنّ صدودهم عن حكم الله ورسوله للنفاق وعدم الإخلاص[٦] .

الثاني: في قوله : (أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ ؟)، و( أم ) هنا منقطعة تقدر بـــ(بل) والهمزة ، أي : بل آرتابوا ، والمراد منه : التقرير أنّ الذي صدهم عن التحاكم إلى الله ورسوله ما في قلوبهم من الريب والشك [٧].

---

(١) انظر : تفسير أبي السعود ١٩٦/٢.

(٢) سورة التوبة ، آية ٦٥ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٦٧/٥ ، وتفسير أبي السعود ٨٠/٤ ، وفتح القدير ٣٧٧/٢ .

(٤) فتح القدير ٣٧٧/٢ .

(٥) سورة النور ، آية ٥٠ .

(٦) انظر : البحر المحيط ٤٢٩/٦ .

(٧) المصدر نفسه .

الثالث: في قوله : (أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ؟) ، و( أم ) هنا منقطعة تقدر بـــ(بل) والهمزة ؛ أي : بل أيخافون ، والمراد منه : التقرير؛ أي : هل منعكم عن التحاكم إلى الله ورسوله خوفكم أنّ الله ورسوله يظلمانكم ، بل أنتم الظالمون [1].

وقول الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [2].

ورد أسلوب في قوله تعالى : ( ...مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ؟) والأداة فيه : ما مقترنة بـــ(ذا) ، والمراد منه : الإنكار والسخرية والإعلام منهم أنّهم لم يلتفتوا إلى ما قال عليه السلام .

قال ابن الجوزي : (( وفي استفهامهم قولان :

أحدهما : لأنّهم لم يعقلوا ما يقول، ويدل عليه باقي الآية – أي أنه استفهام حقيقي–.

والثاني : أنّهم قالوه استهزاء )) [3].

فهذا يدل على أنهم لا يبالون بما يتلو عليهم النبي – ﷺ– من الآيات والهدى [4].

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [5].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه : التقرير ؛ فنفي النفي إثبات ، والمراد : قد رأيت هؤلاء المنافقين الذين صرفوا محبتهم لقوم غضب الله عليهم ، فلا هم في الحقيقة من المسلمين ولا من الكفار .

دلالة الآيات :

---

(١) البحر المحيط ٤٢٩/٦ .

(٢) سورة محمد ، آية ١٦ .

(٣) زاد المسير ٤٠٢/٧ ، وانظر : تفسير القرطبي ٢٣٨/١٦ ، وتفسير أبي السعود ٩٦/٨، وروح المعاني ٥٠/٢٦، وفتح القدير ١٠٩/٢ .

(٤) أضواء البيان ١٨٩/٧ .

(٥) سورة المجادلة ، آية ١٤ .

إنّ من أعظم شعب النفاق الأكبر بغض الرسول – ﷺ- أو بغض بعض ما جاء به من الدين والشرع ، وقد وصف الله تعالى المنافقين بهذه الصفة في مواضع متعددة من كتابه ككراهيتهم للجهاد في سبيل الله ، كما أنّهم لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ، وذلك لما في قلوبهم من بغض الرسول – ﷺ- أو بغض بعض ما جاء به .

(( والبغض والكراهة ينافيان عمل القلب من وجهين :

الأول: أنّ فيه إخلالاً بشرط المحبة والتعظيم لله –عز وجل– ومحبة أوامره ، وأوامر رسوله – ﷺ– .

الثاني: أنّ فيه تركاً للقبول والانقياد والتسليم ؛ لأنّ ذلك مقتضى المحبة ، ولذلك كفّر العلماء من اتصف بهذه الصفة )) [1].

وقد دلت الآيات على ذلك من وجوه :

١- أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج من الملة وإن كان قائل ذلك هازلاً ؛ (( لأنّ أصل الدين مبني على تعظيم الله ، وتعظيم دينه ورسله ، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ، ومناقض له أشد المناقضة ))[2] .

وهذا ما فضح الله به المنافقين عمّا قالوه في غزوة تبوك : (( ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء – يعنون النبي –ﷺ – وأصحابه– أرغب بطوناً، وأكذب ألسناً، وأجبن عند اللقاء))[3].

فبين تعالى أنّهم كفروا بذلك بعد إيمانهم ، وذلك أنّه لا يجتمع تعظيم الله تعالى ورسوله وأتباعه ومحبتهم والاستخفاف به في قلب مؤمن .

يقول الرازي – رحمه الله – : (( إنّ الاستهزاء بالدين كيف كان كفرٌ بالله ؛ وذلك لأنّ الاستهزاء يدل على الاستخفاف ، والعمدة الكبرى في الإيمان تعظيم الله بأقصى الإمكان ، والجمع بينهما محال )) [4].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هذه الآية : (( فقد أخبر أنّهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم : إنّا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له ، بل كنّا نخوض ونلعب ، وبيّن أن

---

(١) نواقض الإيمان الاعتقادية للدكتور محمد الوهيبي ٢/١٧٨ .

(٢) تفسير السعدي ص ٣٤٢ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٠/١٧٢ ، وزاد المسير ٣/٤٦٤ ، وتفسير ابن كثير ٢/٣٦٨ .

(٤) التفسير الكبير ١٦/٩٩ .

الاستهزاء بآيات الله كفر ، ولا يكون هذا إلا ممّن شرح صدره بهذا الكلام ، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلّم بهذا الكلام ))[1] .

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله : (( أجمع العلماء على كفر ... مَنْ استهزأ بالله ، أو بكتابه أو برسوله ، أو بدينه ، ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء ))[2].

فيتبين لنا أنّ الاستهزاء مناقض للمحبة، ودليل على البغض لله ولرسوله ولآياته ، وإن زعم قائله الإيمان. فأهل النافق لكل منهم وجهان: وجه يلقى به المؤمنين ، ووجه يلقى به إخوانه من الملحدين، فأعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاءً بأهلها واستحقاراً لهم ونظيراً بهم وبمجالستهم، فقالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون[3].

٢- التحاكم إلى غير الله ورسوله - ﷺ- والرضى بحكم الطاغوت ، فهؤلاء المنافقون يدَّعون الإيمان بالله وبرسوله ، مع أنّهم يُفضلون حكم الطاغوت على تحكيم الرسول -ﷺ -؛ وذلك أنّ رجلاً من اليهود ورجلاً من المنافقين اختصما ، فكان المنافق يدعو أنْ يتحاكما إلى اليهود ؛ لأنّه يعلم أنّه يقبل الرِّشوة ، وكان اليهودي يدعو أن يتحاكما إلى الرسول - ﷺ - ؛ لأنّه يعلم أنّه لا يقبل الرِّشوة ، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن ، فأنزل هذه الآية[4].

وذلك يدل على أنّ قلوب أهل النفاق تجرّدت من حب الله ورسوله وتعظيمه والانقياد إلى أمره وحكمه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بعد ذكره آيتي النساء والنور : (( فبين سبحانه أنّ من دعي إلى التحاكم إلى كتاب الله وإلى رسوله ، فصدَّ عن رسوله كان منافقاً ... فمن تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن ، وأنّ المؤمن هو الذي يقول : سمعنا وأطعنا ، فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن

---

(١) الفتاوى ٢٢٠/٧ ، وانظر : الفصل لابن حزم ١١٤/٣ ، والشفا للقاضي عياض ٢٩٩/٢ ؛ والصارم المسلوم ٧٠/٢ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص٥٢٢ .

(٣) انظر : مدارج السالكين ٣٧٩/١ - ٣٨٠ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٥٢/٥ .

حكم الرسول ، وإرادة التحاكم إلى غيره مع أنّ هذا ترك محض ، وقد يكون سببه قوة الشهوة، فكيف بالتنقص كالسب ونحوه )) [1].

ويقول الشيخ سليمان بن عبدالله – رحمه الله – : (( لَمّا كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أنّ لا إله إلا الله مشتملاً على الإيمان بالرسول – ﷺ – ، مستلزماً له ... فنبَّه في هذا الباب[2] على ما تضمنه التوحيد ، واستلزمه من تحكيم الرسول –ﷺ– في موارد النِّزاع ، إذ هو مقتضى شهادة أنّ لا إله إلا الله ، ولازمها الذي لا بدّ منه لكل مؤمن ، فإنّ من عرف أن لا إله إلا الله ، فلا بدّ من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد – ﷺ– فمن شهد أنّ لا إله إلا الله ثم عدل عن تحكيم غير الرسول – ﷺ– في موارد النِّزاع ، فقد كذّب في شهادته )) [3].

وهذا حال المنافقين الذين قالوها بألسنتهم وكذبتها أعمالهم ، فقد كانوا يفضلون حكم الطواغيت على حكمه مع دعواهم الإيمان ، فإنّ الإيمان يقتضى الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور ، فمَنْ زعم أنّه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله ، فهو كاذب في ذلك مبغض للرسول – ﷺ– ولحكمه .

يقول ابن القيم – رحمه الله – في حديثه عنهم : (( إن حاكمْتهم إلى صريح الوحي وجدتهم نافرين ، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله ، وسنة رسوله –ﷺ – رأيتهم عنه معرضين، فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين الهدى أمداً بعيداً ، ورأيتها معرضة عن الوحي إعراضاً شديداً )) [4].

٣- الولاء للكافرين : فأصل الولاء محبة المؤمنين التي تقتضي نصرهم ، وأصل البراء بغض الكافرين الذي يقتضي البراءة منهم ، فإذا أخلّ بذلك ، فأبغض المؤمنين ووالى الكافرين ، فقد فارق الإيمان ، وهذا حال أهل النفاق ، فقد فضح الله ما تُخفيه نفوسهم من بغض المؤمنين وموالاة أعدائه من اليهود وغيرهم ، وهو ما حكاه عنهم في آية المجادلة ، فقد بين

---

(١) الصارم المسلول ٨١/٢ .

(٢) أي : الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتابه ( التوحيد ) ، باب : قول الله تعالى : ( ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل إليك...) .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٤٦٨ .

(٤) مدارج السالكين ٣٨٢/١ – ٣٨٣ .

الله تعالى ما تخفيه نفوسهم من بغض الرسول – ﷺ– والمؤمنين ، فقد جعلوا ولاءهم وحبهم لقومٍ غضب الله عليهم ، والمراد بهم اليهود ؛ حيث كانوا يناصحونهم ويتولّونهم ، أمّا حالهم مع الرسول – ﷺ– فالبغض له ولأصحابه ، فنفى الله تعالى أن يكونوا من المسلمين وإنْ ادّعو ذلك ، حيث قال تعالى : **(مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ)** ، فما هؤلاء من أهل دينكم وملتكم ، كما أنهم ليسوا من اليهود الذين غضب الله عليهم ، فهم منافقون إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنّا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنّ معكم إنما نحن مستهزئون ، وإن كانوا يتذّرعون بالأيمان الكاذبة أنّهم مؤمنين [١] .

ومّما يدل على بغضهم لله ولرسوله حالهم في مجالس النبي – ﷺ– إذكانوا يستمعون كلامه رياءً لا عن قبول وانقياد ، بل قلوبهم معرضة عمّا يقوله – عليه السلام – ، فإذا انفضّ المجلس استفهموا من علماء الصحابة ماذا قال آنفاً ؟ أي قريباً ، فلو كانوا حريصين محبين لقول الله ولرسوله لألقوا إليه أسماعهم ، ووعته قلوبهم ، وانقادت له جوارحهم ، ولكن انطوت قلوبهم على بغض الله ورسوله، وإن تظاهروا بالإيمان في جلوسهم مجالس المؤمنين[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – حول هذه الآية – : (( فذكر الذين أُتوا العلم وهم الذين يعلمون أنّ ما أُنزل إليه من ربه هو الحق ، ويفقهون ما جاء به ، وذكر المطبوع على قلوبهم فلا يفقهون إلا قليلاً ، الذين اتبعوا أهواءهم يسألونهم ماذا قال الرسول آنفاً ؟ وهذه حال من لم يفقه الكتاب والسنة ، بل يستشكل ذلك ، فلا يفقه أو تراه متعارضاً متناقضاً ، وهي صفة المنافقين))[٣].

فتبين أنّ هؤلاء المنافقين صرفوا ولاءهم لأعداء الله تعالى ، وانطوت قلوبهم على بغض رسوله – ﷺ– والمؤمنين .

---

(١) تفسير الطبري ٢٥٢/٢٣ – ٢٥٣ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٥٠/٢٦ ، وتفسير السعدي ص٦٨٧ .

(٣) قاعدة في المحبة ص٢٢ .

## المطلب الثاني : المسرَّة بانخفاض دين الرسول ﷺ

لَمَّا كانت قلوب أهل النفاق قد نَضَحت ببغض الرسول -ﷺ- وما جاء به من الحق كرهوا العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فإذا فتح الله على المسلمين بالنصر أصابهم الغم والحزن كراهية لانتصارهم وظهورهم ، وإذا لم يحالفهم النصر أظهروا البشر والسرور ، وقد فضح الله تعالى ما أسرَّته نفوسهم في كتابه في مواطن متعددة ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (١).

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول: في قوله تعالى : ( .... أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ... ؟) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد كنا معكم فاقسموا لنا من الغنائم .

الثاني: في قوله تعالى : أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ؟)، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه: التقرير ، والمعنى : أما استحوذنا عليكم ومنعناكم (٢).

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ (٣).

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى: ( ...هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ؟)

والأداة فيه : هل ، والمراد منه : الإنكار والنفي ؛ أي : لا تتربصون بنا إلا أن نقتل شهادة في سبيله أو نغلب ، وذلك إحدى الحسنين (٤).

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ

(١) سورة النساء ، آية ١٤١ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٣٩١/٣ .

(٣) سورة التوبة ، آية ٥٢ .

(٤) انظر : التحرير والتنوير ٢٢٤/١٠ .

﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ (١).

صدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ... ؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ( لم ) ، والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد رأيت وعلمت بحال المنافقين وتَوَاطُئِهم مع أهل الكتاب .

دلالة الآيات :

دلت الآيات على أنّ من صفات المنافقين التي وصفهم الله بها الفرح والسرور بانخفاض دين الرسول – ﷺ- والكراهية لانتصار دينه وظهوره ، وهذا ناشئ عن مودهم للكفار ، حيث يسعون جاهدين لإضعاف المسلمين وتخذيلهم وإثارة الفتن بينهم ؛ لأنهم يصيبهم الهمّ والغمّ حينما يكون النصر حليفاً لرسوله وللمسلمين . وقد بين تعالى حالهم المتلوّن المتقلّب ، فإذا كان للمسلمين نصر وأصابوا الغنائم قالوا : ألم نجاهد عدوكم ونغزهم معكم ، فاجعلوا لنا نصيبا من الغنائم فقد قاتلنا معكم ، وإن كان للكافرين نصيب بانتصارهم على المسلمين قالوا : ألم نستحوذ عليكم حتى قهرتم المؤمنين ؟ ونمنعكم منهم بتخذيلنا إياهم حتى امتنعوا منكم فانصرفوا (٢).

يقول ابن القيم – رحمه الله – في شأنهم : (( يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن ، فإن كان لهم فتح من الله ، قالوا : ألم نكن معكم ؟ وأقسموا على ذلك بالله جهد أيمانهم ، وإن كان لأعداء الكتاب والسنة من النصرة نصيب ، قالوا : ألم تعلموا أنّ عقد الإخاء بيننا محكم وأنّ النسب بيننا قريب ؟ فيا من يريد معرفتهم خذ صفاتهم من كلام رب العالمين ، فلا تحتاج بعده دليلاً (ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ... ) الآية .

وهؤلاء تربصوا الدوائر بالمسلمين في قديم الدهر وحديثه ، فإذا أصاب المسلمين مصيبة تشدق المتشدقون فرحاً وسروراً بما يصيب المسلمين، وعوّلوا هزيمتهم إلى تمسكهم بدينهم، وإن كان للمسلمين ظهورٌ على أعداء دينهم أصابهم الهمّ والغم كراهيةً لظهورهم)) (٣).

(١) سورة الحشر ، آية ١١ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢١/٥ ، وتفسير البغوي ٤٩١/١ ، وتفسير ابن كثير ٥٦٨/١ .

(٣) مدارج السالكين ٣٨٢/١ .

## المطلب الثالث : سمات المنافقين

وصف الله تعالى المنافقين في كتابه بصفات متعددة ليحذر المؤمن أن يقع في شيء منها، كوصفهم بالفصاحة والبيان ، وحسن اللسان ، بل وحسن الصورة [١]، ووصفهم بالمنكر ، والكذب، والاستهزاء بالمؤمنين ، ووصفهم بكلام ذي الوجهين ، ووصفهم باستحقار المؤمنين[٢] ... وغيرها ، وقد وردت في مواطن متعددة من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام :

كقول الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ** ﴾ [٣].

صُدرت الآية بأسلوب الاستفهام : (**أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ**...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) ، والمراد منه : التقرير، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة ، فمن يؤذي الله ورسوله فإنه متعرِّض للوعيد في نار جهنم [٤].

وقوله تعالى : ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾[٥].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول: ما صُدرت به الآية : (**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ**...؟ ) ، والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالفاء، والمراد منه : التقرير[٦] ونفي المساواة ، فقد بُني المسجد على أساس متين وهو تقوى الله ورضاه ، فلا مساواة بينه وبين المسجد المنهار بصاحبه في الهلاك .

---

(١) ليس كل من وصف بالفصاحة وحسن المظهر كان منافقاً ، وإنما المراد أنّ المنافقين يتصفون بحسن المنطق والمظهر مع خبث الباطن .

(٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٣٥١/٢ .

(٣) سورة التوبة ، آية ٦٣ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٦٦/٥ .

(٥) سورة التوبة ، آية ١٠٩ .

(٦) انظر : المحرر الوجيز ٨٤/٣ ، وتفسير الجلالين ص٢٦٠ ، والتحرير والتنوير ٣٤/١١ .

الثاني: في قوله تعالى : (أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ...؟) ، والأداة فيه (من) مقترنة بـــ(أم) ، والمراد منه : الإنكار التوبيخي ، فقد أسس بنيانه على قصد خبيث فانهار بنيانه تبعاً لقصد بُنَاته .

وقول الله تعالى:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1].

ورد الاستفهام في فاصلة الآية:(...أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ؟).والأداة فيه: أنّى، والمراد منه: التعجيب؛ أي: كيف يصرفون عن الحق؟! وفيه تعجيب من ضلالهم وجهلهم عن الحق [2].

وقول الله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [3].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : (مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ؟) والأداة فيه (ما) مقترنة بـــ(ذا) ، والمراد منه : الإنكار ، فهؤلاء ينكرون وقوع هذا العدد منسوباً إلى الله ، ويردف عليه : الاستبعاد [4].

دلالة الآيات :

إنّ الله تعالى وصف المنافقين بصفات متعددة ، وقد أنزل في شأنهم سورة كاملة ، ومن صفاتهم ما ذكره الله تعالى في هذه الآيات :

١- أنَّهم من أحسن الناس أجساماً وهيئة ، ومن أفصحهم لساناً ومنطقاً ، ولذلك شبههم بالخشب التي لا فائدة منها [5].

---

(١) سورة المنافقون ، آية ٤ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٢٦٩/٨ .

(٣) سورة المدثر ، آية ٣١ .

(٤) انظر : البحر المحيط ٣٦٩/٨ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ١٢٥/١٨ ، وتفسير ابن كثير ٣٧٢/٤ .

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – : (( فبين أنّ لهم أجساماً ومناظر ... قال المفسرون : وصفهم بحسن الصورة ، وإبانة المنطق، ثم أبان أنَّهم في عدم الفهم والاستغفار بمنْزلة الَخُشُب المسندة الممالة إلى الجدار، والمراد: أنّها ليست بأشجار تثمر بل هي خشب مسندة))[1].

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : (( إنّ المراد به عبدالله بن أبيّ ، وكان من أحسن الناس جسماً ، والصواب : أن اللفظ عام في مَنْ اتصف بهذه الصفات ، وهي صحة الجسم وتمامه وحسن الكلام ، وخلوّه من روح الإيمان ، ومحبة الهدى وإيثاره ، كخلو الخشب المقطوعة التي قد تساند بعضها إلى بعض من روح الحياة التي يعطيها النمو أو الزيادة والثمرة واتصافهم بالجبن والخور الذي يحسب صاحبه أن كل صيحة عليه )) [2].

وبذلك يتضح لنا أنّ من أبرز صفاتهم الاهتمام بظواهرهم أمام الناس ، أمَّا بواطنهم فهي خالية من زاد الإيمان ومراقبة الله تعالى ؛ ولذلك شبههم الله تعالى بالخشب التي لا تقوم بذاتها إنّما قد تتساند بغيرها ؛ لأنّهم لا يسمعون ولا يعقلون ، ولا يزيدون المسلمين إلاَّ خبالاً ، إن هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

٢- إنّ من سمات المنافقين الأذية والمحادَّة لله ولرسوله – ﷺ- التي هي دلالة على البغض والمعاداة لله ورسوله ؛ ولذلك توّعد الله تعالى مَنْ شاقَّه وحادّه هو ورسوله نار جهنم خالداً فيها .

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – : (( ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذباً للمؤمنين ليرضوهم وهم مقيمون على النفاق ، أنّه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما فيناوئهم بالخلاف عليهما ، فإنّ له نار جهنم في الآخرة خالداً فيها )) [3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( المحادة هي : المعاداة والمشاقة وذلك كفر ومحاربة ، فهو أغلظ من مجرد الكفر ، فيكون المؤذي لرسول الله – ﷺ- كافراً عدواً لله ورسوله )) [4] .

وذلك لأنّ المحادة لله ولرسوله تعني المعاداة والمجانبة، فيقال حاد فلان؛ أي: صار في حدة.

---

(١) منهاج السنة ٣١٦/٥ .

(٢) الصواعق المرسلة ٧٠٢/٢ وانظر : مدارج السالكين ٣٨٤/١ .

(٣) تفسير الطبري ١٧٠/١٠ .

(٤) الصارم المسلول ٥٨/٢ .

فهؤلاء جعلوا أنفسهم في حدّ ، والله تعالى ورسوله في حدّ [1].

٣- إن من سمات أهل النفاق تدبير المكائد لإلحاق الضرر بالرسول -ﷺ- والمؤمنين، فقد جاء فريق منهم واستأذنوا النبي -ﷺ- في بناء مسجد، وزعموا أنَّهم بنوه لذي العلة ، والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية، وطلبوا منه عليه السلام أن يصلي فيه ، فقد بنوه ضِراراً لمسجد رسول الله -ﷺ-، وكفراً بالله لمحادتهم بذلك رسول الله -ﷺ-، وليُفرِّقوا بين المؤمنين ليُصلي بعضهم في مسجد رسول الله -ﷺ- وبعضهم في المسجد الذي بنوه، فيختلفوا بسبب ذلك ويتفرقوا ؛ وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله ؛ أي: أبو عامر الكافر الذي كفر بالله ورسوله ، فهو الذي حزّب الأحزاب على رسول الله -ﷺ- ، فيكون مأوى له لتدبير المكائد ، فأنزل الله تعالى الآيات ، ففضح ما أسرَّته نفوسهم ، وبين سوء مقصدهم، فهُدَم المسجد وأحرق[2] ثم بين تعالى أنه لا مساواة بين من بنى مسجده على التقوى من أول يوم وبين من بناه لإلحاق الضرر والمحادة لله ورسوله .

واختلف العلماء في المسجد الذي أسس على التقوى هل هو مسجد رسول الله ؟ وهو ما ذهب إليه الطبري ، أو هو مسجد قباء ؟ وهو الأرجح - والله أعلم - يقول شيخ الإسلام : (( مَنْ بني أبنية يضاهي بها مساجد المسلمين لغير العبادات المشروعة ، .. لا سيما إذا كان فيها من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ، والإرصاد لأهل النفاق والبدع المحادين لله ورسوله ... كمسجد الضرار ، فلمّا قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾، وكان مسجد قباء أسس على التقوى ، ومسجده أعظم[3] في تأسيسه على التقوى من مسجد قباء ... فكلا المسجدين أسس على التقوى ، ولكن اختص مسجده بأنّه أكمل في هذا الوصف من غيره))[4].

وبذلك يتضح مكر المنافقين ومراوغتهم ؛ حيث كان ظاهر أمرهم تحقيق طاعة الله ورسوله وباطنهم الأذية والتشكيك في دعوة المصطفى - ﷺ- .

(١) انظر : الشريعة للآجري ١٤٠٢/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٦٧/٢ .

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٣/١١- ٣٢ ، وتفسير البغوي ٣٢٨/٢ ، وتفسير ابن كثير ٣٩٢/٢، وتفسير السعدي ص٣٥١ ، وأضواء البيان ٣٢٣/٨ .

(٣) أي : مسجد النبي - ﷺ- .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ٨١٣/٢ .

٤- أنّ من صفات المنافقين إثارة الشبه والشكوك لإضعاف المؤمنين وإرجافهم والطعن في دينهم كتاباً وسنة ، فمن ذلك ما ذكره الله تعالى عن عدّة ملائكة جهنم ، وأنّهم تسعة عشر، فأثار المشركون وأهل النفاق الشك حول تخصيص ذلك العدد ، واستهزؤوا وسخروا بذلك[1].

فقد روى ابن جرير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنَّ أبا جهل لَمّا سمع بالآية ، قال لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ... أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟...[2] .

فهم يسألون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟ على وجه الشك والكفر بآيات الله .

فأخبر الله تعالى عن الحكمة التي جُعل لأجلها عدّة الملائكة الموكلين بالنار تسعة عشر ، فذكر تعالى الحكمة من ذلك :

أولاً: فتنة للكافرين ، فيكون زيادة في كفرهم وضلالهم .

ثانياً: قوة اليقين لأهل الكتاب لموافقة الخبر لما عندهم في التوراة والإنجيل .

ثالثاً: زيادة الإيمان لأهل الإيمان لتصديقهم بذلك .

رابعاً: انتفاء الرَّيب والشك عن المؤمنين وأهل الكتاب .

خامساً: حيرة الكافر ومن في قلبه مرض ، وعمى قلبه عن المراد بذلك . وهذا حال القلوب عند ورود الحق المنَزل عليها ، قلب يفتتن به كفراً وجحوداً ، وقلب يزداد به إيماناً وتصديقاً ، وقلب يوجب حيرة وعمى فلا يدري ما يراد به [3].

فختم الله تعالى الآية مبيناً أنّه هدى المؤمنين بذلك المثل ، فازدادو إيماناً وتصديقاً ، كما أنّه تعالى أضل الكافرين والمنافقين القائلين : أيّ شيء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوِّفنا بذكر عدّهم [4].

## المطلب الرابع : عقوبة المنافقين في الدنيا والآخرة

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٤ / ٢٧ ، وتفسير الواحدي ٢/١١٥١ ، وتفسير السعدي ص ٨٩٧ .

(٢) تفسير الطبري – أخرجه مطولاً ٢٤ / ٢٨ .

(٣) إغاثة اللهفان ١/ ١٩ – ٢٠ – بتصرف – .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٤ / ٣١ .

لَمَّا كان حال المنافقين مبنياً على الكذب وإظهار الإيمان وإخفاء الكفر عاقبهم تعالى بنظير فعلهم ، فلمّا كانوا يحاولون الاستتار عن أعين الناس أَنْ يفضحوا أمرهم أظهر الله تعالى ما أخفوه على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم ، فعاقبهم بإحباط أعمالهم وحرمانهم من دعوة المؤمنين واستغفارهم . أما في الآخرة فلا وليّ لهم ، ولا وكيل ، وإنما مثواهم الدرك الأسفل من النار، وقد وردت عقوباتهم في مواطن من كتابه ، ومنها ما ورد بأسلوب الاستفهام:

كقول الله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [(١)].

ورد في الآية أسلوبا استفهام :

الأول: في قوله تعالى: (...فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ...؟)، والأداة فيه: (مَنْ) مقترنة بالفاء، والمراد منه: الإنكار التوبيخي والنفي؛ أي: لا أحد يجادل الله عنهم يوم القيامة[(٢)].

الثاني: قوله تعالى : (أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ؟ ) ، والأداة فيه : مَنْ داخلة عليها (أم)، والمراد منه : الإنكار التوبيخي والنفي ؛ أي : لا أحد يكون عليهم وكيلاً [(٣)].

وقول الله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [(٤)].

صُدّرت الآية بأسلوب الاستفهام : (أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ...؟)

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بالواو ، والمراد منه : التقرير ، وهو حمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة ، فهؤلاء المنافقون يرون فتنتهم فلا تعقبها توبتهم ، و لا تُذكّرهم أمر ربهم .

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة النساء ، آية ١٠٩ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٤٧٩/٥ ، وتفسير الخازن ١/ ٥٩٥ ، والبحر المحيط ٣٦٠/٣ .

(٣) انظر : البحر المحيط ٣٦٠/٣ ، والتحرير والتنوير ١٩٥/٥ .

(٤) سورة التوبة ، آية ١٢٦ .

(٥) سورة التوبة ، آية ١٢٧ .

ورد أسلوب الاستفهام متوسطاً في الآية بقوله : ( ...هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ...؟)

والأداة فيه : هل ، والمراد منه : الإنكار والاستهزاء ، أي : يقولون : هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف ؟ فإنا لا نقدر على استماعه ويغلبنا الضحك .

وقيل : نظر بعضهم إلى بعض على جهة التقرير ، يُفهم من تلك النظرة التقرير : هل يراكم من ينقل عنكم ؟ وكلا المعنيين محتمل [(١)].

وقول الله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [(٢)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى ( ...أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ...؟)

والأداة فيه : الهمزة و(أم) المعادلة . والمراد منه : التسوية ؛ أي : سواء استغفرت لهم أو لم تستغفر لن ينتفعوا بذلك [(٣)].

وقول الله تعالى : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[(٤)].

ورد أسلوب الاستفهام في قوله تعالى : ( ... أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ؟) .

والأداة فيه : الهمزة مقترنة بـــ(لم) . والمراد منه : التقرير ؛ أي : قد كنّا معكم في الحياة الدنيا نعمل أعمال أهل الإسلام [(٥)].

دلالة الآيات :

بيّن الله تعالى عقوبة أهل النفاق في الدنيا والآخرة ، لَمَّا كانوا يخادعون الله ورسوله والذيـــن آمنوا في الحياة الدنيا عاقبهم الله بنظير صنيعهم ، حيث كشف سرائرهم ، وأحبـــط أعمالهم، وصرف قلوبهم ، وجعل مستقرهم الدرك الأسفل من النار .

ويمكننا أن نُجمل صور العقوبة في الآتي :

---

(١) انظر : البحر المحيط ١٢٠/٥ .

(٢) سورة المنافقون ، آية ٦ .

(٣) انظر : مغني اللبيب ٢٤/١ ، وروح المعاني ١١٣/٢٨ ، والتحرير والتنوير ٢٧٧/١٠ .

(٤) سورة الحديد ، آية ١٤ .

(٥) انظر : التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٨٥ .

١- الفتنة في كل عام مرَّة أو مرّتين ، واختلف في المراد بفتنتهم على ثلاثة أقوال :

الأول: يفتنون ؛ أي : بالسنة والجوع .

الثاني : يختبرون بالغزو والجهاد .

الثالث: يختبرون بما يُشيع المشركون من الأكاذيب على رسول الله -ﷺ-وأصحابه[1].

قال الإمام الطبري – رحمه الله – : (( وأولى الأقوال من ذلك بالصحة أن يقال : إنّ الله عَجَّب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين ، ووبَّخ المنافقين في أنفسهم بقلة تذكرهم وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها )) [2].

فقد فتح الله تعالى للمنافقين الباب ليعتبروا ويؤمنوا بالله ظاهراً وباطناً إلا أنّ قلوبهم قاسية لا تنتفع بالموعظة والهدى .

٢- أنّ الله تعالى صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره ؛ لكفرهم وإعراضهم ، فإذا أُنزلت سورة ليؤمنوا بها ، ويعملوا بمضمونها ، جزموا على ترك العمل فيها ينتظرون الفرصة للاختفاء عن أعين المؤمنين متسللين ، وانقلعوا معرضين ، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم ، فكما انصرفوا عن العمل صرف الله قلوبهم وصدها عن الحق وخذَّلها [3].

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( فأخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف ، وعن فعله وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره ؛ لأنَّهم ليسوا أهلاً له ، فالمحلّ غير صالح ولا قابل ؛ فإنّ صلاحية المحلّ بشيئين : حُسن فهم وحسن قصد ، وهؤلاء قلوبهم لا تفقه وقصودهم سيئة ... فإنّ انصرافهم كان لعدم إرادته سبحانه ومشيئته لإقبالهم ؛ لأنَّه لا صلاحية فيهم ولا قبول ؛ فلم ينلهم الإقبال والإذعان، فانصرفت قلوبهم بما فيها من الجهل والظلم عن القرآن))[4].

٣- أنّ الله تعالى نهى نبيه – ﷺ- والمؤمنين عن الاستغفار للمنافقين ؛ ولذلك قال الله تعالى سواء استغفرت لهم أم لم تستغفر لا ينفع استغفارك شيئاً ؛ لِما أبطنوه مِنْ الكفر بالله

---

(١) تفسير الطبري ١١/٧٤ – بتصرف – .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر : البحر المحيط ٥/١٢٠ ، وتفسير السعدي ص ٣٥٦ .

(٤) شفاء العليل ص ١٦٨ – ١٦٩ .

وبرسوله – ﷺ– وذلك محبط لجميع الأعمال ، فقبول العمل شرطه الإخلاص لله تعالى وهؤلاء تجرَّدت قلوبهم من توحيده (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : (( التوسل بدعائه وشفاعته ينفع مع الإيمان به ، وأمّا بدون الإيمان به فالكفار والمنافقون لا تغني عنهم شفاعة الشافعين في الآخرة ، ولهذا نُهي عن الاستغفار لعمّه وأبيه وغيرهما من الكفار، ونهي عن الاستغفار للمنافقين ...)) (٢).

٤- لَمّا كان حال المنافقين في الدنيا إظهار الإسلام ، وإخفاء الكفر ، وحضور الصلاة ، والجهاد مع المؤمنين ، عاقبهم الله تعـــالى في الآخرة بنظير صنيعهم في الدنيا ؛ حيث يكونون في الآخرة مع المؤمنين ، فيعطون نوراً يتوسطون به على الصراط ثم يطفئ الله نورهم ، ويقال لهم : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، ثم ينادُون المؤمنين : ألم نكن معكم؟ قالوا : بلى كنتم معنا ظاهراً وظلمتم أنفسكم باطناً ؛ حيث أخفيتم الكفر بالله وبرسوله (٣).

يقول ابن القيم – رحمه الله – : (( والمقصود هذه الطبقة – أي : المنافقون – أشقى الأشقياء ، ولهذا يُستهزأ بهم في الآخرة وتُعطى نوراً يتوسطون به على الصراط ثم يُطفئ الله نورهم ، ويقال لهم : ﴿ **ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا** ﴾ (٤).

ويضرب بينهم وبين المؤمنين : ﴿ **بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝١٤** ﴾ (٥)، وهذا أشدّ ما يكون من الحسرة والبلاء أنْ يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح ، حتى إذا ظن أنّه ناجٍ ورأى منازل السعداء اُقتطع عنهم وضُربت عليه الشقوة ، ونعوذ بالله من غضبه وعقابه))(٦).

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٨ / ١١٠ – ١١١ ، وزاد المسير ٤٧٧/٣ ، وتفسير القرطبي ١٨ / ١٢٨ .

(٢) قاعدة جليلة ص ٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٧ /٢٢٦ ، وزاد المسير ١٦٥/٨ ، وتفسير بن كثير ٤١٠/٤ .

(٤) سورة الحديد ، آية ١٣ .

(٥) سورة الحديد ، آيتا ١٣ – ١٤.

(٦) طريق الهجرتين ص ٥٩٧ .

٥- أنّ المنافقين لا ولي لهم، ولا نصير، ولا وكيل في الآخرة عند الله تعالى، وذلك كما جاء في قصة رجل من بني أُبيرق من الأنصار أنّه سرق درعاً وسيفاً وطعاماً من رجل آخر ، فلما اُتّهم بنو أُبيرق ، ألقوا بالتهمة على رجل بريء ، فجاء الرجل الذي سُرق إلى النبي -ﷺ- متهماً بني أبُيرق ، فلّما سمع بنو أبيرق جاؤوا إلى النبي-ﷺ- وشكوا أن يُتهموا بالسرقة دون بيّنة، فنهر النبي -ﷺ- الرجل الذي سُرق متاعه أن يتّهم رجلاً من أهل الصلاح دون بيّنة، فأنزل الله تعالى الآيات : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾ [1].

فلحق الرجل السارق المنافق من بني أُبيرق بالمشركين .

والمقصود أنّ الله تعالى يقول : هب أنّ هؤلاء انتصروا في الدنيا بما أبدوه عند الحكام الذين يحكمون بالظاهر فماذا يكون صنيعهم يوم القيامة بين يدي الله الذي يعلم السر وأخفى ؟ فلا وكيل ولا نصير ولا شفيع لهم يوم القيامة [2].

---

(١) سورة النساء ، الآيات ١٠٥ - ١٠٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٦٧/٥ ، وزاد المسير ١٩٣/٢ ، وتفسير ابن كثير ٥٢٩/١ - ٥٣٠ .

# الخاتمـــــــــة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، كما يحب ربنا ويرضى ، وبعد وفي نهاية هذا البحث، خلصت إلى نتائج أجملها فيما يلي :

١- أنّ أساليب الاستفهام في القرآن الكريم من أوفر الأساليب البيانة ، وأوسعها معاني ؛ فإنها تعطي الكلام حيوية ، وتزيد الإقناع والتأثير به ؛ وذلك لما فيه من إثارة للسامع ، وجذب لانتباهه ، ليصل بنفسه إلى الجواب دون أن يُملى عليه .

٢- أن معظم أساليب الاستفهام في القرآن الكريم دلت على موضوعات متعددة في مسائل الإيمان : كإثبات العبادة لله وحده ، ونفي الشريك عنه ، وإثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى ، وإثبات البعث والرسالة والقدر ، وعرض كثير من شبهات المخالفين وإبطالها بأقوى حجة وبيان .

٣- أن المعاني البلاغية لأساليب الاستفهام في مسائل الإيمان يمكن حصرها وضبطها ، فإن دلالة الآية ومعناها أوّل ما يتبادر إلى الذهن كتقرير السامع ، أو ردعه بالإنكار عليه ، أو تفخيم أمر ما ، أو التعجب من أمر ما .

٤- أنّ الأسلوب الاستفهامي قد يحمل أكثر من معنى ، فيكون هناك معنى بارز مفهوم من دلالة الآية وسياقها ، ويردف عليه معان أخر ؛ كأن يجتمع الإنكار والتعجب ، أو التقرير والتعظيم وغيرها .

٥- أنّ بعض العلماء من البلاغيين والمفسرين تختلف ألفاظهم في التعبير عن المعنى البلاغي لأساليب الاستفهام وإن كان المؤدى واحد ، فبعضهم يُعبّر عن الإنكار بالتقريع ، وبعضهم بالتوبيخ ، وجماع ذلك الإنكار التوبيخي ، أو يُعبر عن التفخيم بالتعظيم ، وهكذا .

٦- أن الاستدلال بالأساليب الاستفهامية على مسائل الإيمان على غير وجهها الصحيح ، يؤدي إلى وقوع المستدل في خطأ عظيم قد يوقع صاحبه في البدع .

٧- أنّ دلالة الإنكار من أوفر أساليب الإستفهام في مسائل الإيمان في القرآن الكريم الذي حاصله راجع إلى تثبيت السامع على فساد ذلك الشيء ليرتدَّ عنه ويرجع أو إبطال دعوى لا حقيقة لوقوعها ؛ كدعوى أنّ الملائكة بنات الله ، أو أن عدم الإيمان بالرسل من البشر؛ لأنهم ليسو بمثابة أن يتبع أو يطاع .

٨- أن دلالة التقرير والإثبات وحمل المخاطب على الاعتراف بمضمون الجملة تشكل الشطر الآخر لدلالة الإنكار من حيث وفرتها وكثرة ورودها في مسائل الإيمان في القرآن الكريم ، كحمل المخاطبين على الإقرار بالخالق الرازق المحي المميت المدبر وحده ، فيستلزم إفراده بالعبادة.

٩- أن أساليب الاستفهام في القرآن تضمنت دلالات أخرى على مسائل الإيمان ، كدلالة الأمر ، ودلالة النفي ، ودلالة التعجيب ، ودلالة التفخيم وغيرها .

١٠- أن إضمار الاستفهام في كلام الله تعالى لا يجوز من غير دلالة نصية على ذلك ، فكل مَنْ أراد أن ينفي ما أخبر الله به يُقدِّر في خبره استفهاماً ، ويجعله استفهام إنكار كما يفعل ذلك كثير من أهل البدع .

١١- أنه لا يوجد لأهل السنة والجماعة مصنفات شاملة للدراسات البلاغية المؤصلة لاسيما في القرآن الكريم ، فكثير ممن ألَّف وأصَّل البلاغة من المعتزلة أو غيرهم من أهل البدع .

١٢- أن هناك كتباً كثيرة للمتقدمين من أهل العلم ، اعتنت بالدراسات البلاغية ، ولكن يلحظ أن دراستها مختصرة أو مغمورة ضمن مصنفات غير مخصصة بالدراسات البلاغية . ولذلك علينا جميعاً الإسهام في التشجيع على الدراسات البلاغية المؤصلة وفق منهج أهل السنة والجماعة ، ونشر هذه الدراسات ؛ ليستفيد منها الباحث في العلوم الشرعية والعربية.

هذه خلاصة نتائج هذا البحث ، وقد بذلت فيه ما بوسعي ، والنقص من طبيعة البشر ، وآمل أن أكون قد وضعت من خلال هذا البحث لبنة جمعت بين علم العقيدة وعلم البلاغة ، وهو بحاجة إلى لبنات أخرى ؛ ليكتمل هذا العلم وفق منهج أهل السنة والجماعة ، والله – تعالى – أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

# الفهـارس العامـة

# فهرس الآيات

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ | ٢٦ | ٤٥٤ |
| ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ | ٢٨ | ٢٢، ٧٩، ٨١ |
| ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ | ٣١ | ٤٢٥ |
| ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ | ٣٧ | ٥١٩ |
| ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ... ﴾ | ٤٠ | ٢٣٣ |
| ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ | ٤٢ | ٨٤٦ |
| ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ | ٤٣ | ٢١٧ |
| ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ | ٥٥ | ٥٥٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾ | ٦٠ | ٦٨ |
| ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ | ٦١ | ٥٥٢ |
| ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ | ٦٥ | ٨٦٧ |
| ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ | ٦٨ – ٧٠ | ٥٤٤، ٥٤٥ |
| ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ | ٧١ | ٥٤٦ |
| ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ | ٧٤ | ٣٢٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ | ٧٥ | ٨٤٨ |
| ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ | ٧٦ | ٨٤٦ |
| ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ | ٧٦ – ٧٧ | ٨٤٤ |
| ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ | ٨٠ | ٨٧٢ |
| ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ | ٨٠ | ٨٦٨ |
| ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ | ٨٤ | ٨٥٩ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ | ٨٥ | ٨٥٨ |
| ﴿ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ | ٨٥ | ٨٦٠ |
| ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ | ٨٥ | ٨٥٩ |
| ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ | ٨٧ | ٥٠١ |
| ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ | ٨٧ | ٥٠٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ | ٩١ | ٤٣٠، ٥٠١، ٥٠٧ |
| ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ | ١٠٠ | ٨٥٨ |
| ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ | ١٠٢ | ٧٧٧، ٧٧٨ |
| ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ | ١٠٦ | ٨٦٥ |
| ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ | ١٠٦ | ٨٦٥ |
| ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ .. ﴾ | ١٠٦ | ٦٤ |
| ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ | ١٠٦ | ٤٢٩، ٨٦١ |
| ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ | ١٠٧ | ٦٣، ٢٢٧ |
| ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ | ١٠٨ | ٥٦٨، ٥٧٣ |
| ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ | ١١١ | ٨٦٩ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ | ١١٥ | ٨٦٥ |
| ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ | ١٣٠ | ٣٠٥ |
| ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ | ١٣٣ | ٣١٢ |
| ﴿ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ ﴾ | ١٣٥ | ٨٥٦ |
| ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ | ١٣٥ | ٣٠٧ |
| ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾ | ١٣٦ | ٣٢، ٧٩٥ |
| ﴿ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ | ١٣٧ | ٢٢١ |
| ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾ | ١٣٨ | ٣٠٦ |
| ﴿ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴾ | ١٣٩ | ٨٥٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ | ١٣٩ – ١٤٠ | ٨٥٥ |
| ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ | ١٤٢ | ٨٦١ |
| ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ | ١٧٠ | ٣٧٩ |
| ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ | ١٧٧ | ٣٢ |
| ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ | ١٧٧ | ٦٢١ |
| ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ | ٢١٠ | ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
| --- | --- | --- |
| ٨٤٠ | ٨١١ | ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ |
| ٢٠، ٢٢٩ | ٢١٤ | ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ |
| ،٦٦٤ | ٢٤٣ | ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ |
| ٥٥٦ | ٢٤٦ | ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ |
| ١٤٦ | ٢٥٥ | ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٣٦٤ | ٢٥٥ | ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ |
| ٣٨٨ | ٢٥٨ | ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ |
| ٦٦٤، ٦٦٥ | ٢٥٩ | ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ | ٢٥٩ | ٢٠ |
| ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرًا كَثِيرًا ﴾ | ٢٦٩ | ١٧٣ |
| ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ | ٢٨٥ | ٧٩٣ |
| ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ | ٢٨٥ | ٤٠١ |
| سـورة آل عمران | | |
| ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ | ٣ – ٤ | ٤٢٨ |
| ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ ... ﴾ | ١٤ | ٧١١ |
| ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ | ١٤ | ٧١٣ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ | ١٥ | ٧١٠ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ | ١٦ – ١٧ | ٧١٤ |
| ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ | ٢٠ | ٧٨٧ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ | ٢٣ | ٨٥٠ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ | ٢٣ | ٨٤٨ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
| --- | --- | --- |
| ٦٤٤ | ٢٥ | ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ |
| ٦١ | ٢٦ | ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ...﴾ |
| ٧٥٠ | ٢٦ | ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ |
| ٢٠ | ٣٧ | ﴿ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾ |
| ٥٥٨ | ٣٧ | ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ |
| ٥٦٣ | ٤٩ | ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ |
| ٥٦٢ ،٥٥٨ | ٤٠ | ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ | ٤٧ | ٥٥٨ |
| ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ | ٥٠ | ٤٢٩ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ | ٥١ | ٥٦٤ |
| ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ | ٥٢ | ٥٥٩ |
| ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ | ٥٥ | ١٩٣ |
| ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ | ٦٢ | ١٧٢ |
| ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ | ٦٥ – ٦٦ | ٨٥٥ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ | ٦٧ | ٨٥٧ |
| ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ | ٧٠ | ٨٤٠، ٨٤١ |
| ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ | ٧٠ – ٧١ | ٨٤٤ |
| ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ | ٧٩ | ٣٤٧ |
| ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ | ٨٠ | ٣٤٦ |
| ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ | ٨١ | ٥٦٨ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٧٨٧ | ٨٥ | ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ |
| ٨٦٢ | ٩٨ – ٩٩ | ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ |
| ٨٦٣ | ٩٩ | ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ﴾ |
| ٨٤٠ | ١٠١ | ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ |
| ٧١٦ | ١٠٦ | ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ |
| ٤٢٠ | ١٢٣ | ﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ |
| ٤٢٠ | ١٢٤ | ﴿ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ | ١٣٣ | ٧٠٥ |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ | ١٣٥ | ٢٥٦ |
| ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ | ١٤٢ | ٧١١، ٧١٢ |
| ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ ﴾ | ١٤٤ | ٥٧٤ |
| ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ | ١٤٤ | ٥٦٩ |
| ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ | ١٥٠ | ٢٢٧ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ | ١٥٤ | ٧٨٢ |
| ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ | ١٦٠ | ٢٣٠ |
| ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ | ١٦١ | ٢٦١ |
| ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ | ١٦٢ | ٢٦١ |
| ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ ﴾ | ١٦٥ | ٧٦١ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ | ١٧٣ | ٧٩٩ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ﴾ | ٤٩ | ٨٧٠ |
| ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا ﴾ | ٤٩ – ٥٠ | ٨٦٨ |
| ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمًا مُّبِينًا ﴾ | ٥٠ | ٨٧٠ |
| ﴿ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾ | ٥٠ | ٨٦٩ |
| ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ | ٥١ | ٨٤٢ |
| ﴿ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴾ | ٥٣ | ٨٧٥ |
| ﴿ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴾ | ٥٣ – ٥٤ | ٨٧٣ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ | ٥٨ | ٧٨١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ...؟ ﴾ | ٨٨ | ٧٧٠ |
| ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلاً ﴾ | ٨٨ | ٧٧١ |
| ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ | ١٠٥ – ١٠٩ | ٨٩٩ |
| ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ | ١٠٨ | ٢١٥ |
| ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ | ١٠٩ | ٨٩٥ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلاً بَعِيدًا ﴾ | ١١٦ | ٣٣٣ |
| ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلاً ﴾ | ١٢٢ | ١٩٤، ١٩٦ |
| ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينًا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾ | ١٢٥ | ٧٨٨ |
| ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلاً بَعِيدًا ﴾ | ١٣٦ | ٤٠١ |
| ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ | ١٣٨ | ٢٠٣ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ | ١٣٩ | ٢٠٣ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ | ١٤١ | ٨٨٩ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ | ١٤١ | ٨٨٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾ | ١٥٠ | ٤٦٧ |
| ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ | ١٦٣ | ٤٢٨ |
| ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ | ١٦٤ | ٤٦٨ |
| ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ | ١٦٦ | ٤٣١ |
| ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ | ١٧٤ | ٤٣٩ |
| سـورة المائدة | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ﴾ | ١١ | ٧٤ |
| ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ | ١٧ | ٦٣، ٦٤، ٦٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ | ١٨ | ٨٦٩ |
| ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ | ١٨ | ٨٧٠ |
| ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ | ١٨ | ٨٧١ |
| ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ | ١٨ | ٨٦٩ |
| ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَـٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَـٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ | ٣١ | ٥١٧، ٥١٨ |
| ﴿ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾ | ٣٢ | ٧٧ |
| ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ | ٣٧ | ٧٠٩ |
| ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ | ٤٠ | ٦٣ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٨٦٢ | ٥٩ – ٦٠ | ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ |
| ٨٦٣ | ٦٠ | ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً ﴾ |
| ٨٦٦ | ٦٠ | ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ |
| ١٨٩ | ٦٤ | ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ |
| ١٣٨ | ٧٣ | ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾ |
| ٥٦١ | ٧٥ | ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ |
| ٣٦٤ | ٧٦ | ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ | ٨٤ | ٨٧٦ |
| ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾ | ٩١ | ٢٥ |
| ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ | ٩٥ | ٢٦٤، ٢٦٥ |
| ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ | ١٠٣ | ٨١٨ |
| ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ | ١٠٩ | ٤٧١ |
| ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ ﴾ | ١١١ | ٥٦٥ |
| ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ | ١١٢ | ٥٦٠، ٥٦٥ |
| ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ | ١١٢ | ٥٦٦ |
| ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ | ١١٦ | ٣٤٧ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ | ١١٩ | ٢٥٨ |
| سـورة الأنعام | | |
| ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ | ١٢ | ٢٨٩ |
| ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ | ١٤ | ٢٢٤ |
| ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗ ﴾ | ١٩ | ٢٤١، ٢٤٣ |
| ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ | ١٩ | ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤ |
| ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ | ٢١ | ٨١١ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
| --- | --- | --- |
| ٣٩٣، ٣٩٥ | ٢٢ – ٢٤ | ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ |
| ٦٣٩ | ٢٩ | ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ |
| ٦٣٩ | ٣٢ | ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ |
| ٦٢٦ | ٣٦ | ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ |
| ٧٤٤ | ٣٨ | ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ |
| ٧٦٦ | ٣٩ | ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ |
| ٢٨، ٣١٩ | ٤٠ | ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ |
| ٧٦٨، ٧٦٩ | ٤٦ | ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ | ٥٠ | ٤٨٥ |
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ | ٥٣ | ٧٤٠ |
| ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ | ٥٣ | ٧٤٢ |
| ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ | ٥٩ | ٧٣٩ |
| ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ | ٦١ | ٤٢٢، ٤٢٣ |
| ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ | ٦٣ | ٣٢٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ | ٧١ | ٣٦٤ |
| ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ | ٧٤ | ٣٥٩ |
| ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ | ٨٠ – ٨١ | ٣٩٠ |
| ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ | ٩١ | ٤٤٨ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٤٥١ | ٩١ – ٩٢ | ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيۡءٍۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ |
| ١٥٠، ٤٠٩ | ١٠١ | ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ |
| ١٧٣ | ١١٤ | ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا ﴾ |
| ٧٦، ٨٠، ٨٢ | ١٢٢ | ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ |
| ٧٦٦ | ١٢٥ | ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾ |
| ٧٣٦ | ١٢٥ | ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴾ |
| ٧٦٥، ٧٦٦ | ١٢٥ | ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
| --- | --- | --- |
| ٤٧٤ | ١٣٠ | ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ |
| ٤٧٧ | ١٣٠ | ﴿ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ |
| ٧٧٩ | ١٣٦ | ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ |
| ٨١٢ | ١٤٣ – ١٤٤ | ﴿ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ |
| ٧٥٢، ٧٥٦، ٧٥٧ | ١٤٨ | ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ | ١٤٩ | ٧٥٦ |
| ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ | ١٥٨ | ٢٤٩ |
| ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ | ١٥٨ | ٢٤٦ |
| ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ | ١٥٨ | ٢٤٩ |
| ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ | ١٦٤ | ٣٠١ |
| سـورة الأعراف | | |
| ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ | ١٢ | ٨٢٠ |
| ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ | ١٢ | ١٨٩ |
| ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ | ٢١ | ٥١٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ | ٢٢ | ٥١٧ |
| ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ | ٢٢ | ٥١٨ |
| ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ | ٢٣ | ٥١٨ |
| ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ | ٢٥ | ٥٢٠، ٦٢٤ |
| ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ | ٣٧ | ٨١٣ |
| ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ | ٤٤ | ٧١٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ | ٤٨ | ٢٠٠ |
| ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ | ٤٩ | ١٩٨، ٢٠٠ |
| ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ | ٥٢ | ٢٤٦ |
| ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ | ٥٣ | ٦٥٩، ٦٦٠ |
| ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ | ٥٣ | ٦٥٤، ٦٥٩، ٦٦٠ |
| ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ ﴾ | ٥٣ | ٢٧ |
| ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ | ٥٤ | ٧٨١ |
| ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ | ٥٦ | ١٩٩ |
| ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ | ٥٧ | ١٩٩ |
| ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ | ٦٣ | ٥٢٢ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ | ٦٥ | ٣١٣ |
| ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ | ٦٩ | ٥٩٦ |
| ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ | ٧٠ – ٧١ | ٣٧٩ |
| ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ | ٧٥ | ٤٨١ |
| ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ | ٨٠ | ٥٩١، ٥٩٤ |
| ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ | ٨٠ | ٥٩٣ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ | ٨٧ | ١٧٣ |
| ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ | ٩٧ | ٢٥٣ |
| ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ | ٩٨ | ٢٥٣ |
| ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ | ٩٩ | ٢٥٣ |
| ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ | ١٠٠ | ٧٥٢ |
| ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ | ١٠٩ | ٤٩٥ |
| ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ | ١٠٩ – ١١٠ | ٤٩٦ |
| ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ | ١١٠ | ٤٩١ |
| ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ | ١١٣ | ٤٩١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ | ١٢٧ | ٥٠٢، ٥٠٥ |
| ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ | ١٤٠ | ٣١٢ |
| ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ | ١٤٣ | ١٩٢ |
| ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ | ١٤٥ | ٢٣٧، ٤٢٨ |
| ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ | ١٤٨ | ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧ |
| ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ | ١٥٠ | ٢٥٨ |
| ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ | ١٥٠ | ٥٤٧ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴾ | ١٥٥ | ٥٤٨ |
| ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ ﴾ | ١٥٦ | ٥٥١ |
| ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ | ١٥٦ | ١٩٩ |
| ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ | ١٥٧ | ٤٢٩ |
| ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ | ١٦٤ | ٥٥٤، ٥٥٥ |
| ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ ﴾ | ١٦٥ | ٥٥٥ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ | ١٦٥ | ٥٥٥ |
| ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ | ١٦٩ | ٨٥٢ |
| ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ | ١٧٠ | ١٦٠ |
| ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ | ١٧٢ | ٧٤٥، ٧٤٧ |
| ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ | ١٨٠ | ١٥٧، ١٥٨ |
| ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ | ١٨٠ | ١٦٤، ٢٤١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ | ١٨٢ – ١٨٤ | ٤٩٨ |
| ﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ | ١٨٤ | ٩٥ |
| ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ | ١٨٥ | ٨٩ |
| ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ | ١٨٧ | ٦٢٧، ٦٢٩ |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ | ١٨٩ – ١٩١ | ٣٦١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴾ | ١٩١ – ١٩٣ | ٣٥٩ |
| ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ | ١٩٥ | ٣٧٣ |
| سـورة الأنفال | | |
| ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ | ٩ | ٤٢٠ |
| ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ | ٣٢ | ٤٨٠ |
| ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ | ٤٠ | ٢٣١ |
| سـورة التوبة | | |
| ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ | ٥ | ٩٤ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ | ١١ | ٢١٧ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ | ١٣ | ٣٢٢ |
| ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ...﴾ | ١٦ | ٧٤١ |
| ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ | ١٦ | ٧٤٠ |
| ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ | ١٩ | ٧٩٦ |
| ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ | ٤٠ | ٢١٦ |
| ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ | ٥٢ | ٨٨٨ |
| ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ | ٥٩ | ٢٢٢ |
| ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ | ٦٣ | ٨٩٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ | ٦٥ | ٨٨٢ |
| ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ | ٧٠ | ٤٧٤ |
| ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا... ﴾ | ٧٥ – ٧٨ | ٧٤٣ |
| ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ | ٧٨ | ٧٤١ |
| ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ | ١٠٨ | ٨٩٣ |
| ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ | ١٠٩ | ٨٩٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ...﴾ | ١٠٩ | ٨٩١ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ | ١١١ | ٢٣٣، ٢٣٥ |
| ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ | ١١٥ | ٧٦٣ |
| ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ | ١٢٤ | ٧٩٧ |
| ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ | ١٢٦ | ٨٩٥ |
| ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ | ١٢٧ | ٨٩٥ |
| ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ | ١٢٨ | ١٦١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| سـورة يونس | | |
| ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ | ٢ | ٤٨٥ |
| ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ | ٣ | ٢٨١ |
| ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ | ١٥ | ٤٥٨ |
| ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ | ١٦ | ٤٥٥ |
| ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾ | ١٧ | ٨١٣، ٨١٨ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٣٦٧ | ١٨ | ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ |
| ١٢٨، ١٢٩، ١٣١ | ٣١ | ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ |
| ٢٧٣ | ٣٢ | ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ |
| ٢٨٧ | ٣٤ | ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ |
| ٢٩٦ | ٣٥ | ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ |
| ٤٥٤ | ٣٨ | ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ | ٤٨ | ٦٥٤ |
| ﴿ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾ | ٥٣ | ٦٤٧، ٦٤٨ |
| ﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ | ٥٧ | ٤٣٩ |
| ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴾ | ٥٩ | ٧٧٨ |
| ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ | ٦٨ | ١٥٠، ١٥٣ |
| ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ | ٧٧ | ٤٩٥ |
| ﴿ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾ | ٧٨ | ٥٩٥ |
| ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ | ٧٧ – ٧٨ | ٤٩٢ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ﴾ | ٩٠ | ٨٠١ |
| ﴿ ءَآلۡـَٔـٰنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ | ٩١ | ٧٩٧، ٨٠٢ |
| ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ | ٩٩ | ٧٦٩ |
| ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِى ٱلۡأَيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٍ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ | ١٠١ | ٨٩، ٩٤ |
| سـورة هود | | |
| ﴿ نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَـٰلَهُمۡ فِيهَا ﴾ | ١٥ | ٢٣٣ |
| ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٌ مِّنۡهُ ﴾ | ١٧ | ٥١٠ |
| ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٌ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِى مِرۡيَةٍ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ | ١٧ | ٥٠٣ |
| ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ | ١٨ | ٨١٣ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ | ٢٨ | ٥٢٢ |
| ﴿ وَيَـٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ | ٣٠ | ٥٢٣ |
| ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴾ | ٣٥ | ٤٥٥ |
| ﴿ يَـٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ | ٥١ | ٥٩٦ |
| ﴿ قَالُواْ يَـٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾ | ٦٢ | ٣١٣، ٦٠٠ |
| ﴿ قَالَ يَـٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ﴾ | ٦٣ | ٥٩٩ |
| ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ | ٧١ | ٥٢٩ |
| ﴿ قَالَتۡ يَـٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ | ٧٢ – ٧٣ | ٥٢٧، ٥٣١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾ | ٧٨ | ٥٩١، ٥٩٤ |
| ﴿ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾ | ٧٨ | ٥٩٥ |
| ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ | ٧٩ | ٥٩٥ |
| ﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ | ٨٠ | ٥٩٥ |
| ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾ | ٨١ | ٥٩٢ |
| ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾ | ٨٧ | ٢٦ |
| ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ | ٨٧ | ٣٨٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ | ٨٨ | ٦٠٢ |
| ﴿ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ | ٩١ | ٦٠٤ |
| ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ | ٩٢ | ٦٠٢ |
| ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ | ١٠٧ | ٧٥١ |
| ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ | ١٠٨ | ٧٠٩ |
| سـورة يوسف | | |
| ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ | ٢ | ٤٤٤ |
| ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ | ٧ | ٥٧٨ |
| ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴾ | ١١ | ٥٧٨، ٥٨٢ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٧٩٤ | ١٧ | ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ |
| ٥٧٨ | ٢٥ | ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ |
| ٥٨٢ | ٢٥ | ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ |
| ٣١٣ | ٣٩ | ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ |
| ٥٧٩ | ٥٠ – ٥١ | ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ |
| ٥٨٣ | ٥١ | ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ |
| ٥٨٣ | ٥١ | ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ | ٥٩ | ٥٧٩ |
| ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ | ٥٩ | ٥٨٤ |
| ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ | ٦٠ | ٥٨٤ |
| ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ | ٦٤ | ٥٧٩، ٥٨٠ |
| ﴿ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ | ٧٠ | ٥٨٠ |
| ﴿ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴾ | ٧١ | ٥٨٠ |
| ﴿ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ | ٧٤ | ٥٨٠ |
| ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ | ٨٠ | ٥٨٠، ٥٨٤ |
| ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ | ٨٩ | ٥٨٥ |
| ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ | ٨٩ – ٩٠ | ٥٨١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ | ٩٦ | ٥٨١ |
| سـورة الرعد | | |
| ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ...﴾ | ٥ | ٦٨٥ |
| ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ | ٥ | ٦٧٧ |
| ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ | ١٥ | ٣٢٧ |
| ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴾ | ١٦ | ٥٢، ١٢١، ١٢٣، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦ |
| ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ | ١٦ | ٧٣٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ | ١٩ | ٤٣٤ |
| ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ | ٣٢ | ٥١١ |
| ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ | ٣٣ | ٣٣٩ |
| سـورة إبراهيم | | |
| ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ | ٩ | ٤٨١ |
| ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ... ﴾ | ١٠ | ٣٧، ٨٦، ١٤١، ٢٨٣ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ | ١٠ | ٢٧٧ |
| ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ | ١٠ | ٨٠٨ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ | ١٩ | ٤٥ |
| ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ | ٢١ | ٧١٧ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ | ٢٤ | ١١ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ | ٢٤ | ٣٠٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ | ٢٨ | ٨١٤، ٨١٨ |
| سورة الحجر | | |
| ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ | ٩ | ٤٣٠، ٤٣١ |
| ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ ﴾ | ٢٣ | ٧٦ |
| ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾ | ٣٢ | ٨٢٠ |
| ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ | ٣٩ | ٨٢١ |
| ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ | ٥٤ | ٥٢٧، ٥٣١ |
| ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ | ٧٠ | ٥٩٢ |
| ﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ | ٩٥ | ٢٢١ |
| سورة النحل | | |
| ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ | ١٤ | ١٣٨، ١٤١ |
| ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ | ١٧ | ٤٦، ٤٨ |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ | ٢٠ – ٢١ | ٨٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ | ٢٤ | ١٩٤، ١٩٥، ٤٣٤ |
| ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ﴾ | ٣٠ | ١٩٤، ١٩٥، ٤٣٤ |
| ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ | ٣٥ | ٤٧١، ٤٧٣ |
| ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ | ٣٦ | ٢٦٩ |
| ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ | ٣٧ | ٧٦٤ |
| ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ | ٤٠ | ٤٤، ١٩٢ |
| ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ | ٤٢ | ٥٨٧ |
| ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ | ٤٥ | ٥٠ |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ | ٤٨ | ٤٧ |
| ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ | ٥٠ | ٢٠٩ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ | ٥٢ | ٧٨٨ |
| ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ | ٥٣ | ٣٢٥ |
| ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ | ٦٦ | ٥٩ |
| ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾ | ٦٧ | ٦٧٩ |
| ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ | ٧١ | ٣٤٩ |
| ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾ | ٧٢ | ٨٣٢ |
| ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ | ٧٤ | ١٤٨ |
| ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍۖ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ | ٧٥ – ٧٦ | ٣٥١ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ١١١ | ٧٩ | ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ |
| ٤٤٠ | ٩٨ | ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ |
| ٤٣٣ | ١٠٢ | ﴿ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ |
| ٣٠٥ | ١٢٣ | ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ |
| سورة الإسراء | | |
| ٧٠١ | ١٣ – ١٤ | ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ |
| ١٠٥ | ٣٦ | ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ |
| ٤٠٦، ٤١٠ | ٤٠ | ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ |
| ٣٣١ | ٤٤ | ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِى صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ | ٤٩ – ٥١ | ٦٧٧، ٦٨٨ |
| ﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِى صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ | ٥٠ – ٥١ | ٣٧ |
| ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ | ٥١ – ٥٢ | ٦٨٩ |
| ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴾ | ٥٦ – ٥٧ | ٤١٣ |
| ﴿ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودًا ﴾ | ٧٨ | ٤٤٠ |
| ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّى ﴾ | ٨٥ | ٦٠٦ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
| --- | --- | --- |
| ٤٨٩ | ٩٠ – ٩٣ | ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ |
| ٤٨٦ | ٩٤ | ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ |
| ٤٨٨ | ٩٥ | ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴾ |
| ٧٦٤ | ٩٧ | ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ |
| ٦٢٤ | ٩٨ – ٩٩ | ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾ | ٣٥ – ٤٢ | ٨٢٩ |
| ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ | ٣٧ | ٨٢٩ |
| ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ | ٤٩ | ٧٠٢ |
| ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ | ٥٠ | ٨٢٠ |
| ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرًاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ | ٥٧ | ٨٢٣ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ | ٦٢ | ٦١٣ |
| ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ | ٦٣ | ٦١١ |
| ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ | ٦٦ | ٦١٢ |
| ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ | ٦٦ | ٦١١، ٦١٤ |
| ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ | ٦٨ | ٦١٢ |
| ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ | ٧١ – ٧٢ | ٦١٢ |
| ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ | ٧٤ | ٢٣، ٦١٣ |
| ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ | ٧٥ | ٦١٤ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
| --- | --- | --- |
| ٦١٥ | ٧٩ – ٨٢ | ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ |
| ٦١٠ | ٨٢ | ﴿ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي ﴾ |
| ٦١٦ | ٨٣ | ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴾ |
| ٦١٧ | ٩٤ | ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴾ |
| ٦١٧ | ٩٨ | ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| سـورة مريم | | |
| ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ | ٤ | ٣١٩ |
| ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ | ٨ | ٥٥٩ |
| ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ | ٢٠ | ٥٥٩ |
| ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ | ٢٦ | ٥٦٣ |
| ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ | ٢٩ | ٥٥٩ |
| ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ | ٣٠ – ٣٣ | ٥٦٣ |
| ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ | ٤٢ | ٣٧٣، ٣٧٤ |
| ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ | ٤٦ | ٣٩١ |
| ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ | ٦٥ | ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ | ٦٦ – ٦٧ | ٦٧٠ |
| ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾ | ٧٧ | ٦٩٠ |
| ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ | ٧٧ – ٧٨ | ٦٧٨، ٦٨٩ |
| ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ | ٧٨ | ٦٩١ |
| سورة طه | | |
| ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ | ٥ | ١٦١، ٢١٦ |
| ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ | ٩ | ٥٣٧ |
| ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ | ١١ – ١٢ | ٤٤ |
| ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ | ١٧ | ٥٣٧، ٥٤٠ |
| ﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ | ١٨ | ٥٤٠ |
| ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى ﴾ | ٣٩ | ٥٣٦ |
| ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ | ٣٩ | ١٣ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴾ | ٤٠ | ٥٣٣، ٥٣٦ |
| ﴿ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴾ | ٤٠ | ٧٣٠ |
| ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ | ٤٦ | ٢١٦ |
| ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ | ٤٩ – ٥٠ | ١٣٩ |
| ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ | ٥٠ | ١٣٩، ٧٦٣ |
| ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ | ٥١ – ٥٢ | ٧٤٥ |
| ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ | ٥٢ | ٧٤٦ |
| ﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ | ٥٧ | ٤٩٢ |
| ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ | ٨٣ | ٥٤٧ |
| ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴾ | ٨٦ | ٢٦٢، ٥٤٩ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ | ٨٩ | ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧ |
| ﴿ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾ | ٩٢ – ٩٣ | ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩ |
| ﴿ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ | ٩٤ | ٥٤٩ |
| ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴾ | ٩٥ | ٥٤٨ |
| ﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ | ٩٨ | ٥٤٩ |
| ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ | ١٢٠ | ٥١٧، ٥١٨ |
| ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ | ١٢٣ | ٥٠٩ |
| ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ | ١٢٤ | ٨٢٥ |
| ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ | ١٣٣ | ٥٠٣ |
| سـورة الأنبياء | | |
| ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ | ٣ | ٤٨٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ | ٦ | ٤٨١ |
| ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ | ١٠ | ٤٣٤ |
| ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ | ٢٠ | ٤٠٣ |
| ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ | ٢١ | ٣٦٥ |
| ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ | ٢٤ | ٣٤٠ |
| ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ | ٣٤ | ٥٦٩ |
| ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ | ٣٦ | ٢٧، ٥١١ |
| ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ | ٣٩ | ٦٥٨ |
| ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ | ٤٢ | ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٌ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴾ | ٤٣ | ٣٦٥ |
| ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ | ٥٠ | ٤٤٨ |
| ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ | ٥٢ | ٣٥٩ |
| ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ | ٥٥ | ٥١١، ٥١٢، ٥١٣ |
| ﴿ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ | ٥٦ | ٥١٣ |
| ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ | ٥٩ | ٣٦٦ |
| ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ | ٦٢ | ١٩، ٢٤، ٣٦٦ |
| ﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ | ٦٣ | ٣٦٩ |
| ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ | ٦٦ – ٦٧ | ٣٦٦ |
| ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾ | ٨٠ | ٥٨٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ | ٩٨ | ٣٨٤ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ | ١٠١ | ٣٨٤ |
| ﴿ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ | ١٠٨ | ٣٠٨ |
| سـورة الحج | | |
| ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴾ | ١٨ | ٣٢٧ |
| ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ | ١٨ | ٣٢٨ |
| ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ | ٤٦ | ٧٧٤ |
| ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ | ٥٢ | ٤٦٦ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٥٥ | ٦٣ | ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ |
| ١١٣، ١١٤ | ٦٥ | ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ |
| ٧٤٦ | ٧٠ | ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ |
| ٣١٨ | ٧٣ | ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ |
| ٤٦٧ | ٧٥ | ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ |
| ٧٩٥ | ٧٧ | ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ |
| ٢٢٩، ٢٣١ | ٧٨ | ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ |
| | | سـورة المؤمنون |
| ٢٦ | ١٢ | ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ |
| ٤٣٣ | ١٨ | ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ |
| ٣١٣ | ٣٢ | ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ | ٣٥ | ٦٧٩ |
| ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ | ٤٧ | ٤٨٦، ٨٠٨ |
| ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ | ٨٠ | ٨٢ |
| ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ | ٨٢ | ٦٧٩ |
| ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ | ٨٤ – ٨٥ | ١٣٢ |
| ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ | ٨٦ – ٨٧ | ١٢١، ١٢٢ |
| ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ | ٨٨ – ٨٩ | ١٣٢ |
| ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ | ١١٢ | ٦٥٥ |
| ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ | ١١٥ | ٦٤٩، ٦٥٢، ٦٨٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ | ١١٦ | ٦٥١ |
| سـورة النور | | |
| ﴿ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ | ٣٩ | ٢٣٣ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ | ٤١ | ٣٣٠ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ | ٤٣ | ١٠٧ |
| ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ | ٥٠ | ٨٨٢، ٨٨٣ |
| سـورة الفرقان | | |
| ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ | ١ – ٢ | ٧٣٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِى فِى ٱلۡأَسۡوَاقِ ۙ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ | ٧ | ٤٨٧، ٤٩٠ |
| ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدۡعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ | ١١ – ١٤ | ٧١٥، ٧٢٣ |
| ﴿ قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ ۚ كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴾ | ١٥ | ٧١١ |
| ﴿ سُبۡحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ | ١٨ | ٣٩٤، ٣٩٦ |
| ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِى ٱلۡأَسۡوَاقِ ۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٍ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ | ٢٠ | ٤٨٧ |
| ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ | ٣١ | ٢٢٨ |
| ﴿ وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ | ٤١ | ٥١٢، ٥١٤ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ | ٤٣ | ٣٣٦ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾ | ٤٥ | ١١٥ |
| ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ | ٦٠ | ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧ |
| سـورة الشعراء | | |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ | ٧ | ٦٠ |
| ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ﴾ | ٨ | |
| ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ | ١٨ | ٥٣٧، ٥٤١ |
| ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ | ٢٣ | ١٣٩ |
| ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ | ٢٣ | ٥٤٢ |
| ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ | ٢٤ | ١٤١ |
| ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ | ٢٥ | ٥٣٨ |
| ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ | ٢٧ | ١٤٢ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٥٤٢ | ٢٤ – ٢٥ | ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴾ |
| ١٤٠ | ٢٤ – ٢٨ | ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ |
| ١٤٢ | ٢٨ | ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ |
| ١٤٠ | ٢٩ | ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾ |
| ١٤٣ | ٢٩ | ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾ |
| ٥٣٨، ٥٤٢ | ٣٠ | ﴿ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴾ |
| ٥٤٢ | ٣١ – ٣٣ | ﴿ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ |
| ٤٩٤ | ٣٥ | ﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٥٤٢ ،٥٣٨ | ٣٩ | ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴾ |
| ٥٣٨ | ٤١ | ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴾ |
| ٥٤٣ | ٤١ | ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴾ |
| ٥٤٣ | ٤٣ – ٤٨ | ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ |
| ٣٧٤ | ٧٠ – ٧٧ | ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ |
| ٣٩٤ | ٩٢ – ٩٣ | ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ |
| ٣٣٤ | ٩٧ – ٩٨ | ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ | ١٠٦ | ٥٢٣ |
| ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ | ١١١ – ١١٢ | ٥٢٣، ٥٢٤ |
| ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴾ | ١٢٨ | ٥٩٧ |
| ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٣١ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ | ١٣١ – ١٣٥ | ٥٩٨ |
| ﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ | ١٦٥ | ٥٩٢ |
| ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ | ١٩٢ – ١٩٣ | ٤٣١ |
| ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ | ١٩٣ | ٤١٦ |
| سـورة النمل | | |
| ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا ﴾ | ١٤ | ٨٠٨ |
| ﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾ | ٢٠ | ٢٥ |
| ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ | ٢١ | ٥٨٩ |
| ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ | ٢٧ | ٥٨٩ |
| ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾ | ٣٦ | ٥٨٧، ٥٨٩ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ | ٣٨ | ٥٨٧ |
| ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ | ٣٨ | ٥٩٠ |
| ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ | ٣٩ | ٢٠٥ |
| ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ | ٤٤ | ٥٩٠ |
| ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ | ٤٦ | ٦٠٠ |
| ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ | ٥٠ | ٢٥١، ٢٥٢ |
| ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ | ٥٤ | ٥٩٣ |
| ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ | ٥٤ – ٥٥ | ٥٩٢ |
| ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ | ٥٩ | ٢٨٤ |
| ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ | ٥٩ | ٣٥٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ | ٦٠ – ٦٢ | ٢٧٧، ٢٧٨ |
| ﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ | ٦٣ | ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨ |
| ﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ | ٧٢ | ٦٥٩ |
| ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ | ٨٤ | ٨١٤ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ | ٨٤ | ٨١٩ |
| ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ | ٨٦ | ٩٨ |
| ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ | ١١٤ | ١٤٠ |
| سـورة القصص | | |
| ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ | ٧ | ٥٦٥ |
| ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ | ٩ | ٥٣٤ |
| ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ | ١٠ | ٥٣٦ |
| ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴾ | ١٢ | ٥٣٣، ٥٣٤ |
| ﴿ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ | ١٣ | ٥٣٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ﴾ | ١٩ | ٥٣٥ |
| ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ | ٢٢ | ٥٣٤ |
| ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ | ٣٢ | ٥٤٠ |
| ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ | ٣٨ | ١٣٩ |
| ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ | ٣٨ | ١٤٣ |
| ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴾ | ٤٨ | ٤٩٣ |
| ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ | ٥٦ | ٧٦٧ |
| ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ | ٥٦ | ٧٦٤ |
| ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ | ٥٧ | ٧١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ | ٦٢ | ٣٩٤ |
| ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ﴾ | ٦٣ | ٣٩٦ |
| ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ | ٦٥ | ٤٧٥ |
| ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ | ٧١ – ٧٢ | ٢٩١، ٢٩٢ |
| ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ | ٧٨ | ٨٣٤ |
| ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ | ٧٨ | ٨٣٢ |
| ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ | ٨١ | ٨٣٥ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
| --- | --- | --- |
| ٤٣٦ | ٥٠ | ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ |
| ٤٣٤ | ٥١ | ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ |
| ١٣٥ ،١٢٥ | ٦١ | ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ |
| ١٣٥ | ٦٣ | ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ |
| ٧٦ | ٦٤ | ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ ﴾ |
| ٨١٥ | ٦٨ | ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ |
| | | سـورة الروم |
| ٢٢٩ | ٤ – ٥ | ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ |
| ٣٥٠ ،٣٤٩ | ٢٨ | ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ ﴾ | ٢٩ | ٢٦ |
| ﴿ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴾ | ٣٥ | ٣٤٠ |
| ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾ | ٣٦ | ٧٥٤ |
| ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ | ٣٧ | ٧٥٢ |
| ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ | ٤٠ | ٢٩٤ |
| ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾ | ٥٠ | ٩٤ |
| سـورة لقمان | | |
| ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ | ١٣ | ٣٣٣ |
| ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ | ٢٠ | ٩٠ |
| ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ | ٢٢ | ٣١٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ | ٢٥ | ١٢٥ |
| ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ ﴾ | ٢٨ | ٤١ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ | ٢٩ | ٩٨ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ | ٣١ | ١١٣ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ | ٣٤ | ٧٣٩ |
| سـورة السجدة | | |
| ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ | ٣ | ٤٥٦ |
| ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ | ٤ | ٢٨١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ | ٦ | ١٦١ |
| ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ | ١٠ | ٦٨٠ |
| ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ | ١١ | ٤٢٢، ٤٢٣ |
| ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ | ١٧ | ٧٣٥ |
| ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ | ١٨ | ٦٤٩ |
| ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ | ٢٢ | ٨٢٣، ٨٢٥ |
| ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ | ٢٢ | ٢٦٤ |
| ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ | ٢٧ | ١٠٧ |
| ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ | ٢٨ | ٦٥٥ |
| ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ | ٢٩ | ٦٥٨ |
| سـورة الأحزاب | | |
| ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ | ٢٢ | ٧٩٩ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ | ٢٣ | ٤١٦، ٤١٧ |
| ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ | ٢٤ | ١٢٨، ١٣٠ |
| ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ | ٣٠ | ٦٥٩ |
| ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴾ | ٤٠ | ٤١٢ |
| ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ | ٤١ | ٤١٢ |
| سـورة فاطر | | |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ | ٣ | ٤١، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٣ |
| ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾ | ٢٧ | ١٠٨ |
| ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ | ٢٨ | ٣٢٢ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ | ٣٢ | ٧٨٦ |
| ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ | ٤٠ | ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٥ |
| سـورة يس | | |
| ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ | ١٣ – ١٤ | ٣٠٣ |
| ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ | ٢٢ | ٣٠٢، ٣٠٤ |
| ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ | ٢٣ | ٣٦٧ |
| ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ | ٣٣ | ٨٠ |
| ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ | ٣٣ – ٣٥ | ٣٢٥ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٣٢٥ | ٣٥ | ﴿ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ |
| ٧٥٣ | ٤٧ | ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ |
| ٧٥٦ ،٧٥٥ | ٤٧ | ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ..؟ ﴾ |
| ٧٥٦ | ٤٧ | ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ..؟﴾ |
| ٦٥٩ | ٤٩ | ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ |
| ٦٦١ ،٦٥٥ | ٥٢ | ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ |
| ٦٩٦ | ٥٢ | ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ |
| ٣٣٦ | ٦٠ – ٦٢ | ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴾ |
| ٧٥٣ | ٦٦ | ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ | ٧٩ | ٦٨٧ |
| سـورة الصافات | | |
| ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا ﴾ | ١٦ | ٦٨٢ |
| ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ | ١٧ | ٦٨٢ |
| ﴿ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ | ١٨ – ١٩ | ٦٨٦ |
| ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ | ٢٢ – ٢٣ | ٧٦٤ |
| ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾ | ٣٥ – ٣٦ | ٣١٠، ٤٩٩ |
| ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾ | ٣٦ | ٤٩٣ |
| ﴿ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ | ٣٧ | ٤٩٩ |
| ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ...﴾ | ٤٠ – ٦١ | ٧٢١ |
| ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴾ | ٥٢ – ٥٨ | ٦٨٢ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴾ | ٦٢ | ٧٢١ |
| ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ | ٨٥ – ٨٧ | ٣٩، ٤٠، ٣٥٦، ٣٥٨ |
| ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾ | ٩٢ | ٣٧٤ |
| ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ | ٩١ – ٩٣ | ٣٧٥ |
| ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ | ٩٥ | ٣٦٠ |
| ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ | ٩٥ – ٩٦ | ٣٦٢ |
| ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ | ٩٦ | ٣٢ |
| ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ | ١٠٢ | ٥٢٨ |
| ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ | ١٠٢ | ٥٣٠ |
| ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ | ١١٢ | ٥٢٩، ٥٣٠ |
| ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ | ١٢٥ | ٣٦٠ |
| ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ | ١٢٦ | ٣٦٣ |
| ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ | ١٤٩ – ١٥٠ | ٤٠٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثٗا وَهُمۡ شَـٰهِدُونَ ﴾ | ١٥٠ | ٤١٠ |
| ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ | ١٥١ – ١٥٢ | ٤٠٩ |
| ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴾ | ١٥٣ – ١٥٤ | ٢٣ |
| ﴿ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ | ١٥٤ – ١٥٥ | ٤١١ |
| ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَـٰنٞ مُّبِينٞ ﴾ | ١٥٣ – ١٥٦ | ٤٠٧ |
| ﴿ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَـٰنٞ مُّبِينٞ ﴾ | ١٥٦ | ٤١٠ |
| ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ | ١٧١ | ٤١ |
| سـورة ص | | |
| ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَـٰهٗا وَٰحِدًا ﴾ | ٤ – ٥ | ٣٨٦ |
| ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَـٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ | ٥ | ٣٨٦ |
| ﴿ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِي ﴾ | ٨ | ٤٦١ |
| ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَـٰبِ﴾ | ٨ – ١٠ | ٤٦٠، ٤٦١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ | ٢١ | ٥٨٦ |
| ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ | ٢٨ | ٦٤٩ |
| ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ | ٥٤ | ٧٠٩ |
| ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ | ٧٥ | ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨ |
| سورة الزمر | | |
| ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ | ٢ | ٣١٠ |
| ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ | ٦ | ٢٨١ |
| ﴿ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ | ٧ | ٢٥٩ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ | ٢١ | ٥٥ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ | ٢٢ | ٧٨٩ |
| ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ | ٢٩ | ٣٥٢ |
| ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ...﴾ | ٣٣ – ٣٤ | ٧٩٥ |
| ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ | ٣٦ | ٢٢١ |
| ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ | ٣٧ | ٢٦٦ |
| ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ | ٣٨ | ١٢٥، ١٢٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ | ٤٢ | ٤٢٣ |
| ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ | ٤٣ | ٣٦٨ |
| ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ | ٤٤ | ٣٧١ |
| ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ | ٦٠ | ٨١٩ |
| ﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ | ٦٢ | ٢٤٠ |
| ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ | ٦٤ | ٣٠٢، ٣٠٣ |
| ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ | ٦٧ | ١٨٩ |
| ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ | ٧١ | ٤٧٥ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ | ١٥ | ٢٠٦، ٢٠٧ |
| ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ | ١٧ | ٧٦٣ |
| ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ | ٢١ | ٧١٧، ٧٢٦ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ | ٤٠ | ٧١٨ |
| ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ | ٤١ | ٤٣٩ |
| ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ | ٤٤ | ٤٤٤ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ | ٤٧ | ٣٩٤ |
| ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ | ٥٢ | ٤٤٩ |
| ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ | ٥٣ | ٢٢٢ |
| سـورة الشورى | | |
| ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ | ٩ | ٣٦٧ |
| ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ | ١١ | ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣، ١٥٤، ١٨١، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٣ |
| ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ | ٢١ | ٣٤٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ | ٢٤ | ٧٥٣ |
| ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ | ٥١ | ٤٢٨ |
| ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحًا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾ | ٥٢ | ٤٣٩ |
| ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ | ٥٢ | ٧٦٤ |
| سـورة الزخرف | | |
| ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمًا مُّسۡرِفِينَ ﴾ | ٥ | ٤٤٩ |
| ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ | ٩ | ٨٦ |
| ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٍ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴾ | ١٦ | ٤٠٨ |
| ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ﴾ | ١٨ | ٤٠٨، ٤١٠ |
| ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبًا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ﴾ | ١٩ – ٢١ | ٤٠٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ | ٢٣ | ٣٧٩ |
| ﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ | ٢٤ | ٤٨٢ |
| ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ | ٣١ | ١٩٨ |
| ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ | ٣٢ | ١٩٨ |
| ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ | ٤٥ | ٣١٤ |
| ﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ | ٥٤ | ١٤٢ |
| ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ | ٥٧ – ٥٩ | ٣٨٣ |
| ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ | ٦٦ | ٦٢٨، ٦٣٠ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ | ٨٧ | ١٢٥، ١٢٧ |
| سـورة الدخان | | |
| ﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ | ١ – ٢ | ٤٣٩ |
| ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ | ٤ | ٧٤٥ |
| ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ | ١٣ | ٢٧ |
| ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ | ٥٦ | ٧٠٩ |
| سـورة الجاثية | | |
| ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ | ٢١ | ٦٥٠ |
| ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ | ٢٤ | ١٣٨ |
| ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ | ٣١ | ٨٢١ |
| ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ | ٣٧ | ٢٠١ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
| --- | --- | --- |
| سـورة الأحقاف | | |
| ٢٨٤ | ٣ | ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ |
| ٨٠٨ | ٣ | ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴾ |
| ٢٨٠ | ٤ | ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ‌ۖ ٱئۡتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبۡلِ هَـٰذَآ أَوۡ أَثَـٰرَةٍ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴾ |
| ٣٢٠ | ٥ | ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُ ۥۤ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآٮِٕهِمۡ غَـٰفِلُونَ ﴾ |
| ٣٢١ | ٦ | ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِہِمۡ كَـٰفِرِينَ ﴾ |
| ٤٥٦ | ٨ | ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَٮٰهُ‌ۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُ ۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا‌ۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ‌ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِى وَبَيۡنَكُمۡ‌ۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ |
| ٤٤٩ | ١٠ | ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَہِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٲٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ‌ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَہۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِى وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ | ١٧ | ٦٨٣ |
| ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ | ٢٢ | ٣١٤ |
| ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡىَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧىَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴾ | ٣٣ | ٦٧٣ |
| ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ | ٣٤ | ٧١٨ |
| سـورة محمد | | |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٤﴾ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴾ | ٤ – ٥ | ٧٦٤ |
| ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ | ١٦ | ٨٨٣ |
| ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً ﴾ | ١٨ | ٦٣١ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ | ١٨ | ٦٢٨، ٦٣٠ |
| ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ | ١٩ | ٣٠٩ |
| ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ | ٢٧ | ٤٢٢ |
| سورة الفتح | | |
| ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ | ١٠ | ١٨٤، ١٨٦ |
| ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ | ١١ | ٦٤ |
| ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ | ١٢ | ٦٦ |
| ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ | ٢٦ | ٤٣٣ |
| ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ | ٢٩ | ٢١٧ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| سـورة الحجرات | | |
| ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ | ١٤ | ٧٨٧ |
| ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ | ١٥ | ٣١٠ |
| ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ | ١٦ | ٧٩١ |
| ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ | ١٦ | ٧٨٩ |
| سـورة ق | | |
| ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ | ٣ | ٦٨٣ |
| ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ | ٤ | ٦٢٣، ٦٨٧ |
| ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ | ٦ | ٩٠، ٩١، ٩٥ |
| ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ | ٦ – ٧ | ٦٨٧ |
| ﴿ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ﴾ | ١١ | ٦٨ |
| ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ... ﴾ | ١٥ | ٦٧٢ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ | ١٥ | ٦٧١ |
| ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ | ١٦ | ٦٧٢ |
| ســورة الذاريات | | |
| ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾ | ٢٠ | ١٠٣ |
| ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ | ٢١ | ١٠٠، ١٠٣ |
| ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ | ٢٦ – ٢٧ | ٤١٧ |
| ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ | ٣١ | ٤١٨ |
| ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾ | ٥٢ | ٤٩٣ |
| ﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾ | ٥٣ | ٤٩٣، ٤٩٧ |
| ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ | ٨٥ | ٢٠٥، ٢٠٦ |
| ســورة الطور | | |
| ﴿ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ | ١٥ | ٧١٩ |
| ﴿ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴾ | ٢٩ | ٥٠٠ |
| ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴾ | ٣٠ | ٤٩٤ |
| ﴿ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴾ | ٣١ | ٤٩٩ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴾ | ٣٢ | ٤٩٩ |
| ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ | ٣٢ – ٣٣ | ٤٩٤ |
| ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ | ٣٣ | ٤٥٦، ٥٠٠ |
| ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ | ٣٥ – ٣٦ | ١٠٠ |
| ﴿ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴾ | ٣٩ | ٤٠٩ |
| ﴿ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ | ٤٣ | ٣٤٦ |
| سـورة النجم | | |
| ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾ | ١ – ٥ | ٤٣١ |
| ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ | ٤ – ١٠ | ٤١٦ |
| ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ | ١٠ | ٤٣١ |
| ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾ | ١١ – ١٤ | ٥٧٥، ٥٧٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ | ١٢ | ٥٦٩ |
| ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ | ١٩ – ٢٠ | ٣٤٣ |
| ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾ | ١٩ – ٢١ | ٣٤١ |
| ﴿ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴾ | ٢٢ | ٣٤٥ |
| ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾ | ٢٣ | ٣٤٥ |
| ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ | ٢٦ | ٣٧٠ |
| ﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ٣٣ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ٣٤ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ٣٥ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ | ٣٣ – ٣٦ | ٨٢٣ |
| ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾ | ٣٦ – ٣٨ | ٨٣٦ |
| ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ | ٥٥ | ٨٣٣، ٨٣٥، ٨٣٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ | ٥٧ – ٥٨ | ٦٢٦ |
| ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ | ٥٩ | ٤٦٣ |
| ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ | ٦٠ | ٤٦٤ |
| ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ | ٦١ | ٤٦٤ |
| ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ﴾ | ٦٢ | ٣٢٧ |
| سـورة القمر | | |
| ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ | ١ | ٦٣٠ |
| ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ | ١٥ – ١٦ | ٥٢٤ |
| ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ | ١٧ | ٤٤٠ |
| ﴿ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ | ٢٥ | ٤٦١ |
| ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ | ٤٩ | ٧٣٠ |
| سـورة الرحمن | | |
| ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ | ١٣ | ٨٣٣، ٨٣٥ |
| ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ | ٢٦ | ٨٣٥ |
| ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ | ٢٩ | ٧٤٥ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ | ٤٦ – ٦٣ | ٨٠٥ |
| ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ | ٦٠ | ٨٠٤، ٨٠٥ |
| سـورة الواقعة | | |
| ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ | ٤ | ٢١٠ |
| ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ | ٨ – ٩ | ٦٩٨ |
| ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ | ٢٧ | ٦٩٨ |
| ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ | ٤١ | ٦٩٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ | ٤١ – ٤٤ | ٧٠٠ |
| ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ | ٤٧ – ٤٨ | ٦٨٤ |
| ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ | ٥٨ – ٥٩ | ١٠١ |
| ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ | ٦٣ – ٦٤ | ١١٧ |
| ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴾ | ٦٨ – ٦٩ | ١٠٨ |
| ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴾ | ٧١ – ٧٢ | ١١٧ |
| ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴾ | ٨١ | ٤٦٣ |
| ﴿ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴾ | ٨٦ | ٦٤٢ |
| سـورة الحديد | | |
| ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ | ٤ | ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ | ٨ | ٧٩٧ |
| ﴿ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ | ١٣ | ٨٩٨ |
| ﴿ بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ | ١٣ – ١٤ | ٨٩٨ |
| ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ | ١٤ | ٨٩٦ |
| ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ | ١٦ | ٤٣٥ |
| ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ | ٢٠ | ٨٠٧ |
| ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ | ٢٨ | ٨٧٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| سـورة المجادلة | | |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ | ٧ | ٢١٩ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ | ٨ | ٨٤٨ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ | ١٤ | ٨٨٣ |
| سـورة الحشر | | |
| ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ | ٥ | ٧٧٧ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾ | ١١ | ٨٨٨ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| سـورة الصف | | |
| ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ ﴾ | ٥ | ٥٠٦ |
| ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ | ٥ | ٥٠٣ |
| ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ | ٧ | ٨١٥ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ | ١٠ | ٢٨ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ﴾ | ١٤ | ٥٦٥ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ | ١٤ | ٥٦٠ |
| سـورة المنافقون | | |
| ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ | ٣ | ٨٩٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ | ٤ | ٨٩١ |
| ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ | ٨ | ٢٠٤ |
| سـورة التغابن | | |
| ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ | ٦ | ٤٨٨ |
| ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ | ٧ | ٦٤٨ |
| ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ | ٧ | ٦٤٧ |
| سـورة الطلاق | | |
| ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ | ٣ | ٢٢٢ |
| سـورة التحريم | | |
| ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ | ١ | ٥٧٠ |
| ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ | ٣ | ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ | ١١ | ٧٠٧ |
| سـورة الملك | | |
| ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ | ٣ | ٤٧، ٥١، ٥٢ |
| ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ﴾ | ٨ | ٤٧٦ |
| ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ | ٨ – ٩ | ٤٧٧ |
| ﴿ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴾ | ٩ | ٤٧٨ |
| ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ | ١٠ | ٤٧٨ |
| ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾ | ١٦ – ١٧ | ٢١٣ |
| ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴾ | ١٩ | ١١١ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---|---|---|
| ٢٣٠ | ٢٠ | ﴿ أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ |
| ١٨، ٧٦٩، ٧٧٠ | ٢٢ | ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ |
| ٧٧٠ | ٢٢ | ﴿ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ..؟ ﴾ |
| ٤٨٢ | ٢٨ | ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ |
| ٥٦ | ٣٠ | ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ |
| | | ســـورة القلم |
| ٦٥٠ | ٣٥ | ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ |
| ٦٥٣ | ٣٥ – ٣٦ | ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ |
| | | ســـورة الحاقة |
| ٦٣٢ | ١ – ٣ | ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ |
| | | ســـورة المعارج |
| ٨٢٤ | ٣٦ – ٣٨ | ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| سـورة نوح | | |
| ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ | ٥ – ٦ | ٥٢٥ |
| ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ | ١٣ – ١٤ | ٤٦ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ | ١٥ | ٤٦ |
| ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ | ١٧ – ١٨ | ٦٢٤ |
| ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ | ٢٣ | ٣٣٧ |
| سـورة المزمل | | |
| ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ | ١٧ | ٦٩٥ |
| سـورة المدثر | | |
| ﴿ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ | ٢٤ | ٧٢٤ |
| ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ | ٢٥ | ٧٢٥ |
| ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ | ٢٦ – ٢٩ | ٧١٩، ٧٢٤ |
| ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ | ٣٨ | ٣٧١ |
| ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ | ٤٢ | ٧٢٠ |
| ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ | ٤٩ | ٨٢٤ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ | ٥٠ – ٥١ | ٨٢٦ |
| سـورة القيامة | | |
| ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ | ١ | ٦٣٤ |
| ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ | ٦ | ٢٠، ٦٣٤ |
| ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ | ٧ – ١٠ | ٦٩٧ |
| ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ | ١٠ | ٦٩٥ |
| ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ | ١١ – ١٥ | ٦٩٧ |
| ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾ | ٢٦ | ٦٣٤ |
| ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ | ٣٦ – ٤٠ | ٦٥٠، ٦٥١ |
| ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾ | ٣٧ | ٥٤ |
| سـورة الإنسان | | |
| ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ | ١ | ٢٤، ٥٣ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ | ٣٠ | ٧٥٠ |
| ســورة المرسلات | | |
| ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴾ | ١٢ – ١٤ | ٦٤١ |
| ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ | ٢٠ | ٥٣ |
| ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ﴾ | ٢٥ | ٤٧ |
| ســورة النبأ | | |
| ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ | ١ | ٦٥٥ |
| ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَـٰدًا ﴾ | ٦ | ٤٧ |
| ﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴾ | ١٧ | ٦٢٦ |
| ســورة النازعات | | |
| ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرًا ﴾ | ٥ | ٤١٥ |
| ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴾ | ١٠ – ١١ | ٦٨٤ |
| ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ | ١٥ | ٥٣٨ |
| ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ | ١٥ – ١٨ | ٥٤١ |
| ﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ | ١٨ | ٥٣٩ |

| الآية | رقمها | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ | ١٩ | ٧١٢ |
| سـورة الانشقاق | | |
| ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴾ | ٧ – ١٢ | ٧٠٢ |
| سـورة البروج | | |
| ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ ﴾ | ١٧ – ١٩ | ٨١٦ |
| ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴾ | ٢١ | ٤٣٩ |
| سـورة الطارق | | |
| ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ | ٥ | ١٠٤ |
| ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ | ٦ – ٧ | ١٠٤ |
| ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴾ | ٨ | ١٠٥ |
| ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴾ | ٥ – ٨ | ١٠٤ |

# فهرس الأحاديث

| طرف الحديث | الراوي | الصفحة |
|---|---|---|
| احتجت الجنة والنار، فقال للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء.. | | ١٩٩ |
| أخذ الله الميثاق من ظهر آدم-عليه السلام- بنعمان.. | ابن عباس | ٧٥١ |
| إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار.. | عبد الله بن عمر | ٧٠٦ |
| اشتكت النار إلى ربها فقالت: ربّ أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف... | أبي هريرة | ٧٠٦ |
| اقرأ عليّ، فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزل، قال: نعم، فإني أحب أن أسمعه من غيري | ابن مسعود | ٥٧٥ |
| أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة... | | ٣٠٠ |
| أمعك من القرآن شيء ؟ قال: نعم، سورة كذا، وسورة كذا، لسُور سماها | | ٢٣٧ |
| إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك... | ابن مسعود | ٧٤٤ |
| إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة... | | ٤٢٣ |
| إنّ الله خلق آدم -عليه السلام- ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته... | عمر بن الخطاب | ٧٤٧ |
| إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور. | | ١٣ |

| طرف الحديث | الراوي | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره | عمر بن الخطاب | ٤٠١ |
| أن تجعل لله نداً وهو خلقك | ابن مسعود | ٣٣٣ |
| إنّ نبي الله – ﷺ– قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعاناً | أبي هريرة | ٤١٧ |
| إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله | معاذ بن جبل | ٨٧ |
| آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمِنَ خان | أبي هريرة | ٨٨٠ |
| الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شُعبة، فأفضلها قول لاإله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق... | أبي هريرة | ٧٩٩ |
| تدري أين تذهب ؟ قلت: الله ورسوله أعلم ! قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها... | أبي ذر | ٣٢٨ |
| ثمَّ ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يُقال: يا أيُّها الناس هلمّ إلى ربكم | مسلم بن عبد الله | ٦٩٧ |
| حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سُبُحات | | ٥٣٩ |
| خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم | عائشة | ٤٠٢ |
| صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده | | ٢٢٧ |
| قام موسى خطيباً في بني إسرائيل، فقيل له: أيّ الناس أعلم ؟ قال: أنا، فعَتَب الله عليه | | ٦١٠ |

| | | |
|---|---|---|
| كلٌّ مُيسَّر لما خلق له | عمران بن حصين | ٧٣٩ |
| لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله – عز وجلّ – إنه يُشرَك به، ويُجعَلُ له الولد، ثم هو يعافيهم، ويرزقهم | | ٦٨ |
| لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أنّ الجنة طيبة التربة عذبة الماء... | ابن مسعود | ٧٠٧ |
| لَمّا خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها... | أبي هريرة | ٧٠٥ |
| ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة | | ٨٠٩ |
| ما أصاب عبداً قط هَمٌ ولا غَمٌ ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك... | | ٢٤١ |
| ما تجدون في كتابكم ؟ قالوا: إن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتَّجبية | ابن عمر | ٨٥٠ |
| معاذ الله أن نعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غيره ! ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني | ابن عباس | ٣٤٨ |
| من يدخل الجنة ينعم لا ييأس؛ لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه | أبي هريرة | ٧١٠ |
| نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال: أو لم تؤمن، قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي | أبي هريرة | ٦٦٨ |
| يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون... | أبي سعيد الخدري | ٧٠٩ |
| يا فلان، إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك ... آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت | | ٤٣٢ |
| يجمع الله المؤمنين يوم القيامة ... فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده.. | أنس بن مالك | ١٨٤ |

| | | |
|---|---|---|
| يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر... | أبي هريرة | ٢٤٥ |
| يُقال لجهنم: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها، فتقول: قطٍ قطٍ | أبي هريرة | ٧٢٢ |
| يقول الله لأهون أهل النار.. | أنس بن مالك | ٧٥١ |
| يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار | أبي سعيد الخدري | ١٩٢ |

# فهرس الأعلام

محمد بن أحمد السفاريني

| | |
|---|---|
| سعد الدين التفتازاني | ٩٤ |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | ١٨٦ |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| | |
| محمد بن أحمد السفاريني | ١٥٧ |
| محمد بن أحمد الملطي | ١٨٥ |

# فهرس الألفاظ الغريبة

| اللفظ | الصفحة |
|---|---|
| صفوان | ٤١٧ |
| صنبور | ٨٤٥ |
| عزين | ٨٢٦ |
| غرابيب | ١٠٨ |
| غل | ٢٦١ |
| غورا | ٥٦ |
| فتيلا | ٧٠٤ |
| فوم | ٥٥٣ |
| قطمير | ٧٠٤ |
| كفاتا | ٤٧ |
| مخر | ١١٤ |
| معين | ٥٦ |
| مكتل | ٦١٠ |
| ملكوت | ٩٥ |
| منبتر | ٨٤٥ |
| مهطع | ٨٢٦ |
| نضح | ١٨٥ |
| نقير | ٨٧٥ |
| نوء | ٨٣٣ |
| هيولي | ٤٦٧ |
| ودق | ١٠٧ |
| يزجي | ١٠٧ |

| الصفحة | اللفظ |
| --- | --- |
| ١٦٥ | يكلؤكم |

## فهرس المدن والمناطق

| الصفحة | البلد |
| --- | --- |
| ٥٩٦ | الأحقاف |
| ٣٠٣ | أَنطاكِيَة |
| ٥٥٤ | أيلة |
| ٥٩٩ | الحجر |

## فهرس الأبيات الشعرية

# ثبت المصادر المراجع


١- الإبانة عن أصول الديانة: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، دار الأنصار – القاهرة – ١٣٩٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. فوقية حسين محمود.

٢- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، دار الراية للنشر – السعودية – ١٤١٨هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

٣- الإبهاج في شرح المنهاج : علي بن عبدالكافي السبكي _ دار الكتب العلمية _ بيروت _ الطبعة الأولى_تحقيق:جماعة من العلماء.

٤- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر – لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.

٥- الإتقان في علوم القرآن:جلال الدين السيوطي _ دار الكتاب العربي _ بيروت _تحقيق: فواز أحمد زمرلي.

٦- إجابة السائل شرح بغية الأمل: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٦م، الأولى، ت: حسين السباغي، د. حسن الأهدل.

٧- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة الأولى.

٨- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة الأولى.

٩- أحكام الجنائز وبدعها: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الرابعة – ١٤٠٦هـ.

١٠- أحكام القرآن : أحمد بن علي الجصاص_ دار إحياء التراث العربي_ بيروت _١٤٠٥ تحقيق:محمد الصادق قمحاوي.

١١- الأربعين في أصول الدين : فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد السقا _ مكتبة الكليات الأزهرية_ القاهرة .

١٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٣- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: لإمام الحرمين الجويني – حققه وعلق عليه: د. محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد – مكتبة الخانجي – القاهرة، الثالثة – ١٤٢٢هـ.

١٤- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – ١٤١١هـ.

١٥- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر – ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٦- أساس التقديس في علم الكلام: الإمام فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الطبعة الأولى.

١٧- الاستغاثة في الرد على البكري: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – مكتبة السنة – القاهرة – الثانية ١٤٠٩هـ.

١٨- الاستغاثة في الرد على البكري: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار الوطن – الرياض – ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله بن محمد السهيلي.

١٩- الاستقامة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة – ١٤٠٣هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٢٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة – عز الدين بن الأثير – تحقيق: علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، قدم له: د. محمد عبد المنعم البري، د. عبد الفتاح أبو ستة، د. جمعة النجار – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٥هـ.

٢١- الأسماء والصفات: أبي الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عبد الله بن عامر – دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٢٢- إشارات المرام من عبارات الإمام – أحمد البياضي تحقيق: يوسف عبد الرزاق – مكتبة مصطفى البابي الحلبي – الأولى – ١٣٦٨هـ.

٢٣- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر القرطبي – دار صادر – الأولى – ١٣٢٨هـ.

٢٤- أصول الإيمان: محمد بن عبد الوهاب: تحقيق: باسم فيصل الجوابرة.

٢٥- أصول الدين: فخر الدين محمد بن عمر الرازي: راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد – المكتبة الأزهرية للتراث.

٢٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٢٧- الأطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم – إبراهيم بن محمد الحنفي تحقيق: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٨- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان الفوزان – مؤسسة الرسالة – بيروت – الثالثة – ١٤٢٦هـ.

٢٩- الاعتصام: أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

٣٠- أعلام السنة المنشورة: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي .

٣١- إعلام الموقعين عن رب العالمين: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣م، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

٣٢- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، دار التراث العربي – القاهرة – ١٣٩٨، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا.

٣٣- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – العاشرة – ١٩٩٢م.

٣٤- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر أيوب بن القيم الجوزية، دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٣٥- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – حققه: محمد حامد الفقي – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤٠٧هـ.

٣٦- الاقتصاد في الاعتقاد: أبو حامد الغزالي، دار ومكتبة الهلال – لبنان – ١٩٩٣م، الطبعة الأولى.

٣٧- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق: د. ناصر العقل، مكتبة الرشد – الرياض. الرابعة – ١٤١٤هـ.

٣٨- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ١٣٦٩، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٣٩- الأمثال في القرآن الكريم: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، مكتبة الصحابة – طنطا – مصر – ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم محمد.

٤٠- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار: يحي بن أبي الخير العمراني، أضواء السلف – الرياض – ١٩٩٩م، الطبعة الأولى، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف.

٤١- الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد: أبي الحسن عبد الرحيم بن محمد الخياط المعتزلي – تحقيق: د. نيبرج، دار الندوة الإسلامية بيروت – ١٩٨٧م.

٤٢- الأنساب: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني: دار الفكر – بيروت – ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي.

٤٣- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به – القاضي أبي بكر الباقلاني – تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر – عالم الكتب – الأولى – ١٤٠٧هـ.

٤٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، دار الجيل – بيروت – ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الطبعة الخامسة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٤٥- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد: محمد بن نصر المرتضى اليماني (ابن الوزير)، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٧م، الطبعة الثانية.

٤٦- إيضاح الإيضاح: جمال الدين محمد بن محمد الأقسراني – تحقيق: ميلاد إبراهيم القـذافي. دار ومكتبة الشعب الأولى – ٢٠٠٣م.

٤٧- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعـة، دار السلام للطباعة والنشر – مصر – ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: وهـبي سليمان غاوجي الألباني.

٤٨- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، دار إحياء العلوم – بيروت – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة الرابعة، تحقيق: الشيخ بهيج غزاوي.

٤٩- الإيمان لابن منده: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، مؤسسـة الرسـالة – بـيروت – ١٤٠٦هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.

٥٠- الإيمان: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق: ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – الثالثة ١٤٠٨هـ.

٥١- الاعتبار : أبو المظفر أسامة بن مرشد الكناني _دار الكتب العلمية _بـيروت_١٩٩٩م ، الطبعة الأولى.

٥٢- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكـة المكرمة – ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد الج.

٥٣- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف – بيروت.

٥٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة – بيروت .

٥٥- البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفـة – بيروت – ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٥٦- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة العلوم والحكم – ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش.

٥٧- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة العصرية – لبنان/ صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٥٨- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق: د. عبد الرحمن اليحيى – دار راشد الطيار – د. رشيد حسن محمد علي وغيرهم. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة ١٤٢٦هـ.

٥٩- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مطبعة الحكومة – مكة المكرمة – ١٣٩٢، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

٦٠- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.

٦١- تبصرة الأدلة في أصول الدين: أبي المعين ميمون بن محمد النسفي، تحقيق وتعليق: كلود سلامة، الجفار والجابي للطباعة والنشر، ليماسول – قبرص – الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٦٢- التبصير في معالم الدين – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – تحقيق: علي الشبل – دار العاصمة – الأولى ١٤١٦هـ.

٦٣- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، دار عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٦٤- التبيان في أقسام القرآن: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، الدمشقي، دار الفكر.

٦٥- التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، دار الصحابة للتراث بطنطا – مصر – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: فتحي أنور الدبلوي.

٦٦- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.
٦٧- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد: إبراهيم بن محمد البيجوري – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٦٨- التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع: أحمد بن تيمية – تحقيق: محمد بن عودة السعودي – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ.
٦٩- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: محمد بن أحمد القرطبي – دار البيان للتراث.
٧٠- التسعينية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق: د. محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ.
٧١- التسهيل لعلوم التنزيل : محمد بن أحمد الكلبي _دار الكتاب العربي _ لبنان _١٩٨٣م _ الطبعة الرابعة .
٧٢- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
٧٣- تعظيم قدر الصلاة: محمد بن نصر المروزي – تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي – الأولى – ١٤٠٦هـ.
٧٤- التعليق المفيد على كتاب التوحيد – لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز. مكتبة التراث الإسلامي.
٧٥- تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت – ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، د. زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د. أحمد النجولي الجمل.
٧٦- تفسير البغوي:الإمام البغوي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.
٧٧- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: عبد العظيم المطعني. مكتبة وهبة – القاهرة. الأولى – ١٤٢٠هـ.

٧٨- تفسير البيضاوي: البيضاوي، دار الفكر – بيروت.

٧٩- تفسير الجلالين: محمد بن أحمد وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث- القاهرة، الطبعة الأولى.

٨٠- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٨١- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر – بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.

٨٢- تفسير القرآن العزيز: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، دار الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة – ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز.

٨٣- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ.

٨٤- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء الحافظ ابن كثير – دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٥- تفسير القرآن الكريم – جزء عم – الشيخ محمد بن صالح العثيمين – دار الثريا للنشر – الرياض – الثالثة ١٤٢٤هـ.

٨٦- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.

٨٧- التفسير الكبير: محمد الرازي، قدم له: خليل محي الدين الميس – دار الفكر – بيروت – ١٤١٤هـ.

٨٨- تفسير النسفي مدارك التنزيل و حقائق التأويل :عبدالله النسفي، تحقيق: مروان الشعار _ دار النفائس _بيروت_الطبعة الأولى _١٤١٦.

٨٩- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم: محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي، مكتبة السنة – القاهرة – مصر – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز.

٩٠- تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: د. السيد الجميلي.

٩١- تلخيص كتاب الاستغاثة: ابن كثير، بيروت .

٩٢- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل: محمد بن الطيب الباقلاني، مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الأولى، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر.

٩٣- التمهيد شرح كتاب التوحيد: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: دار التوحيد - الرياض - الأولى - ١٤٢٣هـ.

٩٤- التمهيد في أصول الدين: أبي المعين النسفي - تحقيق: عبد الحي قابيل - دار الثقافة - القاهرة.

٩٥- التمهيد لقواعد التوحيد - محمود بن زيد الحنفي الماتريدي - تحقيق: عبد المجيد تركي - دار الغرب الإسلامي - الأولى/ ١٩٩٥م.

٩٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري.

٩٧- التنبيه والرد - محمد بن أحمد الملطي.

٩٨- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة - عبد الرحمن بن ناصر السعدي. علق عليها: الشيخ عبد العزيز بن باز. ضبط نصها وخرج أحاديثها: محمد بن سليمان البسام - دار ابن الجوزي - الدمام - الأولى ١٤٢٤هـ.

٩٩- تنزيه القرآن عن المطاعن: للقاضي عبد الجبار بن أحمد، دار النهضة الحديثة - بيروت.

١٠٠-تهافت الفلاسفة: لأبي حامد الغزالي - تحقيق: سليمان دنيا - دار المعارف.

١٠١-تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني - دائرة المعارف النظامية الكالحنة بالهند - الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ.

١٠٢-تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

١٠٣-التوحيد: لأبي منصور الماتريدي – تحقيق: فتح الله خليـــف – دار الجامعـــات المصـــرية. الاسكندرية.

١٠٤-التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد: محمد بن إســحاق بـــن منده، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي – مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة – الأولى – ١٤٢٣هـــ.

١٠٥-توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم: أحمد بن إبراهيم بـــن عيسى، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٦هـــ، الطبعة الثالثة، تحقيق: زهير الشاويش.

١٠٦-التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق – ١٤١٠هـــ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

١٠٧-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن محمـــد بـــن عبـــد الوهاب، عالم الكتب – بيروت – ١٩٩٩م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد أيمن الشيراوي.

١٠٨-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قدم له الشيخ: عبد الله بن عقيل والشيخ محمد بن عثيمين – تحقيق: عبد الرحمن بن معلاّ اللويحق – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الثالثة – ١٤٢٦هـــ.

١٠٩-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :عبدالرحمن بن ناصر السعدي _ تحقيق: عمـــر زهري النجار ، ومحمد البسام _ مطبعة المدني _١٤٠٨.

١١٠-جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – حققه وعلق على حواشيه: محمود محمد شاكر – دار التربية والتراث – مكة المكرمة.

١١١-جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـــ.

١١٢-الجامع الصحيح سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحيـــاء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١١٣-الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القـــرطبي، دار الشـــعب – القاهرة.

١١٤-جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار العروبة – الكويت – ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط.

١١٥-جمهرة اللغة: الطبعة الأولى، تحقيق: رمزي منير بعلبكي.

١١٦-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد بن تيمية، تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان الحمدان. دار العاصمة – الرياض – الأولى ١٤١٤هـ.

١١٧-الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء): محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية أبو عبد الله، دار الكتب العلمية – بيروت.

١١٨-الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

١١٩-حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢٠-الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة: أبو القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، دار الراية – السعودية/ الرياض – ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي.

١٢١-الحسنة والسيئة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مطبعة المدني – القاهرة، تحقيق: د. محمد جميل غازي.

١٢٢-الحق الواضح المبين : عبدالرحمن بن ناصر السعدي .

١٢٣-الحيدة والاعتذار: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني.

١٢٤-الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني، عالم الكتب – بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.

١٢٥-خلق أفعال العباد: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، دار المعارف السعودية – الرياض – ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.

١٢٦-درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الأولى – ١٤٠١هـ.
١٢٧-دراسات في الأديان – اليهودية والنصرانية – د. سعود الخلف – أضواء السلف – الأولى ١٤١٨هـ.
١٢٨-الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع :عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الطبعة الخامسة – ١٤١٣هـ.
١٢٩-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدا اباد/ الهند – ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، الطبعة الثانية، تحقيق مراقبة: محمد عبد المعيد ضان.
١٣٠-دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: محمد الأمين الشنقيطي، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
١٣١-دلائل الإعجاز: الإمام عبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: د. التنجي.
١٣٢-دلائل النبوة : أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي –دار الكتب العلمية _ بيروت _الطبعة الأولى _ ١٤٠٥.
١٣٣-الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية – القاهرة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.
١٣٤-الرد على الجهمية: عثمان بن سعيد الدارمي أبو سعيد، دار ابن الأثير – الكويت – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، الطبعة الثانية، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر.
١٣٥-الرد على الزنادقة والجهمية: أحمد بن حنبل الشيباني ، المطبعة السلفية – القاهرة – ١٣٩٣م، تحقيق: محمد حسن راشد.
١٣٦-الرد على المنطقيين: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو ، دار المعرفة – بيروت.

١٣٧-الرد على المنطقيين: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤٢٤هـ.
١٣٨-الرسائل الشخصية: محمد بن عبد الوهاب: مطابع الرياض – الرياض، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب.
١٣٩-رسائل العدل والتوحيد: الحسن البصري – القاسم الرسي _القاضي عبد الجبار – الشريف المرتضى – تحقيق: محمد عمارة.
١٤٠-الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه: محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية، مكتبة المدني – جدة، تحقيق: د. محمد جميل غازي.
١٤١-رسالة في تحقيق التوكل :أحمد بن تيمية _ ضمن (جامع الرسائل).
١٤٢-رسالة في تحقيق مسألة علم الله: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الإدارة العامة للطبع والترجمة – الرياض – ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى_ضمن (جامع الرسائل).
١٤٣-رسالة في الرد على ابن عربي : أحمد بن تيمية _ ضمن ( جامع الرسائل).
١٤٤-رسالة في قنوت الأشياء: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني_ ضمن (جامع الرسائل).
١٤٥-رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
١٤٦-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٤٧-الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١٤٨-روضة المحبين ونزهة المشتاقين: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٤٩-زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤هـ، الطبعة الثالثة.

١٥٠-زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب بن القيم الجوزية، مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت – ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، الطبعة الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط.

١٥١-زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الإدارة العامة للطبع والترجمة – الرياض – ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى.

١٥٢-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وضوابطها: محمد ناصر الدين الألباني – المكتبة الإسلامية – عمان – الثالثة – ١٤٠٦هـ.

١٥٣-السنة: لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: عطية بن عتيق الزهراني – دار الراية – الرياض. الطبعة الثانية – ١٤١٥هـ.

١٥٤-السنن الكبرى: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ - ١٩٩١م، الطبعة الأولى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

١٥٥-سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي أبو عبد الله، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٣هـ، الطبعة التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.

١٥٦-السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، دار الجيل – بيروت – ١٤١١هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.

١٥٧-شأن الدعاء: أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي – تحقيق: أحمد بن يوسف الدقاق – دار الثقافة العربية – دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

١٥٨-شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي، دار بن كثير – دمشق – ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط.

١٥٩-شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة: هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي وغيره – دار طيبة – الرياض، الطبعة الثالثة – ١٤١٥هـ.

١٦٠-شرح الإرشاد: لأبي بكر بن ميمون – تحقيق: أحمد حجازي أحمد السقا - - مكتبة الأنجلو المصرية – مصر – ١٤٠٧هـ.
١٦١-شرح الأصول الخمسة: عبد الجبار بن أحمد – تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم – حققه وقدم له: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة – الثالثة – ١٤١٦هـ.
١٦٢-شرح السنة: أبي محمد الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: خالد بن قاسم الردادي – دار الصميعي – الرياض – الثالثة – ١٤٢١هـ.
١٦٣-شرح العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية: الشيخ عبد العزيز الراجحي – دار الفضيلة – الرياض – الأولى – ١٤٢٠هـ.
١٦٤-شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: عبد الله التركي – شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الثانية – ١٤١٣هـ.
١٦٥-شرح العقيدة الطحاوية : علي بن علي بن أبي العز الحنفي ، تحقيق: ناصر الدين الألباني _ المكتب الإسلامي _ بيروت _ ١٣٩٠.
١٦٦-شرح العقيدة الأصفهانية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم سعيداي.
١٦٧-شرح العقيدة الواسطية: صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة السادسة ١٤١٣هـ.
١٦٨-شرح العقيدة الواسطية: للشيخ محمد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد الصميل – دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.
١٦٩-شرح العقيدة الواسطية :محمد خليل الهراس ، تعليق : الشيخ محمد بن عثيمين _ دار الهجرة _ المملكة العربية السعودية _ الطبعة الخامسة _ ١٤٢٦.
١٧٠-شرح الفقه الأكبر: الملا علي القاري، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٤هـ.
١٧١-شرح القواعد الفقهية: أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، دار القلم – دمشق، ١٤٠٩هـ - الثانية، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا.

١٧٢-شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير: محمد بن أحمد القنوجي المعروف بابن النجار، معهد البحوث العلمية ١٤١٣هـ، ط٢، ت: محمد الرحيلي، د. نزيه حماد.
١٧٣-شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار المعارف النعمانية – باكستان – ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، الطبعة الأولى.
١٧٤-شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول : أحمد القرافي ، تحقيق : طه عبدالرؤوف _ مكتبة الكليات الأزهرية _ القاهرة _الطبعة الأولى _ ١٣٩٣.
١٧٥-شرح دروس البلاغة: حفني ناصف – سلطان محمد – محمد دياب – مصطفى طمطوم – شرح الشيخ محمد بن عثيمين، دار ابن الجوزي – القاهرة – الأولى – ١٤٢٩هـ.
١٧٦-شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري: عبد الله الغنيمان، دار العاصمة – الرياض – الثانية – ١٤٢٢هـ.
١٧٧-شرح نواقض الإسلام لمحمد بن عبد الوهاب: للشيخ: صالح الفوزان، أشرف على إخراجها: محمد بن فهد الحصين، مكتة الرشد – الرياض – الثانية – ١٤٢٥هـ.
١٧٨-الشريعة: أبي بكر محمد بن الحسين الآجرين، دار الوطن – الرياض/ السعودية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي.
١٧٩-شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١٠هـ.
١٨٠-الشفا بتعريف حقوق المصطفى : القاضي عياض اليحصبي _ دار الفكر _ بيروت _١٤٠٥.
١٨١-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، دار الفكر – بيروت – ١٣٩٨م، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.
١٨٢-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية – بيروت.

١٨٣-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها: أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع. مكتبة المعارف – بيروت الأولى – ١٤١٤هـ.
١٨٤-الصارم المسلول على شاتم الرسول: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار ابن حزم – بيروت – ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري.
١٨٥-الصارم المنكي في الرد على السبكي: محمد بن عبد الهادي أبو عبد الله، مكتبة التوعية الإسلامية، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري.
١٨٦-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤هـ _ ١٩٩٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
١٨٧-صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
١٨٨-صفات الله عز وجل في ضوء القرآن الكريم والرد على المخالفين: محمد الأمين الشنقيطي – جمع وتحقيق: عبد الله الدغيثر، دار ابن حزم للنشر والتوزيع – الرياض – الأولى – ١٤٢٣هـ.
١٨٩-صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفجر، دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: محمود فاخوري – د. محمد رواس قلعجي.
١٩٠-الصفدية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – دار الهدي النبوي – مصر - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
١٩١-الصلاة وحكم تاركها: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الشركة الجزائرية اللبنانية – الجزائر – الطبعة الأولى – ١٤٢٧هـ.
١٩٢-الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار العاصمة – الرياض – ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة الثالثة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.

١٩٣-الضياء الشارق في رد شبهات الماذِق المارق: سليمان بن سحمان – تحقيق: عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم – رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض – الخامسة – ١٤١٤هـ.
١٩٤-طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ١٤١٣هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو.
١٩٥-طبقات الشافعية: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان.
١٩٦-طبقات فقهاء الشافعية: تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح: دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٩٩٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: محيي الدين علي نجيب.
١٩٧-طبقات المفسرين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة وهبة – القاهرة – ١٣٩٦، الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد عمر.
١٩٨-الطحاوية: حققه جماعة من العلماء: خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت الأولى ١٤٢٧هـ.
١٩٩-طريق الهجرتين وجلب السعادتين: محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية. ضبط نصه وخرج أحاديثه: عمر محمود أبو عمر – دار ابن القيم.
٢٠٠-العبر في خبر من غبر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مطبعة حكومة الكويت – الكويت – ١٩٤م، الطبعة الثانية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.
٢٠١-عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: زكريا علي يوسف.
٢٠٢-عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح – بهاء الدين السبكي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصرية – بيروت الأولى – ١٤٢٣هـ.
٢٠٣-عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة: محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٧هـ، الطبعة الثالثة.

٢٠٤-العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية: أبي المعالي عبد الملك الجويني – تحقيق: محمد زاهد الكوثري – المكتبة الأزهرية – ١٤١٢هـ.
٢٠٥-العقيدة الواسطية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء – الرياض – ١٤٢٢هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع.
٢٠٦-العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها: الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي، مكتبة أضواء السلف – الرياض – ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود.
٢٠٧-غاية المرام في علم الكلام: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – ١٣٩١هـ، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف.
٢٠٨-غريب الحديث: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي.
٢٠٩-الغنية في أصول الدين: أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان – ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الأولى، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر.
٢١٠-الفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية، تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل إبراهيم.
٢١١-الفتاوى الكبرى: لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة – بيروت.
٢١٢-فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز – رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه/ محمد فؤاد عبد الباقي – قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.
٢١٣-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.
٢١٤-الفتوى الحموية الكبرى: تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق ودراسة: د. حمد التويجري، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٢١٥-الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة – بيروت – ١٩٧٧م، الطبعة الثانية.
٢١٦-الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر البغدادي – دار الكتب العلمية - بيروت.
٢١٧-الفصل في الملل والأهواء والنحل – علي بن أحمد بن حزم الظامري – دار الجيل – بيروت، تحقيق: محمد إبراهيم نصر – د. عبد الرحمن عميرة.
٢١٨-الفصل في الملل والأهواء والنحل: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي – القاهرة.
٢١٩-فضائح الباطنية: محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت، تحقيق: عبد الرحمن بدوي.
٢٢٠-الفوائد: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، الطبعة الثانية.
٢٢١-فوات الوفيات: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله/ عادل أحمد عبد الموجود.
٢٢٢-قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، تحقيق: زهير الشاويش.
٢٢٣-قاعدة في المحبة: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
٢٢٤-قطف الثمر في بيان عقدة أهل الأثر: محمد صديق حسن خان القنوجي، شركة الشرق الأوسط للطباعة – الأردن – ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. عاصم عبد الله القريوتي.
٢٢٥-قواعد العقائد: أبو حامد الغزالي، عالم الكتب – لبنان – ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة الثانية، تحقيق: موسى محمد علي.
٢٢٦-قواعد الفقه: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الصدف ببلشرز، كراتشي – ١٤٠٧هـ، الأولى.

٢٢٧-القول السديد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين ـ دار القبس ـ الرياض ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٢٦.

٢٢٨-القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح العثيمين: جمعه وخرج أحاديثه: د. سليمان أبا الخيل – د. خالد المشيقح – دار ابن الجوزي الدمام – الأولى – ١٤١٨.

٢٢٩-الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٢٣٠-كتاب سيبويه: أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

٢٣١-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٢٣٢-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري – اعتنى به وخرج أحاديثه – خليل مأمون سبحا – دار المعرفة – بيروت – الأولى – ١٤٢٣هـ، وعني هامشه الانتصاف لابن المنير.

٢٣٣-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري.

٢٣٤-الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: عبد العزيز السلمي، مطبعة السعادة – الثانية – ١٣٩٠هـ.

٢٣٥-اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان – ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

٢٣٦-لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

٢٣٧-لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة: عبد الملك بن عبد الله الجويني إمام الحرمين، عالم الكتب – لبنان – ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الثانية، فوقية حسين محمود.
٢٣٨-لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرق المرضية: محمد السفاريني الحنبلي – المكتب الإسلامي – دار الخاني – الطبعة الثالثة – ١٤١١هـ.
٢٣٩-لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات: فخر الدين الرازي – راجعه وقدم له وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد: المكتبة الأزهرية للتراث.
٢٤٠-مؤلفات محمد بن عبد الوهاب: محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، تحقيق: عبد العزيز زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب.
٢٤١-الماتريدية دراسة وتقويماً: أحمد بن عوض الحربي – دار العاصمة. الرياض – الأولى ١٤١٣هـ.
٢٤٢-متشابه القرآن: عبد الجبار الهمذاني – تحقيق: د. عدنان محمد زرزور، دار التراث – القاهرة.
٢٤٣-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث/ دار الكتاب العربي – القاهرة، بيروت – ١٤٠٧هـ.
٢٤٤-مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب: عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة.
٢٤٥-مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – فتاوى العقيدة: جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – الطبعة الأخيرة ١٤١٣هـ.
٢٤٦-مجموعة التوحيد: محمد بن عبد الوهاب – حققه: بشير محمد عيون، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط – مكتبة المؤيد – الرياض – الثالثة – ١٤١٤هـ
٢٤٧-مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد: دار العاصمة – الرياض – الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٢٤٨-مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان: محمد بن عبد الوهاب، مطابع الرياض – الرياض، الطبعة الأولى، تحقيق: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري.
٢٤٩-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
٢٥٠-محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين: فخر الدين بن عمر الرازي – راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة.
٢٥١-المحصول: محمد بن عمر الرازي، جامعة الإمام – الرياض، ١٤٠٠هـ، الأولى ت: طه جابر فياض العلواني.
٢٥٢-المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
٢٥٣-المحيط بالتكليف: للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عمر السيد عزمي – مراجعة: أحمد فؤاد الأهواني. المؤسسة المصرية العامة للتأليف.
٢٥٤-مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.
٢٥٥-مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: لابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم – دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٥٦-المختصر في أخبار البشر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن كثير.
٢٥٧-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر أيوب بن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
٢٥٨-مدارج السالكين: محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى.

٢٥٩- مسائل الجاهلية التي خالف فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية للإمام محمد بن عبدالوهاب ، شرح : محمود شكري الألوسي _ دار المجد _الرياض _ الطبعة الأولى _١٤١٢.
٢٦٠-المستدرك على الصيحيحن: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٢٦١-مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة – مصر.
٢٦٢-مشاهير علماء نجد وغيرهم – عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ. دار اليمامة للبحث والترجمة – الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.
٢٦٣-مشكل الحديث وبيانه: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، عالم الكتب – بيروت – ١٩٨٥م، الطبعة الثانية، تحقيق: موسى محمد علي.
٢٦٤-مصباح الظلام في الرد من كذب على الإمام: عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ، تفريط معالي الشيخ: صالح آل الشيخ. حققه وخرج أحاديثه: د. عبد العزيز آل حمد – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية الأولى – ١٤٢٤هـ.
٢٦٥-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت.
٢٦٦-المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
٢٦٧-المطالب العالية من العلم الإلهي – فخر الدين الرازي – ضبطه وخرج آياته: محمد عبد السلام شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤٢٠هـ.
٢٦٨-المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: سعد الدين مسعود التفتازاني – تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤٢٢هـ.

٢٦٩-معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد حكمي، دار ابـــن القيم – الدمام – ١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.

٢٧٠-معترك الأقران في إعجاز القرآن: عبد الرحمن السيوطي، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت. الأولى – ١٤١٨هـــ.

٢٧١-معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـــ - ١٩٩١م، الطبعة الأولى.

٢٧٢-معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر – بيروت.

٢٧٣-معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت – الأولى – ١٤١٤هـــ.

٢٧٤-معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع : عبدالله العبكري _ عالم الكتب _ بيروت ، ١٤٠٣ ، الطبعة الثالثة ، تحقيق : مصطفى السقا .

٢٧٥-المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمـــد النجـــار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٢٧٦-معجم مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل – بيروت – لبنان – ١٤٢٠هـــ - ١٩٩٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

٢٧٧-معيار العلم في المنطق: لأبي حامد الغزالي – تحقيق: أحمد شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت الأولى – ١٤١٠هـــ.

٢٧٨-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، دار الفكر – دمشـــق – ١٩٨٥م، الطبعة السادسة، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله.

٢٧٩-المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار قوم نصـــه. إبـــراهيم الأبيـــاري – بإشراف – د. طه حسين، الشركة العربية للطباعة والنشر – الأولى – ١٣٨٠هـــ.

٢٨٠-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة: محمد بن أبي بكر أيـــوب بـــن القـــيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٨١-المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد، دار المعرفة – لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٢٨٢-مقالات أبي الحسن الأشعري: محمد بن الحسن بن فورك، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السَّامح – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٢٥هـ.
٢٨٣-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: هلموت ريتر.
٢٨٤-المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، عالم الكتب – بيروت، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة.
٢٨٥-مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان و البديع و إعجاز القرآن : ابن النقيب ، تحقيق: د. زكريا باسعيد _دار الخانجي _ الطبعة الأولى _ ١٤١٥.
٢٨٦-المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: د. محمد عثمان الخشت – مكتبة القرآن – القاهرة.
٢٨٧-الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – بيروت.
٢٨٨-المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال: أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب.
٢٨٩-منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس: عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ – دار الهداية – الرياض الثانية – ١٤٠٧هـ.
٢٩٠-منهاج السنة النبوية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مؤسسة قرطبة – ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
٢٩١-منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع: سليمان بن سمحان – تحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، مكتبة الرشد – الرياض. الأولى – ١٤٢٦هـ.
٢٩٢-المنهاج في شعب الإيمان – الحسين بن الحسن الحليمي – تحقيق: حلمي محمد فوده – دار الفكر – الأولى – ١٣٩٩هـ.
٢٩٣-المواقف : عبدالرحمن الإيجي ، تحقيق : عبدالرحمن عميرة _دار الجيل _ بيروت _ الطبعة الأولى _ ١٤١٧ _ ١٩٩٧م.

٢٩٤-موقف ابن تيمية من الأشاعرة: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد – الرياض. الأولى – ١٤١٥هـ.

٢٩٥-ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

٢٩٦-النبوات: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، المطبعة السلفية – القاهرة – ١٣٨٦م.

٢٩٧-نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، دار صادر – بيروت – ١٣٨٨هـ، تحقيق: د. إحسان عباس.

٢٩٨-النكت والعيون (تفسير الماوردي): أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان – لا يوجد، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

٢٩٩-نهاية الإقدام في علم الكلام: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان – ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد فريد المزيدي.

٣٠٠-نهاية الإقدام في علم الكلام: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. حرره وصححه – الفررجيوم. مكتبة زهران – مصر.

٣٠١-النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي.

٣٠٢-نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف: د. محمد الوهيبي – دار المسلم – الرياض- الأولى ١٤١٦هـ.

٣٠٣-هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن القيم الجوزية، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.

٣٠٤-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المكتبة التوفيقية – مصر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

٣٠٥-الوابل الصيب من الكلم الطيب: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكـــر بـــن القـــيم الجوزية، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥هـــ - ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، تحقيـــق: محمد عبد الرحمن عوض.

٣٠٦-الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث – بـــيروت – ١٤٢٠هـــ - ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.

٣٠٧-اليوم الآخر ( الجنة و النار) : عمر الأشقر – مكتبة الفلاح _الكويت _ الطبعـــة الثانيـــة _١٤٠٨.

٣٠٨-اليهودية والمسيحية – محمد ضياء الرحمن الأعظمي – الأولى ١٤٠٩هـــ.

الرسائل الجامعية :

١_ أساليب الاستفهام في القرآن : عبدالعليم السيد فودة _ رسالة ماجستير _ جامعة القاهرة .

٢_ حسن التنبه لما ورد في التشبه : نجم الدين الغزي _ دراسة وتحقيق : منى بنت غبدالرحمن الشنيفي ، القسم الثالث ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

## فهرس الموضوعات